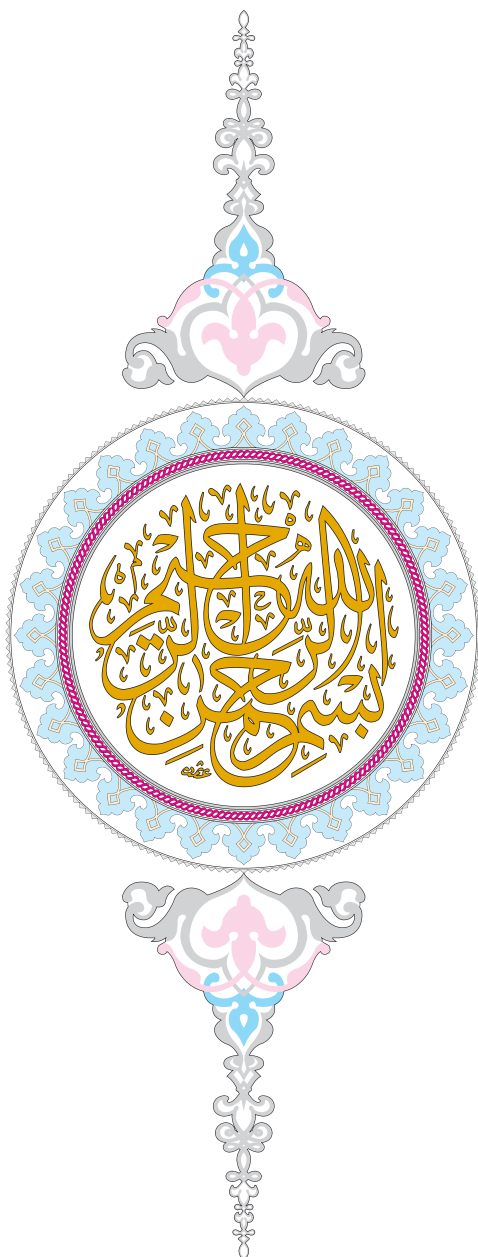
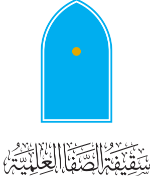
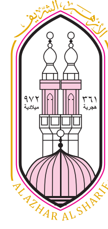



مجلة الأزهر

٥٣


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

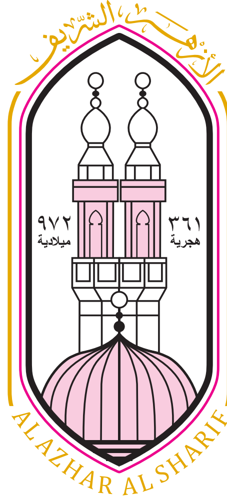
٥٣

المجلد التاسع والأربعون ـ القسم الأول

السنة ١٣٩٧هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail: info@saqifat-alsafa.org

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة التاسعة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٧هـ — يناير سنة ١٩٧٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من
الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٢ —

يقول الله تعالى :

« وما علمناه الشعر وما ينبغي له، ان هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » .

« والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

لقد تحدثنا في مقالنا السابق عن أن هناك مستويات هي من الكمال بحيث لا يتناسب معها الشعر ،

وذلك مثل مستوى الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وكلام الله سبحانه وتعالى يتنزه مستواه عن مستوى الشعر ، ولكن الآيتين الأوليين لا يوحيان بتحريم الشعر .

أما الآيات التى وردت فى سورة الشعراء ، فلو اقتصرت على الآيات الثلاث الأولى ، لأوحت بتحريمه ، ولكن ورد بعدها استثناء : فاتتفى التحريم المطلق ، واتتفى أيضا أن يكون الشعر حلالا مطلقا .

انهذا الاستثناء قد وضع شروطا، وهذه الشروط توافرت فى كثير من الشعراء : اما فى جميع مراحل حياتهم واما فى ختامها ، وقد روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لحسان بن ثابت » :

« اهجهم ــ (أى المشركين) ــ أو قال : « هاجهم ، وجبريل معك » .

وأخرج الامام «أحمد» فى مسنده، عن « كعب بن مالك » أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قد أنزل فى الشعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل » .

ويبدأ الاستثناء ، وتبدأ الشروط بقوله تعالى :

(الا الذين آمنوا)

والايمان حينما يتمكن من القلب يعصمه من قول الفحشاء ، ومن التغنى بها ولكن الايمان أحيانا يكون مجرد تصديق لا ينتهى الى عصمة الانسان عن قول السوء ، ومن أجل ذلك أتبعه الله تعالى بقوله :

(وعملوا الصالحات)

وما من شك فى أن عمل الصالحات من أهم ما يعصم الانسان عن التردى فى مهاوى الضلال وأنه مما يمسك الانسان عن الانحراف فى عمل الصالحات أن يكون الله تعالى مذكورا دائما فى شعوره وفى احساسه ومن أجل ذلك أضاف الله تعالى قوله :

(وذكروا الله كثيرا) .

والله‌سبحانه وتعالى يأمر فى عدة مواضع من الكتاب الكريم بالذكر الكثير ، وهو سبحانه يأمر بذلك فى اطلاق مطلق ، ولكنه سبحانه يذكر أحيانا اشارة موجهة ، أو لمحة منبهة أو ملحظا تعليليا جليلا يبين مكانة الذاكرين ، كما يقول تعالى مثلا :

(ان فى خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون‌الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار) .

فهو سبحانه وتعالى هنا جعل الذكر من سمات أولى‌الألباب ، ومن طابعهم .

ويقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

فهو سبحانه فى هذه الكلمات القرآنية الكريمة يقول :

(فاذا قضيت الصلاة)

ولم يقل : فاذا قضى الذكر ، لأن الذكر ممتد ، وقته دائم لا ينقضى ولا يزول ، ثم بين الله تعالى فى آخر الآيتين الكريمتين من أواخر سورة الجمعة ، أن الذكر الكثيرسبب‌الفلاح والمفلحون هم الفائزون حقا وهم الذين نالوا مرضاة الله تعالى .

ونبه الله تعالى الشعراء الى أن مما يأخذ بهم الى طريق الهدى فى شعرهم الذكر الكثير وشرط آخر ينبغى أن يتوافر فى الشعراء حتى يكونوا ممن يسير على الجادة ، وذلك هو ما عبر الله تعالى عنه بقوله :

(وانتصروا من بعد ما ظلموا) .

وهذا الشرط يمكن الحديث فيه كثيرا .

يمكن أن يقال : ان بعض‌الشعراء أرباب أقلام وليسوا أرباب سيوف، أن الجرأة تنقصهم ، والاقدام ليس

حليفا لهم ، فشاء الله تعالى أن ينبههم الى أن المؤمن الصادق شجاع مقدام ، وكما يستعمل لسانه فى قول الحكمة ، فانه ينبغى أن يستعمله فى الانتصار للحق ، وفى رد الظلم ، وفى الوقوف فى وجه الباطل ولا بد ليكون الشاعر شاعرا اسلاميا من أن يتوافر فيه :

ـ الايمان •

ـ العمل الصالح •

ـ الذكر الكثير •

ـ الوقوف فى وجه الظلم •

وتنتهى هذه الآيات من سورة الشعراء بقوله تعالى :

(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) •

وهى كلمة أبلغ وأوضح من كل تفسير •

ونعود الآن الى الموضوع من جديد لنرى ما روى فيه من آثار ، وما قاله أسلافنا من مفسرين ومن فقهاء فى الموضوع •

يقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

« الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » •

ويقول « أبو عمرو » ـ فيما رواه القرطبى :

« ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم ، وموضع القدوة الا وقد قال الشعر ، أو تمثل به أو سمعه فرضيه : ما كان حكمة أو مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ، ولا لمسلم أذى ، فاذا كان كذلك فهو المنثور من القول سواء ، لا يحل سماعه ولا قوله ، وروى « أبو هريرة » قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول :

«أصدق كلمة ـ أو أشعر كلمة ـ قالتها العرب قول لبيد :

«ألا كل شىء ما خلا الله باطل» •

أخرجه مسلم ، وزاد : « وكاد « أمية بن ابى الصلت » أن يسلم» •

وروى عن « ابن سيرين » أنه أنشد شعرا ، فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر ؟

فقال : ويلك يا لكع — وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا فى القوافى ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

ويروى الامام « مسلم » من حديث « عمرو بن الشريد » ، عن أبيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « هل معك من شعر « أمية بن أبى الصلت » ؟

قلت نعم — قال : «هيه» فانشدته بيتا فقال : « هيه » حتى أنشدته مائة بيت ومما عقب به صاحب الجامع لأحكام القرآن على ذلك قوله :

« وفى هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها اذا تضمنت الحكم ، والمعانى المستحسنة » شرعا وطبعا وانما استكثر النبى صلى الله عليه وسلم من شعر « أمية » لأنه كان حكيما ، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام :

« وكان أمية بن أبى الصلت أن يسلم » فأما ما تضمن ذكر الله وحده والثناء عليه فذلك مندوب اليه .

وكانت هناك مواقف محددة لبعض الخلفاء من الشعراء الذين يقولون هجرا ، من ذلك موقف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — كما ذكر الزبير بن بكار اذ قال : حدثنى مصعب بين عثمان أن « عمر ابن عبد العزيز » لما ولى الخلافة لم يكن له هم الا « عمر بن أبى ربيعة » والأحوص — الشاعران — فكتب الى عامله على المدينة « انى قد عرفت عمر والأحوص بالشر والخبث فاذا أتاك كتابى هذا فأشدد عليهما ، وأحملهما الى — فلما أتاه الكتاب حملهما اليه فأقبل على عمر، فقال : « هيه » .

فلم أر كالتجمير منظر ناظر
ولا كليالى الحج أفلتن ذاهوى
وكم مالىء عينيه من شىء غيره
اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

أما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شىء غيرك ، فاذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فمتى يفلتون ؟

ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أو خير من ذلك ؟ فقال : هو ؟ قال : أعاهد الله أنى لا أعود

الى مثل هـذا الشعر ، ولا أذكر النساء فى شعر أبداً ، وأجدد توبة.

فقال : أو تفعل ؟

قال : نعم ـ فعاهد الله على توبته وخلاه ـ ثم دعا بالأحوص .

فقال : هيـه

اللـه بينى وبين قيمها
يفـر منى بهـا وأتبـع

بل الله بين قيمها وبينك ـ ثم أمر بنفيه ـ فكلمه فيه رجال من الأنصار، فأبى وقال : والله لا أرده ما كان لى سلطان ـ فانه فاسق مجاهر » .

فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه ـ فلا يحل سماعه ولا انشاده فى مسجد ولا غيره ـ كمنثور الكلام القبيح ونحوه .

وروى اسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حسن الشعر كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » ، رواه اسماعل « عن عبد الله الشامى » ، وحديثه عن أهل الشام صحيح ـ فيما قال « يحيى بن معين » وغيره .

وروى «عبدالله بن عمرو بن العاص» ـ قال ـ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشعر بمنزلة الكلام : حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام .

وبعد: فان الآيات القرآنية الكريمة « من سورة يس ، ومن سورة الشعراء» تحدد تحديدا دقيقا موقف الاسلام من الشعر وما ذكرناه من حديث شريف أو قول لبعض أسلافنا أو موقف للامام الورع الخليفة عمر ابن عبد العزيز انما هو ايضاح لما ورد فى القرآن موجز ومعجز.

وللحديث بقية ان شاء الله .

دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

محمد إقبال في مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم

العلامة : أبو الحسن الندوي

لقد عاش الدكتور محمد اقبال شاعر الاسلام وفيلسوف العصر مدة حياته فى حب النبى صلى الله عليه وسلم والاشواق الى مدينته، وتغنى بهما فى شعره الخالد ، وقد طفحت الكأس فى آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه وانهمرت الدموع ، ولم يقدر له الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم لجسمه الضعيف الذى كان يعانى الأمراض والأسقام ، ولكنه رحل الى الحجاز بخياله القوى ، وشعره الخصب العذب ، وقلبه الولوع الحنون ، وحلق فى أجواء الحجاز ، وتحدث الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه ، وحبه واخلاصه ووفاؤه (١) وتحدث اليه عن نفسه وعن عصره ، وعن أمته ، وعن مجتمعه وقد فاضت فى هذا الحديث قريحة الشاعر ، وانفجرت المعانى والحقائق التى كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها ، وينتظر فرصة اطلاقها ، وقد رأى أن فرصتها قد حانت وهذا أولها ومكانها ، فكان شعره فى النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أبلغ اشعاره وأقواها وكان حشاشة نفسه وعصارة عمره وتجاربه وكان تصويرا لعصره وتقريرا عن امته وتعبيرا عن عواطفه .

لقد قال محمد اقبال هذه الأبيات وهو يتخيل أنه مسافر الى مكة والمدينة يهوى به العيس ، ويسير به الركب على رمال وعساء يتخيل بشدة شوقه وحبه أنها أنعم من الحرير وأن كل ذرة من ذراتها قلب

---

(١) ليس هذا الحديث من الاستغاثة فى شىء انما هو أسلوب من أساليب الشعر والحب استعمله الشعراء قديما وحديثا .

يخفق فيطلب من السائق أن يمشى رويدا ويرفق بهذه القلوب الخفاقة، ويحدو الحادى بما لا يفهمه فتثور أشجانه ، وتترنح أعطافه ، وتهيج شاعريته : وتنطلق قيثارته بشعر رقيق بليغ .

ثم يسعد بالمثول بين يدى الرسول فيصلى ويسلم عليه بما يفتح الله به عليه ، وينتهز الفرصة ، فيحدثه عن نفسه وبلاده : والفترة التى يعيش فيها ، وعن أمته وعن الأزمات والمشاكل التى تعانيها وما فعل بها الزمان وطوارق الحدثان وما فعلت بها هذه الحضارة الغربية ، والفلسفات المادية ، وما فعلت برسالتها والأمانة التى حملتها وأين هى من ماضيها وخصائصها ، يرثى لها تارة ويبكى ويشكوها مرة ويعاتب ويشكو غربته فى وطنه ووحدته فى مجتمعه ، وضيعة رسالته فى أمته ، وقد سمى هذه المجموعة بـ : « هدية الحجاز » كأنها هدية حملها من الحجاز لاصدقائه وتلاميذه ، ولاشك أنها هدية مباركة للعالم الاسلامى ، ونفحة فائحة من نفحات الحجاز .

يقوم الشاعر بهذه الرحلة الحبيبة وقد أربى على الستين ووهنت قواه فى سن يفضل فيها الناس الراحة والاقامة ، فما باله يسافر وهو شيخ ، وقد أضعفه المرض والشيب ، والسفر الى الحجاز شاق مضن ، وقد نصحه الأطباء والأحبة بالراحة والهدوء ــ ولكنه يعصيهم ويطيع أمر الحب ، ويلبى نداء الشوق ويقول : «لقد توجهت الى المدينة رغم شيبى وكبر سنى ، أغنى وانشد الابيات فى سرور وحنين ، ولاعجب فان الطائر يطير فى الصحراء طول نهاره ، فاذا أدبر النهار وأقبل الليل ، رفرف بجناحيه وقصد وكره ليأوى اليه ويبيت فيه .

كأنه يقول لماذا تعجبون اذا قصدت المدينه وهى وكر طائر الروح ومأزر المؤمن فى أصيل حياتى ، وفى سن أشرقت فيها شمس الحياة على الغروب أما رأيتم الطائر اذا جن الليل أسرع الى وكره .

بدأ محمد اقبال سفره وهو شيخ مريض ، وسارت به الناقة بين مكة والمدينة سيرا حثيثا ، وقد قال لها : رويدك ياحبيبتى فان راكبك

لاغب ومريض، وكبير السن، فمشت فى نشوة وطرب ولم تبال كأن الصحراء حرير تحت أرجلها .

يسير الشاعر فى هذا الركب الحجازى الذى يحدو بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويريد الشاعر ان يسجد سجدة على هذه الرمضاء، يدوم أثرها فى جبهته طول حياته ، ويقترح ذلك على أصحابه وزملائه .

ويملكه الشوق ، فيحدو وينشد أبياتا من شعر العراقى (١) والجامى فيتساءل الناس من هذا الأعجمى الذى يغنى ويحدو بلغة لا نفهمها ولكنها نغمة تشجى القلوب وتملؤها ايمانا وحنانا حتى يذهل الرجل فى هذه الصحراء عن الغذاء والماء ؟

ويلذ الشاعر بكل ما يعتريه فى الطريق ، من سهر ، وعناء ، وقلة طعام وشراب ولا يستطيل الطريق ولا يستبطىء الوصول بل يقترح على سائقه أن يأخذ طريقا أطول حتى يعيش فى هذه الأشواق ، وفى هذا الحنين مدة أوسع وتشتد لوعة الفراق لأنها زاد العشاق ونزهة المشتاق .

وهكذا يطوى محمد اقبال هذه المسافة فى سرور وحنين ، حتى يصل الى المدينة فيقول لزميله : تعال يا صديقى نبك سرورا وتتحدث ساعة ونرسل النفس على سجيتها فان لنا شأنا مع هذا الحبيب الذى أسعدنا به الحظ بعد طول فراق وشدة اشتياق .

ويقبل على نفسه فيتعجب كيف اختص من بين اقرانه بهذه السعادة ثم يقول : لا عجب فان المحبين المتيمين أكرم هنا من الحكماء المتفلسفين ، يا سعادة الجد ، ويا حسن الطالع ، لقد سمح لصعلوك مملوك ان يدخل على السلاطين والملوك .

ولا يلبث محمد اقبال وهو فى هذا الفيض من السرور والسعادة أن يذكر أمته المسلمة ، والشعب المسلم الهندى ، يذكر آلامهما ، وآمالهما ، فيذكر كل ذلك فى بلاغة الشاعر ،

---

(١) شاعران فارسيان لهما قصائد وأبيات سائرة فى الآفاق فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

وصداقة الرائد ، وما اجملهما اذا التقيا يقول :

« ان هذا المسلم البائس ، الذى لا تزال فيه بقية من شمم واباء وأنفه الملوك وعزة الآباء لقد فقد مع الأيام ، يارسول الله ، لوعة القلب واكسير الحب ان قلبه حزين منكسر ولكنه لا يعرف سر ذلك .

بماذا أحدثك يا رسول الله . عن آلامه ورزيئته ، حسبك انه هوى من قمة عالية ، انه هبط من تلك العلياء التى وصلت به اليها ، وكلما ارتفع المكان الذى يسقط منه كان ألمه شديدا ، وكانت الصدمة عظيمة ، فلطف الله بهذه الأمة المنكوبة الهاوية ، من قمة المجد العالية » .

« انه لا يزال الزمان يعاديه ، ولا يزال ركبه تائها فى الصحراء ، بعيدا عن غايته ومنزله ، حسبك من هذه الأمة ، وما يسود فيها من الفوضى والاضطراب انها تعيش من غير امام

« ان غمده فارغ ككيسه ، فهو أعزل فقير ، وان الكتاب الذى فتح به العالم وضعه فى بيته الخرب ، على طاق تراكمت عليه الأتربة ونسج عليه العنكبوت .

« انه أصبح بطول عهده بالمغامرات والبطولات ، لايفهم لغة المغامرين واهابة الشجعان المجاهدين ، وقد ألف نغمة المغنين ، وعاش بين الزفرات والأنين » .

« وان عينه فقدت النور ، وان قلبه حرم السرور . ان رزيئته أن يعيش ولا يعرف لذة الوصال والحضور » .

ثم يذكر الفرق بين ماضيه العظيم الذى كان فيه موضع رعاية وعناية واحتفاء وحاضره القاسى الكالح ، وكيف صعب عليه ان يتقشف ويعتمد على نفسه ، ويكدح فى الحياة وما أبلغ قوله :

« انه طائر مدلل ، كنت تطعمه بيدك وقد ربيته بالفواكه فشق عليه البحث عن رزقه وقوته فى الصحراء »

ويتذكر محمد اقبال فتنة اللادينية التى توجهت الى العالم الاسلامى

ويعرف محمد اقبال — وهو من كبار علماء الفلسفة والسياسة وعلم الاقتصاد — أن سببها النظر المادى البحت ، وخواء الروح ، وبرودة القلب ، وباعثها هو الحياة المترفة الباذخة التى يعيشها كثير من الناس ، ويعتقد أنه لا سبيل الى محاربة هذه اللادينية ، والفلسفة الاقتصادية المادية الا الحياة التى تقوم على الحب والزهد والحياة التى كان يعيشها أبو بكر الصديق ، المحب الزاهد ، فيتمنى للمسلمين هذه الحياة المثالية التى يسيطر عليها الحب والزهد ، واذا وجدت هذه الحياة اضطر الناس الى تقديرها واجلالها .

انه لا يعلل انحطاط المسلمين بالفقر والضعف فى المادة بل يعلله بانطفاء تلك الشعلة التى التهبت فى صدورهم ويقول : « ان أولئك الفقراء — المسلمين الأولين — لما عرفوا كيف يقومون أمام ربهم فى صف واحد ، استطاعوا أن يمسكوا بتلابيب الملوك ولما انطفأت هذه الجذوة فى صدورهم انطووا على نفوسهم ، وأووا الى الزوايا والتكايا

وانه ليستعرض تاريخ المسلمين ، فيرى فيه ما يخجل كل مسلم ، يرى فيه مالا يتفق مع الرسالة المحمدية وتعاليمها ومثلها العليا ويرى فيه من شرك وعبادة لغير الله ، وخضوع للجبابرة والطغاة ، ما يندى له الجبين حياء ، يذكر « اقبال » ذلك كله ويطرق رأسه حياء أو خجلا ، ويقول فى صراحة واعتراف ، وبلاغة وايجاز : « ان جملة القول ما كنا جديرين بك يا رسول » .

ويلقى نظرة على العالم الاسلامى ، وقد جال فى أنحائه وعرف مراكزه فيشكو ضعفه وفقره المعنوى ويقول فى اجمال : ان المراكز الروحية (الرباطات والزوايا) أصبحت فقيرة لا تملك غذاء القلب ولا تحمل رسالة الحب ، والمراكز العلمية (المدارس بمعناها الواسع) غلب عليها التقليد ، فهى تردد ما تلفتته فى الماضى فى غير ابداع وابتكار ، وهى كثور الطاحون يدور فى دائرة

واحدة ، أما أندية الشعر والأدب فقد خرجت منها كئيبا حزينا ، فليس فى نغماتها وأفكارها ما يبعث الروح ويثير الطموح انه شعر بارد يخرج من قلب بارد ، وأدب ميت يصدر عن أديب ميت » .

ويقول : « قد ضربت فى مشارق الأرض ومغاربها ، فوجدت المدن تغص بالمسلمين الذين يفرقون من الموت ، أما المسلم الذى يفرق منه الموت فلم أر له عينا ولا أثرا » !! .

ويذكر السر فى ضعف المسلمين وتشتت أهوائهم وخمودهم فيقول: « لقد شق على ما أراه من سوء حال المسلمين يوما وشكوت الى ربى ، فقيل : ألا تعرف هؤلاء الذين يحملون القلوب ولا يعرفون المحبوب ؟ يعنى أنهم يملكون مادة الحب ولكنهم لا يعرفون من يشغلونها به ويوجهونها اليه فقلوبهم تائهة وعقولهم مضطربة وجهدهم ضائع ، وعملهم ضعيف ، وحياتهم لا لذة فيها ولا سرور ، وهى حياة من رزق القلب ، وحرم الحب ، أو حياة من عرف الحب وجهل المحبوب ، انها لا شك حياة عذاب وشقاء وحياة حيرة وضلال .

ولكنه رغم ذلك كله غير يائس من المسلمين ، وغير قانط من رحمة الله بل ينتقد رجال الدين فى يأسهم من المسلمين وقطعهم الرجاء من نهضتهم وتعليقهم الأمل بغيرهم ، ويقول فى عتاب وتألم : » ان أحوالهم وأحاديثهم تنم عن أنهم يائسون من جميع أسباب الخير ، وأنهم متشائمون ، ينظرون الى المسلمين والى الحياة بمنظار أسود ويقول : « ان المسلم وان كان قد تجرد عن أبهة الملك والسلطان ، ولكن ضميره وتفكيره ، لا يزالان ضمير الملوك وتفكيرهم ، وأنه وان ضمير الملوك وتفكيرهم ، وانه وان جماله جلالا ، وكانت له سطوة لا تطاق » .

وهنا يقبل محمد اقبال الى نفسه، فيحكى حكايتها ، ويشكو مايعانيه من أهل عصره ومجتمعه ، يقول : « انى أستحق العطف والعناية فانى

فى صراع عنيف ، وحرب دامية مع عصرى المادى » .

ولا شك أن اقبال قضى حياته فى صراع مع العصر الحاضر ، وقد كفر بالحضارة الغربية والفلسفة المادية ، وتحداهما ، وانتقدهما وزيفهما فى شجاعة وعلى بصيرة وخبرة ، وقد كان مربى جيل جديد مؤمن بالله واثق بنفسه ، معتد بشخصيته وشخصية الاسلام كافر بالأسس المادية والتفكير المادى الذى قامت عليه الحضارة الغربية وحق له أن يقول : « لقد أذنت فى الحرم ، كما أذن بالأمس جلال الدين الرومى ، فقد تعلمت منه أسرار الروح والحب ، لقد كان ثائرا على فتن عصره وكنت ثائرا على فتن عصرى » .

ويذكر تمرده على العلوم الغربية وتفلته من شباكها واحتفاظه بعقيدته، وايمانه وخصائصه ، ويقول بحق وجدارة « كنت كطائر يقع على شبكة ، فيقرض الحبال ويأخذ الحب ويطير بسلام » وكذلك كان. فقد ظفر بلب العلوم الغربية ولبابها ورمى بقشورها ، وخرج من حبائلها سالما .

ثم يقول فى افتخار واعتزاز : « يعلم الله أنى دخلت فى أعماق هذه العلوم واكتويت بنارها ، من غير أن أرزأ فى عقيدتى ، وخلقى وصلتى بك ، وقد جلست فى نارها بشجاعة وخرجت منها بسلامة ، كما كان شأن ابراهيم — عليه السلام — مع نار نمرود » .

وهنا يتذكر الشاعر حياته التى قضاها فى عواصم أوربا بين الكتب الجافة والفلسفة الدقيقة ، والعلم الواسع والجمال الفاتن ، والمظاهر الخلابة : فيقول : لقد بقيت هذه المدة ذاهلا عن نفسى جاهلا لشخصيتى ، حتى لما وقع بصرى على لم أعرف نفسى » .

ويقول : لقد اقتطفت من علوم الغرب شيئا كثيرا ، وتناولت من خمر حانته كأسا دهاقا ، ياله من صداع اشتريته ، لقد عشت بين علمائه وفلاسفته ، وبين غيده الحسان ، يالها من فترة مظلمة

قضيتها من حياتى ، حرمت فيها لذة الحب ونعيم الطلب ، ان دروس الحكماء قد صدعت رأسى ، وكدرت بالى ، ذلك لأنى نشأت فى حضانة الحب والايمان فلا يناسبنى ولا يملأ فراغ نفسى الا العاطفة والحنان ».

وهنا يقبل الشاعر الى الطبقة التى تمثل العلم والدين ، فينتقد فيها الجفاف واتساع العلم وتضخمه على حساب العاطفة والحب ولوعة القلب ، فيقول : « ان العالم الدينى لا يحمل هما ، ان عينه بصيرة ، ولكنها جافة لا تدمع ، لقد زهدت فى صحبته لأنه علم ولا هم ، وأرض مقدسة ولا زمزم » .

لقد شبهه محمد اقبال بالحجاز لأنه يحمل علما كثيرا ، وعقلا كبيرا ... ولكنه مع الأسف رمال جافة ، وجبال جرداء ليس فيها زمزم ، ومكة ببيتها وزمزمها ليست برمالها وبطحائها وجبالها فحسب ، فما أفقر العالم الدينى الذى يحمل علما جما ، ولسانا بليغا ، وعقلا مستنيرا ، ولا يحمل دمعة فى عينه ، ولا لوعة فى قلبه انه أخذ من الأرض المقدسة خشونتها وصلابتها ، ولم يأخذ منها رطوبتها ونداها .

ثم يحكى عن نفسه ، ويقول : « اننى لم أبع نفسى وضميرى لأحد ... ولم أستعن بأحد فى حل مشاكلى ، ذلك لأنى اتكلت على غير الله مرة واحدة فسقطت عن مقامى وعوقبت بالهوان مائة مرة ».

ويندفع يشكو عصره ومجتمعه فى حزن وألم ، فيقول : « انى أحترق بنار شوقى وحبى وأستغرب أنى خلقت فى عصر لا يعرف الاخلاص ، ولا يعرف سوى المادة والأغراض فى عصر لم يعرف لوعة القلب ولم يذق لذة الحب ، أنا غريب فى الشرق والغرب ، أعيش وحدى ، وأغنى وحدى ، قد أتحدث الى نفسى ، أخفف من أشجانى وآلامى » .

ويقول : « ان اخوانى لم يعلموا بما قلت لهم ، انهم لم يجنوا الرطب من نخل شعرى ، اليك أشكو ياسيد الأمم ، من أناس لا ينظرون الى الا كشاعر أو متغزل .

لقد أمرتنى يا رسول الله أن أبلغ اليهم رسالة الحياة والخلود ، وأنشدهم بما ينفخ فيهم النشاط والروح ولكن هؤلاء القساة يقترحون على أن أنوح على الأموات فى الشعر وأنظم تاريخ الوفاة ، فأين هذا مما أمرتنى به ؟ » .

ويشكو فى توجع وحزن عميق ، زهد أبناء عصره فى العلم الذى كان يحمله والرسالة التى يقوم بها فى شعره ويقول : « عرضت قلبى عسى أن يستأسره أحد فلم أر فيه راغبا ولا له طالبا ، وأبحت ثروتى ، وما يحويه صدرى فلم أر لها مقدرا ، فليعمر حبك قلبى ، وليشغل حديثك لسانى ، فانى لا أجد فى العالم من هو أشد وحدة وأعظم غربة منى» .

ويختم قصيدته بأبيات يوجهها الى المرحوم عبد العزيز بن السعود ـ باعتباره ملك الحجاز فى عهده ـ وهو خطاب موجه الى جميع ملوك العرب وزعمائهم وعظمائهم .. يحذره من الاستعانة بالأجانب والدول الأوربية ، ويدعوه الى الاعتماد على الله ثم على ما عنده ، يقول : « اضرب خيمتك حيث شئت فى الصحراء .... ولتكن خيمتك قائمة على عمدك وأطنابك ، ولاتنس أن استعارة الأطناب من الأجانب حرام » .

أبو الحسن الندوى

● **أمنيــة :**

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأصحابه يوما . تمنوا.

فقال رجل . لو أن هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه فى سبيل الله عز وجل .

فقال عمر : تمنوا .. فقالوا : ما ندرى ما نقول يا أمير المؤمنين .

قال عمر : لكن لو أن هــذه الدار مملوءة رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح .

طريق النجاة (١)

للعلامة أبو الأعلى المودودى

— ١ —

سادتى واخوانى ، اذا جاءكم شخص فقال ان فى السوق دكانا لا صاحب له ولا من يأتى اليه بالبضائع ولا من يبيعها ولا من يحرسها وانما يتم فيه كل شىء من نزول البضائع وبيعها وحراستها تلقائيا : تأتى اليه البضائع بنفسها ثم تباع وتصل الى أيدى المشترين بنفسها ، فهل تصدقونه فى قوله هذا ؟ وهل تعترفون بأنه من الممكن أن تصل البضائع الى دكان بغير من يأتى بها اليه ؟ وأن تباع بغير من يبيعها ؟ وتسلم من السرقة والنهب بغير من يحرسها ؟ تسألون أنفسكم عما ان كان من الممكن أن تعترفوا بقول كهذا ؟ وهل ترون من الممكن أن يقبل قول سخيف كهذا ولنفترض كذلك أن شخصا آخر يقول لكم ان فى هذه المدينة مصنعا لا صاحب له ولا مهندس فيه ولا عامل ، وانما تكون المصنع بنفسه ، وتشكل كل ما فيه من الآلات والأدوات بنفسه ، ولا تجرى كل آلاته وماكيناته الا بنفسها ، ولا تخرج منها المنتجات بعد كمال تكونها الا بنفسها ، فقولوا لى بالله ولا تداهنوا ان شخصا اذا قال لكم قولا كهذا ، أفلا تنظرون اليه نظرة ملؤها الحيرة

(١) فى هذه المحاضرة التى القاها العلامة المودودى منذ أكثر من ثلاثين عاما على جموع من المسلمين والهنادك وعالج فيها قضايا الايمان والفكر والعقيدة فى ضوء التطورات الفكرية والعلمية التى هزت أركان كثير من المفاهيم والتصورات فى هذا العصر يقدم الأستاذ الجليل الى قراء مجلة الأزهر هذا البحث الذى نشر قبل ذلك بلغات شبه القارة الهندية المختلفة، كما نشر باللغة الانجليزية أيضا .

والدهشة أو لا ترتابون فى أمـره وتعتقدون أن المسكين قد أوتى من قبل عقله ؟ وهـل تنتظرون قـولا سخيفا كهذا من شخص غير مصاب فى عقله ؟

مالنا نذهب بعيدا ؟ ... هـذه (لمبـة) كهربائيـة مضـاءة أمام أعينكم ؟ فهل تبيحون لأنفسكم أن تصـدقوا من يقول لكم ان النـور يتولد فيها من تلقاء نفسه ، وهـذا كرسى موضـوع أمامكم ، فهـل تبيحون لأنفسكم أن تصـدقوا أى فيلسوف حكيم فى العـالم اذا قال لكم انه خرج الى حيز الوجـود من تلقاء نفسه ؟ وهذه الملابس هل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أى عالم على وجه هذه الأرض اذا قال لكم ما نسجها أحد وانما نسجت بنفسها؟ وهذه البيوت القائمة أمام أنظاركم فهل ترون أنفسكم مستعدين لتصديق أساتذة كل مافى العالم من الجامعات اذا قالوا لكم عن آخرهم ان هذه البيوت ما بناها أحد وانمـا قامت وارتفعت من تلقاء نفسها .

هذه طائفة يسيرة من الأمثـلة أمامكم أتيت بها مما تشاهدونه ليل نهـار . ففكروا اذا كان عقلـكم يعترف بأن دكانا عاديا يقوم بنفسه، واذا كنتم غير مستعدين لأن تعترفوا عن مصنع حقير أن ينشأ بغـير أن ينشئه منشىء أو أن يسير بغير أن يسيره مسـير ، فكيف لـكم أن تعتقدوا عن هذا الكون ... هذا المصنع العظيم الهائل الذى تشاهدونه أمام أنظاركم ، والذى تتحرك فيـه الشمس والقمر وسـائر النجـوم الكبيرة والصغيرة كما تتحرك أجزاء الساعة ، والذى ترتفع فيه الأبخرة من البحار ، وتتكـون بالأبخـرة السحب وتسوقها الرياح وتنشرها فى كل صقع من أصقاع الأرض ، ثـم تبرد تلك السحب فى وقت مناسب وتتحول من الأبخرة الى المـاء مرة أخرى ثم ينزل ذلك الماء الى الأرض بصورة قطرات المطر ، ثم يخرج من بطن الأرض بفضل ذلك المطر ما لا يحصى من شجرات باسـقة خضراء وثمرات متنوعة الألوان وزهرات متعـددة الأشـكال _ أقـول

كيف لكم أن تعتقدوا عن هذا المصنع العظيم الهائل انه قد خرج الى عالم الوجود من غير أن يخلقه أحد ، وأنه سائر من غير أن يسيره أحد ؟ اذا قال لكم أحد عن كرسى حقير وقطعة صغيرة من القماش وجدار ضعيف أن كل ذلك تكون بنفسه ، فانكم لا تلبثون أن تحكموا عليه بالخبل والجنون ، اذن فكيف لكم أن لا تشكوا فى اختلال عقل من يقول لكم أن الأرض ما تكونت الا بنفسها ، وان الحيوانات ما وجدت الا بنفسها وان كائنا محيرا للألباب ، كالانسان ما خرج الى حيز الوجود الا بنفسه.

ان الأجزاء التى قد تركب منها جسد الانسان قد نظر فيها علماء العلوم التجريبية بعد فصل بعضها عن بعض ، فعرفوا أن ليس فيها الا مقدار من الحديد ، ومقدار من الفحم ومقدار من قطران ، ومقدار من الفوسفات ، ومقدار من الجير ، ومقادير من الملح وكمية من الغازات ، وعدد من الأشياء الأخرى من هذا القبيل ، مما لا يكلف مجموع قيمته أكثر من جنيه . خذوا هذه الأشياء بنفس القدر الذى يوجد كل منها فى جسد الانسان ثم امزجوها كيفما تشاؤون وكونوا منها مزيجا على أى وجه شئتم فانكم لن تخلقوا انسانا بأى تركيب أبدا فكيف لعقلكم — اذن — أن يصدق بأنه من الممكن أن يتكون بهذه الأشياء الميتة كائن كالانسان سميع بصير ناطق حيوى يخترع الطائرات والألكترونيات ، من غير حكمة صانع مدبر عظيم ؟

وهل قد تساءلتم : كيف ينشأ الانسان ويتكون فى مصنع رحم الأم الصغير ؟

لا دخل فى ذلك لخبرة الأب ولا لحكمة الأم : كيس صغير تلتقى فيه دودتان هما من دقة الحجم حيث لا يمكن رؤيتهما بغير المجهار تلتقيان فى ساعة لا يعلمها أحد ، ومن دم الأم نفسها تنالان غذاءهما ، وفى جسدها تتجمع مقادير محددة بنسبة محددة من الحديد والقطران والفوسفات وما اليها من الأشياء التى أشرت اليها آنفا لتتحول الى مضغة ، ثم تتكون

فى هذه المضغة العينان حيث ينبغى أن تكونا ، وتتكون الأذنان حيث ينبغى أن تكونا ، ويتكون المخ حيث ينبغى أن يكون ، ويتكون القلب حيث يجب أن يكون ، وتتكون العظام حيث ينبغى أن تكون ويتكون اللحم حيث ينبغى أن يكون ، باختصار لا يتكون جزء من الأجزاء الا حيث ينبغى أن يكون فى هذا المصنع ، ثم تنشأ فى هذه المضغة الروح وتتعبأ فيها قوة النظر وقوة السمع وقوة المذاق والشم وقوة النطق وقوة التفكير والادراك ... وما الى ذلك من القوى العديدة التى لا تأتى تحت العد والحصر .

وهكذا حين تكتمل بنية الانسان ، يدفعه دفعا الى الخارج هذا المصنع (الرحم) نفسه ، الذى احتضنه فى مرحلة تكوينه الى تسعة أشهر ، بعد أن يتكون فيه على هذه الطريقة بعينها مئات الآلاف من الأفراد البشرية كل يوم بل كل ساعة فى العالم ، يختلف كل واحد منهم عن غيره فى هيئته ونموذجه وصورته ولونه وصوته وقواه واستعداداته وكفاءاته وطبائعه وأفكاره وأخلاقه وصفاته ، حتى لا يتجانس فيها شقيقان لم يخرجا الا من بطن واحدة .

وهذه أعجوبة لا يتمالك العقل ازاءها سوى الحيرة والدهشة .

أما الذى يشاهد هذه الأعجوبة بأم عينه ثم يقول : ان كل هذا يتم ، أو من الممكن أن يتم ، بغير اله لا نهاية لحكمته وقدرته وعلمه وكماله ، فما من شك فى أن هذا الرجل فقد عقله وما اعتباره كانسان الا اهانة للعقل وحط من شأنه ، وعلى الأقل فانى لا أراه انسانا جديرا بأن أبحث معه فى قضية علمية معقولة .

هذا ، وتعالوا لنتقدم قليلا .. لابد أن يشهد عقل كل واحد منكم بأن أى عمل فى الدنيا ، عظيما كان أو تافها ، لا يمكن أن يسير بنظام ووفق قاعدة مطردة ما لم يكن هناك شخص تكون عليه تبعيته ومسؤوليته . أو قد سمعتم بمدرسة فيها عميدان أو دائرة من دوائر الحكومة لها مديران أو جيش له قائدان أو دولة لها رئيسان أو ملكان ؟ وهل تعتقدون ،

اذا حدث هذا هل من الممكن أن يسير النظام على ما يرام ليوم واحد؟ وطالما جربتم وتجربون فيما يعرض لكم فى حياتكم من المعاملات العادية انه حيثما يترك الأمر على مسؤولية أكثر من رجل واحد يختل النظام ويحصل التخاصم والتصادم ، وأخيرا يحدث ما فيه قضاء نهائى مبرم على ذلك الأمر ولا تجدون فى الدنيا حسن النظام والتدبير والتناسق والتوازن الاحيث تكون قوة واحدة هى الموجهة ، ويكون وجود واحد هو صاحب السلطة والحل والعقد ، ويكون بيده زمام الأمر . أما بغير هذا فلا تكادون تتصورون حسن النظام واستتباب الأمن .

هذا من البداهة والبساطة حيث لا يتردد فى الاعتراف به كل من له أدنى حظ من العقل والفهم . وعليه أرجو منكم أن تنظروا نظرة فى فيما حولكم..انظروا الى هذا الكون العظيم الممتد بين أيديكم ، والى هذه البلايين من الكواكب التى تشاهدونها تدور فى فلكها ، والى هذه الأرض التى تعيشون فوق سطحها ، والى هذا القمر الذى يطلع ليلا ، والى هذه الشمس التى تشرق صباحا ، والى هذه السيارات من الزهرة والمريخ وعطارد وزحل والمشترى وغيرها من النجوم التى لا حد لها ولا حصر ، تشاهدونها تدور .. انظروا الى كل هذا وتأملوا : ما أضبط نظام دورانها ؟ أو قد وجدتم الليل يجىء قبل أوانه ؟ أو قد وجدتم النهار يطلع قبل الساعة المقررة لطلوعه ؟ وهل صادم القمر الأرض قط ؟ وهل حادت الشمس عن مدارها قط ؟ أو قد وجدتم كوكبا آخرا أوسمعتم عنه انه حاد عن مداره ولو قيد شعرة ؟ وهذه عشرات الملايين من النجوم والتى بعضها أكبر من أرضنا مئات ألوف المرات ، وبعضها أكبر حتى من الشمس آلاف المرات ، كل هذه مشدودة فى ضابطة قوية مهيمنة كأجزاء الساعة ، وكلها سائر فى الطريق المحدد لسيرها وبالسرعة المحددة لسيرها ، فلا يحدث أدنى فرق فى سرعة أحد منها ولا له أن يحيد عن مداره شعرة . ولو حدث أدنى فرق فيما قرر بين هذه النجوم من النسب فى المسافات للمحة من البصر لاختل

نظام هـذا العالم بأسره ولتصادمت الكواكب بعضها مع بعض كما تتصادم القطارات .

هذا ما يتعلق بالسماء ، وانظروا الآن نظرة فى أرضكم وفى ذات أنفسكم .. ما كل هذه الآثار ، آثار الحركة والنشاط ، التى تشاهدونها على وجه الكرة الأرضية الا قائمة بفضل ضوابط مضبوطة مقررة . ان جاذبية الأرض قد جعلت كل شىء مشدودا بدائرتها ، وهى لو تركت الحبل على الغارب لثانية واحدة ، لاتنثر نظام هذا العالم . وجميع الأدوات التى تعمل عملها فى هذا المعمل كلها تتبع قاعدة مقررة لا يعتريها تعديل أو تبديل أبدا .

فالهواء مقيد بقاعدته ، والماء مشدود بقاعدته ، والنور مطيع للقاعدة المقررة له ، وكل من الحر والبرد ينقاد لضابطته ، ولا قبل لأى شىء من التراب والحجر والمعادن والبرق والبخار والشجر والدواب بأن يتعدى الحد المقرر لبقائه أو بغير خصائصه أو يتخلى عن الوظيفة الموسدة اليه . ثم ان كل هذه الأدوات تعمل متعاونة متساندة فيما بينها ، ومن ههنا فان كل ما يتم فى هذا العالم ، انما يتم لسبب أن كل هذه الأشياء والقوى يسودها الانسجام ويسيطر عليها التناسق .

خذوا — على سبيل المثال — بذرة حقيرة تزرعونها فى بطن الأرض . انها لا تقدر أن تنبت ، وتخرج شطأها ، وتستوى حتى تصير شجرة ما لم تسهم فى تربيتها كل قوى الأرض والسماء متعاونة فيما بينها . فالأرض تهيىء لها الغذاء من خزائنها ، والشمس تهيىء لها الدفء على قدر حاجتها ، والماء يعطيها ما تطالبه به ، والهواء يمنحها كل ما تستجديه اياه ، والليالى تزودها بالنضارة والندى ، والأنهر — والأيام — تطورها الى النضج والقوة ، وهكذا فان كل هذه الأشياء حين تعنى بتربيتها متعاونة متكافلة حسب نظام مطرد الى أشهر وسنوات متسلسلة ، تصير شجرة تؤتى ثمارها .. ان كل زروعكم هذه التى تعيشون معتمدين عليها ، لا تتهيأ الا بما تلعبه كل هذه

القوى المتنوعة غير الواقعة تحت الحصر دورها على مبدأ التعاون أو التساند ، بل انكم أنفسكم لا تعيشون الا لأن كل قوى الأرض والسماء تساعد على تربيتكم ، فلو أن قوة منها ــ كالهواء مثلا ــ تخلت عن هذا العمل المشترك الجماعى ، لكان فى ذلك قضاء محتوم على حياتكم ، ولو أن الماء أبى التوافق مع الهواء والحر ، لما نزلت عليكم قطرة واحدة من المطر ، ولوأن التراب امتنع عن التعاون مع الماء لجفت بساتينكم ولما أينعت زروعكم ولما قامت بيوتكم ، ولو أن النار أبت أن تتولد باحتكاك الكبريت ، لبردت مواقدكم ولتعطلت كل معاملكم ومصانعكم دفعة واحدة ، ولو أن الحديد أبى التعاون مع النار لما استطعتم أن تصنعوا ابرة أوسكينا فضلا عن أن تصنعوا القطارات والسيارات والطائرات • وباختصار فان كل هذا العالم الذى تعيشون فيه انما هو قائم لسبب ان كل دوائر هذه المملكة العظيمة لا تعمل الا متعاونة متوافقة بينها على أكمل وجه ، ولا قبل لأحد من القائمين بأمر هذه الدوائر بأن يتخلى عن واجبه أو لا يتعاون مع القائمين بالدوائر الأخرى حسب النظام الشامل •

كل ما قد بينت لكم آنفا ، هل فيه شىء باطل أو مخالف للواقع ؟ لا أرى أحدا منكم يقول انه باطل• فهو ان كان حقا ــ وهو حق ولا شك ــ فقولوا لأى سبب هذا النظام الهائل وهذا الانسجام البديع وهذا التناسق الشامل وهذا التوافق المطرد بين ما لا نهاية له من موجودات هذا الكون وطاقاته ؟ ان هذا الكون قائم منذ عشرات ملايين السنين ، وتنبت الأشجار على وجه هذه الأرض وتتولد فيها الحيوانات منذ مئات الألوف من السنين ، ولا نعلم متى حط الانسان رجله على وجهها ، ولم يحدث قط أن يسقط القمر على الأرض ، أو تتصادم الأرض مع الشمس ، أو يطرأ تعديل على حساب الليل والنهار ، أو تنشب حرب بين دائرة الهواء ودائرة الماء ، أويتمرد الماء على التراب ، أو يقطع الحر صلته عن النار • فلماذا كل أقاليم

هذه المملكة ودوائرها وكل من يقومون بتسيير أمورها يتبعون القانون العام بكل التوافق والالتزام الشديدين ؟ ولماذا لم تنشب بينهم حرب ؟ ولماذا لم يثر بينهم فساد ؟ وبأى سبب لا يزالون مقيدين بنظام مطرد مضبوط ؟ اطلبوا جوابهذا من قلوبكم .. ألا تشهد لكم قلوبكم بأن الها واحدا هو مالك كل هذا الكون وانه هو الذى قد شدت قدرته العظيمة كل شىء بضابطة ونظام ؟ ولو كان لهذا الكون مجموعة من الآلهة ـ لما مشى بهذا الاطراد والانسجام قطعا . ان مدرسة حقيرة لا يمكن أن يتحمل نظامها رئاسة رئيسين ، فأنى لهذه المملكة العظيمة ، مملكة السماوات والأرض ، أن تسير بانتظام وانسجام تحت ألوهية الهين؟

اذن فالواقع يقرر أن هذا العالم ما ظهر الى حيز الوجود بغير خالق ، ولكن من الواقع كذلك أن هذا العالم ما أخرجه الى حيز الوجود الا خالق واحد .. ان اطراد نظام هذا العالم وانسجام قانونه ان كان يدل على شىء انما يدل على أن ليست سلطات الحكم والأمر والنهى فى هذا النظام الا بيد حاكم واحد لا شريك له ولا منازع ، وان هيمنة قانون هذه المملكة وسيطرته ان كانت تشهد بشىء ، فانما تشهد بأن الملك الواحد الأحد هو الذى له ملك السماوات والأرض ، وأن ليست الشمس والقمر وسائر النجوم السيارة وغير السيارة الا فى قبضة قدرته ، وأن ليست الأرض بكل ما فيها الا خاضعة لأمره وأن ليس الهواء الا منقادا لقانونه ، وأن ليس الماء الا رهنا لاشارته ، وأن ليست الأنهار والجبال الا تابعة لمرضاته وأن ليست الأشجار والحيوانات الا مطيعة لارادته ، وأن ليست حياة الانسان ولا مماته الا بيده وأن قبضته القوية هى التى قد جعلت كل شىء قائما عند حدوده لا يتعداها بحال ، وأن ليس فى هذا الكون أحد غيره يستطيع أن ينفذ فى مملكته أمره أو نهيه .

الحقيقة أن هـذا التنظيم المتكامل لا متسع فيه لأكثر من حاكم واحد وهوبحكم فطرته يتطلب أن لايشارك هذا الحاكم فى حكمه أحد غيره فى قليل أو كثير .. أن يكون هوالحاكم ولا يكون كل من سواه الا محكوما لأن أحدا غيره اذا كانت بيده سلطات الحكم ولو الى أدنى حد ، فمعنى ذلك أن لا نظام فى هـذا الكون ، وانما يسوده الفسـاد والفوضى . وذلك الحاكم فى تنفيذ حكمه لا يحتاج الى القوة والقدرة فحسب . ولكنه يحتاج كذلك الى علم شـامل ونظر واسع الى حد أن يكون بامكانه أن يراقب كل موجودات هـذا الكون فى آن واحد ، وينفذ فيه أحكامه بعد ادراك مصالحه ولو كانت فى هـذا الكون مع الله الواحـد الأحد آلهة صغيرة أخرى ينقصـها النظر الذى تطلع به على الكون كله فى آن واحد ولكن يكون فى يدها سلطة افى تنفيذ حكمها فى ناحية مـن نواحى هـذا الكون أو فى أمر من أموره لاختل كل نظامه ولابد . ولا عجب . فانه مما تعرفون عن كل آلة ، مهما كانت تافهة حقـيرة ، انه لو جعل لشخص لا يعرفها تماما ان يتدخل فيها وينفذ فيها ارادته ، فانه لا بد ان يفسدها ويخل بنظامها . فالذى يقتضيه العقل ويشـهد به نظـام مملكة الأرض والسـماوات فى غاية من التناسـق والتوافق والتعاون ان هـذه المملكة لا نصيب فى سـلطاتها الملكية لأى أحد سوى الله وهو مالكها وحاكمها الحقيقى الوحيد .

ما هذا بأمر واقع فحسب ، بل الحق ان لا مبرر ألبتة لأن ينفذ فى مملكة الله حكم أحد غيره فالذين قد خلقهم بقدرته ، والذين هم مخلوقاته ، والذين انما يقوم وجودهم بفضـله وكرمه ، والذين اذا اسـتغنوا عنه لا يمكنهم أن يبقوا للمحة من البصر . من منهم يستحق أن يشاركه فى ألوهيته ومملكته ؟ أو قد رأيتم خادما يشارك سيده فى ملكيته ؟ وهل يقبل عقلكم أن يتخذ سيد عبده شريكا لنفسه ؟ وهل

أحدا منكم يجعل أحدا من خـدمه مساهما لنفسـه فى عقاره أو حقوقه وصـلاحياته ؟ لابد أن تشـهد لكم قلوبكم ، اذا ما تفكرتم فى هـذا ، بأن أحـدا من العباد لا يستحق أبدا أن يكون شريكا لله مستقلا فى مملكته، لأن ذلك لا يتنافى مع الواقع فحسب ولا يتنافى مع العقل والفطرة فحسب ولكنه يتنافى مع الحق أيضا ..

الحديث موصول

ابو الأعلى المودودى

وقد قام بترجمته الى العربية :
الأستاذ خليل الحامدى
مدير دارالعروبة ـ لاهور ـ باكستان

الأمر بالمعروف

* ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والمراد بهذه الأمة هو جماعة العلماء وأولى الأمر التى يجب ان تكون منهمكة أبدا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما يجب أن يكون قسم التنظيف والرعاية الصحية فى البـلدة مستعدا أبدا للقيام بواجباته . فان اغفل العلماء وأولو الأمر واجبهم هذا ولم يبق فى الأمة جماعة واحدة تدعو الى الخير والصلاح وتصد عن المنكرات فان هـلاك الأمة من ناحيـة الدين والأخلاق أمر محتوم ، كهلاك البـلدة التى لا تتخـذ فيها تدابير التنظيف والرعاية الصحية .

المودودى ـ نحن والحضارة الغربية

دراسة شاملة للعالم الإسلامي
وكيف كان منذ نصف قرن ؟ وكيف هو الآن ؟ وكيف يجب أن يكون

للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أحمد حسين

وأبدأ الحديث منذ نصف قرن أى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى حيث جرى التخطيط وتم التنفيذ بالفعل على ابادة العالم الاسلامى ككيان له مقوماته وذاتيته بل وحضارته ، وكانت أوروبا الصليبية قد انتهت من بسط نفوذها وهيمنتها بصورة أو بأخرى على المغرب العربى الاسلامى ، وكانت افريقيا بأكملها قد وقعت فى براثن الاستعمار الأوروبى وتعمدوا أن يعلمونا فى المدارس أنه لايوجد فى افريقيا كلها دولة مستقلة سوى الحبشة لأنها مسيحية، وسوى دولة أخرى أنشأتها الولايات المتحدة الأمريكية فى غرب أفريقيا وتتألف من العبيد السابقين الذين تحرروا فى أمريكا وهى دولة « ليبيريا » وهى بدورها دولة مسيحية فلاعجب أن انكمش الاسلام فى افريقيا واعتبر من مخلفات الماضى وانطلقت هيئات التبشير تعمل بهمة وبلا كلل فى محاولة لنزع أثر الاسلام فى ربوع افريقيا ووقف سلطان الاستعمار بكل عنفوانه خلف هذه الجهود ، فأصبحت المسيحية جواز المرور لأعلى المناصب ، والأرباح التجارية وأعلى مراتب التعليم ، حيث احتفظ للمسلمين بكل عناصر التخلف من جهل وفقر ومرض وكان ذلك هو نصيب المسلمين فى آسيا كذلك سواء كانوا فى الهند أو فى أندونيسا أو فى أى مكان .

دولة آل عثمان :

ومع ذلك فقد ظل للاسلام باعتباره قوة سياسية ، ركن كبير فى شمال غرب آسيا يتألف من بقايا الدولة العثمانية فى آسيا

الصغرى – (تركيا) وكتلة عرب المشرق : الشام والعراق وجزيرة العرب ، وقامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وكان من أهداف الحلفاء فى هذه الحرب تصفية الدولة العثمانية نهائيا للقضاء على آخر ظل للاسلام كقوة سياسية كمقدمة للقضاء عليه من أساسه فلم تكد الحرب تضع أوزارها ، حتى تقاسمت انجلترا وفرنسا عرب المشرق ، وشرعوا على الفور يطبقون خططهم لهدم الروابط بين العرب والمسلمين والنصارى الذين عاشوا أسرة واحدة قرونا أثرقرون.

فكان أن قسم ما يعرف بـ«بر الشام» الى سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، وجعل لبنان دولة مسيحية وأخذت انجلترا على عاتقها أن تجعل من فلسطين دولة يهودية أما تركيا نفسها ، فقد دفعت اليونان دفعا لاحتلالها حيث يبقى الخليفة فى استنبول ذليلا تحت حماية الأسطول الانجليزى .

أى أنه لم يبق على احتلال الحلفاء الفعلى من العالم الاسلامى فى طوله وعرضه الا قلب الجزيرة ، وقد حال دون هذا الاحتلال أنه ما كان يمكن أن يتم بغير اعداد حربى مسبق وكانت شعوب أوروبا قد وصلت الى حد أنها كانت سوف تقتل من يدعوها لحرب جديدة من أى نوع ، على أن هذا لم يكن هو السبب الأوحد أو المهم ، بقدر ما كان السبب هو خوف أوروبا (انجلترا وفرنسا) من أن مثل هذه الخطوة ستكشف نهائيا وبصورة لا تقبل الشك أو الجدل أنهم يستهدفون القضاء على الاسلام ، وهو ما كان يحتاج فى تقديرهم الى بعض الوقت ، فهم لم يضمنوا عون ملايين جندهم من المسلمين الذين ساقوهم الى الحرب ضد تركيا الا بعد أن أكدوا لهم أن تركيا هى التى كانت بادئة باعلان الحرب ، وأنهم لا يضمرون للاسلام أى عداء بدليل أنهم يقفون الى جوار العرب ويساعدونهم للحصول على استقلالهم فكيف يستطيعون تفسير الاستيلاء على مكة والمدينة وقد كان القائم عليهما حليفا لهم ولولاه لما انتصروا على تركيا .

فى تصورنا أن هذا العامل فقط هو الذى أخر احتلال الحجاز الى فرصة قادمة •

والخلاصة أنه لم يبق من العالم الاسلامى كما قدمت دولة مستقلة واحدة •

فى أحشاء آسيا :

ولن يكمل الاستعراض لحال العالم الاسلامى دون أن تشير الى أنه بعد أن اندفع غرب أوروبا يخضع العالم الاسلامى لسلطانه ونفوذه عبر البحار فقد راحت روسيا القيصرية بدورها تفترس الدول الاسلامية المتاخمة لها فى أحشاء آسيا فى القوقاز وما كان يعرف بما وراء النهر فى خراسان والتركستان ، وقد اختلفت روسيا الشيوعية مع روسيا القيصرية فى كل شىء الا فى وجوب اقتلاع الاسلام من جذوره فى بلاد أخرجت البخارى ومسلم وابن سيناء •• الخ حتى الصين شجعتها روسيا على أخذ حصتها من دولة اسلامية وهى التركستان وتصر روسيا حتى الآن على الادعاء بأن ما فعلته وما تفعله فى الدول الاسلامية الواقعة تحت براثنها ليس استعمارا وانما هى جمهوريات شيوعية كبقية جمهوريات الاتحاد السوفيتى وهو مجرد ادعاء من نوع ادعاء أى دولة مستعمرة وقد ظلت البرتغال الى منذ عامين فقط تزعم أن مستعمراتها وراء البحار هى أقسام من البرتغال نفسها وقد حانت الساعة لينتهى الزيف الروسى وتحرر البلاد الاسلامية فى أحشاء آسيا بعد أن لم يبق غيرها فى براثن الاستعمار وهكذا بانتهاء الحرب العالمية الأولى كان العالم الاسلامى كقوة سياسية زال نهائيا من الوجود وانطلقت خطط الغرب توضع للقضاء عليه روحيا ، فعمدت قوى الاستعمار على انشاء تعليم جديد فى مدارس جديدة اعتبرت هى جوهر الحضارة الجديدة ، حيث اعتبرت المعاهد الاسلامية والحضارة الاسلامية شىء يمت الى الماضى الذى اندرس بغير رجعة ولا سبيل أمام المجتمع الاسلامى لكى ينهض من كبوته ويحشر فى زمرة البشر المتمدنين ، الا أن يغسل يده نهائيا من الاسلام

وتعاليم الاسلام هذه هى الصورة التى كان عليها العالم العربى والاسلامى منذ نصف قرن .

وبدأت النهضة والمسيرة :

وبدأت النهضة والمسيرة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وكانت مصر هى نقطة الانطلاق بمجرد أن أعلنت الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ فبعد هذا التاريخ بيومين اثنين أى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بدأت مصر خطوتها الأولى فيما اعتبرته انجلترا تحديا لسلطانها وهو مناقشة شرعية احتلالها لمصر ووجوب اعلان استقلال مصر وظلت الأحداث تتوالى الى أن شبت ثورة مصر فى مارس سنة ١٩١٩ م .

أن أهمية هذه الحركة فى مصر هى أنها حطمت حاجز الخوف من أن أحدا لا ينبغى أن يفكر مجرد تفكير فى أن يتحدى مشيئة انجلترا والا عرض نفسه للفناء ، وكيف لا وهى سيدة الدنيا ، ولكن شعب مصر الأعزل قام وتحدى بقوة حضارته العريقة العربية الاسلامية وليس بشىء آخر ، وتوالت الأحداث ، فكانت حركة الهند حيث كان المسلمون (محمد على ، وشوكت على) أقوى عناصرها ، ثم كانت حركة مصطفى كمال فى تركيا الاسلامية ، حيث طرد اليونان من آسيا الصغرى (الأناضول) وطرد الحلفاء (انجلترا وفرنسا) من استنبول ، واذا كان مصطفى كمال قد انحرف بعد ذلك وتصور أنه من الخير لتركيا أن تخلع عنها رداء الاسلام فقد كان ذلك يقيه من الانحلال الذى كان العالم الاسلامى قد تردى فيه ولم يتصور مصطفى كمال الذى غير اسمه الى « كمال أتاتورك » أن حركته لم تكن الا مظهرا من مظاهر النهضة الاسلامية القادمة .

الأمير عبد الكريم الخطابى :

وجاءتنا أفاعيل الأمير عبد الكريم الخطابى فى المغرب فراحت تهز وجداننا هزا ، وان أنس فلست أنسى ، وكيف كان جيران منزلنا من أصحاب

الدكاكين (بقال ، ونجار ، وصانع أحذية) يشترون الصحف ويطلبون منى أنا الحدث الصغير أن أطالع ما يروى عن انتصارات الأمير عبد الكريم ، ولقد دارت الأيام وحل الأمير عبد الكريم ضيفا على مصر ، وما جلست اليه فى مرة من المرات ، الا وكنت لا أصدق نفسى ، أننى أتحدث أو أتناول الطعام مع هذا الرجل الأسطورة الذى عاصرته الى أى مدى تأثرت به مصر حيث كانت صوره فى كل مكان ، بما فى ذلك قلوب الناس .

وأنا اليوم أضع حرب عبد الكريم الرائعة ضد الأسبان فى مكانها الصحيح من النهضة الاسلامية ، فاذا كان المصريون قد نجحوا فى كسر جدار الخوف وتحدوا وهم الشعب الأعزل جبروت الانجليز ، فكشفوا بذلك حقيقة أن ارادة الشعوب هى العنصر الحاسم فقد استطاع عبدالكريم الخطابى بحركته أن يحطم — والى الأبد — خرافة أوروبا ، وأنها لا يمكن أن تغلب أو تهزم أبدا ، فلأول مرة منذ أجيال حطم جيش عربى جيشنا أوروبيا حتى أخرجه من القتال بالكلية .

لقد حاولت أوروبا آنذاك أن تزعم أن أسبانيا ليست شيئا ، وأسرعت فرنسا تتدخل ونجحت بقوة المال لا بقوة السلاح فيما عجزت عنه أسبانيا ، ولكن التجربة كانت قد تمت بنجاح وانتهى الأمر ، وهى أن قسما صغيرا من المغرب كان يطلق عليه آنذاك (الريف) أن يهزم أسبانيا .

عبد الكريم وليس آتاتورك :

وقد يعترض على معترض فيقول ولماذا تنسب الى عبد الكريم أول حركة عسكرية حطمت الخرافة الأوروبية ، حيث قررت أنا نفسى أن مصطفى كمال هزم اليونان وتحدى انجلترا وفرنسا معا فانسحبتا من الاستانة أمام زحف جيوشه المظفرة وحقا قد حدث كل ذلك ، ولكن لم يكن فيه جديد ، فتركيا هى تركيا التى ظلت خلال أربعة قرون قوة عسكرية فى أوروبا بل ان مصطفى كمال نفسه كان هو بطل معركة

الدردنيل التى هزم فيها انجلترا هزيمة مدوخة ، فأيا ما كان سرورنا ونشوتنا بنجاح مصطفى كمال فلم يكن يأتينا بجديد ، قدر ما جاءنا به حرب الريف المغربى ضد اسبانيا •

عبد العزيز آل سعود :

ثم جاءت الأنباء السعيدة من شبه الجزيرة العربية حيث استطاع أمير نجد عبد العزيز آل سعود أن ينتصر على الملك حسين حليف انجلترا الذى غدرت به واتحد قلب الجزيرة العربية لأول مرة منذ قرون وقرون تحت قيادة رجل سيظل الى أبد الآبدين من أعظم رجال الدنيا •

وسوريا والعراق وفلسطين :

وقامت الحركات فى العراق وسوريا وعالجتها انجلترا وفرنسا كل بأسلوبه وانتهى الأمر باستقلال شكلى تحت ادارة الدولتين، وليس الا فى فلسطين• ان تعثرت القضية فقد كان اليهود قد وعدوا بها ولذلك فعلى الرغم من الجهود والتضحيات الباهظه التى كان الشعب العربى فى فلسطين يبذلها فقد كانت قدم اليهود تزداد رسوخا يوما بعد يوم ، وتبقى الحقيقه أنه لم يعد هناك شبر واحد فى العالم العربى لم يعد يتهيأ ويبذل ويضحى فى سبيل النهضة والتحرير •

الفقاقيع التى تسبق الغليان :

واذا أردنا أن نشبه ما حدث فى العالم العربى خلال الحربين فباستطاعتنا أن نشبهه بالظاهرة الطبيعية ظاهرة غليان الماء ذلك أنه يسبق عملية الغليان دائما تصاعد الفقاقيع الى سطح الماء ، فيكون تصاعدها هو الدليل على قرب الغليان ونعنى بالغليان تحرر البلاد العربية كلها ، وهو ماتحقق بالفعل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ساحبا فى ذيله انهيار الاستعمار بكل ما استتبع ذلك من تحرر المسلمين (باستثناء الاستعمار الروسى) ونهضتهم وتجلت ارادة الله فى أنه يريد بهم خيرا وهذا يؤدى بنا الى القسم الثانى من دراستنا •

يتبع

احمد حسين

في ضيافة النبي
صلى الله عليه وسلم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

غادرت مكة المكرمة في الهزيع الأخير من الليل ، فوصلت مدينة (جدة) قبيل صلاة الصبح . واسترحت قليلا في الفندق ، حتى سمعت صوت المؤذن يجلجل لصلاة الصبح ، وكنت في مستقرى جار المسجد ، فقصدته وصليت فيه ثم عدت الى الفندق .

وكنت قد أصبت بالزكام الشديد في مكة المكرمة ، سعالي متصل بمعدل عشر مرات في الدقيقة ، أقذف الرشح مع كل سعال ، وينهمر من أنفي كأنه المطر ، وكانت حرارتي تسعا وثلاثين درجة مئوية ، ولكنني كنت أشعر بالصحة والنشاط المتدفق ، لأنني على موعد وشيك بلقاء الحبيب .

وفكرت بالسفر جوا من جدة الى المدينة ، ولكن المسافرين بالطائرات كثيرون ، ومواعيد اقلاع الطائرات عشوائية ، ولا طاقة لي على التسابق والزحام .

وكنت أحب أن أعيش في جو معركة بدر الكبرى ، وأرغب أن أزور الشهداء الذين استشهدوا هناك دفاعا عن الاسلام لتكون كلمة الله هي العليا ، وأريد أن أتركع في مسجد العريش الرابض على ربوة من ربوات (بدر) ، وأريد أن أشرب من الماء الذي ارتوى به النبي صلى الله عليه وسلم بالقرب من مسجد العريش ، وأتمنى أن أتنسم نسمات (بدر) وما أطيبها من نسمات .

وتوجهت من جدة الى المدينة المنورة غير شاعر بالزكام والسعال وارتفاع درجة الحرارة ومشقة السفر ، وقلت للسائق : « تتوقف في (بدر) ان شاء الله » ، ثم بدأت

أتهيأ روحيا للقاء المصطفى الحبيب ، مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، لا أنفك أصلى وأسلم عليه:

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، فى العالمين انك حميد مجيد ٠

وكنت وحيدا بالسيارة ، وكان السائق مغرما بالسرعة الفائقة ، فتركته على رسله وتمنيت أن يضاعف من سرعته ، وكان مغرما بسماع الأغانى من المذياع ، فرجوته أن يدعنى أخلو الى نفسى وأستمتع بالهدوء الروحى العجيب ٠

وتوقفت السيارة ببدر ، فعشت فى جو غزوة الفرقان ، وزرت الشهداء ، وتركعت فى مسجد العريش (مقر النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر) ، وارتويت من ماء بدر ، وتنسمت نسمات الجو العطر بالايمان ، ثم غادرت تلك المنطقة المباركة ، وقد التهبت شوقا الى لقاء المصطفى الحبيب ٠

– ٢ –

وسارت السيارة تلتهم الأرض وتطوى المسافات ، وعدت أردد نشيد النور والخير والصلوات ، وكان شوقى يزداد ويتضاعف ، وحسبت أن المسافة امتدت كثيرا ، وأن الوقت طال ، حتى بدت مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ٠

وما كدت أصل المدينة وأتخلص من متاعى فى الفندق ، حتى فتحت حقيبة ثيابى ، وأخذت منها ملابسى الجديدة التى أعددتها سلفا للزيارة ، وأخذت حماما خفيفا وارتديت تلك الملابس ، وتطيبت على عجل ، ثم يممت شطر الحرم الشريف ٠

كان الوقت قبيل صلاة العصر ، وكان الناس مزدحمين فى الحرم النبوى الشريف ، فصليت ركعتى تحية المسجد ، وكان على أن أبادر بالزيارة للسلام على النبى صلى الله

عليه وسلم وعلى صاحبيه : أبى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ، ولكننى لم أفعل !

وتذكرت قصة الأمير الذى شيد المسجد النبوى والقبة الخضراء ، ورصد للبناء موارد مصر سبع سنوات ، فلما أنجز التشييد ، قدم ذلك الأمير فى موكب فخم من القاهرة الى المدينة المنورة وقد شد الرحال ، وحمل الهدايا والصدقات للمجاورين . وحين وصل ركبه الى ضواحى المدينة المنورة ، ترجل وحسر رأسه وخلع نعليه ، ثم سار وهو ينتحب حتى باب عمر رضى الله عنه — وهو أحد أبواب الحرم — وهناك وقف وهو يقول : يا رسول الله ! هذا حدى لا أتجاوزه !

وصلى وذكر الله كثيرا ، وعاد أدراجه متهيبا دخول المسجد والسلام على رسول الله صلوات وتسليمه من قريب .

لقد بقيت ساهما فى مكانى ، لا أكاد أحس بأحد ممن حولى ، وكنت أشعر بأننى محتاج الى عون يأتينى من طى الغيب يساعدنى فى الزيارة ، وفجأة جلس الى جانبى أحد معارفى وسألنى : هل سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه عليهما رضوان الله ؟ فقلت : سأسلم عليهم الآن ، فتعال معى ! !

وتهلل وجهه واستبشر ، وحمد الله وكبَّر ، وصلى على النبى وكرر ، ثم نهض ويده بيدى مبتعدا عن الزحام ، لا يتخطى رقاب الناس ، يهش لمن يعرف ومن لا يعرف ويسلم على الرائحين والغادين ، ويوزع ما بجيبه من نقود على الفقراء والمحتاجين ، يمشى الهوينا بوقار ، متدثرا بالتواضع وهو أجمل دثار ، يتلو أوراده ويردد أذكاره ، ويتلو : (ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

ومضى وأنا معه مخترقا الروضة الشريفة المطهرة ، مارا بمنبر النبى صلى الله عليه وسلم ومحرابه ، ثم استدار الى الشمال ، فاقترب من

عرين النور والفضيلة »، ومقر الطهر والعفاف ، ومأوى الرجولة والاباء .

وتذكرت وأنا قريب من حجرة النبى صلى الله عليه وسلم قول الشاعر :

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت النبى الذى ترجى شفاعته
عند الصراط اذا ما زلت القدم

واستقر بنا المقام أمام الجدث الطاهر ، وكان محفوفا بالزائرين الخاشعين التائبين وعيونهم تفيض بالدمع مما يرونه ويشعرون به من جلال وجمال .

– ٣ –

اننى (أحاول) أن أصف شعورى واحساسى فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ، بقدر ما يسعفنى القلم وتسعفنى الذاكرة ، ولست أشك فى أننى أحمل نفسى فوق ما تطيق ، لأن القلم والذاكرة (مادة)فانية ، وجلال النبى صلى الله عليه وسلم وجماله وهو فى رحاب الله(روح) باقية ، ومتى ثبتت المادة فى مواجهة الروح» ، ومتى ثبت الفناء للبقاء ؟ !

فى طريقى من الروضة المطهرة الى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم كان قلبى يدق بشدة . وبقدر ما كانت خطواتى الى الضريح الطاهر بطيئة ، كانت دقات قلبى الشديدة سريعة ، وكانت رجلاى ترتجفان ،، وكانت يداى ترتعشان ، ولم أكن خائفا ، ولكننى كنت متهيبا ، وكان عقلى متفتحا للقاء المصطفى الحبيب، ولكنه كان فى غيبوبة كاملة عما حوله من أحياء وأشياء .

وشعرت بتضاؤل أصحاب السلطان وغير أصحاب السلطان أمام الحجرة الطاهرة ، ولمست أنهم جميعا يكتشفون حقيقة نفوسهم فيتطامنون ويتواضعون لوضع تلك النفوس فى مكانها السليم .

وتذكرت ما نقله رجل للامام مالك رضى الله عنه ، وقد رأى تواضعه الجم واكتفاءه بالقليل من متاع الدنيا الفانى . وعدم مبالغة الناس فى تبجيله كما يفعلون مع المجتهدين فى الدين بمصر وأرض الشام والعراق وفارس وسائر الأقطار الأسلامية الأخرى .

قال الرجل للأمام مالك رضى الله عنه: « مكانة فلان فى مصر كذا ، وكذا ، وهو أقل منك علما ومنزلة» .

فقال الامام مالك رضى الله عنه : « هنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك من تعرف من الرجال » .

ان قمم الأرض العالية مهما تبلغ علوا وارتفاعا ، هى ليست عالية بالنسبة للقمة التى ارتفعت الى مقام قاب قوسين أو أدنى .

ووقفت أمام الحجرة الطاهرة ، وكان بيدى كتاب للأدعية ، فحاولت أن أقلب صفحاته لافتش عن الدعاء المأثور ، ولكن ما ليدى ترتعشان ، وما لركبتى تصطكان ، وما لعينى لا تبصران ! ! ؟

وقلت لصاحبى : « اقرأ الدعاء ، وسأردده معك » ، فقال : « ولماذا لاتقرأ أنت ؟ » .

يا عجبا ...

لقد رأيت قبل اليوم ــ ولا أقول زرت ــ كثيرا من الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء، والقادة والزعماء وكثيراً من ذوى الجاه والسلطان ، فى نطاق البلاد العربية والدول الاسلامية وغير الاسلامية أيضا ، فكان شعورى عند رؤيتهم متفاوتا بين الاحترام والسخرية والرثاء .

احتراما للذين يعملون من أجل المصلحة العامة حقاً بكفاية واخلاص، منكرين أنفسهم ناسين مصالحهم الشخصية .. وما أقلهم ..

وسخرية من الذين لا يعرفون واقعهم وأقدار أنفسهم ، فيتخيلون لأنفسهم عظمة لاوجود لها، وانجازات

لا حقيقة لها ، ويصدقون من حولهم من الامعات والتافهين والوصوليين والهتافين وأشباه الرجال فى ادعاءاتهم الباطلة عبقرية ونبوغا .

ورثاء للذين يشغلون مناصب أكبر من قابلياتهم ، فهم أقزام يطمعون أن يصبحوا عمالقة ، فأرشدتهم حاشية السوء بأن السبيل الى ذلك هو أن يحطموا العمالقة ليخلو لهم الجو ، فلا استطاعوا أن يحطموا العمالقة ولا استطاعوا أن يصبحوا عمالقة ، وبقوا أقزاماً لا يستحقون غير الرثاء .

ولكننى لم أشعر مطلقا بأى نوع من أنواع الاضطراب عند رؤيتهم جميعا ، ولم أخش منهم أحدا ؛ فليس لدى ما أخافهم عليه ، وليس لديهم ما أطمع فيه ، وما عند الناس لايبقى وما عند الله خير وأبقى . ولو أن الانسان أخرج كلمة واحدة من نفسه هى كلمة (الطمع) بما فيها من معان، لانكشف عنه الغطاء ، ولنظر الى ملكون السموات والأرض .

أما فى رحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فالأمر مختلف جداً .

وقفت أمام النافذة الدائرية للحجرة النبوية الطاهرة ، وكنت أهتز بشدة كالمصعوق بسلك كهربائى ، جسدى كله يرتعش ، وعيناى نصف مسبلتين كأننى بين النوم واليقظة ، وعقلى واعٍ أشد الوعى يستشعر حنان المصطفى الحبيب ولا يشعر بما حوله ومن حوله ، وقلبى متفتح أشد التفتح يتلمس الهدى والنور وينغمس بالسعادة والحبور ، وكأن الزمن قد توقف بالنسبة لى ، فليس بينى وبينه صلة وليس له مع الشبح الباقى منى حساب .

ثم وجدت لسانى ينطلق بهذه التحية :

« السلام عليك يا سيدى يارسول الله ، السلام عليك يا مولاى رسول الله ! » .

« السلام عليك يا سيد القادات ويا قائد السادات ! » .

« السلام عليك يا بطل الأبطال ويا رجل الرجال ! » .

« السلام عليك يا امام المجاهدين الصادقين ويا قدوة الصابرين المحتسبين ! » .

« السلام عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين ويا قائد الغر المحجلين وسيد الصحابة الميامين ! » .

«أشهدأنك بلغت الرسالة ،وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، فجزاك الله عن المسلمين خير الجزاء » .

يا لله ... ! هنا العظمة الحقة ، هنا الجلال والجمال ، هنا الهدى والنور .

ان كل عظمة غيرها سراب ، وكل جلال غيره غثاء ، وكل جمال عداه هراء ، وكل هدى الاه ضلال ، وكل نور بعده ظلام .

وسرت خطوة الى أمام ، فسلمت على صاحبه فى الغار ، ورفيقه فى الجنة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وكان شعورى أمام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، شعور الوالد الذى يحنو على ولده ويداعب شعر رأسه ويضمه الى صدره رقة وحنانا، وكنت أنا الولد وكان هو الوالد .

وكان قوله تعالى يرن فى أذنى : (اذ هما فى الغار، اذ يقول لصاحبه: لا تحزن ، ان الله معنا) .

وسرت خطوة أخرى الى أمام ، فسلمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بطل الفتح الاسلامى العظيم .

وكان شعورى أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، شعور الجندى الصغير يقف أمام أعظم قائد فى علمه وتجربته، ودينه وعقيدته ، وضبطه وسيطرته، وكأن عمر القائد يصدر الى أوامره الصريحة الجازمة بشدة وصرامة بأن أكون أبدا جنديا فى خدمة المسلمين، فى الوطن الاسلامى ، من المحيط الى المحيط .

— ٤ —

وتسمّرت قدماى بجانب حجرة الهدى والنور ، لا أدرى كم طالت وقفتى وامتد مكثى ، ولكننى شعرت بيد صاحبى تسحبنى سحباً .

وجلست فوق دكة أهل الصفة ، خلف صف من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك عاد الى احساسى بالحياة ، وكأننى كنت فى اغفاءة حلوة يتخللها حلم لذيذ .

ولكننى حين آويت الى هذه الدكة ، شعرت أن فى فمى حلاوة ، وفى قلبى نورا ، وفى عقلى هدى ، وأن أنفى يجتاحه طيب فواح له أريج لم أعهده من قبل ، وله عبير لم أشم له مثيلا .

وكانت روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرمه الشريف ، تغمر المصلين فيه بنشوة أزلية ، وكان الحاضرون بين راكع وساجد وقارىء للقرآن الكريم وذاكر لله ومصل على نبيه وحبيبه وصفيه رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وبين ساهم تتصل روحه بأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وكنت فى مكانى على دكة أهل الصفة ـ ساهما أهتف من صميم قلبى « يا للعظمة ! كيف وقعت المعجزة ، فأصبح رعاة الابل والشاة ، وفقراء أهل الصفة ومعدموها ، قادة الفتح الاسلامى العظيم ، وقادة الفكر الاسلامى المنير ، فى بلاد المسلمين الممتدة من المحيط الى المحيط .. يا للعظمة .. » .

وكنت حاضرا كالغائب ، يقظا كالنائم ... تتصل روحى بالملأ الأعلى ، ويضيىء فى كيانى نور السموات والأرض .

لقد كنت أشعر شعورا حقيقيا أننى فى الجنة مصداقا لقول النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ، وما شعرت أبدا فى أى مكان على الأرض ، بأننى فى السماء ، الا فى الحرم النبوى الشريف .

وكنت فى المدينة المنورة فى أفخم فندق فيها ، يؤمّن لقاطنيه أكبر قسط من الراحة والهدوء ، ويقدم لهم أفخر أنواع الأطعمة وأشهاها .. ولكن نومى أصبح قليلا ، ولا أرتاح الا فى الحرم الشريف ، أما طعامى فكان أقل من القليل ، ولا أرتاد المطعم الا نادرا .

وكان معارفى قد أوصوا بى صاحب الفندق خيرا ، وكان يحرص على

راحتي ورضائي ، يترصدني في غرفتي فلا يراني ، ويراقب زيارتي للمطعم فلا يلقاني ، ويستحث أعوانه على اخباره بعودتي فلا يصادفني ، فقيل له يوما : انه مرابط في الحرم الشريف .

وجاءني يسعى متسائلا : « لماذا هجرت الفندق ، وأين تتناول الطعام » .

وابتسمت قائلا له : « أقضي وقتي كله في الجنة هنا ، أما طعامي فأنا في ضيافة أكرم الخلق عليه الصلاة والسلام » .

وعدت الى بغداد ، فاكتشفت أنني مريض ، وقد تطور الزكام الشديد وما يتبعه من مضاعفات ، وأدى أهمالي لمعالجته الى كثيرمن المشاكل .

وعلم الله أنني لم أكن مهملا ، ولكنني لم أكن أشعر بالمرض ، وكنت مشغولا عنه بما حولي من نور وكنت سعيدا الى أبعد الحدود ، فقد عافاني الله ومضى المرض ، وبقى في عقلي وقلبي سعادة وانشراح ونور لن تزول .

لقد طوفت بأقطار العالم شرقا وغربا ، ولكنني نسيت تلك الأقطار فلا أتذكرها ولا أذكرها الا نادرا .

أما زيارة المدينة المنورة وجواري للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأتذكرها بكل تفاصيلها صباح مساء ، وأذكرها في كل وقت بكل مكان .

وكنت أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم ، أثر في أصحابه بسلوكه الفذ وهو حي يرزق .

ولكنني وجدت أنه يؤثر في أهل المدينة المنورة ومن يشدون اليها الرجال من أمصار الأرض بخلقه العظيم وهو بجوار الله .

يا أغنياء المسلمين ويا أصحاب الجاه والسلطان ! ان الثراء والجاه والسلطان لا تسعد الناس وقد تشقيهم ، فاقصدوا مدينة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، لتجدوا السعادة بالهدى والاطمئنان بالنور والانشراح بالخلق القويم .

هنا الدنيا والآخرة ، هنا الأرض والسماء ، أفلا تذكرون ؟

اللواء الركن محمود شيت خطاب

دراسات قرآنية :

هذا الملكوت لنا ولغيرنا

الأرضون سبع فأين موقعها ؟

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى فى آخر سورة الطلاق :
« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ـ يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما » .

البيان

يسأل الانسان نفسه منذ بعيد قائلا : هل الكواكب والنجوم خلقت لأهل هذه الأرض وحدهم ؟ وهل أرضنا وحدها تحتاج كل هذه النيرات وهى تفوق أرقام الحساب التى عرفها الانسان ثم يقول : أنا كائن صغير وأرضى كوكب صغير ، فأنا وهى لا نستحق كل هذه العوالم المتألقة ، التى بلغت من العظمة والبهاء شأوا رفيعا لا تحيط به العبارة ، ولا يدنو منه الخيال ، فلا بد أن الله تعالى خلق فى كثير من هذه الكواكب خلقا مثلنا ، يعيشون فى جو يشبه جونا ، ويحيون حياة تشبه حياتنا ، ومن حولهم حيوانات تستعمل فى أغراض مثل أغراضنا ، وبساتين مليئة بفواكه تشبه فواكهنا ، وبها رياحين وزهور ينتشر منها عبير كالتى فى رياضنا ، وفيها أراض كثيرة البقول والأعشاب ، تتخللها رواب ووهاد ، وتهامات ونجاد ، وصحارى وجبال ، وأنهار وجداول ، وآبار وعيون ، ومناظر مونقة تسرح فيها العيون ، وينجلى بها عن القلب الشجون ثم يقول :

ولا بد فيها أيضا من كائنات رفيعة لها شئون فى ملك الله أرفع من شئوننا ، وتكاليف أقوى من تكاليفنا ، وقوى جبارة أنفذ من قوانا ، وصور مختلفة عن صورنا

فيها بهاء وحسن وصفاء ، ولابد فيها أيضا من كائنات حية أخرى دوننا مكلفة أو غير مكلفة ، ثم يقول :

لابد لهذه الكواكب من شموس حارة وهاجة ، يعيش أهل تلك الكواكب على أشعتها الحارة الوضاءة نهارا ، حتى اذا جن الليل استضاءوا بأنوارها المنعكسة عليهم من كواكب أخرى ، فأمرهم فى ليلهم ونهارهم يشبه أمرنا ، ثم يقول : أليس الله قديرا على كل شىء ، أو ليس الظن فى مسكونية الكواكب اليابسة المعتدلة الجو المناسبة للحياة ، له ما يبرره فى حكمة الله وعظمة ملكه وجلاله ؟

ولقد أولع الانسان من قديم برصد الكواكب لعله يتجلى له من غوامض أمرها ما يكشف عن بعض مكنوناتها ، فنشأ بذلك علم الفلك ، وجعل رصيده العلمى فى هذا الصدد يزداد جيلا بعد جيل ، حتى بلغ فى العصر الذى نعيش فيه مبلغا عظيما بعد اختراع المناظير البعيدة المدى ، ومما كشفته تلك المناظير فى بعض الكواكب ، ما يشبه الأنهار والحشائش الخضراء والصحارى والجبال ، فقويت بذلك الشبهة فى أن هذه الكواكب مسكونة ، ففكر العلماء فى السفر الى القمر لأنه أقرب الكواكب الينا ، لعلهم يكشفون فيه حياة لبعض الكائنات الحية ، وليتعرفوا جوه وصلاحيته لسكنى أهل الأرض أو اقامتهم بعض الوقت ليدرسوا منه الكواكب الأخرى ويسافروا منه اليها ان أمكن ذلك حتى يتحققوا مما ظنوه من أن بالكواكب سكانا يعيشون مثلما نعيش ، ويموتون مثلما نموت ، وأن هذه الكواكب لم تخلق من أجل هذه الأرض الصغيرة وحدها ، وأن هذه الأرض ما هى الا واحدة من أرضين عديدة مثلها فى وظيفتها ، وأنه لامانع من أن تكون أرضنا لهم كوكبا منيرا فى الدورة الفلكية ، كما أن كواكبهم منيرة لنا .

دارت كل هذه الخواطر بأذهان المفكرين ، فعكف عباقرتهم على التفكير فى صنع قذيفة الى القمر ،

تدفعها قوة هائلة من الوقود الذرى تقاوم جاذبية الأرض ، وتشتمل تلك القذيفة على أجهزة لدراســة الأشعة الكونية وأثرها فى الكائن الحى عند سفره عبر الفضاء ، ولدراسة أسرار الفضاء ، وايصال تلك المعلومات التى تحصـــل عليهـــا الى مركز رحــلات الفضاء وتوجيهها فى الأرض ليدرسها علماؤه حتى يكون الســفر مأمون العاقبة ، كما قدروا للعودة أسبابها المــأمونة ، الى غير ذلك من البحوث ، وأخيرا صنعوا القــذيفة المطلوبة ، وسافر فى داخلها ركاب من البشر ، بعد تجارب عديدة بغيرهم ، ووصل هؤلاء البشر الى القمر غير مرة وعادوا بصخور وتراب من أرضه ، ولكنهم لم يعثروا فيه على كائن حى ، لعــدم صلاحية جوه ومناخه وطبيعة أرضه للحياة ، فلم يثنهم ذلك عن مواصلة البحث والتجارب حتى اســتطاعوا صنع سفينة وصلت عام ١٩٧٦ م الى المريخ ، ولم يكن فيهـــا أحــد من البشر ، ولكن بها أجهــزة لتحليــل تربته ، وايصـــال نتيجة التحليل الى مركــز تلك البحــوث فى أمريكا ، وأجهزة أخرى لمختلف الدراســات وتبليغها الى المركز المذكور ، ثم تبعتها سفينة أخرى فى موضع آخر منه ، وقد عرف من أخبار تلك الفحوص والدراسات أن حول المريخ هواء ، وأن بتربتــه رطوبة وأن احتمالات وجود كائنات حية فيه تتزايد يوما بعد يوم ، وهذا آخر ما عرفناه من أخبار هاتين السفينتين اللتين وصلتا اليه فى أغسطس وسبتمبر من العام المذكور ، ولايبعد أن نسمع مستقبلا عن وجود كائنات حية مكلفة فى المريخ أو فى غيره اذا تتــابعت البحــوث والدراســات ، ولعل ذلك وأمثاله تلبية لقوله تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ولعله نوع من الآيات التى وعد الله عبــاده أن يريهم اياها بقوله جل ثناؤه « سنريهم آياتنــا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

الأرضون السبع فى القــرآن والسنة

قد علمت من عنوان المقــال أنه تعــالى قال فى آخر ســورة الطلاق

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وقد حار السابقون فى تفسير الأرضين السبع ، فمنهم من زعمها سبع طبقات متلاصقة ، ومنهم من زعمها سبع قارات تفصلها المحيطات ، ومنهم من قال فيها ما لا يقبل عقلا ولا يصح نقلا .

والمتأمل فى نص الآية الكريمة يرى أن الأمر أعظم مما ذهب اليه هؤلاء المفسرون فان قوله سبحانه « ومن الأرض مثلهن » يعنى أن الأرضين فى عددها وبُعد ما بينها كالسموات السبع وبعد ما بينها .

قال الآلوسى فى تفسير هذه الآية نقلا عن جمهور المفسرين : ان مثلية الأرض للسموات فى كونها سبعا وفى كونها طباقا بعضها فوق بعض ، وبين كل أرض وأرض كما بين السموات والأرض ، وفى كل أرض من خلق الله ما لا يعلم حقيقتهم الا الله تعالى .

وأخرج ابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الايمان وفى الأسماء والصفات من طريق أبى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الآية : (فى سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى) قال الذهبى: اسناده صحيح لكنه شاذ ، وفسر شذوذه بقوله : لا أعلم للضحاك عليه متابعا — أى أنه تفرد بروايته عن ابن عباس ، وهذا لا يمنع من صحة اسناده اليه لكون الضحاك ثقة ، ولهذا وصفه بالصحة ، وهذا من الأمور المقررة فى علم مصطلح الحديث .

وقال الآلوسى مفسرا رأى ابن عباس فى الآية : والمراد أن فى كل أرض خلقا يرجعون الى أصل واحد ، رجوع بنى آدم فى أرضنا الى آدم عليه السلام ، وفيهم أفراد ممتازون على سائرهم كنوح وابراهيم وغيرهما فينا : ا هـ .

ومن هذا نعلم أن القرآن العظيم حقق للناس ظنونهم فى أن هذا الكون لم يخلق لأرضنا وحدها ، بل خالق لسبع أرضين مماثلة للسموات السبع « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » وأن ابن عباس

ترجمان القرآن كان أصرح النـاس فى تبيان هذا التعدد والقول بمسكونية هذه الأرضين ، ومشابهة سـاكنيها لساكنى أرضـنا حتى فى ارسـال الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ اليهم ، فان تبنت ذلك كله فى المستقبل علميا وكشفيا فلن نفاجأ به ، بعد أن علمناه نصـا فى كتاب الله ، وفهمـا لأئمتنا من السلف الصالح .

ولقـد صرحت السـنة الصحيحة بسبعية الأرض ، فقد صح من رواية الامام البخارى وغيره قوله صلى الله عليه وسـلم فى دعائه « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن » الحديث .

هل عدد السبع مقصود لذاته ؟

صرح الآلوسى فى تفسير هـذه الآية ــ موضوع المقال ــ بأنه يجوز أن يكون عدد السبع فيها لا مفهوم له ، وأنه يمكن أن تكون الأرضون أكثر من سبع ، وكذلك السموات ، والاقتصـار على العـدد المذكور لا يستدعى نفى الزائد عنه ، وتعليقا على هذا الذى قاله الآلوسى نقول : لو ثبت أن الأرضين أكثر من سـبع يقينا ، لأمكن تأويل الدليل السمعى فان من القواعد المقررة فى أصـولنا الشرعية ، أنه متى عارض الدليـل العقلى ظاهر الدليل السمعى ، وجب تأويل الدليل السمعى لأجل الدليل العقلى لأنه أصله ، ولو أبطل به لزم بطلانه نفسه .

ويقول الآلوسى : ولا أرى بأساً فى تأويل بعض الظواهر المسـتبعدة بما لا يستبعد ، وان لم يصل الاستبعاد الى حـد الامتناع ، اذ تضمن ذلك مصلحة دينية ، ولم يستلزم مصادمة معلوم من الـدين بالضرورة : ا هـ ونحن نقول ان العـدد قد يأتى فى القـرآن لمجرد التكثير ولا يقصـد ذاته ، ومن ذلك قوله تعالى خطـابا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شأن المنافقين « استغفر لهم أولا تسـتغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فان الغرض من الآية الكريمة إن الله تعالى لا يغفر لهؤلاء المنافقين مهمـا استغفر الرسول لهم فانهم أشد على الاسلام من المشركين الذين لا يغفر لهم شركهم بأى حال ،

قال تعالى : «ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقد قطع الله أطماعهم فى النجاة من النار بقوله فى شأنهم : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » .

واعلم أن هذه الأرضين سواء أكانت سبعا أو كان العدد لا مفهوم له ، فهى فى فضاء الله تعالى تجرى فى الفلك جرى الكواكب ، وتلمع لمعانها بسبب تسلط أشعة النجوم — أى الشموس عليها — كما حدث ذلك لأرضنا التى نحن عليها ، فقد رآها رواد القمر مضيئة لهم ، وأخذوا صورها وهى مضيئة ونشرتها لهم صحف العالم ومنها صحفنا المصرية .

وحيث كانت الأرضون السبع تسبح فى فضاء الله تعالى ، فهى لنا بمنزلة السماء ، كما أن أرضنا كانت لرواد القمر ومن فى حكمهم سماء ، فلا مجال للبحث عنها : فى حيزك الضيق الى أنت فيه من العالم .

أما ما رواه ابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن ابن عمر مرفوعا أن بين كل أرض والتى تليها خمسمائة عام ، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريتها ، والخامسة فيها حياتها ، والسادسة فيها عقاربها ، والسابعة فيها سقر ، وفيها ابليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد خلفه يطلقه الله تعالى لمن يشاء) أما هذا الحديث المذكور فهو منكر كما قال الذهبى ولا يعول عليه أصلا ، ولا عبرة بتصحيح الحاكم له فقد أخطأ فى ذلك ، فان مثل هذا الحديث المنكر يجب رده وتنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله .

رأى الدين فى مسكونية الكواكب

قلنا فيما تقدم : انه اذا تحقق ماظنه الناس من مسكونية الكواكب ، وقام البرهان العلمى والعملى على ثبوته ، فان ذلك لا يفاجأ به الاسلام ، اذ أنه ليس غريبا على نصوص كتابه المجيد ولا على أفهام علمائه المحققين .

فمن النصوص التى نفهم منها أن السماء مسكونة قوله تعالى : «ومن أياته خلق السموات والأرض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » (١) فهــذه الآية ناطقــة بوضوح أن الله أسكن الســموات والأرض دواب بثهــا فيهما ، وأنه قادر على أن يجمعهم ويضمهم ، بحيث يرى بعضهم بعضا ، ويتعرف بعضهم على بعض •

ولقد كان مجاهد ــ من التابعين ــ جريئا حين فسرها بقوله : (أسكنهما بالناس والملائكة) قال الألوسى بعد موافقة على هــذا الرأى : انه عبر (بما) تغليبا بغير ذوى العــلم فى الســموات والأرض ــ ثم قال ــ ولا يبعد أن يكون فى كل ســماء حيوانات ومخلوقات على صــور شتى وأحوال مختلفة لا نعلمها ولم يذكر فى الأخبار شىء عنهــا ، قال تعــالى « ويخلق مالا تعلمون » •

يعنى أن هذه الآية قامت مقــام الاخبــار فى ذكر أنه تعــالى يخلق ما لا علم به تفصيلا ، لأنه لا ضرورة لنــا فى علمه ، ويلاحظ أن القرآن والسنة تضــافرا على عدم الدخول فى تفاصيل تلك الغيبيات ، لأن الناس فى ذلك الحين أميون ، ولا أســاس عندهم لمعرفة شىء من تلك التفاصيل ، فقد الهوا الشجر وعبدوا الحجر ، فكيف تستسيغ عقولهم ادراك ما لم تدركه أو تحط به علما أعلى الثقافات حتى اليــوم ، ولا يزالون فى حيرة التجارب ، ثم انهم كانوا قريبى عهد بكفر ، فكان من الخير اغلاق باب التفصيل لمثل هــذه الغيبيات حتى يتقــدموا فى العلم فيستخدموه فى ادراك بعض آيات الله الكونية التى أشار اليها فى كتابه أو فى سنة رسوله ، وهذا ما يشير اليــه قوله تعــالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

ولا ريب فى دخول ذوى العلم لغة فى قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٩

دابة »فان لفظ (ما) لايختص بغير العقلاء ، فكثيرا ما يستعمل فيهم وفى غيرهم كما هنا ، وكما فى قوله تعالى: « ولله ما فى السموات وما فى الأرض» • فان عقلاء السموات والأرض وغير العقلاء فيهما ملك لله تعالى •

وقد تستعمل (ما) فى جانب الله تعالى كما فى قوله سبحانه «والسماء وما بناها » أى وحق السماء ومن بناها وهو الله سبحانه ، وقد تستعمل كلمة (من) فى غير العاقل ، كما فى قوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء » وبالجملة فان تخصيص لفظ (ما) بما لايعقل، وتخصيص لفظ (مَن) بمن يعقل أغلبى •

وليست كلمة (دابة) قاصرة على الحيوانات ، فانها من دب على الأرض أى مشى على هينته ، ولهذا أطلقت كلمة (الدابة) على الناس وهم سائرون الى منى ـ كما فى القاموس ـ وهذا من توسع العرب فى المادة حتى أطلقوا على المسرعين الذين أفاضوا من المشعر الحرام الى منى كما رأيت •

وكيف لا يدخل الانسان فى هذا العموم ، فهل يليق أن تكون الدواب مبثوثة فى السموات والأرض آية على الله تعالى ، ويجعل ذلك قاصرا على الحيوانات سوى الانسان ، مع أنه أولاها بأن يكون آية على الله تعالى •

وبهذا التأويل يتضح أن الانسان فى السموات وفى الأرض بنص الآية ، وهو بالنسبة لنفسه يكون فى الأرض، وبالنسبة لمن فى كوكب آخر يكون فى سمائه ، وتكون أرضه كوكبا له ، كما مر بيانه بالنسبة لرواد القمر حيث كانت أرضنا تتألق لهم وتضىء أكثر من اضاءة القمر لنا ، فسبحان من خلق هذا الكون كرة دائرة ، تتناوب دراريه السمو والانخفاض ، والسماوية باعتبار والأرضية باعتبار آخر ، وبهذا الرأى أخذ مجاهد رضى الله عنه حيث قال أسكنهما الله بالناس والملائكة ـ وقد مر بيان ذلك •

ومما يدل على مسكونية أرضين كثيرة ومكلفين كثيرين فى غير أرضنا قوله تعالى : « وسارعو الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

فاذا كانت الجنة الموعودة للمتقين عرضها السموات والأرض ، فان ذلك يدل على أنها أعدت لمكلّفين كثيرين أتقياء من سكان الكواكب وليست لسكان المتقين من أرضنا وحدهم ، فانهم ليسوا بحاجة الى مثل هـذه المساحة لينعموا بالجنة الموعودة ونعيمها المأمول ، فان مجرات السماء ملايين لا يعلمها الا الله تعالى ، وكل مجرة فيها من الشموس والكواكب مليارات لا يعلمها الا الله تعالى ، فاذاكان هذا حال زينة السماء فكيف بالسماء نفسها .

وحيث كانت الجنة بعرض السماء والأرض ، فان ذلك ناطق بوضوح بأن هذه السعة ليست لسكان أرضنا وحدهم ، بل لهم ولغيرهم من سكان أرضين سواها ، أو قل لسكّان كواكب سواها كلفهم الله كما كلفنا وهم عباد الرحمن مثلنا .

وجمال الجنة فى أن يكون أهلها على سرر متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون بألوان النعيم ، وليس جمالها فى أن يعيش الفرد الواحد فى مساحة كوكب أو كواكب ، والله تعالى أعلم .

وليدرك المسلم أن اعتقاد هـذا التفسير ليس من ضروريات العقيدة ، فانه فهم فى النصوص مبنى على الاجتهاد الظنى ، فلا يكفر منكره أو المتردد فيه ، ولكن العقلية المتفتحة والفهم المستقيم لا يمانعان فى قبوله بل يحثان عليه ، فانه الأظهر من النصوص ، والأليق بالقدرة والعظمة الالهية ، والأجدر بالحكمة الربانية ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

بين القاضي والطبيب

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي

عن يحيى بن سعيد رضى الله عنه: ان أبا الدرداء كتب الى سلمان الفارسى رضى الله عنهما : أن هلم الى الأرض المقدسة فكتب اليه سلمان : ان الأض لا تقدس أحدا وانما يقدس الانسان عمله ، وقد بلغنى انك جعلت طبيبا تداوى . فان كنت تبرىء فنعما لك ، وان كنت متطببا فاحذر أن تقتل انسانا فتدخل النار ». فكان أبو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر اليهما فقال : متطبب والله . !

ارجعا الى أعيدا على قصتكما . أخرجه فى الموطأ . الطبيل فى الأصل: الحاذق بالأمور العارف بها ، وبه سمى الطبيب الذى يعالج المرضى ، وكنى به هنا عن القضاء والحكم بين الخصوم لأن منزلة القاضى من الخصوم بمنزلة الطبيب من اصلاح البدن .

والمتطبب : الذى يعانى الطب ولا يعرفه معرفة جيدة ، لقد تضمن هذا الحديث أمورا ثلاثة لها أثرها فى ترابط المسلمين وتصحيح سلوكهم وانتظام شئون جماعتهم وانتزاع الحقد من نفوسهم واطمئنانهم على حقوقهم باقامة العدل فيهم .

الامر الاول : العناية بالاخوة بين المسلمين والتعاطف بينهم . والأمر الثانى : العناية بالعمل اذ هو سبيل الفوز والفلاح أو سبيل البوار والخسران . والأمر الثالث : أهمية القاضى ومسئوليته فى تحقيق العدالة بين الناس .

أما الأخوة التى أشار اليها الحديث بما تضمنته المكاتبة بين أبى الدرداء وسلمان الفارسى وجاءت صريحة فى أحاديث أخرى فقد كان أمرها عجبا

فى الاسلام، وكانت أروع مثل للأخوة الصادقة والمؤاخاة — وهى اتخاذ كل من الشخصين صاحبه صديقا ومعاونا وناصحا حتى يكون له كالأخ يشاركه سراءه وضراءه وخيره وشره — قد يكون باعثها انسانيا وقد يكون باعثها دينيا واذا تظاهر الباعثان صارت أخوة صادقة لابد أن تؤتى ثمارها وتستتبع آثارها حبا وودا، وتصافيا وتآلفا، وقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يغرس هذه الفضيلة فى نفوس المسلمين لأول خطوة من خطوات الدعوة وظل يتعهدها فى كل مناسبة حتى صار المسلمون كتلة واحدة فى وجوه المشركين المقاومين لدعوة الاسلام، ولهذه المؤاخاة صفحات مشرقة فى التاريخ الاسلامى صارت مثلا وأملا ينشدها دعاة المحبة والسلام فى كل أمة وكل جيل .

ومن هذه المؤخاة مؤخاة أبى الدرداء وسلمان الفارسى فقد آخى بينهما رسول الله وكل من الرجلين صحابى جليل أخلص لدينه وأخلص لأخوته، فأبو الدرداء استغرقه حبه لدينه حتى انصرف بعبادته عن نفسه وأهله، وقدزاره يوما أخوه سلمان فشكت اليه زوجه ذلك الانصراف فطلب اليه سلمان أن يقتصد فى عبادته ويؤدى حق نفسه وحق أهله كما يؤدى حق ربه وقال له : ان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه وكذلك كان سلمان فى صلاحه مع فقهه فى دينه وحسن رأيه فهو الذى أشار بحفر الخندق فى غزوة الخندق وتنازعه الأنصار والمهاجرون فقال كل منهم سلمان منا فقال رسول الله سلمان منا أهل البيت ولقد قال رسول الله لأبى الدرداء سلمان أفقه منك، ولقد فرقت بينهما الأحوال مكانيا فذهب سلمان الى الكوفة وذهب أبوالدرداء الى الشام ولكنهما ظلا متآخيين روحانيا ودينيا وتمثلت تلك الأخوة فيما جرى بينهما من مكاتبات تجسد فيها النصح والحب والرغبة فى الخير وقد كتب أبو الدرداء الى سلمان يطلب اليه أن يذهب الى بيت المقدس ليحظى ببركته ومضاعفة ثواب عمله حيث كان مسرى النبى ومهبط الأنبياء وحيث استحب الصحابة وغيرهم زيارته وقد زارته

أم الدرداء وعمر بن عبد العزيز ومسجده من المساجد التى يستحب شد الرجال اليها فأجابه سلمان بأن الأرض لا تقدس أحدا وانما يقدس الانسان عمله •

الأمر الثانى :

وفى اجابة سلمان كتاب أبى الدرداء نظر ، فظاهره انكار لزيارة بيت المقدس وفضله وأنها لاتنفع العبد ولا تفيده لأنه قطعة من الأرض والأرض لا تطهر أحدا من الذنوب وانما يطهره وينفعه عمله ويعارض هذا الظاهر ما جاء فى فضل بعض الأمكنة وبعض الأزمنة وافتراض زيارتها أو استحباب زيارتها ومن الأرض مكة والمدينة وزيارة مكة ومسجدها فرض للحج وزيارة المدينة ومسجد الرسول سنة وفى صحيح الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، ومما له فضل من الأماكن مسجد قباء وجبل أحد والعقيق وذو الحليفة وغيرها وقد ثبت فضل زيارتها ، ويمكن أن يحمل ظاهر قول سلمان على أن المراد بقوله : ان الأماكن لا تقدس أحدا بأن الأماكن لا تقدس أحدا لذاتها وانما الذى يقدس العبد ويطهره هو ما يقوم به العبد فى تلك الأماكن من الأعمال الصالحة وربما يؤيد ذلك أن ما ورد فى فضل تلك الأماكن انما ورد مسندا الى الأعمال التى تؤدى فيها كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : فيما يحدث به أبو الدرداء: فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة •

والأمر الثالث الذى تضمنه الحديث عن كتاب سلمان الى أبى الدرداء هو الخاص بالقضاء وأهميته فى استقرار المجتمع ومسئولية القاضى وثقل وزنها بين مسئوليات الحكم الأخرى ، وانا لنقف اعجابا وتقديرا لهذا الأسلوب الذى اصطنعه سلمان فى التعبير عن هذه الموضوعات فقد اصطنع وهو الفارسى الأصل أسلوبا تنقطع دونه أطماع البلغاء من العرب بما تضمنه من صور بيانية تجلى فيها الذوق الأدبى الرفيع ولعله أول من استعملها فأصاب المحز فقد استعار لفظ الطبيب للقاضى وانها لاستعارة لطيفة عميقة المعنى تلوح من خلالها لأول وهلة خطورة منصب القاضى

فالطبيب آس يفتش عن العلل والأوجاع ويعالج المقروحين والمجروحين والمألومين من أوصابهم وآلامهم بما يلائم من الأدوية والعقاقير وكذلك القاضى فانه يفتش عن ظلامات المظلومين والمرزئين ويداوى بعدله واجتهاده ظلاماتهم ومآسيهم » كما استعمل لفظ الطبيب الماهر فى القاضى الكفء العادل. واستعمل التوفيق الى معرفة الداء فى التوفيق الى العدل والوصول الى الحق فى الحكم واستعمل المتطبب الذى لا خبرة له فى الطب فى القاضى الجاهل بوجوه الصواب وجعل الخطأ فى الحكم وعدم الاهتداء الى الحق وضياعه بمنزلة القتل للجهل بالطب فكلاهما يجر الى الهلاك اما هلاك النفس أو هلاك الحق ، ذلك أسلوب سلمان الفارسى فى التعبير عن شئون القضاء والقاضى وتصويره لعظم المهمة ، واذا كانت ألفاظ البليغ توحى بمعانيه كما يقول كتابنا المحدثون فهل هناك أقوى ايحاءا من ألفاظ سلمان فى التعبير عما أراد أن يبلغه أخاه أبا الدرداء عن أهمية الوظيفة التى أسندت اليه وعن عظم مسئوليته عنها أمام ربه ودينه ووجوب تحرى العدل والاجتهاد فى الوصول الى الصواب واعطاء كل ذى حق حقه ولا شك أن سلمان كان يستلهم روح الاسلام ويستهدى تعاليمه فى شأن القضاء فقد عنى الاسلام بشأن القضاء كوسيلة لتحقيق العدل بين المسلمين ، والعدل فى مقدمة الفضائل التى بنى عليها الاسلام مجتمعه لأنها فضيلة لو توفرت فى مجتمع لتوفر فيه كل خير ، واطمأن كل فرد على نفسه ودمه وماله وعرضه . عنى الاسلام بالقاضى وتشدد فى شروط اختياره وفيما ينبغى أن يتحقق فيه من كفاية وعلم ونزاهة وعفة ودراية بطبائع الناس وأحوال المجتمع وأساليب العصر فى التعامل والتحايل ليكون كالطبيب الماهر لا المتطبب الجاهل كما قال سلمان لا تخفى عليه بواطن العلل ولا تشتبه عليه وسائل العلاج ويكون مقدرا لنتائج عمله ان أصاب وان أخطأ كما عنى ببيان مناهج عمله وبيان مصادر حكمه ومتى يكون اعتماده على رأيه واجتهاده وأحاطت

كل ذلك بقوارع زاجرة عن الاهمال والجور والظلم، وحفل القرآن الكريم، والسـنة النبـوية بعشرات الآيات والأحاديث في بيان جزاء القاضي ثوابا ان أقسط وعدل، وعقابا ان جار وزل وقد ملأت هـذه الآيات والأحاديث قلوب أصحاب رسـول الله وقلوب الصالحين من علماء المسـلمين هيبة ورهبة من هـذا المنصـب فكانوا يتوقونه ويتهربون منه ويشفقون على من يبتلى به ويتمنون له السلامة منه ومما ورد من الأحاديث في التحذير من القضـاء وثقل مسـئوليته قوله صلى الله عليه وسلم : «من جعل قاضيا بين الناس فقـد ذبح بغير سكين » ، وممن تهرب من القضـاء ورفض أن يتقلده عبـد الله بن عمر رضى الله عنهما فقد روى أن عثمان بن عفان قال لابن عمر: اقض بين الناس قال: أو تعـافيني يا أمير المؤمنين ، قال : وما تكره من ذلك ؟ وقد كان أبوك يقضى ، قال : لأنى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان قاضيا فقضى بالعـدل فبالحرى أن ينقلب منه كفافا فما راجعه بعـد ذلك ، وممن رفض القضـاء تورعا عنه وارتقاء لمسئوليته امامنا الأعظم أبوحنيفة رضى الله عنه فقـد عرض عليه القضـاء من أمراء بنى أمية ثم المنصور فأبى فسجنه وآذاه حتى قيل انه مات في سجنه .

والحديث عن القضـاء واهتمام الاسـلام به ونظرة الصـالحين من المسلمين اليـه حـديث يطول وهو ضافي الذيول ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

أبو الوفا المراغى

نبى الإسلام

كما يراه « توماس كارليل »

التحرير

تناول « توماس كارليل فى كتابه الأبطال « حياة محمد بالبحث والتحليل قائلا :

من العار أن يصغى أى انسان متمدين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين أن دين الاسلام كذب وأن محمدا لم يكن على حق . لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التى دعا اليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان » — لملايين كثيرة من الناس . فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة أو خديعة مخادع ؟

ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير ، لأضحت الحياة سخفا وعبثا ، وكان الأجدر بها ألا توجد .

هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟ ان الرجل الكاذب لايستطيع أن يبنى بيتا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، واذا بناه فما ذلك الذى يبنيه الا كومة من أخلاط هذه المواد ، فما بالك بالذى يبنى بيتا ، تبقى دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا ، متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع .. وما الرسالة التى أداها الا الصدق والحق .

وما كلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول .. وما هو الا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ..

وهب جدلا أن لمحمد هفوات(١)، فانه ليس فى مقدور هذه الهفوات أن تستر تلك الحقيقة الكبرى وهى أنه رجل صادق ونبى مرسل .

ثم استرسل توماس كارليل يقول :

أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأى ، لا يعتمد الا على نفسه ، و لايدعى ما ليس فيه . ولم يكن متكبرا ولا ذليلا ، فهو قائم فى ثوبه المرقع كما أوجده الله ، يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الأخرة ..

وما كان محمد بعابث قط ، ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو ، فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء ، أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق فما كان من عادته قط .

وكان «محمد» اذا سئل أن يأتى بمعجزة قال حسبكم بالكون معجزة ..

انظروا الى هذه الأرض..أليست من عجائب صنع الله ؟ أليست آية من آيات عظمته .. أنظروا الى هذه الأرض التى خلقها الله لتمشوا فى مناكبها ولتأكلوا من رزقها .. انظروا الى هذا السحاب المسير فى الأفاق كيف يتحول الى ماء يروى الأرض ويخرج به النبات والزرع .. ألستم أنتم معجزات ؟ ... لقد كنتم صغارا ، وقبل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جمال وقوة وعقل .. ثم يأتيكم المشيب ثم تموتون.. لقد كان الكون نفسه فى نظره معجزة ! .. لقد كان يرى كل ما كان يراه كبار المفكرين .. وهو أن هذا الكون المادى انما هو فى الحقيقة لا شىء .. وهو ظل علقه الله فى الفضاء لا غير .. وان دل على شىء فهو يدل على أنه آية من آيات الله .

ويزعم المتعصبون أن محمدا لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والجاه والسلطان .. كلا وأيم الله . لقد انطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس المملوء

---

(١) ان الكاتب هنا يفترض فقط .

رحمة وبرا وحنانا ونورا وحكمة ، أفكار غير الطمع الدنيوى وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان ..

ويزعم الكاذبون أنه الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره.. حمق وسخافة وهوس ان رأينا رأيهم .. أى فائدة لرجل على هذه الصورة فى جميع بلاد العرب ، وفى تاج قيصر وصولجان كسرى وفى جميع ما بالأرض من تيجان ..

لم يكن كغيره يرضى بالأوضاع الكاذبة ، ويسير تبعا للاعتبارات الباطلة .

ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل .

لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الكون والكائنات .

لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه .

لقد جاء صوت هذا الرجل منبعثا من قلب الطبيعة ذاتها ..

لهذا وجدنا الآذان اليه مصغية لما يقول واعية .

لقد كان يجول فى خاطره منذ رحلاته وأسفاره آلاف من الأفكار.

ماذا أنا ؟ .. ما هى الحياة ؟ ..

ما هو الموت ؟ .. ماذا أفعل ؟

لقد أحس هذا الرجل ابن الصحراء أن هذه هى كبرى المسائل وأهمها.

وكل شىء فى هذا الوجود عديم الأهمية بجانبها .

ثم استطرد توماس كارليل يصور شخصية هذا النبى الكريم الى أن قال :

« لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . فكان طعامه عادة الخبز والماء . وكثيرا ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل متقشف ، خشن الملبس والمأكل ، مجتهد فى الله دائب فى نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان .

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلاقى من العرب الغلاظ احتراما واجلالا واكبارا ، ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ، ثلاثا وعشرين حجة ، وهم ملتفون حوله ، يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله !

لقد كان فى قلوب هؤلاء العرب جفاء وغلظة ، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم . لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلا وأيم الله .

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لارادته ولما انقادوا لمشيئته .

وفى ظنى أنه وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبى لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع . !!

هكذا تكون العظمة ؟ !

وهكذا تكون البطولة ؟ !

وهكذا تكون العبقرية ؟ !

وتناول هذا المفكر الانجليزى رسالة هذا النبى وما لاقى فيها من صعاب فكتب يقول :

كانت زوجه « خديجة » فى طليعة الذين آمنوا برسالته . لقد رأى فى ايمانها بكلمته المخلصة جميلا يفوق كل ما أسدت اليه من قبل ، فليس أجمل على النفس من أن يجد الانسان له شريكا فى أفكاره ومعتقداته .

وهذا هو الذى دعا «نوفاليس» أن يقول : ما رأيت شيئا قط يقوى العزيمة واليقين أقوى من انضمام انسان آخر الى فى الرأى .

لهذا ظل محمد يذكر خديجة حتى لقى ربه . لقد سألته عائشة زوجته الصغيرة البارعة الجمال المتقدة الذكاء ذات يوم قائلة :

ألست الآن أفضل من خديجة؟.. لقد كانت أرملة مسنة ذهب جمالها وولى ... أراك تحبنى أكثر مما كنت تحبها ! ؟

فأجابها النبى :

كلا والله .. لست أفضل منها .. وكيف يكون ذلك وهى التى آمنت بى والكل كافر ومنكر ..

واستمر النبى يذكر رسالته لهذا ولذاك ، فما كان يلقى غير الجمود والسخرية ، حتى انه لم يؤمن به فى خلال ثلاثة أعوام الا ثلاثة عشر رجلا وذلك منتهى البطء وبئس التشجيع . وبعد هذه السنين الثلاث أدب مأدبة لأربعين من أهله ثم قام بينهم خطيبا فذكر دعوته وأنه يريد أن يذيعها فى سائر أنحاء الكون وأنها المسألة الكبرى ... فأيهم يمد اليه يده ويأخذ بناصره ؟ وبينما القوم صامتون فى حيرة ودهشة وثب « على » وكان غلاما فى السادسة عشرة ، وكان قد غاظه سكوت الجماعة ، فصاح فى قوة أنه ذاك النصير والظهير . ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين محمدا وكلهم قرابته ، وفيهم أبو طالب عم محمد وأبو على ، ولكن رؤية رجل كهل يعينه غلام فى السادسة عشر يقومان فى وجه العالم بأجمعه ، كانت مما يدعو الى العجب فانقض القوم ضاحكين ، ولكن الأمر لم يك بالمضحك بل كان غاية فى الجهد والخطر ! . أما « على » فلا يسعنا الا أن نحبه ونتعشقه فانه فتى شريف النفس ، يفيض قلبه رحمة وبرا ، وكان أشجع من أسد ، ولكن كانت شجاعته ممزوجة برقة ووداعة وحنان .

واستمر النبى يؤدى الرسالة الى كل من أصغى اليه ، وينشر مذهبه بين الحجيج مدة اقامتهم بمكة ويستميل الأتباع هنا وهناك ، وهو يلقى أثناء كل ذلك منابذة ومناوأة ومناصبة بالعداوة ومجاهرة وشرا باديا وكامنا . وكانت قرابته تحميه وتدافع عنه ولكنه عزم هو وأتباعه على الهجرة الى الحبشة فوقع خبر ذلك العزم من قريش أسوأ موقع وضاعف حنقهم عليه ، فنصبوا الشراك وبثوا الحبائل وأقسموا بالآلهة ليقتلن محمدا بأيديهم .

وكانت خديجة قد توفيت وتوفى أبو طالب . وتعلمون أصلحكم الله أن محمدا ليس بحاجة الى أن نرثى له ولحاله ومقامه الضنك وموقفه الحرج ، ولكن اعرفوا معى أن حاله وقتئذ كان فى أشد حالات الضنك والبلاء . لقد كان يختبىء فى الكهوف ويفر متنكرا من مكان الى مكان لا مأوى له ولا ناصر ولا معين ، تتهدده المخاوف وتتوعده المهالك .

وفى العام الثالث عشر من رسالته وجـد أعداءه متألبين عليه جميعا ، وكانوا أربعين رجـلا من كل قبيلة ائتمروا به ليقتلوه ، وعندئذ وجـد المقـام بمكة مستحيلا فهـاجر الى يثرب حيث التف حوله الأنصار • والبـلدة تسمى الآن « المدينة » أى مدينة النبى وهى من مـكة على بعد مائتى ميل، تقوم وسط صخور وقفار، ومن هــذه الهجرة يبتدىء التاريخ فى المشرق والسنة الأولى من الهجرة توافق ٦٢٢ ميـلادية وهى السـنة الخامسة والخمسون من عمر هـذا النبى •

وبهذا بدأ النبى فى مرحلة جديدة من مراحل رسالته •

* * *

وتناول « توماس كارليل » الدين الاســلامى ببعض البحث والتحليل فكتب يقول :

لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمـات الى النور وأحيـا به أمـة هامدة • وما كانت الا فئـة جوالة فى الصحراء خاملة فقـيرة تجـوب الفلوات ومنذ بدء العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من عنده ورسالة من قبله ، فاذا بالخمول قد استحال شهرة ، والغموض نباهة ، والضعف قوة ، واذا بالضـوء الخافت قـد أضحى نورا وهاجا يمـلأ الأنحـاء ويعم الأرجاء •

وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى امتدت دولة العرب الى الهند والى بلاد الأندلس ، وظلت هـذه الدولة تشرق حقبا عديدة ودهـورا مديدة بنور الحق والمروءة والعدل والشهامة والنبل •

وفى موضع آخر كتب يقول :

وفى الاســلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهى المسـاواة بين الناس • وهذا يدل على صدق النظر وصواب الرأى ••

والاسلام لم يقنع بجعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم ،، وجعلهـا قاعدة من قواعد الاسلام ، وقدرها بنسبة من الثروة، تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين•

جميل والله كل هذا !!

جميـل والله أن ينبعث صـوت الرحمة والاخاء والانسانية من فؤاد هـذا النبى الـكريم ابن القفـار والصحراء ..

لقد مضى على هذا الدين مئتان(١) وألف عـام وهـو الدين القـويم والصراط المسـتقيم لأكثر مـن سـدس (٢) سكان العالم وما زال فوق ذلك دينـا يؤمن به أهله من حبات أفئدتهم ولا أحسب أن أمـة اعتصمت بدينهـا اعتصام المسلمين باسلامهم . اذ يوقنون به كل اليقين يواجهون به الدهر أبدا ، وينـادى حارس الليل فى شوارع القـاهرة أحد المـارة : من السائر ؟ فيجيبه السائر « لا اله الا الله » ان كلمـة التوحيد والتكبير لترن آناء الليـل وأطراف النهـار فى صـدور تلك الملايين من البشر ، وان الفقهاء ذوى الغيرة فى الله والتفـانى فى حبـه يذهبون الى الشعوب الوثنية بالهند والصين والمالاى فيهدمون أضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الاسلام .. ونعم ما يفعلون .

أما عن القـرآن فكتب توماس كارليل يقول :

« لقـد نظـر العرب اليه نظرة معجزة لمـا بين آياته وأذواقهم من ملائمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بحسنه وابداعه .

لقـد أعطاه العرب من التبجيل أكثر مما أعطاه أهل الأديان الأخرى لأديانهم وما برح فى كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمـل والقـانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلهـا ، والوحى المنزل من السماء هدى للناس وسراجا منيرا يضىء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به فى غياهب الحياة ، وفى بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسـمه ثلاثون قارئا على التـوالى . وكذلك ما برح هـذا الكتاب يرن صوته فى آذان الألوف من خلق الله وفى قلوبهم فى كل آن ولحظة .

(١) كان هذا فى عهد الكاتب . أى قبل مائتى عام .
(٢) عدد المسلمين فى العالم اليوم أكثر من ثمانمائة مليون .

رأى :
فى تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها

المستشار : السيد عبد العزيز هندى

١ ــ نادى دعاة الاصلاح بأن الأساس الأوحد لاصلاح هذه الأمة وصلاحها هو العمل الفورى بالتشريع الآلهى المعصوم « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

وفى محاضرة لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود ــ بنادى القضاة بالقاهرة طالب فضيلته بوجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فورا ــ وأبان أن التشريع الالهى يكف الانسان تماما عن محاولة مخالفته ــ وأنه يكفه ظاهرا وباطنا ــ وأن من خصائصه أنه أعز الدولة التى طبقته ــ فحين طبقته الأمة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وطبقته فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين ــ كانت أمة لا تغيب عنها الشمس (راجع محاضرة فضيلة الامام الأكبر ــ المنشورة فى العدد التاسع من مجلة القضاة ــ سبتمبر سنة ١٩٧٥) .

٢ ــ ولما كان تجميع الفقه الاسلامى وتقنينه ــ هو أمنية كل مسلم صادق ــ ليكون هذا التقنين بمثابة تذكرة الطبيب « لاسعاف المجتمع بالعلاج الربانى لأدوائه المختلفة ــ العلاج الذى وصفه العليم الخبير بمن خلق ــ بحيث أصبح تعطيل حدود الله أمرا لاينبغى السكوت عليه أكثر من ذلك ــ فان الأمر يستوجب أن توضع أحكام الشريعة الغراء موضع التنفيذ الفعلى ــ ودون ابطاء .

وقد شملت هذه الدعوة أخيرا ــ أرجاء عديدة من العالم العربى والاسلامى ــ كما نصت عليها دساتير وقوانين بعض دوله ــ بشكل أو بآخر ــ كما لاحظنا ذلك عن كثب :

ففى مصر نص الدستور الدائم على أن مبادىء الشريعة الاسلامية

مصدر رئيسى للتشريع وقد دعم القضاء المصرى هذا النص بما أصدره العديد من المحاكم — على اختلاف أنواعها ودرجاتها من سيادة أحكام الشريعة الاسلامية حين يتعارض معها أى حكم مخالف فى القوانين الأخرى •

وفى المحاضرة التى دعيت لالقائها فى مبنى وزارة العدل بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٦/٦/٧ بمناسبة الدراسات التى كان يتلقاها الزملاء من قضاة الصومال وقتئذ بمصر — طالبنا بأن تكون الشريعة الاسلامية هى الأساس الذى تبنى عليه تشريعاتنا •

وفى ليبيا صدر قرار بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٨ بتشكيل لجنة عليا لمراجعة التشريعات وتعديلها بما يتفق مع المبادىء الأساسية للشريعة الاسلامية — وقد سعدت بالعضوية فيها — وأنجزت هذه اللجنة بعض التشريعات والقوانين التى مصدرها الشريعة الاسلامية •

وحين دعا مؤتمر المحامين الثانى عشر ببغداد فى شهر تشرين أول سنة ١٩٧٤ — أعضاء مجلس القضاء الأعلى بالقاهرة لحضور هذا المؤتمر — كان من توصيات اللجنة القانونية — التى دعيت لالقاء كلمة فيها أن تراعى اللجنة أن يكون التشريع الاسلامى مصدرا من المصادر الرئيسية للتشريعات الموحدة فى البلاد العربية — وقد أيدت قرارات المؤتمر النهائية هذه التوصية — رغم الجهود المحمومة التى بذلها البعض لاغفالها •

هذا فضلا عن السعودية التى أسعدها الله بتطبيق أحكام الشريعة الغراء فيها حيث لاحظنا أن كثيرا من الجرائم قد اجتثت من جذورها — كما هو الشأن بالنسبة لجريمتى السرقة والحرابة مثلا •

٣ — ولكن ما هى الوسيلة المثلى لتقنين الشريعة الاسلامية وتطبيقها ؟

جاء فى توصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية الذى عقد فى شهر رجب سنة ١٣٨٨ الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٨ — أن المؤتمر يوصى بتأليف لجنة من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات

القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الاسلامية ــ الأخذ بأحكام الشريعة فى قوانين بلادها ــ كقوانين العقوبات والقانون التجارى والقانون البحرى وغيرها •

ووضعت لذلك خطة عمل ــ هى تقنين المذاهب الفقهية التى يعمل بها فى البلاد الاسلامية ــ وأن يبدأ فى المرحلة الحالية بتقنين فقه المذاهب الأربعة ــ الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ــ على أن يقنن كل مذهب على حدة وبعد الفراغ من هذه المرحلة يبدأ العمل فى وضع قانون مختار من بين المذاهب جميعها •

وفعلا قامت اللجان المشكلة لهذا الغرض بجهد مشكور فى تجميع فقه كل مذهب على حدة وصدر عن كل لجنة جزآن تم طبعهما وتضمنا بحث عدة أبواب فى المعاملات •

أما اللجنة المشكلة للنظر فى القانون الجنائى فلمّا يصدر عنها شىء بعد•

٤ ــ ولما كان تجميع الفقه الاسلامى وتقنينه على هذا النحو ــ رغم أنه أمنية كل مسلم صادق ــ فانه قد استغرق ويستغرق وقتا طويلا جدا حتى يتم اعداده على حين أن المجتمع بكافة هيئاته ومؤسساته ينادى بوجوب المسارعة الى اسعافه بالعلاج الربانى ــ دون ما ابطاء •

٥ ــ ولما كانت القوانين الوضعية القائمة تتضمن أقساما ثلاثة :

(ا) قسم منها مصدره الشريعة الاسلامية ومطابق لأحكامها •

(ب) قسم آخر لا يخالف رأيا مقطوعا به بحكم فيها •

(جـ) وقسم ثالث وأخير ينقسم بدوره قسمين :

أولهما : يقتضى مزيدا من البحث والتروى •

وثانيهما : مقطوع بأنه مخالف مخالفة ظاهرة واضحة للقواعد الأساسية فى الشريعة الاسلامية •

٦ ــ واذ كان ذلك ــ وكان السكوت على العمل بالأحكام المخالفة مخالفة صارخة واضحة ــ وما هو معروف بالضرورة من أحكام هذه الشريعة ــ ريثما تنتهى اللجان المشكلة ــ من استعراض وبحث أحكام الفقه فى المذاهب الأربعة

ثم تقنينهـا ثم توحيدها — يعتبر تعطيلا لحدود الله الواجبة النفاذ فورا وبدون معوقات — فقد أضحى لزاما أن نبدأ البحث فى القوانين الوضعية القائمة — وذلك لحصر واستظهار ما يناقض الأحكام القطعية والقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية — والعمل فورا على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة موافقة للشريعة الاسلامية — أخذا من مختلف المذاهب — مع تخير أصلح الحلول لعلاج المجتمع القائم — مما له أصل ثابت فى الفقه الاسلامى أو غير متعارض معه — وذلك ريثما تنتهى اللجان الأخرى من أبحاثها المتكاملة — فيتم العمل بشريعة الله فى كل شأن من شئون الحياة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه من أن حداً من حدود الله يعمل به فى الأرض خير من أن يمطر الناس ثلاثين صباحا — وقديما قيل « بدلا من أن تلعنوا الظلام — أضيئوا شمعة » .

٧— ولما كانت السرقة والحرابة قد أصبحتا ظاهرتين خطيرتين مدمرتين لأمن المجتمع واقتصادياته — ولم تفلح التشريعات الوضعية فى اجتثاثها من جذورها — على حين أفلح التشريع الالهى — وكان حقا على الله أن يفلح — فى علاج هاتين الظاهرتين وغيرهما كما هو الشأن فى السعودية (راجع محاضرة فضيلة الامام الأكبر — المنشورة بمجلة ادارة قضايا الحكومة — عدد ٤ س ١٨) .

٨ — بل ان القوانين الوضعية قد عجزت عجزا ظاهرا فى مجتمع من أكبر المجتمعات وأكثرها تقدما وثراء من الناحية المادية والعلمية — وهو المجتمع الأمريكى .

فقد جاء فى مقال كتبه أحد الصحفيين المصريين من نيويورك ومنشور بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٦/١/٩ — أن أحدا لم يكن يأمن على نفسه أو ماله فى الفندق الكبير الذى ينزل فيه أو فى غيره من الفنادق الكبرى فى نيويورك — ليلا

أو نهارا بسبب العصابات التى تسطو على الآمنين .

وقد تأيد ذلك بما نشره بعدئذ أحد الكتاب المصريين فى جريدة الأهرام عن الأيدى الرقيقة المرتعشة التى تصوب المسدسات فى الطرقات لتستولى على ما مع العابرين من نقود ومصوغات .

وما أوردته احدى الصحفيات فى مقال أخير عن اللافتات التى تحذر الزوار من العدوان على حياتهم وأعراضهم وأموالهم هناك .

٩ ــ ولما كان قانون العقوبات الوضعى القائم حاليا ــ وان عالج بعض حالات الجرائم التى تقع على أموال الناس كالسرقة والاغتصاب (المواد ٣١١ وما بعدها) والنصب وخيانة الأمانة (م/٣٣٦ وما بعدها) وسرقة الأطفال (م/٢٨٣ ومابعدها) كما عالج اختلاس الأموال الأميرية والغدر (المواد ١١٢ وما بعدها) .

الا أن هذا العلاج وان صلح فى بعض الحالات التى يجوز فيها التعزير ــ الا أنه لم يفلح فى علاج تلك الحالات التى لا يصلحها الا تطبيق الحد الذى شرعه الله ــ ومن ثم فاننا نرى أن يقنن ويطبق حد السرقة والحرابة وكذلك باقى الحدود أولا ــ ويواكب ذلك بحث باقى المسائل الشرعية غير المختلف عليها كربا النسيئة وغيره لتقنينه وتطبيقه فورا ــ مع استمرار بحث وتقنين باقى المواد الأخرى التى قد يتطلب الأمر مزيدا من البحث فيها والتروى فى تطبيقها ــ وأن تقدم هذه الأبحاث والتقنينات جميعها فور الانتهاء من كل منها الى الجهات المسئولة المختصة دستوريا باصدارها ــ لنبرىء ذمتنا من البحث والرأى والمشورة ــ ونعذر الى كل مسئول عن اصدارها وتطبيقها أنه محاسب عن ذلك أمام الله وأمام أمة الاسلام .

١٠ ــ وبعد ــ فان صيحة « الله أكبر » التى رددت فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ انما هى بشير نصر وصدق ــ « ولينصرن الله من ينصره » .

فتحت لوائها أخرجنا أعداءنا من أوكارهم بعد أن ظنوا أنهم ما نعتهم حصـــونهم من الله ـ فأتاهم الله من حيث لم يحتسـبوا ـ وقـذف فى قلـوبهم الرعب ـ فكان العبـور المشهور .

والله نسـأل أن يوفقنا الى عبور أعظم ـ حين نعبر بأمتنا المجيدة من ربقة القوانين الوضعية القائمة الى رحاب شريعـة الله الغراء ـ فنعبر بذلك من الظلمات الى النور ـ وتتم بذلك الهجرة الحقة من جـديد الى الله ورسوله .

والله الهادى الى سواء السبيل ؟

المستشار السيد عبد العزيز هندى

(دعاء عند الكرب والشدة)

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العـرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم »

الهجرة .. بين إعجاز السماء وتدبير البشر

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبى

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحداث الجسيمة فى تاريخ البشرية ، لا لأنها كانت مهارة نادرة ، أو معجزة سموية استطاع بها النبى أن يخرج من مكة ومن حوله العيون والأرصاد ، فهذا عمل فردى ونتيجته حياة شخص أو موته ، ولكن أهمية الحادث ترجع الى ما ترتب عليه من تغيير فى مصاير الشعوب وتلوين فى حياتها الفكرية والاجتماعية ، والسير بموكب الحضارة بعد توقف طويل ، ثم ادخال النور الحضارى الى مجاهل لم تكن لتعرف أى فكر حضارى لو تأخر ظهور الاسلام فيها . لولا هذا الحادث لوئدت دعوة الاسلام فى مكة ، ولما وجدت هذه الثروة الفكرية الضخمة التى أنشأها الاسلام وظلت تعرف باسم الفكر الاسلامى ، وأيضا لتأخرت النهضة الأوروبية الحديثة ، أو ربما ما كاد لها وجود أصلا فبداية هذه النهضة كانت من احتكاك أوروبا المسيحية بالمسلمين ، حادث تاريخى كبير متعدد الجوانب ولا ريب .

وقد كان توفيقا من الله أن اتجه تفكير عمر بن الخطاب الى جعله مبدأ التاريخ الاسلامى ، ولو رجعنا الى أحداث التاريخ الكبرى التى أرخت بها الشعوب لوجدناه أعظمها أثرا ، وأكثر هذه الأحداث لا يعدو أن يكون حادثا كبيرا أو نادرا .

أرخ العبرانيون بنجاتهم من فرعون ، ولم تعد نجاتهم بنفع على الناس وأرخ المسيحيون بحادث محاكمة المسيح وصلبه ، ولم يتفقوا على أنه صلب بل هناك فرق ترى أن الذى صلب غيره ، ولم يؤمن اليهود برسالة المسيح أصلا ، ولم يعد الحادث على العالم بنشر رسالة اصلاحية ، ولا كان ذا سبب فى اقامة التوراة والانجيل ، فان كان

ذا أثر فى نشر المسيحية الأوروبية فقد نشر لونا من ألوان الوثنية ، ولم ينق الفكر البشرى من عبادة البشر، ولم يهدهم الى تفكير (ميتا فيزيقى) سليم •

وأرخ الأقباط فى مصر بعهد « دقلديانوس » وأرخ الروس مدة طويلة بحوادث خاصة بهم ثم أرخوا بالتاريخ المسيحى ، وهكذا نجد أحداثا ليست بذات أثر عام فى تاريخ الناس •

أذكر أننى استمعت الى محاضر فى احدى الجمعيات الصوفية العالمية استعرض فى مقدمة حديثه ــ وكان عن الحضارة البشرية وتطوراتها ــ عددا من أحداث التاريخ الكبرى ، فذكر فتوحات الاسكندر الأكبر المقدونى ، لأنها لم تكن مجرد انتصارات حربية ، بل كانت فتوحات ثقافية ، اذ كان أستاذه أرسطو يصحبه فى رحلاته وكان فى كل مكان ينزل فيه يملى محاضراته على تلاميذه ، وينشىء مدارس ومدنا تحمل اسم الاسكندر ، وسعدت من بينها مدينة الاسكندرية ، وظلت مدرسة اغريقية حتى فى العهد الرومانى • وذكر انتصار الرومان على الفرس فى موقعة « سلامس » لأنها كانت مفاجأة أذهلت العالم ، ثم هيأت للرومان أن ينشروا الفكر اليونانى ، ولو انتصر الفرس لكانت السيادة والغلبة للزرادشتية والمجوسية ، وليس وراء أى منهما نصر حضارى أو فكر فلسفى ترقى به عقليات البشر ، وذكر أيضا حادث محاكمة المسيح وصلبه ، لأنه فضلا عن كونه نشأ عن تسلط دينى يهودى ، نبه الأذهان الى دعوة المسيح، ولولا ما أحاط بهذا الحادث من سيطرة الربانيين من اليهود على عقول الغوغاء من الناس ما استطاع الرسول «بولس» أن ينشر المسيحية فى أوروبا •

واستطرد السيد المحاضر فذكر أحداثا أخرى معروفة فى تاريخ المسيحية ولكنه ــ ولا أدرى لماذا ــ أعلن فى ختامها أنه لا يؤمن بوجود الله ولا برسالة المسيح، وأنه اتجه مرة الى درس الاسلام فصده عنه ما جاء فى القرآن عن المسيح ، لكنه ذكر أيضا أن صلبه ليس مجمعا عليه من المسيحيين •

ولست بصدد الحديث عن المحاضرة والآراء التى أوردها ، وانما أذكر أنه تعرض لحادث هجرة النبى محمد (ص) الى المدينة ، وقد سماه اليتيم الموهوب ، وسمى هجرته الهرب أو الافلات ، فذكر أنها من أعظم الأحداث أثرا ، لأنها هيأت لدعوته الاسلامية أن تولد فى وضح النهار ، وجعلت تاريخ الاسلام خالصا من شوائب الخرافة التى شوهت الديانات الأخرى لكنه أبدى أسفه لما دسه المسلمون المتأخرون من خرافات لا يبدو أن نبى الاسلام قررها أو اعتمد عليها فى رسالته .

واستطرد ثانيا فذكر أن تاريخ الاسلام لم يدون الا بعد أن اختلط المسلمون بغير المسلمين وبعد أن نقلوا من الديانة اليهودية تفاصيل تلمودية ، ووقفوا من تاريخها على معجزات كثيرة وخوارق فأحبوا أن يزينوا الاسلام بأمثال لها ، وهو — كباحث غيرديني وكبقية المستشرقين — يرى أن اليهودية ذات أثر على القرآن وعلى الاسلام بوجه عام .

وأهم ما أخذه على المسلمين — وقد جاء ذلك فى عبارات عارضة له ولكنه شائع بين المستشرقين — أنهم يرجعون بكل حادث فى حياة النبى (ص) الى الوحى وتدبير السماء ، حتى ليبدو أنه لم يكن يعمل شيئا الا بنزول عليه وارشاده لما ينبغى أن يعمل .

وهذا النقد شائع عند المستشرقين تزكيه نزعتهم المادية وعدم ايمانهم برسالة نبى الاسلام ، وعدم ايمان الكثيرين منهم بالله سبحانه وتعالى ، وهم يرجعون ذلك الى سذاجة العقلية الشرقية وقد ذكر « الفريد جيوم » حادث شق صدره (ص) فقال ان المسلمين لم يفهموا الآية الكريمة : ألم نشرح لك صدرك فطبقوها تطبيقا حرفيا وجعلوا الشرح يعنى الشق .

وكان لهذه الهجمة الغربية رد فعل فى كتابات الشرقيين ، فبسببها تحاشى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ذكر معجزات الرسول وأسند كل أعماله الى فكره وتدبيره ، وذكر الدكتور طه حسين فى مقدمة كتابه « على هامش السيرة » أنه حديث للعاطفة لا للعقل .

ونحن من جانبنا نؤمن بأن كلا الأمرين الوحى السماوى والتفكير البشرى ـ كانا جميعا فى حياة رسول الله (ص) وقد اجتمعا معا فى حادث الهجرة ، كما اجتمعا فى غيرها من مواقفه ، فلا ننكر الوحى لأنه أساس ديننا الذى آمنا ، ولا ننفى ذكاء النبى وحسن تدبيره وتفطنه للأحداث ونتائجها ، فهو كان ذكيا ولا ريب والأنبياء جميعا من صفاتهم الفطانة ، وهو تلقى هذا القرآن من لدن حكيم عليم ، نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين ، وقد أمده الله سبحانه فى هجرته بنصره وتوفيقه وجاء فى القرآن الكريم : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى »

لكننا مع هذا نرى أن كتاب السيرة النبوية حقا توسعوا فى ذكر الخوارق ازاء هذا الحادث ، وجاءوا بأشياء ليس من المناسب أن يعتمد عليها المبشر الاسلامى ، وخصوصا من يدعو للاسلام فى أوروبا .

من ذلك أن القرشيين حين اجتمعوا للائتمار بمحمد (ص) دخل عليهم الشيطان فى صورة رجل من نجد ، كان هو الذى اقترح عليهم ما يعملون وردهم عما لم يره صوابا ، وهو حديث من السهل أن يفند وينفى .

ومن ذلك أن النبى حين خرج من بيته مر على الأربعين شابا فحثا التراب فى وجوههم وألقاه على رؤوسهم وهم لا يشعرون .

ومن ذلك أن آل أبى بكر لم يعرفوا شيئا عن النبى وعن أبيهم بعد خروجهم من الغار حتى سمعوا منشدا من الجن ينشد :

جزى الله رب العرش خير جزائه
رفيقين قالا خيمتى أم معبد

ومن ذلك حديث الحمامة التى جاءت الى فم الغار فبنت لها عشا والغصن النضير الذى نبت على فم الغار وامتد عليه ... الخ ، ولو أن النبى (ص) خرج على القوم ـ

وهــو يتــلو : فأغشيناهــم فهــم لا يبصرون» ماكان ثمة داع لخروجه ليلا وتخفيه فى الغار ثلاث ليال سويا، كل هــذا ممــا لا تقبله العقليــة الأوروبية •

وقــد افتتــح الدكتــور وات W. Montogomeny What كتابه « محمد » بذكر القصة المشهورة عن بحيرى الراهب ، وعلق عليها بأنهــا مقطوع بها أنهــا أسطورة وأنهــا تصور عقلية العالم الذى نشــأ فيه محمد •

والمسلمون لا يتمسكون بهــذه القصة ولا بالأقاصيص التى أشرت اليهــا فى حادث الهجــرة ، ولكننا لا نتخلى عن شىء من حقائق ديننا مجــاملة للمستشرقــين ولا لغــير المستشرقين ، ونحن نعلم أن رسول الله (ص) قــد احتاط لهــذه الرحلة احتياطا يكفى لنجاحها ، وقــد جهز أبو بكر من قبله أيضــا ما يكفى لنجاحها ، وقد ذكر صاحب السيرة ــ فى موضع غير حديث الهجرة ــ قصة لعلها أقرب الى الصواب وأحق أن تؤخذ بها •

قال : ان النبى (ص) بعد غروب الشمس وقبل مجىء العشاء ، خرج من بيته ، تســور الحائط الخلفى وكان مرتفعــا ، فوقفت جارية له بجانبه ووضــع قدمه على كتفها ثم تدلى من الجانب الآخــر حيث كان المكان خاليا ، ثم ألقى على رأســه رداء واتجه الى بيت أبى بكر ، واذن فهو قد غادر بيته قبل أن يأتى اليه الشــبان الذين يريــدون قتــله ، والخروج فى مثل هــذا الوقت من الخــدع التى تحدث ، فهــو وقت لا يتوقع الخصوم فيه هروبه ، وفى بلد كمكة قد تخلو الطرق من المارة نهائيا ، فان وجد شخص ما فلا يعنيه أن يفحص عن شــخصية مــار على رأسه رداء •

وأما النبتة التى كانت على فــم الغار فجاء عنها فى تفســير الزجاج أن النبى (ص) وأبا بكر حــين كانا فى طريقهما الى الغار مرا بشــجرة ثمام ، فأمر النبى أبا بكر أن يقتلعها ويأخذها معــه ، فلما دخلا الغــار جعلاها عند مدخله ، وهذا من خدع الحرب أيضا •

وكل هذا لا ينافى أن نجاته كانت وفيقا من الله ونصرا من عنــده .

ونحن نجدها حلقات متتابعة ليس من المــألوف أن تأتى بها المصادفة البحتة ، فالمصادفة لا تتكرر هكذا عدة مرات .

أفلت أولا من بيته ، ثم أفلت من بيت أبى بكر ، ثم خفى على أعــين الباحثين فى الغار وكانوا بمقربة منه ، ثم أفلت أخيرا من سراقة بن مالك وقد رآه رأى العين وكلمــه وكلم أبا بكر ، وقد رجع سراقة يرد الناس أن يسلكوا الطريق الذى جاء منه .

أليس هــــذا نصــرا مــن الله وتوفيقا .. ؟

ما أغنــانا بعــد هــذا عن ذكر الأساطير .

ان العظماء جميعــا تنسج حولهم الخرافات ، ويضــاف الى تاريخهم ما ليس منه فى شى ، ولكن ما الذى يحوجنا وديننا دين المنطق السليم أن نذكر هذه الأساطير ولديه من المنطق ما فيه الغناء .

دكتور عبد الجليل شلبى

((القلب))

عن الأعمش قال : سمعت مجــاهدا يقول : القلب بمنزلة الكف فاذا أذنب الرجل الذنب انقبض حتى قبض أصابعه كلها أصبعا أصبعا ، ثم طبع عليها ، . فكانوا يرون أن ذلك الــرين قال الله تعالى : ((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)) .

من الفقه المقارن :

حكم قراءة البسملة فى الصلاة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

— ١ —

اختلف الفقهـاء فى حكم قراءة البسملة فى الصلاة على قولين :

القول الأول :

أن قراءة البسملة فى الصلاة فرض من فرائض الصلاة، لا توجد الصلاة بدونها كما لا توجد بترك أى فرض من فرائضـها ، ذهـب الى ذلك الشافعية ، وبعض الصحابة، وبعض التابعين .

القول الثانى :

أن قراءة البسملة فى الصلاة ليست بفرض فتوجد الصلاة بدونها ، ذهب الى ذلك الحنفية والمـالكية والحنابلة — فى المشـهور عنهـم — وبعض الصحابة وبعض التابعين (١) .

---

(١) الفقهاء الذين قالوا بعدم فرضية البسملة فى الصلاة ، اختلفوا بعد ذلك فى حكم قراءتها فى الصلاة :

فذهب الحنفية : الى أن قراءتها فى الصلاة سنة من سنن الصلاة ، وموضعها فى كل ركعـة قبل الفاتحـة ، فيقول المصلى : بسم الله الرحمن الرحيم « سرا » ولو فى الصلاة الجهرية .

وذهب المـالكية : فى المشـهور عنهم الى كراهة قراءتها فى الصـلاة المفروضة سواء أكانت جهرية ، أم سرية ، والى جواز قراءتها فى صـلاة النافلة . وفى غير المشهور عنهم : قيل باباحتها ، وقيـل بندبها ، وقيـل بوجوبها . أنظر حاشية الشيخ أحمد الصاوى ، على الشرح الصغير ، فى مكروهات الصلاة .

وذهب الحنابلة : الى أن قراءتها سنة من سنن الصلاة فى أول الفاتحة وفى أول كل سورة وفى كل ركعة . ويسر بها ولو كانت الصلاة جهـرية . أنظر : كشاف القناع ومنتهى الارادات — فى سنن الصلاة .

وهذا الخلاف مبنى على الخلاف فى البسملة: هل هى قرآن أو ليست بقرآن ، واذا كانت قرآنا : فهل هى آية من الفاتحة ومن كل سورة أو هى آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة •

فمن ذهب الى أنها قرآن ، وأنها آية من الفاتحة ، قال : ان قراءتها فرض من فرائض الصلاة •

ومن ذهب الى أنها قرآن وأنها آية مستقلة ليست جزءا من الفاتحة ولا من غيرها من السور • قال ان قراءتها ليست بفرض فى الصلاة ، وكذلك من قال : انها ليست بقرآن: قال ان قراءتهــا ليست بفرض فى الصلاة •

ولبيــان هــذا المبنى ، سنعقد خلافيتين :

الأولى : هــل البسملة قرآن أو ليست بقرآن ؟ •

الثانيــة : هــل البسملة آية من الفاتحة ومن كل ســورة ، أو آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة ؟•

الخلافية الأولى :

هل البسملة قــرآن ، أو ليست بقرآن ؟ لا خلاف بين العلماء فى أن البسملة بعض آية فى ثنايا ســورة النمل ، ولا خلاف — أيضا — فى اثباتها خطــا فى أوائل الســور فى المصحف الا فى سورة التوبة ، كما أنه لا خــلاف بين القراء السبعة فى تلاوتها فى أول فاتحة الكتاب ، وفى أول كل سورة اذا ابتدأ بها القارىء ما خلا سورة التوبة •

وانما الخــلاف بينهم فى كونهــا قــرآنا أو ليست بقــرآن • على قولين :

القول الأول :

انها قرآن، ذهب الى ذلك الحنفية والشــافعية والحنــابلة ، وبعض الصحابة وبعض التابعين •

القول الثانى :

أنها ليست قرآنا ، ذهب الى ذلك المالكية — فى المشهور عنهم — وبعض الصحابة وبعض التابعين(١).

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول : على أن البسملة قرآن بأدلة كثيرة نذكر منها ثلاثة لقوة ظهورها فى المطلوب :

الدليل الأول :

ما رواه أحمد ومسلم والنسائى عن أنس — رضى الله عنه — أنه قال : بينما رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم بين أظهرنا فى المسجد ، اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : نزلت على آنفا سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الأبتر» ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم . قال انه نهر وعدنيه ربى — عز وجل — عليه خير كثير ، وهو حوض يرد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب انه من أمتى، فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك » .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم نزلت على الرسول — صلى الله عليه وسلم — فتكون قرآنا .

الدليل الثانى :

ما رواه أبو داود عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنه قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) قال الشوكانى فى نيل الأوطار : اعلم أن الأئمة اجمعوا على أنه لا يكفر من أثبت البسملة ولا من نفاها ، لاختلاف العلماء فيها ، بخلاف ما لو نفى حرفا مجمعا عليه أو اثبت ما لم يقل به أحد ، فانه يكفر بالاجماع جـ ٢ ص ١٦٨ — ١٦٩

وقال الشيخ منصور بن ادريس الحنبلى ، فى كتابه « كشاف القناع » قال الأصوليون : وقوة الشبهة فى « بسم الله الرحمن الرحيم » منعت التكفير من الجانبين ، تدل على أنها ليست من المسائل القطعية ، خلافا للقاضى أبى بكر جـ ١ : ص ٢٢٤

لا يعرف فصل السورة ، حتى ينزل عليه ، بسم الله الرحمن الرحيم .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم كانت تنزل على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أول كل سورة ، فتكون قرآنا .

الدليل الثالث :

أن البســملة كتبت فى المصحف الامام (١) فى أول سورة الفاتحة ، وفى أول كل سورة عدا ســورة براءة (٢) وكتبت كذلك فى مصاحف الأمصار المنقولة عنه ، وتواتر كتبها فى أوائل السور ، مع العلم بأنهم كانوا لا يكتبون فى المصحف ما ليس من القــرآن ، وكانوا يتشددون فى ذلك ، حتى انهم منعوا من كتــابة التعشير ، وأسماء السور ومن كتابة العجم (٣) وما وجد من ذلك أخيرا ، فقد كتب بغير خط المصحف ، وبمداد غير المداد الذى كتب به المصحف ليتميز عن القرآن ، وذلك كله حفظا للقرآن من أن يتسرب اليه ما ليس منه ، ولم يحصل ذلك بالنســبة الى البسملة ، فلم تميز بتمييز يخرجها عن القرآن ، بل كتبت بخط المصحف وهذا دليل واضح على أنها قرآن .

ورد هذا الدليل :

بأن كتابتها فى المصحف فى أوائل السور لا يدل قطعا على أنها قرآن ، لاحتمال أن كتابتها كان امتثالا للأمر بالبداءة بهــا فى أوائل الأمور ، فى مثــل قول النبى ــ صلى الله عليــه وسلم : ــ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فهو أبتر » .

---

(١) المصحف الامام : هو المصحف الذى أمر بنسخه الخليفة عثمان ابن عفــان ــ رضى الله عنه ــ وحمل الناس على القــراءة برسمه .

(٢) قال صاحب كشاف القنـــاع : فيكره ابتــداؤها بها لنزولها بالسيف ، وقيل لأنها مع الأنفــال سورة واحدة ج ١ : ص ٢٢٤

(٣) العجم : هو وضع النقط المميزة للحروف المتشابهة ، وشــكل الكلمــات ليكون النطق صحيحا .

ودفع هذا الرد :

بأن هذا احتمال لا يصح ايراده ، لأنه لو صح هـذا الاحتمال لكان الأولى أن بسم الله الرحمن الرحيم تكتب فى أول كل آية لا فى أول كل سورة فان كل آية أمر ذو بال ولم يقل بذلك أحد ، على أن اثباتها فى أوائل كـل سـورة فى معنى تواتر قرآنيتها ، فقد صرح عضـد الدين بأن الرسم دليل علمى (١) .

واستدل أصحاب القول الثانى :

على أن البسملة ليست قرآنا بأدلة كثيرة نذكر منها دليلين :

الدليل الأول :

ماروراه أحمدوأبو داود والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنـه عن النبى صـلى الله عليـه وسلم ـ أنه قال : ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهى: تبارك الذى بيده الملك .

ووجه الدلالة من هذا الحديث :

أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم ، وذكر عدد آيات السـورة ، وهى بالاجماع كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثون آية بدون البسملة ، فلو كانت البسملة قرآنا لذكرها ، أو ضمها اليها فى العدد .

فليست البسملة قرآنا من سـورة تبارك ولا من غيرها من السور لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد هذا الدليل :

بأن الرسول ـ صلى الله عليـه وسلم ـ انما ذكر اسم السورة ، ولم يذكر فى العـدد البسـملة ، لأن المقصود عد ما هو خاصة السورة والبسملة كالشىء المشـترك ، فلا دلالة فى الحديث على أن البسـملة ليست قرآنا .

الدليل الثانى :

أن القـرآن انما يثبت بالتواتر ، والبسملة لم يتواتر كونها قرآنا .

---

(١) نيـل الأوطار للشوكانى جـ ٢ . ص ١٧٥ .

ورد هذا الدليل :

بأنا لا نسلم عـــدم تواتر كونها قرآنا فان بعض القراء السبعة أثبتها، والقراءات السبعة متواترة ، فيلزم تواترها لقد أثبتها مـع الوصـــل بسورة قبلها ، ابن كثير ، وقالون ، وعاصم ، والنسائى ــ من القراء ، أول كل سورة عدا سورة براءة(١).

القول الراجح

والراجح ما ذهب اليه أصحاب القـــول الأول من القـــول : بأن البسملة قرآن لقوة أدلته، وسلامتها مما ورد عليها .

(يتبع)

د. ابراهيم دسوقى الشهاوى

« المرء بين الدنيا والآخرة »

عن أنس ــ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنيـــاه حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيـــا بلاغ الى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس » .

---

(١) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢ . ص ١٧٥

أضواء على سيرة الإمام الماوردي ومؤلفاته وعصره

للباحث الإسلامي المحقق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

— ٢ —

٤ ـ مؤلفات الماوردي :

« ذكر بروكلمان من مؤلفات الماوردي : تفسير القرآن واسمه كتاب النكت والعيون منه مخطوطات في رامبور وفاس واسطنبول ، وكتاب الحاوي الكبير في الفروع وهو عبارة عن عدة مجلدات منه مخطوطات في المتحف البريطاني والقاهرة واسطنبول ، ويعتزم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في القاهرة نشره ، والأحكام السلطانية وظهرت له طبعات في الشرق مليئة بالأخطاء والحذف والتصحيف وقد شكا منها المستشرق هربرت جيب وظهرت له ترجمات هولندية وفرنسية • ونصيحة الملوك مخطوط في باريس •وقوانين الوزارة وهي رسالة طبعت في مصر سنة ١٩٢٩م ومنه مخطوطة في فينا •

وتسهيل النظر وتعجيل الظفر في السياسة وفن الحكم مخطوط في غوطا واعلام النبوة منه مخطوطات في برلين والقاهرة وأدب القاضي مخطوط في اسطنبول والامثال والحكم مخطوط في ليدن والبقية العليا في أدب الدين والدنيا وهو المعروف بأدب الدنيا والدين وقد طبع أكثر من مرة وكان مقررا في التعليم الثانوي في مصر ككتاب مطالعة في العشرينات من هذا القرن •

وفيما يتعلق بمؤلفات الماوردي ذكر ابن خلكان في ترجمته للماوردي (جـ ١ ص ٣٢٦) «قيل ان الماوردي لم يظهر من تصانيفه في حياته شيئا منها • وانما جمعها كلها في موضع • فلما دنت وفاته قال لشخص يثق به : الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وانما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر • فاذا عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي • فان قبضت

عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل منى شىء فاعمد الى الكتب وألقها فى دجلة ليلا . وان بسطت يدى ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأنى قد ظفرت بما كنت أرجوه عن النية الخالصة قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت وضعت يدى فى يده فبسطها ولم يقبض على يدى فعلمت أنها علامة القبول ، فأظهرت كتبه بعد .

هذه القصة لدينا ما يماثلها بنحو آخر فى ترجمة أبى طالب المكى صاحب قوت القلوب المتوفى عام ٣٨٦ هـ . (انظر ترجمته فى المنتظم جـ ٧ ص ١٨٩ ، ١٩٠ . وذكر هذه القصة الخاصة بالماوردى التاج السبكى فى طبقاته (جـ٣ ص ٣٠٤) وعلق عليها قائلا : « لعل هذا بالنسبة الى الحاوى والا فقد رأيت من مصنفاته عدة كثيرة وعليها خطه . ومنها ما أكملت قراءته عليه فى حياته » .

وعلينا أن نناقش هذه القصة فقد أوردها ابن خلكان وصدرها بكلمة « قيل » أى أن ابن خلكان لم يجزم بصحتها .

ثانيا ـ استثنى التاج السبكى من هذه المؤلفات كتاب الحاوى ولا ندرى أى وجه لاستثنائه ، ولنتساءل عما دعا الماوردى لاخفاء هذه الموسوعة الكبيرة فى الفقه الشافعى الا أن الماوردى وجد فيما بسطه فيها من أحكام وآراء مظنة الابتداع فآثر اخفاء هذا الكتاب ؟ لقد قال ابن خلكان فى ترجمته للماوردى أنه كان حافظا للمذهب، وان له فيه «كتاب الحاوى» الذى لم يطالعه أحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب ولعل فى هذا مايدل على تداول كتاب الحاوى فى حياة مؤلفه ..

ثالثا ـ ورد فى مقدمة كتاب الأحكام السلطانية للماوردى ما يدل على أنه لم يخفه ، فقد ألف الماوردى لأحد الخليفتين: القادر أو القائم ويرجح هذا المستشرق هربرت جيب فى مقاله: نظرية الماوردى فى الخلافة وقد نشره فى مجلة الثقافة الاسلامية التى تصدر بالانكليزية فى حيدر أباد «المجلد(١١)» العدد الثالث يوليو سنة ١٩٣٧ م ص٢٩١ : ٣٠٢) .

فقد قال الماوردى فى مقدمة كتابه الأحكام السلطانية : « ولما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق ، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم

عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه وما عليه منها فيوفيه ، توخيا للعدل فى تنفيذه وقضائه وتحريا للنصفه فى أخذه وعطائه » •

وتساءل جيب عن ذلك الذى امتثل الماوردى أمره فألف له الكتاب ؟ وأضاف : أنه ليس فى كتاب التراجم من أجاب على هذا السؤال • ثم أشار الى « أن سلطان البويهيين أخذ يتزعزع منذ بداية القرن الخامس الهجرى بسبب الخلافات الداخلية ومقررات الجند وفى الوقت نفسه كان السلطان محمود الغزنوى منهمكا فى انشاء دولة واسعة فى ايران والبلاد المجاورة مع تقديم كثير من آيات الولاء للخلافة العباسية وشجعت هذه الظروف الخليفتين: القادر والقائم على أن يأملا فى استعادة نفوذ الخلافة العباسية • ومن المعروف أن الماوردى كان سفير هذين الخليفتين الناطق باسمهما فى المفاوضات الجارية بينهما وبين الأمراء البويهيين واذن فليس ثمة من شك فى أن كتاب الأحكام السلطانية ألف تلبية لرغبة أحدهما • وهذا ما تؤكده لغة المقدمة نفسها • لأن الفقيه اذا تحدث عن أمر من لزمت طاعته انصرف الكلام الى الخليفة بصفة خاصة •

واذا صح ما ذهب اليه جيب فانا نستبعد اقدام الماوردى على اخفاء كتاب الأحكام السلطانية على اعتبار أنه من الوثائق الدبلوماسية التى يتحتم الحفاظ على سريتها فان تقرير الكتاب لوجهة النظر السنية للخلافة لاستعادة نفوذها يقتضى الدعاية لها أى أن يعمد الماوردى الى نشره وتداوله وليس الى حجبه واخفائه •

رابعا ــ علينا أن نستثنى من كتب الماوردى التى قيل أنه أخفاها ابان حياته كتابا مختصرا فى الفقة الشافعى أسماه : الاقناع •

روى ياقوت فى ترجمته للماوردى « أن الخليفة القادر بالله تقدم الى أربعة من أئمة المسلمين فى أيامه فى المذاهب الأربعة أن يصنف له واحد منهم مختصرا على مذهبه • فصنف له الماوردى الاقناع (على المذهب الشافعى) وصنف له أبو الحسين

القدورى مختصره المعروف على مذهب أبى حنيفة وصنف له القاضى أبو محمد ابن نصر المالكى مختصرا آخر ولا أدرى من صنف له على مذهب أحمد . وعرضت على الخليفة فخرج الخادم الى أقضى القضاة الماوردى وقال له : يقول لك أمير المؤمنين : حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا ».

والى هنا لا تفيد هذه القصة أن كتاب الاقناع كان مباحا تداوله ابان حياة مؤلفه ، اذ الاستفادة منه كانت مقصورة على الخليفة . فقد أضاف ياقوت (ج ١٥ ص ٥٥) مايدل على عكس ذلك اذ قال : « ومن هذا المجموع « أى الاقناع » كان أقضى القضاة قد سلك طريقة فى ذوى الأرحام ، يورث القريب والبعيد بالسوية ، وهو مذهب بعض المتقدمين.

فجاءه يوما الشونيزى فى أصحاب القماقم . فصعد اليه فى المسجد وصلى ركعتين . والتفت اليه فقال له أيها الشيخ : اتبع ولا تبتدع .. فقال : بل أجتهد ولا أقلد . فلبس نعله وانصرف » .

ويستفاد من هذه القصة أنه لم يكن بوسع الشونيزى أن يقول له اتبع ولا تبتدع لا اذا كان قد سبق له الاطلاع على كتاب الاقناع . وهذا دليل على أن كتاب الاقناع كان مباحا تداوله فى حياة المؤلف .

كمايستفاد من هذه القصة أيضا أن الماوردى كان ينزع فى استنباط الأحكام الى الاجتهاد دون التقليد غير أن بيان ذلك على وجه الدقة وفى شيء من التفصيل لا تتيسر للباحث الا بعد دراسة كتاب الحاوى ومقارنته بالمطولات الأخرى فى الفقة الشافعى .

وأيا كان الأمر فقد كان الماوردى على علو كعبه فى الفقه متواضعا لا يدعى لنفسه سعة العلم والاحاطة به كما يدل على ذلك ما كتبه فى أدب الدنيا والدين (ص ٥٧) اذ قال :

« ومما أنذرك به من حالى أنى صنفت فى البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس واجهدت فيه نفسى وكددت فيه خاطرى . حتى اذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به وتصورت أننى أشد الناس اضطلاعا بعلمه ، حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان . فسألانى عن بيع عقداه فى البادية على شروط تضمنت أربع

مسائل لم أعرف لواحدة منهن جوابا ؟ فأطرقت مفكرا ، وبحالى وحالهما معتبرا ، فقالا : ماعندك فيما سألناك جوابه وأنت زعيم هذه الجماعة ؟

فقلت : لا ، فقالا : واهاً لك وانصرفا • ثم أتيا من يتقدم فى العلم كثيرا من أصحابى فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه • فبقيت مرتبكا وبحالهما وحالى معتبرا •

وانى لعلى ماكنت عليه فى تلك المسائل الى وقتى فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بهما قياد النفس وانخفض لهما جناح العجب توفيقا منحته ورشدا أوتيته • وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لمالا يحسن • فقد نهى الناس عنهما واستعاذوا بالله منهما » •

٥ ـ ما رمى به الماوردى من الاعتزال :

(نقل التاج السبكى عن طبقات الشافعية بقلم ابن الصلاح الشهرزورى قوله : « يهم الماوردى عفا الله عنه بالاعتزال • وقد كنت لا أتحقق ذلك عليه ، وأتأول له ، وأعتذر عنه فى كونه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيهما أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة ، غير متعرض لبيان ماهو الحق منها • وأقول لعل قصده ايراد كل ماقيل عن حق أو باطل •

« ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد ، حتى وجدته يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة ومابنوه على أصولهم الفاسدة • ومن ذلك مصيره فى الاعتراف الى أن الله لا يشاء عبادة الأوثان •

« وقال فى قوله تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن) (الانعام أية ١١٢) •

وجهان فى جعلنا أحدهما معناه حكمنا بأنهم أعداء ، والثانى : تركناهم على العداوة فلم يمنعهم منها •

« وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدسيسا على وجه لايفطن له الا أهل العلم والتحقيق • مع أنه من تأليف رجل لايتظاهر بالانتساب الى المعتزلة ، بل يجتهد فى كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق • ثم هو ليس

معتزليا مطلقا فانه لايوافقهم فى جميع أصولهم مثل خلق القرآن ، كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم » الانبياء آية ٢ وغير ذلك • ويوافقهم فى القدر وهى البلية التى غلبت على البصريين،وعيبوا بها قديما» نقل التاج السبكى هذه الفقرة بطولها عن ابن الصلاح ولم يعقب عليها •

٦ ـ حول كتاب الأحكام السلطانية للماوردى :

يتضح من ثبت مؤلفات الماوردى أن خمسة منها أى نصفها يتناول المسائل السياسية والادارية وفى مقدمتها كتاب الأحكام السلطانية الذى يشتمل على عشرين بابا نذكر منها عقد الامامة وهو أهمها وهى من الموضوعات التى يعنى بها علماء الكلام لأنها موضع خلاف بين أهل السنة والفرق المختلفة ومن المتكلمين المعاصرين للماوردى عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ الذى تناول الامامة من الوجهة الكلامية فى كتاب : « أصول الدين والفرق بين الفرق » •

غير ان الماوردى عالج موضوع الامامة وغيرها من الموضوعات التى تتصل بما يسمى حديثا بالقانون العام من وجهة النظر الفقهية أى مايتعلق بحكم الشرع فيها • ويتضمن كتاب الأحكام السلطانية عرضا دقيقا للنظرية السياسية عند أهل السنة • وعند المستشرق جيب : أن قصد الماوردى من التفصيلات الكثيرة التى أوردها عن الواجبات الادارية للخليفة هو تفنيد لمزاعم القائلين من أن الخلافة وظيفة دينية أو قضائية فحسب • وهذه هى فكرة البوهيين • أى أن الكتاب يتضمن أيضا دفاعا عن نظام الخلافة بعبادة أخرى تعد هذه هى المسألة الأساسية التى كانت موضع النزاع بين الخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين لأن الأخيرين كانوا يذهبون الى الشئون الادارية خارجة عن اختصاص الخلافة •

ثم شرح الماوردى الظروف والأحداث التى تؤدى الى فقدان الأمام لامامته • وتتلخص فى الجرح فى عدالته بارتكاب المحظورات والتعلق بالشبهات وفى نقص العقل أو الجسم وأخيرا نقص للتصرف

بحجز أو قهر وهذا يمس مشكلة الخلافة فى عصر الماوردى،مما يؤيد: أن كتاب الأحكام السلطانية له غرض سياسى .

يقول الماوردى فى ص ١٦ من كتابه : «وأما نقص التصرف فضربان حجر ، وقهر ؛ فأما الحجر : **فهو أن** يستولى على الخليفة من أعوانه من يستبد بتنفيذ الأمور من غير تظاهر بمعصية ولا مجاهرة بمشاقة . فلا يمنع ذلك من امامته ولا يقدح فى صحة ولايته . ولكن ينظر فى أفعال من استولى على أموره فان كانت جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز اقراره عليها تنفيذا لها وامضاء لأحكامها،لئلا يقف من الأمور الدينية مايعود بفساد على الأمة .

« وان كانت أفعاله خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز اقراره عليها ولزم الخليفة أن يستنصر من يقبض يده ويزيل تغلبه » .

والعبارة الأخيرة تتضمن تهديدا للبويهيين اذ ظلت أعمالهم تثير اعتراض الخليفة واستنصار الخليفة بمن يقبض أيدى البويهيين ويزيل تغلبهم يشير الى محمود الغزنوى الذى أنشأ دولة سنية فى ايران والهند . وهذا يرجح تأليف كتاب الأحكام السلطانية قبل سنة ٤٢١هـ وهى السنة التى توفى فيها محمود الغزنوى .

واذا كان الهدف من تأليف كتاب الأحكام السلطانية هو تحقيق غاية سياسية وهى استعادة الخلافة العباسية لنفوذها فان الماوردى لم يستوف بطبيعة الحال موضوع انعقاد البيعة القهرية التى تناولها أحد علماء القرن الثامن وهو القاضى بدر الدين ابن جماعة فى كتابه تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام الذى نشره كوفلر فى مجلة الاسلاميات فى ليبزج فى سنة ١٩٣٤ م فقد قال ابن جماعة ان الامامة الاختيارية تنعقد بطريقين والقهرية بطريق ثالث . فالطريق الأول فى الاختيارية بيعة أهل الحل والعقد والطريق الثانى استخلاف الامام الذى قبله ، وأما الطريق الثالث (الذى لم يذكره الماوردى)الذى تنعقد به البيعة القهرية فهو قهر صاحب الشوكة . فان خلا

الوقت عن امام فتصدى لها من هو ليس من أهلها . وقهر الناس بشوكته وجنوده بغير بيعة أو استخلاف انعقدت بيعته ولزمت طاعته لينتظم شمل المسلمين وتجتمع كلمتهم . ولا يقدح فى ذلك كونه جاهلا أو فاسقا ، واذا انعقدت الامامة بالشوكة والغلبة لواحد ثم قام آخر فقهر الأول بشوكته وجنوده انعزل الأول وصار الثانى اماما لما قدمنا من مصلحة المسلمين وجمع كلمتهم ولذلك قال عبد الله بن عمر فى أيام الحرة «نحن مع من غلب » .

وهذا يعد ربطا بين وقائع العصر والتفكير السياسى عند بدر الدين بن جماعة مما نفتقده فى كتاب الماوردى كما حمل بعض الباحثين الى اتهام الماوردى بأنه يتحدث عن المدينة الفاضلة . وقد نقض هذه الفكرة المستشرق الفرنسى الكونت ليون استورروج فى تصديره لترجمته الفرنسية لباب الامامة الذى أسماه ما ترجمته بقانون الخلافة (باريس سنة ١٩٢٥م ص ٢) حيث قال : « ان مثل هذه الانتقادات ممايوجهه النقاد المحدثون لكتاب الماوردى تثير سخرية الفقهاء المسلمين لوجهة النظر الاسلامية التى التزم بها الماوردى هى بعيدة كل البعد عن طريقة « فينيلون » فى كتابة «تليماك» وعن داتنى فمهمة الماوردى لم تكن بناء صرح مدينة فاضلة وتنسيق أحكامها على اعتبار أنها من المرغوب فيها ، وانما كان يقصد بيان الأحكام الفقهية بكل ما تقتضيه من دقة ، وما تتطلبه السنة الاسلامية التى تحمل فقيها على أن يقدم عرضا للشريعة الاسلامية » .

ولتدعيم هذا الرأى كتب استورروج مقدمة طويلة فى ثلاث وخمسين صفحة رجع فيها الى كتب أصول الفقه واقتبس كثيرا من فقراتها المتعلقة بالامامة واعتمد فيها على أربعة مراجع وهى كشف الأسرار للبزدوى ، ومرآة الأصول بقلم ملاخسرو ، والمواقف لعضد الدين الايجى وكتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم » .

وهناك كتاب بنفس عنوان كتاب الماوردى وهو كتاب الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ أى أن أبا يعلى هذا كان معاصرا للماوردى المتوفى عام ٤٥٠ هـ وكتاب أبى يعلى

حققه ونشره المرحوم الشيخ محمد حامد الفقى (مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٣٩م » واتضح لنا بعد الموازنة بين نص الكتابين أنهما متطابقان فى لفظيهما .

ويقول الشيخ حامد الفقى فى هذا الصدد «(ص٤٤)»: «ومن الظواهر الغريبة التى لاحظتها أن يخرج هذا العصر كتابين فى الأحكام السلطانية لامامى عصرهما ، أبى يعلى امام الحنابلة وأبى الحسن الماوردى امام الشافعية فى هذا العصر ، ويزداد الانسان عجبا حين يجد عبارة المؤلفين تكاد تكون واحدة ، لولا أن أبا يعلى يذكر فروع مذهب الامام أحمد ورواياته ويذكر الماوردى مذهب الشافعى وخلاف المالكية والحنفية ويزيد أحاديث وآثارا عن الصحابة والتابعين فى تأييد مذهبه . وكلا الامامين كان فى بغداد فى عصر واحد على ما يغلب على ظنى .

ونضيف أنه ليس هناك مجال للظن فى هذا الصدد فمن الثابت أن أبا يعلى كان فى بغداد كما فى ترجمته فى المنتظم لابن الجوزى (حـ ٨ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤) اذ قال ابن الجوزى ان أبا يعلى تولى النظر فى الحكم بحريم دار الخلافة — وفيما يتعلق بتماثل الكتابين نقول انه من المستحيل أن يكون مرد التطابق اللفظى بين الكتابين الى ما يسمى فى علم النفس بتوارد الخواطر اذ أن هذا مقصور على الأفكار العامة وليس على التفصيلات ونصوص العبارات . والراجح فى نظرنا أن المتأخر أخذ عن المتقدم فأبو يعلى توفى بعد وفاة الماوردى بثمانى سنوات وتسنى له أن يأخذ كتاب الماوردى وينتحله لنفسه مضيفا اليه آراء الحنابلة فى الأحكام السلطانية .

ومن الطريف أن البيعة القهرية وردت فى كتاب أبو يعلى (ص ٦) فقد سئل أحمد بن حنبل : فى الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيفتن الناس فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم . مع من تكون الجمعة ؟ قال الامام أحمد مع من غلب .

وموضـوع التمـاثل اللفظى بـين الكتب العربية هو من الظواهر المعروفة فهناك مثلا تشابه لفظى فى عـدد غير قليل من الفقرات بين كتاب المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ وكتاب المحاسن والمساوىءللبيهقى وكذلك الحال فى المؤلفات الخاصة بالحسبة.

* * *

وقد وجدت تماثلا لفظيا فى ترجمة بدر الدين ابن جماعة ، فى كل من فوات الوفيـات لابن شاكر الـكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ «جـ ٢ ص٢٥٣» وكتاب نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى ، المتوفى فى نفس العام أى ٧٦٤ هـ (ص ٢٣٥) وحل هـذا الاشـكال من السهـولة بمكان ؛ لأن بدر الدين ابن جماعة كان شـيخا للصـفدى ، وورد فى ترجمة الصفدى لابن جماعة قوله: «وحدث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبى . وهـذه العبارة وردت فى فوات الوفيات » لابن شاكر، ثم تليها العبـارة التالية التى لم ترد فى كلام ابن شاكر .وهى كما فى الصفدى :» وسمعتهـا أنا عليه مع جماعة بمنزله بمصر مجاورا لجامع الناصرى وأجاز لى ــ أى الصفدى ــ سنة ثمان وعشرين وسـبعمائة . ويلى ذلك ما يزيد على نصف صـفحة متماثلة لفظا فى كل من الكتابين .

ومن الواضح أن ابن شاكر الكتبى نقل ترجمة ابن جماعة عن الصفدى مع أن المؤلفين توفيـا فى عام واحـد وهو ٧٦٤ هـ .

عبد العزيز عبد الحق حلمى

« فضل العمـل »

عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال « قال رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأعرابى أهمـل ناقته ــ وقال توكلت على الله ــ اعقلها وتوكل » .

كنت ملحدة

لست حجة في أمور الدين ، بل لم أكن متدينة اطلاقا ، وكنت ملحدة غير مؤمنة أسخر من كل ما يتصل بالدين ، ولكنى رجعت الى نفسى يوما ، فلما أدركت فداحة خطبى ووجدت أنى أمعنت فى تحطيم تلك الفتاة التى كانت يوما سعيدة ناجحة — وهى أنا — لم يسعنى الا أن أتحسر على نفسى ، ورحت أضرع الى الخالق فى أسى غامر وندم مرير ، أن يرحمنى وينقذنى !

وكنت كلما أخذتنى نوبة من الندم والبكاء كثيرا ما أتساءل : « أين هو الله الذى يصورونه رحيما محبا عطوفا ؟ ولماذا يسمح لمخلوقة ضعيفة مثلى أن تحطم حياتها وتجلب العار والحزن واليأس للذين أحبوها وضحوا الكثير كى يحققوا لها الشهرة والنجاح ؟ ! » ..

ومضت شهور أدركت بعدها أننى كنت مخطئة ، فقد انبثق من الظلمة التى اكتنفت حياتى ذلك الشعاع الهادىء المنبعث من نور اليقين الذى يمسه كل من يراجع نفسه بدقة ويحاول مخلصا أن يعرف نفسه على حقيقتها !

اننى أستطيع الآن أن أبرهن على وجود الخالق ، لا بالبراهين الدينية أو الوسائل العلمية ، فلا علم لى بهذه أو تلك ، ولكن ببراهين مستمدة من حياتى نفسها !

ان الخطأ الأكبر الذى يقع فيه الكثيرون والكثيرات ، ممن يقرون أنهم لا يؤمنون هو أنهم يتخذون هذا القرار قبل أن يدركوا شيئا يذكر عن حقيقة ذلك الذى لا يؤمنون به ، وعندى أن أول خطوة نحو الايمان بوجود الله ، أن يدرك المرء

أن ثمة قوة أعظم منا ، وأعظم من قوانين الطبيعة التى نعرفها ، وهذه القوة العظمى يمكن أن توجهنا وتهدينا وتنقذنا لو أننا توجهنا اليها وطلبنا معونتها مخلصين ، وحينما نلمس أثر ذلك واضحا جليا فى حياتنا لن تكون لنا مندوحة عن الايمان بهذه القوة الخفية ، أى الايمان بالله !

ولا شك أن كثيرين منا ، يصعب عليهم أن يدركوا ذلك ، وقد كان صعبا على أنا كذلك فى أول الأمر ، ولكننى أخذت بعد ذلك أعيه قليلا قليلا خلال أيامى الأولى فى ملجأ المدمنات ، الذى أويت اليه بعد أن أخفقت فى العثور على مكان آخر يأوينى !

كنت حينما التحقت بهذا الملجأ فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، وكنت قد ربحت برغم هذه السن الصغيرة أكثر من مليون دولار ، لكننى أنفقتها جميعا خلال الستة عشر عاما التى أدمنت فيها الخمور !

وفى خلال هذه الفترة نفسها ، تزوجت أربع مرات ، وكنت فى كل مرة أخفق فى الاحتفاظ بزوجى ، وقد حاولت الانتحار مرارا ، وبلغت حالتى من اليأس والبؤس أن نبذنى جميع أقاربى ومعارفى عدا أمى ، فقد بقيت وحدها لى ، برغم أن الناس كثيرا ما كانوا يلومونها على قتلها نفسها ببطء فى محاولاتها لانقاذى ، وكانوا يقولون لها مخلصين مشفقين : « انسى ابنتك . اعتبرى نفسك ليس لك ابنة . ان موتها خير من بقائها على قيد الحياة » ! .

كنت ثائرة الأعصاب ، مشلولة الارادة ، لا قدرة لى على كبح جماح نفسى ، ولكنى فى اللحظات القلائل لهدوء أعصابى ، كنت أشعر بالرثاء لنفسى ، وبالأسى والأسف على ما آلت اليه حالتى ، ثم أتساءل حائرة : اذا كان الله موجودا حقا فلماذا لا يرحمنى ؟

وشاء الله أن كانت جارتى فى الملجأ شابة مؤمنة طيبة القلب ، فأخذت تتلطف فى مواساتى وتهدئة ثائرتى ، قائلة لى : « آمنى أولا بأن هناك قوة عظمى تستطيع أن تصنع المعجزات ولك الآن أن تسمى هذه القوة بأى اسم شئت ؛ فالمهم أن

تؤمنى بوجودها وأن تتجهى اليهـا بعد ذلك لكى تحقق لك ماعجزت أنت عن تحقيقه » ..

وكنت اذ أستمع لحديث جارتى هذه ، أمعن فى البكاء ، ثم أعترف لها بأننى لا أستطيع أن أومن بقوة فى الكون يمكن أن يكون لهـا أى اتصال بنا !

وفى ذات مرة ، قالت لى جارتى : « فكرى فيمن حولك هنا من المدمنين العاجزين الميئوس من حالات ، لقد كان عـددهم أكثر من مائتين ، من الرجال والنسـاء ، ولكن عـددهم الآن قد نقص كثيرا ، اذ شفى منهم كثيرون وكثيرات ، ولولا تلك القوة العظمى وايمانهم بها ، ما استطاعوا نهائيا من أسر الادمان ! » .. وقد لمست هـذه العبـارة موضعا حساسا من ذهنى الذى بلده الادمان فقلت لنفسى : « نعم .. ان كثيرين هنـا تخلصـوا من لعنة الخمر ، فمـاذا لو آمنت بهذه القوة وتضرعت اليها مخلصة أن تنقذنى من الوهدة التى هويت اليها ؟ ! » ..

وكانت هذه هى نقطة التحول فى مجرى حياتى ، وما لبثت قليلا حتى تخلصت من سيطرة الخمر وسلطانها على نفسى ، وكان الفضل الأكبر فى ذلك لايمـانى بوجـود تلك القـوة العظمى ولاتجاهى اليها مخلصـة ، ملتمسة عندها ما عجزت عن تحقيقه لنفسى !

لقد تطور تفكيرى كثيرا ، بعـد أن شـفيت من الادمان .. بـدأت أدرك أن هنـاك أشـياء كثيرة ينبغى أن نتقبلها ونؤمن بوجودها وان لم نستطع بحواسنا الخمس أن ندركها أو نعرف ماهيتهـا ، ان انكار هـذه الأشياء ينطوى فى الواقع على انكار لملكة التفكير والعقل عندنا ، فنحن لا نستطيع مثـلا أن نفهم ماهيـة الكهرباء أو الالكترونات ولا نستطيع أن نراها أو نلمسها ومع ذلك لا ننكر وجودها ، لأننا نرى آثارها واضـحة جلية ، فلماذا اذن لا نؤمن بوجود الله ما دمنا نرى آثار صنعه وقدرته ورحمته ، وان لم نكن نراه ؟ !

أيهما أصعب ـ مثلا ـ أن تتقبل عقيدة وجود الخالق ، أو أن تتقبل الحقيقة القائلة بأن الحصاة الصـغيرة

تختزن بداخلها من الطاقة ما يكفى لأن ينسف مدينة كاملة .

ولن أنسى ما حييت عبارة سمعتها من صديق كنت أناقش واياه فى هذا الشأن ، لقد قال لى : « انك تفكرين فى الخالق لأنه موجود، ولو لم يكن موجودا ما استطعت أن تفكرى فيه، لأن أى مخلوق لا يستطيع أن يفكر فى شىء لا وجود له » .

وقد يقال : اننا نستطيع أن نتصور بخيالنا أشياء لا وجود لها، فنستطيع — مثلا — أن نتخيل وجود رجل له خمس سيقان ، أو نتخيل صور الكائنات حية تعيش فى الكواكب .

وأبلغ رد على هذا ، أن صور الأشياء التى نتخيلها لا يمكن أن تكون عناصرها كلها غير موجودة ، بل لابد أن يكون بعضها موجودا مرتسما فى أذهاننا ، وعلى أساسه نتصور بقية العناصر التى نتخيلها !

وعلى هذا الأساس نفسه ، لابد لنا من أن نؤمن بوجود الله ، لأن انكار وجوده لا يتفق عقلا مع استطاعتنا التفكير فيه !

وهذه الساعة التى أزين بها معصم يدى — مثلا — اننى لو فككت أجزاءها وأخذت أتطلع الى أجزائها الصغيرة الدقيقة ، لأيقنت ، بأن لها صانعا ، وحسبى لتيقن وجود هذا الصانع أننى أرى الساعة التى صنعها ، وان لم أكن أراه !

والآن ، دعنا نتأمل فى أى عضو من أعضاء الجسم ، وليكن العين بمحتوياتها من عدسة وقزحية وشبكية وغيرها .. اننا لا يمكن أن نقول ان هذه العين وجدت هكذا بمحض الصدفة ، أو أن الصدفة هى التى أوجدت النظام الدقيق الذى تؤدى وظيفتها طبقا له ، فكيف يجوز لقائل أن يقول : ان هذا الكون الهائل الدقيق النظام ليست هناك قوة أكبر منه هى التى أوجدته ، وهى التى تنظمه ؟ !

اننى لا أستطيع بأية حال أن أقتنع بأن العجائب الكثيرة الدقيقة التى نشهدها فى الكواكب والنجوم والأفلام العديدة ، أو نبصرها فى

أنفسنا يمكن أن تكون وليدة الحظ أو المصادفة !

وأعود وأتساءل : كيف يمكن أن يكون هناك ذلك التعطش العام لمعرفة الخالق بين جميع الشعوب على اختلافها ، دون أن يكون هناك خالق ؟ . أكان يمكن أن نشعر بالجوع لو أننا لم نعرف الطعام ؟ .. وهذه الأحاسيس الفوارة ، والأفكار والايحاءات التى تدفعنا وتمكننا من القيام بأشياء خارجة عن قدرتنا ، هل يمكن أن تنبع الا من قوة خارجة عنا محيطة بنا ، ملازمة لنا ؟

انه لمن المستحيل عقلا ، ألا يكون هناك أساس لذلك الايمان بالخالق ، الذى يعمر القلوب فى جميع أرجاء العالم !

على أن ثمة دليلا آخر أعده انا برهانا قاطعا على وجود الخالق .

وهذا الدليل مستمد من حياتى أنا .. لقد كنت ذليلة أسيرة للآثام والشرور ، فتخلصت من ذلك الأسر وعدت مرة أخرى مرفوعة الرأس ومنذ أصدرت كتابى الذى رويت فيه قصتى ، يكتب لى مئات القراء ، مؤكدين أن - كلماتى شجعتهم وجددت حياتهم ومنحتهم قوة مكنتهم من مواجهة متاعبهم ومآسيهم فى صبر وشجاعة ، فمن أين لى هذا ؟ ، اننى أعرف أنه ليس لى من الذكاء أودرجة التعليم أوالقوة ماكان يمكننى من ذلك ، لولا أن الله أعطانى هذه القوة وبث هذه الكلمات والأفكار فى ذهنى فأقدرنى على أن أنفع بها الكثيرين أليس هذا دليلا على قوة الايمان الايجابية ، وعلى أننى لم أكن الا أداة لقوة خارجة عنى ، قوة لا أستطيع أن أراها ، ولكن حضورها معى يتجلى لى بين حين وحين ؟ !

عن مجلة
CORNET

الهجرة النبوية

إيذانٌ بقيام الدولة الإسلامية

للأستاذ على عبد العظيم

حينما اختار المسلمون « الهجرة النبوية » مبدأ لتاريخهم المجيد كانوا مُوَفَّقين كل التوفيق فى هذا الاختيار فلو اختاروا مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعثته أووفاته مبدأ لتاريخهم لكان هذا الاختيار تقديسا لانسان ، والاسلام يعنى بتقديس القيم المثالية العليا لا بتقديس الأشخاص ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذروة العليا للبشرية جمعاء ولكنه بشر ، والمبالغة فى تقديسه قد تجر الى عبادته كما فعل المسيحيون حينما أرخوا بميلاد المسيح عليه السلام .

ولقد كانت الهجرة النبوية اعلاناً لقيام الدولة الاسلامية وارساء لأركان الأمة المثالية التى أعدها الله لتكون «خير أمة أخرجت للناس» فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يهاجر من مكة الى المدينة خوفا على حياته ــ وان كانت حياته فى مكة مهددة بالاخطار ــ ولا جزعا من الاستشهاد فى سبيل الله لأن الشهادة فى الله كانت أقصى أمانيه ، وهو القائل : « والذى نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزوَ فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل . ثم أغزو فأقتل » . رواه مسلم . والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة المثالية لأمته فى الجهاد وهو أفضل الرسل «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحدا الا الله » ؛ ولو كان الهدف من الهجرة مقصورا على طلب الأمن والنجاة من الأخطار لهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحبشة حيث لقى المهاجرون الأولون فيها مكانا آمنا مطمئنا ، وملكا عادلا رحيما ، يعطف على الاسلام والمسلمين ، وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليخشى الظلم أو يرهب الطغيانَ وقد ظل

يصارعه ثلاثة عشر عاما ويواجهه فى حزم وشجاعة واباء لا يخشى فى الله لومة لائم ولا يبالى فى الحق عدوان غاشم ، ولاجبروت ظالم ، سواء عليه أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وكانت شجاعته مضرب الأمثال . قال الامام على رضى الله عنه ـ وهو البطل المغوار ـ « كنا اذا احمرَّ البأس ولقىَ القومُ القومَ اتقَينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » وقال البراء : « كنا اذا احمر البأس تتقى به ، وان الشجاع منا الذى يحاذيه » وقال عمران بن الحصين : « ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب » ولقد انهزم المسلمون عنه يوم أحد كما انهزموا عنه يوم حنين وأحاط الخطر به من كل جانب فما ارتد عن موقفه ولا فكر فى النجاة بنفسه ، وانما ظل ثابتا كالطود الراسخ حتى استرد المسلمون أنفاسهم وعادوا اليه مستبسلين ، فاذا الهزيمة الساحقة تصبح نصرا مبينا بفضل شجاعته ورباطة جأشه وقوة عزيمته وصدق ايمانه .

* * *

والرسول صلى الله عليه وسلم ما فكر فى الهجرة الا بعد أن كادت الدعوة الاسلامية تختنق داخل مكة ،

أما الهدف الأساسى من الهجرة فهو ما نسميه فى الاصطلاح السياسى الحديث باسم « تأسيس حكومة حرة بالخارج » ونحن نعلم أن الجزائر كانت تكافح الاستعمار الفرنسى فى الداخل ولا يكاد يشعر بها أحد ، فلما أسَّست حكومة حرة بالخارج اتصلت هذه الحكومة بالدول العربية فاعترفت بها ، وأمدتها بالمال والسلاح ، كما اتصلت بالدول الحرة وشرحت قضيتها فلقيت اهتماما دوليا بهذه القضية حتى فى داخل فرنسا نفسها ، وبهذا نالت استقلالها واستردت حريتها وفرضت على المستعمرين الرحيل ونحن الآن نهيب باخواننا الفلسطينيين أن يتحدوا ويؤسسوا حكومة حرة بالخارج تعترف بها الدول العربية والاسلامية ودول المعسكر الثالث ، وبهذا تشق طريقها الى الحرية والاستقلال وتحرير فلسطين من احتلال الطغاة الظالمين .

* * *

ولا تجد لها منفذا الى العالم الفسيح، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعرض لوفود القبائل القادمة الى مكة يعرض عليهم الاسلام ويدعوهم الى عبادة الله فيسبقه زعماء قريش الى هذه الوفود يحذرونهم من دعوته قائلين لهم انه منا ، ونحن أعلم به منكم ، انه كاهن ! انه ساحر ! انه كذاب ! انه شاعر ! انه يسمعكم أساطير الأولين « اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » « انما يعلمه بشر » ... فتنصرف الوفود عن دعوته فى اعراض واستنكار .

وقلّ الأمل فى اسلام أهل مكة لأنهم ركبوا رءوسهم وألغوا عقولهم وأصروا واستكبروا استكبارا .وهم يعلمون فى قرارة أنفسهم أن محمدا « الصادق الأمين » والله سبحانه يواجههم ويتحدّاهم بهذه الحقيقة التى يحاولون اخفاءها فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : «قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون ، فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ولقد وصف القرآن الكريم عناد المشركين فى أبلغ عبارة حيث قال : « ولو نزّلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين» وحيث قال : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سُكِّرَت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » واشتد ايذاء قريش للمسلمين فهاجر منهم من هاجر الى الحبشة ، فلاحقتهم قريش بارسال وفد الى النجاشى عاهل الحبشة وحمل الوفد معه ألطافا من الهدايا اليه طالبا من النجاشى رد المسلمين الى قريش لتنكل بهم جزاء لهم على اسلامهم لله وهجرتهم فى سبيل الله ؛ فأبى النجاشى أن يخفر ذمته وأن ينقض عهده لهؤلاء اللاجئين الى حمايته ورد هدايا قريش اليها وقابل وفدها اليه بما يستحقه من صد وجفاء .



ولقد كادت الدعوة الاسلامية تختنق فى شعاب مكة ، وهى دعوة عالمية موجهة الى البشر أجمعين ، ولقى المسلمون بمكة أهوالاً شداداً وتعرضوا لحصار اقتصادى عنيف كاد يميتهم جوعا وتحمل بعضهم من

التعـذيب والتنكيل ما يكاد يفوق طاقة البشر مثـل آل ياسر ، وكابد الرسول صلى الله عليه وسلم ما كابد من ألوان الايذاء وأيقن أنه اذا ظل باقيا بمكة فلن ترتفع راية للاسلام.
حينئذ فكر فى الهجرة الى بلد آمن يتمكن فيه من تأسيس حكومة حرة تستطيع أن تباشر نشـاطها وتؤدى واجبها فى الدعوة الى الله وابلاغ هذه الدعوة الى أرجاء الجزيرة العربيـة ثم الى الدول المجاورة ثم نشرها فى ربوع العالم كله تنفيذا لأمر الله ، وانتظر محمد صلى الله عليه وسـلم أمر ربه فى الهجرة وأذن لأصـحابه بالهجرة وظل باقيا بمكة حتى يأذن له الله ، وهو فى موقفه هـذا مثل ربان السفينة حينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج وتتعرض السـفينة للغرق بمن فيها من الركبان ، فى هذه الحالة الخطيرة يأمر الربان باعداد زوارق النجاة ويأمر البحارة بانزال الأطفال ثم النسـاء ثم الرجال . ثم يغـادر البحارة السـفينة الى زوارق النجاة ويكون الربان آخر من يغادر السفينة وقد لا يتمكن من النجاة فتهبط به الى الأعماق . وهكذا سمح النبى صلى الله عليه وسـلم للقادرين من أصحابه على الهجرة بأن يهاجروا . وظل بمكة حتى جاءه أمر الله بالهجرة فلحق باخوانه المهاجرين .

وكان قبـل هجرته يدبر تنظيم الحكومة الاسلامية التى هداه الله الى اقامتها لتحرير الانسانية واخراجها من الفساد الى الرشاد ومن الظلمات الى النور تحقيقا لقول الله تعـالى له ــ وهو بمكة ــ « كتاب أنزلنـاه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » .

أما اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة دارا لهجرته ومصدراً لدعوته وعاصمة لحكومته الحرة فان ذلك بتوجيه من الله سبحانه لأسباب عديدة ، أهمها :

١ ــ كانت المدينة مقرا لكثير من اليهود ، وهم أهل كتاب لا يعكفون على الأصـنام ولا يطـوفون على الأوثان ، وكانوا يعلنون انتظـارهم لدين جديد ينشر السـلام ، وكان

سكان المدينة يسمعون هذا الاعلان فيتطلعون الى هذا الدين الذى يرفع راية السلام بعد أن عضتهم الحروب بأنيابها وبعد أن اشتدت ويلات القتال بين هؤلاء السكان من الأوس والخزرج حتى تخضبت الأرض بالدماء • ومن الغريب أن اليهود كفروا بهذا الدين الذى ظلوا يترقبونه فترة طويلة من الزمان « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » •

وكان التبشير بدين جديد قد هيأ أذهان سكان المدينة لاعتناق هذا الدين الجديد وبخاصة بعد أن جاءهم به رسول عربى كريم •

٢ ــ ان المدينة متصلة بمعظم أرجاء الجزيرة العربية فتستطيع الدعوة الاسلامية أن تنتشر منها الى جميع هذه الأرجاء ، ولهذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل الدعاة منها الى جميع القبائل العربية وأن يستقبل وفود هذه القبائل اليه ، واستطاع منها أيضا أن يحرر مكة وأن يطهر البيت الحرام من الأصنام والأوثان ، وبهذا قضى على بؤرة الوثنية فى الجزيرة العربية فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، وظلت المدينة فى عهد الرسول وعهد خلفائه الراشدين عاصمة الدولة الفتية التى أقامها الاسلام •

٣ ــ ان أخوال النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لأبيه كانوا مقيمين بالمدينة ولهم بها مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، وحينما يفارق النبى صلى الله عليه وسلم مكة وأهلها الذين تنكروا لرسالته فانه سيجد بالمدينة أهلا بأهل وجيرانا بجيران ، والقوم الجدد أبر وأحنى وأرحم • وأسرع استجابة للدين الجديد وتحمسا له من المشركين المصرين على الجحود والكفران •

٤ ــ كان الأوس والخزرج ــ وهما غالبية سكان المدينة ــ من سلالة القحطانيين باليمن وقد ورثوا عن أسلافهم حضارة اليمن وملك سبأ وحمير ؛ فلديهم استعداد قوى للانتظام فى دولة متحضرة كما فعل اخوانهم المناذرة فى العراق ، والغساسنة فى الشام ، والكنديون فى نجد ، ولقد هم الأوس والخزرج

بانشاء دولة توحد كلمتهم وتجمع شملهم وتمحو العداوات القائمة بينهم وكادوا يعقدون التاج لعبد الله ابن أبى سلول ، ولكن الله أبدلهم بالملك خيرا منه وهو الاسلام ، ولهذا كان عبد الله بن أبى سلول ناقما على الاسلام لأنه سلبه التاج فكان رأسا للمنافقين حتى هلك .

٥ — اشتهر الأنصار — الأوس والخزرج — بالبذل والتضحية والايثار ، وفيهم نزلت الآية الكريمة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقد مدوا يد المعونة الى اخوانهم المهاجرين اليهم من مكة ، فأحلوهم معهم فى دورهم وشاطروهم أموالهم وبذلوا من المودة ما يبذله الاخوان للاخوان .

٦ — وكما عرف الأنصار بالكرم والسخاء عرفوا أيضا بالبأس والشجاعة والفداء ، ولقد تجلى هذا فى مبايعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أن هذه البيعة قد تعرضهم لمحاربة العرب جميعا لا محاربة قريش وحدها ، ولقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه فآووا الرسول وصحابته ، وباعوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله ، وعلى جهودهم وجهادهم قامت دولة الاسلام وبفضلهم وفضل اخوانهم المهاجرين عم الاسلام الشرق والغرب وانتصرت كلمة الحق وأظهره الله على الدين كله « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

٧ — ان المدينة بحكم موقعها الجغرافى تقع على أهم طريق تجارى ، وكانت قوافل قريش تحمل التجارة العالمية عبر هذا الطريق فى رحلتى الشتاء والصيف ؛ فقد كانت تجارة الشرق تفد من الصين والهند وجزر الهند الشرقية لتتجمع فى اليمن وكانت تجارة الغرب تفد من البندقية والروم والجرمان والفرنجة الى الشام ؛ وكان التبادل التجارى بين الشرق والغرب فى هذا العصر لا يمكن أن يتم الا عن طريق الحجاز ، لأن البحر الأحمر كان مغلقا ومليئا بالشعب المرجانية وبالقراصنة ، والطريق بين الشام والعراق والخليج العربى مغلق للحروب الطاحنة المستمرة بين الامبراطورية الفارسية المسيطرة على العراق ، والامبراطورية الرومانية المسيطرة على الشام ؛ وكانت قريش تقطع طريق الحجاز

بالبضائع العالمية بين اليمن والشام آمنة مطمئنة لأنها القائمة على خدمة الأصنام فى البيت الحرام ، ولكل قبيلة عربية صنم حول الكعبة تشد اليه الرحال فى موسم الحج فى كل عام فكسبت قريش قداسة عند العرب لقداسة هذه الأصنام ، وازدادت قداسة قريش بعد حادثة الفيل التى غزا فيها أبرهة مكة بجيش جرار لا قبل لقريش به ، قاصدا هدم الكعبة ، ومعه الفيل لارهاب قريش؛ فخاب قصده وباء بالهزيمة دون قتال بعد أن أرسل الله عليه الطير الأبابيل وتفشى فى جيشه المرض الوبيل ، قال تعالى « أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء » وقال تعالى « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

والذى يسيطر على المدينة يستطيع السيطرة على هذا الطريق التجارى وقطع تجارة قريش اذا لجّت فى العدوان ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والشر بالشر ، والبادىء أظلم ، ولا عدوان الا على الظالمين .

٨ — ان المدينة أشبه بواحة خصيبة فى الصحراء ، ففيها آبار عديدة وفيها غابات من النخيل وجوها معتدل بالنسبة الى مكة وقد انعكس أثر مناخها على سكانها فظهرت فيهم رقة السجايا وعذوبة الشمائل ونبل الأخلاق ، وهى بحكم موقعها متوسطة بين الشمال والجنوب ، وتمتد منها طرق عديدة الى جدة ومكة واليمن بالجنوب ، والى نجد وشواطىء الخليج بالشرق ، والى ينبع بالغرب ، والى الشام بالشمال ، وهى بحكم هذا الموقع صالحة لتكون عاصمة مناسبة للدولة الفتيّة التى أنشأها الاسلام .

٩ — ان المهاجرين الأولين من المسلمين هم صفوة العدنانيين ؛ والذين استجابوا للاسلام من الأوس والخزرج هم صفوة القحطانيين ؛ والعدنانيون والقحطانيون هما الشعبان العظيمان اللذان يتكون منهما العرب ، فاذا التقت صفوة هذين الشعبين وانضم اليهما صفوة الذين أسلموا من أهل الكتاب ، وبزغ فى آفاقهم بعض الطلائع النموذجية مثل سلمان من الفرس وصهيب من الرومان ،

وبلال من الأحباش اذا التقى هؤلاء جميعا تكونت من هذه الصفوة النقية وحدة قوية هى رمز للوحدة العالمية التى أرادها الله للاسلام ، وحدة لا تفرق بين الأجناس والألوان ، ولا بين الأغنياء والفقراء ولا بين السادة والعبيد ، ولا تفاضل بينهم جميعا الا بتقوى الله .

١٠ — ان المدينة تجمع بين مزايا الحضارة والبداوة ؛ ففيها استعداد للثقافة العلمية التى نمت فيها مع من هاجر اليها من اليمن وبخاصة الأشاعرة وبما تردد فيها من الفلسفة اليهودية العبرية المتأثرة بحضارة الاغريق والرومان ، وفيها الى هذا خشونة البادية وما تمتاز به من قوة وشدة احتمال ، وبعد عن الترف والانحلال ، وبهذا تهيأت لها الوسائل لتكون عاصمة « خير أمة أخرجت للناس » بعد أن صقلها الاسلام وهذبها الايمان وحلق بها القرآن .



ولقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يخطط قبل هجرته لانشاء الدولة الاسلامية والتقى فى مكة سراً بصفوة من استجاب للاسلام من أهل المدينة ، وكان معه عمه العباس وكان لا يزال وثنيا ، ولكن حبه لابن أخيه سما به عن التأثر بعقيدة الضلال ، ولما تم اللقاء وقف العباس فيهم خطيبا قائلا : « يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم ، من الآن فدعوه » ثم تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله ورغّب فى الاسلام ثم طلب منهم أن يبايعوه ، قال جابر بن عبد الله : يا رسول الله علام نبايعك؟ فقال : « على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر . وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقوموا فى الله لا تخافون لومة لائم وأن

تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم ، ولكم الجنة » فقال البراء : « نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا وأنفسنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب ورثناها كابراً عن كابر » وكان البراء سيد قومه وقد أسلم بعد العقبة الأولى وقام بكل ما يفرضه عليه الاسلام ، وأقبل القوم فى حماس على مبايعة رسول الله .

وبهذا العهد والميثاق وعلى أساس البيعة قامت دولة الاسلام ، وقد التزم القائمون بها بتنفيذ شعائر الاسلام والسمع والطاعة للقائد الأعلى للدولة الاسلامية صلى الله عليه وسلم ، وبالدفاع عن الدولة والتضحية فى سبيلها بالأرواح والأموال .

وبعد البيعة مباشرة بدأت عملية التنظيم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم » وبهذا قسمهم الى أسرات صغيرة وجعل لكل أسرة قائدا يتولى الاشراف على التنفيذ وصحة التطبيق وتحمل المسئولية ، وترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهم حرية الاختيار فأحسنوا الاختيار ، ثم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى المسلمين » وكانت البيعة سرا ولكن القوم أحسوا أن المشركين شعروا بهم فقال العباس ابن عبادة — وقد امتلأ قلبه بنور الايمان — معبرا عن مشاعر اخوانه: « يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق ان شئتَ لنميلن على أهل منىً غداً بأسيافنا» فقال له القائد الحكيم صلوات الله وسلامه عليه « لم نُؤمر بذلك » وعاد أهل البيعة الى المدينة لينشروا بها دعوة الاسلام .

وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة ، فكان الصحابى يهاجر بأهله وماله ان استطاع — وقلما يستطيع — وكثيرا ما كان يهاجر تاركا أهله وماله وديعة عند الله وتزايد عدد المسلمين بالمدينة، وامتزج المهاجرون بالأنصار وبدأ وجود قوى لدولة اسلامية قوية فتية تترقب وصول قائدها الملهم المحبوب.

« رأى مؤسس الدولة الحكيم أن يرسل مندوبا فوق العادة أوممثلا شخصيا له الى المدينة يعلّم أهلها القرآن ويرشدهم الى شعائرالاسلام ويتبادل معهم الرأى فيما يجد من أحداث ويوجه الدعوة الاسلامية الى أصحاب الضمائر الحية ممن لم يدخلوا فى الاسلام وكان هذا السفير هو مصعب بن عمير وقد أبلى أحسن البلاء فى أداء مهمته السامية وأسلم على يديه خلق كثير وقام فى المدينة المجتمع الاسلامى الرشيد وأذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة فهاجر اليها • وبهذه تم انشاء الدولة الاسلامية • فقوى المسلمون بعد الضعف وعزوا بعد الهوان ، وسادوا بعد الامتهان ونصرهم الله بعد المذلة وتحرروا بعد الاستعباد •

وبدأ القائد الأعلى فى تأمين الجبهة الداخلية فأزال ما كان بين الأوس والخزرج من عداء ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وتغاضى عن المنافقين المتظاهرين بالاسلام لعلهم يثوبون الى الايمان ، وعقد هدنة بينه وبين اليهود •

ثم عمل على تأمين الجبهة الخارجية باعداد الكتائب الفدائية وانشاء الجيش الاسلامى وتدريبه على أساليب القتال وبخاصة سلاح الرماة •

والحديث عن التأمين الداخلى والخارجى يحتاج الى عدة مقالات نرجو أن نكتبها عن قريب ان شاء الله •

* * *

ونحن حينما نحتفى بعيد الهجرة النبوية نحتفى بتأسيس الدولة الاسلامية ، واذاكنا معشر المسلمين المعاصرين قد تأخر بنا الزمان عن الشرف بالهجرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان أمامنا عدة هجرات علينا أن نؤديها حق الأداء • منها الهجرة فى سبيل العلم ، والهجرة فى سبيل الرزق والهجرة فى سبيل الدفاع عن الاسلام ، والهجرة للدعوة الى الله ، كما علينا أن نهاجر من الغى الى الرشاد ، ومن الذنوب الى التوبة ومن غواية الشيطان الى ولاية الرحمن وليكن شعارنا التمسك بالحديث الشريف : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » •

على عبد العظيم

الهجرة فى نظر الصوفية

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

حين بعث الله رسوله الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمن به بعض قومه الذين لم يسلموا من أذى قريش ، فأذن لهم فى الهجرة فرارا بدينهم وحفاظا على ايمانهم الذى أراد المشركون أن يفتنوهم فيه، فهاجر بعض المسلمين الى الحبشة فى هجرتين ، ثم هاجروا جميعا الى المدينة زرافات ووحدانا ، حيث اطمأن بهم المقام هناك وأصبحوا قوة يرهب جانبها، فانطلقوا آمنين يبشرون بدين الله الذى أشرق نوره فى الأرض وتحقق قوله الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ـ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

فهم الصوفية للهجرة :

ودار الزمن دورته وجاء الصوفية الذين انفردوا بالبحث عن حقائق الأشياء واعتنقوا بتحرى بواطن الأمور وأسرار العبادات ، فلم يقفوا عند المعنى الظاهرى للهجرة ، بل استنبطوا من ورائها سرا عميقا يدعو اليه الدين ، لم يقفوا عند معنى الهجرة من أنها انتقال من مكان الى مكان ، ولكنهم فهموا أن الهجرة قطع للمألوف وخرق لعوائد النفس وتعويد للمرء على احتمال المشقات وسياحة له بالفكر واكتشاف لدلائل قدرة الله عن طريق التأمل والمشاهدة ، ثم هى مع ذلك ايثار لرضوان الله على كل ما عداه ، وبذلك أصبحت الهجرة

عندهم مرحلة من مراحل الطريق الصوفى لها آدابها المطلوبة وآثارها المحمودة .

ومما ارتآه الصوفية فى تعليل آثار الهجرة أن النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووضح الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد استأنسوا فى ذلك بقول عمر — رضى الله عنه — لرجل زكى عنده بعض الشهود : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه؟ فقال ذلك الرجل : لا ، فقال عمر : ماأراك تعرفه .

قال الغزالى — رحمه الله تعالى — فى كتابه احياء علوم الدين : السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب منه أو الوصول الى مطلوب ومرغوب فيه ، فان المسافر اما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه ،واما أن يكون له مقصد ومطلب ، والمهروب عنه اما أمر له نكاية فى الأمور الدنيوية ، أو خوف سببه فتنة أو خصومة أوغيرهما ، واما أمر له يكاية فى الدين كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ويتجنب السعة والجاه ...

وقد كانت هجرة المسلمين — رضوان الله عليهم — فى أيام الرسول — صلى الله عيه وسلم — من هذا القبيل ، فقد أوذوا فى دينهم وحاول المشركون أن يصدوهم عن سبيل الله ، فآثروا الفرار الى الله وترك كل مايربطهم بالدنيا من أسباب رغبة فيما عند الله من ثواب، تركوا مالهم وجاههم وديارهم ولذلك كان حقا أن يقول الله فى حقهم : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»

وعلى هذا الفهم الذى فهمه الصوفية من الهجرة ساروا يجعلون من الهجرة منطلقا جديدا لأرواحهم

ويتخذون من السفر وسيلة لاكتساب المحامد ، وقد أفاض شعراؤهم فى هذا المعنى ونحا غيرهم منحاهم، ومن ذلك قول الامام الشافعى — رضى الله عنه —

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فان لذيذ العيش فى النصب

انى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب ما افترست
والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى فى أماكنه
والعود فى أرضه نوع من الحطب

وللطفرائى المتوفى سنة ٥١٥ هـ أبيات فى هذا المعنى منها :

ان العلا حدثتنى وهى صادقة
فيما يحدث أن العز فى النقل

لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

القرآن يحث على الهجرة :

وهناك آيات كثيرة تحث على الهجرة وتدعو اليها ، من ذلك قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » ونعى القرآن الكريم على قوم آثروا الذل على العز بقوله : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها »

وأشار القرآن الى أهداف الهجرة بقوله :« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »

بل انه دعا الى مقاطعة الذين لم يهاجروا فقال : « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » وقال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » .

هجرة الصوفية وسفرهم وآدابهم فى ذلك :

ولم يكن سفر الصوفية أو هجرتهم بقصد التسلية والفرجة أو قطع الوقت واغتنام اللذات أو ايثار مكان على مكان لفائدة مادية كما يفعل المهاجرون الآن وأصحاب الرحلات ولكن سفرهم وهجرتهم كانتا لله ، لأن الحق هو الذى أزعجهم اليه تحقيقا لقوله تعالى «ففروا الى الله» والفرار

الى الله نجاة وهداية وصلاح حال ، قال فى حقه ابراهيم عليه السلام «وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين» وهذا مطلب أسمى من أى مطلب .

والحق أن الصوفى فى هجرته وسياحاته لايحركه طمع مادى ، ولكن يحركه روح التعبد والمحبة التى هى قوام كل شىء فى المنهج الصوفى ، لأن الكون – كما يقول المرحوم طه سرور فى أعلام التصوف خلق بالحب ويدرك بالحب ، والله جل جلاله لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول ، ولكن الصوفى يوقد مشاعل الحب فى قلبه ووجدانه وروحه فيمتطى بذلك المعراج الأكبر الذى يصله بربه . هناك أسرار تربط الانسان بالكون يدركها الصوفية وعلى ضوئها كانت غاياتهم من الهجرة للتعرف على دقائق هذه الصلة العجيبة التى ترجم عنها أحد شعرائهم بقوله :

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذى
بأحرفه يظهر المضمر

وقد فاضت أحاديث الصوفية بالكثير من هذه المعانى التى نقتطف منها ما يلى : يقول ابن عربى : الانسان سر الله مبينا فى خلقه،ويقول جلال الرومى : ان الانسان هو عين الكون المبصرة – ويقول فريد العطار : الانسان خلاصة العالم.

أجل ولولا ذلك لما سخر الله له الكون وقال فى محكم كتابه «وسخر لكم مافى السموات والأرض» أما آدابهم فى السفر فقد أشار اليها الطوسى فى كتابه «اللمع» بقوله : «ليس من آدابهم أن يسافروا للدوران والنظر الى البلدان وطلب الأرزاق ولكن يسافرون الى الحج والجهاد ولقاء الشيوخ وصلة الرحم ورد المظالم وطلب العلم ولقاء من يفيدون منهم شيئا فى علوم أحوالهم أو الى أى مكان له فضل وشرف ، وكانوا لا يتركون شيئا من أخلاقهم وأورادهم التى كانوا يعملونها فى الحضر ، ولا يغتنمون قصر الصلاة وافطار شهر رمضان – ومن أدابهم أنهم اذا كانوا جماعة يمشون بمشى أضعفهم ويخدمهم الأشفق عليهم واذا تخلف

واحد انتظروه وان عجز أحدهم عن المشى أقاموا عليه واذا دخل وقت الصلاه لم يبرحوا موضعهم حتى يصلوا .. ومن آدابهم فى رحلاتهم أنهم كانوا لا يهابون شيئا ما ولا يجزعون من شىء اطلاقا لأن أنسهم بالله ، ومن اكان أنسه بالله فأى شىء يخشاه ؟ سئل أبوعمران الطبرستانى ـ رحمه الله عن الجزع والعجز الذى يلحق المسافر فتلا قول الله تعالى: فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ـ ومعنى ذلك فى نظره ـ كما يفسره الطوسى ـ انك لاتبال أى شىء يلحقك فى توجهك الى الله ، فان الله يصحبك بنظره وربما نجاك من التلف بالتلف كما نجى الله موسى من بطش فرعون بفرعون نفسه وكان بسبب القائه فى اليم واليم أخوف على الطفل من فرعون ولكنها رحمة الله الساهرة التى لاتسهو ولا تغفل .

ولكن المهاجر قد يغفل أحيانا عن هذه المعانى ولذلك فهو محتاج الى مايذكره ، وربما يعتريه الملل فهو محتاج الىماينشطه ، وقد يضعف فيحتاج الى مايقويه ، ويحفظه وقد أشار السوسى رضى الله عنه الى ذلك بقوله : يحتاج المسافر فى سفره الى أربعة أشياء والا فلا يسافر : علم يسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه .

أما الغزالى رضى الله عنه فقد فصل أحوال المسافر ومقاصده وآدابه تفصيلا دقيقا أشير اليه بما يأتى : قد يكون السفر فى طلب العلم ، ومن العلم العلم بالنفس والأخلاق ، فان طريق الآخرة لايمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ، ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض ، وقد سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الاخلاق، ورضى الله عن بشر الحافى حين قال: يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا ساح طاب واذا طال مقامه فى موضع تغير .

والصوفية يرون أن الكون حركة دائبة لا تنقطع ويرددون قوله تعالى في هذا المعنى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » فكل مافى الكون سائر يدركه ذوو البصائر ، وكلما كشف الصوفى - كما يقول المرحوم طه سرور - عن جمال فى الكون أو لمس سرا من أسرار القلوب أو أحاط علما بخصيصة من خصائص الطاقات المضمرة فيما خلق الله زاد ايمانا بربه وصلة بخالقه وقربا من مبدعه وموجده وفى قول « اقبال » دليل على ذلك : والحق أن كل طلب للمعرفة هو فى جوهره صورة من صور الصلاة فالمتأمل فى الطبيعة تأملا علميا هو نوع من الصوفى الباحث عن العرفان يؤدى الصلاة لمبدع الأكوان ..

أنواع الهجرة :

ثم ان الهجرة عند الصوفية هجرتان : هجرة مادية ويعنون بها الانتقال من مكان الى مكان وهجرة روحية يسيح فيها المهاجر بفكره وينتقل بعقله وهو مستقر فى مكانه ولكنه سابح بجنانه مرددا بلسان الحال قول الحق : وفى أنفسكم أفلا تبصرون - أو لم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ؟

والهجرة الأولى وهى السياحة يشير اليها ظاهر الحديث : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .. كما فهم الصوفية أيضا هذا الحديث فهما ربانيا عاليا عبر عنه لسان حالهم الشيخ حسن رضوان فى منظومته الرائعة المسماة روض القلوب المستطاب وهو ما ننشره هنا : يستطع المريد اذا أجاع نفسه وقطعها عن عاداتها ومألوفاتها وساح فى الأرض ابتغاء رضوان الله أن ينفى عن نفسه ماتستشعره من ملل وكلال ، فتنتفع روحه وتشرق أنوار قلبه وتتجلى له الأسرار - ومن هذه الأسرار اعراضه عن الدنيا واستشعاره الغربة فيها تحقيقا لقوله عليه الصلاة والسلام كن فى الدنيا كأنك غريب ، وعندما يذوق سر هذه الغربة وما فيها من معان تقربه الى الله يرتقى الى رتبة عابر السبيل الذى لا يتعلق همه بشىء مادى فى الدنيا بل يكون تعلقه بربه وفى ذلك أسرار دقيقة يفيضها الله على من يشاء من عباده .

واشترطوا فى هذا الغريب المسافر شروطا حسانا أشار اليها أيضا الشيخ حسن رضوان بقوله: «يشترط للسالك أن يسير باخلاص فى العبادة وحسن صدق فى النية – وأن يكون ممتثلا الأمر مشاهدا العجز عن القيام بالشكر صادقا فى معاملته فان جزاء ذلك الرضا عنه – ومتى رضى الرب عنه الزمه خدمته وأفاض عليه الرضا وهذا يستوجب الرضا من العبد عن الرب تحقيقا لقوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » ومتى رضى العبد بربه لم يستعض به سواه وأفراده بالمحبة وزادت فيه الرغبة ولم يشهد فى الكون سواه ، يقصده بالتوجه والرجاء ، بل أصبحت الأشياء فى نظره مشهودة بربه لأنها مفتقدة اليه •

واذ لاحت هذه المشاهد للمسافر حق له أن يستوطن فقد فتح الله عليه « ولا هجرة بعد الفتح » وانجلت له المعارف وتكشفت له اللطائف • ومن كان هذا حاله فهو غنى عن التجوال، لأنه أيقظ عين بصيرته وأغلق عين بصره • قال الغزالى فى ذلك مستشهدا بقول بعض أرباب القلوب : ان الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول : أغمضوا أعينكم حتى تبصروا وكلا القولين حق ، الا أن الأول أخبر عن المنزل القريب من الوطن والثانى أخبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها الا مخاطر بنفسه • والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين •

الهجرة فى العزلة : وهى الهجرة الثانية التى تتحقق بالانفراد عن الخلق • فالعزلة عند الصوفية فيها هجرة لله ، وليست انطواء على النفس ولكنها وسيلة للتخلص من أوضار النفس ومبعث على التفكر ، والتفكر عبادة من أسمى العبادات ، وقد ورد تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، كما أن فيها تدريبا على احتمال مشقة الانفراد وتحقيقا بحال الجمع الذى يجمعهم على محبوبهم الأعظم ، وفى العزلة ائتناس بالله الذى وجهوا قصدهم اليه وانطلاق بالروح فى فضاء العلم والمعرفة والمشاهدة لأنهم على الرغم من انحصارهم الحسى لكنهم فى انطلاق روحى •

ومقام الانفراد على هذا الشرط مقام خطير لا يقوى عليه الا فحول

الرجال الذين وطنوا أنفسهم عليه أما غيرهم فالمخالفة أولى بهم حيث يكون التعليم والائتناس والمشاركة الوجدانية بين المريدين ، ومما يحكى عنهم فى ذلك ما قاله الطوسى عن أبى حفص الخياط قال : رأيت أبا بكر بن المعلم رحمه الله تعالى بانطاكية يقول: طولبت شهادة أن لا اله الا الله بعد ستين سنة . فسئل عن معنى ذلك فقال : كنت ستين سنة أدعوا الى الله تعالى ، كلما انفردت عن الخلق وانقطعت للعزلة كنت اذا أردت أن أقوم الى أورادى التى كانت عادتى بين الناس لم يتهيأ لى ذلك ، فوقع فى قلبى أنى ما آمنت بالله بعد فجددت ايمانى. وأقمت عشر سنين حتى صفا لى فى الخلوة ماكنت أقوم به من أوراد كما كانت تصفو لى قبلها فى الأوقات التى كنت بين المعارف ..

ومعنى ذلك أن الخلوة لها خطرها الجليل الذى لا يطيقه الا أربابه وليس كل سالك يستطيع ذلك ، بل أن هناك أفرادا من الصوفية تحققوا بمعنى الانفراد وهم بين الناس ؛ اذ أنهم نظروا الى الخلق على أنهم مظهر القدرة الالهية وليس فى الوجود غير الله ، وعلى ذلك قول الجيلى :

وما الخلق فى التمثال الاكثلجة
وأنت بها الماء الذى هو نابع
وما الثلج فى تحقيقنا غير مائه
وغير أن فى حكم دعته الشرائع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد فى واحد به
وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

ولعل هذا هو ما يفهم من الأثر الوارد : كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان . ومن هؤلاء المشاهدين السيدة رابعة العدوية التى تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وهذا النوع من الهجرة يستدعى التفرغ والعزلة فى الغالب.وقد سلك النبى صلى الله عليه وسلم طريق ذلك فى مبدأ حياته حين كان يتبتل

فى غار حراء حتى قوى فيه نور النبوة فأصبح الخلق لا يحجبونه عن الله بل كان ـ كما يقول الغزالى فى الأحياء ـ ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال : لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله .

ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع فى ذلك ـ على أنه لا يبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء الى هذا المقام كما رأينا من حال السيدة رابعة العدوية ـ وكما ورد عن الجنيد الذى حكى عنه الغزالى قوله : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم ، ولكن هذا لايتيسر ـ كما أشرنا ـ الا للمستغرق فى حب الله استغراقا لايبقى لغيره متسع ، وذلك أمر غير منكر فمن الناس الذين اشتهروا بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه ولكنه مشغوف بمن يحب مذهول به عن غيره لا يدرى مايقول ولا ما يقال ، بل ربما ذهل عن نفسه وعن محبوبه أيضا ، فقد ورد عن مجنون ليلى أن ليلى صادفته فى ساعة من الساعات التى كان مذهولا فيها فقالت له : أنا ليلى ، فقال لها : اليك عنى فحب ليلى أنسانى ليلى .

آثار الهجرة الصوفية :

ونعود فنقول ان هذه الهجرة لها آثارها الطيبة ففيها استدامة للفكرة وفيها ذوق لحلاوة المعرفة وفيها أنس بالله يغنى عن الأنس بالناس .

وقد سلك سبيل الهجرة الصوفية بنوعيها كثير من الصوفية الذين رأوا صلاح حالهم فى العزلة عن الناس والسياحة فى الأرض منهم ابراهيم ابن أدهم الذى ترك الملك واعتزل الناس وهام على وجهه فى البرارى والقفار وقال : ماوجدت لذة العيش الا هنا أفر بدينى من شاهق الى

شاهق ، ومما ورد عن أويس القرنى: ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره ، وممن حببت اليهم العزلة الفضيل بن عياض ، وقصده هارون الرشيد طالبا صلاح حاله عنده فوجده فى مكان مظلم لا يطيقه غيره ، ومن أقواله فى ذلك : اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت : أخلو الى ربى ، واذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى •

ومن حكم ابن عطاء الله السكندرى الرائدة فى ذلك : « مانفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة » وربما كانت الحكمة التالية تعليلا لهذه الحكمة « كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟ » أجل ، كيف ؟ واذن فلا بد للمريد من هجرة ترشده وتذكره واذا تذكر أبصر مصداقا لقوله تعالى : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » واذا أبصر رأى ما لاعين رأت وسمع مالا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • قال أحد الصوفية فى هذا المعنى : اذا عقدت النفوس عزمها على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى العبد بطرائف الحكمة ، وشاهد هذا القول حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ، وهذا الحديث الشريف يهدى الى معنى قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » •

وبعد فهذه هجرة الصوفية أدركوا معناها وفهموا أسرارها وعرفوا أهدافها فجعلوها منهجا من مناهجهم ودربا من دروبهم ووقفوا على سر قوله تعالى : «ففروا الى الله» ، فولوا وجههم اليه وحرروا قصدهم عليه ، فكان حقا لهم أن يذيقهم الله حلاوة الايمان ويكحل عيونهم بنور المعرفة والرضوان •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

من سجل التيارات الإعلامية المضادة للإسلام في فترة ما قبل النكسة ١٩٦٥-١٩٦٧

للدكتور يحيى هاشم

— ١ —

لقد وجد التيار المعادى للاسلام منفذا واسعا فى الحديث عن الحضارة والقوميـة والمذاهب السياسية من ذلك ما جاء بمجلة (حوار) (نوفمبر ١٩٦٥) عن المثـل الأعلى للسلوك حسبما تتطلبه الحضـارة العربيـة التقليدية من الشباب العربى ، حيث قرر الكاتب (أن اتخـاذ حيـاة الرسول والصحابة كأنموذج انما كان اتباعا لعـادة قديمة قائمة حيث كانت مجـاراة الآباء والأجـداد فى طريقة حياتهم تعتبر فضيلة عند عرب الجاهلية •••) •

وفى هـذا التفسـير ما فيه من تحقير الاقتداء بالرسول فهو ينزل به من قانون الهى الى عادة قبلية عربية منذ الجاهلية ، وعندئذ يصبح من السهل التحرر من هذا الاقتداء ، كما هى سهولة التحرر من العادات الجاهلية ، أو البشرية البحتة ، بل ان الكاتب ليذكر أثر ذلك ما يمهد للتمرد على هذه القوانين الالهيـة فيقتبس ممن سماه (جون بول) أنه بمرور الأيام (لم تسـتطع الأفكار أو الاختبارات الدينية الأصيلة أن تقى نفسها من التعـديل تماما •• فبـدأ الفقهـاء يطـورون مبادىء الواجبات والعقائد حسب متطلبات الأوضاع الجديدة) ويمضى الكاتب فى بحثه مقـررا أن قوانين الارث والشهادة تدل على حدة تدنى مركز المرأة عن الرجـل ، متجـاهلا أن الاسلام عندما قرر هذا التفاوت فى الارث والشـهادة بنـاه على فروق جزئية فى طبيعة ووظيفة كل منهما ، مع تقرير المساواة الانسانية العامة بينهما •

ولا يمكننا أن نتغافل عن أن المخطط المعادى للاسلام يتسلل الى ميادين قد تبدو فى ظاهرها أدبية بحتة • وعلى هذا الأساس نلاحظ ما كتبه « غالى شكرى » فى مجلة حوار بعددها السابق بعنوان (شعرنا الحديث •• الى أين •• ؟) ، فقد غمز التيار القومى فى الشعر الحديث لما هو عليه من ارتباط بالتراث والدين ، وقرر أن عقم أصحابه يرجع الى أن شبح التراث ما يزال جاثما فوق ملكاتهم الخلاقة، والى تمسكهم بأهداب القشرة القومية المختلطة عند بعضهم بالدين ! !

كذلك نلاحظ ما نشرته هذه المجلة ــ فى معرض هجومها على مجلتى الرسالة والثقافة ــ من دفاع عن موقف سلامة موسى عن الاسلام على أساس أنه لم يكن يهاجم الاسلام (وانما كان يدعو الى التزام المنهج العلمى الذى يرفض الغيبيات ، وأنه لم يكن يمس الأديان الا من هذا الجانب) ! ! وواضح أن رفض الغيبيات على اطلاقها هادم للأديان عامة ، ومن هنا يكون الالحاد قائما فى موقف سلامة موسى •

وتقدم مجلة الطليعة (ديسمبر ١٩٦٥) كتابا عنوانه « الفكرة العربية فى مصر » للدكتور أنيس الصايغ ونذكر عن الكاتب أنه يقرر أن الاتجاه الاسلامى فى مصر كان مصدره الأزهر ، وأن هذا الاتجاه اضطر فى مواجهته للاتجاه الأوربى والافريقى الى التحالف مع نواة الفكرة العربية ••

•• الا أن هذا التحالف ــ فى رأى الكاتب ــ قد صبغ الفكرة العربية فى مصر بصبغة « محافظة ورجعية » ••

هكذا يتهم الاتجاه الاسلامى فى مصر بالرجعية•

وفى هذا الاتجاه يأتى مقال بمجلة الفكر المعاصر ١٠ / ١٩٦٥ عن (التقدم والرجعية) حاول كاتبه محمود محمود أن يضع ضابطا لكل منهما ، فأشار أولا الى تاريخ الفكرة ، وأبرز دور كونت وداروين وسبنسر فى بلورتها وايضاح مفاهيمها العلمية ، ثم خلص الى القول بأن معيار التقدم هو الكشف

العملى والايمان بقدرة العقل البشرى ، وأن الرجل الذى يستند فى آرائه الى العقل دون النقل والى العلم دون الخرافة والى ما تثبته التجربة دون ما يروى عن السلف : مثل هذا الرجل يوصف بالتقدمى ، أما ان كان يستند الى الشائع بين الناس دون الأخذ بما تثبته التجربة والعلم ، والى أقوال الأقدمين دون اثبات بالعقل فهو رجعى .

ويلزم الرد على هذا الكلام من جهتين : الأولى أنه حتى فى المجتمعات التقدمية لابد من أن تكتفى الأغلبية بتصديق الشائع بين الناس ، ومن جهة ثانية فان اطلاق هذا الكلام على هذه الصورة يعنى الحكم بانضمام المسلم الذى يثق بكلمة الله ورسوله ويضعها فى مستوى من اليقين أعلى من مستوى التجربة ــ التى تضم عنصر الاحتمال فى كل أحوالها ــ الى فئة الرجعيين ، وهو الأمر الذى ان كان يصدق فى منطق الثقافة الغربية التى اعتمد الكاتب عليها فى تفسير مفهومى التقدم والرجعية ، فهو لا يصدق فى منطق المجتمع الاسلامى .

ويجد التيار المعادى للاسلام منفذا فى الحديث عن العلاقة بين الحضارة الغربية والأوضاع فى بلادنا العربية أو الاسلامية .

وفى هذا الاتجاه نجد مقالين :

أحدهما بجريدة الجمهورية ٢٥/١١/١٩٦٥ للدكتور فؤاد زكريا يتساءل فيه عما اذا كانت لنا فلسفة قومية أصيلة ، ويقرر أنه لا توجد فلسفة قومية أصيلة فى الوقت الحاضر لغير شعوب أوربا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأن علينا ألا نتعجل ظهور فلسفتنا الخاصة وأن ننتظر ازدهارها فى أثر محاولتنا الحالية التى تستهدف التقدم الاجتماعى ، وأن فرصتنا فى الوصول الى هذه الفلسفة تكون أعظم بقدر ما يقترب مستوانا الحضارى والثقافى من مستوى الدول التى تحرز الآن قصب السبق فى هذا الميدان .

وفيما أرى فان هذا التحليل يقوم على أساسين : الأول أننا فى فراغ من القيم والمبادىء والأهداف التى تتبناها فلسفة ما وتدعو اليها ،

وواضح أن هـذه الفكرة تتجاهل تماما وجودنا الاسـلامى بما له من مبادىء وقيم محددة يتناول بهـا الحياة ، الثانى : ان حضارة أوربا هى المثل الأعلى الذى ينبغى وضعه نصب الأعين ، وهـذا فى حد ذاته حكم لا يمكن أن يصـدر الا عن فلسـفة ، مما يتنـاقض مع الأساس الأول •

ويقول محمد عوده بالجمهـورية ١٩٦٥/١١/٢١ (اننا لا نسـتطيع أن نغلق عقولنا وأرواحنا فى عداء متعصب ازاء أوربا كمـا يفعـل البعض ، ويجب ألا نندفع نحوها فى افتتان مراهق كمـا يفعـل البعض الآخر ، ولكن علينا أن نراها الرؤية الموضوعية الانتقادية المتفتحة •• الرؤية المصرية ••

والى هنا فان الاتجـاهات لدى الكتاب اما أنهـا تدعو الى رؤية عربيـة ، أو الى رؤية مصرية ، أو الى رؤية غربيـة ، ولا أعتقد أنهم باغفالهم الاتجاه الى رؤية اسلامية — وهو الاتجـاه الذى عبر عنـه الدكتور سليمان حزين عضو المجمع ووزير الثقـافة فى المؤتمـر الثانى للمجمـع — يصـورون واقعنـا الاجتماعى أو الثقـافى تصـويرا صحيحا ، بل انهم فوق ذلك يعملون على سلب هذا المجتمع أهم مقوماته الا وهو المقوم الاسلامى •

في السياسة :

انتهز بعض الكاتبين ما نسب الى الاخوان المسـلمين من اتهـامات ليغمروا الدين ورجاله ومبادئه بصفة عامة بالروح العدائية •

فهذا هو محمود العـالم — فى المصـور ١٩٦٥/١٠/١٣ — يقرر (أن أكثر من موقع ثقافى فى بلادنا يفرز الفـكر المتخلف ، ويغـذى التعصب والجمود •••) •

ويطـالب أحـد الكتاب — فى روز اليوسـف ١٩٦٥/١٠/١١ — بمصـادرة كتاب ينـدد بالاختلاط الجنسى ومفاسده ، ويقرر أن هذه

نظرة منحرفة فى فهم الدين الاسلامى ناشئة من خيالات جنسية مريضة ! ومتفقة مع أفكار سيد قطب الاخوانية ! !

ويطالب أحمد لطفى حسونة أن يعمل كل أب على مراقبة ابنه اذا كان من المترددين على المساجد خوفا من أن تتصيده جماعة الاخوان المسلمين ، ويذكر العلامات التى تدل على هذه الجماعة : فرجالهم لا يلبسون الدبلة الذهبية ونساؤهم يتمسكن بالطرحة فوق رءوسهن (الأخبار ١٩٦٦/٤/١٥) .

وكتبت الدكتورة بنت الشاطىء مقالا جديدا فى سلسلة مقالاتها عن الاسلام وقضايا العصر ، أنكرت فيه موقف الذين يبيحون لأنفسهم ـ باسم الاسلام ـ حق اصدار أحكام على الناس بالتكفير والايمان .

واستطردت من ذلك الى أن هذا الحق لم يكن مباحا للنبى نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن الله وحده (هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) ..

ولا شك أن اطلاق الكلام على هذا النحو ليس صحيحا ـ ذلك لأنه اذا كان من الخطأ اتخاذ موقف متطرف فى تكفير الناس لمظاهر من الانحراف العملى تبدو عليهم ، فانه لمن الخطأ اتخاذ الموقف المتطرف المقابل بما يؤدى اليه من اللاأدرية العقدية ، كما أنه ليس بصحيح اطلاق الكلام على ذلك النحو بالنسبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو رأس أمة تجمعت على العقيدة من كان عليها كان منها ومن كان مخالفا لها لم يكن كذلك ، وصحيح أنه ليس بوسع أحد اصدار الحكم الجازم بالتكفير أو الايمان اذا كان المراد بذلك الحقيقة الباطنية التى لا يطلع عليها الا الله ، أما ان كان الحكم صادرا على أساس الوقائع الظاهرة فهو مباح ، بل مطلوب لامكان اجراء كثير من الأحكام الشرعية المتوقفة على هذا الحكم الأولى ، شريطة أن يكون لذلك مقياس ثابت مستمد من الله ورسوله ..

الترويج للماركسية :

نشط كثيرمن الكتاب الشيوعيين وغيرهم فى هذه الفترة ، وعمل كثير منهم على الترويج للماركسية عن طريق ادعاء امكان التوفيق بينها وبين الاسلام .

وفى هذا الاتجاه نجد ما يأتى :

١ ـ فى مقال لمحمد عوده بالجمهورية ٧/١٠/١٩٦٥ أخذ الكاتب يقرر أن الحزب الشيوعى الأندونيسى ـ وكان واقعا فى صراع مع السلطة ـ أقلع عن عدائه للدين، وأنه بعد اقلاعه هذا أصبح من أقوى الأحزاب الشيوعية فى آسيا.

وفى نفس الأسبوع ذكرت مجلة الطليعة فى ترويجها لاتجاهات هذا الحزب أنه قبل المبادىء الخمسة الرئيسية التى أعلنها سوكارنو ومن بينها الايمان بالله ! ! .

وفى مجلة المصور ٧/١٠/١٩٦٥ تحقيق حول هذا الموضوع نقل فيه صاحبه حديثا جرى بينه وبين أحد الوزراء الشيوعيين فىأندونيسيا ، قرر فيه الوزير أن الحزب الشيوعى الأندونيسى لايشترط لقبول العضو فيه أن يكون ملحدا ..

وفى الأخبار٦/١٠/١٩٦٥ يحاول السيد/خالد محيى الدين أن يستر جانبا من وجه الماركسية القبيح ، فيقرر أن الاشتراكية التى يدعو اليها تعترف بالملكية غير المستغلة وما يترتب عليها من حق الميراث .

وفى الجمهورية ٢٩/٤/١٩٦٦ ، ١٣/٥/١٩٦٦ أكاذيب عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، تذكر أنهم يمارسون شعائرهم الدينية فى حرية ... الخ) .

وفى مقال لمحمد عودة بالجمهورية ١٥/٥/١٩٦٦ حديث حول نفس الموضوع حيث نقل حديثا للمدعو (ايجور بيلاييف) عن الدين فى الاتحاد السوفيتى يقول فيه (نحن ملحدون ولكننا مع هذا لسنا ضد الذين يؤمنون بالدين ، ونكفل

حرية العقيدة للمؤمنين والملحدين على السواء ..)

ويهدد الكاتب المعارضين لهذه الأكاذيب فليحقهم بالرجعية والاستعمار فيقول فى الجمهورية ١٩٦٦/٤/٢١ (ان الرجعية الآن ترفع شعار الدين فى الداخل ، وقد أصبح استغلال شعار الدين ايديولوجية مخلفات الاقطاع والرأسماليين) — ويقول : (ترفع الرجعية أيضا شعار الشيوعية وتجعله سيفا مصلتا لارهاب أى عنصر يتحرك ..) ..

وفى هذا المجال نذكر :

استقبال فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ حسن مأمون ، للسيد الكسى كوسجين — رئيس الاتحاد السوفيتى — ضمن كبار رجال الدولة المستقبلين له فى مطار القاهرة ، عند حضوره فى زيارته للقاهرة يوم ١٩٦٦/٥/١٠ . ولابد أن ذلك كان بتخطيط من مراكز القوى ، ساهم الرجل فى تنفيذه دون أن يكون على علم بأبعاده .

٢ — وجاء فى مجلة الكاتب سبتمبر ١٩٦٥ مقال للدكتور محمد سعاد جلال — بعنوان (حول اخراج المسلم من عقيدته) ..

بين فيه خطورة الاتهام بالكفر ، ومعنى الايمان والاسلام والكفر ، والأصول الاسلامية : القرآن وان أغلبه ظنى الدلالة ، السنة وان أغلبها ظنى الثبوت ، الاجماع وأن بعض العلماء يشكك فى حجيته ، ثم بين معنى القطع والظن ، وانه لا يصح الحكم بتكفير أحد ما لم يعارض على سبيل القطع أصلا اسلاميا قطعى الدلالة والثبوت ، وقرر اصطلاحا جديدا فى الثقافة الانسانية سماه (علمانية الاسلام) .

ثم ربط موضوعه بالتيارات المعاصرة : فبين أن من يعتقد ببعض النظريات الاجتماعية الاجتهادية الحديثة التى لا تتعارض بطريق

قطعى مباشر مع أصل اسلامى : لا يمكن تكفيره •

ومثل لهذا بمن يعتقد بنظرية (فائض القيمة) و (الصراع الطبقى) باعتباره أهم العوامل لتحريك أحداث التاريخ •

ثم رد على اعتراض يقول : ان هذه الآراء قد تستلزم التكذيب بأصل من أصول الدين ، فذكر بايجاز لا يتناسب مع أجزاء البحث الأخرى : قائلا : وحتى لو كان هذا فان المحققين من العلماء على أن لازم المذهب ليس بمذهب •

وقد أغفل الكاتب الاجابة عما اذا كان الحكم يختلف فى حالة ادراك المعتقد لهذا اللازم واقراره به ؟ ، كذلك فى حالة ادراك المعتقد لحقيقة أن هذه النظريات انما هى لازمة لمذهب شامل يفسر الكون تفسيرا ماديا ، كما أغفل الاجابة أيضا عما اذا كان واجب عالم الدين أن يبين لغير المدركين لهذا التلازم خطورة موقفهم ووقوفهم على شفا جرف هار من نار جهنم ، وايضاح الحقيقة أمام عيونهم ، أم ان واجبه أن يربت على أكتافهم مطمئنا لهم ؟

وفى نفس المجلة السابقة مقال لعبد الجليل حسن : عن القرامطة فى تاريخ الحضارة الاسلامية واعتبارهم (حركة عظمى من حركات الاصلاح الاجتماعى والعدالة الاجتماعية تدعو الى المساواة) وانها كانت تعتمد على فكرة الامام المستور وتفسير القرآن تفسيرا باطنيا ، وان فكرة المهدى التى كانوا يؤمنون بها لعبت دورا حيا فى التطلع الى (ازالة الظلم والقضاء على التناقض الاجتماعى) ••

وفى أهرام السبت ١٩٦٥/٩/١٠ تحقيق عن كوريا الشمالية يتحدث فيه كاتبه عن أنه (فى ظل النظام الشيوعى لم يعد هناك شىء اسمه الدين) ولكن نظرا للوضع القائم فى كوريا الجنوبية من وجود أحزاب بعضها دينى « فقد راعت كوريا الشمالية فى تنظيم حزبها أن يضم عناصر تسمى نفسها بالحزب الدينى » •

ويقر سوكارنو فى مقتطفات من كتاب صدر أخيرا عن حياته : أنه ليس شيوعيا ولا يمكن أن يكون ، ويفسر ذلك بأن له ذاتا مفرطة فى حب نفسها تمنعه أن ينحنى لموسكو أو أن يكون عبدا لأحد غير شعبه. (الأهرام ١٩٦٥/٩/٢١) ..

وفى مقال لسامى داود عن الطبقة الوسطى يقرر أنها تتجه الى معاداة الثورة ، وينوه بأن الدين فى بلادنا بخير ، وأنه لا يساند هذه الطبقة (الجمهورية ١٩٦٥/٩/٢٣) .

وفى نفس الاتجاه جاء مقالان بنفس العدد : الأول لمحمد عوده ــ يدعو فيه رجال الوعظ الى محاربة الفكر الرجعى ، والثانى لأمير اسكندر يقرر أن الدين حافز من حوافز التقدم لا يساند الرجعية التى يجب على الأديان محاربتها فى ضراوة ..

((التوكل الصحيح))

عن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا ».

مع أدب القرآن :

وَبشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا

لفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٨ —

البشارة تعجيل الأخبار بما يسر النفس ، ويطئمن الخاطر ، ويريح القلب ، ويزيل الهموم ، ويطرد عن الفؤاد قلاقله وبلابله ويقابلها الانذار وهو التهديد بالشر ، والتوعد بحدوثه ، والاعلان عن قرب موعده، ودنو أجله ، وكما تشيع البشارة جوا من الغبطة والسرور ، والبهجة والفرح ، انتظارا لما يجيء به الغد المأمون ، أو المستقبل القريب ، يكون الانذار على العكس من ذلك ، لأنه يضمر المكروه ، ويحمل ما لا يحمده الانسان ، ولا يطيب به القلب ، أو يسعد به الخيال ، والبشارة لايحملها الاصديق محب أو زميل كريم أو رفيق مخلص ، قد امتزج وجدانه بوجدانك ، وشعوره بشعورك ، وروحه بروحك ، وهكذا مصدرها دائما أبدا لا تنطوى نفسه لك الا على أنبل المعانى ، وأحسن العواطف ، وأصفى حقائق الود والاخلاص ، وهؤلاء الذين آمنوا التى تعنيهم هذه الآية « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون» هم الذين سبقت الاشارة اليهم: «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» والذى يتابع آيات الكتاب الكريم اذا خاطب المؤمنين بالاشارة أو النداء يرى أنه يعظم من شأنهم ، ويعلى من قدرهم ، ويبرزهم فى معرض من الاجلال والاحترام ، وهو هنا فى هذه البشارة يضمن لهم من المنن والعطايا ، والمنح والهدايا ، والبر والخير ، ما يجعلهم مطمئنين كل الاطمئنان الى أنهم بلغوا

منه جل شأنه درجة الرضا، وتجاوزوا بمكانتهم عنده ، ومنزلتهم لديه، حدود غيرهم من الناس الذين لم يرزقهم الهداية ، ولم يلهمهم التوفيق ، ولم يمنحهم الاستقامة على الجادة ، والسير على السنن السوى .. وهو كذلك لا يكتفى بالبشارة التى يقدمها اليهم ، ويسوقها لهم ، دون أن يخلع عليهم من سمات القبول ، وملامح الرضا ، ما يدل على أنهم باديء ذى بدء قد تمكنت عنده منزلتهم ، ورسخت فى ساحته أقدامهم ، اذ يقدم بين يدى ذلك كله أنهم « آمنوا وعملوا الصالحات » ، كأنما يعلن للقاصى والدانى أنهم بهذا الذى حصلوه ، وذلك الذى عملوه ، استحقوا هذه الحظوة ، ونالوا تلك الدرجة «جنات تجرى من تحتها الأنهار » والجنة فى الأصل البستان أو الحديقة الملتفة الأغصان ، المتدلية الثمر ، الكثيرة الأشجار ، وهى بهذا الوضع تجن ما يكون بداخلها من حيوان أو انسان، فتقيه لفح الشمس وحرارتها ، وبهذا الاعتبار سميت جنة ، ومنها كانت الجنة ـ بالضم ـ بمعنى الوقاية ، ومن ذلك الحديث النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم « الصوم جنة » ، صيانة للنفس عن الانحدار الى بؤرة المعاصى لأنه يكسر فيها حدة الشهوة بما يحدثه الجوع والعطش من الهزال ، وما يربيه فيها الحرمان من قوة الصبر والاحتمال ، ومقاومة النزوات ، وفعالية الشهوات ، ومعنى كون هذه الجنة تجرى من تحتها الأنهار أن الماء يمشى فى ثناياها من أولها الى آخرها ، والعامة تقول عن طرف البستان ونهايته،أو طرف المزرعة ونهايتها تحت،كأن الماء يجرى مبتدئا من الطرف الى الطرف ، وقد جعل الله جل وعلا فى الماء من المزايا والخصائص الكثير الذى لا يحصى ، وهو الى جانب كونه يحيى به الأرض بعد موتها ، ومنه كل شى حى كما تقول الآية الكريمة فى موضع آخر ، متعة للخاطر ، وبهجة للنفس ، وغذاء للروح، وملهم للعقل، وجلاء للقلب، وصفاء للفكر ، يفزع اليه المهموم فينسى همه ، والمكدود فيستريح ، وبخاصة اذا كان محاطا بالأشجار والأغصان والثمار والفاكهة والطيور والشذى الطيب ، والعطر الفواح ، وهذه الثمار التى تحملها الأغصان،وتجود بها الأشجار، وهى حولك ، وفى متناول يدك ، لذة

لاتعدلها لذة الأكل ، وكأنما جعل الله للمؤمن هذا التمكن فى هذه الجنة على هذا الوضع الذى لا يشبهه الا حال الملك حينما يكون فى حديقة قصره ، يده فيها مطلقة ، وحريته فيها غير مقيدة ، وتصرفه فيها غير محدود ، ليريه الى أى مدى كانت منزلته ، ومع هذا الفضل الذى أتاحه له ، ومكنه منه ، أو سخره له ، تجىء مزية أخرى فى هذه الثمار لا يفسرها الا ما جاء فى الحديث النبوى الشريف وهو يقول فى تعظيم شأنها ، وفخامة أمرها ، وضخامة أوصافها : «فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » تلك المزية كون هذه الثمار تريك من نفسها ـ مع كثرة مصادرها وأعدادها ـ الاتحاد فى اللون والحجم والصورة ، حتى كأنك أمام مكرور معاد ؟ ولكنك عند تناولها وتذوقها يتأكد لك أنك أمام جديد لم يمر بك ، وطريف لم يرد عليك ، وغريب لم تكن قد ألفته ، ثم ترى أنه لابد لك أن تطرح من ذهنك فكرة التكرار والاعادة ، وتصور أنت بنفسك الى أى مدى تكون اللذة النفسية ، والمتعة الروحية ، بهذا الجديد الذى تراه فى كل لحظة تمر بك وأنت تتناول جديدا فى طعمه وحلاوته وميل الطبع اليه ، وبهجة الخاطر به ، أليست هذه منة أخرى ، ونعمة كبرى ، ودليلا على ان المنعم المتفضل يتضاءل أمام فيضة كل فيض ، ويجف أمام غيضة كل غيض ، ولا يتطاول أحد أمام ألوهيته العظمى أن يقول أنا الا اذا فقد وعيه ، وطغى عليه حمقه وطيشه « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها » .. ونحن أمام جزء آخر من الآية وهو « ولهم فيها أزواج مطهرة » نذكر للمرأة وضعها الكريم من الرجل ، ومنزلتها العظمى منه ، وحاجته الملحة اليها ، هى كانت ـ ولا تزال ـ بعضه الذى انحدر منه ، وجزأه الذى انفصل عنه ، ونصفه الذى لا يكمل الا به ، يحن اليه ، ويستريح له ، ويطمئن خاطره به ، فلا يفارقه راضيا ، ولا يبعد عنه مختارا ، ولا ينتهى حنينه له ، وشغفه به ، ورغبته فيه ، وشوقه اليه ، لذلك كانت الأزواج للمؤمن ـ رجلا كان أو امرأة ـ من تمام تلك المتعة ، وكمال ذلك النعيم ، وكان من مضاعفة هذه المنة ، تلك الطهارة التى لا تجعل فيها ما ينفر منها ، أو يزهد فيها ،

أو يصد الطبع عنها ، أو يبغضه اياها ، أو يحول بينها وبينه ... واذا كانت مضاضة الحرمان من الشيء ، ولذع فقده ، وخلو اليد منه ، وغضاضة ذلك على النفس ، وكراهيته على المرء ، من أشق المعاني التي يصادفها ، وأشد الآلام التي يعانيها ، فانها تكون أكثر وأكثر على من ذاق الشيء ثم حرمه أو حيل بينه وبينه لسبب خارج عن ارادته ، وهذا هو السر في أن بقاء هذه النعم، ودوام تلك المنن، والاستمرار عليها ، نوع آخر من فضل الله على المؤمنين في الجنة ، لا ينتهي مداه ، ولا ينقطع مدده ، ولا يجف غيضه ، ولا ينقطع فيضه ، ودوام النعمة وهو نعمة في ذاته ، دليل على دوام الرضا من المنعم ، وهذا هو الغرض الأسمى من الخلود الذي تسوقه الينا هذه الآية وهي تنوه بهؤلاء الذين استحقوا هذه المنزلة عند الله بما قدموا في الدنيا من ايمان صادق ، وعمل صالح، وعقيدة راسخة ، واخلاص تام ، وقلوب نقية ، وضمائر نظيفة ، وأفئدة لم تدنسها معصية ، ولم يكدر صفوها حرام ، لأنها كانت عامرة بطاعة الله ، مليئة بحبه ، والخوف منه ، والأمل فيه ، والثقة به ، من غير اشراك ولا شك ، مخلصين له الدين حنفاء .

دكتور ابراهيم على أبو الخشب

((كنتم خير أمة))

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى فى قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس . قال : قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه : لو شاء الله لقال ــ أنتم ــ فكنا كلنا ، ولكن قال ــ كنتم ــ خاصة فى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

أحلام لها تاريخ

للأستاذ السيد حسن قرون

هل تهتم بالأحلام ؟ وهل تؤمن بتأويلها ؟ وما مدى ارتباطها بالشئون العامة ؟ ان الناس قديما وحديثا رأوا وسعوا الى من يفسر لهم الرؤيا ، وأقدم ما وصل الينا ماذكره القرآن الكريم فى سورة يوسف التى حوت رؤيا يوسف عليه السلام التى قصها على أبيه ، ورؤيا كل من صاحبى السجن ، ورؤيا الملك التى تدور حول خصب مصر وجدبها ، وقد وجد كل منهم تأويل رؤياه ، ومع توالى العصور ظهر فى كل عصر ومصر من يحاول أن يضع قواعد وأصولا للأحلام وتفسيرها ، وأن يخصها بمكان فى ثبت العلوم ، ففى الغرب كان أرسطو أول من أنزلها من عليائها ، لتكون بيننا ، ومن صنعنا ، ونفى أن تكون من وراء الطبيعة ، وفى العصر الحديث ظهرعالم نفسانى هو (سيجموند فرويد) وضع علم النفس فى خدمة الأحلام بتحاليله النفسية التى أجراها على مرضاه ، وجزأ النفس البشرية الى ثلاث مناطق : شعور ، ولا شعور ، ومنطقة وسط هى همزة الوصل بين الشعور واللاشعور ، وجعل الأحلام رغبات مكبوتة تظهر فى النوم حين تضعف رقابة الشعور . وفى العالم الاسلامى ظهر (ابن سيرين) آخر العصر الأموى ، ورووا عنه تفسيرا للأحلام فى كتاب . أما فى العصر الحديث فقد سرنا وراء المذاهب الحديثة الآتية من وراء البحار ، فأصبح لدينا علماء نفسيون يقولون بما يقول علماء الغرب ، ويفسرون الأحلام كما فسرها (فرويد) وتلاميذه والسير على طريقة هؤلاء العلماء لا يضر ، فكل بحث عن النفس وما تنطوى عليه يقربنا من كنهها ،

ويزيدنا معرفة وارتياحا وشفاء من القلق والسهاد الى حد كبير ، ولكنه لا يحسم الأمر ولا يصل بنا الى نهاية يحسن السكوت عندها ، فمازالت النفس فى حجب كثيفة تحتاج الى مصابيح قوية حتى تكشف سراديبها ، وتظهر خفاياها ، وتبلغ مكنوناتها • « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ولم يتعرض أحد من المفكرين مع امتداد العهود الاسلامية الى وضع الرؤى التى دارت حول النبى المنتظر أو حوله حين ظهر موضع الدراسة ، ولم يقفوا منها موقف الكاشف لها ، الدارس لمصادرها ونتائجها ، وهل تفسر بمنطق ابن سيرين أو تجلى فى عيادة (فرويد) أو أنها أعمق وأدق من هذا وذاك ؟ لأنها جاءت لأمر يراد ، لأمر يمثل أحلام البشرية لما ظهر الفساد فى البر والبحر ، وضاق الناس ذرعا بعبادة الأصنام والحكام ، وتشوفوا الى مصلح يخرجهم من الظلمات الى النور ، وينقذهم من نار العصيان ويدنيهم من جنة الطاعة • ومن ثم كانت أحلامهم تنظر الى الغد ، الى مستقبل البشرية لا مستقبل الرائى

والحالم ، وأكثر أحلامهم كانت رموزا تحتاج الى مفسر له عقل ناضج ، وذهن متفتح ، وبصر يميز بين الأشياء ، ومن عجيب الأحلام ـ حسب علمى ـ أنك لا ترى انسانا يكذب فى قص الرؤيا ، بل يجعل جهده أن يتذكر ما رأى ، ويحرص على تفصيلاتها ما وجد الى ذلك سبيلا • ولنا فلسفة محلية فى أن الحلم مرجع بيانه الى أول مفسر له ، وليس الأمر كذلك ، فهناك أساطين برعوا فى تأويل الرؤيا على أسس قد تبلغ مبلغ العلم ، وقد يستخدم بعضنا فطنته فى الوصول الى التأويل القريب من الصحة ، ولكن الذين عاصروا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم لم تكن لهم مدارس نفسية أو فلسفية ، وعلم النفس لم يعرف اسمه العلمى الا فى العصر الحديث ، ويأخذك البهر والدهش مما بلغوه من تفسير الأحلام وتأويل الرؤى ، وقد اشتهر نفر من أصحاب الرسول على رأسهم أبو بكر الصديق ، فكان قولهم صادقا يصادف أمراً واقعاً •

وقد رأيت فى قراءاتى لكتب التراث والسيرة النبوية أحلاما لها تاريخ دفعنى الى الكتابة فيها ما رأيته من دقتها وتمثيل هدفها حين المبعث وقبله، ووضعت نفسى فى دائرة معينة (الأحلام التى عاصرت النبى قبل نزول الوحى وبعده) ، فصاحب الطبقات الكبرى يذكر من علامات النبوة رؤيا (خالد بن سعيد الأموى) ونص ما رواه قال خالد بن سعيد : « رأيت فى المنام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ظلمة غشيت مكة حتى ما أرى جبلا ولا سهلا ، ثم رأيت نورا خرج من زمزم مثل ضوء الصباح ، كلما ارتفع عظم وسطع حتى ارتفع فأضاء فى أول ما أضاء البيت، ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل أو جبل الا وأنا أراه ، ثم سطع فى السماء ثم انحدر حتى أضاء لى نخل (يثرب) فيها البسر ، وسمعت قائلا يقول فى الضوء سبحانه سبحانه ، تمت الكلمة • • • سعدت هذه الأمة • • • » فقصها على أخيه (عمرو بن سعيد) فقال : « لقد رأيت عجبا : وانى لأرى هذا أمرا يكون فى بنى عبد المطلب ؛ اذ رأيت النور يخرج من زمزم » ومعروف أن حفر زمزم مكرمة عبد المطلب جد محمد صلوات الله عليه •

ما رأيك فى هذا التفسير ؟ وهل ترتاح الى ما جاء فيه من تعليل ؟ لم يمر على هذا الحلم وتفسيره الا زمن يسير حتى نزل الوحى على رجل من بنى عبد المطلب أعلن أنه رسول رب العالمين ، وأصبح صاحب الرؤيا وصاحب التأويل من السابقين الى الاسلام ، ومن الشهداء الذين بذلوا أرواحهم للدفاع عنه والذود عن حياضه • ولو أردنا أن نرجع الى مصدر الحلم عند خالد بن سعيد فهل نعيا فى الوصول اليه ؟ ماذا كان يشغل بال خالد ؟ ولم اتجهت نفسه الى هذا المرأى ؟ هل نرجعه الى ما كان يشاع ويذاع عن نَبِيٍّ يظهر من بنى غالب كما جاء فى قصة تبع حين غزا يثرب ؟ أو نرجعه الى تنبؤات الأحبار والكهان فى المدينة ومشارف الشام وقصر غمدان فى اليمن؟ أو أن ذلك جاء من أحاديث قومه عن النفر الذين نفروا من عبادة

الأوثان ودعوا الى حنيفية ابراهيم عليه السلام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه ؟ أو أن ذلك جاء الهاما ؟ انى لا أستطيع أن أحسم الأمر ، ولا بد لى من التسليم بأن النفس البشرية تعلو على تفسير مذاهب الفلسفة والمذاهب النفسية الحديثة .

وحلم آخر (١) لخالد بن سعيد جذبه جذبا الى الاسلام فماذا رأى ؟ « رأى أنه واقف على شفير النار ، ورأى من سعتها ما الله به أعلم ، ويرى فى — النوم — كأن أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله آخذا بحقويه لئلا يقع » ثم التقى بأبى بكر — وكان قد أسلم — فعرض عليه رؤياه — فقال أبو بكر : « أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ؟ فانك ستتبعه ، وتدخل معه فى الاسلام الذى حجزك أن تقع فى النار ، وأبوك واقع فيها » فذهب الى النبى وقال له: يامحمد الامَ تدعو؟ قال : أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يرى من عبده ممن لم يعبده . قال خالد : فانى أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، فسر رسول الله باسلامه، وصارخامس أصحابه(٢). أما أبوه سعيد بن العاص بن أمية ، فقد ضل وغادر مكة كراهة أن تسفه الأحلام وتعاب الهة قريش أمامه ونزل فى أملاكه القريبة من الطائف، ومات كافرا .

لك أن تقول ان رؤياه مصدرها ما طار فى مكة من أن محمدا يوحى اليه ويتلقى خبر السماء ، ويتحدث عن الجنة والنار ، ولك أن تقول : ان الله أراد له الهداية ، ولكن كثيرا مثله سمعوا ما سمع فلم يحلموا ولم ينطلقوا الى خير داع وخير أتباع .

ولما وقعت الواقعة ودارت المعارك بين المسلمين وكفار قريش بعد الهجرة

---

(١) الطبقات الكبرى : ترجمة خالد بن سعيد .

(٢) رواية ابنته أم خالد .

الى المدينة رأينا أحلاما مثيرة مشيرة الى وقائع لم تقع ، وقتلى لم يقتلوا ، ومعارضة لتلك الأحلام من أئمة الكفر وعلى رأسهم عمرو بن هشام (أبو جهل) منها رؤيا (١) (عاتكة بنت عبد المطلب) ورؤيا رجل من بنى (المطلب بن عبد مناف) قبيل غزوة بدر ، فقد بلغ النبى أن قافلة القريش فى طريقها الى مكة قادمة من الشام فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وعليها ثلاثون رجلا ، منهم أبو سفيان، ومخرمة بن نوفل الزهرى ، وعمرو ابن العاص ، فأراد أن ينفلها المهاجرين الذين استولت قريش على أموالهم وديارهم بمكة ، وعلم أبو سفيان يتحسسه الأخبار حتى أصاب خبرا من بعض الركبان ، فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى ، فبعثه الى مكة ، وأمره أن يستنفر قريشا دفاعا عن أموالها فخرج ضمضم سريعا الى مكة. ورأت (عاتكة) قبل قدوم ضمضم بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها (العباس بن عبد المطلب) فقالت له والله لقد رأيت رؤيا أفظعتنى ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك به، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت له :

رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا بالقدر لمصارعكم فى ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا اليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة صرخ بمثلها : ألا انفروا بالقدر الى مصارعكم فى ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت(٢) فما بقى بيت أو دار الا ودخلتها منها فلقة .

قال العباس : والله ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لأحد . هل نفذ العباس ما دعا اليه ؟ لقد غلبه السر فلم يستطع كتمانه ، فقص رؤيا أخته على صديقه (الوليد بن عتبة) والوليد قصها على أبيه ، ففشا الحديث فى مكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها . وقد جنى العباس مر الجهر بالسر .

---

(١) سيرة ابن هشام : غزوة بدر .
(٢) تفتت .

قال : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل ابن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكه ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم • فقال أبو جهل : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قلت وماذاك؟ قال : تلك الرؤيا التى رأتها عاتكة ، فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقا ما تقول فسيكون ، وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عنكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب • قال العباس : فو الله لم يكن منى اليه كبير الا أنى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئا • ثم تفرقنا •

ماذا جرى للعباس حين اجتمع بأسرته ؟ يقول العباس : لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم تناول النساء وأنت تسمع ؟ ثم لم يكن عندك غير لشىء مما سمعت • فقال لهن : قد والله فعلت ، ما كان منى اليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له لأكفيكنه •

استعد العباس لمنازلة أبى جهل والنيل منه • قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أنه قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به •• اذ خرج نحو الباب يشتد ، فقلت فى نفسى : ما له لعنه الله ، أكل هذا فرق (١) منى أن أشاتمه ؟ واذا هو سمع مالم اسمع : صوت ضضم الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ،قد جدع بعيره(٢)،وحول رحله

---

(١) خوف .

(٢) قطع أنفه .

وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث ، الغوث ، فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر . لقد كان قدوم ضمضم على هذه الصورة تفسيرا لجزء من رؤيا عاتكة ، وبقى أن نعرف تفسير سائرها فيما بعد .

خرجت جموع قريش معجلة لحرب محمد وأصحابه ، وأكره العباس وبنو هاشم على الخروج حتى لا يكونوا خنجرا فى ظهر جيش قريش ، وأكره على أن ينحر للجيش من جماله مايكفيهم فى بعض المراحل . وحدثت الرؤيا الأخرى فى الطريق ، ألفت مكة بأفلاذ كبدها ، فلما نزلوا (الجحفة) رأى (جهيم بن الصلت) من بنى المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : انى رأيت فيما يرى النائم ، وانى لبين النائم واليقظان اذنظرت الى رجل قد أقبل على فرس ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة (١) بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فمابقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه نضح من دمه . وبلغ الخبر أبا جهل فقال : وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غدا من المقتول اذا التقينا ؟ والتقوا بجيش المسلمين ولم يصيخوا الى رسول أبى سفيان الى جيش قريش الذى قال لهم : انكم خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فكان تفسير رؤيا المطلبى وعاتكة معا، قتل كل من سماهم المطلبى وانجلت غزوة بدر عن سبعين قتيلا من صناديد قريش وسبعين أسيرا ، « فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة » كما قالت عاتكة ، وكان العباس فى الأسرى فرأى بعينيه تفسير رؤيا أخته،

---

(١) صدره .

وشهد مصرع أبى جهل ، كان ذلك فى العام الثانى للهجرة .

وبشىء من التأمل نجد أن من ذكرتهم ورؤاهم كانوا كلهم من بنى (عبدمناف) فالأول خالدبن سعيد أموى والثانية عاتكة هاشمية ، والثالث جهيم بن الصلت مطلبى ، وأبناء عبد مناف أربعة : ثلاث أشقاء الأب وأم وهم:عبد شمس ، وابنه أمية، وهاشم ، وابنه عبد المطلب،والمطلب ومن ذريته جهيم،والامام الشافعى فيما بعد،ورابعهم نوفل بن عبد مناف،وهاشم والمطلب لم يفترقا فى جاهلية ولا اسلام ، وعبد شمس ونوفل كانا ضد الأولين،ولكنهم جميعا لهم مآثر على قريش ، فقد سنوا لها رحلتى الشتاء والصيف ، وعقدوا معاهدات مع الملوك والأمراء فى الشام والفرس واليمن ، فعاشت قريش فى أمن وأثرت من التجارة والرحلات فاذا وقعت منهم الأحلام فانما ذلك لحبهم لقومهم واشفاقهم عليهم من مكايد الدهر ، ولأنهم أولو شفافية وتحمس فى الدين ، ولأن الله اصطفى من بينهم رسولا كان خاتم الأنبياء والمرسلين.

وقد تحدث القرآن عن النبى صلى الله عليه وسلم ذاكرا رؤياه فى غزوة بدر ، ولا ريب أنها من معدن آخر، انها من الله عز وجل ، قال تعالى : « اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » . الانفال : ٤٤،٤٣

لقد دارت كل هذه الرؤى حول أمر عظيم ورسول كريم ، ان لها لتاريخا نعتز به ، وتتفيأ ظلاله،وننعم بثماره ، انه يدعونا الى النظر والاعتبار،والقدوة الصالحة فيما يغشى من الأمور ، ولن تراها تصادى العلم أو تعاديه .

السيد حسن قرون

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٧٨ ـ ويقولون : فاز الولد فى السباق بيناً أو بينما لم يفز أخوه الكبير ، وهذا التعبير خطأ لأن بينا وبينما ظرفان تجب لهما الصدارة ، وهذا هو الفرق بينهما وبين كلمة (بين) والصواب أن يقال : بينا أو بينما فاز الولد لم يفز أخوه الكبير ، وبينا أو بينما كنا نشفق على صديقنا المريض طلع علينا أخوه بخبر شفائه من علته ، وفى الحديث « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب » الى آخر الحديث .

وقد تأتى بعدهما (اذ واذا) الفجائيتان ، فمن الأولى الحديث السابق ، ومن الثانية قول الحُرقة بنت النعمان .

بينا نسوسُ الناس والأمر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقةٌ تتنصف(١)

٢٧٩ ـ ويقولون لمن يذنب متعمداً : قد أخطأت ، فيحرفون الكلم عن مواضعه ، لأنه لا يقال أخطأ الا لمن لا يتعمد الخطأ ، أو لمن اجتهد فلم يوفق ، واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » واسم الفاعل من أخطأ مخطىء ، والاسم منه الخطأ كما فى قوله تعالى « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وأما المتعمِّد فيقال له : خَطِىءَ يخطأ من باب علم خِطءاً فهو خاطىء ، قال جل شأنه « ان قتلهم كان خِطءاً كبيرا » والاسم من الخِطء الخطيئة وجمعها الخطايا كما فى قوله سبحانه « انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا » .

---

(١) تتنصف : نخدم .

قال الشيخ أبو محمد : ولى فيما انتظم الخِطء والخطأ ، واحتضن معنييهما المتضادين قولى :

لا تخطون الى خطءٍ ولاخطأ
من بعد ما الشيب فى فوديك (١)
قد خطا (٢) فأى عذرلمن شابت‌مفارقة
اذا جرى‌فى‌ميادين الهوى‌وخطا(٣)

٢٨٠ ـ ويقولون : حَلبت الناقة لبناً كثيرا ، ببنـاء الفعل للفاعل ، والصواب أن يقال : حُلبت بالبناء للمفعول فهى محلوبة وقـد حلبهـا صـاحبها ، وهناك أفعـال كثيرة لا تستعمل الا مبنية للمفعول كهذا الفعل يقال : زُهـى فلان علينا اذا افتخر واختال،وزُهِى ُيزهى‌بنفسه اذا أعجب بها فهو مزهُو ، وغُشى على فلان اذا أغمى عليه فهو مغشى عليه كما فى‌قوله تعالى«ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت » وُزكم فهو مزكوم اذا أصـابه الزكام وهو تحلب فضول رطبة الى المنخرين ، وحُصر اذا اعتقل بطنه فهو محصور، وبه حُصْر بالضم وهواحتباس ذى البطن ،، وقـد قالوا : نعوذ بالله من الحُصْر والأُسْر ، ومعنى الأخير احتباس البول ، وأحصِر الحـاج اذا ُحبسوا عن المضى لمرض‌ونحوه، ومنه قوله تعالى : « فان أحصرتم فما استيسر من الهدى » وبُهت‌فلان اذا تحير وندم ، ومنه قوله تعالى : « فبُهت الذى كفر » وقول الشاعر:

وما هى الا أن أراها فجـاءة
فأُبهت حتى ما أكاد أجيبُ

وفُلج فهـو مفلوج اذا أصـابه الفالج وهو استرخاء فى أحد شـقى البدن ، وتنجت الناقة اذا وضعت ، وغير ذلك كثير .

٢٨١ ـ ويقولون : فلان شَغوف بقرض الشعر ، والصواب أن يقال: هو مشـغوف بكذا ، أى مولع به لأنه يقـال : شُغِـف فلان بالشىء ببناء الفعل للمفعول ، فهو مشغوف به ، ولو خُرِج شَغوف فى قولهم

---

(١) الفودان : ناحيتا الرأس .
(٢) وخط الشيب شعره : خالطه.
(٣) خطا : مشى .

هذا على أنه من صيغ المبالغة لتغير المعنى الذى يريدونه ، اذ معنى شَغوف آنئذ شاغف غيره كثيرا ، ولوجب أن يقال : هو شغوف اياه ، وهذا ما لا يريدون •

ولا يمكن أن يحمل شغوف فى قولهم على أنه صفة مشبهة لأن شغف فعل متعد الى المفعول به كما فى قوله تعالى « قد شغفها حبا » والصفة المشبهة لا تأتى الا من اللازم ، ولم نجد شغف بكسر الغين لازما الا اذا كان بمعنى قلق ، ففى لسان العرب: وشغف بالشىء شغفا من باب طرب» وهذا لا يعنينا لأن معناه مخالف لمعنى شغفه •

ويمكن أن تتلمس علاقة بين معنى شغفه ومعنى شغف به لما بين الولوع بالشىء والقلق من الصلة وعليه يمكن أن يقال على سبيل المجاز : فلان شغف بكذا ، أى مشغوف به ومولع ، وصوغ شغف صفة مشبهة من شغف به شغفا قياسى للزوم الفعل لأنه على وزن فعل بفتح فكسر •

٢٨٢ ــ ويقولون فى جمع مِرآة وهى ما يتراءى فيه الانسان : مرايا، وهذا خطأ صراح وقع فيه بعض الشعراء المحدثين اذ قال •

فهب اللحية غطت
منه خدا كالمرايا

كما وقع فيه أيضا صاحب هامش القاموس حيث قال فى مادة (يا) قوله فى الخط مثل التى فى قائل وبائع ، وفى اللفظ مثل خطايا ومرايا فى جمع خطيئة ومرآة •

والصواب أن يقال فى جمعها مراء بزنة مفاعل كملعقة وملاعق ، أما مرايا فهو جمع لمِرِىٍّ وهى الناقة التى تدر اذا مسح ضرعها فتكون غزيرة اللبن ، وقد جمعت على أصلها الذى هو مرية فقيل مرايا كقضية وقضايا ، وانما حذفت الهاء منها عند الافراد لكونها صفة خاصة بها لا يشاركها الذكر فيها •

٢٨٣ ـ ويقولون لرضيع الانسان: لقد ارتضع بلبنه ، والفصيح أن يقال : ارتضع بلبانه ، لأن اللبان هو الرضاع وهو مصدر لابنه ملابنة ولبانا اذا شاركه فى شرب اللبن ، أما اللبن فهو المشروب ، قال الأعشى يمدح المحلق .

تشبُّ (١) لمقرورين (٢) يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلقُ

رضيعىْ لِبان ثدى أم تقاسما
بأسحم(٣) داج(٤) عوض لا تتفرق

أى أن المحلق والندى ارتضعا ثدى أم واحدة ، وتحالفا على أنهما لا يفترقان ، وكلمة عوض من أسماء الدهر ، ومعناها أبدا ، وهى مبنية على الضم ، وعنى الشاعر بالأسحم الداجى ظلمة الرحم .

٢٨٤ ـ ويقولون : نحفظ ثيابنا فى الدولاب ، وكلمة الدولاب بفتح الدال وضمها والفتح أفصح لا صلة لها بالثياب وانما هى المنجنون التى يستقى بها الماء كالناعورة ، والصواب أن يقال : نصون ثيابنا فى الصوان بضم الصاد وكسرها صَوْنا من باب قال ، وصيانا وصيانة بكسرهما ، فهى مصونة على النقص ، ومصوونة على التمام ، وتصان القوس فى صوانها ، ومصوانها بالكسر ، ومصانها بالفتح وهو غلافها .

٢٨٥ ـ لقد قرأت فى صحيفة الأهرام قول أحد محرريها : يسر المصرف العربى أن يعلن عن فتح باب الاكتتاب بتعدية الفعل يعلن بعن ، وهذا خطأ ، والفصيح أنه اما أن يتعدى بنفسه كما فى قولك : أعلنت الخبر ، وأسر صديقى أمره ثم أعلنه أى أظهره ، وكذا علنه بالفعل المضعف ، واما أن يتعدى باللام كما فى قوله جل شأنه « ثم انى

---

(١) تشسب النار : توقد وترتفع .
(٢) المقرور : من أصابه القر وهو البرد .
(٣) الأسحم : الأسود .
(٤) الداجى : السابغ .

أعلنت لهم وأسررت لهم اسرار »

وقول الشاعر :

وكفِّى عن أذى الجيران نفسى
واعلانى لمن يبغى علانى

والعيلان والمعالنة والاعلان المجاهرة ، وقد يتعدى بالباء كما فى قولك : أعلنت بالشىء اعلانا اذا بينته وأوضحته ، ومثل هذا ما كان موازنا لفاعل ، تقول : عالنه وعالن به علانا ومعالنة .

أما الثلاثى فلازم ، تقول : علن الأمر علونا من باب قعد اذا ظهر وانتشر فهو عالن ، وعلن علنا من باب طرب لغة فهو علن وعلين ، كحزن حزنا فهو حزن وحزين والاسم العلانية كما فى قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية » ويقال : قد استسر أمره ثم استعلن ، أى كان أمره سرا ثم ظهر ، فهو مستعلن ، قال النابغة .

أتاك امرؤ مستعلن لى بغضه
له من عدو مثل ذلك شافع

٢٨٦ ـ وكثير منهم يجمعون الأبله على بلها بضم ففتح ، وهذا فاسد ، لأن فعلاء لا يطرد الا فى وصف لمذكر عاقل بزنة فعيل بمعنى فاعل ، كحكيم وحكماء ، وظريف وظرفاء ، والصواب أن يجمع هو ومؤنثه على بله بضم فسكون كحمر ، وخضر ، قال ابن مالك : فعل لنحو أحمر وحمرا .

تقول : بله فلان يبله بلها وبلاهة من بابى طرب وسلم فهو أبله ، وهى بلهاء ، وهم وهن بله كما يزعمون أن البله لا يستعمل الا فى الذم ، والحق أن الغالب فيه المدح ، ومن حكم العرب قولها : خير أولادنا الأبله الغفول ، وخير النساء البلهاء الخجول ، أى أن كلا منهما لشدة حيائه وصفاء نفسه يتغافل ويتجاوز عما يوجه اليه من اساءة . قال .

ولقد لهوت بطفلة (١) ميالة
بلهاء تطلعنى على أسرارها

---

(١) الطفلة بفتح الطاء : الرخصة الناعمة .

والأبله من غلبت عليه سلامة الصدر ، وحسن الخلق ، وقلة الفطنة لمداق الأمور ، وفى الحديث « أكثر أهل الجنة البله » أى فى أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها ، وهم أكياس فى أمر الآخرة ومن المجاز وصف العيش والشباب بالبلاهة فيقال : عيش أبله اذا كان ميسرا سهلا ، وشباب أبله اذا كان صاحبه غافلا عما يحدث من الطوارق ، والبلهاء المرأة الكريمة الغريرة المغفلة ويقال : تباله فلان اذا أرى من نفسه البله وليس به ، قال عمر بن أبى ربيعة

تبالهن بالعرفان لما عرفننى
وقلن امرؤ باغ(١) أكل(٢) وأوضعا(٣)

٢٨٧ — ويقولون : اقتصد فلان من راتبه كذا ، والفصيح أن يقال : ذخر من راتبه كذا يذخره من باب نفع ذخرا بالفتح ، والاسم الذخر بالضم ، أى خبأه وأعده لوقت الحاجة اليه ، واذخره على افتعل مثله ، وأصله اذ تخره فثقل اجتماع التاء للافتعال والذال ، فقلبت التاء ذالا وأدغمت فيها الذال الأصلية فصارت ذالا مشددة .

ويقال : المال مذخور ، ومذخر ، وذخيرة ، وادخره ادخارا بالدال كذلك فهو مدخر ومن المجاز قولك: ذخر فلان لنفسه حديثا حسنا وجعل ماله ذخرا عند الله ، أما الاقتصاد فهو العدل والتوسط بين الاسراف والتقتير ، تقول : قصد فلان فى معيشته واقتصد فيها اذا لم يجاوز فيها الحد ، بل رضى بالتوسط والاعتدال لأنهما أسد وسيلة لبقائه سعيدا فى حياته ، والقصد أيضا التوسط فى كل شىء ، ومنه قوله تعالى : « واقصد فى مشيك » .

ويقال : فلان على قصد فى كل أموره أى على رشد .

٢٨٨ — ويقولون : فلان حدث السن بالتحريك ، يعنون أنه شاب فتى ، والصواب أن يقال : هو حديث السن ، والمعنى أن سنه

---

(١) الباغى : الطالب .
(٢) أكل الرجل : كل بعيره .
(٣) أوضع : أسرع .

جديدة قريبة ، ومنه قول العرب : فلان حديث عهد بالاسلام أى قريب عهد به ، فاذا حذفت كلمة السن قلت هو حدث بفتحتين وهم أحداث أما قولهم : رجل حدث وزان عجز ، وحدث وزان كتف فمعناه أنه حسن الحديث .

قال الجوهرى : ورجل حدث وحدث بضم الدال وكسرها أى حسن الحديث ، ورجل حديث وزان سكيت أى كثير الحديث ، ففرق بين الأولين بأن معناهما الحسن الحديث والأخير معناه الكثير .

٢٨٩ ـ ويقولون : لك منا سلام عاطر ، وتحية عاطرة ، كما يقولون : هذا رجل عاطر بمعنى متعطر ، وامرأة عاطرة .

والصواب أن يوصف المذكر والمؤنث من الناس وغيرهم فيقال : رجل عطر ، وامرأة عطرة ، وسلام عطر ، وتحية عطرة ، كل أولئك وزان فرح وفرحة .

أما العاطر فهو من يحب العطر ، وكذا العاطرة ، ويقال للذكر والأنثى معطار ومعطير بكسرهما ، وهم وهن معاطير أى كثيرو التعطر بالعطر .

ويقال : نوق عطرات ومعاطير اذا كانت حسانا ، ونسوة عطرات أى متعطرات بالطيب ، قال .

تضوع[1] مسكا بطن نعمان[2] انمشت به زينب فى نسوة عطرات

٢٩٠ ـ ويقولون : احتار فلان فى أمره ، يعنون أنه لم يدر وجه الصواب فيه ، وفى هذا التعبير مخالفة للقياس ، لأن مطاوع حير يجب أن يكون على وزن تفعل ، تقول : حيرته فتحير كما تقول : كلمته فتكلم ، وحسنت الشىء فتحسن ، وحملت أخى كذا فتحمله .

---

(١) تضوع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) نعمان بفتح النون : اسم واد .

ويمكن التعبير عن المعنى المراد بالفعل الثلاثى فيقال : حار فلان فى أمره فهو حائر وحيران ومن هذا قوله تعالى : « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران» وهى حيرى ، وهم وهن حيارى بفتح الحاء وضمها .

٢٩١ ـ ويقولون : ضحك فلان ضحكة صفراء ، يعنون أنه يخفى فى نفسه الحقد ، وهذا التعبير أعجمى لم يرد عن العرب ، لأن الضحك لا يوصف بالاصفرار .

والفصيح أن يؤدى المعنى المبتغى اذا قلنا : ضحك ضحكة يشتم منها الضغن والانطواء على العداوة ، أوضحك ضحكة تنبىء بالخبث والمكر والخديعة .

٢٩٢ ـ ويقولون : لهذا الولد أب حنون ، وهذا التعبير يشوبه الخطأ ، لأن الحنون هى الريح لها حنين كالابل ، وكذلك هى المرأة المتزوجة برقة على ولدها ليقوم الزوج بشئونهم والصواب أن يقال : له أب شفيق ، أو مشفق ، أو رحيم أوشفق وزان طرب ، قال .

قل للأمير أمير آل محمد
قول امرىء شفق عليك محامى

٢٩٣ ـ ولقد فشا فيما يكتب فى الصحف ، وعلى ألسنة كثير من المثقفين قولهم : أكد الرئيس فى خطبه الكثيرة على كذا وكذا ، وأكد الرجل العاقل على أن يتحلى أبناؤه بكريم الأخلاق ، فهم يعدون الفعل أكد فى التعبيرين السابقين بعلى ، وهذا غير سليم لأن هذا الفعل لايتعدى الابنفسه ، تقول :أكد أخى الخبر يؤكده تأكيدا اذا قواه فتأكد ، ومثله وكده يوكده توكيدا فتوكد ، وهو بالواو أفصح من المهموز ومنه قوله جل شأنه « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » .

٢٩٤ ـ ويقولون : كان بين فلان وجاره قطيعة وتخاصم ، ثم اصطلحا وأصبحا يتكلمان ، والصواب أن يقال : وأصبحا يتكالمان ، للمناسبة بين التكالم وما هو ضده من التخاصم والتصارم ، ففى المزهر ص ٣١٩ من الجزء الأول ، تقول كانا متهاجرين فأصبحا يتكالمان ، ولا تقل يتكلمان ، وفى المختار : تكالما

بعد التهاجر وكانا متهاجرين فأصبحا يتكالمان ، ولا تقل يتكلمان ، وفى الأساس : وكانا متصارمين فصارا يتكالمان والكليم بكسرتين ثانيتهما مشددة وزان سكيت هو المنطيق الذى يخلب الألباب بحسن حديثه أما الكليم بزنة حكيم فهو من يكلمك ، ومنه قيل لموسى عليه السلام:كليم الله ويقال: رجل تكلام وتكلامة بكسرتين وتشديد لامهما، وكلمانى بكسرتين مشددة اللام ، وبكسرتين مشددة الميم اذا كان جيد الكلام فصيحه ، أو كثير الكلام وهى بهاء ويقال : كلمه تكليما وكلاما بكسر الكاف وتشديد اللام مثل كذبه تكذيبا وكذابا فى قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » وفى التنزيل : « وكلم الله موسى تكليما » .

والكلام هو المعنى القائم بالنفس كما فى قوله سبحانه : « ويقولون فى أنفسهم » وقال الشاعر :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

٢٩٥ ـ ويقولون : أكل فلان تصبيحته ، يعنون بها طعام الصباح والصواب أن يقال أكل تصبيحه بغير تاء ، والتصبيح الغداء اسم بنى على تفعيل ، تقول لخادمك قرب الى الضيوف تصابيحهم ، وفى حديث المبعث : « وكان يتيما فى حجر أبى طالب وكان يقرب الى الصبيان تصبيحهم فيختلسون ويكف » .

٢٩٢ ـ ويقولون : غم على فلان أمره ببناء الفعل للفاعل ، يعنون أنه لم يهتد للخروج منه ، والصواب أن يقال غُـم عليه أمره بالبناء للمفعول وغُـم عليهم الهلال اذا حال دون رؤيته غيم رقيق ، وفى الحديث صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما وليلة الثلاثين من شعبان تسمى ليلة الغمى بضم الغين وفتحها وتشديد الميم ، ليلة غمى طامس (١) هلالها ومن المجاز قولك : سحاب أغم أى لافرجة فيه، والعرب تكره الغمم وتحب النزع بالتحريك فيهما فتقول

(١) هلال طامس : ذاهب الضوء .

فى الذم: رجل أغم الوجه والقفا، وفى المدح رجل أنزع أى منحسر الشعر عن جانبى جبهته ، قال :

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجـه ليس بأنزعا

٢٩٧ ــ ويقولون لما يقوى النظر ويعينه على القراءة والكتابة فى سهولة ويسر : نظارة بتشـديد الظـاء ، والفصيح أن يقال له منظار اسم آلة من النظر ، جمعـه مناظير والمنظـار أيضا المرآة جمعها مراء ، أنشد الفراء

خود (١) مهفهفة (٢) كأن جبينها
تحت الوصاوص(٣) صفحة المنظار

أما النظارة فهم القـوم ينظرون الى شىء ، واحدهم ناظر كراجـل وهو من لم يكن له ظهـر يركبه ، ورجالة وسائر وسيارة ، وفى التنزيل: « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم » أنث كل جمع من هذه الجموع على معنى الجماعة .

٢٩٨ ــ ويقولون : الأمير مهـاب بضم الميم ، يعنون أن الناس يهابونه ويجلونه ويعظمونه ، والفصيح أن يقال : هو مهوب ومهيب اسم مفعول من هابه يهيبه هيبة ومهابة اذا خافه وأجله فهو هائب وهيوب وهيوبة ، قال أنس :

وباه تميما (٤) بالغنى ان للغنى
لسـانا به المرء الهيـوبة ينطق

أما المهاب فلا صلة له بالخـوف والاجلال ، وانما هو اسم مفعـول من قولهم : أها ب الفرسان بالخيل اذا دعـوها أو زجـروها فالخيـل مهاب بها ، قال :

أهيبـا بهـا يا ابنى ضباح فانهـا
جلت عنكم أعناقها لون عظم(٥)

ومن هذا قولك لأبنائك : أهيب بكم أن تستمسكوا بكريم الأخلاق أى أدعوكم ، فالأبناء مهاب بهم .

---

(١) الخود : الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة .
(٢) المهفهفة : ضامرة البطن دقيقة الخصر .
(٣) الوصاوص : براقع صغار تلبسها المرأة .
(٤) باه تميما : فاخرهم .
(٥) العظلم : الليل المظلم .

٢٩٩ ـ ويقولون للرجل الذى يعمل بكلتا يديه : أعسر أيسر ، وللمرأة هذه حالها : عسراء يسراء، وكلا التعبيرين خطأ ، والصواب أن يقال للرجل : هو أعسر يسر بفتح كل من الياء والسين ، وكان عمر رضى الله عنه أعسر يسرا ، وأن يقال للمرأة : هى عسراء يسرة بفتحات .

٣٠٠ ـ ويطلقون الحظ على النصيب من الخير والشر، فيقولون: فلان حظه حسن وفلان حظه سىء ، والفصيح أن الحظ مقصور على النصيب من الخير ، تقول : حظ الرجل يحظ حظا أى صار ذا حظ من الرزق أو المال أو العلم ، فهو حظ وحظيظ وحظى كغنى وحظظت يا رجل بالبناء للمجهول فأنت محظوظ ، ويقال : لهم حظوظ وأحاظ ، ومن هذا قوله : ولكن أحاظ قسمت وجدود ، ومما يدل على أن الحظ خاص بالخير قوله تعالى « يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم » ومثله تماما قولك : رجل مجدود أى ذو جد ، ورجل مبخوت أى ذو بخت ، فالحظ ، والجد ، والبخت ، ثلاثتها متفقة وزنا ومعنى .

عباس ابو السعود

الوطن الإسلامي :

جمهورية داهومي

حقائق .. وأرقام

الموقع : أفريقيا الغربية :

المساحة : ٤٤٢٩٠ ميلا مربعا

عدد السكان: ٢٫٠٥٠٫٠٠٠ نسمة منهم ٦٠٪ مسلمون

المدن الرئيسية : مع السكان : بورتونوفو (العاصمة) ٦٥٫٠٠٠ نسمة ـ كوتونو ٨٥٫٠٠٠ نسمة أبومى ٢٠٫٠٠٠ نسمة ـ أويده ١٥٫٠٠٠ نسمة ـ دجوكو ٧٫٠٠٠ نسمة ـ براكون ٥٫٠٠٠ نسمة .

السكان

بلغ مجموع السكان ـ حسب تقديرات الأمم المتحدة لعام ١٩٦١ ٢٫٠٥٠٫٠٠٠ نسمة وتبين مختلف المصادر الموثوقة أن الأكثرية هى من المسلمين وتقدر بستين فى المائة . وبالرغم من الجهود التبشيرية الجبارة لا يؤلف المسيحيون أكثر من ١١٪ من السكان والباقى من الوثنيين . اللغات هى عبارة عن لهجات محلية والافرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد .

التاريخ

لا يعرف شيء عن تاريخ القبائل التى عاشت فى داهومى قبل الاسلام ، وتدل الأدوات البرونزية التى اكتشفت على وجود نوع من المدنية فى الماضى البعيد ـ وقد شق الاسلام طريقه الى داهومى وغيرها من البلدان جنوب الصحراء فى القرون الأولى لعهد الهجرة، وهناك معلومات تشير الى وجود جماعات اسلامية فى شمال البلاد منذ القرون القديمة ولو أن الدين الاسلامى لم ينتشر بسرعة الا بعد الاستعمار الافرنسى ولا توجد أية معلومات عن قيام سلطنات اسلامية فى الماضى كما لدينا عن غيرها من البلدان المجاورة مثل نيجيريا .

ليس لدينا معلومات تاريخية عن القبائل الأصلية وممالكها الا التى

ترجع الى القرن السابع عشر عندما قامت مملكة داهومى ، وكلمة « داهومى » هذه تعنى حرفيا « بطن دان » ودان اسم ملك قديم للقبيلةوكان هذا الملك يأكل فريسته، والدهوميون فى الأصل قبيلة شرسة مقاتلة اختصت بفرق مدربة من النساء الجنود تسمى الأمازون بلغ عددهن ١٨٠٠٠ فىوقت من الأوقات وكن شرسات وشجاعات الى درجة كبيرة وقد بلغت هذه المملكة أوجها فى سنة ١٨١٨ عندما تبوأ العرش الملك جيزو الذى توفى بعد حكم دام أربعين عاما .

وفى سنة ١٨٥١ وقعت فرنسا معاهدة تجارية مع الملك جيزو الذى خلفه ابنه جليجل وفى سنة ١٨٦٣ استولت فرنسا على بورتونوفوبعد أن استولى البريطانيون اللاجوس فى نيجيريا وبدأ الألمان الذين كانوا قد ثبتوا أقدامهم فى توجو غربا بالتوافد على داهومى غيرأنهم قبلوا أن يحصروا حمايتهم فى «جوينيا» و «توجو» بموجب معاهدة فرنسية قبل الألمان أن يحصروا « حمايتهم» فى جوينيا وتوجو ولم يجر تثبت الحدود نهائيا الا بعد اتفاقية١٨٨٩ التى تنازل البريطانيون بموجبها عن كوتونو . وفى السنة نفسها حصلت اضطرابات بين ملك داهومى والمغتصبين الفرنسيين الذين لم يتوانوا عن امتلاك البلاد بدون علم الشعب وتبع ذلك قتال عنيف لعبت فيه فرق الأمازون المذكورة آنفا دورا بارزا . وفى عام ١٨٩٠ تم توقيع معاهدةحصلت فرنسابموجبها على بورتو نوفووكوتونو وخصص لملك داهومى تقاعدا قدره ثمانمائة ليرة استرلينية بالسنة وقد خلف جليجل ابنه بنهانزن الذى قاد سنة ١٨٩٢ حربا ضد الفرنسيين غلب فيها الداهوميين فأحرق ملكهم بنهانزن عاصمته وفر هاربا الى الشمال ولكنه سلم نفسه نهائيا سنة ١٨٩٤. وقد شطر الفرنسيون البلاد الى شطرين ــ أبومى والودا ونصبوا على عرش أبومى شقيق الملك المنفى بينما وضعت بقية البلاد تحت سيطرتهم المباشرة وقد نفى الفرنسيون أيضا ملك أبومى الى الكونغو عام ١٩٠٠ وبموجب المعاهدة الانكليزية ــ الفرنسية سنة ١٨٩٨ خططت

الحدود الشرقية نهائيا وبمعاهدة افرنسية ألمانية سنة ١٩١٢ تم تخطيط الحدود الغربية من جهة توجو ــ داهومى وأصبحت داهومى جغرافيا كما هى الآن مستعمرة افرنسية •

منذ أواسط القرن التاسع عشر تركز نشاط المبشرين المسيحيين فى داهومى أكثر منه فى سائر بلدان أفريقيا الغربية الفرنسية لا سيما فى أعمال التعليم ووجد من جراء ذلك ١٦٣٠٠٠ كاثوليكى و ١٨٠٠٠ بروتستانتى فى الداهومى • ومنذ فجر الاسلام كان هنالك مسلمون فى المناطق الشمالية بالاضافة الى هجرة الفولانى ــ مسلم فى الماضى من الشمال والهوسار ــ مسلم من نيجيريا • وقد اعتنقت الاسلام قبائل كبيرة فى القرون الماضية منها الباريباس غير أن القبائل الداهومية الهمجية فى الجنوب التى كان يحكمها ملوك محاربون قاومت هذا الاعتناق ورفضته بشدة ومع عدم القيام بجهود تبشيرية اسلامية منظمة فان وجود جاليات اسلامية فى الشمال زادت بمثاليتها عدد المهتدين من الداهوميين فى الجنوب حتى أصبح المسلمون ستين بالمائة فى يومنا هذا وبعد الحرب العالمية الثانية وفى عام ١٩٤٧ أنشأ الفرنسيون أول حكومة نصف مستقلة • وفى آيار سنة ١٩٥٧ منح لداهومى استقلالها الداخلى وفى سنة ١٩٥٨ رشحت داهومى نفسها عضوا فى المجموعة الفرنسية ووضعت لنفسها دستورا فى شهر فبراير عام ١٩٥٩ • وقد انتخب مجلس تشريعى من سبعين عضوا لمدة خمس سنوات فى نيسان ١٩٥٩• وترأس السيد هيبوت ماجا حكومة اتحاد وطنى • وفى أول آب ١٩٦٠ أعلنت داهومى استقلالها التام وفى ٢٠ أيلول من السنة نفسها أصبحت عضوا فى الأمم المتحدة •

باب الفتوى

موقف الشيوعية من الدين

لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

لقد بدأ الكفر بالدين مع «ماركس» منذ ابتداء الشيوعية فقد قال ماركس كلمته المشهورة : «ان الدين أفيون الشعوب » .

أى أنه يخدرهم ويعدهم ويمنيهم ويتحدث اليهم عن الله وعن الحساب والنعيم فى الآخرة . وهو من هذا الجانب عامل تخدير يتم فى الجو الاجتماعى .

ولقد تلقف «لينين» هذه الكلمة لكارل ماركس وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين .

انه يقول حرفيا :

قال ماركس : « ان الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعها والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لرد الفعل البرجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتحذير الطبقة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب «لينين» مايلى نصا :

«الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » .

ونتابع أقوال الشيوعين عن الدين :

يقول «لونا شارسكى» الذى كان يوما وزيرا للتعليم فى حكومة الشيوعين :

«نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى أحسن المسيحيين خلقا نعده شر أعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران

والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فان مانريده هو الكراهية والعداوة ، وحين ذاك نستطيع غزو العالم » •

ان تبشير المسيحية أو ـ بتعبيرآخر تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمة يثير الكراهية فى نفس الشيوعى : اذ أنه لايعرف الا الحقد والكراهية والعداوة، وبهذه الكراهية والعداوة يستطيع فيما يزعم غزو العالم ! ! !

والزعيم الشيوعى « لينين » يعلن فى وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية بكلمات قليلة حاسمة ، انه يقول :

«الماركسية : هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين » ! ! !

أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى ١٩٢٨ •• فانه يقول حرفيا :

«ان الحرب ضد الدين ـ وهو أفيون الشعوب ـ تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة » •

ولايكاد «لينين» يمل الحديث عن الأديان ، ووجوب تحطيمها ، انه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة •

ولقد كتب فى يوم خطابا للكاتب الروسى «مكسيم جوركى» يقول فيه :

«ان البحث عن الله لافائدة فيه ومن العبث البحث عن شىء لم تضعه فى مكان تخبئه فيه ، وبدون أن تزرع لاتستطيع أن تحصد ، وليس لك اله لأنك لم تزرعه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وانما تزرع يخلقها البشر ، ويلدها المجتمع » !!!

ومما سبق نرى :

«أن الشيوعية فى العقيدة معارضة للاسلام ! ! !

وهى فى الأخلاق : معارضة للاسلام •

« وهى فى الاقتصاد : معارضة للاسلام !!!

«وهى فى كل هـذه المعارضـات منكرة متعمدة، بل وساخرة مستهزئة

فهى اذن ملحدة ، لايشكون هم فى ذلك : ولا يشك فيه غيرهم .

والواقع يكذب كل مماراة لهم، وهم فى موقفهم أشد انحرافا عن الاسلام من المشركين .

ولقـد بين الله الأحكام بالنسـبة للملحدين والمشركين :

من هذه الأحكام : الأحكام الخاصة بالزواج مثلا : يقول تعالى :

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خـير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون» ٢٢١ البقرة .

فالمسلمة اذن : لا تحل لشـيوعى فاذا كان اعتنق الشيوعية بعد الزواج فانها تصبح محرمة عليه .

والمسلم لاتحل له الشيوعية ، فاذا كانت اعتنقت الشيوعية بعد الزواج فقد أصبحت محرمة عليه .

واذامات الشيوعى أو الشيوعية فانه لايصلى عليه ، ولايـدفن فى مقـابر المسلمين ، ولايرثه وارث مسلم ولا يرث هو من الأقارب المسلمين .

واذا تاب الشيوعى : فان باب التوبة مفتوح ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يـده بالنهار ليتوب مسىء الليل .

ومن يعتصم بالله فقد هـدى الى صراط مستقيم » .

تقديم : محمود رسلان

كتاب الشهر:

الله... أو... الدمار

تأليف: الأستاذ سعد جمعة
رئيس وزراء الأردن السابق

عرض وتحليل
الدكتور عبد الودود شلبي

الله .. أو .. الدمار .. !

لقد لفت نظرى هذا العنوان فى رحلة عابرة الى بيروت منذ سنوات .. كنت أسير متثاقلا فى شارع « سوريا » قريبا من ساحة الشهداء ، ولم يكد يقع نظرى على هذا الكتاب حتى دلفت مسرعا الى داخل المكتبة .. ودفعت ماطلبه البائع دون تردد أو مراجعة .

العنوان مثير .. ومعبر.. والمؤلف الذى كتب اسمه على الغلاف كان أكثر اثارة ومفاجأة .. هل من المعقول أن يؤلف مثل هذا الكتاب رئيس وزراء فى دولة ؟ فالوزراء عادة مشغولون بقضاياسياسية بحتة ، بمشاكل داخلية وخارجية مجردة أما أن يكتب رئيس وزراء فى قضايا الفكر والعقيدة ، فتلك ظاهرة جديدة تستحق النظر وتضية فريدة توجب الاهتمام والبحث ..

ولا أدرى من قال هذه الكلمة من قدامى الساسة حين سئل عن معنى كلمة « السياسة » والثقافة .. والعقيدة فقال :

السياسة هى فن ممارسة الكذب بأسلوب مقبول ، والثقافة هى «فن» الحياة فى حدود المعقول . أما الدين والعقيدة فهما جوهر الحياة الذى تطمئن اليه القلوب والعقول ..

فاذا كانت السياسة بمفهومها . الكيافلى هى ممارسة الكذب على هذا النحو . وكان تطبيقها فى الحياة مقترنا بهذا التفسير والشرح فبأى أسلوب يتصرف الانسان حين يملك أو يحكم ؟ وبأى منطق ومنهاج يتصرف رئيس الوزراء أو الحاكم المسلم ؟

هذه الكلمات لا بد منها قبل أن نتعرض لهذا الكتاب الذى ألفه الأستاذ سعد جمعة فقد كان رئيسا للوزراء فى دولة الأردن الشقيقة . وعاش وهو فى قمة الحكم مرحلة من أخطر المراحل التاريخية الحديثة . لقد كان رئيسا للحكومة ابان حرب الأيام الستة وكتب عن هذه الحرب كتابا أحدث بعد صدوره ضجة ... ثم ترك السياسة الى التأليف والكتابة وكان من ثمرة هذه « الهجرة « أو » التوبة » . اذا أخذنا بالاعتبار مفهوم السياسة على نحو ما يقول السياسى المخضرم فى المقدمة ـ هذا الكتاب الذى يشع ايمانا ونورا وحرارة ..

يقول الأستاذ سعد جمعة فى مقدمة هذا الكتاب :

ان المعاناة التى تصلاها الأمة العربية اليوم هى أكبر وأخطر مأساة واجهتها فى تاريخها الطويل • أوتار لاتشفى • وأحقاد تستشرى وتمتد • شعوب مضللة وطواغيت تخلفها طواغيت — ربع قرن من التبدد والانسلاخ،ربع قرن من التهتك والتفكك • والفساد والالحاد • والشائعات والمذهبيات • رفعنا كل شعار عرفته الدنيا منذ كانت الدنيا • كل أيديولجيات التاريخ فى الشرق والغرب استوردناها وزورناها وجرعناها للناس بالقمع والارهاب ليستبدلوها بعقيدتهم وحضارتهم وايمانهم فغرقنا فى مفازات الضياع ومتاهات الفراغ وخلت الساحة من الاشراف •

ذلك لأن معظم الجيل الجديد من الكتاب هم جيل البدع والفوضى والرفض والانبهار بكل ما يأتى من وراء الحدود • هم ممن نشأوا فى أحضان الارساليات التبشيرية •• ثم فى أقسام الدراسات الشرقية فى جامعات الغرب التى يشرف عليها يهود •• لذلك يعيبون علينا أن ندعو الى الدين • يقولون اننا نعزف على نغمة الدين المتروك قال ذلك كاتب تقدمى ثورى •

الدين متروك ، لماذا ؟ ومن تركه ؟ وهل يكون من يتخلى عن ايمانه بربه الا شر الدواب على الأرض •• ؟ ان قصتى مع هؤلاء الناقمين على الدين أشبه بقصة الفيلسوف الألمانى « شوبنهور » حين أصدر كتابا لم يعجب البعض فقال « شوبنهور » ان كتابى كالمرآة ، اذا نظر فيها حمار فمن غير المعقول أن يرى فيها صورة ملك •• فان شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون •

ان المؤلف ينفث من صدره حمما على هؤلاء المخدوعين بالوهم الهابطين الى الحضيض فى بلاده وتفاهة وعجز الناعقين بالخراب والدمار فى كل شعب وأرض •

ان هذا الكتاب تقع أبوابه الرئيسية تحت ثلاثة عناوين هى :

القومية والدين ، والدولة فى الاسلام ، ومجتمع الكراهية وطريق التغيير ، وتندرج تحت كل باب من أبواب هذا الكتاب عدة فصول عن النزاع بين العلم والدين ، والتبشير والاستعمار ، والدول العربية والعالم الاسلامى ، والعلمانية والاسلام • وعن النظامين السياسى والاجتماعى فى

الاسـلام . وعن موقف المسلمين من الاسـلام ، وعن طـريق النجـاة من هذه الأخطـار التى تحدق من كل جانب بالعرب والمسلمين .

ففى الفصـل الأول الذى عقـده المؤلف عن «القوميةوالدين» يكشف لنا جـوانب المؤامـرة التى تشـعبت جوانبها وأطرافها فى ايجاد صيغة من العداء والتنافر بين العروبة والاسلام . لقد بدأت قرون هذه المؤامرة تظهر فى السنـوات الأخيرة من عهود الخلافة العثمـانية حين حمل أعضـاء جمعية الاتحـاد والترقى الدعوة الى القومية التركية بتخطيط من اليهود والمـاسون والدونمـة الذين تظاهـروا باعتنـاق الاسـلام لطعنـه فى القلب . كانت الأدوار موزعـة بتخطيط رهيب بين هؤلاء اليهود المتظاهرين بالاسلام فى دولة الخـلافة وبين رؤسـاء التبشـير وتلامذتهم فى دنيـا العرب . كانت الخطة تقوم على تحريك كل الأطراف بدعوات متناقضة لتوسيع هوة الخلاف والشـقاق بين العرب والترك ومن ثم ... تتمزق الدولة العثمـانية . ودولة الخلافة . وقد نشأت فى العالم العربى دعوات وأحزاب تنادى للعرب بقوميـة مستقلة عن الترك . وبمعنى أدق عن دولة الخلافة وما ترمز اليه من وحدة اسلامية تجمع شتات العالم الاسلامى وتصون أوطانه من السقوط فريسـة فى يد الطـامعين فى الشرق والغرب .

ولقد كان يمكن قبول هذا الوضع لو انتهى عند هـذا الحـد .. ولكن الذين حملـوا لواء هـذه القومية من العرب ، وبعـد الانفصـال عن دولة الخلافة مضوا فى الطريق المرسـوم لهم بدون وعى ..

ان العروبة هى وعاء الاسلام ... واذا عز العرب عز الاسلام كما يقول النبى ... فلو أن الذين حملوا لواء الدعوة الى القومية وضعوها فى اطارها الصحيح لمـا أمكن أن يكون هنـاك خلاف فى الرأى ولكن الأمور أخذت شكلا جديدا يهدف الى اهمال الاسلام فى التاريخ والسياسة والحكم فالعرب قبل الاسلام لم يكونوا ذوى شأن .. كانوا رعاة غنم ، وجماعات مشردة هنا وهناك فى مضارب البدو . فاستطاع الاسلام أن يجعل من رعاة الغنم رعاة أمم ، ومن جماعات مشردة الى صناع حضـارة هى أرقى وأسمى ماعرفتـه الشعوب والأمم .

ويضرب لنا المؤلف مثلا من فلاسفة هذه القومية فينقل عن المرحوم الدكتور عبد الرحمن البزاز من كتابه « هذه قوميتنا » قوله :

« ان احتكاك الفكر العربى بالفكر الغربى عن طريق المبشرين والارساليات الدينية كان المظهر الأول لبروز القومية العربية فى بلاد الشام ونستطيع أن نؤكد أن نصارى الشام قد ساهموا اسهاما جديا فى تمكين عرب المشرق فى بلاد الشام والعراق خاصة من التمييز الواضح بين القومية والدين والفصل بينهما .

فكر أيها القارىء وتأمل . . المبشرون هم أول من دعا الى القومية وأول من مكنوا لها .. لحساب من ؟ لحساب العرب . العرب بدون اسلام ولا عقيدة طبعا . لأن هذه هى الغاية التى يعملون لها فى كل قطر اسلامى وعربى تمهيدا للقضاء على الاسلام والمسلمين قضاء كاملا ...

أما (الحصرى) الذى أطلق على نفسه (أبو خلدون) فيقول فى كتابه « ما هى القومية » ؟ :

« التعاليم المسيحية الأصلية تتضمن فصل الدين عن الدولة عملا بالكلمة المشهورة : أعطوا ما لقيصر لقيصر . وما لله لله .. لقد أصبح من الأمور المسلمة لجميع الدول أن السياسة شىء والدين شىء آخر وأن من الخطأ أن يظن أن العرب كانوا أمة بدائية محرومة من الحضارة قبل الاسلام .. » .

الله أكبر .. المرحوم الدكتور البزاز يعترف أن أول من دعا الى القومية كانوا هم المبشرين . وساطع الحصرى يطالب المسلمين أن يكونوا مسيحيين فيعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . كما يقول الانجيل . ويقرر (المفكر الكبير) أن العرب كانت لهم حضارة قبل الاسلام فليس للاسلام اذن فضل عليهم قليل أو كثير ... فاذا كان الأوائل من دعاة القومية « العلمانية » من العرب « معمدين » فى معاهد التبشير وكان الأوائل من دعاة القومية التركية « مكرسين » فى محافل اليهود والماسون، أيبقى بعد ذلك شك فى حقيقة الدعوة للفصل بين العروبة والدين ... ؟ .

وحتى تكتمل الصورة الرهيبة أمام كل عربى وكل مسلم، فاننا نقدم هذه

الوثيقة التى بعث بها السلطان عبد الحميد بعد خلعه ونفيه الى «سالونيك» وقد عثر على هـذه الوثيقة عند ورثة أحد شيوخ الطرق الصوفية فى دمشق وكان هذا الشيخ على صلة بالسلطان عبد الحميد • يقـول السـلطان فى رسالته الى الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية فى دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العـالمين وعلى آله وصـحبه أجمعين والتابعين الى يوم الدين •

سـيدى : اننى بتوفيق الله تعـالى مداوم على قراءة الأوراد ليلا ونهارا ، واننى لازلت محتاجا لدعواتكم الطيبة بصورة دائمة » • بعد هذه المقدمة :

« أعرض على أمثـالكم أصـحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الأتية ــ كأمانة فى ذمة التاريخ ــ أننى لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما • سـوى أننى بسبب المضـايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى المعروفة باسم « جون ترك » ، وتهديدهم ، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة •

ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة • ورغم اصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيرا وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية انجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بالجواب القطعى التالى :

انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبـل بتكليفكم • لقد خـدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مايزيد عن ثلاثين سـنة فكيف أسـود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين •• لهذا لن أقبل تكليفكم بوجـه قطعى وبعـد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى فقبلت بهذا التكليف وحمدت المولى اننى لم ألطخ وجه الدولة العثمانية والعالم الاسلامى بهـذا العـار الأبدى • وقد كان بعد ذلك ما كان ولذا فاننى أكرر الحمد والثنـــاء على الله المتعـــال وبه أختم رسالتى ••• » •

واذا كان من أهم القضـــايا التى شغلت بال المفكرين ورجال الاصلاح هى قصة التوفيق بين الدين والعلم ، وكانت هذه القضية ــ ولا تزال • حتى

يومنا هذا مثار جدل ونقاش بين علماء الدين والفكر .

فان المؤلف لم يدع هذه الفرصة فى « كتابه » تمر .. ويعرض بأمانة أصول هذه المشكلة . من لدن ظهورها حتى هذا العصر . ويقول مع الكاتب الأمريكى «درابير» فى كتابه « النزاع بين الدين والعلم » ..

« لقد دخلت الوثنية والشرك فى النصرانية عن طريــق من تظاهروا بالنصرانيةرياءوكذبا ليتقلدوا المناصب العالية فى الدولة الرومانية ، دونأن يؤمنوا بها . وقد فعل ذلك قبلهم الأمبراطور «قسطنطين» الذى اعتنق النصرانية،ولميتخلعما اعتاد من ظلم وفجور،لقد اعتنقالنصرانيةمرغما بعد أن رفعته الى العرش آملة أن يتقيد بأوامرها ويســاعد على انتشارها غير أنها لم تستطع أن تقضى على جرثومة الوثنية الرومانية ، وكانت نتيجة ذلك الصراع أن امتزجت مبادىء المسيحية وقيمها ببقايا تلك الوثنية ، ونشأ عن ذلكالامتزاج دين جديد هوخليط من المسيحية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية . وهذا هو وجه الخلاف بين نشأة الاســـلام والنصرانية ، اذ بينما اضطرت النصرانية الى النمو فى حضانة الوثنيات التى سادت المجتمع الرومانى ، قضى الاسلام على الوثنية منـذ البداية قضاء مبرما ونشر تعاليمه التى تقوم على الوحدانية الالهية دون غموض » .

« ولقد عمل الامبراطور قسطنطين جاهدا ، بغية توطيد ملكه للتأليف بين الفريقين المتصارعين...بين النصرانية والوثنية ، دون أن يحتفـل احتفـالا صادقا بحقيقة الدينوحسبالمسيحيون ان قبولهم بذلك الوضع انما هو قبول مرحلى لا محيد عنـه ، وان المسيحية ستستطيع أن تنجـو آخر الأمر من رجس الوثنية » .

« ان المســـيحية دين سـماوى كاليهودية والاسلام ، غير أنها نزلت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لها كثورة اجتماعية أخلاقيـة فى مجتمع يهودى فاسد ، ولذا جعلت شريعتها الأساسـية ، التوراة ، مع تعـديلات طفيفة نزلت فى الانجيـل الكريم ، ولذا كان المفهوم الطبيعى للمســيحية أن تحــكم بشريعـة الله المنزلة فى التوراة الأصلية مع مراعاة التعديلات الواردة فى الانجيل » .

« غير ان الذى حدث بالفعل لم يكن كذلك ، فقد انتقلت المسيحية من المجتمع اليهودى الى المجتمع الرومانى وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذى مارسته الكنيسة فى أوروبا فى العصور الوسطى ، لم تكن الشريعة الالهية مطبقة فى غير قانون الأحوال الشخصية وما عدا ذلك ، يحكمه القانونى الرومانى بجاهليته ووثنياته ..

منذ اذ بدأ الصراع بين الدين والحياة ، مضت الكنيسة تمارس سلطاتها على القلوب والمشاعر بينما يمارس القانون الرومانى سلطاته فى واقع الحياة .

واستشرى نفوذ الكنيسة وتجاوز كل معقول ، فقد احتجز الكهنة لأنفسهم ملكوت السماء واحتكروه ، فأدخلوا فيه من رضوا عنه وحرموا الآخرين ، وراحت الكنيسة تفرض على الناس الاتاوات الفادحة ، وتفرض الأفكار العلمية الزائفة على العقول ، وبلغ الخضوع المذل لرجال الدين حد السجود فى الأرض الموحلة عند مرور أحد رجال الكهنوت .

وحينما أثبت العلم النظرى التجريبى الذى اكتسبه الغرب عن المسلمين بطلان نظريات الكنيسة العلمية على يد كبار العلماء كـ «جاليليو وكوبرنيكوس وبرونو » وغيرهم ، اتهمتهم الكنيسة بالهرطقة وأمعنت فى تعذيبهم حتى الموت ، وبرزت مهزلة صكوك الغفران ، ومحاكم التفتيش والمحاكمات الكنسية لضرب كل حركة علمية تناهض مفاهيم الكنيسة .

وللتمثيل على ذلك نسوق فيما يلى نص صك من صكوك الغفران ، وقرار ادانة « جاليليو » .

« ربنا يسوع يرحمك « يافلان » ويحلك باستحقاقك آلامه الكلية القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى له أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وارفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك ثانية الى الطهارة التى كانت لك عند معموديتك ، باسم الأب والابن والروح القدس » .

ولقد حكم ديوان التفتيش على جاليليو وهو فى السبعين من عمره لأنه رفض أن يتراجع عن نظريته العلمية بدوران الأرض ـ وهذا هو نص الحكم الذى صدر ضده منذ حوالى أربعمائة سنة .

« ياجليلو ، ابن المرحوم فنسان جاليو » من بلدة فلورنسة البالغ من العمر سبعين عاما . بناء على مابلغ المجمع المقدس سنة ١٦١٥ من أنك تؤمن بصحة المذهب الذى يدعو اليه الكثيرون، وهو أن الشمس هى مركز العالم ، وانها ثابتة ، وأن الأرض تتحرك حركة يومية ، فان المحكمة رغبة منها فى منع الفوضى والأضرار الناجمة عن ذلك ، والتى تمنع التصدى للايمان المقدس . وبناء على أوامر سيدنا بولس الخامس وأصحاب النيافة الكرادلة فى هذه المحكمة العالمية العليا ، يرى اللاهوتيون أصحاب الرأى فى التعريف أن القضيتين المتعلقتين بسكون الشمس وحركة الأرض مناقضتان للعقل ، ومغلوطتان فى اللاهوت ، ـ فالأولى : هرطقة صريحة ، والثانية : خطأ فى الايمان ؛ فنحن نقول ونرفض ونحكم ونعلن أنك أنت « جاليليو » المذكور أصبحت فى نظر المجمع المقدس محل شبهة قوية بالهرطقة ، باعتقادك وتمسكك بنظرية خاطئة ، مناقضة للكتب الالهية المقدسة ـ ونحن نأمر بمصادرة كتاب « محاورات جاليليو » بموجب مرسوم علنى ، ونحكم عليك بالسجن الصريح بالمدة التى سنرى تحديدها .

صادر عنا نحن الكرادلة الموقعين أدناه .

ويصف المؤرخ « لكى *Leeky* » فى كتابه « تاريخ أوربا الأخلاقى » ما كان عليه حال الكنيسة والمجتمع فى تلك البرهة فيقول : « لقد عجزت الرهبانية عن الحد من جموح المادية، فقد بلغ التبذل والاسفاف غايتهما فى أخلاق الناس ، وسادت الدعارة والفجور وانقسم المجتمع الى فئتين متناقضتين متباعدتين ، رهبانية متطرفة .. وفجور متطرف .. وكان الناس يرون فى الرهبانية السلبية مصادمة للفطرة الانسانية التى بقيت مقهورة زمنا ، ثم تسربت اليها هى الأخرى عوامل الفساد الأخلاقى فأصبحت مرتعا للكبائر والمنكرات .

وكانت النكبة التى حاقت بالفكر الدينى ، جناية رجال الدين بدس

المعلومات البشرية التى كانت سائدة حينذاك ، وفروضوها حقائق ثابتة على عقول الناس ، واعتبروها من صلب الدين ، وكذبوا بل كفروا كل من يقول بخلافها وساموهم سوء العذاب، وحينما جاءت النهضة الحديثة وتغيرت المفاهيم العلمية بالتدرج والترقى والتطور ، وقع الصراع بين العلم والكنيسة ، وانهزم الدين هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده وتزعزع الفكر الدينى فى أوروبا وفقد تأثيره فى الضمائر والنفوس ، وأصبحت أوروبا النهضة لادينية تقف بصرامة فى مواجهة النصرانية والأديان السماوية كلها ، وساد الاعتقاد ، بأن الفكر الدينى والفكر العلمى قضيتان متناقضان متعاديتان • الايمان بأحدهما يستلزم حتمية الكفر بالآخر • وهكذا وقع المحذور الذى ساق أوربا الى المادية بكل معانيها ، والى فصل الدين عن الحياة ، وأن الدين اذا كان لابد منه ، فهو قضية فردية تتعلق بذاتية الانسان ولا تتجاوزه الى السياسة والمجتمع والدولة ، وأورث ذلك كله أن الديانة المادية هى التى تسود أوربا وأمريكا اليوم ، لا النصرانية وأصبحت الفضائل كلها فى الفائدة العملية • وأن القيم العليا والمبادىء السياسية هى النجاح المادى لا غير•• مما دعا الكاتب الأمريكى الشهير *John Gunther* ان يقول فى كتابة « داخل أوربا *Inside Lurope*

« ان الانجليز يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الأسبوع ، ويتوجهون فى اليوم السابع الى الكنيسة »

يقول « سيد أمير على » فى كتابة روح الاسلام وهو ينقل عن كتاب غربيين مسيحيين : «فى عهد قسطنطين وخلفائة كانت العلوم تعتبر نوعا من السحرأو الخيانة وكانت النزعة الدينية نحو كراهية العلوم العقلية ، هى التى عبرت عن نفسها خير تعبير بالمثل القائل : «الجهل أبو الاخلاص لله » وها هو البابا «غريغورى» الكبير ، يؤيد هذه القاعدة بمالا يمكن دحضه ، فينفى من روما جميع المشتغلين بالدراسات العلمية ويحرق مكتبة « بلاتين » التى أسسها القيصر « أوكتافيوس » ويحرم دراسة آثار الكتاب والفلاسفة الكلاسيكيين ، ويستعيض عن ذلك بتشجيع الميثولوجيا الكنسية التى ظلت هى المذهب السائد فى أوروبا لقرون عديدة » •

نحن حين نستعرض تاريخ هـذا الصراع ، نستطيع أن نرده الى التفكير الدينى لدى الكنيسـة فى القرون الوسطى ، الذى استمدته من فـكرة ثبوت الخالق سبحانه ، وثبوت قصده فى خلقـه ، الى ثبـات كـل شيء بالضرورة •• ولذا كانت فكرة التطور التى أثبتها العلم صدمة مذهلة للجماهير شككتهم فى الدين وفى الاله •

بينما كان علماء المسلمين قبل ذلك بعشرة قرون قد فرقوا تفريقا واضحا بين ثبات الخالق سبحانه وبين تطور خلقه ــ وفى هذا يقول «دريبر» فى كتابه الآنف الذكر : «اننـا لندهش حين نرى فى مؤلفـات المسـلمين من الآراء العلميـة ماكنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر •

يقول « بريفولت » فى كتابة « بناء الانسانية :

« لقـد كان العـلم أهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوروبى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسـلامية بصـورة قاطعة ، وكانت أظـهر ماتكـون فى العلـوم الطبيعية وروح البحث العلمى » •

ولقد كان احتكاك الغرب بالشرق عن طريق الحروب الصليبية وأسبانيا من أهم العوامل فى النهضـة الأوربية ومولد الحضـارة الغربية • وهـذا الاحتكاك وذاك هما الأب الشرعى لتلك النهضة غير أن النهضة الأوربية بدلا من اهتدائهـا بالمنهج الربانى الذى أنشأ الحضارة الاسـلامية ، راحت تخاصـم الاسـلام بضراوة واسـتمرار الى اليـوم والغـد بدل أن تتعاون معه للوقوف فى وجه طغيان المـادية والالحاد •

واذا نحن أخرجنـا الانجـازات العلمية من الحضارة الأروبية ، ماذا يبقى لها وماذا يبقى منها غـير الشر والفساد ، والظلم والطغيان والجنس والحشيش ؟ •• ان منهج الحضارة الأروبية ماض دون هوادة فى تدمير خصائص الانسان بتحويله الى آلة أو حيوان ••

وحذار أن يظن بنا التنكر للعلم فى الحضارة الأوروبية ، لكننا نؤمن أن العلم التجريبى هو مـلك الانسـانية كلها ، وأن الطريق اليه ميسور ، وأن تملك المعـارف العقلية والتكنية هـو واجب حتم على كل أمة تريد أن تدفع

عن نفسها غوائل التخلف ، وتلحق بركب الانسانية وتأخذ مكانها فى التاريخ ، خاصة كامتنا العربية التى تواجه اليوم معركة بقائها .. لكن هل يعنى هذا التفسير والتبرير من جهة أخرى أن تتخلى الأمة عن قيمها وعقائدها وأخلاقياتها وتراثها ، ليسمح لها الدخول الى حرم «التكنولوجيا» ؟

هل فعلت اليابان ذلك ؟ .. بل هل فعلته اسرائيل ؟

* * *

ولقد صار معروفا عند أبسط المثقفين والدارسين أن الاستعمار زحف على بلاد الاسلام متكئا على عضوين هما : التبشير،والاستشراق.

أما أولهما : وهو التبشير فقد تزيا للناس بلباس الانسانية والرحمة ..

وأما الثانى : وهوالاستشراق فقد أوهم الغافلين والجهلاء أنه موئل العلم والمعرفة وكلاهما فى واقع الأمر والحقيقة كانا نكبة على الانسانية ، وسبة فى جبين العلم والثقافة .

وفى «غانا» أو ساحل الذهب كما كانت تسمى قبل الاستغلال يقول الناس حتى هذا اليوم :

عندما جاء الاستعمار كانت لنا الأرض ومعه الأنجيل .. فأعطانا الأنجيل وأخذ منا الأرض..ثم رحل بعد أن نهب الأرض وحرق الانجيل

فالتبشير فى الحققية لم يكن الا خرقا وتخريفا والاستشراق لم يكن الا تضليلا وتزييفا من أجل ذلك كتب المؤلف يقول تحت عنوان « التبشير والاستعمار » .

يتفق معظم المؤرخين على أن الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على القتل والتدمير بل تعداه الى التجهيل والتضليل ، فقد نقل المهزومون الى أوروبا صورة مشوهة عن الاسلام وحقيقته ، وقيمه الأخلاقية ، وعقيدته السمحة وشرعته الالهية ، فاستقر فى عقلها الباطنى أن الاسلام دين شهوانية وحيوانية وعنف ، وقد تسللت هذه الصورة المشوهة الى ضمائر رجال الكهنوت والمستشرقين والمثقفين كحقيقة لاتقبل الحوار . وحين يقف الأوروبى اليوم موقف اللامبالاة أوالاهمال أمام الأديان ، فانه

يقف موقف العداء السافر والكراهية المطلقة للاسلام ؟ فقد لاتقبل أوربا تعاليم « البوذية » أو « الهندوكية » أو حتى « اليهودية » ولكنها تقف منها موقفا موضوعيا عقليا متزنا • أما حين تتجه الى الاسلام فيختل التوازن العقلى والتفكير الجدى ، ويعالجون الاسلام لاعلى أنه موضوع بحث علمى ، بل كمتهم يقف أمام قضاته ، وبعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة ، وتذكرنا أساليبهم المغرضة بأساليب محاكم التفتيش التى كانت تقوم على فكرة ثابتة مسبقة لا سبيل لمناقشتها ، وهى قداسة آراء الكنيسة ، وتكفير كل من يخالفها ولا مكان بعد ذلك للقرائن والأدلة الحسية المنطقية والعقلية •• وهم يرون أن الطريق العلمى لبحث الاسلام هو انكار قيمه مقدما فمحمد ليس الا مصلحا دينيا ، وقرآنه صنعة بشرية ، ولذا فليس للقرآن من الحجية أكثر مما لرأى أى مسلم أو تفكيره ، فتفكير الزنادقة والباطنية والصوفية مساو فى القيمة الدينية للقرآن والسنة ، لأنها جميعا تصورات بشرية،وأن المسلم فى كل عصر هو حجة على الاسلام فى سلوكه وأعماله والتزامه الأخلاقى ؟

وخلاصة دعواهم تهدف الى أمرين: الأول : ابعاد الدين عن الحياة والسياسة ، وترك الحرية لضمير كل فرد ، يأخذ من الدين مايشاء على هواه ، وهو ماجرت عليه أوروبا منذ عهد النهضة،والثانى:أن أحكام القرآن هى انعكاس للبيئة التى عاشها محمد فى برهة من الزمن بأبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولذا فانما هى كانت لمكان وزمان معينين محددين ومن المحقق أنها لاتوافق كل الأماكن والأزمان•ولو ولد النبى فى غير جو مكة بمتناقضاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية لما قام بثورته •• التى صادفت كل ذلك النجاح •• وبهذا تكون دعوة محمد دعوة بشرية مقصورة على أناس معينين فى ظروف خاصة لادعوة الهية للناس أجمعين • وان تلك الدعوة قداستنفدت أغراضها وتطور الحياة ، يوجب تطوير الاسلام بما يتلاءم مع مقتضيات العصر •

ولقد ساعد على استشراء هذا التزوير والتحريف ، تأخر المسلمين ، وتدهور مجتمعاتهم فى عصور الجهل

والغفلة والظلام ، وضياع ألق الدين وأصالته بين الخرافات والأساطير ، بين جهل أهله وعجز علمائه ـ كما كان يقول الشهيد عبد القادر عودة ـ وغياب المفكرين المبدعين الذين تعمقوا دراسة تراثهم ، واطلعوا على تطور الحياة الفكرية فى أوروبا خلال القرنين الماضيين ، وبروز الايدلوجيات المختلفة المتناقضة مع القيم الخلقية والروحية الثابتة الخالدة .. ليتملكوا القدرةعلى مواجهة ذلكالغزو ومناقشته وتفنيده ، وتقديم صور صحيحة واضحة لحقيقة الاسلام ومبادئه وتعاليمه بالحجة والدليل ، وفى أسلوب علمى عصرى سهل التناول لاقناع الجماهير الغربية بخطل تلك الأضاليل والأباطيل ، التى انبعثت من الهوس الدينى والشبهات الصهيونية والدوافع السياسية ؟

ونخشى لو نحن أردنا أن نقتبس كل مقولات المستشرقين والمبشرين ، أن يتسع أمامنا مجال القول الى غير نهاية لكننا نجتزىء منها اجتزاء الدلالة لا الحصر ..

يقول المستشرق الفرنسى «كيمون» فى كتابه « باثولوجيا الاسلام » :
« ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع وشلل عام ، وجنون ذهولى ، يبعث على الخمول والكسل ، ولا يصحو منهما الا لسفك الدماء والادمان على معاقرة الخمر . وما قبر محمد الا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ».

ويقول المستشرق المعاصر « ولفرد كانتول سمث » فى كتابه :
ISLAM IN MODERN-HISTORY

ان الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الاسلام . وانه خلق اسرائيل فى قلب العالم الاسلامى كجزء من هذا المخطط المرسوم » ويقول : « (ان العلمانية التركية التى قام بها «أتتورك» هى حركة اصلاحية اسلامية ، وهكذا يجب أن يفهم الاسلام ...) .

ويقول : لورانس براون فى كتابه :
ISLAM MIMISSONS
« اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية واحدة أمكن أن يصبحوا لعنة على

العالم وخطرا وأمكن أن يصبحوا نعمة أيضا ، أما اذا بقوا متفرقين ، فانهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير » .

ونحن لا نستطيع أن نفصل بين الاستشراق والتبشير،فمهمة الاستشراق تسميم وافساد عقول المثقفين بابعادهم عن الاسلام ، ومهمة المبشرين تسميم وافساد عقول العامة بكافة وسائل الجذب والاغراء ، وكلاهما يمشى فى ركاب الاستعمار ، يمهد لامتيراده ويمكن لبقائه وقد نشأ أساتذة الاستشراق والتبشير فى محاضن أقسام الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية والأمريكية .

ان نشر الدين المسيحى لدى معظم الهيئات التبشيرية التى غزت وتغزو بلادنا هو أمر ثانوى ووسيلة الى غاية أشد خطرا وأعمق أثرا ، هى اثارة النعرات الطائفية بين أبناء الوطن الواحد والحضارة الواحدة ، وتمزيق الجبهات الوطنية فى الكيانات العربية .

وللتمثيل على ذلك نضرب مثلا واحدا هو ما ذكره الدكتور حسين مؤنس فى مقال له بمجلة المصور المصرية الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٥/٣٠

قال : « فى يوم من أيام الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩واشتراك المسلمين والأقباط فى جبهة وطنية متماسكة كشأنهم فى مصر على الدوام تسلل المبشر الأمريكى « زويمر » الى الأزهر فى زى طلبة العلم واندس فى حلقات الدروس .

«وكان زويمر هذا صعلوكا ينسب نفسه الى الدين والعلم ، وهو فى الحقيقة جاسوس خبيث تنفق عليه جماعة دينية فى ولاية « كونيكتكات » وكان يحتمى بالسفارة الأمريكية ويكتب مقالات فى مجلة تدعى «العالم الاسلامى» مازالت تصدر الى الآن فى مدينة « هارنفورد » بالولاية المذكورة، يطعن فى الاسلام دون حياء أو خجل » .

« ومثله فى هذا صاحبه الأب اليسوعى « هنرى لامانس » الذى كان يقوم بعمل مماثل فى بلاد الشام » .

« اندس زويمر بين الطلاب ، ثم دخل فى حديث مع طالب ، وتناول كتبه ينظر فيها ، ثم أعادها اليه بعد أن دس بينها رسائل من تأليفه فى

الطعن على الاسلام طبعهـا فى مطبعة احـدى الجمعيـات القبطية • وكان غرضـه من ذلك أن تقوم الفتنة بين الأقبـاط والمسلمين • ولكن هـذه الدسيسة الخبيثـة لم يلبث أمرها أن انكشف ، ونشرت الصحف مقالات لنفر من علماء الأزهر يستنكرون فيها عمل هذا المبشر الخسيس • ونشرت « البلاغ » مقـالا عنيفـا لكاتب قبطى هو : « كليم أبو سـيف » بعنـوان « المبشرون » قال فى بعض فقراته :

« عجيب أمـر هؤلاء المبشرين ، فهـم - رغم اننى أستطيع أن أقسم بأنهم لا دين لهم ما يزالون يرتكبون باسم الدين كل المنكرات والمحرمات التى نهاهم عنها الدين • وهم مايزالون يتمـادون فى صفـاقتهم وتحـديهم لشعور المصريين بتلك الأعمال تمادياء وما أظن اناسا رزقوا شيئا من الحياء أو الأدب يستطيعون اتيانه وتحمـل مسؤوليته » •

« أنتم أيهـا المبشرون لا أكثر من جواسيس للاستعمار أتيتم الى هـذه البلاد لا لنشر فضيلة دين معين ، بل لاتباع سياسة شريرة موحى بهـا من جهات معينة ، ومن نتائج هذه السياسة وقـوع الخلاف بين المصريين أبنـاء الأسرة الواحدة » •

« اذن أنتم لستم مبشرين تستحثون الناس على التحلى بالفضيلة ، وانمـا أنتم مجرمون ، تتخذون الدين ذريعة لارتكاب المنكرات وأنتم تعلمون » •

انهـم مجرمون حقـا ، ولو كانوا شرفاء لبشروا بالفضـائل الأخلاقيـة فى مجتمعاتهم الغربيـة التى لا تؤمن بدين •

ومن ذكرياتى الشخصـية حول هذا الموضوع ، ان الرئيس المارشال أيوب خان قال لى : « فى سنة ١٩٦٠ قام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارته الأولى الى كراتشى فى طريق عودته من الهند ، وكان لتلك الزيارة أهمية خاصـة عنـدنا رجاء أن نضع حـدا للجفوة المفتعلة بين البلدين الشقيقين اللذين يفرض عليهمـا الاسـلام أن يتعاونا على البر والتقوى بدل التشاحن والبغضاء ••

« وقضيت ساعات طوالا فى حديث منفرد مع ناصر وأذكر أننى قلت له فيما قلت :

« اسمع يا أخى ان افريقيا هى القارة المسلمة بحق اذ أن نحو ثلثى سكانها يدينون بالاسلام وقد أخذت الدول الافريقية تنفض عنها غبار الجهل والتخلف ، وتطارد فلول الاستعمار ، وهاهى تحتل اليوم مكانها المرموق فى الهيئة الدولية .. غير أن الارساليات التبشيرية التى غزت تلك القارة قرنين من الزمان ، قد خلفت وراءها تركة ضخمة من تضليل الجماهير المسلمة وتجهيلها بحقيقة الاسلام ، وتشويهه فى نفوس معتقديه بالشكوك والشبهات ، حتى ان اسلام الأكثرية الساحقة هو فى الحقيقة انتماء سطحى عند العلماء وان كان عند القلة من الخاصة عميق الجذور .

« ورجوت أن نتعاون لمواجهة التيارات المتضاربة فى القارة المسلمة ، بغرض انقاذ المسلمين من حالة الضياع تلك ، عن طريق ايفاد بعوث العلماء الأكفاء الجامعيين بين تعمق الاسلام ودراسة الايديولوجيات الغربية ، الى مختلف الدول الافريقية لتوعية اخواننا وتعريفهم بحقيقة دينهم » .

« وقلت لناصر : ألا ترى معى أن تجنيد الدول الافريقية لتشارك معنا فى معاركنا المصيرية وفى مقدمتها قضية فلسطين مشاركة انفتاح وفهم وايمان، أفضل من تحييدها ، بل أفضل من فلسفتكم فى تصدير الثورة الى تلك الدول كما تصدرونها الى الدول العربية ..

فابتسم عبد الناصر ولم يجب ، فعلمت عندئذ اننا مختلفان حتى فى الوسائل والغايات .. » .

★ ★ ★

يأتى بعد ذلك دور العلمانية .. أوالفصل بين الدين والدولة والانسلاخ الكامل عن المفاهيم التى أرسلتها العقائد السماوية ..

وبعبارة أكثر تحديدا ودقة .. رفض ما جاء به الله فى كتبه ، والتمرد الواضح على أنبيائه ورسله

ان هذه وتلك حلقة من سلسلة الصراع ضد الاسلام وحده .. لأنه الدين الذى يقدم منهجا كاملا للحياة فى مجال السياسة والحكم ، وفى التشريع والاقتصاد وفى الأخلاق والمعاملات . وحتى فى أبسط الجزئيات التى يتعرض لها الانسان فى صراعه من أجل البقاء تجد الاسلام يعالج كل جزئية من هذه

الجزئيات محددا مكانها من العقيدة وأثرها فى المجتمع والأمة .

وقد تناول المؤلف فى كتابه هذه القضية فقال تحت عنوان « العلمانية والاسلام » فقال :

عندما بزغت النهضة الوطنية فى بعض بلاد الشرق الأوسط ، فى اطار الدعوة الاسلامية على أيدى الرواد من االمصلحين الاسلاميين كجمال الدين الافغانى،ومحمد عبده،ورشيد رضا ، والزوايا الدينية فى الشمال الأفريقى والحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ، أجفل المبشرون والاستعمار وأصدرت المطابع الغربية ألوف الكتب التى تحض الدول الاستعمارية على محاربة هذا الاتجاه ، وبذلوا كل مساعيهم ليلفقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية .. كبعث الفرعونية فى مصر،والفينيقية فى لبنان ، والأشورية والكردية فى العراق،والظهيرالبربرى فى المغرب .

ولما لم تنتصر هذه الدعوات الاقليمية ، لجأ الاستعمار الى فكرة القومية العربية لتكون مناقضة ومعارضة للاسلام . ومما يؤسف له أن نفرا كبيرا من الشباب العربى الذين درسوا فى الارساليات التبشيرية والدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية ، تجاوبوا مع هذه الفكرة وأخذوا يناهضون الاسلام سرا ثم علانية تحت ستار العروبة ، وجميع الأحزاب القومية التى نشأت فى بلادنا جعلت همها الأول الدعوة الى العلمانية ومحاربة الاسلام ، فجعلوا العلاقات بين الدول العربية تقوم على رابطة العرق وحده المجردة من كل صلة بالدين . وجعلوا علاقة الدول العربية بالدول الاسلامية فى نطاق هذا المفهوم لا تختلف عن علاقتها بالكونغو والمكسيك والأرجنتين .

وهكذا نشأت فكرة القومية المغلقة على أساس تصورات خيالية وتجريدات ذهنية يجرى فرضها على الواقع بالعنف والارهاب . وساقت هذه التصورات بعض دعاة القومية الى صياغة تعريفات غريبة لا مدلول لها ولا مضمون ولا مفهوم ، فى وصف الأمة العربية .. وبذا جعلوا فكرة القومية موازية لفكرة الألوهية ، للتخلص من الاسلام ، ولذا نشأت معظم الأحزاب العربية قومية ثم انتهت

ماركسية لعدم وضوح الرؤية ، وفوضى الشارات •

وفى الجهة المقابلة ، نجد اليهود يقدمون لنا فى كل صباح دليلا جديدا على محافظتهم على تعاليم التوراة والتلمود ، وان ذلك هو سر تجمعهم وانتصاراتهم ، وليست قصة مشروع الزواج المدنى التى فشلت فى اسرائيل فشلا ذريعا بالرغم من الأقلية الدينية المتطرفة فى « الكنيست » الا مظهرا لذلك التزمت المريب •

ولقد سمعت عضو « الكنيست » « مناحم باروس » يقول فى حوار بالراديو الاسرائيلى « ان سر بقاء اليهود متمثل فى محافظتهم على تقاليدهم وطقوسهم الدينية المستقاة من التوراة » وقرأت للكاتب الاسرائيلى « ماتى غولان » قوله : « لقد قامت الدولة لتحقيق وجود واستمرار الدين اليهودى والعنصر اليهودى • لقد عاش الدين اليهودى والشعب اليهودى قرونا طويلة دون دولة يهودية ، ويمكن استمرارها بدون دولة •• لكن الدولة اليهودية لايمكن أن تعيش بدون التمسك المطلق بالديانة اليهودية » •

وسمعنا أخيرا أن مجموعة من المتدينين الاسرائيليين قد اعتدوا فى وضح النهار وبمرأى من رجال الأمن على متجر لبيع المنشورات الداعرة ، وتحطيمه وحرق محتوياته •• كما سمعنا باعتداءاتهم المتكررة على الارساليات التبشيرية المسيحية لحماية المجتمع اليهودى من الانحراف الدينى •

ونجد أن «شمويل يوسف عجنون» وهو من كبار المفكرين اليهود الحائز على جائزة « نوبل » فى الآداب ، لايخجل أن يقول : انه يكتب بالعبرية وحدها لأنها لغة الله •• وأن كبار القادة والساسة والمثقفين وفى مقدمتهم « شازار واشكول ، وبن غريون ، وديان وايبان وبيرس وغيرهم وغيرهم ممن يزعم بعض مفكرينا أنهم ملحدون هرعوا عند احتلال القدس العربية فى حرب سنة ١٩٦٧ الى حائط المبكى ، يجأرون بالنحيب والبكاء ، ووقفوا حاسرى الرؤوس بخشوع يتلون صلواتهم ، وبلغت العصبية الدينية

ببعضهم أن يدس فى شقوق الجدار أوراقا صغيرة كتبوا فيها أمنياتهم .

وذكرت وكالة (الاسوشتدبرس) غداة الاحتفال بتشييع جنازة «تشرشل» فى لندن ان « شازار وبن غوريون » اللذين مثلا الحكومة الاسرائيلية فى ذلك الاحتفال ، سارا مسافة ميل ونصف ، وهما الشيخان اللذان تجاوزا السبعين ، ورفضا ركوب العربة لأن يوم الاحتفال كان يوم سبت ، والدين اليهودى يحرم استخدام وسائل النقل فى ذلك اليوم.

وبن غوريون وغيره من القادة اليهود - جميعهم دون استثناء لا يأكلون الطعام الا اذا أعد وفقا للعقيدة اليهودية وتحريماتها الواردة فى التوراة .. واليهود الى هذه الساعة ، يرجمون السيارات فى قلب تل أبيب اذا سارت أيام السبت فى الطرقات .. و « ويوسف تيكواه » مندوب اسرائيل فى الهيئة الدولية ، يعطل اجتماع مجلس الأمن ، ليقوم بالطقوس الدينية .. !

والجماهير اليهودية حين وصلت الى حائط المبكى فى السابع من حزيران المشئوم صلى بهم حاخامهم الأكبر صلاة النصر والظفر ، فعلا (النواح) وجلجلت الأصوات الهادرة: ليسقط محمد . اليوم انتهى محمد « محمد مات وخلف بنات » بالثارات خيبر .. !!!

لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسى أو عارف أو الحسين أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم .. لأن هدف المؤامرة ، هو محمد والاسلام . !

ومع ذلك لم نسمع صوتا واحدا يرتفع فى الساحة العربية للدفاع عن محمد ودين محمد ولم نجد مفكرا واحدا يكتب حرفا فى تعبير اليهود بالأرضية الدينية .. ولم نجد عربيا يسأل نفسه : لماذا يهتف القوم ضد محمد؟.. ذلك لأن معظم من واجهوا اسرائيل فى معركة الذل من التقدميين .. لا يعرفون محمدا بل لا يعرفون الله .. ؟ !

ثم ألم تسمع بالمتدينين ، اليهود يهرعون الى ساحات المسجد الأقصى ليقرعوا البوق وقت الآذان ، فى مسجد عمر ، ويقيموا حلقات الرقص فى ساحات الكنائس والمساجد، احتقارا

واســـتهزاء بالديانتين الســـماويتين العظيمتين •

وحين يعلن اليهود فى كل مناسبة• أن هدفهم البعيد، هدم المسجد الأقصى وقبـة الصخرة وبنـاء هيكل سليمان الجديد فوق أنقاض الاسلام • ماذا تريدون منا أن نسمى ذلك •• أليس هو الأرضية الدينيةللعدوان الاسرائيلى التى تنكرونها علينا •

وحين يقول بن غوريون : « بدون التفوق الروحى لم يكن شعبنا ليستطيع البقاء ألفى سنة فى الشتات •• وأن لا معنى لاسرائيـل بدون القـدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل » • ماذا تريدوننا أن نسمى هـذا ؟ وهل نلام اذا استصرخنا المسلمين والمسيحين لينقذوا مقدساتهم من الدمار ؟

ألا تكفى كلهذه الأدلة والبراهين لابـراز الطـابع الدينـى للغـزوة الصهيونية ••

ان مفـكرى العـرب الثـوريين يعرفون هـذه الحقائق ، ويتعمـدون انكارها ، فهم مازالوا يقولون لنا ان المجتمع الاسرائيلى هو مجتمع لا دينى وأن الدولة الاسرائيلية دولة علمانية، وأن كبار القادة الاسرائيليين ملحدون، ليبرروا دعوتهم الى العلمانية والالحاد وأول دعواهم التى يبشرون بها عدم زج الدين فى معركتنا مـع اسرائيل والدعوة الى حرية الفكر ، وأن طرح القضية على أرضية دينية خطأ سواء أكان الطرح تكتيكيا أو استراتيجيا ••

مع أن فيما سقناه ، وهو قليل من كثير ، من أقوال زعمائهم وقادتهم ، ألف دليل حسى على كذب دعواهم ، ويكفى أن نشير الى أن اليهود الذين تجمعوا فى اسرائيل من تسعين دولة وجنسـية ، ليقيموا مجتمعا متلاحمـا متضـامنا متكافلا ، انما تجمعوا على أساس الدين وحده وأن ما عرفناه من انعزال الأقليات اليهودية فى المجتمعات الغربية ، قبـل قيام اسرائيل ، مرده الى شعورهم بالتفوق العرقى والدينى وفق تعاليم أنبيائهم • وقد حافظوا مدة ألفى سـنة فى الشتات على ما يسمونه لقاء الدم اليهودى ومبادئهم الدينية•• ذلك لاعتقـادهم بأن الحـرص على هويتهم الدينية المتميزة هو سر بقـاء الصهيونية ••• وأن نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى ـ كما

يقول الحاخام « شختر » أمران لا ينفصلان ..

★ ★ ★

وفى الفصل الذى عقده المؤلف تحت عنوان « الأمة العربية بين أرجل العمالقة » .

يتحدث عن دور أمريكا فى تخريب هذه الأمة بأساليبها المعروفة فى اثارة الفتن والقلاقل ، وفى دعمها لنوع معين من الرجال الذين يحققون أغراضها التخريبية فى اطار مزيف من الشعارات واللافتات الجميلة ، ويقدم بالوثائق الدليل تلو الدليل على فحش هذه الخطة وأغراضها الدينية الخبيثة وفى الوقت نفسه يكشف حقيقة الدور الذى تلعبه روسيا الصديقة وموقفها ـ الحقيقى ـ من القضايا المصيرية للاسلام والعروبة ..

لقد سلكت الشيوعية الدولية والمحلية منذ بدء المشكلة الفلسطينية مسلكا مستغربا عجيبا فدعت منذالبداية الى قيام اسرائيل بين العرب واليهود ، والقضاء على فكرة القومية السخيفة والقضاء على الدين أفيون الشعوب .

يقول خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى ، ان ازالة دولة اسرائيل شعار ليس له أساس طبقى كما أنه غير واقعى . وحين وقع الخلاف بين أعضاء الحزب الشيوعى السورى وذهبوا الى موسكو للتحاكم فى الوطن الأم قال لهم المسئولون السوفييت : ان السياسة السوفيتية فى القضية الفلسطينية تنطلق دائما من أن اسرائيل واقع موجود . واذا كان ثمت كفاح عربى من أجل فلسطين فيجب أن يكون هدفه الوحيد هو اقامة أنظمة شيوعية فى اسرائيل والدول العربية . وحين سئل مسئول سوفيتى عن هجرة اليهود الى اسرائيل قال : لا تهولوا .. وماذا فى هذا كونوا واقعيين أيها العرب . وتلبية لما يقوله الرفيق فاننا سنكون واقعيين جدا حين نتساءل : الأمريكان يقدمون السلاح .. وأنتم يارفاق تقدمون الرجال فأجيبوا يا أصدقاء العرب:من العدو والصديق فى ساحة الحرب والقتال ؟

ان هذا الكتاب أشبه بـ « ملحمة » فكرية مع جيوش الظلام الزاحفة على عقول المسلمين وقلوبهم . ان الكاتب هنا لا يحمل قلما .. انه فارس

يخوض معركته بسيف يشتعل نارا وغيرة وغضبا ••• وليس مهما أن ينتصر فى معركته اليوم أو غدا •• فالقيم والمثل لا تؤتى ثمارها سريعا•• انما تجىء فى نهاية المطاف بعد جهاد وصراع تتمحص فيه حقائق الرجال الذين يحملون أمانة « الكلمة » • وبعد معاناة طويلة مع الشياطين والمرجفين الذين يفزعهم ظهور الحقيقة ••

وقد رد الكاتب على الذين يعارضون تطبيق الشريعة الاسلامية ، والذين اتخذوا من « الغرب » مثلا فى الحياة وقدوة •• فقال :

اننا نعرف أن المفتونين بالحضارة الغربية لا يصدقون الا ما يأتيهم من وراء البحار ولذا سنفجأهم بأقوال عدد من خيرة المفكرين والفلاسفة والمشرعين الغربيين ، الذين تعمقوا فى دراسة الشريعة الاسلامية أو أتيح لهم التعرف على حقيقتها فى مظانها الأصلية : فأذهلتهم الكنوز الهائلة التى تنطوى عليها ، واعترفوا لها بالتقدم والتميز على أفضل القوانين الوضعية الغربية القائمة على العلمانية التى يتباهى بها مفكرونا الثوريون •

يقول عميد كلية الحقوق فى جامعة فينا الأستاذ « شيريل » : « انالبشرية تفخر بانتساب محمد اليها ، ذلك الأمى الذى استطاع أن يأتى بشريعة سنكون نحنالأوربيين أسعد ما نكونلو وصلنا الى قمتها بعد ألفى عام » • !

ويقول الفيلسوف والشاعر الألمانى « جوته » : أية شريعة فى الدنيا لا تستطيع أن تعلو على شريعة محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد • واذا كان هذا هو الاسلام فكلنا مسلمون » •

ويقرر المجتمع الدولى للقانون الذى ضم كبار فقهاء الدنيا عام ١٩٥١: « ان الشريعة الاسلامية تنطوى على ثروة هائلة من الأصول الفقهية تجعلها صالحة لكل مطالب الحياة الحديثة » •

ويقول المستشرق الفرنسى « جان برك » وهو من أكبر الفلاسفة المعاصرين •• يقول عن الواقع العربى اليوم : « ان حركة التحرر العربى الحالية ستعيد بشكل أو بآخر التاريخ الثورى الاسلامى فى عهده الأول • لقد كان الاسلام مرادفا للحضارة العربية وتعبيرا عن الذات العربية ومما لا شك فيه أن تلك القوة

الحضارية هى التى أعطت الشعوب العربية الكثير من امكانات المقاومة ضد المستعمرين ، وفى تعبير آخر لقد كان الاسلام نائبا عن القومية ، ولا أجد تناقضا بين القيم الاسلامية والتكنولوجيا الحديثة » •

لكن لماذا هذا العداء للاسلام من الذين ينتسبون اليه زورا ويحاربونه باطنا وظاهرا ؟ ولماذا هذا اللدد فى الخصومة ، والاسراف فى الكراهية لهذا الدين وحده ؟

ان الدين وان اختفى ظاهرا من مجتمعات أوربا الحديثة الا أنه يشكل فى حياة هذه المجتمعات أخطر الأسلحة حين ترتفع للاسلام كلمة ، أو تنصب له راية•والحروب الصليبية لم تزل قائمة ، وان اختلفت الجيوش والأسلحة ، وتنوعت أسباب الحرب والعداوة • فلماذا يعاب علينا التمسك بالعقيدة والدعوة الى الاسلام فى بلادنا المسلمة •• ؟

ولماذا لا يقال ذلك عن اسرائيل وهى دولة عنصرية متعصبة ••

* * *

لقد كان « خرتشوف » يقول :

ان قطبى القوى المتحكمة فى عالم اليوم : الرأسمالية والشيوعية قد فشلتا فشلا ذريعا وعجزتا عجزا مهينا، فى بناء المجتمع البشرى •

ان هذا العالم الفاجر ، الظالم الغادر ، الملتوى ، على نفسه ، المنحرف عن مساره لا ينقذه الا الاسلام •

لقد شهدت الدنيا تغيرات كثيرة فى الأنظمة السياسية والمعتقدات الفكرية ، وكانت النتيجة عبئا جديدا مضافا الى الأعباء المتراكمة •• تتغير الصور وتبقى المحتويات ، أقلية متخمة وأكثرية محرومة • • أقلية ظالمة وأكثرية مسحوقة••ثوريون يصبحون اذا وصلوا رجعيين ، ورجعيون ينقلبون اذا وصلوا ثوريين • !

وكيف يتغير العالم اذا لم يتغير الناس ؟ كيف يتغير المجتمع اذا لم يتغير الأفراد • وكل تغير لا ينبثق من خلال عقيدة وايمان ومنهج وتصور جديد للحياة والأحياء ، مصيره الى زوال أو الى مزيد من الآلام •

« ان التناقضات فى المجتمع الاشتراكى مردها الى العجز أمام أنانية الأفراد »٠

ويقول (سولزينتسن) الكاتب الروسى المضطهد المطارد لأفكاره المتحررة من ربقة القمع المستعلية على بشاعة الارهاب : « لقد حسبنا أن تغيير أشكال الانتاج سيغير أخلاقيات الناس ، لكننا لم نقطف الا الخيبة المريرة » ٠

والرأسمالية عجزت هى الأخرى ، حين أطلقت الحريات دون ضابط ليلهو الأفراد بخدر الجنس والأفيون عن استئثار السلطة الحاكمة والرأسماليين الجشعين بالملذات والشهوات على حساب آلام الأكثرية المخدرة ، وتحولت الحرية المطلقة الى فوضى عارمة مدمرة ٠٠

وكيف يكون ضابط ، اذا كان هدف النظامين سلخ المواطن عن ايمانه بالله ٠٠ عن صوت الحقيقة المنطلقة من ذاته ٠ وبغير ايمان لا يبقى وازع ولا يبقى كابح وتسود شريعة الغاب ؟

ان التغييرالمنشود لا يتمالاعن طريق تغيير بنية المجتمع كلها من الأساس الى القمة فاذا تغير الفرد وانصاع لصوت الله فى ضميره ، تغير المجتمع بكامله ٠٠ وعندما يتغير المجتمع يعود التوازن وتسود الانضباطية والالتزام بين الأفراد والمجتمعات ، تلك سنة الله فى الأحياء ، كسنته فى الكون ، لا محيد عنها ولا بديل لها ٠

لقد استدار الزمان كهيئة يوم مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فالدنيا كلها تقف اليوم على مفترق طريقين لا ثالث لهما ، وعلى اختيارها يتوقف ٠٠ مصيرها ٠٠ فاما الله ، واما الدمار ٠٠ !

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٦

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

١١٠٠٢-١٩٧٦س١٠٦٤٩

ENGLISH SECTION

keeping with the rules of life laid down for trial in this world. Instead of this, Allah took upon Himself, from the very beginning of man's life on the Earth, to send His Guidance to him during his term of life, leaving him free to follow or not to follow it. Accordingly, He made arrangements for the Guidance of mankind and appointed His Messengers from among the people themselves and bestowed upon them the knowledge of the Truth and the Right Way of Life. They were charged with the mission to invite people to the Right Way from which they had swerved. The Messengers themselves believed in Allah and acted in accordance with the Guidance they received from Him. They were raised from different nations in different countries and thousands of them were sent during thousands of years. They all had one and the same religion which was based on the Unity of God and accountability in the Hereafter. They all taught the same way of life that was taught to the first Man at the very start of his life in this world. They all followed the same Guidance, that is, those fundamental and eternal principles of morality and culture which were prescribed for the first Man from the very first day of his life. They all had the one and the same mission, that is, to invite all human beings to the same Guidance, and to organise them into one community. All those peiple who accepted their invitation became one community, which was in duty bound to follow the Divine Guidance and to do its best and utmost to establish it and to guard against any transgressions.

During their respective terms, these messengers fullfilled their mission admirably well. But it is a pity that the majority of the people were not inclined to accept their inviataion and even those who joined their community gradually became corrupt. So much so that some of these communities totally lost that Guidance and others tampered with the Commandments of Allah and mixed them up with false things.

Then the Lord of the Universe sent Muhammad (Allah's peace be upon him as His last Messenger to fulfil the same mission for which Messengers had been sent before him. He extended his invitation to all human beings, including the corrupt followers of the previous Messengers and asked them to follow the Right Way. He organised all those who accepted the Divine Guidance into one community, which in its turn, was reqtired to re-establish its collective way of life based on the Guidance and to exert its utmost to reform the world, which had gone astray. The Quran which was revealed to Muhammad (Allah's peace be upon him) is the Book which contains that Invitation and that Divine Guidance.

is to accept Me voluntarily as Sovereign and worship Me alone and act in the world according to the Guidance I shall send you, and live on the Earth with the conviction and understanding that it is merely the place of your trial. Your real object in earthly life should be to come out successful in the final judgement. Therefore any other course different from and opposed to the Divine Guidance, will be wrong. If you adopt the first course, (and you have full liberty and freedom to adopt it), you will achieve peace and tranquility in this world and win the home of eternal bliss and joy (Paradise) in the next world, to which you shall have to return. And if you follow any other course (and you are quite free to do this also, if you so choose), you shall incur My disfavour in this world and eternal sorrow and affliction in tne Hereafter, where you shall be thrown into the abyss of Hell".

After such a warning, the Owner of the Universe sent Adam and Eve (Allah's peace be upon them) the first human beings, to the Earth and gave them the guidance according to which they and their descedants were to live in this world. Thus the first two human beings were not created in ignorance and darkness but were given very clear and bright Light and the Law they were to follow. This was Islam, (submission to Allah). Before they left this world, they themselves practised and taught the same way to their children and children's children and exhorted them to live as Muslims (obedient servants of Allah). But in the succeeding centuries, by and by, people swerved from this straight way of life (Islam) and adopted different crooked ways. They not only lost the Guidance owing to their negligence but also tampered with it because of their wickedness. They attributed to others the qualities and powers of Allah and associated others to rank with Him as gods and ascribed His rights to others. They invented different kinds of religions (ways of life) by mixing up all sorts of superstitions, wrong theories and false philosophies with the Guidance that was given by Allah. They discarded the right, just and moral principles taught by Allah or corrupted them and made such laws of life as suited their prejudices and lusts, and filled Allah's Earth with chaos and iniquity.

Though this was a sad state of affairs, Allah did not will to force these corrupt people to follow the Right Way because this would have been against the limited freedom of action which had been granted to man by Him ; nor did He will to destroy them forthwith as soon as rebeilion broke out against Him, because this would not have been in

which are absolutely clear, appear to them to be quite irrelevant in the contexts they occur.

The reader may be saved from all these difficulties, if he is warned before-hand that the Book he is going to study is the only book of its kind in the whole world : that its literary style is quite different from that of all other books : that its theme is unique and that his preconceived notions of a book cannot help him understand the Quran. Nay, these may even become a hindrance. He should, therefore, first of all free his mind from preconceived notions and get acquainted with the distinctive features of this Book. Then and then alone can he understand it.

In order to understand the Quran thoroughly, it is essential to know the nature of this Book, its central idea and its aim and object. The reader should also be well acquainted with its style, the terms it uses and the method it adopts to explain things. He should also keep in view the back-ground and circumstances under which a certain passage was revealed.

Divine Guidance

First of all, the reader should understand the real nature of the Quran. Whether one believes it to be a revealed book or not, one will have to consider, as a starting point, the claim that is put forward by itself and its bearer, Muhammad (Allah's peace be upon him), that this is the Divine Guidance.

The Lord of the Universe, its Creator, Master and Sovereign created man and bestowed upon him the faculties of learning, speaking, understanding and discernng right from wrong and good from evil. He granted him freedom of choice, freedom of will, freedom of action, and gave him authority to acquire and make use of the things around him. In short, He granted him a kind of autonomy and appointed him as His Vicegerent on the Earth and instructed him to live in accordance with His Guidance.

At the time, when the Lord of the Universe appointed Man as His vicegerent, He warned him very clearly and precisely, leaving no doubt in his mind as to the kind of relations he should have with Him, as if to say, "I am your Master and Sovereign and that of the whole universe; therefore you should worship Me and none else. You are neither independent in My Kingdom nor the subject of anyone else, to whom you might owe obedience or worship. You are being sent to the Earth with certain powers for a fixed term of time for your test. After that you will have to return to Me. Then I will judge the deeds you did in the world and decied whether you have come out successful or failed in the test Therefore the right course for you

on the subjects. Man and the Universe are mentioned in a language different from that of the natural sciences. Likewise it follows its own methods of solving cultural, political, social, and economic problems and deals with the principles and injunctions of law in a manner quite different from that of the sociologists, lawyers and jurists. Morality is taught in a way that has no parallel in the whole literature on the subject.

That is why the unwary reader is baffled and puzzled when he finds all these things contrary to his pre-conceived conception of a book. He begins to feel that the Quran is a book without any order or inter-connection between its verses or continuity of its subject, or that it deals with miscellaneous topics in an incoherent manner, or that it had been given the form of a continuous book though it was not a book in the commonly accepted sense of the word. As a result of this, its opponents raise strange objections against the Quran, and its modern followers adopt strange devices to ward off doubts and objections. They either resort to escapism or put forward strange interpretations to ease their minds. Sometimes they try to create artificial connections between the verses to explain away the apparent incoherencies, and, as a last resort, they even accept the theory that the Quran deals with miscellanenous topics without any order or coherence. Consequently, verses are isolated from their context and confusion is produced in the meanings.

This happens when the reader does not take into consideration the fact that the Quran is a unique book. It does not, like other books, enunciate at the very beginning the subject it deals with and object it intends to achieve. Its style and method of explaining things are also quite different from those of other books one commonly reads and it does not follow any bookish order. Above all, it is not a book on' religion' in the sense this word is generally understood. That is why when a reader approaches the Quran with the common notions of a book, he is rather puzzled by its style and manner of presentation.

He finds that at many places the back ground has not been mentioned and the circumstances under which a particular passage was revealed have not been stated. As a result of these things, the ordinary reader is unable to benefit fully from the most precious treasures conatined in the Quran, though occasionally he may succeed in discovering a few gems here and there. Only those people become victims of such doubts as are not acquainted with these distinctive features of the Quran. They seem to find miscellaneous topics scattered all over its pages and feel difficulties about its meanings. Nay, even those verses,

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF 'QURAN'

By

Maulana Abul A'ala Maududi

I have two objects in view in writing this introduction to the study of Quran.

First, I want to acquaint the reader with those things which will help him to undeitand the meaning of the Quran. If he does not become conversant with them in the very beginning, they keep coming back into his mind over and over again, and often become a hindrance to his going deep into its meaning and spirit.

Second, I want to answer beforehand some of the questions which usually arise during the study of the Qoran. I have confined myself to those questions which arose in my own mind when I began my critical study of it or the ones which I came across afterwards. If there be any other questions besides these, God willing, I will answer them in the next edition.

Unique Book

Before the reader begins the study of the Quran, he must bear in mind the fact that it is a unique Book, quite different from the books-one usually reads. Unlike conventional books, the Quran does not contain information, ideas and arguments about specific themes arranged in a literary order. That is why a stranger to the Quran, on his first approach to it, is baffled when he does not find the enunciation of its theme or its division into chapters and sections or separate treatment of different topics and separate instructions for different aspects of life arranged in a serial order. On the contray, there is something with which he has not been familiar befor and which does not conform to his conception of a book. He finds that it deals with creeds, gives moral instruction, lays down laws, invites people to Islam, admoniches the dis-believers, draws lessons from historical events, administers warnings, gives good tidings, all blended together in a beautiful manner. The same subject is repeated in different ways and one topic follows the other without any apparent connection. Sometimes a new topic crops up in the middle of another without any apparent reason. The speaker and the addressees, and the direction of the address change without any notice. There is no sign of chapters and divisions anywhere. Historical events are presented but not as in history books. The problems of Philosophy and Metaphysics are treated in a manner different from that of the text books

He was, according to the best European and Arab authorities in astronomy a superb astronomer. And according to the best geologist of our time he is an authority in geology. He is avoracious historian reputed for his wide knowledge, depth in thinking and infering.

He was able to accumulate such vast knowledge because of his extraordinary ability to study and undertake research work together with this supernatural intelligence and rational mind.

It is reported that when Al-Beiruni completed his book "Al-Masoodi" he was called by the Sultan who was desirous to reward him for this gigantic work. The Sultan sent him three camels laden with money and silver. Al-Beiruni replied this kind gesture saying, "Verily I serve knowledge for knowledge and not for money."

We do not wish to relate the history of Muslim scholars but it would suffice to quote Dr. Abdul Halleem Muntasar and what he said about Ibn Al-Haitham and Al-Beiruni in his magnificent book "Lectures on Science among the Arabs."

"Ibn Haitham said, as long as he lives he will spend all his energy and money in writing, with three things in mind. Firstly : People should, after his death, discover in his writings the benefits and the knowledge he offered during his life-time. Secondly : He does it for pleasure and contentment with the above views in mind. Thirdly : By means of his writings he prepaes for the the future when he is old and helpless.

One day a rich scholar approached Ibn Haitham and offered him wealth in abundance. This he did not accept saying, "It suffices me to have enough food for the day and my servant. I do not want more, for if there does remain any surplus it would entail two things. I would be preserving it which would mean that I am your storeman or I would be generously spending it. In that case that wauld imply that I am your agent dispensing with your charities. In any case if I got involved in these two matters who would then fulfil my obligations and duties in the field of knowledge ?" Finally he accepted only the amount he required and some inexpensive moderate clothes.

Ibn Haitham returned the remuneration given to him by one of the amirs whom he had taught. When returning the money he said, "Take all your money back. I do not require it. You are in greater need of it espectially when you return to your Lord and go back to your eternal place. And remember in the performance of good deeds there is no remuneration, no gifts and no bribery." Sartun has the following to say about Ibn Haitham, "He is the greatest Muslim phiysicist and the greatest optician of all times. The basis of his moral was "Sacrifice of rights and pursuit of knowledge."

"Don't we observe in this great Egyptian Arab scholar, Ibn Haitham, the morals of an exemplary scholar ? Don't we find his life and ideal imitated in his life time and followed not only by the very generation in which he lived but for a thousand years thereafter."

In the same way Al-Beiruni was distinguished for his absolutely rare intelligence and rational mind. We can place him among the most subtlest minds of modern time. It is amazing how he was dustinguished to possess knowledge of varied and variegated fields.

Ibn Yunus.

Ibn Yunus devoted most of his time studying how to develop a watch. He invented the clock pendulum known as "al-Refas." Dr. Abdul Halim Muntasar has the following to say about him in his book "Science among the Arabs."

"He observed the eclipse of the sun and the moon in Cairo, He described the methods adopted by Arab astronomers durnig Caliph Mamoon's time to measure the circumference of the earth.

It was he who invented the "Pendulum" and so preceded Galileo. In spherical trigonometry he was supreme and his discoveries surpassed those of any mathematician. He was first to propound the prosthapherical formula which before the invention of Logarithms was of great value to astronomers as it transformed the complicated multiplication of trigonometrical functions expressed in sexagesimal fractions into an addition. He also showed great skill in the solution of several difficult excercises in spherical astronomy with the help of orthogonal projection of the celestial sphere on the horizon and plan of meridian.

Al-Beiruni.

A German Orientalist who published a number of his books says, "He is the greatest rationalist that history has ever seen, His books on Indice Religions and Indian Society during his time is considered to be refernces of the first degree during our times. An actual story of the extent of his enthusiasm to study is illustrated in the following report :

In his book "Majam Al-Udoba" Yaqooth reports the following from the Muslim Theologian, Ali Bin Iessa Al-Wal-Walji :

"I called upon Abu Rayhan (al-Beiruni) when he was at his death bed. Joyously he was departing from this world and was in a state of agony. On seeing me said, "How did you explain the question of Inheritence for maternal grandmothers ?" Out of consideration and sympathy I said, "You want me to repeat that while you are in such a critical state ?' He replied, "How can this be ? Is it not better that I depart from this world knowing this question than dying ignorant of it ?" I had no alternative but to explain it to him and began remembering it. When I left the house and was on my way I heard a shriek." (He was dead).

It is true that Al-Beiruni was one of the great scholars in all history. The German Orientalist goes further and mentions, benignly, that "He is the greatest rationalist history has ever seen and that he is a great astronomer. Dr. Abdul Wahab Azzam says : "He is one of the greatest scholars in the entire history of man kind.

the finest physician for the treatment of this sickness. If you consult him you will certainly get what you desire.

Compelled by necessity and ashamed of embarrassment,, he delegated his brother to call on Al-Kindi. The response was favourable. Al-Kindi went to the merchant's house and diagnosed his son by his pulse-rate. He ordered his students who were well versed in music, efficient in playing the lute, and knew all the melancholic and gay notes to call upon the patient.

Four of the students arrived and began to play music near his head. They followed the instructions of Al-Kindi and played the notes he had taught them. They continued playing the same music while Al-Kindi studied its effects. He was reading the pulse-rate which showed that it was being effected gradually. The patient began to breathe and his pulse began to stimulate. Slowly he began to move then he sat up and began to talk The musicians were instructed not to cease playing music.

At this stage Al-Kindi beckoned the father of the partient to ask him the things he wanted to know and to write them down so as to preserve them. The dialogue began by the father asking and the son repyling to each query. When the father had completed all his questions and had written everything, Al-Kindi ordered his students to stop. With the cessation of music the patient returned to his state of unconsciousness. The father immediately asked for the music and tried to persuade Al-Kindi to instruct his students to replay the music. To this Al-Kindi replied,

"I am very sorry ! The little that he lived was his last. Neither I nor anybody in the world can extend the period of life that comes to its end. Once life has fulfilled the part God has bestowed upon it then no mortal can bring it to life again."

Ibn Al-Haitham (Al-Hazen)

He used to select the appropriate places for the observation of his optic test. Later he wrote a book on his experiments which remained to be a source of inspiration for many western scholars optics and heat.

Sartun had the following to say about Ibn Haitham "He is the greatest authority in optics for all times". Ibn Al-Nafees.

The West applauds William Harvey as the discoverer of "Blood Circulation." They forget or try to forget the observations, tests and experiments made by Ibn Nafees who discovered the basis of blood circtlation many centuries before Harvey. He proved that blood was never static in the veins but that it circulated in every part of the body.

every field whether spiritual, theoretical or physical. Suddenly there emerged an Islamic civilization which produced men of learning like Jabir bin Habban in Chemistry, Ibn el-Haysam in Physics, Abu Bakr Razi and Ibn Sina in Medicine and Philosophy, Gazzali in spiritualism, Ibn Rushd in Philosophy and Rationalism, Ibn Khaldun in Sociology and Historiography, Khawarzumi in Algebra and so many others.

Distinction of Muslim Thinkers.

We may now by way of example illustrate the distinguished position attained by some Muslim thinkers in the field of knowledge.

In the Encyclopaedia of Uskam, TJ. De Boer has the following to say :

He was there fore still regarded by Cardan, a philosopher of the Renaissance, as one of the twelve subtlest minds.

"Al-Kindi was celebrated in the Middle Ages as an astrologer, he was numbered among the nine judices astrology but he dealt not only with what we call astrological fantasies but with exact astrological measurements and calculations.

Al-Kirdi was well versed in music theoretically and practically. In treating his patients he combined music with medicine. An interesting story is related about him in this respect. Irrespective of whether there is any truth or not in the tory, it does go to show that he knew both medicine and music and its combinated effect. The author of "Akhbar al-Hukama" relates the following story ;—

(Writers) have mentioned an interesting story about Al-Kindi which was prevalent among the people. They said that a very rich merchant was his neighbour who was operating his business on a very grand scale. He had a son who did all the buying, selling and handling of expenses and expenditures on his behalf. The said merchant was extermely prejudiced towards Al-Kindi and spared no scruples in slandering him. Not only was this merchant obsessed with animosty but was even proud of his attitude and as such aggravated the situation. It so happened one day that his son suddenly fell in a coma. He lost consciousness of everything including the debts owed by the people and his obligations towards other merchants. The father overwhelmed with fear and made it his duty to consult every physican available in the city. He prevailed upon them to visit his son and offer treatment.

Many physicians, on knowing the critical situation and the seriousness of the case failed to respond. Those who responded were unable to produce any satisfactory result. Then the merchant was told, "But you are the neighbour of the greatest philosopher of his time and

ISLAM AND KNOWLEDGE-IV

by

Dr. Abdul Halim Mahmoud

The Grand Sheikh of Al-Azhar

The Companions of The Prophet And Knowledge.

The Muslims in encouraging and inducing people to pursue knowledge followed the Quran and the noble traditions of the Prophet. In reference it may suffice to quote Ma'z bin Jabal as reported by Imam el-Gazzalie in his "Ihya-el Uloom". Ma'z Ibn Jabal reports from the Prophet as having said :

"Seek knowledge. Seeking it purely for Allah's sake is fearing Him ; pursuing it is worshipping Him ; discussing it is remembering Him ; searching it is Jehad; imparting it to others is charity and spending it for the benefit of the family is affinity all this is because knowledge is the boarderline between the prohibited and permissible ; the light to the inroads to heaven ; the friend in isolation ; the companion in travel, the person to discuss with in solitude ; the guide in happiness and sorrow ; bringer of peace to the enemy, and an ornament to the intimate friend. With the power if knowledge Allah raises a people and makes them leaders of virtues. Their footsteps and deeds are imitated and people conclude with their opinions. The angels show anxiousness in their friendship and spread their wings for them. Every animate and inanimate being prays for their salvation ; the fish and creatures in the sea, the animals and beasts on the land, all ask for repentance for the learned. This is so because knowledge gives life to the hearts from ignorance and works as a lamp for the sight during darkness. Man reaches the rank of the selected ones of God and reaches supreme heights through knowledge both in this world and the Hereafter. To ponder in matters of knowledge is equivalent to fasting and studying it is equivalent to praying throughout the nights, knowledge brings one closer to his relatives and verses him with the facts of the prohibited and permitted things. Knowledge remains the leader while actions remain the followers. It inspires the fortunate and deprives the wicked.

Fruits of Islamic Encouragement of Knowledge.

The result of the Islamic encouragement was staggeringly great. Muslims rushed to seek knowledge in

killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case.

In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Baghdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the zimmis and the safeguarding of their interests.

The central point of the message of the Prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of man kind. Islam included this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law. Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation of the governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law. The law was the same for the poor as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardoning those whom the regular tribunals had condemned.

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation based on a just appreciaton of human duties and human rights.

self has ever maintained the most complete tolerance. Christians and Jews, as a rule, have never been molested in the exercise of their religon, or constrained to change their faith. If they are required to pay a special tax, it is in lieu of military service and it is but right that those who enjoy the protection of the state should contribute in some shape to the public burdens. Towards the idolators there was greater strictness in theory, but in practise the law was equally liberal. If at any time they were treated with harshness, the cause is to be found in the passions of the ruler or the population. The religious element was used only as a pretext.

" ... Has any conquering race or faith given to its subject nationalities a nobler guarantee than is to be found in the following words of the Prophet ? "To the Christians of Najran and the neighbouring territories) the security of God and the pledge of His Prophet are extended for their lives, their religion, and their property — to the present as well as the absent and others besides; there shall be no interference with (the practice of) their faith or their observances ; nor any change in their rights or their privileges; no bishop shall be removed from his bishopric; nor any monk from his monastery, nor any priest from his priesthood, and they shall continue to enjoy everything great and small as heretofore ; no image or cross shall be destroyed; they shall not oppress or be oppressed; they shall not practice the rights of blood vengeance as in the Days of Ignorance; no tithes shall be levied from them nor shall they be required to frunish provisions for the troops".

"The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the reign of Osman (the third Caliph), the Cristian Patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms. "The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith, on the contrary they help us in our religion; they respect our God and our Saints, and bestow gifts on our churches and monasteries."

In order to avoid the least semblance of high-handedness no Muslim was allowed to acquire the land of 'Zimmi' even by purchase. "Neither the Imam nor the sultan could dispossess a Zimmi of his property."

The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eye of the law. "Their blood", said Ali the Caliph "was like our blood". Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administeration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Isalm's law is that if a Zimmi is

the lord's son or daughter married they must cheerfully pay their contributions. But when the freeman's daughter married she must first submit to an infamous outrage — and not even the bishop, the servant of Christ, when he happened to be lord of the manor, would waive the atrocious privilege of barbarism. Death even had no solace for these poor victims of barbarism. Living, they were subject to the inhumanities of man; dead, they were doomed to eternal perdition; there was no room for his poor body in consecrated ground; he could only be smuggled away in the dead of night and buried in some unhallowed spot with a stake through his body as warning to other".

"Such was the terrible misery which hung over the people ! But the baron in his hall, the bishop in his palace, the priest in his cloister, little recked they of the sufferings of the masses. The clouds of night had gathered over the fairest portion of Europe and Africa. Everywhere the will of the strongest was the measure of law and right. The church afforded no help to the down - trodden and oppressed.

Its teachings were opposed to the enfranchisment of the human race from the rule of brute force''.

"The non-christians — Jews, heretics, or pagans — enjoyed under Christian domination, a faithful existance. It was a matter of chance whether they would be massacred or reduced to slavery. Rights they had none; enough if they were suffered to exist. If a Christian contracted an illicit union with a non-Christian, — a lawful union was out of the question, — he was burnt to death. The Jews might not eat or drink or sit at the same table with the Christians, nor dress like them. Their children were liable to be torn from their arms, their goods plundered, at the will of the baron or bishop, or a frenzied populace."

"... The essence of the political character of Islam is to be found in the charter, which was granted to the Jews by the Prophet after his arrival in Medinah and the notable message sent to the Christians of Nagron and the neighbouring territories after Islam had fully established itself in the peninsula. This latter docurment has, for the most part, furnished the kuiding principle to all Muslim rulers in their mode of dealing with their non-Muslim subjects and if they have departed from it in any instance the cause is to be found in the character of the particular sovereign. If we separatra the political necessity which has often spoken and acted in the name of religion, no faith is more tolerant than Islam to the folowers of other creeds. Reasons of state have led a sovereign here and there to display a certain degree of intolerance, or to insist upon a certain uniformity of faith; but the system it-

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Muharram 1397	ENGLISH SECTION	JANUAR 1977

ISLAM AND HUMAN RIGHTS

(Continued from previous issue)

By

Dr. Moiaddin Alwaye

"... The horrors of the Middle Passage, the sufferings of the poor negroes in the southern states of north America before the war of emancipation, the cruelties practised by the Sudanese slave-lifters, give us some conception of the terrible sufferings of the slave under the Christian domination at the time when Islam was first promulgated, and until the close of the fifteenth century. In the first Parliamentary War waged against Charles I, we find both side selling their opponents as slaves to the colonists. - After the suppression of the Duke of Monmouth's rebellion, all his followers were sold into slavery. And even after the lapse of almost two thousand years of Christ's reign, we still find Christians lashing to death helpless women, imprisoned for real or imaginary political offences by one of the most powerful empires of the civilised world".

"The condition of the so-called freemen was nowise better than that of the ordinary serfs. If they wanted to part with their lands, they must pay a fine to the lord of the manor. If they wanted to buy any, they must likewise pay a fine. They could not take by succession any property until they had paid a heavy duty. They could not grind their corn or make their bread without paying a share to the lord. They could not harvest their crops before the Church had first appropriated its tenth, the king his twentieth, the courtiers their smaller shares. They could not leave their homes without the leave of the lord, and they were bound, at all times, to render him gratuitous services. If

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثاني — السنة التاسعة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٧هـ — فبراير سنة ١٩٧٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٣ —

رأينا موقف الاسلام من الأدب شعرا ، فهل يختلف عن ذلك موقفه من الأدب نثرا ؟

والواقع أن الاجابة على هذا السؤال قد تضمنها حديثنا عن الشعر ، وتضمنتها كلمات من كلام سيد المرسلين ، وتضمنتها كلمة الامام الشافعى :

«حسنه حسن ، وقبيحه قبيح» .

واذا كان هذا منطقا بدهيا ، فان رأيا من الآراء نشأ فى عصور اليونان القديمة وأخذ يتخطى القرون قرنا فقرنا — يخفت أحيانا ويستعلن أخرى — حتى وصل الى عصرنا الحاضر . فأخذ يستعلن كرأى ، وأخذ يستعلن كتطبيق ، ذلك هو قولهم :

« الأدب للأدب » ..

ويعنــون بذلك أن الأديب يجب أن لا تقيده حدود : من تقاليد أو عــرف أو دين أو خلق أو فضيلة أو قومية ، وأنه يجب أن يسير فى كتابته حرا طليقا ، من كل تحديد .

هــذه البدعة نشــأت فى الجو اليونانى القــديم ، وهو جو تخلى فيه الأدباء عن الدين ، ونشــأت فى بيئة سادها جو السوفسطائيين ، أنها نشأت فى مجتمع كان فيه «أبيقور» ، وكانت مظــاهر الوثنية تحت بصر الانسان ، وأحاديثها تملأ سمعه .

مجتمع ألهته الوثنية شهوانيون ، مرتشون ، لا يعــرفون عــدالة ، ولا انصــافا ، وانما يحابون من يقــدم لهم القــرابين ، ويخــذلون من لم يتخــذ عنــدهم يــدا من الهــدايا والأضاحى .

وفى هذا المجتمع اليونانى القديم كانت كل بدعة تجد لها أنصــارا ، وكل ضلال يجد له من يتبعونه .

وسادت بدعة « الأدب للأدب » ..

وكتب الأدباء الأدب المكشوف ، الأدب الجنسى ، أدب الاثارة ، أدب الشــهوة أدبا يســتثير الغــرائز ، ويحــرض على الخيــانة الزوجية ، ويدعو الى التحلل .

وهذا الأدب يروج عند المراهقين ، وعند الشــبان فى بواكير عهــدهم بالشباب ، وعند الفتيات المراهقات ، ومن هن فى بواكير العهد بالشباب .

ومن وراء رواج هــذا النــوع المسف من الأدب ثراء لمن يكتبون : فلم يتورعوا عن الاندفاع فى الكتابة بمــا يرضى شياطين الانس والجن : من أجل المــال .

وفى عصرنا الحــاضر وفى بيئتنا المصرية طائفة من الكتاب من هــذا النوع يلعنهم الله ورسوله ، ويلعنهم كل من يتعشق الفضيلة ، وكل مؤمن صادق الايمان .

والأدب فى الأوضــاع المستقيمة انما هو لاصلاح المجتمع ، والسير به فى طريق الكمال خطوة فخطوة وان كل من يضــع لبنة فى صرح الفضيلة فانما يضــع لبنة فى صرح الكمال ، وان كل من يضــع لبنة فى صرح

الرذيلة فانما يضع لبنة فى صرح النقص .

وان الأدباء الذين يجرون وراء الاستثارة الجنسية والأدب المكشوف خائنون للوطن ، ويعيشون فى مقت الله : انهم مفسدون .

ومع تنبيهنا الى فساد هذه البدعة فان ذلك لا يحجب مفاسد أخرى وذلك أنه :

« أحيانا يطوع الكاتبون أقلامهم لتأييد فكرة يجارون فيها صاحب السلطان : وهذا يحدث هنا وهناك ، انه يحدث فى الشرق والغرب كما يجرى الأمر مثلا فى روسيا ، وفى بلاد الكتلة الشرقية التى يضرب على أهلها بستار حديدى ويقعون تحت حكم مسيطر لا يستطيعون الانفكاك عنه .

ان أدباء هذا السجن الكبير الذى يضم أقطارا بأكملها : رجالا ونساء ، شبانا وشابات ، وأطفالا وشيوخا .. ان أدباء هذا السجن يكتبون مؤيدين نظام السجن محبذين له : انهم منافقون .

وفى فترة من الفترات الماضية ظن بعض المنافقين عندنا أنهم يرضون الحاكم اذا كتبوا مؤيدين للشيوعية، فأخذوا يطوعون الدين للفكرة، بكل وسيلة من الوسائل ، من ذلك مثلا :

تمثيلية عن « أبى ذر » رضى الله عنه .

لقد كان « أبو ذر » رضى الله عنه صحابيا جليلا ، يتفانى فى حب الله ورسوله ، وكان زاهدا فى حطام الدنيا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتنى الابل ويتخذ لها الرعيان ، ورأى أبا بكر رضى الله عنه يتجر ، ويربح ويكون من الأثرياء ، ويرى الكثير من الصحابة يأخذون المال بحله ، وينفقون فى سبيل الله ، ولكن رأى بعض الناس ــ وهذا أمر عادى فى كل عصر ــ يتجه الى الدنيا ويوليها الكثير من وقته ، فأخذ يبشر بالزهد : الزهد الدينى ، زهد المتجردين وكان فى عهده « ذو النورين » المبشر بالجنة، الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله عنه من أغنى الأغنياء ، وكان غناه سببا فى أن جهز جيش العسرة ، وأن

الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ـ حينما ألقى « عثمان » رضى الله عنه فى حجره مالا كثيرا من الذهب والفضة :

« اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض » وأخذ يجول بيده الشريفة فى الذهب ويقول :

(ما على عثمان مافعل بعد اليوم).

وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن بن عوف » بالجنة ، وكانت ملايين « عبدالرحمن ابن عوف » تنقذ البأس ، وتشبع الجائع ، ويصل بها رحمه ، ويعين بها على نوائب الحق ...

ودعانا القائمون على «التليفزيون» لرؤية التمثيلية التى تتعلق «بأبى ذر» وذهبنا لمشاهدتها مع بعض العلماء ، وبعض المؤرخين . . . فاذا بنا أمام تزييف للتاريخ ، وتجن على الأفاضل الشرفاء من الصحابة الأثرياء ، ونفاق للحاكم بدون ورع ، وبدون صدق ، وذلك من أجل النفاق للحاكم ، ومن أجل حكام الدنيا .

لقد نزلوا بمكانة كثير من الصحابة زاعمين بالاشارة أو بالتلميح : أنهم من الاقطاعيين ، وهكذا زيفوا التاريخ ، ولم يراعوا الحق ، من أجل شهوة غلابة ، هى شهوة المنصب أو المال .

ويجب اذن أن يتخلى الكاتبون عن الجرى وراء الباطل فى سبيل المنفعة الشخصية ، ويجب على الحاكمين أن لا يشجعوا مواكب النفاق التى تتوالى فى كل الأزمنة محسنة للحاكم هواه ، مؤثرة هواه على رضاء الله تعالى حتى ولو خالف أمر الله :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

ونحب الآن بتوفيق الله تعالى أن نتحدث عن زاوية من زوايا الفن ،

طال فيها النقاش فى العصر الحاضر، بل وطال فيها النقاش فى الماضى ، ألا وهى زاوية التصوير ، سواء أكان رقما فى ثوب أم نقشا على الجدار ، وسواء أكان رسما على ورق أم تماثيل مجسدة .

ونبدأ مباشرة فنقول :

ان كل ما يحدث من ذلك مخلا بالآداب ، مثيرا للشهوة ، منافيا للفضيلة ، فهو حرام حرمة لا شك فيها ، وذلك مثل الأجسام العارية ، والصور الخليعة .

وقد ابتلينا فى هذه الأيام بالكثير من ذلك ، بل أصبحت الاعلانات عن «الكباريهات» عن طريق الصور العارية تنشر فى الصحف اليومية ، ولا تتورع صحيفة عن نشر هذه الاعلانات ، ولا توجد صحيفة يومية الا وهى تتهالك على نشر ذلك طلبا للمال .

وما من شك فى أن كل مال يؤدى فى ذلك فهو سحت ، تمتنع عنه النفس الأبية والأخلاق الفاضلة وأكثر من ذلك ، فانه توجد « مجلات » متخصصة فى نشر الصور العارية المثيرة ، وتمر هذه المجلات على الرقابة فلا تعيرها اهتماما وتصرح بها ، وتصبح بين يدى الشبان وطلبة الجامعات ، وطالباتها ، ويكثر الفساد فى المجتمع نتيجة لهذا السوء الذى أصبح مألوفا ، وكأن الله تعالى لم يحرمه وكأن المجتمع لا دين له .

ونعود فنقول : ان كل ذلك حرام، وفاعله ومبيع نشره فى المجتمع : ملعون فى عرف الفضيلة ، ومن قبل الله سبحانه وتعالى .

ونوع آخر حرام لا شك فى حرمته ، وهو هذه الأصنام التى أخذت منذ فترة تنتشر شيئا فشيئا فى العالم الاسلامى ، انها الأصنام التى يقيمونها هنا وهناك ، تخليدا لذكرى شخص ، أو رمزا لفكرة معينة ، أو تعبيرا عن القوة أو الجمال .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (١) .

ويقول تعالى :

« واذ قال ابراهيم لأبيه : آزر : أتتخذ أصنامنا آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين » (٢) .

ويقول سبحانه :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم » (٣) .

ويقول تعالى :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » (٤) .

وحينما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ يحطم الأصنام دون استثناء ، وهو يقول : « جاء الحق ، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

والتحريم فيما يتعلق بهذه الأصنام يقين لا شك فيه .

---

(١) سورة المائدة الآيات : ٩٠ ، ٩٢

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٤

(٣) سورة ابراهيم الآيات : ٣٥ ــ ٣٦

(٤) سورة الأنبياء الآيات : ٥١ ــ ٥٨

ومما يذكر فى هذا الصدد ماذكره القرآن الكريم عن بنى اسرائيل مبينا أن فكرتهم عن الاله سبحانه لم تكن فكرة مستنيرة ، وانما كانت فكرة ضالة ، وقد صورها القرآن فى صورتين أبرع ما يكون التصوير الساخر الموجه المرشد المعلم .

احداهما هذه الصورة :

لقد أنعم الله على بنى اسرائيل بنعمة النجاة ، وما أن تمت النجاة حتى رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، وعن ذلك يقول الله تعالى :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال : انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبَّر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين » (١) .

ويقول سبحانه :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم.اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . ؟ قالوا نعبد أصنامنا فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون.أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين» (٢)

أما الصورة الثانية فهى :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال : ابن أم ، ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لى ولأخى

(١) سورة الاعراف ، الآيات : ١٣٨ — ١٤٠

(٢) سورة الشعراء الآيات : ٦٩ — ٧٧

وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين • ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » •• (١) •

وقد يقول قائل :

ان علة تحريم الأصنام فى الاسلام أنها كانت تعبد من دون الله ، ولكن هذه العلة زالت فى العصر الحاضر ، فلا يتأتى أن يصنع الانسان صنما ويعبده فى عهد هذه الحضارة التى عمت الشرق والغرب ؟

ونحب اجابة على ذلك ، أن نقول:

ان الاسلام حرم ذلك تحريما مطلقا لا يقيده زمن ولا مكان ، وان حكمة الله فوق كل حكمة والمبادىء التى أوحاها سبحانه لا تنقضها أهواء البشر ؟ ثم انه فى هذه الحضارة التى عمت الشرق والغرب ما زالت البقر تقدس ومازالت تثير المعارك ، وتسيل دماء بنى البشر ، دماء أهل وطن واحد •

وفى هذه الحضارة الحديثة مازالت الأصنام تعبد أو تقدس فى معابد لاتحصى ، من معابد الشرق الأقصى •

وفى هذه الحضارة الحديثة ما زالت بعض الأديان فى أكبر الدول تحتفظ بطابع « اللامعقول » طابع يتميز بأنه ضد العقل والمنطق والتفكير السليم ، ويتغلغل هذا الطابع فى كثير من زواياها ولكن الالف ــ بكسر الهمزة ــ والزمن ، والتكرار ، والتعود ••• كل ذلك جعل منها أديانا ، تستمر فى الماضى ومازالت تستمر فى الحاضر مع أنها خرافات

وقد أعلن كبار مؤرخى الأديان عن الأساطير فيها والخرافة ومع ذلك ما زالت مستمرة وأمر الانسان فى الحاضر أو فى الماضى غريب : ان الالف يغرس فى شعوره ان المألوف صحيح ، وان ما عليه الآباء والأجداد من عقائد حق ، انه يفعل ذلك دون تأمل أو فحص بل انه يفر ويهرب من التأمل والفحص اذا أداه ذلك الى انكار المألوف من العقائد ويسكت

---

(١) سورة الأعراف الآيات : ١٤٨ ــ ١٥٢

فى نفسه بالقهر صوت الانكار أو النقد .

وبقيت أساطير ، واستمرت خرافات ، ودام ضلال دهورا :

« انا وجدنا آباءنا ... » .

ونخلص من كل ذلك الى القول بأمرين هما من البداهة بمكان ..

١ — أن كل ما يتنافى مع الدين فى التصوير محرم .

٢ — أن الأصنام على أى وضع كانت ، تمثيلا لشخص أو تمثيلا لفكرة محرمة .

« بقى بعد ذلك أهم جانب — من الوجهة العلمية البحتة — نحب أن نتحدث عنه ، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام ، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية ، وفى جوازات السفر ، والصور الخاصة بالذكريات وصور الأبناء للآباء أو صور الآباء للأبناء ؟ ولكن ذلك له حديث تال ان شاء الله .

دكتور : عبد الحليم محمود

شيخ الجامع الأزهر

« ياليتنى قصارا »

قال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر عبد الملك امر بفتح الأبواب من قصره فلما فتحت، سمع قصارا بالباب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قصار فقال: ياليتنى كنت قصارا ، اعيش من عمل يدى ، فلما بلغ سعيدبن المسيب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون الينا ولا نفر اليهم .

وفود الأمة بين يدي نبيها
صلى الله عليه وسلم

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوي

عفا الله عن المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ ، انهم لا يفارقهم الشعور التاريخي والتفكير التاريخي في أقدس مكان وأفضل زمان ، انهم أينما كانوا يعيشون فيما درسوه ويصلون الحاضر بالماضي •

كنت في الروضة في المسجد النبوي ، وحولي جمع حاشد من المصلين والمتعبدين بعضهم في ركوع وبعضهم في سجود ، ولتلاوة القرآن دوي كدوي النحل ، كل ذلك كان جديرا بأن يشغلني عن التفكير في التاريخ وفي رجال الماضي ، ولكن سحابة غشيتني من الذكريات القديمة لم أستطع لها دفعا ولم أملك لها قهرا •

رأيت كأن عظماء هذه الأمة عاشوا من جديد وجاءوا وفودا يصلون في هذا المسجد العظيم ويسلمون على هذا النبي الكريم ، ويقومون بواجب الاجلال والتكريم ، والامتنان والاعتراف بالجميل ، يشهدون له على اختلاف طبقاتهم ، بأنه هو الذي أخرجهم باذن الله من الظلمات الى النور ومن الشقاء الى السعادة ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ويشهدون على أنفسهم بأنهم غرس الاسلام وزرع النبوة وأنهم — لاسمح الله — لو تجردوا مما أكرمهم الله به عن طريق هذا النبي ، وما أتحفتهم به نبوته ، لعادوا أجسادا بلا روح ، وخطا بلا وضوح ، ولعادوا الى عهد الظلمات وشريعة الغابات وقانون العصابات وانطمست معالم هذه الحضارة •

حانت منى التفاتة فرأيت فريقا يدخل من باب جبريل — وهو أقرب الأبواب الى — عليهم السكينة والوقار ، يعلوهم نور العلم وسيما التفكير ، وقد ملأوا الرحاب بين باب جبريل باليسار الى باب الرحمة باليمين ، منعت كثرتهم عن العد والتشخيص ، سألت البواب عنهم ، فقال : هؤلاء أعلام الأمة وأئمة العلم وعباقرة الانسانية ونوابغ الوجود ، كل واحد منهم امام أمة ومؤسس مكتبة ، ومبتكر علم ومربى جيل ، قد خلدت آثارهم فامتدت على العصور والآفاق ، وسارت فى ضوء علومهم واجتهادهم وتحقيقهم الأجيال بعد الأجيال ، وقد سمى منهم على عجل واحتشام ، مالك بن أنس ، وأبا حنيفة النعمان ، ومحمد بن ادريس الشافعى ، وأبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وليث ابن سعد المصرى ، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، ومحمد بن اسماعيل البخارى ، ومسلم بن حجاج القشيرى ، ومحمد بن محمد الغزالى ، وتقى الدين بن تيمية ، وموفق الدين ابن قدامة ، وأبا اسحاق الشاطبى ، والكمال بن الهمام ، وأحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، على تفاوتهم فى الزمان والمكان ، وأصالة العلم وعلو الشأن .

رأيتهم بدأوا بتحية المسجد وصلوا ركعتين فى خشوع وقنوت ثم تقدموا الى القبر الشريف فى أدب وتواضع ، وسلموا على نبيهم صلى الله عليه وسلم فى كلمات وجيزة المبانى كثيرة المعانى ، عميقة الجذور ، سامقة الذرى ، وكأنى أسمعهم يقولون ، وفى عيونهم دموع وفى صوتهم خشوع : « لولاك يا رسول الله ، ولولا شريعتك السمحة الواسعة الخالدة مع الزمان ، ولولا أصولها المفتقة للقرائح ، ووضعها الحكيم المعجز ، الباعث على التفكير والتفريع ، ولولا حاجة الانسان اليها فى كل زمان ومكان ، لما دون هنا هذا الفقه العظيم وهذا التشريع الحكيم ، الذى لا تحمله أمة من الأمم ومجتمع من المجتمعات البشرية ، ولما نشأت هذه المكتبة الدينية التى تتضاءل أمامها كل مكتبات

العالم الدينية ، ولولا جهادك فى سبيل نشر العلم والحث على استعمال العقل والتدبر فى آيات الله لما عاش العلم وانتشر هذا الانتشار الواسع، ولما أطلق العقل الانسانى من اساره وسار العالم فى آثاره » ..

ولم أكن قد قضيت لبانتى من هذه الجماعة حتى لفت نظرى فريق آخر يدخل من باب الرحمة عليهم سيما الصلاح والعبادة وفى وجوههم أثر التقشف والزهادة ، قيل لى : ان فهيم الحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، وسفيان الثورى ، والجنيد البغدادى ، والفضيل بن عياض ، وداود الطائى ، وابن السماك ، وعبد القادر الجيلانى ، ونظام الدين البدايونى (١) ، وعبد الوهاب المتقى (٢) ، وأضرابهم، اقتدوا بالأولين ، وتقدموا بعد الصلاة ، ووقفوا أمام المدفن الشريف ، يصلون على نبيهم وامامهم وقدوتهم ، ويقولون : « لولا المثل العملى الذى ضربته فى حياتك ولولا منارك الذى أقمته لمن يأتى بعدك يا رسول الله ، ولولا قولك : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » ووصيتك : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ولولا حياتك التى وصفتها لنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وطلوع هلال، ومرور شهر بعد شهر ، لا توقد فى بيتك نار ولا تنصب لها قدر ، لما كان لنا أن نؤثر الآخرة على الدنيا ، وأن نكتفى ببلغة من العيش وكفاف من الزاد ، ولما كان لنا أن نتمرد على الشهوات ونقاوم اغراء الأموال والمناصب والحكومات ، فى غير تحريم لما أحل الله من الطيبات ، ومن غير تحقير لما منّ الله علينا من النعيم ، ووسع لنا فى الحياة ، ولكنه ايمان المؤمن وايثاره للآخرة ونعيمها على الحياة الدنيا وطيباتها ، وعزوف عن الشهوات ، وكراهة للتكالب على حطام الدنيا ..

---

(١) ، (٢) عالمان ربانيان ومن كبار الزهاد والمربين ولدا ونشآ فى الهند .

ولم أستوف كلماتهم الحكيمة المرققة ، حتى لفت نظرى فريق يدخل من باب النساء فى حشمة وتستر ، بعيد عن كل ما ينافى الاسلام وآدابه من الزينة الظاهرة والتبرج ، وتقدم هذا الفريق من المسلمات الصالحات، من شعوب مختلفة وبلاد متنائية من عجميات وعربيات ، وشرقيات وغربيات ، وتكلمن فى صوت خافت وأدب ظاهر : « نصلى ونسلم عليك يا رسول الله ! تسليم من عظمت عليه منتك ، فقد أنقذتنا باذن الله وحوله من تقاليد الجاهلية وظلم المجتمع ، وجور الرجال ، وحرمت وأد البنات، وحذرت من عقوق الأمهات ، وقلت : « الجنة تحت أقدام الأمهات »وأشركتنا فى الارث وبنت نصيبنا أما وأختا وبنتا وزوجا ، ولم تنسنا فى خطبتك العظيمة يوم عرفه ، فقلت : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله » الى غير ذلك مما حثثت به الرجال على الانصاف للنساء ، وأداء حقوقهن وحسن عشرتهن ، جزاك الله عن جنسنا أفضل ما يجزى الأنبياء والمرسلين وعباد الله المحسنين » •

ولم ينقطع عن أذنى هذا الصوت الرخيم حتى سمعت حسيس قوم يدخلون من باب السلام والتفت اليهم فاذا هم مبتكرون للعلوم ومدونون للفنون ، أئمة النحو واللغة والبلاغة ، فهم أبو الأسود الدؤلى ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والكسائى وأبو على الفارسى ، وعبد القاهر الجرجانى ، والسكاكى ، وابن منظور ، ومجد الدين الفيروز آبادى، والسيد مرتضى الزبيدى ، يريدون أن يبلغوا تحية علومهم ويدفعوا ضريبة ما عاشوا عليه واشتهروا به ، وسمت مكانتهم بفضله ، وسمعتهم يقولون فى بلاغة وأدب : لولاك يا رسول الله ولولا الكتاب الذى نزل عليك ، ولولا حديثك الذى نطقت به ، ولولا هذه الشريعة التى دانت بها الأمم ، واحتاجت لأجلها الى تعلم اللغة العربية والتفقه فيها ، لما نشأت هذه العلوم التى كتب لنا شرف الزعامة فيها ، ولما كان نحو ولا بيان ولا بلاغة ، ولما ألفت هذه المعاجم الكبيرة ودقق فى مفردات اللغة

العربية ، ولما جاهدنا فى سبيلها هذا الجهاد الطويل ، ولما خضع العجم - وهم فى سعة من لغاتهم ، وغبطة بلهجاتهم - لدراسة اللغة العربية والتعمق فيها ، ولما كان منهم هؤلاء الأعلام الذين أقر بفضلهم ونبوغهم أدباء العرب وجهابذة الأدب ، فأنت الرابطة يا رسول الله ! بيننا وبين هذه العلوم الناشئة فى الاسلام ، النابتة فى عهد رسالتك وامامتك وأنت الرابطة بين العرب والعجم ، وأنت الذى ملأ الله بك هذا الفراغ ، ووصل البعيد الى القريب ، والعجمى بالعربى ، فكم لك من فضل على نبوغنا وعبقريتنا ، وكم لك من فضل على ثروة العلم ونتاج العقول ومحصول الأقلام .

ولولا أنت يا رسول الله ! لطويت اللغة العربية فيما طوى من اللغات واندرس من اللهجات ، ولولا القرآن العظيم العربى المبين لتناولها المسخ والتحريف كما تناول اللغات الكثيرة ، وابتلعتها العجمة واللهجات المحلية وقضى عليها اللحن ، ولكنه هو وجودك وشريعتك الخالدة ودينك العالمى وكتاب الله المعجز الذى منعها من العفاء والدروس ، وفرض سلطانها وسيطرتها على العالم الاسلامى كله ، وغرس حبها واجلالها فى قلب كل مسلم ، فأنت الذى خلد الله بك هذه اللغة وضمن بقاءها وانتشارها وسلامتها ، فلك على كل من ينطق بها أو يكتب فيها أو يعيش بها أو ينادى اليها فضل لا يجحد» .

ولم أنتبه من مقالتهم حتى استرعى انتباهى قوم يدخلون من باب عبد العزيز خليط من البشر ، ومزيج من الأمم ، فيهم أعظم سلاطين العالم وأعظم ملوك عرفهم التاريخ ، فيهم الوليد بن عبد الملك ، وهارون الرشيد ، ومحمود الغزنوى ، وملك شاه السلجوقى ، وصلاح الدين الأيوبى ، والظاهر بيبرس ، وسليمان القانونى العثمانى ، وأورنك زيب عالمكير التيمورى الهندى ، وقد نحوا الخدم ورجال الشرطة عنهم وتركوهم وراء الباب يتقدمون فى هيبة وتواضع ، غضيضة أبصارهم خافتة أصواتهم ، واستعرضت أسماءهم وأدوارهم والدنيا الواسعة

التى كانوا يحكمونها والسيطرة العظيمة التى كانوا يتمتعون بها ، فمنهم من كان يحكم دولة لا تقطع فى أقل من خمسة أشهر على أسرع جمع (١) ، ومنهم من قال مرة لسحابة مرت به « أمطرى حيث شئت ... فسيأتينى خراجك » (٢) ومنهم من اتسعت مملكته حتى استطاع أن يأمر بأن يدفع الى أصحاب سفن جيحون أقصى الشرق أجرتهم من مالية أنطاكية فى أقصى غرب المملكة، وحضر رسول القيصر ليدفع اليه الخراج فما تسلم منه الا على باب كاشغر (٣) ومنهم من كان يرهب فى أوربا ، وتمتنع الكنائس من ضرب الأجراس ، اذا دخل المسلمون فى بلاده احتراما لدينهم واشفاقا من سلطانهم (٤) ، ومنهم ومنهم ومنهم .

رأيتهم يتقدمون ليصلوا فى مسجد الرسول ، ويسلموا على صاحبه ، يعتبرون ذلك أعظم سعادة لهم وأكبر شرف ، ويتمنون لو رفعت هذه الصلاة ولو قبل هذا التسليم ويسمح لهم بالوقوف فى مصلاه ، والوقوف أمام مرقد الرسول يقومون بواجب الاجلال والتكريم ، والاعتراف بالجميل ، رأيتهم يتقدمون الى الامام تقصر خطاهم ، وتعثر أقدامهم ، والمهابة تملأ قلوبهم حتى وصلوا الى الصفة ـ وهو مكان فقراء الصحابة ـ ووقفوا أمامها ينظرون اليها نظر الاكبار والاجلال ونظر الحياء والاحتشام ، وصلوا بجوارها تحية للمسجد ، ثم تقدموا الى القبر الشريف فسلموا على نبيهم كما شاء حبهم واجلالهم وكما شاء علمهم وايمانهم متأدبين بآداب الشرع ، متقيدين بشريعة التوحيد ، وسمعتهم يقولون : «لولاك يارسول الله ! ولولا جهادك ودعوتك التى وسعت الآفاق وفتحت البلاد ، ولولا دينك الذى آمن به آباؤنا فخرجوا

---

(١) المراد به الوليد بن عبد الملك .
(٢) المراد به هارون الرشيد .
(٣) هو ملك شاه بن الب أرسلان السلجوقى .
(٤) هو سليمان بن سليم العثمانى .

به من حياة الخمول والهوان والعزة عن العالم الى حياة الشرف والطموح والمغـامرة ، فأسسوا دولا واسـعة وفتحوا بلادا شاسعة وجبوا الخراج من الأمم التى كانت تسوقهم بالعصا وترعاهم كالغنم ، فلولا هذا الانتقال من الجـاهلية الى الاسـلام ومن الانطواء على النفس والحياة القبلية الضيقة الى غزو العالم وفتح الأمم لمـا ارتفعت لنا راية ، ولا رويت لنا رواية ، ولبقينا فى صحارينا القاحلة وفى أوديتنا الضيقة المظلمة نتصارع ونتناحر ، يأكل القوى منا الضعيف ويظلم الكبير منا الصغير ، طعـامنا أفقر طعـام ، وعيشنا أخس عيش ، لا نفكر فى مكان أوسع من هـذه القرية الصغيرة التى نعيش فيها ولا فى مجموع من البشر أكبر من هـذه القبيلة الصغيرة التى نرتبط بهـا ، أسماك بركة وضفادع بئر ، نعيش فى عـالم من نفـوسنا وتجـاربنا المحدودة ونغنى بمجد آبائنا الجهلاء السفهاء ، ولكنك يا رسـول الله ! ألقيت علينا ضوءا من دينك تفتحت به عيونـنـا ، وتوسـع به خيالنا ، فخرجنا الى أرض الله الواسعة نحمل دينه الواسـع ، ورابطته الجامعة ، وأشعلنا مواهبنا الخامدة الجـامدة نحارب الشرك والوثنية ، والجهـالة والظـلم ، فأسـسنا هـذه الدول العظيمة ، نعمنا ونعم أولادنا واخواننا فى ظلهـا قرونا ، وها نحن أولاء ، نقـدم اليك تحيـاتنا ونقـدم اليك ضريبة الاجـلال والتكريم والحب والتعظيم ، وهى ضريبة نقدمها طوعا واختيارا ونتشرف بتقديمها ونعترف بتقصـيرنا فى جنب دينـك الذى أسـعدنا الله به وتطبيق أحـكامه ، وتنفيذ قانونه ونستغفر الله تعالى ، انه هو الغفور الرحيم .

وقـد كنت مصروفا الى هؤلاء الملوك ، أرى وجـوههم الخاشـعة وأسـمع كلامهم الرقيق ، الذى لم أسمعه أبدا منهم ، اذ تقـدم فريق آخر مشى فى صـفوف الملوك من غير اكتراث واهتمـام ، لا يخشى لهـم سطوة ، ولا يراعى لهم حرمة ، فقلت: شاعر أو ثائر ، فاذا هو مجموع من الفريقين ، فيهم السيد جمال الدين

الأفغانى ، والامير سعيد حليم ، والزعيم محمد على الهندى ، والشهيد حسن البنا والشاعر التركى محمد عاكف ، والشاعر محمد اقبال وقدموا الآخر ترجمانا لهم يقول :

« أشكو اليك يا رسول الله ! من قوم لا يزالون يعيشون فى رفدك ويأكلون من فتات مائدتك ، وينعمون وبالحرية والشرف فى بلاد أنت حررتها من حكومة الظالمين وأخرجتها الى ضوء الشمس ، انهم يحاولون أن ينقضوا الأساس الذى قامت عليه هذه الأمة العظيمة وهذا الصرح العظيم ، ويريدون أن يوزعوا أمتك الواحدة فى قوميات وعصبيات كثيرة ، ويحيوا ما أمتها ويبنوا ما هدمتها ويرجعوا بهذه الأمة الى الجاهلية التى أخرجتها منها للأبد ، ويقلدوا فى ذلك أوربا التائهة الحائرة المفلسة ، ويبدلوا نعمة الله كفرا ويحلوا قومهم دار البوار ، ان الصراع بين مصباحك المنير وشرارة أبى لهب ، قد عاد من جديد وقد انضم الى معسكر أبى لهب كثير من الناطقين بلغتك ، وعادوا يتغنون بأمجادهم الجاهلية والأصنام التى حطمتها ، انهم المطففون «الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» نالوا منك كل بر عاشوا به ، وكل قوة اعتزوا بها ، ثم انهم يأخذون بنواصى شعوبهم التى يحكمونها ويريدون أن يلقوها خارج أحضان أوربا وفلسفاتها الجاهلية من قومية واشتراكية وشيوعية .

ها هى الأوثان ، التى أخرجتها من جوف الكعبة تعود أو تعاد الى الشعوب المسلمة السليمة البريئة بأسماء جديدة وبثياب جديدة ، انى أرى فى بعض أجزاء العالم العربى الذى يجب أن يكون معسكرك ثورة لا فاروق لها ، وردة لا أبا بكر لها منى ومن جميع أصحابى الذين أتشرف بتمثيلهم والتعبير عما فى فى ضمائرهم ؟ اليك أفضل التحيات وأشرف التسليمات ، وأؤكد لك وأشهد الله على ما أقول : اننا براء من الزعماء والعظماء الذين ولوا وجوههم شطر الغرب وانصرفوا عن قبلة الاسلام وشطره ، والذين لا صلة لهم بك ، ولا شأن لهم بدينك ،

انا ندين لك بالولاء والوفاء وسنظل متمسكين بحبل الاسلام ، حتى يأتى وعد الله ونلقى ربنا » .

ولم تنته هذه الكلمة المؤمنة البليغة حتى ارتفع صوت المؤذن عاليا على منائر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم : «الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر» وأفقت من غفوتى، وما كنت أسبح فيه من عالم الخيال والتاريخ ، واذا بى أمام الواقع ، رجال فى الصلاة ورجال ، فى تلاوة القرآن ، وجموع من المسلمين ووفود من العالم الاسلامى تسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخليط من الأصوات والانطباعات والعواطف .. (١) .

ابو الحسن الندوى

« سليمان بن عبد الملك »

اشتهر سليمان بالفصاحة والبلاغة ...

وقد قيل عن وفاته : أنه لبس يوما حلة وعمامة خضرا ونظر فى المرآة ، وقال : أنا الملك الفتى ، فنظرت اليه جارية من جواريه وقالت :

أنت نعم الفتى لو كنت تبقى
غير أن لابقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان فى الناس غير أنك فان

ولم يمض اسبوع واحد على ذلك حتى مات .

الفخرى ص ١١٦

---

(١) اذيع من محطة الاذاعة السعودية العربية فى جدة عام ١٩٦٢ م .

دراسة شاملة للعالم الإسلامي

للأستاذ أحمد حسين

— ٢ —

ولست أكتب تاريخ العالم الاسلامي وكيف وصل الى ما وصل اليه وأدع ذلك لشباب المؤرخين المتخصصين وأسرع الى وصف صورة العالم الاسلامي كما هي اليوم •

وأبادر فأقول : أنه لم يعد شبر واحد لم يتحرر من براثن الاستعمار ، باستثناء دول قلب آسيا التي تقع في الاتحاد السوفيتي ، حيث يدعى أنها ليست مستعمرات ولكنها جمهوريات مستقلة ، ونحن ممن لا ينخدعون بالأسماء ، وعندنا أنه ما لم تعد هذه الدول في أداء رسالتها للعالم الاسلامي ، كما فعلت أيام البخاري ومسلم والفارابي وابن سينا فهي مستعمرات بالتأكيد ، ومستعمرات من النوع الاستيطاني البغيض ، حيث يراد ازهاق حضارة وابادة شعب ، لحساب شعب آخر وحضارته المادية •

ولنرجع الى ما كنا بسبيله : فما هو حاضر العالم الاسلامي باستثناء هذا القسم ؟ انه حاضر يختلف اختلاف الظلام والنور فكل الدول الاسلامية وعلى رأسها الدول العربية أصبحت سيدة نفسها تمارس نشاطها بما يعود بالخير على أبنائها وتمتلك مواردها وتوجهها لما فيه مصلحتها •

أفريقيا والاسلام :

وحيث ينحسر الاستعمار عن افريقيا يبرز الاسلام دينا سائدا ، أو في طريقه الى السيادة المحققة بتعاليمه الناصعة الانسانية •

وفي أوربا :

واذا كانت دول أوروبا الغربية كانت هي التي شنت حربا صليبية على العالم الاسلامي في العصور الوسطى ، واحتلت أراضيه وأخضعته لسيادتها في القرن التاسع

عشر والنصف الأول من القـــرن العشرين ، فلم تعـد توجد محطـة اذاعة غربية تذيع للعـالم الا وتذيع القرآن ، وآخر ما حدث هو هـذا المهرجان الاسلامى فى لندن ، وتقوم المساجد فى طول أوروبا وعرضها ، ويعتنق الاسلام فى كل عام مفكرون وكتاب وعلمـاء مؤكدون رغم قلة عددهم ، خصـوبة الاسـلام ونضارته حتى فى القرن العشرين قرن المـادية والالحاد .

وفى «الولايات المتحدة :

حيث يؤلف الزنوج ١٠٪ من عدد السكان فقد شاع الاسلام بين عدد كثير منهـم ، وليس ذلك سـوى البداية .

الأقليات المسلمة تقاوم :

وقد بدأ المسلمون فى كل مجتمع يقيمون فيه يرفضـون أن يغض من شأنهم فضلا عن أن تتحيف حقوقهم، فبـدأوا يقـاومون الى حد امتشـاق الحسام .

واين اصبح مكان العرب ؟

ولقـد أبقيت الحديث عن البلاد العربية عن عمد ، وبمـا أشير لبعض الظواهر الأخرى ،وذلك أن ما حدث فى البلاد العربيـة هـو آية عزهم ومكانتهم ودورهم الحاسم فى التاريخ وسـأبدأ فى عرض ما وصـل اليه العـرب من الانقـلاب المذهل الذى حول - على سبيل المثال - امارات الخليج من أفقـر بلاد الدنيـا الى أغناها ، ومن بلاد تعيش على هامش الحيـاة ، الى بلاد تملك أسباب الحياة لأغنى بلاد الدنيا .

أبو ظبى وليست امريكا :

وقـد لا يتصور الكثيرون جدا ، أنه حيث أصبح الدخل القومى للفرد فى أمريكا يدور حـول ستة آلاف دولار فى العام وهو ما يجعل أمريكا تجىء فى المرتبة الثالثة بعد السويد وسويسرا حيث يزيد الدخل بضعة مئـات من الدولارات ، فان أعلى نسبة لارتفـاع الدخل القـومى فى العالم هى فى « أبو ظبى والكويت » وحيث يخص الفرد الواحد ١٢ ألف دولار فى العام ، وليس يحـول بين السعودية وبين هـذا الرقم المرتفع جدا الا كثرة سـكانها - نسبيا - والا فان دخل السعودية من البترول يفوق كل خيال وتصور .

وأنا من القائلين : ان وجود البترول بكل هذه الكثرة فى جزيرة العرب أولا ، وفى سائر البلاد الاسلامية ثانيا هو ارادة الهية • لكى يصبح العرب فى دنيا المادة هم : أسياد هذه المادة ، ولا يتصور متصور أن البترول الى نفاد فعندما يحدث ذلك وسوف يحدث ، فان البديل لذلك كله هو حرارة الشمس ولأمر ما يحتم العرب على هذا المصدر بأكثر من أوروبا ، وأمريكا واذا كان العرب حتى الآن لم يحسنوا الاستفادة من الثروة والطاقة التى وضعها الله بين أيديهم ، فهم فى الطريق الى ذلك ، وهم يتحولون - وان كان ببطء - بعد ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ الى قوة عاملة منتجة مؤثرة ، وقبل أن نرسم الصورة لما يجب أن تكون عليه صورة المستقبل ، يتعين علينا أن نقف قليلا أمام ٦ أكتوبر لندرك مغزاه ، وكيف أنه علامة على الطريق •

٦ أكتوبر أو العاشر من رمضان :

فارق بين أى نقيضين هو سر من أسرار الطبيعة احتفظ الله بعلمه ، حيث يتحول الضد بعد أن يتكامل ويصل الى أوجه ، الى الضد المقابل ؟ فالضد يتحول الى جزر والعكس بالعكس وهكذا وستظل معركة العبور فى العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ٦ أكتوبر ١٩٧٣م تاريخا مجيدا للعرب الى أبد الآبدين ، حيث تحول جزر - مؤقت - الى مد عظيم •

فقد كان المد العربى قد توقف بعد ٥ يونيو عام ١٩٦٧ م حيث هزمت مصر هزيمة نكراء وجرت معها فى هزيمتها الأمة العربية كلها ، وكان أخطر ما فى الكارثة هو اهتزاز ثقة العرب بأنفسهم ، ثم كانت معركة عبور الجيش المصرى لقناة السويس فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ رغم ما قيل عن استحالة ذلك ، والقول بأنه حتى لو حدث ذلك فسوف يفنى الجيش المصرى عن بكرة أبيه فضلا عن أن ذراع اسرائيل الطويلة - سلاح الطيران - سوف يدك مصر دكا ومن هنا فلم أتردد بمجرد انقضاء يومين أو ثلاثة على وصف ما حدث أنه أشبه بمعركة حطين أو عين جالوت، حيث ترمز كل منهما لانتهاء فصل أسود ، وبدأ فصل أبيض ، وجاء

العرب - كل العرب - من امارات الخليج،حتى المغرب العربى:ليؤكدوا تضامنهم وليكشفوا عن قوتهم عندما يتحدثون ، وأنه يصبح بقدرتهم أن يؤثروا على مصير العالم وعلى الدول العظمى ، والتى كانت عظمى ، فى الدرجة الأولى والحديث عن البترول مشهور ومعروف ، ولكن الأمر الذى اكتشفه العالم فجأة هو سيطرة العرب على أعظم بحرين فى الدنيا ، البحر الأبيض، والأحمر ،من حيث قدرتهما على سد المنافذ اليهما فى باب المندب من ناحية ، وجبل طارق من الناحية الأخرى ، وكم أسعدنى-أنا شخصيا- أن يصرح الملك الحسن أنه كان على استعداد لقفل جبل طارق ، وهكذا خرج العرب قوة يحسب حسابها واذا كانت الخلافات المحلية قد عادت للظهور فذلك أمر طبيعى بل وعادى فالخلاف حتى فى داخل الأسرة الواحدة لا ينقطع ، والولايات المتحدة احتاجت بعد استقلالها الى حرب ضروس ليتوحد الشمال مع الجنوب ، فاختلاف المصالح وتصارعها أحد سنن الحياة ، والمهم أنه بالنسبة للقرارات المصرية فقد اتحد العرب وسوف يتحدون .

وفى كلمة : ان صورة العرب والمسلمين اليوم هى غير صورتهم من نصف قرن ، وقبل أن أنتقل الى القسم الثالث من حديثى وهو كيف يجب أن يكونوا ، أريد أن أصور منتهى ما وصلت اليه أوربا الغربية وأمريكا لأنه على ضوء هذه الصورة ، سوف يتحدد الدور الذى يتعين عليهم أن يضطلعوا به .

حطام امبراطوريات وافلاس حضارة:

لست أحسب أن التاريخ شهد مثيلا لهذا الذى يجرى فى انجلترا حيث كانت امبراطورية لا تغيب عنها الشمس منذ خمسين عاما فقط ، وهى اليوم لا تكاد تحسب فى عداد دول الدرجة الثانية حتى تهبط الى الثالثة فالرابعة الى ما دون ذلك ، واذا كانت انجلترا قد فقدت قوتها السياسية منذ عشرين سنة ، فهى لا تستبقى ظل قوتها الاقتصادية الا بالخروج على أغلى ما تعتز به الانسانية وهى القاعدة التى تقول « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » .

فقد تنازلت انجلترا عن كل شرفها وكرامتها فى مقابل أن تأكل ، فراحت تعلن عن نفسها على أوسع نطـاق تدعو شيوخ العرب لزيارتها واعدة اياهم بأن تقدم لهم الخدمات الخاصة التى ترفـه عنهم وتحقق شهواتهم ابتداء من لعب القمار حتى...الخ.

وكدت لا أصـدق نفسى ، وأنا أطالع هذا الاعلان فى مجلة عربية ، لولا أنه كان حقيقـة صارخة أمام ناظرى تملأ صفحتين كاملتين غاصتين بالصور التى تخدش الحياء .

وآخر ما سمعناه عن انجلترا : أن الجنيه الاسترلينى قـد هوى نهائيا وأصبح آخـر ما يبقيه هـو ودائع العـرب فى بنـوك انجلترا وهـم ساحبوها ان عاجلا أو آجلا وعندها فلن تزيد انجلترا عن برتغال أخرى.

وليست انجلترا الا نموذجا لهذه الامبراطورية التى تحطمت ولم تعد شيئا وليس يبقيها الا بقية صناعتها ، ولا تكاد هـذه الصناعات تقوم ، وسـوف تقوم فى العـالم العربى والاسـلامى ، حتى لا يبـقى من امبراطـوريات الأمس الا دولا متخلفة .

الولايات المتحدة وروسيا :

هنا ، ويتصور الكثيرون أن دولة أوربا الغربية وقد دالت ، فذلك لأن الولايات المتحـدة من ناحيـة ، والاتحاد السـوفيتى من الناحيـة الأخرى ، قـد ورثتاها وهـذا هـو مكمن الخطـأ فالعلة التى أوصلت أوربا الغربية الى ما وصلت اليه ، هى بذاتها التى تفرى فريا فى كيان الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى وهى الكفر بالمعنويات ، ابتداء من الـدين والايمـان بالله والغيبيـات ، وانتهاء بالشرف والكرامة والوطنية ، فقـد وصـلت الولايات المتحـدة الأمريكية الى ما وصلت اليه فى ظل هذه المعانى ، فأما وقد تخلت عنهـا وأصبحت المـادة معبودها ، فقـد أصبح لا مناص من أن تنتهى الى ما انتهت اليه أوروبا الغربية ، وقـد رأينا الخطوات الأولى لهذا المصير الذى ينتظر الولايات المتحدة ، فهى التى استطاعت أن تفرض أرادتهـا الكاملة على اليابان ، اذ لم تستطع أن

تفرض غير نصف ارادة فى كوريا،ثم فقدت ارادتها بالكامل فى فيتنام والبقية تأتى ، أما الاتحاد السوفيتى الذى تصور أنه سيخلق دنيا جديدة على أنقاض الدنيا القديمة ، وبدون أن نخوض فى تفاصيل ، نكتفى بالاشارة الى واقعتين :

الأولى : خلافه مع الصين مثبتا بذلك أنه لا يستطيع السير مع أمة أكثر عراقة منه .

الثانية : أنه بعد نصف قرن ، يستجدى الحصول على طعامه من القمح من أعدائه الرأسماليين ، وغنى عن البيان أن هذا الاجراء يساوى اعلان الافلاس من كل مبدأ وكرامة ولكن ذلك كله يهون أمام لقمة العيش .

لايجب ان يعشو الابصار :التقدم الآلى :

بقى أن العالم الاسلامى المبهور أمام ما أحرزه الغرب من امكانيات فى عالم التسلح الآلى وصناعة الآلات لكل ضروب الانتاج ، وما انتهى اليه من صنع الأقمار الصناعية ووصول الانسان الى القمر .

ويجب أن يدرك العالم الاسلامى أنه مطالب حيال هذا التطور الآلى بأمرين :

الأول : أنه مأمور بنص القرآن أن يحصن نفسه بكل أسباب القوة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فنحن مأمورون . أمرا بنقل واقتباس واختراع وصناعة كل ما من شأنه أن يجعلنا أقوياء ماديا .

ويبقى لنا بعد ذلك تفوقنا المعنوى ان من مات دفاعا عن الحق فقد مات شهيدا تنتظره حياة باهرة .

الثانى : الأمر الثانى الذى يجب أن يحكم تصرفاتنا ، هو الادراك بأن ما حققه الغرب فقد حققه فى ظل تمسكه بالقيم الروحية والخلقية التى تدين بها فلما أن تخلى عن هذه القيم وأصبحت الحياة تتلخص عند الجيل الجديد :

فى الأكل والجنس والعربدة ، فسوف يتوقف الغرب ثم يتدهور .

(للبحث بقية)

احمد حسين

الحرب الاجماعية في الاسلام

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

الحرب الاجماعية ، أو الحرب الاعتصابية ، أو الحرب الشاملة ، مصطلحات عسكرية معروفة ، تدل على معنى عسكرى واحد .

ومعنى الحرب الاجماعية هو : حشد الطاقات المادية والطاقات المعنوية كافة للأمة ، لا للجيش وحده ، أو القوات العسكرية النظامية وحدها ، من أجل المجهود الحربى .

وهذا يعنى ، أن الطاقات المادية كلها : بشرية وطبيعية ، وسلاحا وعتادا ، ومعامل ومصانع ، ومزارع وحقولا ، ووسائل نقل وآليات ، ومستشفيات وأطباء ، وأدوية وعقارات وألبسة وتجهيزات ، ومخازن ومستودعات ، وغيرها من الطاقات المادية الأخرى التى تفيد المجهود الحربى ، تحشد كلها لاحراز النصر

وهذا يعنى أيضا ، أن الطاقات المعنوية كلها : التوجيه المعنوى ، خطباء المساجد ، أساتذة ومدرسين أجهزة اعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية ، حربا نفسية ، مكافحة للتجسس ، قضايا الترفيه ، وغيرها من الطاقات المعنوية الأخرى التى تؤثر فى المجهود الحربى ، تحشد كلها لاحراز النصر .

وقد كانت القوات المسلحة النظامية مسئولة وحدها عن احراز النصر ، فأصبح كل قادر على حمل السلاح مسئولا عن هذا النصر .

وكانت أموال الدولة ومصانعها الحربية مسئولة عن تمويل الجيش النظامى وتسليحه وتجهيزه ، فأصبحت فى الحرب الاجماعية كل أموال الأمة أفرادا وجماعات ، وكل مصانع البلاد الحكومية والخاصة ،

مسئولة عن تمويل المقاتلين وتسليحهم وتجهيزهم •

حين صدر كتاب : الأمة فى الحرب الذى ألفه المشير لودندروف رئيس هيئة أركان حرب المشير فون هندنبرغ أعظم قادة ألمانيا القيصرية فى الحرب العالمية الأولى ، وأصدره بعد الحرب العالمية الأولى ، ظن الناس أن لودندروف هو أول من وضع أسس الحرب الاجماعية فى التاريخ العسكرى ، وسرى هذا الاعتقاد فى الشرق والغرب كقضية مسلمة بها ، وكان من الذين آمنوا بذلك قادة الجيوش العربية والاسلامية فى بلاد العرب وديار الاسلام ، فدرسوا هذا الكتاب القيم حقا ودرسوه فى الكليات العسكرية وكليات الأركان والقيادة ، وكليات الدراسات العسكرية العليا •

المهم : أن الحرب الاجماعية لم تطبق الا خلال الحرب العالمية الثانية تطبيقا كاملا كما جرى فى بعض دول الحلفاء كبريطانيا والاتحاد السوفياتى ، وفى بعض دول المحور كألمانيا الهتلرية ، كما طبقت هذه الحرب تطبيقا جزئيا فى ايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية •

أما قبل الحرب العالمية الثانية ، فلم تطبق هذه الحرب فى أية دولة من دول العالم •

― ٢ ―

ان الاعتقاد السائد بين مفكرى العالم المعنيين بالدراسات العسكرية مدنيين وعسكريين ، بأن المشير لوندروف هو الذى وضع أسس الحرب الاجماعية ، لا يمت الى الحقيقة بصلة ، وهو محض افتراء •

كما أن الفكرة السائدة ، بأن ألمانيا وبريطانيا والاتحاد السوفياتى هى التى طبقت الحرب الاجماعية تطبيقا كاملا فى خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ، خطأ فاحش لاصلة له بالواقع ولا يمت الى الحقيقة بشىء •

ان الاسلام هو الذى وضع أسس الحرب الاجماعية بنص القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد طبق المسلمون الحرب الاجماعية قبل أربعة عشر قرنا فى أيام الرسول القائد عليه أفضل

الصلاة والسلام ، وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم بعد التحاق النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى سنة احدى عشرة الهجرية الى أن توقف مد هذا الفتح سنة أربع وتسعين الهجرية .

قال تعالى فى كتابه العزيز : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وهذه الآية الكريمة من سورة التوبة وغيرها من الآيات ، تقرر أسس الحرب الاجماعية بأحكام وايجاز .

ذكر المفسرون فى معنى : خفافا وثقالا : الشباب وهم خفاف ، والشيوخ وهم ثقال .

والركبان وهم خفاف ، والمشاة وهم ثقال .

والفقراء وهم خفاف ، والأغنياء وهم ثقال .

والأصحاء وهم خفاف ، والمرضى وهم ثقال .

وغير المعيلين وهم خفاف ، والمعيلون وهم ثقال .

فمن يبقى من الأمة ، اذا شهد الحرب الشباب والشيوخ ، والركبان والمشاة ، والفقراء والأغنياء ، والأصحاء والمرضى ، والمعيلون وغير المعيلين ؟

ومعنى ذلك : أن التفسير العام للجهاد الاسلامى ، وهو ما يطلق عليه الفقهاء : فرض عين ، يشمل جميع القادرين على حمل السلاح من المسلمين ، ولا يتخلف مسلم عن الجهاد الا اذا سلك سبيل غير المؤمنين ، حيث ينبذه المجتمع الاسلامى ، وينظر اليه نظرة الاحتقار والازدراء .

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) ، ايضاح لما سبق من الآية الكريمة : (انفروا خفافا وثقالا) ، فكل قادر على حمل السلاح يجاهد بنفسه ، وكل قادر على الجهاد بالمال يجاهد بماله ، وكل قادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معا .

وهذا هو حشد الطاقات المادية والمعنوية كلها للمجهود الحربى .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة فى الجهاد بالأموال والأنفس ، وفى كل آية تسبق كلمة (الأموال) كلمة (الأنفس) لأن المال عصب الحرب ، وبالامكان الاستفادة منه تموينا وسلاحا وتجهيزا وعتادا وتنقلا هذا فى الحرب ، واعدادا للجيش واعالة لعوائل المجاهدين والشهداء فى السلام .

أما الأحاديث التى وردت فى الحث على الجهاد فكثيرة جدا :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » ، والجهاد باللسان هو الحرب الدعائية أو الحرب الاعلامية .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » حثا على اعداد الخيل للجهاد ، وهو جزء من اعداد القوة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، ومنبله ... وارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الى من أن تركبوا ، ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها ، أو قال : كفرها » ، حثا على التسليح والتدريب واستمرار التدريب .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يغز ولم يجهز غازيا ، أو يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » ، حث على الجهاد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبه من النفاق »، حثا على الجهاد فى سبيل الله .

— ٣ —

لقد شهد القتال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم شباب صغار السن ، وكبار شيوخ ، وأصحاب عاهات مستدامة كالعرج وضعف

البصر ، ولا أعلم مسلما تخلف عن الجهاد الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، غير الثلاثة الذين خلفوا عن (غزوة تبوك) فقاطعهم المسلمون وهجرهم أهلهم حتى زوجاتهم ، فلما تابوا تاب الله عليهم بعد أن تحملوا الأهوال من مقاطعة المسلمين وذوى القربى لهم •

وقصة تخلف هؤلاء الثلاثة نزل فيها قرآن : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم •••) الآية •

وقد شهد المسلمون معارك الفتح الاسلامى العظيم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، واستشهد كثير منهم ، يضيق عنهم الحصر ، وفى معركة اليمامة التى قاد المسلمين فيها خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقاد فيها المرتدين مسيلمة الكذاب ، استشهد من القراء - وهم علماء الصحابة - ثلاثمائة فى رواية ، وخمسمائة فى راوية أخرى •

وحين سأل قائد من الروم وقع فى الأسر خالد بن الوليد رضى الله عنه فى معركة (اليرموك) الحاسمة عن سر انتصار المسلمين انتصارا كاسحا فى كل معركة خاضوها ؟ فقال خالد : « ليس فى أصحابى رجل الا ويتمنى أن يموت قبل صاحبه، وليس فى أصحابك رجل الا ويتمنى أن يموت صاحبه قبله » •

حتى النساء قاتلن فى صفوف المسلمين فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم كما فعلت نسيبة أم عمارة المازنية فى (غزوة أحد) حتى خلصت الجراح اليها فسقطت فاقدة الوعى ، وكما فعلت خولة بنت الأزور فى معارك الفتح الاسلامى العظيم ، وقد ركبت ابنة ملحان زوجة عبادة بن الصامت البحر (انظر باب : غزو المرأة فى البحر الوارد فى صحيح البخارى) ، وفى صحيح البخارى : باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ، و : باب حمل النساء القرب الى الناس فى الغزو ، و : باب مداواة النساء الجرحى فى

الغزو ، و : باب رد النساء الجرحى والقتلى .

وقد كان أغنياء المسلمين ، لا يكتفون بالجهاد بأنفسهم ، بل يجهزون المجاهدين أفرادا وجماعات، ويخلفون المجاهدين فى ذويهم وينفقون عليهم بسخاء ويواسونهم ، رعاية ، وحنوا ، ووفاء .

جهز عثمان بن عفان رضى الله عنه جيشا كاملا هو جيش العسرة الذى زحف الى (تبوك) بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم .

وأنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فى سبيل الله ، فمات متخللا بعباءته .

وحين سار المسلمون لفتح الشام، خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه يودع المجاهدين ، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة ، فانتهى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فاذا بخباء عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه ، فسلم عليه وجزاه خيرا وعرض عليه المعونة ، فقال عكرمة : « لا حاجة لى فيها ، معى آلفا دينار » ، فدعا له أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

* * *

تلك هى الحرب الاجماعية التى طبقها المسلمون فى الصدر الأول للاسلام ، فوحد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خلال عشر سنوات لأول مرة فى التاريخ : شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام .

وامتد الفتح الاسلامى العظيم بعد النبى صلى الله عليه وسلم خلال ثمانين سنة ، من سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، الى الصين شرقا ، الى قلب فرنسا غربا .

فلا تعجب من سرعة توحيد شبه الجزيرة العربية وسرعة الفتح ومن سر الفتوح والتوحيد ! ؟

السر فى كل ذلك : الايمان العميق الذى جعلهم ينفرون خفافا وثقالا ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .

ولكن الحرب الاجماعية فى الاسلام حرب دفاعية ، هدفها حماية

حرية نشر الدعوة الاسلامية ، واقرار السلام .

وهذه الحماية واقرار السلام ، بحاجة الى قوة ، اذ لا يحترم أحد الضعفاء .

— ٤ —

ان تعداد العرب اليوم مائة وعشرون مليونا من البشر .

وقاعدة النفير تنص على أن عشرة بالمائة من تعداد السكان ، قادرون على حمل السلاح .

وقد استطاع العدو الصهيونى فى حرب ١٩٦٧ تجاوز هذه النسبة ، فحشد أحد عشر بالمائة فى ميدان القتال ، بينما حشد العرب ثلاثة بالألف من المقاتلين فى تلك الحرب!

أما المسلمون بحربهم الاجماعية ، فقد حشدوا أربعين بالمائة من المجاهدين فى ميدان الجهاد ، وهذه النسبة عالية لا يرقى اليها طموح غير المسلمين حتى فى القرن العشرين الميلادى .

وتعداد المسلمين اليوم بلغ ستمائة مليون نسمة .

ومعنى ذلك : أن العرب يستطيعون حشد اثنى عشر مليون مقاتل ، والمسلمين يستطيعون حشد ستين مليونا من المقاتلين .

فأين يكون العدو الصهيونى ، لو صدق العرب والمسلمون ماعاهدوا الله عليه ؟ !

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يغلب جيش من اثنى عشر ألف من قلة » وطبعا لابد من أن يكون هذا الجيش من المؤمنين الصادقين ، والمجاهدين الصابرين .

ان اثنى عشر ألفا بالنسبة لتعداد العرب واحد من كل عشرة آلاف ، وبالنسبة لتعداد المسلمين واحد من كل خمسين ألفا !!!

ألا يستطيع العرب والمسلمون اليوم أن يهيئوا هذا العدد من المجاهدين ؟ ! واخجلاه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ووا أسفاه على العرب والمسلمين ! ؟

* * *

ان المسلمين حين تركوا الجهاد ذلوا وتداعت عليهم الأمم .

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... واذا تركتم الجهاد ،

سلط الله عليكم ذلا ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام •

ولن يعود المسلمون الى سالف عزهم ومجدهم ، ما لم يتحملوا فريضة الجهاد بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء •

لذلك قال الله تعالى فى نهاية الآية الكريمة : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)، والخير الذى بشر به سبحانه وتعالى هو : احراز النصر •



ولكن ، شتان بين الحرب الاجماعية فى الاسلام ، والحرب الاجماعية فى الأمم الأخرى •

الحرب الاجماعية فى الاسلام دفاعية لا عدوانية ، هدفها حماية حرية نشر الدعوة أولا ، وتوطيد أركان السلام ثانيا ، كما ذكرنا من قبل •

والحرب الاجماعية فى الأمم الأخرى هجومية عدوانية ، تهدف الى الاستغلال والاستعباد والسيطرة على الموارد الاقتصادية والخامات •

والحرب الاجماعية فى الاسلام حرب عادلة ، بينما هى فى الأمم الأخرى - على الغالب - غير عادلة •

وصدق غوستاف لوبون : « لم يعرف العالم فاتحا أرحم من العرب» •

ان العرب والمسلمين بالجهاد ، قادوا العالم سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، قرونا طويلة •

والعرب والمسلمون بدون جهاد ، غثاء كغثاء السيل : مظهر بلا مخبر ، وأعداد ضخمة بدون فائدة ، وذل واستكانة ، وهوان وعبودية ، وتخلف عن ركب الحضارة العالمية ، المؤيدة بالقوة ، المدعمة بالسلاح •

فمتى يسترخص العرب والمسلمون أنفسهم وأموالهم لاعلاء كلمة الله ؟ وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) •

محمود شيت خطاب

أضواء على سيرة الإمام الماوردى ومؤلفاته وعصره

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمى

— ٣ —

١ — معاصرو الامام الماوردى فى المشرق :

مع ما يتسم به عصر الماوردى من اضطراب الأمن واحتدام المنازعات بين الفرق المتصارعة وتضاؤل نفوذ الخلفاء فقد ازدان هذا العصر بمن نبغ فيه من أعلام العلماء فى مجالات الفكر والعلوم الاسلامية ممن تزخر بسيرهم العطرة معجمات التراجم وكتب الطبقات . ولا ندرى عما اذا كانت هناك علاقة بين اقتران ذلك الازدهار الثقافى بالتدهور السياسى . اذ أن ظاهرة العصور الذهبية لثقافة من الثقافات ليست مما يمكن تعليله فى كثير من الأحيان .

ونذكر من هؤلاء الأعلام فى الفلسفة والعلوم : ابن سينا ، وابن مسكويه، والبيرونى . ومن المتكلمين : القاضى الباقلانى ، والقاضى عبد الجبار . ويهمنا بصفة خاصة من هؤلاء المتكلمين : عبد القاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ الذى عالج موضوع الامامة من وجهة نظر أهل السنة فى كتابيه : أصول الدين والفرق بين الفرق ، مثلما صنع الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية . غير أن البغدادى فى موضوع تعدد الأئمة أجازه اذا كان هناك بينهما فاصل جغرافى . وهذا مما لم يقره الماوردى . ولفظ البغدادى فى هذا الصدد كما فى ص ٢٧٤ من كتابه أصول الدين :

« اختلف الموجبون للامامة فى عدد الأئمة فى كل وقت . فقال أصحابنا :لا يجوز أن يكون فى الوقت الواحد امامان واجبى الطاعة وانما تنعقد امامة واحد فى الوقت ويكون الباقون تحت رايته . وان خرجوا

عليه من غير سبب يوجب عزله فهم بغاة ، الا أن يكون بين البلدين بحر مانع من وصــول نصرة أهـل كل واحد منهمــا الى الآخرين فيجــوز حينئذ لأهل كل واحد منهما عقــد الامامة لواحد من أهل ناحيته » .

وقــد علق على ذلــك المستشرق ابروين روزنتال Erwin I.J. Rosenthal فى ص ٣٢ : ٣٣ من كتابه : الفكر السياسى فى الاسلام فى العصر الوســيط (كمبردج سنة ١٩٥٨ م) قائلا : « ان المــاوردى يعارض الأشعرى فى هــذا التعدد ولا يعتــرف الا بالخليفــة العبــاسى فى بغــداد منكرا خلافة الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر . ومع انكار البغدادى لذلك فانه مع ذلك يبيح فى النهاية هذا التعدد اذا كانت هناك بين الأئمة شقة فاصلة . فهو يقر هــذا التعــدد على اعتبار أنه حقيقة واقعة » .

ولنمضى: فى ذكر عدد من معاصرى المــاوردى من الفقهــاء لنخلص الى نتائج مهمة نذكرها فيما بعد : ونبدأ بأبى حامد الاسفراينى أحد شيوخ المــاوردى ، وهو من فقهاء الشــافعية له فى المذهب التعليقــات الكبرى ولد فى عام ٤٠٦هـ . ومن هؤلاء الأعلام: أبو بكر القفــال المروزى شــارح فــروع أبى بكر الحــداد المصرى والمتوفى عام ٤١٧ هـ . وأبواســحاق الاسفراينى الفقيه الشــافعى المتكلم الأصــولى المتــوفى عام ٤١٨ هـ له الجامع فى أصول الدين ، والرد على الملحدين . أخــذ عنــه القــاضى أبو الطيب الطبرى أصــول الفقه . وبنيت لــه المدرســـة المشــهورة بنيســابور . والمدرســة هنا يقصد بها ما يسمى فى عصرنا بالكلية الجامعية لأن مستواها هو مستوى الدراسات العــالية وبهــذا المعنى يترجمهــا المستشرقون . وكانت المــدارس فى هذا العصر تبنى للعالم الذى طبقت شــهرته الآفاق . هــذا وقــد ذكر عبــد الغــافر الفارسى : أبا اســحاق الاســفراينى فى كتــابه سياق تاريخ نيسابور وقال فى حقه : أحــد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره فى العلوم واستجماعه شرائط الامامة .

واختلف الى مجلسه أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة وأكثر الحافظ أبو بكر البيهقى الراوية عنه فى تصانيفه .

ومن معاصرى الماوردى أحمد ابن محمد القدورى المتوفى عام ٤٢٨ هـ . صنف فى المذهب الحنفى المختصر المشهور . وكان يناظر أبا حامد الاسفراينى الفقيه الشافعى. والحسين بن على الصيمرى المتوفى عام ٤٣٦ هـ من كبار فقهاء الأحناف له كتاب ضخم فى أخبار أبى حنيفة وأخذ عنه قاضى القضاة الدامغانى . وأبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى المتوفى من مائة واثنتين من السنين فى عام ٤٥٠ هـ الذى توفى فيه الماوردى . حضر مجلس أبى حامد الاسفراينى . وعليه اشتغل أبو اسحاق الشيرازى الذى قال فى حقه : لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهادا وأشد تحقيقا وأجود نظرا منه . شرح مختصر المزنى وفروع أبى بكر الحداد المصرى وصنف كثيرا من الكتب فى الأصول والمذهب والخلاف والجدل .

وممن توفوا بعد الماوردى ويعدون ــ مع ذلك ــ من معاصريه : أبوبكر البيهقى الفقيه الشافعى الحافظ المتوفى عام ٤٥٨ هـ . غلب عليه الحديث وهو أول من جمع نصوص الشافعى فى عشرة مجلدات ، من مصنفاته أيضا : السنن الكبير والسنن الصغير ودلائل النبوة وشعب الايمان . وكان أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعى ــ وقال امام الحرمين الجوينى فى حقه : ما من شافعى المذهب الا وللشافعى عليه منة الا البيهقى فان له على الشافعى منة .

ويتضح من تراجم هؤلاء الأعلام أن المذهب الشافعى كان له مكان الصدارة فى مشرق العالم الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى وانتقلت هذه الصدارة للمذهب الى مصر والشام والحجاز بعد سقوط الدولة الفاطمية بما أنشأه صلاح الدين من مدارس الشافعية فى مصر (خطط المقريزى جـ ٤ ص ١٦١) . وبلغ من اعتزاز الجلال السيوطى بالمذهب الشافعى فى كتابه حسن المحاضرة (جـ ٢ ص ١١١ : ١١٢) قوله عن

التاج السبكى :« قال أهل التجربة ان هذه الأقاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعى زالت دولته سريعا • وأضاف التاج السبكى قول والده أنه « سمع الشيخ صدر الدين ابن المرحل يقول ما جلس على كرسى مصر غير الشافعى الا وقتل سريعا • قال وهذا الأمر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعى الا قطز (أى السلطان قطز) كان حنفيا ومكث يسيرا وقتل » •

ومن معاصرى الماوردى : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى عام ٤٦٥ هـ وهو العلامة فى الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والتصوف ، جمع بين الشريعة والحقيقة • حضر على الدقاق ودرس الفقه ، واختلف الى أبى بكر بن فورك ودرس عليه الأصول ، ثم تردد الى أبى اسحاق الاسفراينى والباقلانى ، وصنف التفسير الكبير والرسالة فى رجال الطريقة • وكان اماما فى مجالس الوعظ والتذكير ، ذكره الباخرزى فى دمية القصر وقال فى حقه : « لو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ربط ابليس فى مجلسه لتاب » •

ومن طريف ما جاء فى سيرة القشيرى : أنه كانت له فى الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء •

ونذكر من متأخرى معاصرى الماوردى : أبا اسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى عام ٤٧٦ هـ صحب أبا الطيب الطبرى وناب عنه فى مجلسه ، ورتبه معيدا فى حلقته • ثم صار مرجع الطلاب فى الشريعة ومفتى الأمة فى عصره واشتهر بقوة الحجة فى الجدل والمناظرة • وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فى بغداد • ومن مؤلفاته التنبيه والمهذب فى الفقه ، والتبصرة فى أصول الدين ، وطبقات الفقهاء ، واللامع والملخص والمعونة فى الجدل •

وأبو نصر الصباغ الفقيه الشافعى المتوفى عام ٤٧٧ هـ له الشامل فى الفقه الذى يعد من أصح الكتب نقلا وأثبتها أدلة كما أن له العدة فى

أصول الفقه . هـذا وكان الصباغ يضاهى أبا اسحاق الشيرازى وتقدم عليه فى معرفة المذهب وكانت الرحلة اليه من البلاد المختلفة .

ونختم هؤلاء بامام الحرمين أبى المعالى الجوينى المتوفى عام ٤٧٨هـ. ويعد أعلم المتأخرين من أصحاب الامام الشافعى . وهو المجمع على امامته المتفق على غزارة مادته وتفننه فى العلوم من الأصول والفروع . جاور بمكة أربع سنين ثم عاد الى نيسابور فى أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقى . وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور . من تصانيفه الشامل فى أصول الدين ، والبرهان فى أصول الفقه ، وتلخيص التقريب ، والارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأمم فى الامامة ، وغنية المسترشدين فى الخلاف .

هذا وقد تجنى امام الحرمين فى كتابه غياث الأمم على الامام الماوردى . جاء فى كتاب طبقات الشافعية بقلم عبدالرحيم بن الحسن الاسنوى (جـ ٢ ص ٣٨٨) : قول الاسنوى فى ترجمة الماوردى : ان امام الحرمين لم ينصف الماوردى اذ قال فى تصنيفه المسمى غياث الأمم (لامام الحرمين) ان الماوردى يقول فى كتابه الأحكام السلطانية انه يجوز أن يكون الذمى وزيرا . وأضاف امام الحرمين : ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدى للتصنيف والفتوى ؟

وعلق الاسنوى على ذلك قائلا : والذى جوزه الماوردى انما هو وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض .

وفى ص ٢٢ من الأحكام السلطانية بيان شاف يدل على أن امام الحرمين لم يكن دقيقا فى نقده فقد قال الماوردى : « ويجوز أن يكون هذا الوزير (أى وزير التنفيذ) من أهل الذمة ، وان لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم . ويكون الفرق بين هاتين الوزارتين بحسب الفرق بينهما فى النظرين . وذلك من أربعة أوجه : أحدها : أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى

المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ والثانى : أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة وليس ذلك لوزير التنفيذ . والثالث : أنه يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ . والرابع : أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال ... وليس ذلك لوزير التنفيذ . وليس فيما عدا هذه الأربعة ما يمنع أهل الذمة منها الا أن يستطيلوا فيكونوا ممنوعين من الاستطالة » .

وذكر الماوردى أيضا هذا التقسيم بين اختصاصات كل من وزير التفويض ووزير التنفيذ فى رسالته التى أسماها : قوانين الوزارة وسياسة الملك (ص ١٠ من طبعة القاهرة سنة ١٩٢٩ م) .

٢ ـ حرية الفكر فى المشرق فى القرن الخامس الهجرى :

ان نبوغ هذه الجمهرة من أعلام العلماء والفقهاء ليدل على وجود قدر من حرية الفكر يتيح لهؤلاء الانصراف الى دراساتهم ومتابعة نشاطهم العلمى ـ وتميز عدد غير قليل من الفقهاء وفى مقدمتهم الماوردى بالاجتهاد فى استنباط الأحكام الشرعية. بل ذهب الماوردى فى كتابه أدب القاضى (ج ١ ص ٦٤٤ ، ٦٤٥) الى أنه يجوز للقاضى أن يحكم بغير مذهبه وعبارته : « وان اعتزى (القاضى) الى مذهب من مذاهب أئمة الوقت كمن أخذ بمذهب الشافعى أو بمذهب أبى حنيفة لم يجز أن يقلد صاحب مذهبه وأن يعمل على رأيه واجتهاد نفسه وان خالف مذهب من اعتزى اليه فان كان من أصحاب الشافعى وأداه اجتهاده الى العمل فيها بقول أبى حنيفة أو كان من أصحاب أبى حبيفة وأداه اجتهاده فيها الى العمل بمذهب الشافعى جاز » .

وهذا الاجتهاد وان بدا محدود الى حد ما فانه يدل على أن باب الاجتهاد كان لا يزال مفتوحا على الأقل فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى .

وحرية الفكر هذه التى كان من رعاتها الأمراء البويهيون صحبها ـ بطبيعة الحال ـ احتدام المنازعات المذهبية والاعتقادية وتراشق الاتهامات بالزيغ والمروق وما أدى

اليه ذلك من الفتن والاضطرابات التى عنى بتفصيل أخبارها المؤرخون وكتاب السير .

ومنها ما أدى الى اضطهاد بعض الفقهاء بل والى قتلهم .

ذكر ابن الأثير فى الكامل (جـ ٩ ص ٧٧) أنه فى سنة ٣٩٨هـ « وقعت الفتنة ببغداد وكان أولها أن بعض الهاشمين أتى ابن المعلم فقيه الشيعة فى مسجده بالكرخ فآذاه ونال منه . فثار به أصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا ، وقصدوا أبا حامد الاسفراينى ، وابن الأكفانى ، فسبوهما ، وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم ، فهربوا ، وعظمت الفتنة ، ثم ان السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا وعاد أبوحامد الاسفراينى الى مسجده ، وأخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه على بن مزبد فأعيد » .

هذه حادثة يسيرة سلم فيها أبوحامد الاسفراينى ولكن ما حدث للفقيه الأشعرى أبى بكر بن فورك يكشف عما وصل اليه التعصب بين الفرق المختلفة . وكان ابن فورك شيخا للقشيرى وبلغ من تقواه كما جاء فى ترجمة التاج السبكى له (الطبقات جـ ٣ ص ٥٢ - ٥٥ » « أنه ما نام فى بيت فيه مصحف قط . واذا أراد النوم انتقل عن المكان الذى فيه اعظاما لكتاب الله عز وجل . ويضيف السبكى : أنه « كان شديدا فى الله قائما فى نصرة الدين ، ومن ذلك أنه فوق نحو المشبهة الكرامية سهاما لا قبل لهم بها . فتحزبوا عليه ونموا غير مرة وهو ينتصر عليهم . وآخر الأمر أنهم أنهوا الى السلطان محمود الغزنوى ان الذى يؤلب علينا عندك أعظم منا بدعة وكفرا ، وذلك أنه يعتقد أن نبينا محمدا المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم وأن رسالته انقطعت بموته ، فسله عن ذلك ؟

« فعظم على السلطان هذا الأمر وقال : ان صح هذا منه لأقتلنه . وأمر بطلبه . ولما حضر بين يديه وسأله عن ذلك كذب الناقل وقال : ما هو معتقد الأشاعرة على الاطلاق وهو أن نبينا صلى الله عليه وسلم حى

فى قبره رسول الله أبد الآباد على الحقيقة لاالمجاز ، وأنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، ولم تبرح نبوته باقية ولا تزال . وعند ذلك وضح للسلطان الأمر وأمر باعزازه واكرامه ورجوعه الى وطنه ، فلما أيست الكرامية وعلمت أن ما وشت لم يتم وأن حيلها ومكائدها قد وهت ، عدلت الى السعى فى موته والراحة من تعبه فسلطوا عليه من سمه فى الطريق » . وكان ذلك فى سنة ٤٠٦ هـ .

هذه الحادثة تدل على اضطهاد الكرامية المشبهة للأشاعرة . وهذا التعصب من جانبهم انما هو استمرار للنهج الذى سارعليه الخليفة المتوكل العباسى فى اضطهاده للمعتزلة ابتداء من سنة ٢٣٤ هـ . وقد سار السلاجقة فى أوائل عهدهم على سياسة اضطهاد الأشاعرة . ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٥٦ هـ (ج ١٠ ص ١٢) أن عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك كان شديد التعصب على الشافعية ــ ويرجع هذا فى نظرنا الى أن الفقهاء الشافعية كانوا يدينون بعقائد الأشعرية بدليل أن ابن الجوزى فى ترجمته لأحمد بن محمد السمنانى المتوفى فى عام ٤٦٦ هـ وكان من قضاة الأحناف قال : انه كان أشعريا . ثم أضاف بأن « هذا مما يستظرف أن يكون الحنفى أشعريا » . (انظر المنتظم جـ ٨ ص ٢٨٧) ووجه الاستظراف عند ابن الجوزى هو ندرة من يقول بعقيدة الأشعرى فى هذا العصر من فقهاء الأحناف والمالكية دون الحنابلة الذين يعارضونها . هذا ولم يتضح لنا السبب فى اقبال الفقهاء الشافعيين على اعتناق عقيدة الأشعرى دون غيرهم من الأحناف والمالكية فى هذا العصر . وانفراد الشافعيين بذلك كان مما حمل الكندرى على اضطهادهم .

يقول ابن الأثير بعد أن ذكر شدة تعصب الكندرى على الشافعية : انه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن فى ذلك ، فأمر بلعنهم ، وأضاف اليهم الأشعرية . فأنف من ذلك أئمة خراسان ومنهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى

وغيرهما ففارقوا خراسـان وأقام الجوينى بمكـة أربع سنين يدرس ويفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظـامية (أى وزارة نظام الملك الذى وزر للسلطان ألب أرسـلان) أحضر من امتزج منهم وأكرمهم وأحسن اليهم .

وأفاض التاج السبكى فى شرح هذه الفتنة وايراد أخبارها (الطبقات ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧١) ومما قال : « ان هـذا الأمر أدى الى التصريح بلعن أهل السنة فى الجمَع وتوظيف سبهم على المنـابر . فصـار لأبى الحسن الأشعرى أسوة بعلى بن أبى طالب فى زمن بنى أمية » .

٣ ـ الادعاء بأن الماوردى كان معتزليا:

نقل التاج السبكى عن بن الصلاح قوله ان المـاوردى يتهـم بالاعتزال وانه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيـان ما هو الحق .. وانه يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة .. ومضى ابن الصـلاح يقول « ان تفسـيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل..مع أنه تأليف رجل لايتظاهر بالانتسـاب الى المعتزلة بل يجتهد فى كتمـان موافقتهم فيمـا هو لهم فيـه موافق ».غير أن ابن الصلاح أضاف قائلا : «ثم هو ليس معتزليا مطلقا فانه لا يوافقهم فى جميع أصـولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسـيره فى قوله عز وجل : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » (الأنبياء ٢) وغير ذلك ويوافقهم فى القدر وهى البليـة التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما » .

كان الأحرى بالتاج السبكى أن يناقش دعوى ابن الصلاح وأن يتحقق منها بالرجوع الى تفسـير المـاوردى وكتـابه الحاوى وألا يكتفى بايراد كلام ابن الصـلاح . وقد نقله عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال (جـ ٣ ص ١٥٥) حيث قال : على بن محمد أقضى القضاة أبوالحسن المـاوردى صدوق فى نفسـه ولكنه معتزلى.

كما نقلها طاش كبرى زادة فى مفتاح السـعادة (جـ ٢ ص ١٩١) حيث قـال : قال ابن الصـلاح : هـذا المـاوردى عفا الله عنه اتهم بالاعتزال

وممن ردد هـذه الدعوى أيضـا كمـا يقـول الأسـتاذ محيى هـلال السرحان فى مقدمة تحقيقه لكتاب أدب القاضي للماوردى (ص ٣٤) الصلاح الصفدى فى مخطوطة كتابه الوافى بالوفيات وابن قاضى شـهبة فى مخطوطة كتابه طبقات الشافعية.

ويقول الأستاذ السرحان فى تفنيد هذه الدعوى : « ان المـاوردى لم يكن معتزليا بل كان مجتهدا..فربما وافق اجتهادى فى الفروع بعض آراء المعتزلة . يضاف الى ذلك أن كثيرا من علماء الحـديث قد وثقوه وأثنوا عليه قبل أن يولد ابن الصلاح وممن وثقـه تلميـذه الخطيب (فى تاريخ بغـداد) وابن الجوزى فى المنتظم (جـ ٨ ص ٢٠٠) ولو كان كذلك لنَبهوا عليه » .

ومضى الأسـتاذ السرحان يقول : « ثم ان المـاوردى يخالف المعتـزلة فى مسائل : ذكر النووى الذى هذب طبقات ابن الصلاح فقال: ومما وافق المـاوردى فيه أهل السنة ويخالف فيه المعتزلة خلق الجنة وقـال انهـا مخلوقة كما قال أهل السنة .. ومن الأمور التى يخالف فيهـا المعتزلة قوله ان القرآن لا ينسـخ بالسـنة وهو رأى الشـافعى . فى حين أن المعتزلة يذهبون الى نسـخه بالسنة اذا كانت متواترة . وكذلك يخالفهم فى أن الأمر يجوز أن ينسـخ قبـل التمكن من الامتثال فقد حكى فيه ثلاثة أوجـه (انظر الفقـرة ٧٤٤ وما بعدها من كتاب أدب القاضى) فى حين أن المعتزلة لا يقولون بذلك (كما فى المستصفى للغزالى جـ ١ ص ١٢٢) . ومنها قول المـاوردى: انه ما من حكم شرعى الا وهو قابل للنسخ خلافا للمعتزلة . ومنها مخالفته فى مسألة خلق القرآن كما أشـار اليها ابن الصلاح نفسه (فى مخطوطة كتابه طبقات الشافعية) .

« وغير ذلك من المسـائل وهى كثيرة جدا »، بل هى كل المسائل التى يختلف رأى الشـافعى فيها عن رأى المعتزلة سواء أكان ذلك فى قضـايا

التوحيد أم فى الفقه أصوله وفروعه .
ولهذا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان (ج ٤ ص ٢٦٠) : « ولا ينبغى أن يطلق على الماوردى اسم الاعتزال » .

هذا ولا يفوتنا أن ننوه بالجهد الذى بذله الأستاذ محيى هلال السرحان فى تحقيقه لكتاب أدب القاضى للماوردى وتصديره بمقدمة قيمة وتذييله بحواش مفيدة وقد نشر الكتاب فى بغداد فى سنة ١٩٧١م فى جزئين كبيرين يقع الأول فى ٧٤٠ صفحة ، والثانى فى ثمانمائة صفحة تقدم بها المحقق لنيل درجة الماجستير وأشرف على التحقيق المرحوم الأستاذ محمد شفيق العانى، وراجعه فضيلة الشيخ عبد الغنى عبد الخالق . والكتاب عبارة عن جزئين من كتاب الحاوى للماوردى .

وهكذا ظفرت المكتبة العربية بسفرين نفيسين هما خير معين للباحثين فى تاريخ الامام الماوردى وآرائه الفقهية والكلامية ولعله تتاح لنا الفرصة للحديث عن كتاب أدب القاضى وغيره من مؤلفات الماوردى؟

عبد العزيز عبد الحق حلمى

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »
آل عمران ٦٤ .

دراسات قرآنية :

المعصية لا تكفر صاحبها

للأستاذ الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى فى سورة النساء : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا » من الآية ٩٤

وقال سبحانه فى سورة الأنفال : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » الآية ٢٥

البيـــان

قرأت فى صحيفة الأخبار الصادرة فى ٢٤/١١/١٩٧٦ وقائع مثيرة تحدث بها السيد / رفعت أبودلال مدير التدريب العسكرى لجماعة تسمى (جماعة التكفير والهجرة) ومما جاء فيها : أن رئيس هذه الجماعة لا يرى بأسا بقتل من ينشق على جماعته ، وأنه فعلا تعرض لعدة محاولات منه لاغتياله بعد أن انشق على جماعته لأنه رأى حوله أشياء مريبة جعلته يتركها ، ومنها خطف سيدة من زوجها بعد اختلافه مع رئيسها ، كما تعرض سواه الى الضرب بالمطاوى الى غير ذلك من الحوادث ، وذكر أنهم رصدوا مبالغ ضخمة للتدريب العسكرى للدفاع عن جماعتهم .

وكنا قد قرأنا قبل ذلك عن حوادث العنف والتفريق التى يتبعها أفراد هذه الجماعة وعن أفكارهم وأحوالهم العجيبة مما يدل على ضيق أفقهم وسوء فهمهم لروح الدين .

ولست أدرى بأى شرع يعيش أولئك الذين يكفرون غيرهم من المؤمنين ويوجبون الهجرة من بينهم والعزلة عن المجتمع الاسلامى ، وكيف يختار هؤلاء الشباب أن يعيشوا فى الظلمات يتخبطون فى

دياجيرها ، ويدعون العيش فى النور بين اخوانهم المسلمين ، يتناصحون بالمعروف ويقبلون من محسنهم ، ويعفون عن مسيئهم ، ويحسنون توجيهه فى رفق وهوادة ، تأسيا بقوله تعالى لرسوله فى شأن المقصرين فى غزوة أحد : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ١٥٩ من سورة آل عمران .

هكذا كان مسلكه صلى الله عليه وسلم مع أولئك الذين خذلوه ولم يستمعوا نصيحته فى البقاء على ذروة أحد يحمون ظهور المسلمين ، ثم فروا وتخاذلوا وتأثروا بدعاية المنافقين ، بعد أن نصرهم الله فى أول الغزوة حين كانوا حيث أمرهم رسوله ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما آراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ، فلماذا لا يتأسى هؤلاء بمنهج الرسول فى التسامح مع المخالفين ؟

بأى حق يثيرون الفتنة بين المسلمين ، ويعزلون الشباب عن أسرهم ، ويفرقون بين المرء وزوجه — كما كان يفعل السحرة — وبأى عقل تعيش تلك النوعيات من الشباب ، حتى رضوا لأنفسهم العزلة الشنيعة ، والفتنة الهدامة ، فى سبيل أوهام زعموها دينا ، وخزعبلات توهموها شريعة ، وخيالات ضالة جعلتهم يزعمون أنهم هم المؤمنون وأن غيرهم هم الكافرون ، ولو فكروا قليلا لعلموا أنهم خوارج على جماعة المسلمين ، وأنهم دعاة التفريق والفتنة ، وأن عليهم أن يتوبوا من اثمهم ، فان لم يفعلوا قوتلوا كما يقاتل الخوارج على الجماعة .

أخرج مسلم بسنده عن عرفجة قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة

وهو جميع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان » وفى رواية أخرى « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جمعكم فاقتلوه » .

كيف يقتلون من خالفهم وهم خوارج على الاسلام والمسلمين ، انهم لا يقاتلون لله ، ولا يقتلون غيرهم لوجه الحق ، فالمؤمن لا يقتل الا قصاصا ، وهم يقتلونه تعصبا ، وعليهم ينطبق قوله صلى الله عليه وسلم: « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، ثم مات مات ميتة الجاهلية، ومن قتل تحت رأية عمية (١) يغضب للعصبية ، ويقاتل للعصبية فليس من أمتى ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها ولايتحاشى مؤمنها ، ولا يفى بذى عهدها فليس منى » أخرجه الامام مسلم .

هؤلاء لا يحسنون التأويل

نشأ شباب هذه الجماعة فى جو عقد وشبه دينية ، بثها فى نفوسهم دعاة أغرار ، لا يعرفون كيف يؤولون النصوص وكيف يوفقون بينها عند تعارضها، واستغلوا فى نفوسهم رغبتهم فى الاستقامة فملئوا نفوسهم كراهية للمجتمع ، وصوروه لهم فى صورة كافرة فاجرة جعلتهم يكرهونه ويعلنون عليه حربا غير حكيمة تضر أكثر مما تنفع ، وتهدم أكثر مماتبنى، انهم يقولون لهم : هذه الأمة تحكم بغير حكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فهذه الأمة في نظرهم تعتبر كافرة ــ حاكمها ومحكومها ــ لأنها تحكم بغير ما أنزل الله ، وفات هؤلاء الأغرار ، أن الأمة كلها تريد العودة الى كتاب الله وسنة رسوله ، وأنها لاترضى بغير حكم الله بديلا ، وأنها ورثت هذا التشريع الأجنبى عن الاستعمار البغيض ، وأنها بسبيل الوصول الى مبتغاها من الحكم بشريعة الله ، بما يبذله الحاكم والمحكوم من تهيئة الجو الى تنفيذ أحكام الشريعة ، ومن ذلك قيام الفنيين بمجمع البحوث الاسلامية بتقنين الشريعة الاسلامية، وجعلها مواد

---

(١) أى من اندرج فى قتال تحت راية لجماعة عمية ــ أى لاتدرى الحق بل تقاتل لنحو العصبية والقرابة والهوى ــ فمات ، فليس من الأمة المحمدية .

يتحاكم بها الناس ، وقطعهم فى هذا السبيل مرحلة كبيرة ، وتجاوب أعضاء مجلس الشعب نحو هذا الهدف فى المجلس السابق ، وترقب حسم هذه الرغبة نحو غايتها المأمولة فى المجلس الحالى ، وافساح الحكومة نطاق الحرية أمام الذين يكتبون داعين لتحقيق هذا الهدف السامى الذى يسعى اليه الجميع ، فليس فى الأمة من يرضى الحكم بغير ما أنزل الله تعالى ، والآية واردة فى اليهود حين أعرضوا عن حكم الله فى رجم الزانى المحص وأنكروا وجوده فى كتابهم ، وجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم لعلهم يجدون عنده حكما يخفف حكم الرجم عن بعض زناتهم، فلما حكم النبى صلى الله عليه وسلم بالرجم أنكروه ولم يؤمنوا بهذا الحكم ، ولم يعترفوا بوجوده لديهم ، فأنزل الله فيهم قوله سبحانه : «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ٤٣ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ٤٤ » من سورة المائدة ـ ومن هذا يعلم أن الآية فى اليهود وليست فى المسلمين ، وقال القرطبى فى هذه الآية ومثليتها : (الظالمون والفاسقون) نزلت كلها فى الكفار ، ثبت ذلك فى صحيح مسلم فى حديث البراء ثم قال : وعلى هذا معظم أهل العلم فأما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة .

وحملها بعضهم على من حكم بغير ما أنزل الله كراهة لحكم الله واستنكارا له وايثارا لغيره عليه ، ونسب هذا الى ابن عباس ومجاهد ، وقال به ابن مسعود والحسن .

ويميل الشعبى الى أنها فى اليهود خاصة ، واختاره النحاس ـ قال ـ ويدل على ذلك ثلاثة أشياء ، أن اليهود قد ذكروا قبل هذا فى قوله : « للذين هادوا » فعاد الضمير عليهم ، وأن سياق الكلام يدل عليهم ، ألا ترى أن بعده « وكتبنا عليهم فيها » فهذا الضمير لليهود باجماع ، وأيضا فان اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص ـ فالمعنى على هذا : واليهود

الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

ومنهم من حمل الآية على التغليظ ، قال طاووس وغيره : وليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر ، وهو الذى يعبر عنه بالفسق ، فأمره الى الله تعالى : ان شاء عذبه وان شاء غفر له .

واحتجت الخوارج بالآية على أن الفاسق كافر غير مؤمن ، وقد أخطئوا فى هذا الزعم فان المعصية لاتسلب الحكم بالايمان ، بنص القرآن ، قال تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » الآية ٩ من سورة الحجرات ، فقد أثبتت الآية الايمان للبغاة مع أنهم فسقوا بخروجهم على الامام وقتالهم له .

والايمان هو التصديق القلبى فلا تسلبه المعصية مع بقاء اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ، قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « ماالايمان ؟ » قال رسول الله جوابا له « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » الى آخر ما ذكرناه ـ فاذا تحقق هذا فى مؤمن فلا تمحوه معصية اقترفها ، ومن نطق بالشهادتين عصم دمه وماله الا بحق الاسلام ، قال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » .

وقد نهانا الله تعالى عن تكفير من أعلن اسلامه وخضوعه بقوله : « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . . » الآية ٩٤ من سورة النساء

وسبب نزولها أخرجه البخارى عن ابن عباس قال : « كان رجل فى غنيمة له ، فلحقه المسلمون فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غنيمته « فأنزل الله فى ذلك الى قوله « عرض الحياة الدنيا » تلك الغنيمة ، وحمل رسول الله ديته الى أهله ، ورد عليه غنيماته » وأخرج أحمد والترمذى وحسنه ، وابن حميد وصححه عن ابن عباس رضى الله

عنهما قال : «مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم ، فقالوا : ما سلم علينا الا ليتعوذ منا ، فعمدوا له فقتلوه ، وأتوا بغنمه النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت » .

وأخرج ابن جرير عن السدى قال :«بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أسامة بن زيد الى بنى ضمرة، فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك ، معه غنيمة له وجمل أحمر ، فآوى الى كهف جبل وأتبعه أسامة ، فلما بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه ، ثم أقبل عليهم فقال : السلام عليكم ، اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فشد عليه أسامة فقتله من أجل جمله وغنيمته » ثم ساق باقى الحديث وقد جاء فيه أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك رفع رأسه الى أسامة معاتبا ولائما وقال له : «كيف أنت ولا اله الا الله ؟ فقال : يارسول الله : انما قالها متعوذا يتعوذ بها ، فقال عليه الصلاة والسلام: هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه » ثم نزلت الآية .

ومن هذه الروايات وغيرها يعرف انها نزلت فى عدة وقائع، وان المقصود فيها كلها واحد ، وهو أن الاسلام يثبت بالنطق بالشهادة والاستسلام بأدائها ، وأنه بذلك يعامل معاملة المسلمين ، ولا يحل اتهامه بالكفر باطنا ، فان القلوب بيد الله ، وحسابهم عند الله على نواياهم ، واذا كان الاسلام يحرم تكفير من نطق بالشهادة وينهى عن أن يقال له : لست مؤمنا ، فما ظنك بمن نشأ مسلما ومؤديا للشعائر الاسلامية ، فمثله لا يحل تكفيره بارتكابه معصية من المعاصى ولا بتعامله فى قضاياه بالأحكام الوضعية وهو كاره لها راغب فى أن تعدل وفقا لشريعة الله ومناد بذلك ، وقريبا سنصل الى تحقيق هذا الأمل المنشود الذى دعا اليه القضاة والوزراء والكتاب ، وأعضاء مجلس الشعب ، فلا مجال لليأس ، ولا محل لتكفير المؤمنين واثارة الفتنة بينهم ، وليس من الحكمة اختباؤكم فى الكهوف ،أو هجرتكم وتعطيل القوى التى أمدكم الله بها وتوجيهها لمعاداة الأمةوالخلاف

معها ، أو حبسها واضاعتها فى أوهام وخيالات ، فعودوا الى أمتكم ، واعملوا بحكمة ومحبة وتعاون على الخير « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وليكن شعاركم قوله صلى الله عليه وسلم : «رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس ، واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فلا تسعوا فى الفرقة والخلاف ، ولاتغالوا فيما أنتم عليه،فتظنوا أنكم به خير من الناس ،ففى الناس خير كثير،وربما كان أفضل مما لديكم ، والتزموا فى الدعوة السبيل الذى شرعه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه .

مصطفى محمد الحديدى الطير

« حدث مبارك الطبرى قال :

سمعت : معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى يقول سمعت المنصور يقول للمهدى :

يا أبا عبد الله ، الخليفة لا يصلحه الا التقوى ، والسلطان لا يصلحه الا الطاعة ، والرعية لا يصلحها الا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه » .

كتاب الفاضل : لأبى العباس المبرد عدد ٢ ص ٨٨ .

حقيقة أتاتورك

بقلم: الدكتور عبد الودود شلبي

أتاتورك .. أو الذئب الأغبر كما أطلق عليه « أميل لود فيج » .

لقد بعث من جديد هنا فى مصر ، وظهر ممتطيا صهوة جواده على صفحات الجرائد والمجلات وفى دور النشر .

فكيف خرج فجأة من القبر ؟ وما الذى يذكرنا به أن نسيه الترك ؟ كلها أسئلة لا تجد جوابا مقنعا .. انها شىء أشبه بالتهاويم والألغاز فى عالم السحر أو عثرة لسان فى سياق الأحاديث والذكريات التى تدور هذه الأيام فى مصر ، وأيا كان الجواب عن أى من هذه الأسئلة .. فالذين يحسنون الظن بالذئب لم يقرءوا تاريخة جيدا .. والذين يكتبون عنه لم يعرفوه كثيرا .

لقد بدأ حياته مجاهدا ، وسماه الشعب التركى « غازيا » وفى دعوته الى عقد اجتماع «الجمعية الوطنية كتب بالحرف الواحد قائلا :

«(بما أن افتتاح الجمعية الوطنية الكبرى) » يصادف يوم الجمعة فعلى جميع النواب والشخصيات الوطنية أن تحضر الى المسجد الكبير فى أنقرة حيث ستتلى آيات القرآن الكريم ، وتقام الصلاة فى هذا اليوم المقدس وبعد الصلاة يقوم النواب الى مبنى الجمعية الوطنية الكبرى حيث يرفع العلم فوق ساريته ، وتذبح الخراف وفقا لتقاليد الأضحى الاسلامية ، وتأكيدا لعظمة هذا اليوم المقدس يتوجب على جميع حكام الألوية أن يدعوا الناس للصلاة فى المساجد حيث تتلى السيرة النبوية وتتلى آيات الذكر الحكيم (١) » .

---

(١) أنظر : « حوار فى انقرة » تأليف محمد جلال كشك ص ٥٤ ، ٥٥ طبعة المختار الاسلامى .

هكـذا كان « أتاتورك »فى مطلـع حياته٠٠كانت والدته الصالحة ترغب فى أن يكـون « خوجـة » أى عالمـا يدعو الى الله بالحكمـة والموعظـة الحسنة ٠٠ فما الذى جرى له وعليه بعد ذلك ؟

هـل كـان أصـلا من طـائفـة «الدونمة»(١) ؟ أم ماسونيا وقـع فى حبائل « اليهودية » العالمية ؟ أم قوميا من غلاة الطورانية التركية ؟

كل هذا ممكن وجائز ٠٠٠ ولكن الحكم على هـذا النوع من الرجـال لا يجيىء عفوا وعاطفة ، انمـا يكون الحكم صـادقا وأمينا بالواقع الذى لا يعترَيه شك والدليل الناطق بالحقيقة والحق ٠

لقد رسـخ فى ذهنى منذ سـنوات دراستى الأولى فى الأزهر فى مطلع الأربعينات منهذا القرن٠أن مصطفى كمال من زعماء الاسلام والجهاد فى هذا العصر ٠ كنت قد قرأت كتابا من كتب تلك السلسلة التى كان يصدرها الأسـتاذ محمد صـبيح عن القـادة والزعماء فى الشرق والغرب وأذكر أنه قال فى كتابة عن أتاتورك ٠

« لو لم يكن عمـل شيئا يستحق عليه المثوبة والأجر لكفاه سببا لدخول الجنة تحـرير وطنه من الاحتـلال والقهر »٠

ولقـد نظر الكثيرون من الزعمـاء والقادة الى مصطفى كمال نظرة اعجاب وحب وكـان المرحـوم مصـطفى النحاس باشا من المعجبين به هنـا فى مصر ٠٠ وقـد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به فى مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والـده كان يعلق صـورته فى البيت ٠ ويشـيد بزعامته وجهاده فى كل وقت ٠

فهـل كان « أتاتورك » يسـتحق كل هذا الاعجاب والحب ؟ ان مافعله الرجل لتحرير بلاده عظيـم من غير شك ٠

---

(١) طائفة من اليهود الذين تظاهروا باعتناق الاسلام وعاشوا فى كنف الدولة العثمانية بمدينة « سالونيك » اليونانية .

لكن •• قليل هم العظماء والزعماء الذين يثرون هذه العظمة وتلك الزعامة الى نهاية الشوط •

«هتلر» ••• كان أكثر عظمة من أتاتورك •• وانتهى به الأمر الى الانتحار فى قبر مظلم تحت الأرض• و « موسولينى » فعل لايطاليا أكثر مما فعل أتاتورك••وكان مصيره الصلب على جذع شجرة فى جبال الألب •وغيرهما كثير من المغرورين والزعماء الذين جلبوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجدب !!!

* * *

لقد بدأت معرفتى تتسع حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كمبردج CAMBRIDGE والتقيت هناك مصادفة ببعض الطلبة الأتراك الذين يدرسون فى جامعتها الشهيرة • وبعد أن تعارفنا وتعمقت بيننا الألفة سألت هؤلاء الأخوة قائلا :

«ترى الى أى مدى نجح أتاتورك ، وفى أى صف من القادة العظام يضعه الناس والشعب •

وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف •• وقالوا : لا تقل « (أتاتورك) بل قل (أخبث ترك) !!

فعلمت منذ هذه اللحظة أن « أتاتورك » معناها (أبو الترك) وأن هؤلاء الأخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كأب •• بل هو فى نظرهم أخبث الخبثاء الذين نكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج قبل أربع سنوات التقيت فى فندق « جدة بالاس » ببعض زعماء حزب السلامة الوطنى • وسمعت من هؤلاء النواب والقادة ما لا يكتب وكشفوا النقاب عن كثير من حياة « الذئب » أو « الثعلب » •

لكن لماذا أكتب اليوم عن هذا الرجل ؟

لقد كتب الأستاذ / عبد الحميد عبد الغنى فى مقال له نشر بأخبار اليوم(١) •

---

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/١٢/٢٥

« (فى الواقع أن حركته ـ أى حركة أتاتورك ـ لم تكن حركة عداء للدين الاسلامى ! ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الاسلامى ! بل كانت حركته حركة قومية بحتة ترمى الى النهوض بتركيا بتخليصها من القيود التى تكبل أيديها وتقيد خطاها باسم الخلافة الاسلامية، وطقوسها ومراسمها ، وفى المقال نفسه وبعد أسطر قليلة وفى الصفحة نفسها يقول الكاتب مانصه :

« (قرر أتاتورك أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية حتى فى طبع المصحف الشريف، وكذلك أسرف أتاتورك فى قوانين الأحوال الشخصية الى دائرة الخروج على القواعد الاسلامية المقررة !! فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريما باتا ؟! وجعل للقضاء وحده حق الفصل فى طلب الطلاق ! وعدل قواعد الميراث فسوى بين الابن والبنت !!! ورفع عن المرأة الحجاب ..! واشتط وأسرف فدخل دائرة محرمة ؟! حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان ؟ ! وقرر الغاء الأوقاف ووزارة الأوقاف ..؟!) .

هذا هو ما فعله «أتاتورك» كما ذكر الكاتب بخط يده . فكيف يستقيم ما كتبه أولا ، مع ما ذكره ثانيا ؟ وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداء للدين الاسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الاسلامى ؟

واذا لم يكن هذا هو الالحاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهدم الكعبة وتخريب المسجد النبوى فى المدينة ؟

ان « أتاتورك » لم يكن ينطق بلسانه ، أو يفكر بعقله أو يعمل لحساب شعبه ووطنه . لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ أتاتورك وعاش فى أحضان جمعية « الاتحاد والترقى » التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة . وكانت

هـذه الجمعية وأعضاؤها من أكبر المخربين للدولة .

غير أننا لا نلوم هذا المؤلـف أو ذاك حين يكتب . فالكاتب والقارىء يكتب ويقرأ ما يملى عليه أو يفرض، لأن أكثر كتابنا ومفكرينا من تلامذة الغرب الذى يرى فى الاسلام عدوه اللدود الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمال الا واحدا من هؤلاء التلاميذ فى الروح والمشرب .

ولن نجد دليلا أصـدق مما كتبه « عرفان أوركا » وقد ألف كتابه عن «أتاتورك» اعجابا بشخصه وحبا (١).

(كان « أى أتاتـورك » قليـل الاختلاط ، غير محبب من الأصدقاء، وكان شـديد الغرام بالاناث يجذبه هــذا الجنس كالمغنــاطيس وكان يشـعر بفرح وسـرور حين يعتدى على الجنس الآخـر ويسـطو عليـه وكانت هذه طبيعته التى فطر عليهـا وقــد تجلت هــذه الطبيعة فى تصرفاته ..

ولم يكن يعترف بعـواطف غيره لأنــه لايرى أحـدا يوازيه ، وكان مفطورا على حب التغلب على الآخرين واخضـاعهم لارادته وهواه ، وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ... !

وقد هضم فى شبابه تعاليم « ضياء كوكب ألب» هضما جيدا ، وقد كافح « ضياء كوكب ألب » للتنور والحرية الدينية ، وكان يقول فى أكثر الأحيان ان الحـكومة الدينية حليفة وفيـــة للحـكومات الفـردية ، وكان يرى أن تحدد سلطة العلماء ، وأن تحدد الجمـــاعات الدينية أو الأحـــزاب المتحمســة للـدين ويضـيق الخناق عليها لأنها تقع فريسة الشطيان فتهتف بالجهاد !

وقد دعا بقوة الى الغاء الشريعة ، واقصاء قضاة المحاكم الدينية .

وقــد اقتنع بأن كفـاحه يجب أن يوجهه الى الدين لأنه منافسه الأكبر! وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة

---

(١) نقلا عن كتاب العلامة الندوى ــ « الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية » ــ صفحة ٥٩ وما بعدها ــ سنة ١٩٦٢ .

الى الله !!! وكان فى آخر عهد يرفع قبضته ويشير الى السماء ساخرا مهددا ! وكان يرى أن الاسلام انما ظل عاملا هداما فى الماضى ، وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائرفادحة وكان يقول فى أكثر الأحيان ان قوة العقل وقوة الارادة تتغلبان على « قوة » الآله •• ! ! وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ولواحتاج ذلك الى استخدام القوة ، والى الخدعة والتضليل •

كان يبغض الاسلام والعقيدة الراسخة بغضا شديدا ! ولم يكن سرا أن : (مصطفى كمال) ، لايدين بدين ، وقد فزع الناس حين شاع أن « مصطفى كمال » رمى بالمصحف على رأس شيخ الاسلام ! ! !

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة ، واستعمل القسوة النادرة والعنف فى تحقيق هذا الغرض كأنه لا اصلاح أكبر وأهم من هذا ••وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، وأقيمت محاكم فى كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى •

ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن •• يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين على السواء !!!

وكان يقول : فى فخار وكبرياء •• أنا تركيا ، هزيمتى هزيمة تركيا !!! وكان يكره الأغنياء ويخشى العلماء والمفكرين لأنهم يفوقونه فى القوة والكفاءة !!! وكان يكره كل أولئك الذين يختلفون معه وان كان يستغلهم لأهدافه وغاياته •

انه انتصر على الشعب حقا •• فقد جعل الدولة علمانية ليس الاسلام دينها الرسمى ، وقرر أن الدين قضية شخصية لكل فرد أن يختار له دينا يدين به•••وألغى الخلافة ، والمحاكم الشرعية ، وقوانين الشريعة الاسلامية، وقرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، والقانون الجنائى الايطالى ، والقانون التجارى الألمانى ، وأدخل الأحوال الشخصية فى القانون المدنى الأوربى ، ومنع التعليم الدينى ، ومنع الحجاب ، وقرر السفور والتعليم

المختلط ، وألغى الحروف العربية ، وأبدل بها الحروف اللاتينية ، ومنع الأذان بالعربيـة وجعله بالتركيـة ، وبعبـارة موجـزة قد حطم الأساس الديني ، وغير وجهة الشعب التركي، والحكومة التركية) .

* * *

لـكن مـاذا كان مـوقف الشـعب التركي من هـذه الردة السـياسية والدينية ، لقد ذكرت في المقدمة قصة هذا اللقاء مع الطلبة الأتراك في مدينة كمبردج Cembridge وكيف رفض هؤلاء الطلاب الاعتراف « بأتاتورك » كأب للشعب .

غير أن الصراع والجهاد ضد هذا التجديف والانحراف بدأ في السنوات الأولى من حكم أتاتورك . كان هناك شيخ اسمه « بديع الزمان » وقد حضر بديـع الزمان الى « اسـطنبول » من شرق تركيـا في عهـد السـلطان عبـد الحميد يطلب فتح المدارس ، وانشاء جامعة في « ديار بكر » غير أن الأحداث عاجلته ، وخلع السـلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتطوع للقتـال ، ثم أسره الروس ونفوه الى (سـيبيريا) وتمكن هناك من الفرار والعودة الى تركيا التي كانت قد سقطت في أيدي الغزاة . فانضم الى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف في هذا الوقت تحرير الوطن وانقاذه من يد الأعـداء ثم اختلف بعد ذلك مع (أتاتورك) حين ظهـر الانحراف ، فنفته السلطة الى غرب البلاد فظل ما بين نفي وسجن وتحديد اقامه من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها (رسـائل النور) شرح فيهـا الدين باسـلوب جديد استهوى الشباب المثقف . فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب « رسـائل النور » او جمـاعة « نورجو » وهي جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شباب تركي ، وتعتبر هذه الجماعة القوة الحقيقية في الجامعات ، وهي القوة الانتخـابية التي سحقت « حزب الشـعب » « حزب أتاتورك »

(١) نقلا عن كتاب العلامة الندوي ــ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ــ ٨ ص ٥٩ وما بعدها ــ سنة ١٩٦٢

وعزلت عصمت « اينونو » خليفته من الحكم ، وجعلته يحصل على ٢٢ مقعدا من ٤٥٠ مقعدا فى انتخابات عام ١٦٥٠

ولم يعد الى المسرح السياسى الا بقوة الجيش [1].

وقصة هذه الانتخابات أى انتخابات سنة ١٩٥٠ م تعتبر معلما من معالم التحول فى تاريخ تركيا الحديث . وبعبارة — أكثر تحديدا ودقة — بداية سقوط « أتاتورك » فى أعين الشعب التركى الشقيق . ففى هذه الانتخابات نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب يتلخص فى عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية.

وثانيها : السماح للأتراك بالحج .

وثالثها : اعادة تدريس الدين بالمدارس .

ورابعها : اعادة « أيا صوفيا » مسجدا كما كان .

وكانت النتيجة مذهلة..فقد حصل الحزب الديمقراطى على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وسقط حزب (أتاتورك) الذى لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب (عدنان مندريس) زعيم الحزب الديمقراطى لمطالب الشعب على الفور . فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء فى غرة رمضان ! وأعاد « الأذان » باللغة العربية كما كان . وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التى باعها أتاتورك ! وتقرر تدريس الدين فى المدارس . وفتحت مدرستان للأئمة والخطباء ! كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم !!!

وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنباء أنه فى اليوم الذى تم فيه اعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنساء الى الشوارع باكين من الفرحة قائلين :

أذان عربى شريف .. أذان عربى شريف !!!

* * *

---

(١) حوار فى أنقرة ص ٣٣ .

فى كتاب «كليلة ودمنة» قال الملك دبشليم لبيدبا الفيلسوف .

أخبرني عمن يدع عمله الذى يليق به ، ويطلب سواه فلا يقدر عليه . فيراجع الذى كان فى يده من عمله فيفوته ويبقى حيران متلذذا ـ أى مترددا .

فقال الفيلسوف : زعموا أن غرابا رأى حجلة فأعجبته مشيتها . فطمع فى تعلمها . فراض نفسه فلم يقدر على احكامها . فانصرف (عاد) الى مشيته التى كان عليها فلم يحسن . فبقى حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان فى يده الحفظ .

ثم قال الفيلسوف للملك : فالولاة فى قلة تعاهدهم للرعية فى هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل الى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم ان الأشياء فى ذلك تجرى على منازل حتى تنتهى الى الخطر الجسيم من مضادة الملك فى ملكه (١) .

ولم يكن (أتاتورك) الا « غرابا » فى دنيا الزعامة ! ولم تكن « أوربا » أو « الحجلة » التى تعلق بها الا نكبة عليه الى يوم القيامة ؟ !

ان المأساة هنا لا تكمن فقط فى محاربته للدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورائه عالة تعيش فى كنف غيرها فكرا وسياسة ولا تزال تركيا ـ حتى يومنا هذا ـ دولة متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوربية ، وكل علاقاتها مع أوربا لا تزيد عن علاقاتها بأية دويلة فى البحر الكاريبى أو المحيط الهندى، باستثناء تلك الأحلاف التى جعلت من تركيا سندا للغرب فى وقت الشدة ، وغمة على الشعب فى أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة اقبال :

(انكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوربا وصحبتها ، مع أنكم كنتم بفضل الاسلام على مقربة من النجوم والكواكب ...) .

---

(١) كليلة ودمنة ـ ط دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

لقد ذهب « أتاتورك » الى غير رجعة ، وعندما مات خليفته « أينونو » رفض الشعب التركى الاشتراك فى الجنازة .. وعندما حملوه الى أحد المساجد للصلاة رفض الامام أن يصلى على جثته وترك المسجد ! وظلوا ينتقلون به من مسجد الى آخر حتى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة .. وما كاد الشعب يعرف ذلك حتى حاصر المسجد ، وهم بخطف الجثة . ولم تتم الصلاة على جثمانه الا فى حماية القوات المسلحة .. !

ان الايمان لا يموت بالقتل ! وان قطرة واحدة من دم شهيد كافية لاشعال النار فى الجليد والثلج . وفى تركيا اليوم نداء جديد يتردد صداه مع كل فجر . انه نداء الايمان الذى انكمش داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القرآن تنتشر وتزداد . ومجالس العلم تعود الى سابق عهدها فى المساجد ، وقد تساءلت جريدة « لوموند » الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة فى تركيا فقالت :

ترى هل استيقظ الرجل الميت ؟ !

نعم قد استيقظ !!! فالشعب الذى حمل لواء الجهاد ستة قرون دفاعا عن الاسلام لا يمكن أن يموت والأمة التى من رجالها رجال كمحمد الفاتح لا يمكن أن تقهر ..

وفى تركيا اليوم حزب يشترك فى الحكم ... انه حزب السلامة أو الانقاذ الذى يتزعمه الدكتور نجم الدين اربكان .. وهذا الحزب لايقبل بغير الاسلام أساسا للحكم . وقانونا فى المجتمع . ومحبة واخاء بين جميع المسلمين فى الشرق والغرب ..

ولو عاد (أتاتورك) الى الحياة مرة ثانية لرجمه الشعب .. ولن يفلت من القصاص الذى ينتظر أمثاله من القتلة والطغاة الذين يعتبرون ـ شعوبهم « قطيعا » فى « مرعى » « السياسة » « وأرقاما » فى حسابات الغرور والزعامة .. و « قربانا » فى مذبح السلطان والحكم .. ؟

د . عبد الودود شلبى

مفتاح الإجابة

لفضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم . وقال : يأيها الذين أمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء ، يارب يارب ومطعمه حرام ، ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام أنى يستجاب لذلك . أخرجه مسلم والترمذى .

قد يتصور المرء لأول وهلة أنه لاارتباط بين موضوعات هذا الحديث، فما الارتباط بين موضوع الأمر بالأكل من الطيبات ، وموضوع الدعاء ؟ . ولكن بشيء من البحث والتأمل يستبين الارتباط الوثيق بين الموضوعين والترتيب المنطقى بينهما ، وأن أولهما كالمقدمة لثانيهما وقد أشار الحديث الىهذا الارتباط ، لأن الموضوع الأول ، الأمر بالأكل من الطيبات ، أى من الحلال ، والموضوع الثانى ، عدم اجابة دعاء الداعى لأن كسبه حرام ، ومطعمه ومشربه وملبسه حرام .

والموضوع الأول وهو الأكل من الطيبات موضوع يهم الناس جميعا فهو يتعلق بمعاشهم ونشاطهم وكسبهم وسعيهم ، وعلاقة بعضهم ببعض ، واستقرار نظامهم ، ففى سبيل لقمة العيش وكسب المال يتعامل الناس ويتزاحمون ويتصارعون ويتخاصمون فالأمر بأكل الطيب أى الحلال أو المستلذ من الحلال قاعدة انسانية تنبنى عليها قواعد الحياة عامة فاذا استقامت استقام بها بناء

البشرية فأكل الطيب أى الحلال يستدعى الحق والعدل والاحسان فى الأنشطة الانسانية عامة ، فى التجارة والزراعة والصناعة والتطبيب والتعليم وفى كل عمل يليه الانسان فى كل موقع كضرورة من ضرورات مجتمعه وحضارته ، ولأهمية تلك القاعدة ولأنها أصل من أصول الحياة تتفرع عنها قواعد الخير كلها ، كانت وصية الله الى جميع الرسل وجميع المؤمنين كما جاء فى الحديث : ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا . وقال عز وجل : يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله .

وللاشارة الى أهمية هذه القاعدة فى الحياة البشرية قدمت فى الآية على العمل الصالح فقال تعالى : يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وهما فى الواقع متلازمان ، فالأكل من الحلال يستلزم الصالح من الأعمال والعمل الصالح يستلزم الأكل من الحلال والطيبات التى أمرنا الله بالأكل منها كل ما خلقه الله وسخره مما تقوم به الحياة ويصح به الجسم وتستلذه النفس ، وليس هناك شىء على هذا النحو الا أباحه الله ولم يحرم علينا الا ما كان ضارا مستعافى متقذرا فى نفسه أو مستكرها فى آثاره فقد حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير والموقوذة والمتردية والنطيحة وحرم علينا كل ذى ناب أو مخلب من سباع البهائم والطيور وحرم علينا الخمر وما شابهها وحرم غير ذلك مما جاء فى القرآن والسنة وأثبت الطب والعلم سوء أثره فى العقول والأجسام بعد أن ظل بعض الناس يجادلون فيه أحقابا طوالا ان الاسلام لم يحرم شيئا من مستلزمات الحياة وكل ما وضعه من القيود فى تناولها ألا نسرف فى التناول حتى لا تنقلب المنفعة مضرة وتعود النعمة نقمة ، والقاعدة الضابطة لذلك قوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » وتحريم شىء من مستلذات الحياة تدينا أمر مخالف للدين ، فالدين لم يحرم علينا الانتفاع بها بل أمرنا بتناولها والتزود منها وليس هناك

شيء أقوى فى الدلالة على ذلك من هاتين الآيتين اللتين أوردهما الحديث ، ففى هاتين الآيتين أمران ان لم يكونا للوجوب فهما للاباحة على أقل تقدير ، وقد زاد الرسول تلك الدلالة توضيحا فقال : ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين يعنى أن الأمر كان للمرسلين أولا وهم أئمة البشر والمبلغون عن الله ، أمر البشر بالاقتداء بهم والأخذ عنهم وسلوك طريقهم فمن رغب عن مستلذات الدنيا من الصوفية والغالين فليسوا فى ذلك على نهج الدين وانما ذلك اجتهاد شخصى باعثه الظن بأن ذلك أجدى فى جهاد النفس وحملها على الطاعة طمعا فى استكثار الثواب والسلامة من الزلل والفتن • وتأتى بعد ذلك قضية الدعاء واستبطاء الاجابة فيه ، ولقد قلنا قبل قليل ان بين القضيتين ارتباطا يظهر بشيء من التأمل ، فأكل الحلال كالمقدمة لاجابة الدعاء وكالمفتاح لهذه الاجابة فأكل الحلال يطهر البدن ، ويصفى النفس ويرقق القلب ويقرب الى الملأ الأعلى الى صفوف الملائكة وربما تجاوز بصاحبه الى مرتبة أعلى من مراتبهم فى الفضل كما يقول بعض العلماء ، أكل الحلال اذا اقترن بالعمل الصالح وهو ملازم له كما قلنا ينقلان المرء الى منزلة القرب التى لا ينقطع فيها رجاء ولا يخيب معها دعاء • فهى درجة العبودية الخالصة التى يقول فيها سبحانه : «واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » •

فأسباب اجابة الدعاء ومفاتيحه هى : أكل الحلال أيا كان لونه وطعمه ، والعمل الصالح الذى أبانت الشريعة عن صلاحه فاذا تجرد المرء من هذه الأسباب فلابد أن يخيب رجاؤه كما اذا تجرد المقاتل عن السلاح فلابد أن ينهزم ، وهذا ما عناه الحديث بقوله : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده يارب ، يارب الخ •• يعنى أنكم تخطئون الطريق الى الدعاء وتخطئون معرفة الأسباب ، فليس الطريق الى اجابة الدعاء ولا الوسيلة اليها شعورا تطول ووجوها تغبر ، وأقذارا تتراكم على الأبدان وتتجمع ، ليس شيء من ذلك هو

الطريق الى تحقيق الدعاء ، وما كان شيء من ذلك سمة القلوب الطاهرة التى تتجاوب معها السماء ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظف الناس ثوبا كما كان أطهرهم قلبا وكان أحب شيء اليه الطيب والعطر وكذلك كان أصحابه تعبق أردانهم بالغالية والمسك وما كانوا يفرطون فى النظافة ويرون ذلك مخلا بالمروءة والدين ، وكم من نظيف البدن والثوب طاهر السر والسريرة ، ليس التقذر سمة الدين بل هو سمة اضطراب العقل والجهل أو الغفلة عن ارشادات الدين فى شئون الدنيا ، وموازين التقوى ليست فى هيئة اللباس وانما هى فيما ينطوى عليه القلب من ايمان ونقاء وصفاء يتفجر على الجوارح عملا صالحا نافعا لصاحبه وجماعته كما قال صلى الله عليه وسلم : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وخلاصة القول فى الحديث : ان التشعث والتقذر والتغبر ليس سبيلا الى اجابة الدعاء وانما السبيل اليها هو تصفية القلوب والنفوس وتطهيرها بأكل الحلال والعمل الصالح فمن ظن غير ذلك فهو مغرور مخدوع ، وكما يكون فى الشعث الغبر من هو طاهر القلب نقى السريرة قريب من الله يوجد كذلك من ذوى النظافة والهيئات من منحه الله مثل ذلك والله عليم بذات الصدور . هذا ما أمكننا أن نفهمه من الحديث فى سبب استبطاء اجابة الدعاء أو عدم اجابته . وقد علل العلامة « اسحاق بن وهب » فى كتابه «البرهان»ماذكر بعلة أخرى وهى وان لم تكن مساوقة لظاهر الحديث الا أنها ذات مغزى دقيق ربما لم يتعرض له أحد غيره ، وقد رأينا ألا يحرم منه القراء والكلام فى موضوع الدعاء لايستطال ، قال رحمه الله :

وهنا سر فى الدعاء فيه تنبيه لكثير من الناس على رشدهم ، وهو أن كل أحد مجبول على أن يهيء لنفسه أعلى المنازل وأشرف المراتب ، فهو لا يسأل الله تعالى الا على قدر تمنيه وشهوته ، ولو أعطى الله عز وجل كل أحد ما يشاء كان الناس جميعا فى أعلى طبقة وأشرف منزلة ،

ولو صار الناس على هذا يوما واحدا لاستغنى بعضهم عن بعض ، ولو استغنى بعضهم عن بعض ما ترافدوا وما تعاونوا . ولو لم يترافدوا ويتعاونوا لبطلت الحكمة فى سياستهم ودخل الخلل والاضاعة على حمايتهم، لأن الصناع والتجار والمهان كانوا يصرفون عن صنائعهم وتجاراتهم ومهنهم ويستغنون عنها ، فيبقى كل واحد من الناس بغير معين ، واذا لحق ذلك كل واحد منهم دخل عليه من الضرر فى نفسه وأهله وماله وولده ما لا بقاء معه ، ولا صلاح بعده ، فاذا دعوت الله سبحانه فاعلم أنك تدعو حكيما يسوس الخلق ويديرهم بحكمته ، والحكيم لا يعطيك فى نفسك ــ وأنت جزء من خلقه ــ ما ينتقض به تدبيره فى سائر خلقه ويفسد به سياسته فى جميع ملكه ، لكنه يستجيب لك فيما ينفعك ولا يضر غيرك ، فاذا منعك فانما يمنع ما يفسد به تدبيرا للكل الذى أنت جزء منه كمنعه اياك لنفعك اذ كان حكم الجزء تابعا لحكم الكل .

ابو الوفا مصطفى المراغى

روى عن أسلم أنه قال : « ان عمر بعثه مرة بابل من ابل الصدقة الى الحمى ، فوضع رجله على ناقة منها ، فلما رأى عمر أنه قد وضع رجله على ناقة من الابل حسناء قال له : لا أم لك ، عمدت الى ناقة تغنى أهل بيت من المسلمين . فهلا ابن لبون بوالا ، أو ناقة شصوصا ؟ .

الطبرى جـ ٥ ص ١٨ .

وابن اللبون : هو الذكر من الابل الذى مضى عليه أكثر من عام ، والبوال كثير البول ، والشصوص : التى لا لبن لها .

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٢ —

فى البحوث والتشريع :

وفى مجال الانحراف عن الاسلام فى المؤلفات والبحوث التى تحدثت عنها وسائل الاعلام نجد الآتى :

١ ــ تقدمت احدى الباحثات بجامعة الاسكندرية برسالة للماجستير ، موضوعها (أصوات المد فى القرآن) ذكرت فيها أنه (من الطبيعى أن يستبدل الرسول عليه الصلاة والسلام فى النص القرآنى لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعا فى تلك البيئة ، أو يرى أنها تحمل شحنات من المعانى تفهم الفكرة أكثر أو أن يغير فى نظام الجملة ليجعلها أكثر وضوحا أو يكسبها بلاغة أكثر فى نظر القوم الذين يقرأ أمامهم) وتقول (على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبيح الاختلاف ولا يعمد الى التخفى ــ وكان يتسامح فى النص بعض الشىء ، وطبيعى أن يكون التسامح أيضا فى الجانب الأدائى ان لم يكن على نطاق واسع).

وناقش الرسالة الأساتذة : الدكتور حسن عون ، والشيخ أمين الخولى ، وابراهيم أنيس ، وبالرغم من أنهم أنكروا هذا الطعن فى القرآن الا انهم قرروا فى نهاية المناقشة منح الطالبة درجة الماجستير بتقدير جيد جدا .

ولم يوافق الدكتور حسن بغدادى مدير الجامعة على هذا الاجراء ، وأحال الموضوع الى مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب الذى قرر احالة الرسالة من جديد الى لجنة متخصصة من علماء الأزهر (الجمهورية ٢١ / ١١ / ١٩٦٥).

ويعلق الأستاذ محمد زكى عبد القادر على ذلك فيقرر : أن هذه ليست المرة الأولى التى يقع فيها الصدام بين القائلين بحرية البحث العلمى والقائلين بحماية العقيدة والدين ،ويؤكد حرصه على الأمرين، ويطالب بمراجعة الرسالة مرة أخرى على أن تقرر الحدود بين ما يمس العقيدة وما لا يمسها مع اطلاق حرية البحث فى النطاق الأخير •

وينبغى مناقشة تعليق سيادته من ناحيتين : الأولى أنه فى مثل هذا الموضوع لايوجد أى غموض فى تعرضه بالهدم لأساس الدين ، الثانية أنه من المشكوك فيه أن تكون الكاتبة قد اتبعت منهجا علميا سليما فى معالجتها للموضوع ، مما يؤكده قرار الجامعة باحالة الموضوع الى جهة متخصصة •

٢ ــ ويتصدى الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى ــ فى روز اليوسف ١٩٦٥/١٢/٢٠ - لكتابة سلسلة مقالات حول المؤلفات العربية الحديثة عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يعرض فى حلقة العدد المذكور كتاب الدكتور محمد حسين هيكل •

وقارىء المقال مضطر الى ملاحظة:

ــ أن الكاتب يتجه الى ابراز بشرية الرسول ونفى الخوارق عنه ــ فيما عدا القرآن ــ ولست أدرى كيف يمكن القول ببشرية محمد (صلى الله عليه وسلم) • ــ بمعنى تجريدها من الخوارق ــ اذا كنا نسلم باتصاله بالوحى كما أنه اذا سلمنا بمبدأ الخوارق فى حياته صلى الله عليه وسلم فما وجه انكار الخوارق الأخرى اذا لم يقم هذا الانكار على أساس من البحث التاريخى للواقعة نفسها ؟ ••

٣ ــ كذلك يلاحظ القارىء ابراز الكاتب لمواقف الضعف التى اتهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم من الغافلين أو المغرضين على السواء ، دفاع المؤلف عنه •

كما يلاحظ القارىء أن الكاتب يضع عنوانا لسلسلة مقالاته هو : محمد

بالعقل وحده •• وأنه لم يذكر مرة واحدة فى مقاله صيغة الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام على كثرة ما ورد اسمه الكريم فيه •

وفى مقال أحمد عبد المعطى حجازى فى روز اليوسف ١٩٦٦/١/٢٣ الذى قدم فيه كتاب رسول الحرية للكاتب عبد الرحمن الشرقاوى : يبرز الكاتب تفسير المؤلف لاستجابة يثرب للدعوة الاسلامية بأسباب اقتصادية •

وفى نفس العدد رسالة للشيخ أمين الخولى يرشد فيها الى صورتين مرسومتين للرسول صلى الله عليه وسلم نشرتا فى بعض المراجع المعينة ، وكانت هذه الرسالة ردا على سؤال للكاتب هو هل نستطيع أن نتخيل محمدا ؟

وأكرر ما لاحظته سلفا من أن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ماكتبه هؤلاء ليس متبوعا بالصلاة والسلام •

وفى الأهرام ١٩٦٦/٢/١١ كلمة للدكتور عبد العزيز مطر نقد فيها الموسوعة العربية فيما جاء فيها عن المواد الاسلامية ، وبين خطأها فيما ذكرته فى مادة جهنم من أنها جاءت فى القرآن بتصويرها على هيئة حيوان هائل فغر فاه وكشف عن أنيابه وتأهب لالتهام الظالمين بأنها تتألف من دوائر متحدة المركز على هيئة فوهة البركان ••• وأنكر الكاتب ذلك ،وبحث عن المصادر التى استندت اليها الموسوعة وقرر أنها : دائرة المعارف الاسلامية فى نصها غير المترجم ، وكتاب تركى عنوانه (معرفت نامة) ••• وطالب اللجنة التى أشرفت على الموسوعة بضرورة تلافى هذه الأخطاء الفادحة •

وأثار الأستاذ محمد التابعى موضوع تحضير الأرواح تحت عناوين مختلفة منها (هل هناك حياة بعد الموت ؟) ومنها (حول خلود الروح) ، وفضلا عن أن هذه العناوين مضللة وتنقل التشكيك من دائرة ضيقة هى تحضير الأرواح ،

الى دائرة أوسع تشمل ـ ولو ايهاما ـ الحياة الأخرى ، فانه كان من الممكن أن يدور النقاش فى الموضوع المطروح للبحث فى نطاق لايتصل فيه السلب أو الايجاب بحقيقة أساسية من حقائق الدين ، الا أن القارىء لا يسعه الا أن يتوقف كثيرا أمام ما ورد بمقال آخر ساعة (١) من أن الأستاذ عبد الرازق نوفل أعد كتابا بعنوان (الحياة الأخرى) سوف يخرجه الى السوق فى رمضان المقبل ، يقرر فيه فيما يقرر أن (روح الانسان خالدة لأنها جزء من الخالق) •

وهذا القول لا تقره العقيدة الاسلامية التى تنزه الخالق وترى أن ليس كمثله شيء ولا يمكن لمثل هذا الحكم ان يستند ـ مثلا ـ الى اسناد الروح لله فى قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) ، فان هذا الاسناد لايعدو أن يكون على منوال اسناد الأرض لله فى قوله تعالى : (وأرض الله ••) أو قوله فى الحديث القدسى (••أرضى وسمائى) كما أن هذه الروح فى هذه الآية أو غيرها لايمكن النظر اليها بعيدا عن قوله تعالى : (قل الروح من أمر ربى ••) ، فهى من أمره وليست منه ، كذلك فاننى أعتقد أن هذا الحكم الذى ذهب اليه المؤلف لا يستند الى شيء مما ذهب اليه الصوفية ـ بعضهم ـ الذين ينساقون الى ما يشبهه وراء علة وجدانية ذوقية لاتحتمل المناقشة فى حين أن ماذهب اليه المؤلف يتناول الأمر من الناحية الموضوعية •

كذلك فقد جاء بالكتاب المذكور أن الروح بعد خروجها من الموت يسعد بها المؤمن (أما الكافر فقطعا سيضل ، والى أن يتعلم ويهتدى سيكون معذبا قلقا ••)

أهكذا يختصر الخلود فى جهنم الذى قررته الأصول الاسلامية الى مجرد فترة من الضلال والعذاب الناشىء عن القلق ، تنتهى بالتعلم والاهتداء ؟

---

(١) صادر فى الأسبوع من ١١/١٣ الى ١٩٦٥/١١/٢٦

وفى المجال العلمى لخصت الجمهورية ٣٠/ ٩/ ١٩٦٥ كتابا للعالم السوفيتى ل • روخلينى عن النوم والأحلام ، ينسب فيه الى قدماء المصريين نظرتهم الى النوم على أساس أن للانسان روحين : واحدة تخرج بالنوم ، وأخرى بالموت ، ويرفض هذه النظرة ويقرر أن التجارب العلمية تفسر النوم على أساس من التفاعل الكيميائى • ونذكر فى هذاالمقام أن القرآن الكريم يقول : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) •

التشريع :

ومن منافذ الالحاد الكتابة حول مسائل التشريع :

حيث يفسر الدكتور رضا فرج فى مجلة الطليعة أكتوبر ١٩٦٥ القانون تفسيرا اشتراكيا فى رأيه ، فيقرر أن واقعية القانون ـ وهى أساس القوانين الاشتراكية ـ تقتضى ألا يوجد الا القانون الوضعى ، وأنه يجب التمييز بين الأفكار التى تعكس جزءا من الواقع الاقتصادى والتى يعبر عنها بالايديولوجية ، وبين الايديولوجية الخاطئة وهى التى لا تعكس أى واقع اقتصادى والتى تحاول أن تكسب لقاعدة القانون صفة مطلقة مطابقة لعدالة ثابتة لا تتغير ••

هذا واذا كان الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية لا يتناول المسائل التى وردت فيها نصوص صريحة فان القارىء ليتساءل عما اذا كانت هذه النصوص داخلة تحت أى من الايدولوجيتين اللتين يتحدث عنهما الكاتب ؟ من الواضح أنه يضعها فى الأيديولوجية الخاطئة •

وفى تحديد النسل ترمى السيدة أمينة السعيد المسلمين بالجهل فى كلمة لها بالمصور ٢٠/١٠/١٩٦٦ فى قولها(••ملايين الجهال فى بلادناهم الذين يرددون أن الله يرسل كل طفل برزقه) • وذلك فى ردها على مشكلة من المشاكل الواردة اليها حول تحديد النسل ، والأهم من ذلك أن هذا

القذف يتعدى الأشخاص الى العقيدة التى يؤمنون بها .

وبالرغم من أن بعض علماء الدين حاول أن يروج للدعوة الى تحديد النسل بتطويعها لبعض القواعد الاسلامية،فان ذلك لم يرض أصحاب هذه الدعوة لاختلاف المبدأ عند كل منهم .

ومما يدل على ذلك أن بعض أجهزة الاتحاد الاشتراكى استنكرت الأسس التى يرتكز عليها الشيخ محمد المدنى فى قوله (ان المقصود بتحديد النسل هو المحافظة على « المستويات » المعيشية ، فقد قال الله تعالى (قل من حرم زينة الله) . وذلك فى اجابة له بالتلفزيون عن كيف تتفق الدعوة الى التحديد مع أن الله هو المتكفل بالأرزاق.. وذكر الجهاز المشار اليه (انه سوف يبدو المقصود من التحديد التمكن من الزينة ، وليس دفع كارثة تهددنا فى أقواتنا وأرزاقنا ..) كذلك اعترض الجهاز المذكور على ما قاله فضيلته ـ بالتلفزيون أيضا ـ من أن مما يساعد على تحديد النسل ألا يقبل على الزواج الا من يستطيع القيام بمسئولياته وان الحديث النبوى يدعو غير المستطيعين الى الصوم والامتناع عن الزواج ... وقرر الجهاز المذكور (ان الدولة لا تدعو الى الكف عن الزواج لما فى ذلك من تهديد للأخلاقيات) (الأهرام ١٩٦٦/٢/٢٧) .

وفى معسكر القيادات النسائية بالاسكندرية سئل الشيخ الشرباصى عن رأيه فى تنظيم النسل بعد أن أصدر مجمع البحوث الاسلامية (عدة قرارات تحرم تنظيم النسل) فرد على ذلك بضرورة التنظيم ، مستشهدا على ذلك بكلمة برناردشو : ان فى لحيتى شعرا غزيرا بينما رأسى أصلع .

كما رد على سؤال بشأن تقييد الطلاق بقوله : (ان مجلس الأمة سيناقش قانون الأحوال الشخصية فى دورته القادمة ، وان الرأى العام النسائى سيكون قوة فعالة فى تطوير هذه القوانين) .. الأهرام ١٩٦٥/٩/٢٢

وفى موضوع تحديد النسل نشرت أخبار ١٩/٩/١٩٦٥ رسالة فى يومياتها يدعو صاحبها الى تحديد النسل ، ويقرر أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) يحذر من كثرته فى قوله : (تردون على حوض يوم القيامة أرسالا وأمما فأقول بعدا بعدا سحقا سحقا) ولم يبين صاحب الرسالة ما اذا كان هذا الحديث يدل على كراهة الكثرة فى ذاتها؟

ويدعو صلاح حافظ الى رفع ولاية الرجل على المرأة بدعوى أنها تحرص على الفضيلة بدافع ذاتى لا أثر فيه للرجل .. (الأخبار ٢١/٩/١٩٦٥) .

وتنال قضية بيت الطاعة الاهتمام من الصحافة والمجلات والتلفزيون.

وقد ألهب هذه القضية المناقشة الدستورية التى جرت أخيرا (فى مارس ١٩٦٧) فى مجلس الأمة حول شرعية القرار الذى أصدره السيد وزير العدل بمنع تنفيذ أحكام الطاعة بقوة الشرطة .

ويحاول بعض المعلقين أو المعلقات أن يستطردوا عند التحدث فى هذه القضية الى مايمكن أن يوصف بأنه حملة موجهة الى الرجال يقوم بها معسكر نسائى متكتل ، ويذكى هذه الروح ما صرحت به سيمون دى بوفوار فى زيارتها لمصر من أن العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم ــ حتى فى هذا العصر الحديث ــ على مايشبه الأسس التى تقوم عليها العلاقة بين الرجل الأبيض والأسود (التلفزيون ، أقوال الصحف ٥/٣/١٩٦٧) .

فاذا أضفنا الى ذلك المبالغات التى يطالب بها بعض السيدات فيماينبغى أن يكون عليه قانون الأحوال الشخصية الجديد (الأهرام الأحد ٥/٣/٦٧) أمكننا أن نقول : ان ذلك كله قد يجر آثارا سيئة على طبيعة العلاقات فى داخل الأسرة المصرية ، وانه من المحتمل أن يجعل الرجال الذين يقدمون على الزواج يفكرون كثيرا قبل اقدامهم على ذلك ، وهذا كله لاتنكر آثاره السيئة على مستقبل

الأسرة المصرية ، وعلى المستوى الأخلاقى العام ..

واذا كان لنا أن نعلق على الغاء تنفيذ حكم الطاعة بالقوة فاننا نتساءل : أى شيء يكفل اذن تنفيذ هذا الحكم ، الذى هو حق مسلم به للزوج بمقتضى عقد الزواج ؟ ان القول بأن حرمان المرأة من النفقة هو نوع من العقاب لها على رفضها الطاعة ، قول مردود ، ذلك لأن الزوجة التى ترفض الطاعة تقرر سلفا — غالبا — استغناءها عن النفقة — فحرمانها منها بمثابة تحصيل للحاصل .

كذلك فأنه فى بعض البيئات التى ما تزال فيها مقاليد الفتاة بيد أسرتها — وهو واقع الأمر فى كثير من المناطق بالوجه القبلى وبعض المناطق الأخرى — يكون تنفيذ حكم الطاعة بالقوة أمرا ترغب فيه الزوجة نفسها نظرا لعجزها عن مقاومة استبداد أسرتها بها .

هذا عن ما يتوقع من آثار هذا القرار فى البيئات المتخلفة ، أما فى البيئات المتقدمة اجتماعيا فانه من المنتظر أن تتضاعف حالات رفض الطاعة فى المستقبل اذا لاحظنا أن الكثيرات كن يتفادين تنفيذ الحكم عليهن بالاستجابة السريعة للحكم الصادر ، بل كن يتفادينه بأن لا يسمحن بأن تتطور خلافاتهن مع أزواجهن الى أن تصل الى أبواب المحاكم ، وفى الاحصائية التى ذكرت على لسان السيد وزير العدل ثم على لسان السيد النائب مصطفى مراد فى المناقشة الدستورية المشار اليها خير شاهد على ذلك .

دكتور يحيى هاشم

مهمة الداعية الإسلامى وتكوينه العلمى

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبى

مهمة الداعية الاسلامى فى الوقت الحاضر مهمة شاقة ، لم تكن فى يوم من الأيام أشق مما هى فى هذا الوقت • فالاسلام يواجه الآن أعداء تسلحوا بأسلحة جديدة ، وتبجحوا بأقوال مخترعة ، ثم أصبح لهم طابور خامس فى صفوف المسلمين •

فالعداوة بين اليهود والمسلمين عداوة قديمة ، وعلى الرغم من أنهم بشروا بنبى الاسلام قبل ظهوره ، ناصبوه العداء منذ وطئت قدماه أرض يثرب ، نافقوه فى محضره ، ودبروا لكيده فى غيبته ، وشاركوه فى بعض حروبه عن بعد وبطأوا المجاهدين عن قرب ، وظلوا طوال ما عاشوا على هذا الأسلوب ، يأكلون من فتات موائد المسلمين ويضعون لهم السم فى الطعام ، لكن اليهود كانوا أمة مشتتة ، تعيش عرضا فى حياة الشعوب ، ولحقا على هامش التاريخ ، أما الآن فأصبحت لهم دولة قائمة فى قلب العالم العربى ، ولاذوا بأقوى دولة فى العالم ، وأكبر أمة تنتج الأسلحة الفتاكة • وعلى طريقتهم المألوفة يكيدون للاسلام كيدا لا ينقطع ، ويتفننون فى أساليب كيده تفننا لا يخطر لغيرهم ببال ، والمذاهب المادية ، عارضها القرآن فى غير آية ، وفند أقوالها فى غير موقف ، لكنها كانت يومئذ تقوم على أشتات من الناس ، يجنح اليها من لم تقو عقولهم على هضم المعنويات ، أما الآن فأصبحت تحت رعاية الدولة الثانية فى العالم سعة وقوة أيضا ، لم يكن ثم من يدعو لها أو ينفق عليها ، ولم يكن حرب القرآن لها الا انارة للعقول ، وهداية للناس الى سبيل الرشاد ، لم يكن

من أعداء المسلمين أمة تدافع عن الالحاد ، أو دولة تدعو الى افكار وجود الله ، لكن الآن أصبح للماركسيين رابطة ، وأصبحت الأموال الطائلة تنفق لاستهواء الناس الى هذا المذهب» والجهود الجبارة تبذل للفت أفراد أو فرد عن دين الاسلام .

والمستشرقون منذ العهد الصليبى يجهدون قرائحهم ويكدون أقلامهم لتشويه الاسلام ودمغه بأشنع العيوب ، وأنكى الاتهامات .

ومن المستشرقين يهود يعملون لأمتهم الناشئة الصغيرة ، وشيوعيون يتقربون الى الدولة الثرية الكبيرة ، وأولئك وهؤلاء لا يفوتهم سلاح النفاق الذى استعملوه فى عهد الرسول .

يتظاهر المستشرق اليهودى بظاهرة التفكير الحر ، ويتذرع لمآربه بذريعة البحث النزيه » ويتظاهر الآخر الماركسى بأنه مسلم حسن الاسلام ، محب للدين الذى يعطف على الفقراء ، وينهض بالضعفاء ، ويسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات كأنه يرى ، ان دعوة الاسلام هى دعوة ماركس ، وليس على تابع محمد الا أن يكون من أتباع كارل .

وبهذه الأساليب لويت أعناق النصوص وحرفت الكلمات عن مواضعها وبها حورت أحداث التاريخ وأسندت الى غير أسبابها ، وكم جرد قوم من فضائلهم وأضيف الى آخرين ما لم يتصفوا به ولا هو من طبائعهم ، وكم دبجت مقالات واخترعت أحداث ، وتؤولت نصوص ، ولعل أصحابها جميعا أعلم الناس بما فيها .

وهناك أيضا مذاهب منحرفة ، منها ما يخلع على بعض المخلوقات صفات الألوهية ، أو يذهب فى وصفهم مذهب المسيحية ، أو يمزج بين الاسلام والوثنية ، وكل واحد منهم جميعا يرى أنه المسلم حقا ، والمتبع للقرآن صدقا ، حتى الذين اتبعوا نبيا كاذبا بعد محمد يزعمون أنهم أتباع محمد .

وهكذا ركام الباطل يلبس أردية الحق ، ولكنها جميعا أصبحت جيشا

مرموقا يهدد كيان الاسلام ، ويعمل جاهدا على تضليل المسلمين .

ودراسة أى من هذه المذاهب تبدى زيفه ، وتبصر الناس بحقيقته ، وتقضى على ما يقوم به أنصاره من ادعاء .

ازاء هذه المذاهب تبدو مهمة الداعية الاسلامى شاقة عسيرة اذ عليه أن يواجه هؤلاء جميعا بسلاحهم، ويخاطبهم باصطلاحهم، فلن يكفوا هجومهم على الاسلام الا بالهجوم على مذاهبهم ، ولا ينقطع نفاقهم الا بكشف حقائقهم أمام الناس ، وعلى ضوء تعاليم الاسلام .

واذن فلابد للداعية الاسلامى من دراسات خاصة نجملها فيما يلى :

١ ـ الدراسة العميقة للدين الاسلامى:

هذه هى الأساس الأول لما يقوم به الداعية الاسلامى ، وهى أمر ليس بالهين ، فالدراسة الاسلامية لاتعنى درس الفقه الاسلامى وحده، ولا درس العقيدة الاسلامية وحدها. مع أن درس أى من هذين يحتاج الى جهد كبير واطلاع منوع ، ولكن لابد من درس التفسير والحديث أدبا ونصوصا، فدرس النص القرآنى يعنى فهمه لغة ودلالة وتحليله بلاغة وأسلوبا ، أما درسه الأدبى فيستعرض جهود المفسرين وطرق دراستهم للنص ، والاسلوب الذى توصلوا به الى فهم ما فهموا أو استخلاص القاعدة التى استنبطوها ، وكذلك الأمر فى دراسة الحديث ، وتزخر المكتبة العربية الآن بفيض من كتب التفسير فى شتى مذاهبه ، ولكن أين هو الداعية الذى عناه درس هذا أو ذاك ؟

بجانب هذا لابد من دراسة التاريخ الاسلامى فى مصادره العربية الأولى ودرس التاريخ الاسلامى يكشف عن كثير من مغالطات المستشرقين وغير المستشرقين ، فهم يتلمسون الجوانب الواهية فيه ، والتاريخ الاسلامى دس فيه كثير من الأحداث ولفقت فيه آراء كثيرة لا أساس لها ،

ومنذ جهد الرسول لعب اليهود والمنافقون دورا واسعا فى تضليل الناس وتحريف النصوص ، ووضع أسباب غير حقيقية للآيات والأحداث جميعا ، ثم جاء الشعوبيون منذ امتداد الفتوحات الاسلامية ، فكثرت زرايتهم على العرب وعبثهم بتاريخ الاسلام ونصوص الاسلام ، حتى أصبح استخلاص الحقائق التاريخية فى بعض الأمور شيئا غير ميسور ولا هين المنال •

ومن الواضح أنه من أوليات هذه الدراسة درس تاريخ التشريع الاسلامى ورجال الفقه من ذوى الاجتهاد أو ممن لهم آراء فى ترجيح رأى على رأى كذلك تراجم الفقهاء والمحدثين ، والبارزين من الصحابة والتابعين •

وأعتقد أن هذا كله داخل فى مناهج كلياتنا الأزهرية لكن لست أدرى الى أى مدى والى أى حد يستوعب ؟ ولكن الذى أعلمه أنى ألاحظ أن المتقدمين الى مسابقات الابتعاث كثيرا ما يبدون خالى الأذهان من هذه الجوانب ، خصوصا الدراسة الأدبية والتاريخية لأى من هذه العناصر التى ذكرت •

٢ ـ درس الديانات الأخرى :

وهو ما يعنى به المقابلة بين الأديان ومقارنة بعضها ببعض ، فنحن درجنا على درس الدين الاسلامى وحده ، وايمانا منا بأن الديانات الأخرى باطلة ، وأن الله تعالى لم يرض غير هذا الدين الاسلامى ، لم يعننا أن نتعرف على دين سواه • والواقع أننا لا نتعرف الديانات الأخرى لنتعبد بها ، ولكن لأن معرفتها مما يفيدنا من طرق غير مباشرة • فموازنة العقيدة الاسلامية بالعقائد الأخرى تكفى وحدها أن تكون برهانا على صحة الاسلام وأن رسالته هى خاتمة الرسالات ، وأنه لا ينبغى أن يوجد بجانبه دين سواه ، ثم ان الثغرات الواسعة التى نجدها فى الديانات الأخرى مما لابد أن يواجه به أعداء الاسلام ، حتى يروا أننا نجرى فى ديننا على منطق سليم لا يوجد فى دياناتهم •

ويتبع درس الديانات الأخرى درس المذاهب الهدامة ، فأتباع الماركسية ينادون بالوفاق بين الماركسية والاسلام ، وبأن ماركس لو كان علم برسالة محمد لاعتنقها لأن دعوته لا تنبو عنها ، فاذا درسنا المذهب وجدنا أنه لا سيرة ماركس ولا أقواله ولا مبادئه مما يرضى منه الاسلام شيئا ، فاذا سلمنا جدلا بأن ماركس كان يرضى الاسلام مذهبا ويقره دينا ، فلم تتبع ماركس وتترك محمدا ؟ أليس الأصل أولى بالاتباع ، أو ليس منهجه أحرى أن يقتدى به ؟

هذه الدراسة تفيد الداعية الاسلامى دفاعا عن دينه وهجوما على خصومه ، ولا يفل الحديد الا الحديد .

٣ ـ دراسة تواريخ الامم التى احتكت بالمسلمين .

وهذا لا يعنى درس تاريخ الفرس والروم فى هذه الفترة دون أمم أخرى فتح المسلمون ممالكها . فالاسلام احتك بالمغوليين ، والأتراك والبربر ، والقوط ، ومسيحيى الغال وروما والبندقية ، ثم احتك بالصليبيين ولحملاتهم خلفيات وراء الاستيلاء على بيت المقدس ، ثم كانت الفتوحات العثمانية فى أوروبا ذات أثر رهيب جعل الامبراطوريات الكبرى الأوروبية تنشىء حلفا ، كان رباطه المسيحية والخوف من تقدم الاسلام .

وشىء آخر له أهميته ، وهو أن انتصارات المسلمين لم تكن معجزات ولم تنزل ملائكة الله تقهر لهم الروم فى مصر ولا البربر فى أفريقية ولا القوطيين فى أسبانيا ، ولو كانت هذه الانتصارات معجزة من السماء ما تراجعت هذه الفتوحات ولا خرج المسلمون من أسبانيا بعد ثمانية قرون ، ولكن ارتفاع الأمم أو انخفاضها أمر يقوم على نواميس طبيعية وقواعد إجتماعية كان من ميزات الاسلام أنه دعا اليها وهدى الى اتباعها ، وقد تنكبت هذه الأمم التى قهرها المسلمون عنها حين تمسك المسلمون بها ، وحين تخلى المسلمون

عنهـا زالت دولتهم وزال ملكهم من بلاد استقرت بها أقدامهم .

ونحن حين نستعرض أحوال هذه الأمم نقدم أدلة مادية على صـلاحية الاسلام وما تقدمه قوانينه للنـاس من من رقى وسعادة .

والأمة أو الأمم التى يحتـك بهـا الاسلام الآن هى الـدول الشيوعية أنهـا تتذرع بدعاوى كاذبة جوفاء ، وتدعى أنها تعمل على اسعاد الشعوب واذابة الفوارق بين الطبقا ت، فمـا مدى ما تسعد به شعوب هذه الأمم وما مدى التقارب ، والاتحـاد بين الطبقات فيها ؟

لاريب أن المـوازنة بين رجـل الشارع فى ظل الحكم الاسلامى ، ورجـل الشـارع فى ظل الحـكم الشيوعى مما يصلح أن يكون ميزانا واضحا فى هذا المجال ، واذن فدرس المـذهب الشـيوعى ودرس آثاره ونتائج تطبيقه مما يعتبر سلاحا قويا بيد الداعية الاسلامى .

د . عبد الجليل شلبى

أخرج عمرو بن ميمون عن أبيـه قال : أتى عمـر بن الخطاب رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين انا لمـا فتحنـا المدائن أصبنا كتابا فيه كلام معجب . قال : أمن كتاب الله ؟ . قال : لا ! فدعا عمر بالـدرة فجعـل يضربـه بهـا ويقول : (الر . تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلنـاه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف آية : ١ ــ ٤ .

ثم قال له : انما أهلك من كـان قبلكم أنهم اقبلوا على كتب علمـائهم وأسـاقفتهم وتركـوا التوراة والانجيـل حتى درس وذهب ما فيهما من العلم .

(أشهر شاهير الاسـلام لرفيق بك العظم ص٤١٤).

حوار ذوى البصائر

للأستاذ السيد حسن ثروت

جرى هذا الحوار بين خطيب عصره (شبيب بن شيبة التميمى) وبين أبى جعفر المنصور سنة ١٢٥ هـ زمن هشام بن عبد الملك ، وكان أبو جعفر حينذاك من رجالات بنى هاشم فى الثلاثين من عمره أديبا أريبا ، عالما لبيبا ، يعد نفسه للخلافة ، وكانت الدعوة العباسية قد تنفست فى خراسان ، واعتنقها كثير من أعداء بنى أمية ، ولها تنظيماتها ودعاتها ونقباؤها كما أعدهم وأرسلهم زعيمهم (محمد ابن على بن عبد الله بن عباس) والد أبى جعفر المنصور • ولكل من هذه الأسماء شأن أى شأن فى شئون الدين والسياسة العربية الاسلامية ، فعباس (١) الذى نسبت اليه الدولة العباسية عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر له التاريخ مواقفه الحميدة الرشيدة فى مناصرة نبى الاسلام ، منها موقفه ليلة (العقبة الأخيرة) فقد شهد لقاء الأنصار وأخذ لابن أخيه منهم ما يضمن له العزة والقوة والنصرة على أعدائه من الكفار وكفار قريش خاصة ، وكان فى ذلك الوقت على دين آبائه ، وكل أمر يعد ذلك كانت تضمره قريش وتتآمر فيه كان عباس ابن عبد المطلب ينهيه الى الرسول الكريم سرا فى المدينة وأسلم قبيل فتح مكة ، وتوفى زمن عثمان بن عفان • أما ابنه عبد الله (٢) فهو حبر قريش وصاحب التأويل فى التنزيل ، وفى خلافة ابن عمه على بن أبى طالب

---

(١) توفى سنة ٣٢ هـ

(٢) توفى سنة ٦٨ هـ

رضى الله عنه كان عاملا على البصرة له ،، وولد له ولد ، فأحضره الى على الخليفة ، فنظر اليه وباركه ودعاه أبا الأملاك وسماه باسمه وأبو الأملاك (على) (١) شهد الأحداث الفاجعة التى جرت لبنى هشام فى عهد يزيد ابن معاوية ، وحين هاجم (مسلم بن عقبة (الرى) المدينة سنة ٦٣ هـ وأسرف فى قتل أهلها ، وأرغم الأحياء منهم أن يبايعوا ليزيد على أن كل واحد منهم قن له الا على بن الحسين ، فقال حصين بن نمير السكونى أحد قواد الجيش ومعه لواء كندة لا يبايع ابن أختنا (على ابن عبد الله) الا على ما يبايع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا ،، فأجيب الى طلبه ، وأعفى على بن عبد الله ، ففخر بذلك قائلا :

أبى العباس قــرم بنى قصى
وأخــوالى الملوك بنــو وليعــه

هم منعــوا ذمارى يوم جــاءت
كتــائب (مسرف) وبنــو اللكيعة

أراد بى التى لا عـــز فيهـــا
فحــالت دونه أيــد منيعــة

وشهد على هــذا حصار عبد الله ابن الزبير لبنى هاشم ضمن خمسة عشر رجــلا على رأسهم محمــد بن الحنفية هــو على بن عبد الله ، وكان كثير الصــلاة حتى لقب بالسـجاد ، أنجب اثنين وعشرين رجلا كانوا زينة الدنيا ، منهم (محمــد) (٢) تحمل زعامة بنى هاشم حين سلم اليه الأمر (أبو هاشم بن محمد بن الحنفية) فقــام بالأمر ، وبعث الشــيعة الى خراسان للانقضاض على بنى أميــة واشتهر من أبنــائه ابراهيم الامام قتله بنو أمية حين أحسوا بخطره ، وأبو العباس السفاح أول خليفة عباسى، وأبو جعفر المنصــور ، وأبو جعفر صاحبنا(٣) أكبر الأبناء غير أنه كان ابنا لأمة ،، فجعلت البيعة لأخويه ابراهيم

(١) توفى سنة ١١٨ هـ
(٢) توفى سنة ١٢٥ هـ
(٣) ولد سنة ٩٥ هـ

والسفاح لخلوص نسبهما من الاماء ، ولهم أخ اسمه (العباس بن محمد) عاش حتى بايع الرشيد .

وهنا نترك الحديث لشبيب التميمي يقص علينا ما جرى بينه وبين المنصور ، وانك لتعجب لحديثه ، فهو من صميم ما يجرى الآن حين يتطلع صحفى لرجل نابه يعد نفسه لزعامة شعبه ، فيجرى معه حديثا ليستشف دخيلة نفسه ، ويتبين مراميه في السياسة ووسائله الى الرئاسة .

قال : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينما أنا مريح ناحية المسجد اذ طلع من بعض أبوابه فتى اسمر رقيق السمرة ، موفر اللحية خفيفها ، رحب الجبهة ، أقنى بين القنا ، أعين كأن عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الأملاك ، بزى النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته ، واللب فى مشيته ، فما ملكت نفسى أن نهضت فى أثره سائلا عن خبره ، وسبقنى فتحرم بالطواف ، فلما سبَّع قصد المقام ، فصلى ركعتين ، وأنا أرعاه ببصرى ، ثم نهض منصرفا ، فكأن عينا أصابته ، فكبا كبوة دميت لها اصبعه ، فقعد لها القرفصاء ، فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع علىّ ، ثم شققت حاشية ثوبه ، فعصبت بها اصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه ، ثم نهض متوكئا علىّ ، وانقدت له أماشيه حتى أتى دارا بأعلى مكة ابتدره رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ، ففتحا له الباب فدخل ، واجتذبنى فدخلت بدخوله ، ثم خلى يدى ، وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما بتمام .. كل هذا وشبيب لا يعرفه . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف علىّ مكانك منذ اليوم ولا ، فعلك بى ، فمن تكون يرحمك الله ــ ؟

قلت : شبيب بن شيبة التميمى .

قال : الأهتمى ؟ ــ نسبة الى الأهتم

من تميم ــ قلت : نعم ، فرحَّب وقرب ، ووصف قومى بأبين بيان وأفصح لسان . فقلت له : أنا أجلك ــ أصلحك الله ــ عن المسألة ، وأحب المعرفة ، ــ وهذه العبارة هى التى أعجبت عشاق الأدب فلا يخلو كتاب قديم منها ــ فتبسم أبو جعفر وقال: لطف أهل العراق ! أنا عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس. فقلت : بأبى أنت وأمى ما أشبهك بنسبك ، وأدلك على منصبك ، وقد سبق الى قلبى من محبتك ما لا أبلغه بوصفى لك . قال أبو جعفر له : فاحمد الله يا أخا بنى تميم فانا قوم انما يسعد الله بحبنا من أحبه ، ويشقى ببغضنا من أبغضه ، ولن يصل الايمان بقلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ، ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه ــ وهذا كلام من صميم الدعوة لبنى العباس ــ قال شبيب فقلت له : أنت توصف بالعلم وأنا من حملته ، وأيام الموسم ضيقة ، وشغل أهل مكة كثير ، وفى نفسى أشياء أحب أن أسأل عنها ، أفتأذن لى فيها ؟ جعلت فداك . قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون ــ (فى ريبة ممن يحادثنا) وأرجو أن تكون للسر موضعا ، وللأمانة واعيا ، فان كنت كما رجوت فافعل . قال : فقدمت من وثائق القول والأيمان ما سكن اليه ، فتلا قول الله تعالى : « قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم » ثم قال : سل عما بدا لك ــ وهنا دارت أسئلة حول السياسة ورجالها ، والخلافة فى بنى أمية ــ قلت : ما ترى فيمن على الموسم ؟ ــ وكان عليه يوسف ابن محمد بن يوسف الثقفى خال (الوليد) (١) فتنفس الصعداء وقال: عن الصلاة خلفه تسألنى أم كرهت أن يتأمر على (آل الله) من ليس منهم . تأمل (آل الله) قلت : عن كلا الأمرين قال : ان هذا عند الله لعظيم ، فأما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه ، فأد ما فرض الله عليك فى كل وقت مع كل أحد وعلى أى حال ،

(١) الوليد بن يزيد ولى الخلافة بعد هشام .

ان الذى ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك فى كتابه بأنه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل الناس ايمانا رحمة منه لك ، ولوفعل ذلك ضاق الأمر عليك ، فاسمح يسمح لك • قال : ثم كررت السؤال عليه فما احتجت أن أسأل عن أمر دين أحدا بعده ــ وهذا يدلك على غزارة علم أبى جعفر وتفقهه فى الدين ــ وهنا وصلا الى موضع السر ، وموطن الخطر • يقول التميمى : يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة • قال : لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها ، فنسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها ، فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها • قلت : أيتخلف أحد من العرب وأنتم سادتها ؟ قال : نعم ، قوم يأبون الا الوفاء لمن اصطنعهم ، ونأبى الا طلبا بحقنا ، فننصر ويخذلون كما نصر بأولنا أولهم ، ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم • قال : فاسترجعت • فقال : سهل الأمر عليك « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » وليس ما يكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم ، وحفظ أعقابهم ، وتجديدالصنيعةلهم ــ وهذه الرحمة من مطلب الدعاية ــ قلت : كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم ؟ قال : نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا ، وبغض الينا الغدر وان كان لنا ، وانما يشذ عنا منهم الأقل ، فأما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم منأنفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسىء ، ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل بأسبابه ، فتذهب المنابزة ، وتخبو الفتنة ، وتطمئن القلوب • قلت : ويقال : انه يبتلى بكم من أخلص لكم المحبة ــ وهذا من شائعات بنى أمية ــ ولذلك لم يفطن أبوجعفر لمراده فقال : قد روى : ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره • قلت : لم أرد هذا • قال : فمه ؟ قلت : تقعون بالولى وتحظون بالعدو • قال : من يسعد بنا من

الأولياء أكثر ومن يسلم لنا من الأعداء أقل وأيسر ، وانما نحن بشر وأكثرنا أذن - بضم الهمزة - ولا يعلم الغيب الا الله ، وربما استترت عنا الأمور فنقع بما لا نريد ، وان لنا لاحسانا يأسو به الله ماتكلم ، ويرم به ما تثلم ، ونستغفر الله فيما لا نعلم ، وما أنكرت من أن يكون الأمر كما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ، ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المدل ، وأخل المسترسل ، وتجانب المتقرب ، ومع الثقة تكون الثقة على أن العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا ، وانك لسئول ياأخا بنى تميم .

قلت : انى أخاف ألا أراك بعد اليوم . قال : انى لأرجو أن أراك وترانى كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت : عجّل الله ذلك. قال: آمين. قلت : ووهب لى السلامة منكم فانى من محبيكم . قال :آمين وتبسم وقال : لا بأس عليك ماأعاذك الله من ثلاث : قلت : وما هى ؟ قال :

١ - قدح فى الدين .

٢ - هتك للملك .

٣ - تهمة فى حرمة .

ثم قال : احفظ عنى ما أقول لك: أصدق وان ضرك الصدق ، وانصح وان باعدك النصح ، ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ، ولا تخذل ولينا فانه منصور . واصحبنا بترك المماكرة ، وتواضع اذا رفعوك ، وصل اذا قطعوك ، ولا تستخف فيمقتوك ، ولا تنقبض فيتحشموك ، ولا تبدأ حتى يبدءوك ، ولا تخطب الأعمال ، ولا تتعرض للأموال وأنا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة ؟ ونهض شبيب لوداعه ، ولكنه قال : أترقب لظهور الأمر وقتا ؟ قال أبوجعفر : الله المقدر الموقت ، فاذا قامت البنوحتان بالشام فهما آخر العلامات . قال : وما هما ؟ قال أبوجعفر : موت هشام العام ، وموت محمد بن على مستهل

ذى القعدة ، وعليه تخلفت، ومابلغتكم حتى أنضيت . يقول شبيب : هل أوصى ؟ قال : نعم: الى أخى ابراهيم. ومحمد بن على والد المنصور وابراهيم والسفاح . ويقصد بنوحتى الشام أن البكاء سيكون على رجلين أحدهما الخليفة وآخرهما عدو الخليفة (محمد العباسى) ولا أدرى كيف صادف هذا القول الواقع ؟ فقد ماتا وأظهر دعاة بنى العباس الدعوة بعنفها وعصفها فى خراسان .

وخرج شبيب بعد اجراء حديثه هذا ، فأرسل أبوجعفر وراءه مولى له حتى عرف منزله ، ثم بعث اليه بكسوة حسنة ، وقال له المولى : يأمرك أبوجعفر أن تصلى فى هذه . وافترقا ولم يلتقيا الا بعد سنوات تغيرت فيها مجريات الأمور . لم يحظ أحد من شيعة بنى هاشم ومن أنصارهم ولا من طلاب الأدب والمعرفة بمثل ما حظى به شبيب ؛ فقد وقف على مكنون سر الخليفة المنتظر ، وكان للأمانة راعيا، وللسر حافظا ، ولم يظهره الا بعد أن أظهره صاحبه ، والمتأمل فى هذا الحوار يرى أبا جعفر رجل دولة من قمة رأسه الى أخمص قدمه، فهو يثق بالنجاح فيما هو مقدم عليه، وقد هيأ نفسه لشئون الخلافة ، وجعل له دستورا يسير عليه ووضع حدودا للأنصار والعمال وشئون الحرب والسلم ، ومعاملة الأعداء بعد أن تضع الحرب أوزارها ، واهتم بمبادىء ثلاثة : الرعاية الدينية ، والحفاظ على الملك ، وصيانة الحرمات ، والمتتبع لسياسة أبى جعفر أثناء خلافته يرى أنه نفذها تنفيذا لا هوادة فيه ، فمن تعرض لهتك ملكة أذاقه وبال أمره ، لايفرق بين قريب وبعيد ؟ فلم تعطفه رحم عمه (عبد الله بن على) ولا بلاء (أبى مسلم الخرسانى) فى خدمة الدولة فى القضاء عليهما ، ولا نذكر ماجرى للعلويين على يديه ، ولا نقض أمان (ابن هبيرة) فذلك شىء يطول ذكره ، وانما نشير الى مدى تمسكه بتلك المبادىء التى أفضى بها الى شبيب التميمى قبل أن يلى الخلافة

بأحد عشر عاما منها سبعة كانت لبنى أمية ، وأربعة (١) لأخيه أبى العباس السفاح ، حتى أثناء خلافة أخيه كان صاحب الرأى والشورى وقيادة الجند على حين كان أخوه الخليفة مع ضعف ميزانية الدولة تتمثل فيه شمائل الترف والسماحة ، فيقبل الفكاهة والعبث من أبى دلامة الشاعر وزوجه .

ونعود الى شبيب ، وهل نسيه أبوجعفر ؟ يقول شبيب : غبت زمنا طويلا عنه ، فو الله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدنيانى منه فى جماعة من قومى لأبايعه ، فلما نظر الى أثبتنى ، فقال : خليا عمن صحت مودته ، وتقدمت حرمته ، وأخذت قبل اليوم بيعته ، فأكبر الناس من قوله ووجدته على أول عهده بى . ثم قال : أين كنت عنى أيام أخى أبى العباس ؟ فذهبت أعتذر . قال : أمسك ، فان لكل شىء وقتا لا يعدوه ، ولن يفوتك — ان شاء الله — حظ مودتك ، وحسن سابقتك ، فاختر بين رزق يسعك ، أو عمل يرفعك . قلت : أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ ، انما نهيتك أن تخطب الأعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال : ذلك لك . ثم قال : هل زدت فى عيالك بعدى شيئا ؟ — وكان قد سألنى عنهم — فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت : الفرس والخادم. قال : قد ألحقنا عيالك بعيالنا ، وخادمك بخادمنا ، وفرسك بخيلنا ، ولووسعنى لحملت لك من بيت المال ، وقد ضممتك الى (المهدى) وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك . وهكذا كان هذا اللقاء والحوار الذى جرى فيه سببا فى رفعة منزلة شبيب وكثرة ماله ، ولما مات المنصور سنة ١٥٨ هـ بقى مع المهدى فى خاصته يزداد رفعة ومالا . ومن المصادفات العجيبة أن اللقاء كان فى موسم الحج ، ووفاة المنصور كانت فى موسمه وهو محرم ، ودفن بالحجون . لقد كان أبوجعفر رجل دولة بنى العباس دون منازع ؟

السيد حسن قرون

---

(١) خلافته (١٣٢ — ١٣٦ هـ) .

محمد إقبال "تحية اليه فى ذكراه"

الداعية الإسلامى المجدد

١٢٨٩هـ - ١٣٥٦

١٨٧٣ - ١٩٣٨م

للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

كان العالم الاسلامى شعوبا وأوطانا فى النصف الأول من هذا القرن يعانى كثيرا من مظاهر التخلف ووطأة الغزو الاستعمارى والفكرى، وقد ظهر فيه مصلحون تنادوا على النهوض به فى كل مجال ، ومن هؤلاء المصلح الشاعر الفيلسوف الداعية المجدد (محمد اقبال) الذى نشأ وبرز فى بلاد الهند .

مولده :

ينتسب محمد اقبال الى أسرة يرجع أصلها الى براهمة (كشمير) وأسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون فى عهد الدولة المغولية على يد الشيخ (شاه همدانى) أحد أئمة المسلمين آنذاك ، ثم هاجر جده من قرية (لوهر فى كشمير) الى مدينة (سيالكوت من ولاية بنجاب) .

وفى هذه المدينة ولد داعيتنا المسلم المجدد من أبوين صالحين تقيين ، اذ كان أبوه متصوفا كادحا فى كسب رزقه عاملا لدينه ودنياه ، وكانت أمه على صلاح وورع حتى انها كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها اذ كان يعمل مع رئيس عرف بأكل الرشوة ، مع أن راتب وظيفة زوجها لم يكن من مال هذا الرئيس ولكن كذلك اقتضاها ورعها .

نشأته ومقوماتها :

وقد تميزت نشأة محمد اقبال بعوامل دفعت به الى ميدان الاصلاح والتجديد فى الفكر والحركة الاسلامية :

(أ) فقد حباه الله تعالى ذكاء نادرا ، وذهنا صافيا ، وعقلا واعيا ، فكانت لهذه المواهب أثرها فى نشأته واتجاهه .

(ب) وتربى فى أحضـان والدين صـالحين انعكس أثر صـلاحها على نشأته وسلوكه فقد كان أبوه يقظا لنبوغ ابنـه يتعهـده بتوجيه الفكر والسلوك معا ، • ومما يذكره عنه الابن مبكرا قوله له حين رآه يكثر قراءة القرآن من صغره (يابنى ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك) وقـد كان اقبال يعـد وصية أبيه هذه له مما أثر فى حياته ، وكان لأمـه وورعهـا أثر كبـير فى سلوك ابنها حتى ليذكر أثرها فيه بقوله (ساميت النجم بتربيتك •• ••• وكان فخر الآباء والأجداد بيتك •••وكانت قدوة فى الدين والدنيا) ؛

وقد كان احسـاس اقبـال بفضل والديه وأثرهما فيه عميقـا فكـان دائم العرفان لهما بالجميـل ويقول فى شعره : (منيتى أن أضع جبينى على أقدام الوالدين) ؛

(جـ) وحين درج فى دور العلم ومراحله صادف كثيرا من الأساتذة الذين كان لهم أثر كبير فى توجيه فكره وسلوكه حتى أنه ليعبر كثيرا بالقول والعمل ــ وهو فى تألق مجده ــ عن فضـل وأثر هؤلاء الأساتذة فيه •

منهم : الأسـتاذ (مـير حسن) الذى كان لهأثره ــ بعلمه وسلوكه ــ فى تربية اقبال وتوجيهه الى مواصلة طلب العلوم الحديثة بجانب العلوم الاسلامية ، وقد أشاد به اقبال كثيرا فى شعره،ولما عرض عليه لقب (سير) اشترط لقبوله أن يمنح أستاذه هذا لقب (شمس العلمـاء) فأجيب الى ما اشترطه •

ومنهم : (السير توماس أرنولد) صاحب كتاب (الدعوة الى الاسلام) فقد تتلمذ عليه اقبال فى الهند وفى انجلترا حتى ان (توماس) اختاره ليخلفه فى عمله بالجامعة حتى اضطر الى الانقطاع عنه بعض الوقت ، ولم يأل اقبال جهـدا فى توثيق صـلاته بالعلماء •

(د) كما نال اقبال اعجاب أساتذته وزملائه وتلاميذه بسعة علمه وكثرة اطلاعه وسـداد رأيه فاتجهت اليه

الأبصار مبكرا ؟ ويصف لنا أمين مكتبة جامعة البنجاب نهم اقبال فى المطالعة فيقول : (انى لم أر أحدا مثل اقبال فى الحرص على مطالعة الكتب والنظر فيها والاستزادة منها) .

وقد حفظ كثيرا من القرآن الكريم ونال حظا كبيرا من الثقافة الاسلامية من كل فروعها ، كما نال قسطا وافرا من الثقافات الأوربية ، وتنقل فى جامعات أوربا ، ونال أعلى الدرجات العلمية .

هذه العوامل كلها : مواهبه ، وبيئته ، وأساتذته ، وقراءاته ، تضافرت على تكوين فكر اقبال وسلوكه .

منهجه فى الاصلاح والتجديد :

جمع اقبال بين ثقافات الشرق والغرب عن بصيرة وتفتح ، ودرس مناهجهما فى الاصلاح ، وعايش المجتمع الشرقى ، بروحانياته ، والمجتمع الغربى بمادياته ، ولم تذب شخصيته فى واحد منهما ، وأحس أن كلا المجتمعين فى حاجة الى اصلاح وتجديد للفكر والسلوك معا .

(أ) لكنه وهو ينهج سبل الاصلاح لم ينشده من خلال سبحات فكرية وأحلام شعرية مجردة يتأملها من برج عاجى أو انعزالى .

كما لم ينهج عمليا خلوا من فكر واضح متبلور فى عقله ونفسه .

وقد بدا له حينا أن يهجر الشعر الذى ضمنه فلسفته فى الاصلاح ، وأن يغامر فيما يغامر الناس فيه .

ولكن أشار عليه بعض أصدقائه وأساتذته — ومنهم توماس أرنولد — أن يدوم على نظمه .

ومن هنا فقد جمع اقبال فى منهجه التجديدى بين الفكر والعمل ، والأمل والجهاد ، والدعوة والاقدام ، فأنتج فى كلا الميدانين الفكرى والسلوكى .

(ب) وكانت دعوته للاصلاح موجهة لكل الناس بعامة وللمسلمين بخاصة ، ويقول فى احدى قصائده: (منيتى أن أكون خادم خلق الله

ما حييت ، لا أتمنى عمرا خالدا) ، وقد علم مواطنوه ذلك عنه حتى انه بعد احدى محاضراته فى مدينة (ميسور) قام أحد الأساتذة الهنادك يعقب عليه بقوله (يقول المسلمون : ان الدكتور اقبالا لهم ، والحق أنه لنا جميعا لا يختص جماعة أو دينا ، فان افتخر المسلمون بأنه أخوهم فى الدين ، فنحن نفتخر بأن اقبالا هندى) .

(جـ) وهو اذ يأخذ بكلا المنهجين الفكرى والعملى فانه كذلك يشارك فى كلا الميدانين باتناجه العقلى العميق والغزير وبجهده الدائب المتواصل حتى الممات .

ففى ميدان (الفكر) كان فكره عالميا جوالا جمع ما شاءت له سعته من معارف الشرق والغرب وأثمر روائع خالدة وآثاراً كثيرة بالانجليزية والفارسية والأوردية ، وترجم كثير منها الى العربية ومن انتاجه : هدية الحجاز ، أسرار الذات ، ما ينبغى أن تعملى يا أمم الشرق ، اصلاح الأفكار الدينية فى الاسلام وهو من أعظم ما كتب اقبال — وهو عبارة عن عدة محاضرات ألقاها فى مدراس وغيرها سنة ١٩٢٨م وجمعت فى كتاب وقد ترجم الى العربية باسم (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام) .

وقد أخذ من التاريخ الاسلامى أمثلة لفلسفته ، وصورا لشعره ، وكان كثير الاقتباس فى شعره وانتاجه من القرآن الكريم حتى لتحس أن القرآن كان على قلبه ولسانه .

وكان فيلسوفا نابغا وشاعرا فذا ظل شعره — وما زال — نشيدا يتردد بين مسلمى شبه القارة الهندية وكان بذلك كله من الذين يظهرون فى مواكب التاريخ الحضارى بين الحين والحين ...

وفى الميدان العلمى شارك كثيرا فى مجالات الاصلاح والنهضة فى بلاده ، وفى كثير من البلاد الاسلامية ، فكان العقل الواعى ، والحركة الدائبة وراء فكرة انشاء دولة باكستان الاسلامية حتى ليقول عنه مؤسسها القائد الأعظم محمد على جناح (كان اقبال لى صديقا ،

واماما ، وفيلسوفا ، وكان فى أحلك الساعات التى مرت بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة لم يزلزل لحظة واحدة قط) ؛ وانتخب فى الجمعية التشريعية بغير عناء ، ولا تزال خطبه ، ونشاطه فيها شاهدا له ؛ واشترك فى عدة مؤتمرات فى أوربا ، كما قدم الى القاهرة سنة ١٩٣١ واحتفلت به مجامعها الدينية والأدبية والعلمية وألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسلمين فى حفل كبير عن (تطور الفكر الاسلامى) ، كما زار الأزهر ، وشهد المؤتمر الاسلامى فى بيت المقدس ، وكان له جهد كبير فى سبيل قضيته وزار أسبانيا ورأى الآثار الاسلامية هناك ومن أعظمها وأخلدها (جامع قرطبة) واستأذن حكومة أسبانيا آنذاك للصلاة فيه ، وصلى فيه ، وكان لذلك روعته وأثره فى نفسه وصداه فى شعره ، وعمل بالتدريس فى كلية الحكومة ثم تركها بعد سنة ونصف واشتغل بالمحاماة بقدر ما يتكسب رزقه فقط ، وكان لا يقبل وكالة فى قضية حتى يعلم أن موكله محق فيها ، وأنه يستطيع أن يأخذ له بحقه ؛ • وقد سأله خادمه يوما عن سبب تركه العمل بالكلية الحكومية فقال له : (ان خدمة الانجليز عسيرة ، وأعسر ما فيها أنى لا أستطيع أن أحدث الناس بما فى نفسى مادمت فى خدمتهم ، وأنا اليوم حر ، ما شئت قلت) ، ومع ذلك لم يقطع صلته عن الجامعة بالعمل فى لجانها ومجالسها ، كما كان له نشاط كبير فى اصلاح التعليم وقد دعى لأفغانستان للنظر فى برامج التعليم هناك وشارك فى تقرير ما يجب عمله وأخذت الحكومة بآرائه ، ثم انه كان فى أوربا كثير التحدث عن الاسلام وثقافته وحضارته ، وألقى كثيرا من المحاضرات فى هذا ونشرتها له الصحف الكبيرة وكان شديد الأسف على جهل أهل الغرب الاسلام والفلسفة الاسلامية •

فلسفته ونظريته فى الاصلاح والتجديد :

١ – موقفه من الحضارة المادية فى أوربا : المتابع لفكر اقبال يرى أنه بدراسته الواسعة للثقافات الأوربية ومعايشته لمجتمعاتها لم يعجب بحضارة أوربا ولم تأخذه بهجرجتها وفيها يقول : يا ساكنى ديار الغرب ليست أرض الله حانوتا ،

ان الذى توهمتموه ذهبا خالصا سترونه زائفا وان حضارتكم ستبخع نفسها بخنجرها ، ان العش الذى يبنى على غصن دقيق لا يثبت) •

٢ ــ موقفه من روحانية الشرق :

دعا فى شعره الى نبذ التصوف الأعجمى الذى يؤدى الى السلبية فى الحياة ، وبشر بالتصوف العملى الذى يدعو الى العمل والجهاد شأن أئمة الصوفية المجاهدين واتخذ قدوة لذلك من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين الذين عدهم نماذج من المتصوفة العاملين لمجد دينهم ومجد الحياة والأحياء •

وقد مجد فى أشعاره الشخصيات الاسلامية الرائدة ، فعد عمر وعليا رضى الله عنهما ممثلين للقوة فى الحق والاستقامة والعدل ، وعد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ممثلة للمرأة المسلمة فى ايمانها وجهادها وعنايتها بتربية أبنائها ورعاية زوجها •

٣ ــ وكانت المشكلة الأساسية عنده هى اعادة بناء الانسان فكان تركيزه فى اصلاحه وتجديده على بناء الشخصية الانسانية على نمط مؤمن حى ، وتمثل هذه الناحية فى فلسفته الاصلاحية نظريته التى أسماها (الذاتية) وكتب فى ذلك كثيرا ، ويعبر عن دوافعه الى هذا الاتجاه فى رسالة وجهها الى ولده وفيها يقول (ان فى عصرنا هذا قحطا فى الرجال ، وعسير فيه الظفر بلقاء رجال الله ، فان تكن سعيد الجد لقيت أحد أصحاب البصائر ، والا فاعمل بهذه النصائح ••) وتتلخص أفكاره فى نظريته هذه فى أن كمال الذات له ثلاث مراحل :

(أ) اطاعة القانون الالهى ، وأن التوحيد المطلق ينفى عن النفس الاستكانة للمخاوف والأطماع •

(ب) وضبط النفس ، ولا يكون الا بنفى الخوف والشهوات ، وأن هدف الانسان الدينى والأخلاقى هو اثبات الذات لا نفيها •

(جـ) والنيابة الالهية بتحقيق الانسان معنى خلافته عن الله فى الأرض ليعمرها باسم الله وحده

فالحياة رقى مستمر ، وجهاد لتحصيل الاختيار ، وهى تسخر كل الصعاب التى تعترض طريقها ، وأن الوقت هو الحياة ، وهذه المرحلة يكون الانسان فيها مسيطرا على العالم ، مسخرا قوى الكون نافخا الحياة فى كل شىء ، ويرد العالم الى الاخاء والسلام .

٤ ــ أما الأمة عنده فلا تنتظم بغير شريعة وسلوك ؛ وهو يرى أن شريعة الأمة الاسلامية هى القرآن ، وأن سلوكها مؤسس على الاقتداء بالآداب المحمدية .

وأركان الأمة الاسلامية عنده هى :

(ا) التوحيد : فهو سر الدين والشرع والحكمة والقوة والسلطان وهو الدواء الذى يميت الخوف والشك ويحيى العمل والأمل ويقهر كل صعب ويذلل كل عقبة فهو الروح فى أمتنا وبه الحياة والقوة ، ومقصد حياة المسلم هو اعلاء كلمة الله ، وتعاليم الاسلام واضحة بينة وهى أن ذاتا واحدة تستحق العبادة ، وأن كل الكثرة التى ترى فى العالم مخلوقة .

(ب) الرسالة الاسلامية الخاتمة : ومقصودها بعد التوحيد المساواة والحرية والأخوة بين بنى آدم حررت الانسان من العبودية لمخلوق مثله أيا كان ورفعت عنه الأغلال ؛ ولا تنتظم أمة بغير شريعة وشريعة الأمة الاسلامية القرآن ، وحسن سيرة الأمة يكون بالتأدب بالآداب المحمدية .

ويرى أن على المسلم اليوم عملا شاقا : عليه أن يعيد النظر فى الاسلام كله دون انقطاع عن الماضى ؛ وهو بذلك يرى أنه مع ضرورة مراجعة المسلم دائما لقضايا الاسلام وفهمها والتيارات الفكرية التى ترد اليها أو تصدر عنها فانه لابد مع هذا أن يكون هذا الاجتهاد مؤسسا على النظر للاسلام كله ، والبناء على الماضى دون ما انقطاع عنه حتى تتصل الحلقات الحضارية للفكر الاسلامى ولا تنبت فروع عن جذورها .

لقد ظل اقبال طول حياته ينفث فى النفوس حياة وقوة واباء وجهادا ودعوة الى الحرية وثورة على الجبروت وايقاظا للمسلمين خاصة

وتبصيرا لهم بمكانهم فى هذا العالم ومكانتهم فى تاريخه وحضارته ولقد ترك وراءه صدى واسعا ولا يزال الباحثون والمصلحون يجدون فى فكره وحركته التجديدية ما يشغل أقلامهم ويبين لهم عن سبل الاصلاح ،، يقول عنه أحد معاصريه وهو مولانا أسلم الجراجبورى : ان اقبال أعظم شعراء المسلمين ، ان كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية ، ولقد هدى ناشئتنا سواء السبيل ، ان اقبالا حذق علوم الغرب ، ثم أبلغ المسلمين الرسالة التى بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته وملأت قلوب الشباب الغافل النائم بحب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ،، .

تحية الى اقبال فى ذكراه وسلام عليه فى الدعاة العاملين ؟

د. حسن عيسى عبد الظاهر

عن الأسود بن أبى يزيد قال : كان الوفد اذا قدموا على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — سألهم عن أميرهم فيقولون : خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم : فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ! فيقول : كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه ؟ فان قالوا لخصلة منها : لا ، عزله !!

الطبرى جـ٥ ص ٣٣

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

— ١١ —

انتهينا فى العـدد السـابق من الكلام عن نظام الملـكية ونبدأ فى هـذا العـدد الكلام عن الجرائم والعقوبات فى الشريعة الاسلامية .

تحـرص كل المجتمعات على أن توفـر الاسـتقرار والأمن لجميـع أفرادها بصرف النظر عن جنسياتهم أو مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية ولذلك تضـع كـل دولة قانونـا للعقوبات يحدد على سبيل الحصر كل ما يعتبر جريمة ويحـدد عقوبة لكل جريمة من هـذه الجرائم طبقا للمبدأ السائد فى جميع التشريعات الوضـعية « لاجريمـة ولا عقوبة الا بنص » فكل فعل غـير وارد فى قانون العقـوبات لا يعتبر جريمـة ولا يعـاقب مرتكبه مهمـا كانت الأضرار النـاتجة عنـه ولا تسـير المجتمعات الحديثة وفق قاعدةمعينة فى تحديد الجرائم والعقوبات بل يتم وضع جـداول الجرائم والعقوبات وفق أهواء الحـكام والمصالح التى يرون هم حمـايتها ولذلك نجـد التفـاوت الـكبير بين العقـوبات عن الجريمة الواحـدة فى قوانين عـدة دول فنجد مثلا انتقاد نظام الحكم فى دولة من الدول لا يـكون أى جريمة على الاطلاق بينما يعتبر ذلك جريمـة كبرى تصـل عقوبتهـا الى الاعدام فى دولة أخـرى ونجد أن عقوبة السرقة تختلف من دولةلأخرى بل تختلف فى نفس الدولة الواحدة تبعـا لملكيـة الشىء المسروق وما اذا كان مملوكا للدولة أو الأفراد مع أن السرقـة أمر واحـد مهما اختـلف الزمان أو المـكان أو مالك الشىء المسروق ، كذلك نجدأن بعض الأفعال

تعتبر جرائم فى دول ولا تعتبر كذلك فى دول أخرى مثل ارتكاب الأفعال الفاضحة فى الطريق العـام كما أن نفس الفعل يعتبر جريمـة فى وقت أو ظرف معين ولا يعتبر نفس الفعل جريمة فى وقت آخر،فزنا الزوج فى القـانون المصرى لا يعتـبر جريمة ولا يعاقب عليه الا اذا تم فى منزل الزوجية ، ولا يعاقب عليه اذا تم فى أى مكان آخر ، والفتـاة التى تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما لا تستطيع قانونا أن تبيع أو تتنازل عن أى شىء مملوك لهـا بينمـا تستطيع أن تبيع وأن تتنازل عن عرضـها وعذريتها ولايكون ذلك جريمة، وتحدد بعض التشريعات هـذه السن بستة عشر سنة فقط . وجريمة القتل مع أنهـا واحدة أيضا بالنسـبة لجميع بـنى الانسان نجـد أن بعض التشريعات تحرص على ألا تعاقب القاتل بالاعدام بينما تفـرق تشريعات أخـرى فى العقوبة تنيجة وسيلة القتل العمـد فتقضى بالاعدام ان كان القتل بالسم، أومع سـبق الاصرار والترصـد ، ولا تقضى بالاعدام فى غير ذلك من حالات القتل العمد مع أن القاتل فى جميع هـذه الحالات متعمد للقتل ، كذلك لا تعـاقب بعض التشريعات بالاعـدام جزاء على القتـل العمد الا اذا كان القتل بدافع سياسى ، بينما تأخذ بعض التشريعات بوجهـة نظر مضادة فتقضى بالاعدام فى كل قتل عمد الا اذا كان الدافع له سياسـيا فتجعـل العقـوبة الأشغـال الشـاقة المؤبدة فقط ، وتأخذ دول أخـرى بوجهة نظر أشد غرابة فتقضى بالاعدام على مجرد الاتفاق على ارتكاب جريمة القتل متى كان الدافع لذلك دافعـا سياسيا ولو لم يتم ارتكاب الجريمة أصلا ، ولا يخلو أى تشريع وضعى من هذه التناقضات الواضحة والتى يرجع سـببها الى هوى الحـكام وما يبتغون حمـايته من مصـالح وما يعتقدونه فى صـالح مجتمعاتهم ودرجة فهمهم لمعانى الحرية والعدالة حـتى أن بعض التشريعات تعاقب على الشروع أو الاتفاق على ارتكاب بعض الجرائم ولو لم يتم ارتكابها .

والى جانب هذه التناقضات التى أوردنا أمثلة محدودة لهـا نجد أن

هناك تناقضا واضحا وقعت فيه جميع التشريعات الوضعية ولم يتخلف منها عن هذا التناقض تشريع واحد فكل هذه التشريعات اهتمت بتعداد الأفعال المعتبرة جرائم وتحديد عقوباتها ، وأهملت الدوافع والعوامل المساعدة على ارتكاب هذه الجرائم فمثلا تعاقب معظم التشريعات على السكر ، وارتكاب الفواحش بقيود معينة والسرقة والقتل بينما تهمل الدوافع المحرضة على ذلك مثل: اباحة تصنيع الخمر والاتجار فيها وجعلها فى متناول الجمع ، واباحة الاختلاط وعرض الأفلام الجنسية المثيرة لكافة الغرائز والشهوات ، وعدم مراعاة التوافق المطلوب بين دخول الأفراد والحدود الدنيا اللازمة لنفقات المعيشة ، وتدبير مورد رزق لكل محتاج غير قادر على الكسب ، فكل التشريعات الوضعية لا ترى فى هذه الدوافع ووسائل التحريض أكثر من مجرد ظرف مخفف للعقوبة فقط للقاضى أن يأخذ به أولا يأخذ به حسب وجهة نظره وحده دون أى معقب عليه فى ذلك .

وأخيرا نجد أنه من التناقضات الكبيرة أيضا هذه الحصانة التى تفرض لبعض الأفراد والتى تمنع من رفع الدعوى عليهم الا بعد استئذان جهات معينة قد تسمح وقد لا تسمح فلا يقعون تحت طائلة العقاب مهما ارتكبوا من جرائم ،وحق العفو الذى بيد الحاكم والذى يملك بموجبه تعطيل حكم القضاء ضد أى مجرم فيمنع من تنفيذ العقوبة وأحيانا قد يتوسع الحاكم فى ذلك فيصدر عفوا شاملا يصبح بعده المجرم الجانى كأنه لم يرتكب جرما ولا اثما وليذهب المجنى عليه بعد ذلك الى الجحيم ، كما قد ينتهز الحاكم بعض المناسبات للافراج عن بعض المجرمين الذين لم يقضوا بالسجن كامل المدة التى عوقبوا بقضائها فى السجن على ما ارتكبوه من جرائم .

وفيما يتعلق بالعقوبات التى يحكم بها فى ظل التشريعات الوضعية فاننا نجد أنها تنحصر بين الاعدام والسجن ، أو الحبس والغرامة .

واذا ما دققنا النظر فى عقوبة الاعدام فاننا نجد أحيانا أن هذه

العقوبة تفرض فى غير قتل حقيقى وأحيانا لا تفرض وهناك قتل حقيقى وقد عانينا من هذه العقوبة فى مصر وطريقة فرضها فكم أعدم من أبرياء لغير جريمة تستوجب ذلك فى ظل الحكم السابق على ثورة التصحيح التى قادها الرئيس المصرى محمد أنور السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١

وأما عقوبتا السجن والحبس فتعنيان وضع المحكوم عليه فى مكان أمين مستوف للاشتراطات الصحية يختلط فيه بمجرمين آخرين قد يكونون من العتاة فى الاجرام وتصرف له فيه كميات معينة من الطعام لا تقل فى كمياتها ونوعياتها عن الغذاء الرئيسى لمعظم الناس كما يلقى فى هذا المكان العلاج اللازم ويسمح له فى السجن بالقراءة والكتابة والتدخين بقيود معينة ، وعموما قد تكون الحياة فى هذا المكان الأمين من ناحية نظافة المكان وأسلوب المعيشة أحسن بكثير من المكان الذى كان يعيش فيه المجرم قبل دخوله السجن خاصة بعد أن تزايدت صيحات الكتاب والمفكرين فى جميع أنحاء العالم بأن المجرم يعتبر شخصا مريضا يستحق العلاج والعناية بصرف النظر عن جريمته وآثارها ، وبعد أن أصبحت حكومات كثيرة تتفاخر بما أحدثته من تطوير فى سجونها يحقق الرفاهية للمسجونين فنسمع عن السماح لهم بالاستماع الى برامج الاذاعة ومشاهدة برامج التلفزيون ، واضاءة غرفهم بالكهرباء وزيادة مقادير اللحوم التى تقدم لهم فى وجباتهم الغذائية .

واما الغرامة فهى مبلغ من المال يحكم به على المجرم ويذهب بأكمله الى الدولة ولا يؤول منه شىء الى المجنى عليه، أوورثته الذين عليهم ان أرادوا تعويضا ماليا أن يطالبوا به الجانى . وهذه الغرامة باعتبارها دينا مستحقا للدولة تعتبر من الديون الممتازة التى تتقدم عن التعويض المستحق للمجنى عليه أو ورثته وتستوفى أولا من أموال الجانى فان لم تف أمواله بدفع الغرامة والتعويض معا قامت الدولة بتحصيل الغرامة ولا شىء بعد ذلك للمجنى عليه أو ورثته .

كذلك تأخذ جميع الشرائع الوضعية بمبدأ سقوط كل من الجريمة والعقوبة بالتقادم فتقضى بأنه اذا مضت مدة معينة على ارتكاب الجريمة ولم ترفع الدعوى ضد الجانى فانه يمتنع بعد ذلك رفع الدعوى عليه ، واذا حكم عليه بالعقوبة واستطاع الهرب مدة معينة ثم ظهر بعد ذلك فانه يمتنع تنفيذ العقوبة المحكوم بها عليه بعد مضى هذه المدة .

هذه هى أهم المبادىء والأسس التى يقوم عليها التشريع العقابى فى جميع الشرائع الوضعية .

اذا ما انتقلنا بعد ذلك الى بحث الوضع فى الشريعة الاسلامية فاننا نلاحظ أنها تهتم بتكوين المجتمع النظيف الذى يأمن فيه كل فرد على نفسه وماله وعرضه ودينه وعقله وهذه الأمور الخمسة هى مقومات الحياة وهى ما يعبر عنه فى الاصطلاح الشرعى بالضرورات الخمس أو المصالح المعتبرة فى الاسلام ، فكل ما يتخذه الحاكم من اجراءات لحمايتها يعتبر جائزا شرعا متى كانت هذه الاجراءات لا تكون مخالفة لأصل من أصول الشريعة . ولذلك لا يقتصر اهتمام الشريعة الاسلامية على مجرد تعداد الجرائم وتحديد العقوبات ولكنها تحرص قبل ذلك على تهيئة المناخ للحياة الفاضلة ولذلك حرصت الشريعة على التمسك بكل مكارم الأخلاق من تعاون وتعاطف وتراحم بين الأفراد الى جانب حظر كل ما يمكن أن يؤدى أو أن يكون سببا لارتكاب الجريمة فلا تقتصر أحكام الشريعة الاسلامية على العقاب على شرب الخمر وانما تمنع تصنيع الخمر وبيعها وتعتبر ذلك جريمة من الجرائم ولا تقتصر على العقاب على الزنا وانما تضع قيودا على اختلاط الرجل بالمرأة الأجنبية وتضع قيودا على رداء المرأة بل وعلى طريقة كلامها ومشيتها وزينتها ولا تقتصر على تحريم السرقة والعقاب عليها وانما تلزم الأغنياء بمساعدة الفقراء وتفرض الزكاة وتحصلها جبرا من المتمنعين عنها وتجعل لكل فقير ومحتاج حقا فى النفقة تؤديها له الدولة كما تحرم ألعاب القمار والربا وغير ذلك من

وسائل أكل أموال الناس بالباطل وهذا قليل من كثير تفرضه أحكام الشريعة الاسلامية لخلق المناخ الملائم لتكوين المجتمع الفاضل النظيف الى جانب العبادات المختلفة من صلاة وصوم وزكاة وما تؤدى اليه من النهى عن كل فاحشة ومنكر •

ولا يأخذ التشريع الاسلامى بهذا التعداد للجرائم كما تذهب الى ذلك الشرائع الوضعية ذلك أن وسائل ارتكاب الجرائم تتطور وتتجدد مع التقدم العلمى ولا يمكن حصرها كما أنه ليس من المتيسر فى المجتمعات الحديثة وخاصة التى تتبع النظم الديمقراطية فى حكمها أن تقوم فى أوقات متقاربة بتعديل قوانين العقوبات بها باضافة نصوص جديدة عن أنواع جديدة من الجرائم •

ولذلك فان التشريع الاسلامى يضع قاعدة عامة لتحديد ما يعتبر جريمة من الجرائم فيعرف الجريمة بأنها : ارتكاب كل فعل محظور منهى عن اتيانه أو الامتناع عن القيام بأى فعل مأمور به فالجريمة فى الشريعة الاسلامية قد تكون ايجابية كالقتل والسرقة والزنا وقد تكون سلبية كالامتناع عن سداد الزكاة ومصدر معرفة ما هو مطلوب عمله وما هو مطلوب الامتناع عنه هو الكتاب والسنة مع مراعاة القاعدة العامة فى النهى عن الفساد فى الأرض والاضرار بالناس وبذلك فان كل اعتداء على النفس أو العقل أو المال أو العرض أو الدين الاسلامى يعتبر جريمة معاقبا عليها فى الشريعة الاسلامية • ومع ايجاد كل الوسائل لخلق المجتمع الفاضل والنفوس القويمة فانه لا يوجد أى عذر لأى فرد للخروج عن تعاليم الاسلام والسعى للفساد فى الأرض والاضرار بالناس فان مثل هذا المخلوق غير جدير بأى عطف ولا يستحق أى رحمة ولذلك وجبت وقاية الناس منه فهو كالورم الخبيث يجب استئصاله لينجو باقى الجسد من خطر الهلاك ولذلك كانت العقوبة فى التشريع الاسلامى عقوبة رادعة تحقق الغرض منها فى وقاية المجتمع من هذه القلة المنحرفة وتخويف هذه القلة من آثار اجرامها لعلها تعاود التفكير فتقلع عن

تدبيرها فتنجو من العقاب وينجو الآخرون من شر هذا التدبير •

وفى نفس الوقت « ان الله لا يظلم مثقال ذرة ـ النساء ٤٠ » ولذلك فان العقوبة فى تشريع الله يجب أن تكون عادلة الى أقصى درجة من درجات العدالة ولذلك تتميز العقوبة فى الشريعة الاسلامية بأنها رادعة وفى نفس الوقت عادلة وهاتان الميزتان لا يمكن اطلاقا توفيرهما فى أى تشريع وضعى •

ولذلك فالأصل فى العقوبة فى الشريعة الاسلامية هو القصاص أى أن ننزل بالجانى من العقاب مثل ما أنزله بالمجنى عليه لقوله تعالى « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ـ النحل ١٢٦ » وقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ البقرة ١٩٤ » •

فالعقوبات الاسلامية بشكل عام أساسها المساواة بين الجرم وعقابه ولذلك تسمى قصاصا فمن قتل انسانا عوقب بالقتل ومن فقأ عين انسان فقئت عينه وهكذا •

وهذه القاعدة تتميز بالفاعلية فى الردع ؛ لأن من يقدم على قتل أى انسان حينما يعرف أنه سيقتل عندما ينكشف أمره لا بد وأن يتردد فى ارتكاب القتل ويعدل عن جريمته وفى ذلك أكبر وقاية للمجتمع على عكس ما لو عرف مقدما أن النتيجة هى مجرد البقاء فى السجن بضع سنين وتتميز بجانب ذلك بشفاء نفس المجنى عليه وشفاء نفس ذويه فمن فقئت عينه لا يشفى قلبه أن يقضى الجانى بقية عمره فى السجن ولا أى مال يدفع له مهما كان قدره ولكن يشفى قلبه أن يجد الجانى مفقوء العين بعد ذلك ولذلك لا يوجد أى مجال للثأر فكأن قاعدة القصاص يترتب عليها الاقلال من ارتكاب الجرائم فى بادىء الأمر فاذا ما ارتكبت احدى الجرائم رغم ذلك لم يكن هناك مجال لارتكاب المجنى عليه أو ذويه أى جريمة للثأر من الجانى •

والقصاص لا يتصور الا فى جرائم الاعتداء على النفس بالقتل أو الجرح أو الضرب أما غير ذلك من صور الاعتداء فلا يتصور فيها القصاص

فلا يمكن معاقبة السارق بالسرقة ولا يمكن رد الاعتداء على العرض باعتداء مماثل لأن القاعدة أن « المعصية لاتقابل بالمعصية » ولذلك نص القرآن الكريم والسنة النبوية على جرائم معينة بالذات وتحددت لها عقوبات محددة لا يسمح بالتجاوز عنها ؟ أو التخفيف أو التشديد فيها مهما كانت الظروف ومهما تغير الزمان والمكان ، ومهما كانت شخصية مرتكبيها وهذه الجرائم هى الردة (الارتداد عن الدين الاسلامى) وقطع الطريق والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر ، ويطلق على هذه الجرائم جرائم الحدود وهى تمثل أكبر درجات الاعتداء على المصالح المعتبرة فى الاسلام وفيما عدا جرائم القصاص وجرائم الحدود فقد تركت الشريعة الاسلامية لولى الأمر تحديد الجرائم وفرض العقوبات التى تتناسب معها وتسمى فى الاصطلاح الشرعى بجرائم التعزير وهومقيد فى ذلك بأحكام الكتاب والسنة فى تحديد ما أمر الله به وما نهى الله عنه فهو لا يستطيع مثلا تحريم الطلاق أو تعدد الزوجات مهما كانت الدوافع على ذلك كما أنه عند تحديد العقوبة مقيد بأن تتناسب مع الجريمة وأن تكون العقوبة رادعة ومن شأنها منع الفساد فى الأرض فلا يعاقب على المخالفة الصغيرة بعقوبة غيظة ولا يعاقب على جناية كبيرة بعقوبة خفيفة وهو مقيد أخيرا بأن يكون الباعث على العقوبة بالتعزير حماية مصلحة عامة للمسلمين لا حماية مصلحة خاصة به أو تحقيق شهوة خاصة له باسم المصلحة العامة .

والأصل فى عقوبات التعزير أنها تكون عددا من الضربات على جسم الجانى بحيث لا يترتب عليها هلاكه ولكن لايوجد ما يمنع من أن يكون التعزير بالحبس أو النفى أو القتل أيضا حسب ما يقتضيه الأمر .

وسنتكلم فى الأعداد القادمة بالتفصيل عن كل من جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير .

والشريعة الاسلامية لا تلجأ أصلا الى عقوبة الحبس أو السجن كعلاج

للجريمة ففى جرائم الحدود وجرائم القصاص لا توجد عقوبة الحبس اطلاقا والحكمة فى ذلك أن فى السجن يزداد المجرم معرفة بفنون الجريمة وتتوثق علاقاته بغيره من المجرمين معتادى الاجرام وتهدر آدميته ويخرج من السجن أكثر ضراوة وأكثر استعدادا للجريمة ولذلك فانه ليس من المستغرب أن نسمع بين وقت وآخر بالقبض على سارق سبق له دخول السجن عشرات المرات والقبض على مجرمين ارتكبوا الجريمة فى اليوم التالى للافراج عنهم مباشرة ، هذا الى جانب أن الحياة فى السجون كما سبق أن قلنا قد لا تؤلم الكثيرين من معتادى الاجرام فلا يكون فى بقائهم فى السجن أى رادع لهم ، وأخيرا لاننسى من يعولهم الجانى ، كيف يعيشون اذا كان هو العائل الوحيد لهم وليس فيهم من هو قادر على الكسب ، انهم لاشك سينحرفون فى هذه الأحوال وستزيد قائمة المجرمين بعددهم ، كل ذلك الى جانب مايتكلفه انشاء السجون وحراستها والحياة فيها من أموال ولذلك حرص التشريع الاسلامى فى جرائم القصاص والحدود على عدم فرض هذه العقوبة على الاطلاق فمن يسرق تقطع يده ويعود الى عمله وهو لا شك سيفكر ألف مرة بعد ذلك اذا أراد أن يعود الى السرقة ، ومن شرب الخمر يجلد ثمانين جلدة ثم يرتاح فى منزله بضعة أيام تزول فيها آثار الضرب ثم يعود الى عمله لا يفكر أن يعود الى شرب الخمر مرة ثانية لأنه سيتذكر آلام الضرب فى كل وقت ، ولو أنك خيرت انسانا عاديا بين أن يجلد على ذنب ثم يعود بعدها الى عمله وأسرته وبين أن يسجن فلا شك أنه سيختار العقاب بالجلد وسيفضله عن السجن عشرات المرات ولذلك فان العقوبات الاسلامية الى جانب أنها تتميز بالعدالة والفاعلية فى الردع فانها تتميز بمراعاة الجانب الاقتصادى والاجتماعى ، فهى لايترتب عليها أى تعطيل للأفراد كقوى انتاجية ولا يترتب على تطبيقها تعريض بعض أفراد المجتمع للانحراف أو دفعهم

الى الجريمة نتيجة حبس عائلهم وبعده عنهم كذلك لا تعتبر العقوبات الاسلامية قاسية اطلاقا ؛ لأن كل فرد يستطيع أن يتجنبها بعدم ارتكاب الجريمة الموجبة للعقاب فالسارق هو الذى يتسبب فى قطع يده والزانى هو الذى يتسبب فى جلد نفسه أو رجمها وهكذا بالنسبة لجميع العقوبات .

ولا يعاقب على الجريمة فى الشريعة الاسلامية الا الجانى وحده ولو تعدد الجناة لعوقبوا جميعا بنفس العقوبة كما لو كان الجانى شخصا واحدا فلو اشترك مائة فرد فى قتل فرد واحد لعوقب المائة بالقتل فالاشتراك لا يخفف العقاب على المشتركين فى الجريمة ، كذلك لايمكن أن يتناول العقاب من ليس له اتصال بالجريمة .

والجرائم قد ترتكب بفعل ايجابى وقد ترتكب بالترك فالقتل قد يتم بالاعتداء بآلة تستخدم فى القتل وقد يتم بترك المجنى عليه دون ماء أو طعام وفى كلا الحالين يحاسب الجانى عن فعله الايجابى أو تركه المقصود ، لأن العدوان ظاهر فى كلا الحالين فلا فرق فى الشريعة الاسلامية بين الجريمة الايجابية والجريمة السلبية وعقوبتهما واحدة متى توفر قصد العدوان .

وتنقسم الجرائم الى جرائم مقصودةأو عمديةوجرائم غيرمقصودة أو خطأ . والجرائم المقصودة هى الجرائم التى يباشرها الشخص متعمدا ومريدا لها عالما بالنهى عنها وبأنها معاقب عليها فلابد أن تستوفى ثلاثة عناصر : هى العمد والارادة الحرة المختارة لفعلها والصادرة عن شخص مميز والعلم بالنهى عنها وعلى ذلك فجرائم الصبى والمجنون لا تعد عمدية ولا تجرى عليها أحكام الجرائم . ومتى تخلف أحد هذه العناصر الثلاثة تعتبر الجريمة غير مقصودة .. أى خطأ فلا يعاقب فى هذه الحالة بالقصاص أو الحد وانما يعاقب على الاهمال وعدم الاحتياط الى جانب العقوبات المالية .

وقد تتم الجريمة بالمباشرة وقد تتم بالتسبب فقد يأتى الجانى الفعل المنتج للقتل بنفسه وفى هذه الحالة يكون القتل بالمباشرة وقد لا يأتى الفعل بنفسه ولكن يرتكب فعلا آخر يكون سببا فى القتل فقد يشهد زورا ضد أحد الأفراد شهادة تؤدى الى اعدامه وتنفيذ حكم الاعدام فيه فهذا الشاهد يعتبر قاتلا بالتسبب • وقد اختلف الفقهاء فيما اذا كان يعاقب مرتكب الجريمة بالتسبب بنفس العقوبة فى حالة المباشرة فالحنفية لا يساوون فى العقوبة بين المباشرة والتسبب ، وكذلك الشافعية أما المالكية والحنابلة فيعتبرون الحكم واحدا فى المباشرة والتسبب على حد سواء وهو ما نميل الى الأخذ به •

وبالنسبة للمسئولية الجنائية أى المسئولية عن نتائج الفعل المكون للجريمة فان مناط ذلك هو الفعل والارادة الحرة المختارة ولذلك أجمع الفقهاء على أن الشخص الكامل العقل صاحب الارادة الحرة الذى يعلم نتائج عمله ويرتضيها يعتبر مسئولا مسئولية كاملة عن فعله ويعاقب على جريمته بكافة العقوبات سواء كانت مالية أو بدنية بالقصاص أو الحد ولذلك يشترط فى الجانى أن يكون بالغا عاقلا حيث قام التكليف فى الاسلام على العقل الكامل لا على مجرد التمييز لقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاث : عن الصغير حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق » فالاسلام لم يجعل لهؤلاء خطابا بالأمر والنهى وبذلك يسقط التكليف عنهم فلا يصح أن يوصف الفعل منهم بأنه معصية أو جريمة لأن أساس الجريمة أن يكون الفاعل له قصد كامل يعرف به ما يفعله ونتائج فعله وأن يكون قاصدا تحقيق هذه النتائج •

أما الاكراه عند الحنفية فلا يسقط التكليف ولا يتنافى مع الاختيار وان كان يتنافى مع الرضا فالمكره يختار ارتكاب الفعل ليتفادى الأذى المهدد به ولكنه لا يقبل نتائج هذا الفعل • ولذلك فهم يفرقون بين

نوعين من الاكراه فالاكراه التام (أو الاكراه الملجىء) وهو التهديد بالقتل أو اتلاف أحد الأعضاء أو كل المال يعدم الرضا ويمنع مسئولية المكره ، ويكون المكره وحده هو المسئول أما الاكراه الناقص (أو الاكراه غير الملجىء) كالتهديد باتلاف بعض المال أو بضرب لا يتلف النفس أو الأعضاء فلا يفسد الاختيار ويظل المكره فى هذه الحالة مسئولا الى جانب المكره . أما غير الحنفية فلا يفرقون بين الاكراه الملجىء والاكراه غير الملجىء فكل أنواع الاكراه تعدم الرضا وترفع المسئولية ونرى الأخذ بمذهب الحنفية من أن الاكراه غير التام لايسقط أىعقوبة لوجود القصد التامالمختار من الفاعل حيث اختار لنفسه أخف الضررين فى نظره فليتحمل نتيجة هذا الاختيار أما الاكراه التام فى الأفعال فهو الذى يسقط المسئولية اسقاطا كاملا فى بعض الأحوال ولا يسقطها من كل الوجوه فىأحوال أخرى وذلك حسب الجريمة المرتكبة تحت تأثير الاكراه .

ويأخذ حكم الاكراه فى عدم المسئولية عن الجريمة حالة الدفاع عن النفس أو المال فحالته تشبه حال المكره فاذا كان الاكراه الملجىء من شأنه اسقاط العقوبة فالأولى اسقاط العقوبة عمن منع الجريمة عن نفسه اذا لم يكن أمامه من سبيل لدفع الأذى عن نفسه الا بارتكاب ما ارتكب . والدفاع عن النفس أو المال لا يسقط العقوبة فقط بل يسقط الجريمة أيضا لأن الدفاع عن النفس والمال أمر واجب لقوله صلى الله عليه وسلم : « من مات دون ماله فهو شهيد » .

وبالنسبة لسريان قواعد التجريم والعقاب الاسلامية فى الأقاليم المختلفة فانه يلاحظ أن العقوبات الاسلامية تنقسم الى قسمين :

قسم حددته النصوص الشرعية فى الكتاب والسنة وهى جرائم الحدود والقصاص وهذا القسم عام ونافذ فى جميع الدول الاسلامية وعلى جميع من يعيشون فيها من أفرادوجماعاتمهما اختلفتجنسياتهم وأديانهم فيما عدا عقوبة شرب الخمر

فهى لا تطبق بالنسبة لغير المسلمين عند أبى حنيفة ، ويخالف فى ذلك الشافعى ونرى الأخذ برأى الشافعى فى وجوب اقامة حد شرب الخمر على غير المسلم متى شربها فى بلد اسلامى لأن حدود الله قد وضعت لنظام الجماعة ولتكوين المجتمع الفاضل والفساد الناتج عن شرب الخمر لا يقتصر أثره على شارب الخمر بل يتعداه الى غيره لا فرق فى ذلك بين مسلم وغير مسلم .

أما القسم الثانى من الجرائم والعقوبات فهو جرائم التعزير وهذا القسم لا يلزم أن يكون واحدا أو متماثلا فى جميع الدول الاسلامية ولذلك يصح أن يكون لكل دولة فيها نظامها الخاص فى تحديد هذه الجرائم وعقوباتها بشرط أن تكون الجريمة معصية ثابتة شرعا ، وأن تكون العقوبة مناسبة للجريمة ومانعة لها فترك الزكاة مثلا يعتبر جريمة فى جميع الدول الاسلامية ولكن يمكن أن يختلف العقاب على تركها من دولة لأخرى حسب ظروف كل اقليم .

وأخيرا فان التشريع العقابى الاسلامى يخضع له جميع الأفراد المقيمين فى الدولة الاسلامية ولا يستثنى من العقوبة أى فرد مهما كان مركزه ولو كان هو خليفة المسلمين أو الحاكم لهم فلا يعرف الاسلام حصانة معينة لرئيس الدولة ولا لأعضاء البرلمان ولا يتوقف رفع الدعوى على اذن معين يصدر من أية جهة أو أية سلطة ، ولا يملك أحد مهما سما مركزه ولا تملك جهة مهما بلغت قوتها وأهميتها أن تعفو عن العقوبة أو الجريمة أو توقف تنفيذ عقوبة حكم بها القضاء .

ولا يقتصر سريان أحكام التشريع العقابى الاسلامى على المسلمين وغير المسلمين المقيمين فى الدول الاسلامية فقط بل انه يتعدى ذلك ليطبق على المسلمين المقيمين فى غير الدول الاسلامية لأن ولاية الدولة الاسلامية عامة على المسلمين أينما كانوا فمن يرتكب جريمة من المسلمين فى أى بقعة من الأرض فان حكم

الاسلام نافذ فيه أينما حل ولن يفلت من العقاب متى دخل أرضا اسلامية وثبت ارتكابه لجريمته، فالمسلم الزانى أو السارق فى دولة غير اسلامية يقام عليه الحد متى عاد الى أى دولة اسلامية ولا شك أن فى هذا المبدأ ابرازا لعظمة الاسلام وحرصه على تحقيق السلام والأمان حتى لغير المسلمين فلا عصبية فى الاسلام ولا تعصب للمسلم ضد غير المسلم فى أمر نهى الاسلام عن ارتكابه .

وأخيرا يلاحظ أن الفقهاء قد اختلفوا فى سقوط الدعوى عن الجريمة وسقوط الحق فى تنفيذ العقوبة بالتقادم فذهب الحنفية الى أن التقادم له أثره بالنسبة للجرائم سواء من حيث الادعاء أو من حيث سقوط العقوبة بعد الاثبات واختلفوا فى مدة التقادم فحددها بعضهم بشهر واحد وحددها بعضهم بستة أشهر وترك آخرون تقدير مدة التقادم للقاضى حسب ظروف كل قضية على حدة ، حيث قد يكون هناك عذر للتأخير فى الادعاء ، وذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل الى أن التقادم لا أثر له سواء فى سقوط الادعاء أو تنفيذ العقوبة وهو ما نرى الأخذ به .

هذه هى أهم الأسس فى التشريع الجنائى الاسلامى بوجه عام وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزيز حيث ان لكل نوع من أنواع هذه الجرائم أحكامه الخاصة .

حسن حسب الله

الصراع عملية غير إسلامية

للدكتور زيدان عبد الباقى

تحدثنا من قبل فى هذه السلسلة بعنوان «الرسول محمد ٠٠ والعمليات الاجتماعية» عن ثلاث عمليات وهى: التعاون الاجتماعى الاسلامى ، والتنشئة الاجتماعية الاسلامية ، والتنافس الاجتماعى الاسلامى ٠٠٠ واليوم نتحدث عن الصراع الاجتماعى كعملية اجتماعية غير اسلامية ٠

والصراع عبارة عن : تضارب القوى الاجتماعية ونضالها ، وقد يكون هذا التضارب مستترا أو سافرا ، وقد يكون بين فردين أو فئتين أو جماعتين أو مجتمعين ٠٠ وهذان الفردان أو هاتان الجماعتان ، قد تكونان متكافئتين وحينئذ يكون الصراع متكافئا EQUAL CONFLICT وقد تكونان غير متكافئتين وبذلك يصبح الصراع غير متكافىء UNEQUAL وبالتالى يكون النصر حليف الجماعة أو الفئة الأقوى ٠

غير أن الصراع لا يتوقف بين المنتصرين والمنهزمين ، وانما يتحول الى سلسلة مستمرة من المصادمات المتجددة ٠ ولما كان الصراع على هذه الصورة لا يمكن تجنبه باعتباره من ضرورات الحياة الاجتماعية ، فما هى الوسائل التى يمكن بها تحويله الى صراع بناء ؟ Constructive Conelict

ونجيب على هذا التساؤل بأن هذه الوسائل هى :

١ ــ أن يطغى جانب على آخر ٠٠ ولكن هذا ليس حلا للمشكلة ، لأن الجانب الضعيف سيستمر غير راض ٠

٢ــ استخدام أسلوب المساومة ٠٠ ولكن لما كان أى من الجانبين لا ينال كل ما يطلبه ، فان هذا لا يكون حلا بالمرة ٠

٣ ـ أن تحلل الخلافات فى كل جانب الى عناصرها ، ثم تجمع هذه العناصر مرة أخرى فى ترتيب جديد، بصورة يجد فيها كل طرف مايرضيه فان هذا هو الحل الأمثل .

والصراع الذى يحل على هذا النحو يعتبر ـ من وجهة نظر علم الاجتماع ـ عملا بناء ، لأن كل طرف يحصل بمقتضاه على ما يريد أو على أقصى ما يمكن أن يحصل عليه فى أفضل الحالات ، ومن ثم تنشأ علاقة جديدة تعود بالفائدة على الطرفين .. وانظر الى الرسول الكريم من خلال صراعه بالشكل الاسلامى مع القبائل عند نشأة المجتمع الاسلامى، وكان سنده فى دعوته صلى الله عليه وسلم ما تخلق به من أخلاق سامية وايمان مكين ، ونفس كاملة .. كان هذا سلاحه الذى واجه به غرور الجبابرة وصلف الطغاة من زعماء القبائل المعاندة ، ومؤامرات اليهود اللئيمة الخسيسة دائما ، وطغيان قريش الهادر الباغى ، فقد تغلب صلى الله عليه وسلم على كل هذه القوى الشرسة الباغية ، المتشكلة الألوان ، والمتعددة المرامى والأهداف بالحجة والاقناع بالحسنى من غير قوى مادية استجابة لقوله تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » فماذا كان يملك عليه الصلاة والسلام من قوة مادية أمام قيصر الروم وكسرى الفرس ، وأمام طغيان قريش والمؤمرات التى تحاك له من هنا وهناك ؟ لاشىء سوى الايمان بالله وانكار الذات وايثار الحق وعرفان الواجب .

هذا وقد استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو للعقيدة الاسلامية سرا ، خوفا من أذى قريش وبطشهم . ولذلك كان انتشارها فى أول الأمر بطيئا يمشى متعثرا . ويزداد الراغبون فيها فى حذر وعلى استحياء . وكان رسول الله يخشى أن تصطدم قريش بالمؤمنين به ، فأعد دار الأرقم بن أبى الأرقم وهو من سادة قريش السابقين على الاسلام ، مكانا يجتمع فيه بأصحابه يفقههم فى أمور دينهم ودنياهم ، وليعلمهم

أصول الرسالة ، وليحفظهم ما تنزل عليه من آيات الذكر الحكيم . فلما صدر اليه الأمر الالهى بعد ثلاث سنوات من الرسالة بأن ينذر عشيرته الأقربين، ونزل عليه قوله ـ تعالى شأنه ـ فى سورة الشعراء : « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » ومع ذلك فان بعض هذه العشيرة وكثير من الأقربين عادوه وتحزبوا ضده ، وكان على رأسهم عمه أبو لهب وامرأته حمالة الحطب اللذين اندفعا فى عداوته الى غير حد .

ومن جهة أخرى أغلظت له قريش فى الود عندما دعاهم ليعلن لهم تكليفه بالرسالة ، وأن الله أمره بأن يدعوهم الى عبادته وحده دون شريك ، والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمؤاخاة بين الناس ونشر العدل والمحبة .. أغلظوا له القول وجادلوه ، ووقفوا له بالمرصاد يحاولون صده عما هو ماض فيه ، وحاربوه بشتى الطرق والوسائل ليعجزوه عن السير قدما الى غايته . وما علموا أن الله ناصره ومنجز له وعده . ولذلك أنقذه سبحانه وتعالى بالهجرة الى المدينة ، ليحفظ عليه دينه ، ولينطلق به الى دنيا أرحب وأوسع .

وهنالك فى المدينة استخدم معهم مايعرف حاليا «بالصراع الاقتصادى» وهو أسلوب يشبه أسلوب الحصار الاقتصادى اذا استخدمنا المفاهيم الاقتصادية الحديثة ، فقد شرع الرسول الكريم الصراع الاقتصادى بصورة مؤقتة ومارسه ، حين لم تجد الوسائل السلمية والسلبية فى كف أذى المشركين من قريش . ويتمثل هذا الصراع الاقتصادى فى سرايا وغزوات « حمزة ، عبيدة ، الأبواء ، بواط ، العشيرة ، سفوان ، وعبدالله ابن جحش .. » واذا كانت أعمال هذه السرايا تشبه احكام الحصار لتهديد « اقتصاد » قريش تهديدا مباشرا ، يشعرها بقوة معسكر الاسلام ومن ثم يدفعها الى وجوب التفكير الجدى فى اجراء « حوار » مع تلك القوة الكبرى، لعله أن يؤدى

ـ بالسلم وبدون حرب ـ الى الاقتناع بترك الحرية لهذه الطليعة فى نشر رسالتها ، وتأدية البلاغ الذى عهد به اليها .. وكانت السرايا والغزوات الى جانب مهمتها تلك تؤدى مهمة أخرى لا تقل خطرا عن ذلك وهى « عقد الأحلاف والاتفاقيات مع القبائل المجاورة لما سوف يتلو من خطوات على طريق منازلة الشر ومجابهة القوة الغاشمة بالقوة الواعية » ولم ينس استخدام سلاح له مضاء فى المجتمعات القبلية وهو الشعر ، فنراه صلى الله عليه وسلم يقول لشاعر الدعوة حسان بن ثابت « شن الغارة على بنى عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام » .

غير أنه صلى الله عليه وسلم ازاء عداء أبى جهل لدعوته الى درجة الغليان ، حيث كان يغير على جماعات المسلمين باستمرار ، ويكمن لأى جماعة منعزلة ويقاتلها ، كما أغار على ضواحى المدينة وأتلف الزرع والحدائق . وظهر للنبى عليه الصلاة والسلام أن مشاعره العدوانية للاسلام لم تتغير وأن هدفه لايزال قائما على ضرورة قتل النبى صلى الله عليه وسلم . ومن ثم فلم يكن هناك الا حل واحد ـ من وجهة نظر الجانبين ـ وهو الصراع بالسيف بدلا من الصراع بالحجة والبرهان .

ولكن الأمر بالقتال لم يكن قد صدر للرسول بعد ، ولذلك لجأ عندما نزل بالمدينة الى عقد معاهدة مع اليهود من سكانها ومن سكان ماحولها ، وعمل على مسايرتهم والتودد اليهم والتغاضى عن كثير من سيئاتهم وتأمينهم على حريتهم ودينهم ودمائهم وأموالهم .. كما كان يجادلهم بالحسنى تارة وباللين تارة أخرى . وكان يخاطبهم ـ كما جاء فى القرآن الكريم ـ فى قوله تعالى : « ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » . كما كان يعاتبهم بآيات قرآنية أخرى مثل قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون »

فعل الرسول الكريم كل ذلك وأكثر منه مع اليهود ومع غيرهم لشيء واحد وهو تأمين شرهم ومحاولة ايقاف أو تحييد تحديهم وانضمامهم الى المشركين. ولكن متى كان لتلك الطائفة الباغية الضالة المضللة التى تنكرت لوحدانية الله وقدسيته ـ عهد تلك الطائفة التى عادت الأنبياء والمرسلين ، وتهكمت على الاسلام ورسوله .. متى كان لهذه الطائفة التى حقت عليها اللعنة أن ترعوى وتعود الى الحق ، ويستقيم تفكيرها مع المنطق السليم ... فقد ازدادت نيران الحقد غليانا فى قلوب اليهود، وازداد تهجمهم على الرسول والرسالة ، مما جعل الرسول الكريم يفكر فى أمرهم بعمق .. وكان الله أرحم وأشفق بنبيه من نفسه ، فلم يدعه طويلا فى تفكيره العميق ، ولم يتركه لقلقه وحيرته ، فقد أذن له الله جل جلاله بالقتال والجهاد (الصراع) لا حبا فى الدنيا ، أو طمعا فى جاه ، أو رغبة فى سيادة ، ولكنه جلت قدرته وتعالى شأنه شرعه للحيلولة دون الظلم ، ولدفع الأذى والعدوان، والله سبحانه وتعالى يقول : «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» وفى قوله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » وقوله أيضا : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وازاء كل ذلك اتخذ الرسول طريقا آخر من طرق الصراع لا يعتمد على المجادلة بالحسنى ، وانما يعتمد على المبارزة بالسيف .

ومن القواعد السامية التى التزم بها فى صراعه بالسيف ، أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يكن يستعين بأهل الشرك على أهل الشرك ، وانما لم يكن يقبل فى صفوف كتائبه المظفرة الا « المؤمن » بالرسالة وبغاياتها السامية ، مهما يكن تعداد جيشه وعدته ، فى حاجة الى أعداد أخرى من المحاربين ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يريد بسلوكه الحصيف هذا للأجيال التى سوف تتلوا أن تتعلم أنه لا يتفانى فى

الزود عن رسالة كبيرة ، الا من يؤمن بهـا الايمـان كله ، وليس الذى « يسـاير الأمور » ويواكب مسيرتها كيفمـا اتفـق ، فاذا نجحت امتطى ظهرها ، واذا فشلت مضى فى سبيله بعيدا ودون ما التزام عميق وكامل بالرسالة .

وتخفق القلوب وتشرئب العقول، اذ تستذكر من ثنايا سيرتك البهية ، كيف رفضت ـ صلوات الله وسلامه عليك ـ فى غزوة « بدر » أن ينضم الى رجالك بعض الراغبين فى القتـال تحت رايتك ، لا عن ايمان بالرسالة وانما طمعا فى الفيىء ، وتطلعا الى اكتسـاب الغنائم ... فقـد أبيت بحزم أن ينضـم أولاء الى زمرة الخلص البررة من المجاهدين الا اذا أسلموا .. وفى « أحد » التى كانت فيها الحاجة ماسة أكثر الى أعداد من الرجال أوفر ـ نظـرت حولك فاذا بكتيبة مجهـزة بالأسلحة تقبل الى الساحة تبغى المضى فى الركب نحـو ميدان الجهاد ـ الصراع ـ الحـربى «وتسأل مستفسرا عن هوية هؤلاء ؟ ! ويقال لك ، صلوات الله وسلامه عليك انهم رهط من يهود المدينة ، حلفاء لابـن أبى . ويظـن البعضـ فى معسكرك ، أنك قد ترضى ـ هذه المرة ـ بانضمامهم .. لكنك بمعهود استمساكك بالمبدأ : تأبى ذلك أيضـا وترفضه بذات الحزم وعين القوة ، وتزيد الأمر ايضاحا فتقول لمن حولك « لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ما لم يسلموا » وهكذا كان الرسول الكريم فى صراعه الشجاع لايحيد قط قيد شعرة عن القواعد الناصعة القويمة التى أرساها للجهاد الاسـلامى ، بل وللتنافس البنـاء أيضـا . تلك القواعد التى كانت تسترشد بقوله تعالى : « وأعدوا لهم مـا استطعتم من قـوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

وفى مواجهة كل هـذه الظروف سير الرسـول الكريم الجيوش وقام بغزواته التى بلغت ٢٧ غزوة بخلاف

السرايا التى بعث بها جنوبا وشمالا ، شرقا وغربا على مدى عشر سنوات قضاها فى جهاد ــ صراع ــ دموى وايدلوجى ، قاتل فيها أعداءه ــ وجاهد فى سبيل دعوته ــ قتالا وجهادا هانت فى سبيله أموال المسلمين وأرواحهم وكل ما يملكون ، قتالا وجهادا كان يستقبله المسلمون بنفوس راضية مطمئنة ، بل وكانوا يستعجلون خلاله الشهادة ليفوزوا بما وعدهم به ربهم من نعيم الدنيا والآخرة تحقيقا لقوله تعالى فى سورة آل عمران : «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين» وهذا هو الجهاد ــ الصراع ــ الذى يقره الاسلام ، جهاد ــ صراع ــ من أجل العقيدة والوطن ، وليس جهادا ــ صراعا ــ من أجل المال أو الجنس أو الجاه أو السلطان .

لقد خاض المسلمون غمار معارك ضارية فى غزوات متعددة بذلوا خلالها دماءهم ، وباعوا أرواحهم فى سبيل العقيدة وحمايتها من الأعداء ، وفى سبيل اعلاء شأن الاسلام والمسلمين والاحتفاظ به حيا يشع نوره فى الصدور ، وفى سبيل رفع الراية الاسلامية عالية خفاقة ترفرف فى كل مكان ومن أجل تنقية الحياة نفسها من الفساد والظلم .

ولقد كان الرسول الكريم فى كل سنوات الجهاد ــ الصراع ــ هو المثل الأعلى فى الشجاعة والاقدام ، لاسيما فى مواطن الشدة وساعات الحرج . منها يوم « أحد » حيث كان يقف وسط الميدان يقود المعركة واستطاع الأعداء أن يصلوا قريبا منه ، فرماه أحدهم بحجر كسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه حتى سالت منه الدماء ... وشاع وسط المعركة أن محمدا قد قتل فجزع كثير من المسلمين . ويروى فى ذلك أن أنس ابن النضير ، مر بقوم من المسلمين انكسرت نفوسهم ، وألقوا بسلاحهم

فقال لهم : ما تنظرون ؟ قالوا قتل رسول الله ، فقال : وما تصنعون بالحياة من بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل المشركين فما زال يقاتلهم حتى استشهد .. ووسط هذه الشدة سمع صوت الرسول الجريح وهو ينادى أصحابه فى شجاعة نادرة « الى عباد الله الى عباد الله » فاجتمع اليه نحو ثلاثين رجلا ، ومضى النبى يدعو المسلمين اليه ، واستطاع بالرجال القلائل الذين معه أن يعيدوا كفة المعركة الى صالحهم ، وأمرهم بأن ينزلوا قريشا من القمة التى احتلوها فى الجبل قائلا : ليس لهم أن يعلونا ... فقاتلوهم حتى أجلوهم عنها وانسحبوا ولم يكسبوا من المعركة شيئا » فالقائد موجود ولم ينقص منه الا قطرات من دمه الذكى . والعاصمة وهى « المدينة » سالمة والأرض لم يحتل منها شبر واحد .

وخرج المسلمون من هذه الحروب بدروس مستفادة ، تفيدهم فى معاركهم المقبلة مع أعداء الحق وأعداء الحياة . وقد سجل القرآن الكريم بعض هذه الدروس فى قوله تعالى : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » ولقد كانت قاعدة الصراع بالسيف هى تلك الآية الكريمة : « فمن اعتدى عليكم : فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فلقد كان الاسلام فى مجتمع عربى من سماته أن للعربى حمية ونخوة ، له كرامة ومكانة ، وليس من عاداته قبول الخنوع والمذلة والهوان ... أن يطلب من هؤلاء قبول المبدأ القائل : « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » لأن خصائص العربى تؤهله للتلاقى مع المبدأ الاسلامى القائل برد الاعتداء بمثله على الأقل ، ذلك المبدأ المبنى على الحرية والعزة والكرامة والجهاد فى سبيل الله والتفانى فى سبيل نصرة الرأى والعقيدة . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت اللازمة العربية للفرد العربى

فى حياته الصحراوية هى اعتماده على نفسه وقوة شكيمته فى رد العدوان عن نفسه وقد أكد الشاعر العربى « زهير » ذلك بقوله :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ولا جدال فى أنه صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة ... فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يعرفون له الشجاعة المنقطعة النظير . وكان الشجعان والأبطال هم الذين يجدون من أنفسهم الجرأة على الوقوف بجانبه فى ساحة الحرب ، لما يشاهدونه من شدة البأس وقوة صراعه فى مواجهة خصومه ... فعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « كنا اذا احمر البأس تتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الشجاع منا من يحاذى به » وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق ، ولقى القوم القوم ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ومن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يول ظهره مرة واحدة فرارا من أعدائه ، الثابت أنه ضرب أروع الأمثلة فى الشجاعة .

فقد وقف فى غزوة « أحد » يدعو الفارين من أصحابه قائلا : «الى عباد الله ، أنا رسول الله ، من بكر فله الجنة » وفى هذا يقول الله تعالى : « اذ تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم» أى يدعوكم فى الجماعة المتأخرة الذين ثبتوا مكانهم ، وظلوا يدافعون عن النبى صلى الله عليه وسلم ... وأيضا فى غزوة « حنين » بعد أن تفرق عنه المجاهدون من المسلمين ، ظل ثابتا لا يتزحزح أمام جيش كثير العدد كامل العدة .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى أسحق ، قال رجل للبراء بن عازب : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .. ان «هوزان» كانوا قوما

رماة ، وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم ، واستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر ، فقد رأيته ، وانه لعلى بغلته البيضاء ، وأن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .

والملاحظ أنه لا مكان للصراع المسلح فى الفلسفة الاسلامية الاجتماعية ، فان دين الله الأسمى ينهى -وبقوة- عن الحرب العدوانية، ولا يأذن بقتال الا من أجل دفع عدوان مؤكد مضاد : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وغزواتك يا سيدى يا رسول السلام وياعلم المجاهدين الأمجاد ، لم تكن الا من قبيل « العمل الدفاعى » والاجراء الوقائى ، الذى يحمى حرية العقيدة، ويحفظ للانسان المسلم ـ الى جانب حريته ـ كرامته وأمنه .

وهكذا لم يكن صراع بالسيف الا عندما استشرى خطر الأعداء واستفحل ظلمهم لمن آمنوا بالرسالة ... فكان الاذن الربانى بالقتال « صدا لخطر ماثل ... » وكان مع الاذن الوعد بالنصر الحق ، حيث يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير » ولما وقع الصراع الفعلى بينه وبين المشركين ، كان الصراع النبيل ، صراع العقيدة السمحاء الفريدة التى سطعت لتحرر الانسان من اسار الجهل والضلال والعبودية فى أبشع صورها ... صراع مبدأ بزغ فى الأفق مستهدفا لارساء المثل العليا ، فهو الصراع الذى لا تمليه عصبية ولا تحفز عليه عنصرية ولا تشوبه أية شائبة من نوازع دنوية أو رغائب شخصية ... صراع جديد تماما ، يقول لمن أعمتهم الجهالة ، أن الحرية والكرامة والعزة أشرقت أنوارها ، فلا جدوى من أية محاولات يائسة لحجب اشعاعاتها يفكر فى شنها بعض

عشاق الظلام هواة الضياع والهوان فهم لا يخلو منهم زمان أو مكان « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

ولكم كان الذهول عنيفا ، والانبهار شديدا ، حينما تم النصر المبين ، وأسقط فى أيدى الذين حاولوا – ذات يوم – صد التيار فاكتسحهم التيار ، فظنوا أن الانتقام رهيب – لا محالة – آت ، بعد اذ لم يعد لهم حول ولا قوة ، فوقفوا مرتعدين ينتظرون أن تحل بهم الكارثة ، التى يوقنون من الأعماق أنهم يستحقونها .. واذا بك يا أشرف المرسلين تقول لهم ببساطتك الآسرة ، وبسماحتك الرفيعة الشامخة : «اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

حقا ، ذلك هو فيض خلقك العظيم في جهادك – صراعك – الاجتماعى: القوة كل القوة (فى ساحة الوغى) ومجالاته .. أماموطن العفو والرحمة، فليس أقدر منك من بنى الانسان على نشر الرحمة ، وعلى اشاعة المودة .. ولله در شوقى القائل :

فاذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

واذا غضبت فانما هى غضبة
فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

هذا ويحذر القرآن الكريم من الصراع بمعنى الاعتداء على الآخرين بقوله تعالى : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ونجد دعوة الاسلام الى السلام باعتباره الأصل فى علاقة المجتمعات بعضها البعض « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ولذلك نجد فى كتاب الله الموحى به الى نبيه ورسوله الكريم آخر ما انتهى اليه الفكر السياسى فى فض المنازعات الدولية عن طريق التحكيم والمصالحة والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية ، فان أبى أحد الطرفين أن يمضى فى اعتدائه لأخذ ما ليس من حقه ، فقد أصبح على الأسرة الدولية

أن تتدخل لردع العدوان ، فاذا تم ردع المعتدى ، فقد وجب الفصل فى النزاع على أساس من الحق والعدل . وفى هذا يقول القرآن الكريم : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

وهكذا كانت أسس الصراع الاسلامى وشرطه ، وكيفية فضه واقامة الصلح بين المتصارعين ... الخ والى اللقاء فى المقال الرابع عن التكيف الاجتماعى الاسلامى .

د . زيدان عبد الباقى

« أهل العلم والدنيا »

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق فى فتواه ، وحكمه فى خبره والزامه ؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ماتأتى على خلاف اغراض الناس ، ولا سيما أهل الرياسة ، والذين يتبعون الشبهات فانهم لا تتم لهم أغراضهم الا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا .

ابن القيم ــ الفوائد

رجال ومواقف :

القاضي العظيم ..!

روى عمر بن هياج بن سعيد قال :

أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم ، فقالت :

أنا بالله ثم بالقاضي .

قال : من ظلمك ؟

قالت الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين .

كان لي بستان على شاطيء الفرات فيه نخل ورثته عن أبي ، وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا ، وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساومني فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط ، وأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا ، واختلط بنخل آخوتي .

فقال : يا غلام أحضر طينة .

فأحضرها ، فختمها ، وقال لها :

ـ أمض الى بابه بالختم حتى يحضر معك .

فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال .

ـ قد أعدى القاضي عليك ، وهذا ختمه .

فقال : أدع لي صاحب الشرطة .

فدعا به ، فقال :

امض الى شريك وقل : ياسبحان الله ، ما رأيت أعجب من أمرك ، امرأة ادعت دعوى لم تصح ، أعديتها علي ؟

قال صاحب الشرطة : ان رأى الأمير أن يعفينى من ذلك ؟

فقال : امض ويلك .

فخرج وقال لغلمانه : اذهبوا وأدخلوا لى الى حبس القاضى بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة ، فقال القاضى لغلام المجلس :

ـ خذه بيده فضعه فى الحبس .

فقال صاحب الشرطة : والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ماأحتاج اليه الى الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب الى القاضى وقال له :

ـ رسول أدى رسالة ، أى شىء عليه ؟

فقال شريك ، اذهبوا به الى رفيقه ، الى الحبس فحبس ، فلما صلى الأمير موسى العصر ، بعث الى اسحق بن الصباح الأشعث والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضى شريك ، وقال لهم :

ـ امضوا الى القاضى وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بى ، وانى لست كالعامة .

فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم :

ـ مالى أراكم جئتمونى فى جمهرة من الناس فكلمتمونى ؟

ثم سأل من فى المسجد ؟

فأجابه جماعة من الفتيان ، فقال :

ـ ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس .

وقال لأصدقائه وجوه الكوفة : ما أنتم الا فتنة ، وجزاؤكم الحبس .

قالوا له : أجاد أنت ؟

قال : حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم .

فحبسهم . فركب موسى بن عيسى فى الليل الى باب السجن وفتح الباب

وأخرجهم كلهم ، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء ، جاءه السجان فأخبره ، فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه :

ـ الحق بثقلى الى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ، ولكن أكرهونا عليه ، ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم .

ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد . وبلغ الخبر الى موسى ابن عيسى فركب فى موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول :

ـ يا أبا عبد الله تثبت ، انظر ، اخوانك تحبسهم . دع أعوانى .

قال : نعم ، لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح مكانى حتى يردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فأستعفيه مما قلدنى .

فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس ، والقاضى واقف والله مكانه ، حتى جاءه السجان فقال :

ـ قد رجعوا جميعا الى الحبس .

فقال القاضى لأعوان الأمير : خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم .

فمروا بين يديه حتى أدخل المسجد ، وجلس فى مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة فقال :

ـ هذا خصمك وقد حضر .

فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه : قبل كل أمر أنا قد حضرت ، أولئك يخرجون من الحبس .

فقال شريك : أما الآن فنعم ، أخرجوهم من الحبس ، ثم قال للأمير : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟

ـ قال : صدقت .

ـ قال : ترد ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان .

ـ قال : أفعل ذلك كله .

ـ قال : لها أبقى لك عليه دعوى ؟

ـ قالت : بيت الرجل الفارسى ومتاعه .

ـ قال موسى بن عيسى : ويرد ذلك كله .

ـ قال القاضي أبقى لك عليه دعوى ؟

قالت : لا ، وبارك الله عليك وجزاك خيرا .

قال : قومى .

فقامت من مجلسه ، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه ، وقال :

ـ السلام عليك أيها الأمير ، أتأمر بشيء ؟

فقال الأمير : أى شيء آخر ؟ (وضحك) .

فقال له شريك : أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الأدب .

فقام الأمير وانصرف الى منزله وهو يقول ، من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه .

التحرير

« لو كان اقل لنفهم »

كتب الامام عبد الرحمن بن مهدى حافظ العراق الى الشافعى يطلب منه ، وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن ، ويجمع مقبول الأخبار فيه وحجة الاجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة ، فلما وصلت اليه الرسالة جعل يتعجب ويقول : لوكان اقل لتفهم . لوكان اقل لنفهم .

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٩ —

من تحليل التوجيه القرآنى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » عرفنا أن « الردع » هو النظرية الاستراتيجية الأولى للحرب فى الاسلام التى تستهدف اعداد القوة لارهاب العدو واخافته من عاقبة عدوانه على الأمة الاسلامية، وعرفنا أن هناك ارتباطا وثيقا بين الردع والقوة من ناحيتين :

الأولى : أن القصد من اعداد القوة هو ارهاب الأعداء ، والثانية أن القوة هى التى تعطى الفاعلية للردع أى أنها لابد أن تشكل « طاقة تهديد كافية » لارهاب العدو .

ثم استخلصنا أيضا ضرورة توفر « القدرة الهجومية » للقوة التى نعدها ، وهو ما يعبر عنه لفظ « الخيل » فى الآية الكريمة لأن استخدام الخيل فى مجال الصراع ذو طابع هجومى بالدرجة الأولى .

وقد تطورت محتويات القوة على مر العصور حتى أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية أو قوة جيشها فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وتقدمها العلمى والتكنولوجى وغير ذلك من العوامل المادية والمعنوية . أما عن متانة الاقتصاد ، فقد ربط الاسلام بينه وبين الاستراتيجية العسكرية برباط وثيق يتمثل فيما يلى :

١ — وحدة الأصل ، فالاقتصاد والقوة العسكرية ينتميان الى أصل واحد هو القوة التى أمر الله باعدادها فى الآية الكريمة ، ويؤكد ذلك ورود

لفظ القوة مطلقا دون تحديد ، مما يجعله يتسع ليشمل كل مصادر القوة ولا ينحصر فى القوة الحربية فقط .

٢ ـ التكليف بالجهاد بالمال ، فقد اقترن الجهاد بالنفس بالجهاد بالمال (وهو عصب الاقتصاد) كما يفهم من قول الله تعالى :

« وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (التوبة ٤١) وقوله « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (الأنفال ٧٢) .

لقد فرض الله الجهاد بالمال وقدمه على الجهاد بالنفس فى أكثر الآيات القرآنية التى تحث على الجهاد وذلك لأهميته وخطره ، فقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس لأن الجهاد بالمال أمر لابد منه فى تزويد الجيش بمطالبه ، وهو كذلك أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، وبذلك يمكن للانسان أن يشارك فى الجهاد بماله ، اذا لم يجاهد بنفسه (١) .

ووجه آخر من الحكمة فى ذكر الأموال قبل الأنفس . هو أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب بعدهم عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا فى المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من الناحية الاقتصادية كالبترول أوالطعام أوغيرهما) بقدر استطاعتهم وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

والجهاد بالمال يدعم نظرية الردع ويسندها وذلك لأن المال هو

---

(١) لا شك فى أن المجاهد بنفسه وماله معا فى طليعة المقربين الى الله ، أكثر من المجاهد بأحدهما فقط . « ولكل درجات مما عملوا » .

عصب الحرب كما يقولون ، فاذا رأى العدو أنه سوف يواجه قوة عسكرية تساندها قوة اقتصادية لا تنفد ، فسوف لا يستهين بالمسلمين ، ولا يعلق أمله على التغلب عليهم .

وهكذا يشكل الجهاد بالمال ركنا من أركان استراتيجية الردع الاسلامية ، ومن أجل هذا المعنى أجاز الاسلام لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس فى زمن الحرب ما تدعو الحاجة اليه .

والجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق أفضل منه فى الأوقات الأخرى ، كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام فى أول أمره فى حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع أن الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلهما من الأجر والثواب .

قال عز وجل :

« وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » (الحديد - ١٠) .

وفى فضل الانفاق فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

ثم ان الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد بالمال وعظيم أجره وثوابه والتى تكشف عن الربط بين الاستراتيجية والاقتصاد ، كثيرة ، نذكر منها :

- ورد عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله

فقد غزا » رواه الترمذى والبخارى ومسلم .

– وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة فى سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذى وحسنه والنسائى .

– وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » رواه البخارى . (ومثل الفرس كل عدة من عدد الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان) .

– وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة(١) فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال الرسول : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » رواه مسلم والنسائى .

– وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله ، نودى من أبواب الجنة كلها : يا عبد الله هلم » (أى أن كل أبواب الجنة تنادى عليه ليدخل وهذا زيادة فى التكريم) رواه البخارى .

ولقد أنفق المسلمون الأوائل أموالهم فى سبيل الله : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير ، وأنفق أبوبكر جميع ماله فى سبيل الله ، وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين . وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهز عثمان بن عفان جيش العسرة فى غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها من الغزوات .

أما آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى فى آل محمد صاع

(١) الخطام : الزمام ، والناقة المخطومة هى التى فى انفها خطام اى زمام .

من طعام ، وانها لتسعة أبيات » والله ما قالها استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته •

نخلص مما تقدم أن الارتباط الوثيق بين الاقتصاد والاستراتيجية العسكرية فى الاسلام يعنى أمرين فى غاية الأهمية هما :

الأول : أن سياسة التنمية الاقتصادية فى الأمة الاسلامية ، وان كانت تخضع لقوانين خاصة بها ، الا أنها يجب أن تراعى فى أهدافها وخططها الاعتبارات الاستراتيجية العسكرية •

الثانى: أن اقتصاد الأمة الاسلامية فى زمن الحرب ، يتقرر كلية وفقا للمتطلبات العسكرية — من أجل ذلك يجب أن يكون البنيان الاقتصادى قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها وهو ما يطلق عليه « اقتصاد حرب » •

ثم ان هذا التوجيه الاسلامى بالربط بين الاقتصاد والاستراتيجية يوحى بضرورة أن يشمل تنظيم الدولة الاسلامية :الأجهزة والمجالس المشتركة(١) التى تباشر مهمة التنسيق على أعلى مستوى- بين خطط التنمية الاقتصادية ومتطلبات الاستراتيجية العسكرية وتقرير الخطط الاقتصادية الكفيلة بتزويد القوات المسلحة بكافة احتياجاتها وقت الحرب •

كل ذلك يجعل « التعبئة الاقتصادية » سواء لموارد الدولة الواحدة ، أو لموارد الدول الاسلامية مجتمعة ، ضرورة حيوية للدفاع ورد العدوان •

---

(١) تسمى هذه الأجهزة عند بعض الدول: مجلس الحرب — أو مجلس الأمن القومى — أو مجلس اعداد الدولة للحرب الى غير ذلك من الأسماء التى وان اختلفت غير أنها تتفق فى مضمون المهمة وهى تنسيق وتوجيه كافة طاقات الأمة وامكانياتها السياسية والاقتصادية والمعنوية والعسكرية نحو تحقيق الغايات القومية من الحرب . وعادة ما تضم هذه المجالس أعلى القيادات السياسية والعسكرية فى الدولة .

والاسلام قد جعل هذه التعبئة الاقتصادية فريضة وتكليفا من خلال التكليف بالجهاد بالأموال والأنفس، فالمؤمنون يستجيبون لنفير الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، لا يستأذنون فيما هو فريضة وتكليف ، كما يفهم من قول الله تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » (التوبة ٤٤ ــ ٤٥) •

ويجيز الاسلام ــ كما قدمنا لولى الأمر أن يأخذ من أموال الناس فى ساعات الحرب ماتدعو اليه الحاجة، ومن أمثلة ذلك ما يدخل فى اجراءات التعبئة (أو النفير العام) وقت الحرب من الاستيلاء على عدد من سيارات النقل المدنية أو السفن التجارية أو المبانى أو بعض مساحات من الأراضى لصالح المجهود الحربى •

وبهذا المفهوم أيضا فان تكاليف المعركة لا تحتمل أن تأخذ صفة الهبات أو التبرعات أو التراحم ، بل هى تكافل عام مفروض على أبناء الأمة الاسلامية جميعا •

فالأمر ــ فى مجال التراحم ــ فى صدقات البر والتطوع ، موكول الى الضمائر ، أما فى التكافل العام ، فالاسلام يفرض الزكاة ركنا من أركان الدين الخمسة ، ويفرض الجهاد (١) بالأموال والأنفس ، على القادرين من أبناء الأمة تكليفا ملزما ، من نكص عنه ظلم نفسه ، وعق دينه وأمته •

ومن المفيد أن نتناول بالدراسة أركان اقتصاد الحرب فى الاسلام فى مقال تال ان شاء الله •

اللواء محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) كاد بعض الفقهاء يعد « الجهاد » ركنا سادسا من أركان الدين .

علماء ... أولياء
الشيخ أحمد الملّوى : قطب عصره

للأستاذ أحمد نصار القوصى

كلما أعدنا النظر فى آثار الماضين وقلبنا صفحات تاريخ العلماء الذاهبين ، وقرأنا سيرهم المسطورة العطرة ، وقفنا طويلا أمام ما دون عن أولئك الأعلام الذين علموا وعملوا ، ثم أخذوا — بعد ما اكتملوا — ينشئون الدارسين ، ويفقهون الناس من حولهم فى دينهم ودنياهم أجمعين . ووجدنا أنور تلك الصفحات وأعظم ما صادفنا من الآيات ، انما هى لعلماء ذلك الأزهر الشامخ ، الباقى — ان شاء الله — على حراسة اللغة والعلم والدين بفضل الله ، الى آخر الزمان . فهم الذين جاءوا ، ما عاشوا ، بالروائع والبدائع ، وتركوا لنا ما فيه الغنية لتنوير الأذهان ، وتغذية الأرواح ، مما يحيى النفوس ، ويشرح الصدور : علوما رفيعة نافعة ، وثمرات عقول كبيرة راجحة ، فى بيان واضح ، وبرهان قاطع ، يقف القارىء حيالها خاشعا ، والدارس مقدرا معجبا ، راضيا عنهم كل الرضا ، ولا يملك المنصف الا أن يستمطر رحمات الله على رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ونصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين ، فأضافوا الى التراث المجيد كثيرا من الجديد ، وملأوا الدنيا هداية ونورا .

وهذا الفاضل المترجم ، تتأود روح الثناء من ذكره ، وتغرد ألسنة الأكوان بذكراه بين الخافقين . وهو واحد من الجلة ، وعلم من الأعلام وهب نفسه للعلم منذ صباه ، ودأب فى محرابه على الطلب ومواصلة الدرس والفحص ، حتى صار اماما مرموقا ، كما ألزم نفسه التقوى ،

فعاش فى الناس قدوة ، وقضى عمره المديد محاضرا مكثرا ، ومعلما متقنا، وشيخا مباركا : يربى النفوس ويشحن القلوب بنور الايمان ، لم يثنه عن عزمه شاغل ولا غرض، ولم يقعده عن القيام برسالته مرض .
فلله دره من امام عظيم فخر به الزمان وحرص أهل العلم على ما ترك من مؤلفات ، وحسبه مجدا الكثرة النابهون من تلاميذه ،الذين لمعت أسماؤهم ، وعلت مقاماتهم ، وكانوا جديرين بالانتساب اليه علما وتقى ، من أمثال أبى الأنوار الحفنى ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ الجوهرى ، وحسبه بعد السيرة العطرة الباقية بقاء الزمان ، ما منحه الله من قبول عنده ورضوان .

ولد ، رضى الله عنه ، فى فجر يوم الخميس الثانى من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة، من أبوين عريقين فى النسب والشرف .

فهو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيرى الملوى الشافعى الأزهرى . وأمه آمنه بنت عامر بن حسن بن على بن سيف الدين بن سليمان بن صالح ابن القطب على المقراوى الحسنى .

عنى من صغره بالعلوم عناية فائقة ، وكان حقيقا باللحاق بأجداده المكرمين . وأخذ على الكبار من أولى المكانة الملحوظة فى الفضل من الشيوخ علماء المذاهب . فمن الشافعية : الشهاب أحمد الفقيه ، والشيخ منصور المنوفى ، والشيخ عبد الرءوف البشبيشى ، والشيخ محمد منصور الأطفيحى ، والشهاب الخليفى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ عبد الوهاب الطنطاوى ، وأبو العز محمد العجمى ، والشيخ عبد ربه الديوى ، والشيخ رضوان الطوخى ، والشيخ عبد الجواد المحلى ، وأبو الفيض على بن ابراهيم البوتيجى ، وأبو الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجى .

ومن المالكية : الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الورزازى ، والشيخ محمد الزرقانى ، والشيخ عمر بن عبد السلام التطاوى ،

والشيخ أحمد الهشتوكى ، والشيخ محمد بن عبد الله السجلماسى ، والشيخ أحمد النفراوى ، والشيخ عبد الله الكنكسى ، والشيخ ابن أبى زكرى ، والشيخ سليمان الحصينى ، والشيخ الشبرخيتى .

ومن رجال الحنفية : السيد على ابن على الحسنى الضرير .

وقد كان محل تقدير عظيم من شيوخه الأجلاء جميعا فأجازوه .

ثم رحل الى الحرمين الشريفين ، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف من الهجرة ، وسمع له العلماء هنا لك فأقروه وشهدوا له بالفضل والسبق .

وعاد الى مصر ، فصار اماموقته، المشار اليه فى حل المشكلات ، المعول عليه فى المعقول والمنقول ، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة ، وجيلا بعد جيل ، لأن الله الذى استعمله بارك له فى عمره فعاش طويلا وسعد به الناس كثيرا .

وكان جيد التقرير ، قوى التحرير ، وله رضى الله عنه مؤلفات كثيرة فى علوم شتى : فى النحو ، والبلاغة ، والبيان ، والفقه ، والتوحيد ، والمنطق ، منها :

١ – شرح الأجرومية .

٢ – تعريب رسالة ملا عصام فى المجاز .

٣ – شرحان على السمرقندية .

٤ – شرح عقيدة الغمرى .

٥ – عقود الدر على شرح ديباجة المختصر .

٦ – نظم النسب وشرحها .

٧ – شرح على الياسمينية .

٨ – شرحان على متن السلم – كبير وصغير .

٩ – نظم الموجهات وشرحها .

١٠ – مجموع صيغ صلوات على النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان ينظم الشعر أحيانا .

وقد كتب الله لمؤلفاته القبول ، فكان الأشياخ يقدرونها ، والطلاب

يستريحون لها ويقبلون عليها بنفوس راضية .

واستمر رضى الله عنه ، نبراسا يهتدى به ، وملجأ يرجع اليه ، حتى أصابته العلة ولزمته ، فانقطع فى منزله ، ولكنه لم يتوقف عن درسه ولا خلا مجلسه فكان يلقى دروسه كل يوم فى أنواع العلوم فى أوقات مختلفة ، وهو ملقى على فراشه . وكان العالمون يحجون اليه ، ويقرءون عليه ، وهو يملى عليهم ما يفيدهم ، ويستجيزونه فيجيزهم .

ومن الناس من كان يأتى لزيارته تبركا ، فيستجيب لهم ويدعو لهم بالخير . وفى سنواته الأخيرة كان صلحاء عصره يشهدون له بالصلة الوثيقة بالله ، لعظيم تقواه ، وصدقه مع مولاه ، ونصحه لمن يلقاه من المؤمنين . وقد عاش سليم الحواس ، حاضر الذهن ، وبقى على هذه الحالة مع مرضه الملازم نحو ثلاثين سنة .

وروى المؤرخون الذين كتبوا عن المشاهد أن عبد الرحمن كتخدا الفزدغلى عندما سمع برواية أن المشهد الحسينى لم يثبت دفن الرأس الشريف فيه ، أراد أن يتحقق من ذلك ، فاختار لهذه المهمة اثنين من كبار العلماء هما الشيخ الجوهرى الشافعى والشيخ الملوى المالكى ، اللذين أخبرا بما شاهداه بداخل البرزخ عيانا (كرسى من الخشب الساج ، فوقه طست من الذهب المغطى بالحرير الأخضر ، عليه كيس من نفس الحرير بداخله الرأس الشريف) . ولما علم بذلك عبد الرحمن كتخدا وتحقق من وجود الرأس الشريف بالمشهد الحسينى بنى المشهد والمسجد .

ولم يبق شيخنا الملوى بعد هذا التحقيق الا أياما معدودة ، فقد وافاه الأجل فى منتصف شهر ربيع الأول سنة احدى وثمانين ومائة وألف من الهجرة ، ودفن بصحن المسجد الحسينى فى موضع قريب

من المحراب ، تكريما له . وقد حزن عليه علماء عصره وعارفو فضــله ، ورثاه الشيخ عبــد الله الادكاوى بقصيدة ختمها بهــذا البيت المؤرخ ، على عادة الشعراء فى ذلك العصر :

رحــم الله العــالم الربانى
٢٤٨ ٦٦ ١٧٢ ٢٩٤
عالــم لاح أحمــد الملوانى
١٤١ ٣٩ ٥٣ ١٦٨
١٨١١ هـ

أحاطت به كرامات الله ،وحفلت به ملائكة الرحمن ، وجزاه الله عن العلم وأهله أضــعاف ما قــدم من صالح الأعمال ، وجعــل مقره مــع الصالحين فى عليين . آمين .

أحمد نصار القوصى

((من محاسن القول))

عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه أنه خرج يســمى فى المدينة بالليل فرأى نارا موقدة فى خباء ، فوقف وقال : ياأهل الضوء ، وكره أن يقول يا أهل النار .

وسئل العباس أنت أكبر أم رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ فقال : هو أكبر منى وانا ولدت قبله .

((ابن القيم))

من الفقه المقارن :

حكم قراءة البسملة فى الصلاة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

— ٢ —

الخلافية الثانية : هل البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة ، أو آية مستقلة ليست جزءا من أى سورة ؟

اختلف القائلون بأن البسملة قرآن — فى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة أو أنها آية مستقلة على قولين :

القول الأول : أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، ذهب الى ذلك الشافعية وبعض الصحابة وبعض التابعين .

القول الثانى : أنها آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور ، ذهب الى ذلك الحنفية ، والحنابلة ، وبعض الصحابة وبعض التابعين .

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول : على أن البسملة آية من سورة الفاتحة ومن كل سورة بأحاديث كثيرة من السنة نذكر منها ثلاثة ، لقوة ظهورها فى المطلوب .

الحديث الأول : مارواه الدارقطنى وابن خزيمة والحاكم عن ابن أبى مليكة يقرأ : الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فقطعها آية آية، وعدها عد الأعراب، وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية، ولم يعد صراط الذين أنعمت عليهم آية . فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة فتكون آية من كل سورة ، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح للحجية . فان فى سنده عمر بن هارون البلخى ، وهو ضعيف كما قال الحافظ .

ودفع هذا الرد : بأن عمر بن هارون قد ذكره كثيرون فى الثقات فجميع رواة الحديث ثقات فهو حجة .

الحديث الثانى : مارواه الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : اذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم » انها أم القرآن ، والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم ، احدى آياتها .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة فتكون آية من كل سورة ، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح للحجية لأمرين :

الأمر الأول : أن راويه وهو نوح ابن بلال قد تردد فيه ، فرفعه مرة ، ووقفه مرة أخرى » وصحح وقفه على رفعه غير واحد من أئمة الحديث .

ودفع هذا الأمر : بأن الرفع مقدم على الوقف . لأنه زيادة من الثقة وهى مقبولة .

الأمر الثانى : أن فى سنده عبد الحميد بن جعفر ، وفيه مقال : فقد تكلم فيه ابن الجوزى والثورى .

ودفع هذا الأمر : بأن الامام أحمد وابن معين قد وثقا عبد الحميد ابن جعفر فضلا عن أن متابعة نوح ابن بلال له ما تقويه . ولهذا قال اليعمرى والحافظ : أن جميع رواته ثقات ، وعلى هذا فالحديث صحيح صالح للحجية .

الحديث الثالث : مارواه الدارقطنى عن على - كرم الله وجهه - أنه سئل عن السبع المثانى ، فقال الحمد لله رب العالمين ، قيل : انما هى ست فقال : بسم الله الرحمن الرحيم .

فهذا الحديث صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة واذا كانت آية من الفاتحة، فتكون آية من كل سورة، لأنه لا فرق بين سورة وسورة .

ورد الاستدلال بهذا الحديث :
بأنه قول صحابى، وليس بحجة .

ودفع هذا الرد : بأن لهذا الحديث حكم الرفع، لأنه ليس للاجتهاد مجال فى عد آيات القرآن. وقد تقوى بحديثى أبى هريرة وأم سلمة المتقدمين .

واستدل أصحاب القول الثانى : على أن البسملة ليست آية من الفاتحة وانما آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور، بأحاديث كثيرة من السنة، نذكر منها :

الحديث الأول : مارواه أبو داود عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه، بسم الله الرحمن الرحيم .

ووجه الدلالة من هذا الحديث :
أنه صريح فى أن بسم الله الرحمن الرحيم كانت تنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فى أول كل سورة للفصل بينها وبين ما قبلها، وتنزيلها يستلزم قرآنيتها .

ورد الاستدلال بهذا الحديث :
بأنه من مراسيل سعيد بن جبير، والمرسل ليس بحجة .

ودفع هذا الرد : بأن هذا الحديث رواه البزار باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، وقال : الذهبى فى تلخيص المستدرك بعد أن ذكر الحديث عن ابن عباس : أما هذا فثابت، وصححه أيضا الحاكم على شرط البخارى ومسلم فالحديث صحيح وصالح للحجية .

الحديث الثانى : مارواه مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين .

ووجه الدلاله من هذا الحديث : أن البسملة لو كانت آية من سورة الفاتحة ما تركها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع العلم أن قراءة سورة الفاتحة جميعها فرض من فرائض الصلاة ، فترك قراءتها دليل أنها ليست من الفاتحة .

ورد هذا الاستدلال : بأن مراد السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ « بالحمد لله رب العالمين » السورة نفسها لا هذا اللفظ فان سورة الفاتحة تسمى « بالحمد لله رب العالمين » كما ثبت فى صحيح البخارى ، فلا حجة فى الحديث على أن البسملة ليست آية من الفاتحة .

الحديث الثالث : ما رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وأبو داود عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، فهى خداج ، يقولها ثلاثا فقيل لأبى هريرة : انا نكون وراء الامام ، فقال : اقرأ بها فى نفسك ، فانى سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : قال الله ــ عز وجل ــ قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى ، فاذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى على عبدى ، فاذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدنى عبدى ، وقال مرة : فوض الى عبدى ، واذا قال : اياك نعبد واياك نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن المراد من الصلاة فى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » الفاتحة وسميت بذلك لأن الصلاة لاتصح الا بها ، وقد عد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الفاتحة ولم يذكر

بسم الله الرحمن الرحيم ، فلو كانت البسملة من الفاتحة لعدها وبدأ بها ، ولما تحقق التنصيف لأن ما هو ثناء وتمجيد أربع آيات ونصف وما هو للعبد آيتان ونصف لأنها سبع آيات بالاجماع •

ورد هذا الاستدلال : بثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن التنصيف عائد الى جملة الصلاة لا الى الفاتحة لتبادر ذلك من حقيقة اللفظ •

الوجه الثانى : أن التنصيف عائد الى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة •

الوجه الثالث : أن المعنى ، فاذا انتهى العبد فى قراءته الى الحمد لله رب العالمين فحينئذ تكون القسمة فى ست آيات : ثلاث ثناء وتمجيد لله وثلاث دعاء وتضرع للعبد فليس فى هذا الحديث ما يدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست من الفاتحة •

القول الراجح

والراجح ما ذهب اليه أصحاب القول الأول من أن البسملة آية من الفاتحة لقوة أدلتهم وسلامتها مما ورد عليها •

هذا والناظر فى أدلة الخلافية الأولى وهى هل البسملة قرآن أم لا وفى أدلة الخلافية الثانية وهى هل البسملة آية من الفاتحة أم لا : يتبين له :

أولا : أن القول الراجح فى الخلافية الأولى هو أن البسملة قرآن •

ثانيا : أن القول الراجح فى الخلافية الثانية هو أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة •

وعلى هذا يكون الراجح فى حكم قراءة البسملة فى الصلاة أنها فرض من فرائض الصلاة حيث ترجح أنها قرآن وأنها آية من الفاتحة • مع العلم بأن الراجح أن قراءة الفاتحة فرض من فرائض الصلاة كما فى المسألة الثانية والله أعلم بالصواب •

د/ابراهيم دسوقى الشهاوى

الخوانك والتكايا والرباطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ١ —

كان للحضارة الاسلامية منذ صدر الاسلام مظاهر بمنشآت تخدم الدين أو العلم • أو التكافل الاجتماعى أو تجمع بين هذه الخدمات والوظائف• فكانت المساجد، والمدارس، والخوانك التكايا ، والرباطات والبيمارستانات والسقايات والأسبلة وغيرها •

وكان تقليدا للعرب منذ صدر الاسلام أن يقيموا مسجدا جامعا فى كل مدينة يفتحونها أو ينشئونها •

وكانت الفسطاط ثالثة المدن التى أنشأها العرب ٢٠/٢١هـ • بعد البصرة ١٤هـ • والكوفة ١٦هـ • فلما فتحت الأمصار كتب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الى ولاته بالجهات أن يتخذ كل منهم مسجدا للجماعة •وأن يجعلوا للقبائل مساجد • فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة •

وقال عمرو بن العاص : لا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وآخذ بالذنوب وأعطى الحقوق يعنى الحاكم أو الوالى •

وجعل مسجد جامع واحد للمدينة أدعى لتحقيق وحدة المسلمين واجتماعهم • وظل هكذا الحال حتى زمن المعتضد بالله العباسى (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) فأنشأ فى دار الخلافة مسجدا خاصا كان يصلى فيه الجمعة خوفا من الصلاة فى المسجد العام للمدينة •

ثم تعددت بعد ذلك المساجد الجامعة فى المدينة الواحدة نتيجة لاتساع المدن وتكاثف سكانها •

وكان أمير الاقليم يؤم الناس فى الصـلاة • فاذا منعه مانع • أناب عنه صاحب الشرطة أو من يراه • وكانت امامة الصلاة أهم وظائف الوالى الذى يعينه الخليفة •

وكان الخليفة أووالى الاقليم يلقى خطبة الجمعة • وكانت هـذه الخطبة فضلا عما فيها من الوعظ والارشـاد فيها توجيـه واعلان لبعض سيـاسة الحكم •

ولم تكن وظيفة المسجد الجامع قاصرة على الصلاة • بل كان أيضـا مكان ندوة يجتمع فيها المسلمون بين أوقات الصلاة لتدبر شؤونهم وتبادل الآراء •وفيه كانت تلقى دروس فى الفقة والتفسـير والحديث وغيرها • فى حلقـات يعقـدها شيـوخ المـادة متطـوعين • ويلتف حـول الشمـيخ السامعون •

وقد بلغ عدد هـذه الحلقـات فى جامع عمـرو بالفسـطاط فى القرن الرابع الهجرية ١١٠ حلقات يستمر بعضها من بعد صلاة العشاء الى ثلث الليل • وذكر المقريزى أنه كان بهذا الجامع قبل وباء سنة ٧٤٩ هـ بضعـا وأربعين حلقـة لاقراء العلـم لا تكاد تبرح منه • وتنـاقص عدد الحلقات بجامع عمـرو يرجع الى تكاثر انشاء المدارس المختلفة •

وعنـدما دخـل الفاطميـون مصر سنة ٣٥٨ هـ وأنشأوا الجامع الأزهر رتب العـزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦هـ) بضعة وثلاثين فقيها للتدريس فيه فى هيئة حلقات • وأجرى عليهم المرتبات والأرزاق • وبذلك أصبح الأزهر أقدم جامعة استمرت للآن فى جميع العـالم تتـولى الدولة الانفـاق على التدريس فيها •

وكان يدرس بالأزهر فضـلا عن التفسير ، والحديث ، وعلوم اللغة فقة المذاهب الأربعة وليست هى المذاهب الأربعة التى نعرفهـا الآن • ولكنهـا كانت مذهب الشافعى • ومذهب مالك ومذهب الشـيعة الامامية • ومذهب الشيعة الاسماعيلية •

ويحدثنا التاريخ أن الحاكم بأمر الله الفاطمى ابن العزيز اسـتقدم من بغـداد الحسن بن الهيثم (٣٥٤ –

٤٤٢هـ) عالم البصريات الشهير الذى تعلمت منه أوربا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح وتشريح للعين وكيفية تكوين الصور على شبكتها وأسماء أجزائها. وكان ابن الهيثم يقيم بالأزهر • وتوفى ابن الهيثم بالقاهرة ودفن بها •

وأنشأ الحاكم بأمرالله سنة ٣٩٥ هـ دار الحكمة لدراسة وتدريس العلوم المختلفة •

ولما قضى صلاح الدين الأيوبى على الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ • وألغى المذهب الشيعى رسميا من مصر • ووجد فى الجامع الأزهر منطلقا للدعاية لهذا المذهب • عطل خطبة الجمعة من الازهر : مرتكنا على فتوى من قاضى قضاة الشافعية بأنه لا تجوز خطبة الجمعة فى أكثر من مسجد فى مدينة واحدة ـ هى القاهرة الفاطمية ـ واكتفى بجعلها بالجامع الأنور المعروف الآن بجامع الحاكم بأمر الله بحجة أنه أكثر اتساعا من الجامع الأزهر •

وظلت خطبة الجمعة معطلة من الجامع الأزهر حتى أعادها الظاهر بيبرس فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ـ بعد اصلاحات وترميمات بالجامع استغرقت مايقرب من عامين وارتكن بيبرس على فتوى من قاضى قضاة الحنفية • وكان هذا من الأسباب التى جعلت بيبرس ينشىء نظام المذاهب الأربعة • الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى ولكل مذهب قاضى قضاة يعين قضاة المذهب• والتقدم لقاضى قضاة الشافعية •

وكان تعطيل صلاح الدين للأزهر كما يبدو قاصرا على خطبة الجمعة فقد ذكر العالم العربى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى الذى أقام بمصر من سنة ٥٨٣ ـ سنة ٦٠٢ هـ فى كتابه الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر المعروف (بمختصر تاريخ مصر) : وكانت سيرتى فى هذه المدة أن أقرىء بالجامع الأزهر من أول النهار الى الساعة الرابعة • ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره • وآخر النهار أرجع الى الجامع الأزهر • ويقرىء قوم

آخـرون • وفى الليل اشـتغل مع نفسى ••• الخ •

وفى هذا ما يدل على أن الطب كان من العلوم التى تدرس بالأزهر •

وأخذ صلاح الدين ومن تلاه من الأيوبيين وأمراء دولتهم فى انشـاء المدارس فى أنحـاء القاهرة للمذاهب المختلفة •

فأنشـأ صـلاح الدين خمس مدارس • منها اثنتان بجـوار جامع عمرو بالفسـطاط للفقهين الشـافعى والمـالكى • وثالثة بجوار مقام الامام الشافعى للفقه الشافعى• ورابعة بجهة الصاغة حاليا للفقه الحنفى•والخامسة بجوار ضريح الامام الحسين •

وأنشـأ أخـوه العـادل مدرسـة بالفسـطاط للفقه المـالكى • وأنشأ ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه مدرسـة بالفسـطاط للفقه الشـافعى عرفت بمنـازل العز لأنها بدار بهـذا الاسـم كانت تملكها السـيدة تغريد زوجـة المعـز لدين الله الفاطمـى • وأنشأ الكامل ابن العـادل المدرسـة العظيمة والباقيـة للآن بين القصرين لتدريس الحديث الشريف • كمـا انشأ الصـالح نجم الدين أيوب بن الـكامل المدرسة الصـالحية لتدريس فقه المذاهب الأربعـة • وآثار هـذه المدرسة باقية للآن بخان الخليلى •

ولا أريد أن أسترسل فى ذكـر المدارس التى أنشأها الأيوبيون وأمراء دولتهـم فى مدة حكمهـم القصـيرة (٨١ عاما) ولكن نقول اجمـالا ان المقريزى ذكر ٢١ مدرسة أنشئت فى عهدهم كما ذكر ٤٣ مدرسة أنشئت فى عهد دولتى السلاطين المماليك حتى دخول العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ •

وكانت هـذه المدارس تجمع بين وظيفتى الجامع والمدرسة وهندسـة انشائها تقريبا واحدة • فهى عبـارة عن أربعة ايوانات مسـقوفة بجوانب المسـجد الأربعة • يتوسطها مسـطح مكشوف • وفى هذه الايوانات كانت تعقـد حلقـات الدروس • وخلف بعض هـذه الايوانات كانت الغرف لخدمة الأغراض المختلفة فى المدرسة•

الخوانك والرباطات والتكايا والزوايا:

ثم أدخل صلاح الدين فى القاهرة نظـام الخوانك • وهى جمع خانكاه

لفظ فارسى بمعنى بيت • وهى أماكن لتخلى الصوفية فيها للعبادة • وقال المقريزى انها حدثت فى الاسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة •

ولكنه قال أيضا (الخطط جـ٢ ص ٤١٥) : أن أول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة فى خلافة عثمان بن عفان (٢٤ـ٣٥هـ) • فقد عمد الى رجال من البصرة قد انقطعوا للعبادةولم يكن لهم مايشغلهم عنها من تجارة أو غيرها • فبنى لهم الدور وأجرى عليهم مايقوم بمحصالهم الدو وأجرى عليهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس • وأراد والى البصرة أن يقربهم اليه • فقال له زيد : ما تريد من هؤلاء القوم ؟ قال : أريد أن أقربهم • فيشفعوا فأشفعهم • ويسألوا فأعطيهم • ويشيروا على فأقبل منهم • فقال لا ولا كرامة • فتأتى الى قوم قد انقطعوا الى الله تعالى فتدنسهم بدنياك • وتشركهم فى أمرك • حتى اذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم • فطاحوا لا الى الدنيا ولا الى الآخرة • قوموا فارجعوا الى مواضعكم•فقاموا وأمسك الوالى فما نطق بلفظة •

والرباطات أو الأربطة : جمع رباط ووظيفته قريبة من وظيفة الخانكاه ، وأصل الرباط ما تربط فيه الخيول ، ثم أطلق على كل ثغر على حدود البلاد الاسلامية ينتظر أهله فرص الجهاد للغزو أو الدفاع •

ثم أنشئت الرباطات داخل البلاد لانقطاع بعض الناس فيها للعبادة ، وقيل فى تفسير الآية الكريمة (اصبروا وصابروا ورابطوا) أى جاهدوا • وقيل أيضا أى واظبوا على الصلاة وترقبوا مواعيدها •

وكانت بعض الرباطات قاصرة على النساء •

وبطل استعمال لفظ الخانكاه بعد دخول العثمانيين مصر (٩٢٣) • واستعمل بدله لفظ التكية ـ جمعها تكايا وهى بمعنى الخانكاه • وأغلب التكايا فى القاهرة أنشئت فى العهد العثمانى • يقيم فيها (فقراء) الصوفية من الأعاجم ويطلقون عليهم لفظ الدراويش •

ويدخل فى هذا المعنى أيضا الزوايا • فالزاوية أصلا جامع صغير

يقيم فيه أحد مشايخ الطرق الصوفية ويجتمع عليه مديدوه فيلقى عليـهم دروسه • ويعقدون فيها (حضرات) أسبوعية بالأذكار والأدعية •

وتختلط هـذه المعانى جميعها مع بعضها فبعض الخوانك والتكايا ذكرها المقريزى ، وعلى مبارك فى الجوامع أو المـدارس أو الزوايا • فالجـامع أو المدرسة قد يشمل أيضا خانكاه بمعنى أماكن لتخلى الصوفية •

وقبل أن نتكلم عن الخوانك فى القاهرة الاسلامية يحسن أن نقـدم لها بكلمـة موجـزة عن الصـوفية والتصوف •

الصوفية والتصوف :

قال الامام أبو القاسم عبد الكريم ابن هـوازن القشـيرى (الرسـالة القشيرية ص ٨) : اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسـمية علم سوى صـحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم • اذ لافضيلة فوقها • فقيل لهم الصحابة • ولمـا أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين • ورأوا فى ذلك أشرف سمة • ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين•ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد • ثم ظهرت البدع • وحصل التـداعى بين الفرق • فكـل فريق ادعوا أن فيهم زهادا • فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفـاسهم مع الله تعالى الحافظـون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصـوف • واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة • اهـ •

والتصـوف طريق اسـلامى اتبعه كثير من علمـاء الاسلام الأفاضـل • يقـوم على الاجتهـاد فى التعبـد • والتقشف فى الحيـاة • والبعد عن الشهوات • والتعمق فى فهم الأصول الدينية • والتفـانى فى محبة الذات الالهية وطاعتها •

واختلفوا فى أصل التسمية فأرجعها البعض الى اقتصارالمتصوفين على لبس

الصوف مع خشونته دليلا على التقشف .

وقال البعض انها من الصفا . لما فى طريقها من صفاء النفس والبعد عن الشهوات ، وقال أخرون : انها من الصفة وهم قوم كانوا يقيمون بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة متفرغين للعبادة حيث لاعمل ولا دار لهم ، يخرجون للجهاد متى كان ثم يعودون لعبادة بالمسجد وكان الرسول صلى الله عليه وسلم - يصلهم ويقوم بما يلزمهم من طعام وكساء .

وقال غيرهم انها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية ومعناها الحكمة . وقالوا تعليلات واشتقاقات أخرى للتسمية .

واتبع طريق التصوف كثيرون من أئمة الاسلام المشهود بفضلهم وورعهم . وفى أقوالهم المأثورة عنهم حكم بليغة . وفهم عميق . وسمو روحانى . وحض على مكارم الأخلاق بكافة الصور . وايمان مطلق بقدرة الخالق . ورضا كامل بكل ما يفعل . وعبادتهم محبة للذات الالهية وتقرب اليه تعالى لا طمعا فى ثوابه أو خشية عقابه .

وبين الصوفية والفقهاء تنافس أو خلاف . فبعض أعلام الصوفية لم يتلقوا العلوم الشرعية بترتيبها وأوضاعها وعن شيوخ معينين كما تلقاها الفقهاء . ولكنهم يقولون آن العلم نوعان . علم منقول . وهو علم الفقهاء . وعلم لدنى أى من عند الله سبحانه وتعالى يوحى به الى قلوب وعقول من يشاء من الواصلين اليه . فينطق به اللسان . وهو علم الصوفية . وان علم الصوفية هو علم الشريعة . وان كل صوفى فقيه ولا عكس .

وقال الامام القشيرى (الرسالة القشيرية ص ٥٠) : الشريعة أمر بالتزام العبودية . والحقيقة مشاهدة الربوبية . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول . وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة انباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده . والحقيقة أن تشهده . والشريعة قيام بما أمر . والحقيقة شهود لما قضى وقدر . وأخفى وأظهر . اهـ .

ولم يعرف عن أئمة الصوفية أنهم حرموا حلالا . أو حللوا حراما . أو أنهم خرجوا عن الكتاب والسنة . ولكن مجاهدتهم فى الزهد والعبادة قد جعلت من صفاء نفوسهم قوى روحانية يستشفون بها بعض الحقائق التى قد يدق ادراكها عن الفقهاء .

ونسبت اليهم ولاية وكرامات . كما اندس فى طرقهم بعض أدعياء موهوا على البسطاء بالأقوال والأفعال . ما رفعوهم بما موهوه فوق مراتب النبوة . وجعلت بعض العقلاء ينظرون الى التصوف نظرة من الشك هو بعيد عنها كل البعد . كما أن طبيعة المبالغة عند الناس زادت فيما نسب للصالحين منهم من كرامات حتى خرجت عن حد المعقول .

وقد قال المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ٤١٤ وقد توفى سنة ٨٤٥ هـ) : ثم تلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون الى علم أو ديانة . والى الله المشتكى . ا هـ .

وكان الوضع الاجتماعى للشعوب الاسلامية . وهى تحت سيطرة الحاكمين المستبدين المعتمدين على القوة العسكرية يساعد على التماس سيادة أخرى أكثر رحمة وأقرب انسانية . هى السيادة الروحية . وكان هذا من أسباب انتشار الطرق الصوفية وتعددها .

ويطلق الصوفية على أنفسهم اسم الفقراء . ولطرقهم اصطلاحات وتعبيرات مثل النفحة والقبضة والخرقة وغير ذلك مما تحفل به كتبهم .

والأصل فى الطرق الصوفية أن الشيخ له مريدون . ويتدرج المريدون فى مراتبهم بتلقينهم الأسماء السبعة اسما بعد اسم . وكلما رأى الشيخ فى المريد طاعة فى الله واخلاصا فى العبادة وتفانيا فيها وتلاوة أوراد بتسبيحات معينة فى أوقات معينة كل يوم عددا من المرات ومداومة على حلقات الذكر لقنه الاسم التالى . وبعد ذلك يجيز الشيخ له بتسليك ـ أى اعطاء العهود لغيره .

وأخذ المريد للعهد من شيخه له صور وصيغ تختلف باختلاف

الطرق•وتتلخص فى أن يتطهر المريد ويمسك الشيخ بيده اليمنى يد المريد اليمنى ويعاهده على طاعة الله وعبادته •

وقيل أن الأصل فى الطرق أن عليا بن أبى طالب قال للرسول (ص) أن يدله على أقرب الطرق لله تعالى • فقال له : يا على • عليك بمداومة الذكر فى الخلوات • قال على : هذه فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون • فقال الرسول (ص) : لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله • فقال على : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال : أغمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات • ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع منك • فقال الرسول (ص) مغمضا عينيه رافعا صوته ثلاث مرات : لا اله الا الله • وعلى يسمع • ثم قال على مغمضا عينيه رافعا صوته ثلاث مرات • لا اله الا الله والرسول (ص) يسمع •

ثم لقن على بن أبى طالب أباسعيد الحسن البصرى (توفىسنة ١١٠هـ)• الذى لقن حبيبا بن محمد العجمى المعروف بالفارس (توفى سنة ١١٩ هـ) • الذى لقن أبا سليمان داود بن قصير الطائى (توفى سنة ١٦٢ هـ) • الذى لقن أبا محفوظ معروفا بن فيروز الكرخى (توفى سنة ٢٠٠ هـ) • الذىلقن أباالحسن السرى المغلس السقطى (توفى سنة ٢٥٣ هـ) الذى لقن ابن أخته أباالقاسم الجنيد بن محمد الزجاج (توفى سنة ٢٩٧ هـ) •

وعن الجنيد تفرقت سائر الطرق (١) •

وقالوا لكل بلاد رجال • وان لكل رجال قطبا يحكم عليهم بمشيئة الله • وقالوا فى مراتب الوصول : النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون الأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أو الأقطاب أربعة والغوث واحد •

---

(١) تاريخ الجبرتى ج ١ ص ٢٩٧ ، طبقات الشعرانى ج ١ صفحات ٣١ ، ٧٩ ، ٨٢، ٨٣ ، ٩٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ ، ٢٨٣ و ج ٢ صفحات ٤٣ ، ١٦٧ ، ٣٣٩

وقالوا أن سكن النقباء بلاد المغرب • وسكن النجباء مصر • وسكن الأبدال الشام • والأخيار سواحون فى الأرض • والعمد أو الأقطاب الأربعة فى زوايا الأرض • والغوث بمكة (١) •

واذا عجز من فى مرتبة عن نفاذ أمر لجأ الى من فى مرتبة أعلى • فهى دولة لها حكامها ووزراؤها وقضاتها وأحكامها وتعدد درجات قضائها •

والشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن العمد أو الأقطاب الأربعة هم : السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ — ٥٧٠ هـ) مدفون فى أم عبيد بالعراق، السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ — ٥٦١ هـ) مدفون ببغداد ، السيد أحمد البدوى (٥٩٦ — ٦٧٥ هـ) مدفون بطنطا ، السيد ابراهيم الدسوقى (٦٢٣ — ٦٧٦) مدفون بدسوق •

وقد ذكر على باشا مبارك فى الخطط الطرق التى كانت موجودة فى أواخر القرن الماضى وتابعة لمشيخة البكرية وعددها تسعة :

١ — الأحمدية نسبة الى السيد أحمد البدوى ولها ١٦ فرعا وعلمها وزيها أحمران •

٢ — الرفاعية نسبة الى السيد أحمد الرفاعى ولها ٣ بيوت وعلمها وزيها أسمران (١) •

٣ — القادرية نسبة الى السيد عبد القادر الجيلى وعلمها أخضر •

٤ — البراهمة نسبة الى السيد ابراهيم الدسوقى ولها فرعان وزيها أخضر •

٥ — الشاذلية نسبة الى أبى الحسن الشاذلى ولها ١٣ فرعا وأعلامها مختلفة •

٦ — الخلوتية نسبة الى السيد مصطفى البكرى ولها أربعة فروع ولا علم لها وزيها الطاووق •

---

(١) نور الأبصار فى مناقب النبى المختار ص ٢٧٥ وما بعدها .
(٢) الفرق بين الفروع والبيوت أن لكل فرع شيخا ولكن يجوز أن يكون شيخ واحد لعدة بيوت .

٧ ـ الميرغنية : نسبة الى محمد عثمان الميرغنى والعلم والزى أبيضان .

٨ ـ السعدية : نسبة الى سعد الله ابن جباوى بن موسى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ والعلم والزى أخضران .

٩ ـ النقشبندية : نسبة الى بهاء الدين محمد شاه نقشبند المتوفى سنة ٧٩١ هـ .

وهناك طرق أخرى كثيرة مثل المولوية : نسبة الى مولانا جلال الدين الرومى المتوفى فى قونية سنة ٦٧٢ هـ الكلشنية : نسبة الى الشيخ ابراهيم الكلشنى المتوفى سنة ٩٤٠ هـ ، ـ البكتاشية نسبة الى سيد محمد الحاج بكتاش المتوفى سنة ٧٣٨ هـ ، السهروردية : نسبة الى شهاب الدين سهروردى المتوفى ببغداد سنة ٦٣٢ هـ .

السنوسية : نسبة الى سيد محمد على السنوسى المتوفى سنة ١٢٧٦ .

الملامتية : نسبة الى سيد محمد نور العربى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ . وغيرها كثير فى مصر وسائر الدول الاسلامية .

(يتبع)

محمد كمال السيد محمد

أن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطىء يسهل على كثير أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان ، وان كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيعون ان يعملوا ، ولكن قليلا منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف .

.... حسن البنا ـ رسالة المؤتمر الخامس

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٠١ ـ وينكرون أن يقال : فلان يزيد عن أخيه مالا أو علما أو نحو ذلك ، بتعدى الفعل بعن ، ويصرون على أنه ان تعدى فبعلى فقط كما فى قوله تعالى « أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا » وقول ذى الاصبع العدوانى .

وأنتم معشر زيد على مائة
فأجمعوا أمركم طرا فكيدونى

وفى الحق أنه يتعدى بعن كما يتعدى بعلى ، قال أبو البقاء فى كلياته ، والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى ، لأن نقص يتعدى به وهو المقابل له ، والعرب تحمل الشيء على ضده ، وها هو ذا قبيصة الجرمى الفارس الشاعر الجاهلى يقول فى ممدوحه :

يزيد نبالة (١) عن كل شيء
ونافلة (٢) وبعض القوم دون

٣٠٢ ـ ومن أخطائهم أنهم اذا ألحقوا أداة التعريف بالأسماء التى أولها ألف وصل كابن ، وابنة واثنين ، واثنتين سكنوا لام التعريف ، وقطعوا ألف الوصل محتجين بقول قيس بن الحطيم .

اذا جاوز الاثنين سر فانه
بنث (٣) وتكثير الوشاة قمين (٤)

---

(١) النبالة : الذكاء والنجابة .

(٢) النافلة : الغنيمة والعطية وما تفعله مما لا يجب عليك .

(٣) النث : الافشاء وعدم كتمان الأسرار .

(٤) قمين : حقيق وجدير .

والصواب أن تسقط همزة الوصل ، وتكسر لام التعريف ، والعلة فيه أنه لما دخلت أداة التعريف على هذه الأسماء صارت همزة الوصل حشوا ، والتقى فى الكلمة ساكنان : لام التعريف والحرف الساكن الذى بعد همزة الوصل ، ولهذا وجب كسر لام التعريف .

أما البيت المذكور فمحمول على ضرورة الشعر ، على أن فيه رواية أخرى هى : اذا جاوز الخلين .

٣٠٣ ــ ويقولون : نقد فلان برىء ، وهذه كلمة شكر بريئة ، وكل من هذين التعبيرين غير مسليم ، لأن البراءة لا يوصف بها غير الأناسى كما فى قوله تعالى :

« أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ، وقوله «انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله »» .

ووجه الكلام أن يقال : نقد فلان خالص ، وهذه كلمة شكر خالصة ، أى من شوائب الرياء وسوء النية .

٣٠٤ ــ ويقولون للرجل الذى يعمل بكلتا يديه : أعسر أيسر ، وللمرأة هذه حالها : عسراء يسراء ، وكلا التعبيرين خطأ ، والفصيح أن يقال للرجل أعسر يسر ، بفتح كل من الياء والسين ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعسر يسرا ، ويقال للمرأة : عسراءيسرة بفتحات .

٣٠٥ ــ ويقولون : أصيب فلان بتخمة فيسكنون الخاء خطأ ، والصواب فتحها ، ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر ، وهى سوء مغبة الطعام ، وقلة استمرائه .

تقول: تَخِم الرجل من بابى ضرب وعلم اذا أصابته تُخَمَة وقد أتخمه الطعام والطعام متخمة وزان مرحمة أى يتخم منه ، وأصلها موخمة قلبت الواو تاء .

٣٠٦ : ويقولون : لفلان الرئاسة على قومه بالهمزة مع كسر الراء ، والفصيح أن يقال له الرياسة بالياء بدلا من الهمزة ، فقد قالت العرب : رأس فلان قومه يرأسهم رياسة فهو رئيسهم وريِّسهم وزان قيم .

أو يقال : له الرآسة بالهمزة الممدودة مع فتح الراء . فقد ورد عن العرب قولها : رأس فلان القوم رآسة ، أى شرف قدره عندهم فاتخذوه رئيسا عليهم ، جمعه رؤساء كشريف وشرفاء قال النمر بن تولب:

ويوم الكلاب (١) رأسنا الجموع
ضررا (٢) وجمع بنى منقر (٣)

ويقال : رأسنا فلانا بالفعل المضعف ترئيسا اذا جعلناه رئيسا فارتأس وترأس علينا ، ورأسوه على أنفسهم ، كما يقال : تأمَّر عليهم ، وأمروه اذا جعلوه عليهم أميرا ، والرئيس وزان سكّيت الكثير الترؤس .

أما الرئاسة بالهمزة فهى مقبض السيف كالرئاس بدون هاء ، يقال :

خذ برئاس سيفك ورئاسته أى بقائمه ، ومن المجاز قولك لغيرك : رُئميت منك فى الرأس اذا ساء رأيه فيك .

٣٠٧ ـ ويستعملون خطأ كلمة مجرد وزان معظم فى غير ما وضعت له ، فيقولون مثلا نريد أن نراك فى المطار بمجرد وصول طائرتنا اليه ، وفهم الطالب الاجابة بمجرد توجيه السؤال اليه ، ولقى أخى صديقه بمجرد خروجه من المنزل ، وكل هذه التعبيرات وأمثالها لا نصيب لها من الصحة ، لأن للتجريد معانى عدة لا تمت بصلة الى المعنى الذى يقصدون اليه .

فهو القشر كما فى قولك : جردت التفاحة تجريدا اذا قشرتها فهى مجردة ، وهو التعرية كما فى قولك : جردت فلانا من ثيابه تجريدا اذا نزعتها عنه وعريته فهو مجرد منها ، وهو الحلج كما فى قولك : جردت القطن تجريدا اذا حلجته فهو مجرد ، وكذلك هو التكليف كما فى قولك جرد فلان للقيام بكذا اذا

---

(١) الكلاب : اسم ماء له يوم .
(٢) ضرارا : مضارة وعلى الرغم منه .
(٣) منقر : أبو بطن من تميم .

كلفه ، ومن المجاز قولك جرد الجندى سيفه تجريدا اذا أخرجه من غمده ومطاوع هذا الفعل التجرد تقول جردته من كذا فتجرد منه « وقولهم : فلانة بضة المجرد أى بضة عند التجرد ، وتقول : تجرد أخى للبحث فى الأدب أو تجرد للعبادة اذا جد فى ذلك فهو متجرد ، والأنثى متجردة ، ومن هذا سميت امرأة النعمان بن المنذر بالمتجردة .

ويقال : تجردت السنبلة من لفائفها اذا خرجت منها فهى متجردة .

ولتأدية المعنى الذى يبتغونه يجب أن يستبدل بكلمة بمجرد ظرف زمان فيقال : نريد أن نراك فى المطار حين وصول طائرتنا ، أو وقت وصولها ، أو ساعة وصولها اليه ، وكذا يقال فى التعبيرين الأخيرين .

٣٠٨ ــ وانا لنرى ونقرأ عبارة غير مستقيمة نشرت فى كثير من الأماكن حتى على حيطان مراكب (الترام) وارتضاها كثير من المثقفين هى شهادات الاستثمار لها ربح وفير اذ فيها غلطتان .

احداهما أن كلمة الاستثمار لم ترد فى اللغة ، فلم تقل العرب استثمر الرجل ماله استثمارا ، وانما قالت ثمَّر الرجل ماله تثميرا بالفعل المضعف اذا نمَّاه وكثره ، وثمر الله مالك تثميرا اذا بارك فيه وكثَّره ، وأثمر الرجل اذا كثر ماله وقالت : ثَمَرَ الرجل بالفعل الثلاثى اذا تموَّل ، ومال ثمِر وزان فرح اذا كان مباركا فيه ، ومال مثمور اذا كان كثيرا ، وأثمر القوم وثمروا ثمورا اذا كثر مالهم وعلى هذا يجب أن يستبدل بالاستثمار فى عبارتهم كلمة التثمير فيقال شهادات التثمير والغلطة الأخرى كلمة وفير فهى لم ترد عن العرب ، ولذا يجب أن يقال لها ربح وافر أو موفور اسم فاعل أو اسم مفعول من الثلاثى ، أو موفر اسم مفعول من وفره توفيرا اذا جعله كثيرا ، أو مستوفر اسم مفعول من استوفره اذا كثره وذخره .

٣٠٩ ــ ويقولون : استكبر فلان علينا كما يستكبر على زملائه ،

يعنون أن الخيلاء قد ركبته فعد نفسه عظيم القدر فلم يأبه بأحد •

والحق أن هذا الفعل لا تستعمل معه على البتة وانما له حالتان احداهما أن تستعمل معه عن فيقال : استكبر عنا كما يستكبرَ عن زملائه ويؤيد هذا قوله تعالى : « وكنتم عن آياته تستكبرون » وقوله : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته » •

والحالة الأخرى أن يستعمل بدون حرف الجر كما فى قوله سبحانه « أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم » •

وقد يأتى هذا الفعل متعديا كما فى قولك : استكبرت الشىء اذا رأيته كبيرا وعظم عندك •

٣١٠ ــ ويقولون : رجل حران ، وامرأة حرانة، يعنون شدة الحر ضد البرد ، أو شدة الحرارة ضد البرودة ، وهذا خطأ ، لأن الحران هو العطشان ، تقول حر الرجل يحر من باب ظل أى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع حرة ذا عطش فهو حران وهى حرى أى عطشى ، وأحر الرجل اذا صارت ابله حِرارا •

والصواب أن يقال له : حرير أو محرور وهو من تداخلته الحرارة سواء أكانت من الغيظ أم من غيره والمرأة حريرة أو محرورة ، ويقال : حر اليوم والطعام يحر من باب تعب ، وحر حرا وحرورا بالضم من بابى ضرب وقعد فهو حار ، والاسم الحرارة •

وتقول : حررت يافلان اذا أصابه الحر أو الحرارة بفتحهما أو الحرور بالضم ، وحر الرجل الماء أسخنه وجعله حارا •

٣١١ ــ ويقول كثير من النحاة : ان التمييز اسم بمعنى من مفسر لما انبهم ، والحق أن كلمة انبهم لم تسمع فى كلام العرب ، والصواب أن يستبدل بها استبهم •

قال الراغب : ان انبهم غير مسموع ، لأنه بزنة انفعل ، والمطاوع بهذا الوزن خاص بما فيه علاج ، نحو كسرته فانكسر ، وجذبته فانجذب ، وهذا ليس فيه علاج •

يقال : استبهم عليه الأمر اذا استغلق ، واستُبهم على فلان بالبناء للمجهول اذا أرتج عليه فلم يستطع الكلام ، ومن المجاز قولك : هذا أمر مبهم أى لا مأتى له ، وهذا كلام مبهم أى لا يعرف له وجه •

٣١٢ ـ ويخطىء الخاصة حين يقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا صُمودا مشرفا فى معركتهم مع الأعداء ، وأنزلوا بهم كثيرا من الهزائم حتى أجبروهم على الفرار مندحرين وفى هذه العبارة غلطتان •

احداهما أن الصمود مصدر أنشأه العامة ، أما المصدر السليم فهو الصمد وزان العدل وله معنيان أحدهما القصد ، تقول : صمدت الأمير من باب نصر صَمْدا اذا قصدته ، فالأمير مصمود وصَمَد(١) بالتحريك ، ومن هذا قوله تعالى « الله الصمد » والآخر الضرب تقول : صمده بالعصا اذا ضربه بها •

والغلطة الأخرى قولهم مندحرين ، والصواب أن يقال : مدحورين أى مطرودين وفى التنزيل « قال اخرج منها مذموما مدحورا » فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا وأنزلوا بهم الهزائم حتى فروا مدحورين •

٣١٣ ـ ويقولون لمن لا غيرة له على أهله مُعرس بصيغة اسم المفعول ، أو عَرْس وزان بغل وهذا خطأ صراح ، لأن هاتين الكلمتين ـ على الرغم من أنهما عربيتان سليمتان ـ تحمل كل منهما معنى لاصلة له بالمعنى الذى يبتغونه •

فالمعرس هو الموضع الذى يُعرس فيه المسافر ، أى ينزل نزلة يستريح فيها ثم يرتحل ، قال :

وقد كان ذا نخل وزرع وحامل
وأمسى وما فيه لباغ مُعرَّس

---

(١) مثل : صمد بمعنى مصمود : قلم بمعنى مقلوم ، وولد بمعنى مولود ، وحفر بمعنى محفور ، ونقض بمعنى منقوض ، وخبط بمعنى مخبوط ، كل أولئك فعل بمعنى مفعول .

أما العرس فهو عمود فى وسط الفسطاط ، وكذلك هو الفصيل الصغير ، جمعه أعراس •

ولتأدية المعنى المراد ينبغى أن يقال : هو ديثوث وزان فَرُّوج ، مأخوذ من ديثه اذا ذلّله ، تقول : داث الشيء ديثا من باب باع اذا لان وسهل ، ويعدى بالتضعيف فيقال : ديّثه غيره •

ويقال له أيضا : قمعوث وزان زنبور ، وطزع وزان كتف •

٣١٤ ـ ويقولون : فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان •

احداهما : أن كلمة الجنيه لاوجود لها فى العربية ، والفصيح أن يقال له : الدينار المصرى وأصله دنار بتشديد النون ، أبدلت من احدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر من نحو كذاب ، وكلام ، وحمال ، ولهذا يرد فى الجمع الى أصله فيقال دنانير •

والغلطة الأخرى كلمة ريال ، اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وانما معناها اللعاب ، تقول : رال الصبى يريل ريالا اذا سال لعابه ، ومثله الروال بضم الراء ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى المصباح وقيل : ان الروال لعاب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، المرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب •

٣١٥ ـ ويقولون : شاركه السفر ، وشاركه السراء والضراء ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين ، والفصيح أنه لا يتعدى بنفسه الا الى مفعول واحد ، ويتعدى الى الثانى بفى ، سواء أكان ثلاثيا أم كان مزيدا •

فمن الثلاثى يقال : شركه فى الميراث شركة ، والاسم الشرك بالكسر ، جمعه أشراك ومن المزيد يقال : شاركه فى التجارة ، وشاركه فى سرائه وضرائه كما فى قوله جل شأنه « وشاركهم فى الأموال والأولاد » وأشرك الرجل أخاه فى عمله ، ومن هذا قوله سبحانه « وأشركه فى أمرى » وكذا يقال : اشتركا فى الصناعة ، وتشاركا فيها •

والشريك جمعه شركاء كحكيم وحكماء ، وحليم وحلماء ، ويجمع أيضا على أشراك كشريف وأشراف ،

ويتيم وأيتام ، والمرأة شريكة ، والنسوة شرائك كريمة وكرائم أما الفعل الذى يحمل معنى المشاركة ويتعدى بنفسه الى مفعولين فهو شباطر تقول : شاطرته ماله اذا ناصفته ، وأخذ كل منكما شطر هذا المال ، ومن هذا قولهم فى التعزية نشاطركم الأحزان •

٣١٦ ــ ويقولون : الكرسى عبارة عن عصى من الخيزران ، أو عيدان من الخشب يركب بعضها فى بعض ، والسجادة عبارة عن صوف منسوج ، والمنزل عبارة عن بناء من الآجر أو من اللبن مسقف بالخشب ، له أبواب ونوافذ ، وكل هذه التعبيرات خطأ والفصيح أن كلمة عبارة ــ فضلا عن أنها حشو لم يأت بجديد فيما سقنا من الأمثلة ــ لها معنى آخر هو التعبير عما يختلج فى الصدر تقول : فلان حسن العبارة أى البيان ، وعبرت عن فلان تعبيرا وعبارة اذا تكلمت عنه وبينت أهدافه واللسان يعبر عما فى الضمير عبارة أى يبين •

ويقال : عبرت الرؤيا عبرا وعبارة من باب كتب أى فسرتها ، ومن هذا قوله تعالى «ان كنتم للرؤيا تعبرون» وعبرتها بالتثقيل تعبيرا مبالغة ، والاسم العبارة •

٣١٧ ــ وسمعت بعض من نالوا قسطا موفورا من الثقافتين العربية والدينية يقول كلما عنى الانسان بأمور دينه كلما كان من المقربين عند الله ، وتكرير كلما خطأ صريح ، اذ لا يجوز تكرير أى أداة من أدوات الشرط فى عبارة واحدة وكلما هذه أداة شرط غير جازمة ، ولا يليها الا الماضى كما فى قوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه » وقوله « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » ويشاركها فى عدم الجزم والاختصاص بالماضى لما فى قوله سبحانه : « ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم » وقوله « ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه »

٣١٨ ــ ويقولون لأولادهم : لاتسيرا فى الطريق الا على الرصيف ، والفصيح أن يقال الا على الطوار بفتح الطاء وكسرها ، وطوار الطريق هو ما انقاد معه من طوله ، وللطريق طواران

أحدهما عن يمين السائر فيه ، والآخر عن يساره ، وطوار الدار ما كان ممتدا معها .

أما الرصيف فله معنى لا يمت بصلة الى المعنى الذى أرادوه ، تقول هذا عمل رصيف اذا كان محكما رصينا ، وهذا جواب رصيف اذا كان قويا لا يرد ولا ينقض .

٣١٩ـ ويقول العامة وبعض الخاصة: فلانة عضوة فى الوزارة ، أو فى جماعة كذا فيوهمون ، اذ يؤنثون العضو وهو اسم جامد لا يقبل الهاء فى آخره

وأصل وضع الهاء فى آخر الاسم انما يكون للفرق بين المذكر والمؤنث فى الأوصاف المشتركة بينهما ، نحو صائم وصائمة ، ومنصور ومنصورة، وكريم وكريمة

أما دخولها على الجامد فسماعى فى ألفاظ قليلة معدودة ، منها أسد وأسدة ، وذئب وذئبة وسبع وسبعة ، ورجل ورجلة .

٣٢٠ ـ ويقولون : سوف لانكذب فيما نتحدث، وسوف لا نقول الا حقا، يعنون أنهم لا يكذبون مستقبلا ،

قال صاحب الصحاح عند الكلام على سوف : ولا يفصل بينها وبين الفعل لأنها بمنزلة السين فى سيفعل ونحو هذا فى لسان العرب وفى شرح القاموس ، ومما يدل على هذا قوله تعالى:« قال سوف أستغفر لكم ربى » وقوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » وقال صاحب المغنى : انها كالسين بيد أنها تنفرد عنها بدخول اللام عليها كما فى قوله تعالى . « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وقوله : « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » وبأنها قد تنفصل بالفعل الملغى كما فى قول الشاعر :

وما أدرى وسوف اخال أدرى
أقوم آل حصن أم نساء

ولاصلاح عبارتيهم ينبغى أن يستبدل بسوف كلمة (لن) فيقال : لن نكذب فيما نتحدث ولن نقول الا حقا ولك أن تقول : لا أكذب فيما أتحدث ولا أقول الا حقا ، لأن المضارع يتخلص بعد (لا) للاستقبال

عباس ابو السعود

باب الفتوى

تقديم الشيخ محمود محمد رسلان

الاجهاض

السؤال

سيدة تسأل ، هل يجوز لها الاجهاض بعد أن تيقنت من الحمل؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد :

فان كثيرا من النساء يقعن فى هذا الأمر الخطير ، اما لجهلهن حكم الله فيه ، واما تهاونا فى دينهن الذى يحرم هذا الأمر ، ولقد تناول هذا الموضوع كثير من الفقهاء ، واتفقوا على أن اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة ، لا يحل لمسلم أن يفعله لأنه جناية على حى ، متكامل الخلق ، ظاهر الحياة ، قالوا: ولذلك وجبت فى اسقاطه « الدية » ان نزل حيا ، وعقوبة مالية أقل منها ان نزل ميتا .

ولكن الفقهاء قالوا أيضا : اذا ثبت من طريق موثوق به ـ كطبيب مسلم حاذق ـ أن بقاءه بعد تحقق حياته هكذا ، يؤدى لا محالة الى موت الأم ، وكان لا منقذ لها سوى اسقاطه كان اسقاطه فى تلك الحالة متعينا ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذه لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة ، ولها حقوق وعليها حقوق ، وهى بعد هذا وذاك عماد الأسرة ، وليس من المعقول أن نضحى بها فى سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته ولم يحصل على شىء من الحقوق والواجبات .

قبل نفخ الروح :

أما اسقاطه قبل نفخ الروح فيه ـ أى قبل تمام أربعة أشهر كما

يقولون ــ فقد اختلفوا فيه ، فرأى فريق أنه جائز ولا حرمة فيه ، زاعما أنه لا حياة فيه ، فلا جناية ، فلا حرمة ، ورأى آخرون أنه حرام أو مكروه لأن فيه حياة النمو والاعداد .

وقد عرض الامام الغزالى لهذه المسألة ، وفرق بينها وبين مسألة منع الحمل وهذه عبارته .

قال : ــ بعد توجيه ــ رأيه فى منع الحمل : « وليس هذا ــ يريد منع الحمل ــ كالاجهاض والوأد ، لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وله مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة ، وتستعد لقبول الحياة ، وافساد ذلك جناية ، فان صارت نطفة ، فعلقة كانت الجناية أفحش ، وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ، ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا » .

ومن لطائف توجيهه فى هذا المقام أن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة بمثابة « الايجاب والقبول » فى الوجود الحكمى فى العقود ، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لا يكون جانيا على العقد ، ومتى اتصل القبول بالايجاب كان الرجوع بعد اتصالهما وتكون العقد بهما رفعا للعقد وفسخا وقطعا فهذا قياس ذاك .

الفقهاء يعترفون بحياة مادة التلقيح :

ومن توجيه الامام الغزالى ومن وافقه فى حرمة اسقاط الجنين بعد اتصال النطفة بالبويضة نرى أن علماء الشريعة يرون كما يرى علماء الطب وان اختلفت كلماتهم فى التعبير أن مادة التلقيح ذات حياة ذاتية ، تخوض بها الميدان ، وتكافح فى سبيل الاتصال بهدفها (البويضة) حتى تعتنقها وتطرد عنها ما سواها ، وقد رتبوا على هذه الحياة أحكاما وآثارا منها الحكم بالضمان على كاسر بيض الصيد غير المذر ، لأنه ــ كما يقولون ــ أصل الصيد ومادته .

أما الحياة التى لا تكون الا فى الشهر الرابع فهى الحياة الظاهرة التى تحسها الأم بحركة الجنين ، والتى عبر عنها الحديث بنفخ الروح •

التقاء النظرة الشرعية بالنظرة الطبية :

ولعل العلماء الذين نفوا الحياة قبل نفخ الروح يريدون هذه الحياة الظاهرة وهم فى الوقت نفسه لا ينكرون أن المادة حية ، وأن حياتها تمكنها من الاتصال بماء المرأة (البويضة) ومن هنا نستطيع أن نقرر أن أختلاف العلماء فى جواز الاسقاط فى مبدأ الحمل مبنى على عدم التنبه لهذه الدقائق والاحاطة بها أو أن حرمة الاسقاط فى تلك الحالة ليست كحرمته عند تكامل الخلق ، والاحساس بالحمل ، واذن تكون المسألة ذات اتفاق بينهم على حرمة الاسقاط فى أى من أوقات الحمل ، وللضرورات تقديرها وحكمها ، كذلك فى أى وقت من أوقاته ، وبذلك يتبين بوضوح التقاء النظرتين الشرعية والطبية ، ا هـ

بتصرف من كتاب الفتاوى ص ٢٦٣ـ ٢٦٥ للمرحوم الشيخ محمود شلتوت •

الحلف بالطلاق

السؤال

ما حكم الحلف بالطلاق؟ وماحكم من قال : « على الطلاق » أو « الطلاق يلزمنى » ان لم أفعل كذا، أو تفعل كذا ، أو ان كلمت فلانة فعلت كذا أو أنت طالق ؟ ، وهل من حلف بغير الله يكون كافرا ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • أما بعد :

فمن الآفات التى تحل بالمسلمين ضيق الصدر ، وبدلا من أن يبحث المسلم عن مخرج يفرج به عن نفسه اذا به يوقعها فى مشاكل تجره الى الحلف بالطلاق فيقع فى الاثم •

ولقد جاء فى قانون المحاكم الشرعية الصادر فى ١٩٢٩ م وهو أن

الطلاق المقترن بعدد ، كأن يقول الرجل لامرأته : «أنت طالق بالثلاث» لا يقع به الا طلقة واحدة رجعية ، وأن الحلف بالطلاق كقول الرجل : « على الطلاق » ، أو « يلزمنى الطلاق » لغو من الكلام لا يقع به شيء ، وأن الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه ، والرجل لا يريد الطلاق ولا وطر له فيه ، وانما يريد التهديد والتخويف ــ كذلك لا يقع به شيء .

الحلف بالطلاق حرام وليس كفرا :

والذى نراه من جهة أنه حلف بغير الله ، فيكون الحالف به كافرا تطبيقا لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف بغير الله فقد كفر » هو أن الحديث قصد به المبالغة فى الزجر عن الحلف بغير الله ، وقد كان العهد عهد تعظيم لغير الله من المخلوقات أو المصنوعات ، وعلى هذا لا يكون الحلف بالطلاق كفرا ، اذ ليس فيه معنى التعظيم الذى كان منظورا اليه فى ذلك العهد ، وانما هو عبث بألفاظ اليمين ، وحلف بغير ما شرع الله الحلف به : قال صلى الله عليه وسلم :

« من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» وقال : «ان الله ينهاكم: أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

وأصح الآراء فى الحلف بغير الله ولو نبيا مرسلا ، أو ملكا مقربا أنه حرام وأنه لا ينعقد ، وأن كفارته التوبة والاستغفار .

الخلاصة :

ومجمل القول فى هذه المسألة هو :

أولا : الطلاق بالثلاث لا يقع الا واحدة رجعية ويرد الرجل زوجه اليه بقوله : « أرجعت زوجتى الى عصمتى » أو بالمخالطة والمعاشرة وهى تقوم مقام القول .

ثانيا : الحلف بالطلاق ، كعلى الطلاق لا يقع به طلاق أصلا .

ثالثا : الطلاق على فعل شيء أو تركه - منه أو منها أو من أجنبي - لا يقع به أيضا شيء ولو فعل المحلوف عليه متى كان القصد التهديد والتخويف . ولم يقصد الطلاق .

رابعا : الحلف بغير الله حرام ولا تنعقد به يمين ، ولا يكفر به المسلم الا اذا كان بمخلوق يعتقد الحالف تعظيمه كتعظيم الله ، أو أن له فعلا كفعل الله وتأثيره ، ويجدر بالمؤمن ألا يقترب من الحرام فضلا عن أن يقع فيه . وهذه الأحكام هي التي صحت عندنا دلائلها ، وهي التي نفتي بها ، وهي التي اختارها مقننو الأحوال الشخصية ، وهي التي يجب أن يعلمها الناس جميعا ، فيريحوا أنفسهم من هذه البلبلة التي يقعون فيها ، بالفتاوى المختلفة ، فليس الاسلام ذا شغب في التفريق بين الرجل وزوجه ولا ذا شغب بتكفير المسلمين ، والحق أحق أن يتبع والله أعلم اهـ بتصرف من المصدر السابق ص ٢٧٧ - ٢٧٩

محمود محمد رسلان

فلا يلومن الا نفسه

عن بديل قال : قال عمر بن الخطاب : من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ومن كتم سره كانت الخيرة في يده . ضع أمر اخيك على أحسنه حتى يأتيك منه مايغلبك ، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا وانت تجد لها في الخير محملا ، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وعليك باخوان الصدق فكثر في اكتسابهم فانهم زين في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء .

كتاب الشهر:

الحقيقة في
"الأخلاق المتبولية"

بقلم: الدكتور يحيى هاشم
المدرس بكلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله ومن اتبع هداه الى يوم الدين • وبعد :

يتعرض الأزهر اليوم لهجمة حقود، أشبه بالتى كانت بالأمس عند ما اقتحمت خيول نابليون صحن الأزهر ومحاريبه المطهرة ، انتقاما من قيادته لحركة التحرير من الاستعمار الفرنسى • واليوم تأتيه الهجمة فى صورة حرب نفسية انتقاما من قيادته لحركة التطهير الفكرى التى يقوم بها ضد مراكز الغزو المذهبى الالحادى •

ومن المحاريب التى تتعرض لهذه الهجمة الحقود كتاب من أندر الكتب وأعمقها ، وأكثرها أثرا فى اصلاح الحياة الفكرية والاجتماعية للمسلمين ، أشار شيخ الأزهر بتحقيقه ونشره ، فقامت قيامة الغضب المأجور ، لتشوه الكتاب ، وتسىء أبلغ الاساءة الى صاحبه •

والكتاب هو «الأخلاق المتبولية» للامام أبى المواهب عبد الوهاب ابن أحمد الشعرانى ، يقع فى ثلاثة مجلدات ، تبلغ صفحاتها أربعمائة وألفا ، قام بتحقيقه ونشره أخيرا الزميل الفاضل الدكتور منيع عبد الحليم محمود المدرس بكلية أصول الدين •

ولقد اطلعت على الكتاب اثر الهجمة التى تعرض لها ، فلم أزدد الا يقينا بحاجتنا الى وقاية وجودنا العلمى الاسلامى بأسوار الوقار العلمى والتخصص •

وسأحاول فى هذا المقال أن أضع الكتاب فى موضعه الصحيح ، اسهاما منى بجهد متواضع فى معركة الدفاع عن قلعة الاسلام وتراثه وحقائقه •

الأخلاق المتبولية التى صنفها الامام الشعرانى فى هذا الكتاب تلقاها عن نحو سبعين شيخا من أصحاب الشيخ ابراهيم المتبولى ، من كبار الصوفية :

مثل الشيخ على الخواص ، والشيخ عبد القادر الدشطوطى المتوفى فى عام ٩٣٠ هـ تقريبا ، والشيخ محمد المنير

المتوفى فى تاريخ مقارب لما ذكرناه، والشيخ زكريا الانصارى والشيخ برهان الدين القلقشندى ،، وغيرهم ممن يقول عنهم المؤلف (قرأت عليهم كتب الشريعة من فقه وتفسير وحديث وتصوف وغير ذلك ، حتى درجوا كلهم الى رحمة الله ،، وهم عنى راضون ، وذلك من أكبر نعم الله تعالى على • ولما درجوا أظلمت مصر وقراها فان بعضهم كان كالشمس وبعضهم كان كالقمر وبعضهم كان كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات الجهل ليلا ونهارا « ج ١ ص ٨٧ » •

وينظر المؤلف الى كتابه نظرة ينبغى أن توضع كأسوة لكتابنا ومؤلفينا عندما تحدثهم أنفسهم بالرغبة فى التأليف •

يقول الشعرانى (قال العلماء بالله تعالى) :

كل من لم يفتح الله تعالى على قلبه بالعلوم الغريبة الجديدة فليس له أن يؤلف كتابا ، لأن غاية ملاك هذا أنه جمع بين كلام الناس وجعله مؤلفا •

وقد كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول لأصحابه اذا حكوا له كلاما عن أحد من السلف «لاتطعمونا القديد وأطعمونا اللحم الطرى » •• وما درج السلف الصالح الا على تأليف ما لم يسبقهم أحد اليه •

وكانوا يقولون : من أراد جمع كلام الناس فليدل المريدين على الأصول التى أخذ عنها مؤلفه ، ويستريح من التعب فى الكتابة وتضييع الزمان وتسويد الورق •

وعلى هذا الأساس من اعتبار التأليف مهمة جليلة يجب أن تقوم على احترام الآخرين ، وتقديم الجديد النافع لهم ، أقدم الامام الشعرانى على تأليف كتابه •

والشعرانى اذ يشعرك بطرافة الكتاب وجدته يقول :

« ••• ولا يضرك غرابتها ــ أى الأخلاق المتبولية ــ من حيث غرابة طريقها ، فانها أخلاق محررة على الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح ، كتحرير الذهب والجوهر •• لا يقدح فى معانيها الا جاهل أو معاند أو مائل عن طريق الحق لأجل غرضه الفاسد ، وان كان كلام البشر من الأمة لا يخلو عادة عن

خطأ وسهو ، ولكن الحكم للأغلب فافهم » جـ ١ ص ٨١

وفى اعتقادى أن الكتاب لايتصف بالجدة والطرافة فحسب ، ولكنه من شأنه أن يحدث ـ بعد هذا النشر ـ آثارا عميقة ويحتل مكانا بارزا فى علمى الأخلاق والتصوف فى الاسلام

وسأحاول هنا أن أتناول الكتاب من خلال ما يقدمه فى مجال هذين العلمين ..

النظرة الواقعية فى الأخلاق :

أما فى علم الأخلاق فان الكتاب يقدم منهجا فريدا غير معهود فى علم الأخلاق الاسلامى الذى لا يزال يستمد نظرياته من الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات .. مع محاولة التوفيق بينها وبين الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالأخلاق . ان الأخلاق المتبولية تقدم منهجا واقعيا عمليا فى علم الأخلاق يتفق مع أحدث المناهج ..

يقول المؤلف عن كتابه :

(انى ألفته بحسب الوقائع والحوادث) جـ ١٠ ص ٩٥

ويقول (.. وكل مؤلف لايذكر فى مؤلفه الا ما يحتاج اليه أهل عصره اذ الاخلاق تحدث فى كل عصر بحسب حدوث الوقائع من أهله .) جـ ١ ص ٩٥ .

ويقول (ان نفع الانسان كله ـ انما يكون من أهل عصره) جـ ٣ ص ٣٠٠ .

ويقول (ومن أخلاقهم : معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه الا من يشاكله) جـ ٣ ص ٧٨ .

والكتاب بهذا المنهج يتفق مع أحدث المناهج العلمية فى دراسة الأخلاق ، وان كان لا يقع فيما تقع فيه من فقدان المصدر الثابت ، والغاية العليا .

فهذه المناهج العلمية المستحدثة كما هو معروف ترفض القيم النهائية ، التى تعتصم بها الأخلاق التقليدية والتى لابد من أن تعتصم بها ، سواء من ناحية المبدأ ، أو من ناحية الغاية ، وهى تنكر من ثم ـ الأخلاق الدينية ، أو الأخلاق

الميتافيزيقية ، الا أن تكون جزءا من الواقع الاجتماعى الذى لا يثبت على حال .

أما الأخلاق المتبولية فهى أخلاق اسلامية مستمدة من الكتاب والسنة، وتستهدف التخلق بأخلاق القرآن.

ومع ذلك فهى مع ارتباطها بالقيم الاسلامية الثابتة الخالدة ،ترتبط من حيث التوجيه والتربية والصياغة بالواقع .

ومن هنا فان المنهج الأخلاقى الشعرانى منهج دينى علمى معا ، أو منهج جامع بين الثبات والتطور، ويجد فيه أصحاب المنهج العلمى الحديث زيادة توفر لهم النظرة العلمية ، وتحميهم من ضلال الالحاد فى الوقت نفسه .

وهذه فضيلة من فضائل الكتاب، ويدله على علم الأخلاق الاسلامية من شأنها أن تسهم فى تطوره الذاتى اسهاما رائعا .

ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الاتجاه ما يسوقه المؤلف من تفصيلات فى قواعد السلوك وآدابه، تدخله فى باب التوجيه العلمى المرتبط بالواقع .

يقول الشيخ الشعرانى :

(ومن أخلاقهم اذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من رءوس العلماء والصوفية كالاجتماع فى وليمة أو انتظار جنازة أن لا يدخل أحدهم ذلك المحفل الا اذا علم أن أهل المحفل لا يرفعون رتبته فى التعظيم والاجلال فوق من كان حاضرا هناك من العلماء والصالحين ، فمتى علموا ذلك أو غلب على ظنهم فمن الأدب عدم الدخول لما قد يترتب على ذلك مفسدة أعظم من مفسدة عدم الدخول .

ولا يجوز للممتنع من الدخول بشرطه أن يظن بذلك العالم أنه قد يتأثر من ترجيح غيره عليه ... فان ذلك سوء ظن به ...) جـ ٣ ص٢٧

ويقول : (من أخلاقهم منع عيالهم من حضور الولائم التى يجتمع فيها من لا ينضبط على قواعد الشريعة

من الرجال والنساء) . ج ٣ ص ١٢٨ .

ويقول : (ومن أخلاقهم اذا كانوا فى وليمة وفقد أحدهم نعله أن يخرج ساكتا ولا يعلم صاحب الوليمة بذلك .) ج ٣ ص ٨٢ .

ومن شواهد ذلك أيضا ابرازه لقاعدة التدرج فى التربية الاخلاقية، يقول :

(من أخلاق سيدى ابراهيم المتبولى وأخلاق أصحابه رضى الله عنهم أجمعين :

أن يربوا أصحابهم بالتدرج رحمة بهم ...) . ج ١ ص ٢٠٦

وهو لا يرسل هذه القاعدة على اجمالها وانما يبين التدرج المطلوب تفصيلا من ص ٢٠٦ الى ص ٢١٩

أما عن ارتباطه بمصدر ثابت وغاية عليا للأخلاق ، فانه يوضح ذلك بقوله :

(اعلم يا أخى أن مرادنا بالأخلاق المحمدية حيث أطلقناها فى هذا الكتاب وغيره ما يعم الصريح والمستنبط من نص أو قياس ...

اعلم أن القوم كلهم قد أجمعوا على أن من خرج عن السنة المحمدية قيد شبر فى ملبسه أو مأكله أومنامه أو قوله أو فعله فليس هو من القوم ولو تزيا بزيهم وهم برءاء منه فى الدنيا والآخرة) ج ١ ص ١٠٤ .

التخلق بأخلاق الله :

ويوضح الامام الشعرانى أن الغاية العليا من الأخلاق تجتمع عند التخلق بأخلاق الله ، موضحا المراد بذلك :

فيقول (فى الحديث : تخلقوا بأخلاق الله أى بنظيره فى الاسم فقط دون الكنه والحقيقة فان ذلك لا يصح لأحد من الخلق ولو ارتفعت رتبته .) ج ١ ص ٩١ .

ثم يذكر رأى السهروردى رضى الله عنه فى قول السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (كان خلقه القرآن .) حيث يفسر قولها ذاك على أنها (احتشمت مع الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله عز وجل وعبرت بالمعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال ...) الخ .

كما يذكر قول سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله (•• يتحقق العارف بالتخلق بأخلاق الله)•

ويذكر قول الشيخ أبى القاسم الكركانى : (أن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعارف) •

وقول الشيخ الكبير أحمد بن الرفاعى : (اذا بلغ العبد الكمال صار صفة من صفات الحق جل وعلا) •

ثم يعقب على ذلك كله ببيان مراد القوم من التخلق بأخلاق الله أو صفاته وبما يوضح انضواءه تحت مفاهيم الاسلام الحقة اذ يقول : (ان العارف يأخذ من كل اسم الهى وصفا يناسب ضعف بشريته وقصورها ، مثل أن تأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى الرحمة على قدر قصور البشر • وكل اشارات المشايخ فى الأسماء والصفات — التى هى أعز علومهم — على هذا المعنى والتفسير ، وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد ، فتأمل فانه نفيس) •

وهذا من ضمن المواضع التى تجعل الكتاب اسهاما حقيقيا فى بيان التزام الصوفية بالكتاب والسنة ، ورد كل من ينحرف عن ذلك •

وهو بعد أن يوضح الغاية العليا من الاخلاق يقدم النموذج الفعلى الواقعى لها فى أخلاق الرسول ويقدم المؤلف موجزا جميلا دقيقا لأخلاق الرسول فى حوالى عشرين صفحة من أمتع ما يتاح لقارىء الأخلاق الاسلامية •

ثم يقدم المؤلف بعد ذلك الأخلاق المتبولية فى مجموعة ضخمة من من القواعد السلوكية العملية التفصيلية تبلغ ما يقرب من ألف قاعدة ، وهى تحسب فى باب الأخلاق الاسلامية بعامة ، ولا يكاد يقتصر منها على الصوفية الا القليل •

كرامة العمل :

ومن القواعد البارزة فى هذه الأخلاق قاعدة تكريم الصوفية للعمل :

يقول : (ومن أخلاقهم اكرام أهل الحرف النافعة كالقنواتى ،

والفران ، والمعداوى ، والجزار والطباخ ، ونحوهم ، فانهم من أهل الفضل علينا ... وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى : يقوم للقنوانى ، والزبال ، ويقول : ان هؤلاء لهم الفضل علينا ... والقيام لأهل الفضل محمود) . جـ ٢ ص ٣١٤ .

يقول : (ومن أخلاقهم عدم الأكل من طعام من يأكل بدينه ، من الفقراء الذين لا كسب لهم وانما يكرمهم الناس لأجل صلاحهم ودينهم ، فان ذلك الطعام لا يخلو من الشبهات قطعا ...) جـ ١ ص ٤٨٠

(ومن أخلاقهم عدم أكلهم من طعام النذور أو الاعراس الواسعة ، أو طعام العزاء ... ونحو ذلك ...) جـ ١ ص ٤٨١

ويقول : (ومن أخلاقهم شهودهم أن القائمين فى الكسب بالبيع والشراء ، وعمل الحرفة أفضل ممن لا حرفة له منهم ، ولو كانت أعمالهم كالجبال لأن من لا حرفة له من الفقراء ربما أكل بدينه ، ويرجع ثواب تلك الأعمال التى تقوى عليها بطعامهم فى صحايفهم ، فيخرج من الدنيا صفر اليدين من الأعمال الصالحة . وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله يقول : قد أكرم الله المحترفة بأمور فضلوا بها على المتعبدين من غير حرفة) . جـ ١ ص ٣٨١ . وانظر ما يقرره الامام الشعرانى عن شيخه يقول : (وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين خارج الحسينية ويأكل من كسبه ولا يقبل من أحد شيئا ولو كان أعز أصحابه) جـ ١ ص ١١١ .

الاقبال على الحياة مع الزهد فيها :

ومن القواعد السلوكية الأخلاقية التى يقررها المؤلف فى أخلاق الصوفية قاعدة الاقبال على الحياة مع الزهد فيها .

ان المؤلف يتحدث عن منهج الصوفية فى ترك بعض المباحات من أجل الترقى فى المقامات ... ولكنه فى نفس الوقت يشير على المريد بأن يتناول (... بعض الشهوات

أى المباحة ـ للمداواة لنفسه اذا نفرت من العبادات بالكلية ، فان لسان حال النفس يقول لصاحبها : كن معى فى بعض أغراضى والا صرعتك) وفى الحديث مرفوعا :

« ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » جـ ١ ص ١٧٠ ولكن عليه أن يحول هذه المباحات التى يتناولها الى طاعات بأن (ينوى بجميع المباحات خيرا ليثاب على ذلك) ص ١٧٠

ويضرب الأمثلة لذلك : فينوى بالنوم فى القيلولة التقوى على قيام الليل . وينوى بلباس الثياب الفاخرة اظهار نعمة الله عليه ... وكذلك يأكل اللذيذ من الطعام والباردالحلو من الشراب لأجل استجابة أعضائه لشكر الله تعالى بعزم ١ هـ . ص ١٧٠

ويحكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى قوله لأصحابه : (كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، وألبسوا ألين الثياب ، فان أحدكم اذا فعل ذلك وقال : « الحمد لله » يستجيب كل عضو فيه للشكر ، بخلاف ما اذا أكل خبز الشعير بالملح ، ولبس العباءة ونام على الأرض وشرب المالح الساخن وقال: الحمد لله فانه يقول ذلك ، وعنده اشمئزاز وبعض السخط على مقدور الله عز وجل .

ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز والسخط الذى عنده يرجح فى الاثم على من تمتع بالدنيا بيقين ، فان المستمتع بالدنيا فعل ما أباحه الله ، ومن كان عنده اشمئزاز وسخط فقد فعل ما حرم الله .) (جـ ١ ص ١٧١) .

وهم يدعون مع ذلك الى الزهد، لكنهم ينظرون اليه نظرة اسلامية أصيلة ، يقول الشيخ الشعرانى : (ومن أخلاقهم كثرة زهدهم فى المطاعم والملابس والمناكح والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع ملابستهم لها ، فيأكلون ويلبسون وينكحون، ويركبون الخيل المسومة ويسكنون القاعات المرخمة وهم مع ذلك

زاهدون فيما خولهم الله فيه من النعم ، فليس الزهد بخلو اليد كما يفهمه بعضهم . وانما الزهد بالقلب فافهم .

اذ لو كان المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا لنهى الشارع عن التجارة وعن عمل الحرف ، ولم يكن يأمر أحدا بها ، ولا قائل بذلك) (ج ١ ص ٣٥٧) .

فهذه النظرة المتوازنة بين « الحضور » فى هذه الحياة الدنيا ، وبين « الزهد فيها » هو الذى يحقق نظرة الاسلام الى التعامل مع أمور الدنيا ، بحيث تكون ملكا للمسلم قادرا عليها ولا يكون هو ملكا لها واقعا فى حبائلها .

فأين ذلك مما يراد للصوفية من اتهام بأنها تعمل على الكسل والخضوع للظلم الاجتماعى؟ لعمرى تلك شنشنة يبرأ منها الاسلام وتبرأ منها الصوفية على حد سواء ، وهى تأتى ممن يعملون على ازاحة القيم الدينية الصحيحة من التأثير فى حياتنا الاجتماعية .

حسن الظن :

ومن أبرز القواعد الاخلاقية فى الكتاب دعوة المؤلف الى حسن الظن بالناس بعامة والدفاع عن الأنبياء والأولياء والعلماء بخاصة .

وان ما كتبه الامام الشعرانى فى تقرير عصمة الأنبياء ودحض مانسب الى بعضهم زورا ... والدفاع عن الأولياء والاعتذار عن العلماء المعروفين بالتقوى والصلاح لهو من أجمل ما كتب فى هذا المقام . أنظر فى هذا الكتاب الجزء الأول من ص ٢٧٧ الى ٣٣٧

وهو يقول (وذكر الامام النووى فى مقدمات شرح التهذيب : أنه ينبغى للانسان أن يحمل أفعال شيخه التى ظاهرها الفساد على نحو من سبعين محملا حسنا ... ولا يعجز عن هذه الأجوبة الا قليل التوفيق) (ج ١ ص ٣٣٠) .

ثم يقول عن احسان الظن بالناس بعامة :

(من ثمرة تطهير العبد من المعاصى الباطنة عدم وقوعه بعد ذلك فى سوء الظن بأحد من المسلمين قياسا على نفسه هو ...) (جـ ١ ص ١٨١) .

ومحل حسن الظن بالناس انما هو فى الأعمال التى يحتمل فيها الخير والشر ، من الأعمال القلبية المتعلقة بالنيات ،) أما الأقوال التى صرح الشارع بتحريمها فلا يجوز لمؤمن أن يحمل صاحبها على محمل حسن ، كشرب الخمر ، والأكل من الحرام) جـ ١ ص ١٨٢

ويقول كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : (عليك يا أخى بحسن الظن بالمسلمين ما استطعت فان الله تعالى لا يسألك فى الآخرة : لم حسنت ظنك بعبادى وانما يسألك عن سوء ظنك بهم) جـ ١ ص ٣٣٤

النظرة الصوفية الى العصاة :

ومن القواعد الأخلاقية البارزة فى الأخلاق المتبولية قاعدة الرحمة بالعصاة ...

يقول :

(ومن أخلاقهم أن لا يشتغلوا بسب من وقع فى شىء مما أخبر به الشارع ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه يكون بين يدى الساعة .

بل يدعون لمن وقعت على يديه ويستغفرون له ...) جـ ٣ ص ٣٨

وأنه ليسبق عصرنا فى اقرار النظرة العلاجية للمخطئين اذ يقول :

كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : البلاء فى الدين أشد من البلاء فى الجسد فارحموا العصاة وادعوا لهم ، فان غالب الناس لا يكاد يرحم أحدا منهم كما يرحم من ابتلى ببلاء فى جسده أو تحولت عنه نعمة ...) جـ ١ ص ٢٣٣

ثم يوازن الشعرانى بين هذه الرحمة وبين ضرورة العقوبة حيث يقول : (وعاملهم ــ أى العصاة ــ ظاهرا معاملة القاسى زجرا لهم ، وأنت راحم لهم فى الباطن ، عملا بالشريعة والحقيقة) جـ ١ ص ٢٣٤

قواعد للسلوك الاجتماعى :

وتأتى فى الأخلاق المتبولية قواعد سلوكية من أجمل القواعد التى نحتاج اليها فى توجيه حياتنا الاجتماعية العملية .

ومن ذلك قاعدة المؤاخذة على النسيان الذى يمكن تجنبه ، لصدوره عن حالة نفسية تستحق المؤاخذة .

يقول (ومما استندوا اليه فى مؤاخذة المريد بالنسيان كون المريد لا يقع فى النسيان .. الا لتساهله فى المقدمات ، بدليل أن الانسان لما تتوجه همته الى تحصيل أمر يصير لا يكاد يأخذه نوم ، بل ينام يحلم بذلك طول ليلته) جـ ١ ص ١٧٥

ومن هذه القواعد ذات الصلة الوثيقة بالحياة الاجتماعية :

(عدم مساعدة أحد من اخوانهم على تولية شىء من الوظائف التى لا خلاص لهم فيها بميزان الشرع الشريف الآن ، ... فينبغى لمن يريد مساعدة أحد فى توليته المناصب التى لا خلاص فيها أن لا يبادر الى مساعدته اذا سأله فى ذلك بل يتربص ويتروى ويشاور الاخوان فى ذلك ، ثم ان وثقوا كلهم بدينه وخيره وعدم أخذه الرشا ، ولم يروا فى البلد من هو أصلح لذلك فهناك يساعدونه على التولية ...) جـ ١ ص ٢٣٦

ومن أخلاقهم الاجتماعية :

(اذا سافروا الى بلاد الريف وخافوا أن يتعبوا الناس أن يسافروا ليلا تخفيفا على أهل البلاد) ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فيقول : (وقد تساهل بعض اخواننا فى ذلك ، فما وصل بلاد الغريب حتى صار معه نحو خمسمائة نفس ...) جـ ١ ص ٢٤٨

ومن هذه القواعد اللازمة للسلام الاجتماعى :

(عدم كثرة امتحانهم لأصحابهم .. وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : اياكم وكثرة الامتحان لأصحابكم ، فان الله تعالى لم يمتحن من عباده الا النادر خوفا أن يفضحهم بين يديه) جـ ١ ص ٣٧٤

ومن القـواعد البناءة فى مجـال الأسرة ما يقوله :

(ومن أخـلاقهم خدمة زوجتهم وأمتهم اذا مرضت ..

فعلم أن من لم يخدم زوجته أو جاريته أو غلامه اذا مرض ، فهو لم يشم من أخلاق الصالحين رائحة ... ولا يرون بعـد ذلك لهـم عليـه فضلا ...) جـ ١ ص ٤٣٢

أخلاق اسلامية عامة :

وبالجملة فانه يقـدم لنـا لائحة مفصلة بالأخلاق الاسلامية بصـفة عامة ، نوجز بعضها فى ما يقوله من أخلاقهم :

- قيامهم بواجب حق والديهم جـ ١ ص ٥٧٠
- عدم وقوعهم فى خديعة أو غدر جـ ١ ص ٥٨٤
- كثـرة تواضـعهم ... جـ ١ ص ٦٢٠
- أن يحفظوا حرمة اخوانهم فى غيبتهم جـ ١ ص ٦٢٣
- اهتمامهم باكرام الضيف جـ ٢ ص ٦٢٨
- كثرة الشفقة على خلق الله .. جـ ٢ ص ٤٨
- مراعاتهم الاحسـان الى اليتيم جـ ٢ ص ٥٨
- عـدم اغترار أحـدهم بكثرة أتباعه جـ ٢ ص ٨٠
- حسن سياستهم لزوجاتهم وعدم الغفـلة عن تعليمهن أحـكام دينهن جـ ٢ ص ٨٨
- حسن سياستهم لمن شرد عنهم من أصحابهم جـ ٢ ص ٨٥
- شـدة عطفهم على الحيـوان جـ ٢ ص ١٣٥
- حمـاية أصحابهم ممن يظلمهم جـ ٢ ص ١٠٥
- كثرة خوفهم من أكل الحـرام والشبهات جـ ٢ ص ١٤٥
- عدم المجادلة جـ ٢ ص ١٨٨
- كثرة المشاورة جـ ٢ ص ١٩٠
- عـدم هجرة أحد من المسلمين فوق ثلاث جـ ٢ ص ٢٠٣
- سترهم لعورات المسلمين جـ ٢ ص ٢٢٤

• كثرة تفتيشهم عن عيوبهم الكامنة جـ ٢ ص ٤٦٢
• صبرهم على تحمل الأذى جـ ٢ ص ٢٨٨
• عدم قبول هدية من لا يتورع فى مكسبه جـ ٢ ص ٣١٦
• الاكثار من الأعمال الصالحة جـ ٢ ص ٣١٩
• مراعاة حق الجار جـ ٢ ص ٣١٨
• عدم الاستماع للوشاة جـ ٢ ص ٣٤١
• تأليفهم بين المتشاجرين جـ ٢ ص ٢٤٧
• اخلاصهم العمل لله عز وجل جـ ٢ ص ٤٢٦
• شدة التباعد عن الظلم جـ ٢ ص ٤٥٥
• صدق التوبة جـ ٣ ص ٣٨
• محبة القرب من العلماء العاملين جـ ٣ ص ٥٣
• البعد عما يستقبح عرفا جـ ٣ ص ٥٦
• اخلافهم الوعيد لا الوعد جـ ٣ ص ١١٤ •
• ملازمة المراقبة لله جـ ٣ ص ١٢٠
• مشاركة المسلمين فى البلاء النازل عليهم فى سائر أقطار الأرض اذا بلغهم ذلك جـ ٣ ص ١٤٣
• غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه جـ ٣ ص ١٦٢
• عدم مبادرتهم الى سوء الظن بأحد المسلمين جـ ٣ ص ١٦٩
• اطعام الطعام وافشاء السلام وسقى الماء واغاثة الملهوف جـ ٣ ص ١٨١
• عدم اصغاء أحدهم الى قول عدو أو حاسد فى عرض خصمهم جـ ٣ ص ٢٦٨
• عدم تجسسهم على عيوب اخوانهم جـ ٣ ص ٢٧٣ أهـ •

هذا عن الرؤية الأخلاقية للكتاب• لكن الكتاب له رؤية صوفية يعتبر من خلالها عطاء كريما غنيا للحركة الاصلاحية الصوفية حيث يقدم مجموعة من الآراء والمفاهيم الصوفية فى صورة متوازنة دقيقة تلتقى فيها الحقيقة بالشريعة فى أدق صورة من صور اللقاء •

انه يقدم مجموعة من النظرات التصحيحية النقدية تبرز ضرورة ارتباط التصوف بقواعد الكتاب والسنة ، كما تصلح منارا للتفتيش فى أحوال صوفية عصرنا ، وفى توجيههم الى التصوف الاسلامى الصادق .

كما يقدم مجموعة من المفاهيم الصوفية من أبرزها مفهوم الكرامة، والحضرة الالهية ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ،، وضرورة الشيخ للمريد ...

فى التقيد بالكتاب والسنة :

يحكى المؤلف عن شيخه زكريا الانصارى قوله : (لا يخلو كلام القوم من ثلاثة أحوال : اما أن يوافق صريح السنة فهذا الا كلام لأحد فيه واما أن يخالف صريح السنة فهذا لا يجوز لأحد العمل به . واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف) جـ ١ ص ١٥٥

ويقول (سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ما ثم عند المحققين حقيقة تخالف شريعة أبدا ، انما كل واحدة تأتى مؤيدة للأخرى فى نفس الأمر حتى أنهم أجمعوا على قولهم : حقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة) جـ ١ ص ١٦٦

ويقول المؤلف عن أخلاق الصوفية :

(ومن أخلاقهم التى أجمعوا عليها ونفذت بها وصاياهم الى سائر أقطار الأرض أنه لا يجوز لأحد التصدر فى طريق القوم لارشاد المريد الا بعد تبحره فى علوم الشريعة المطهرة والحقيقة ، من تفسير وحديث وفقه وأصول ،، ... بحيث يعد لمناظرة العلماء ، ورد المبتدعة ..) جـ ١ ص ٢٥٥

ويقول (ان التبحر فى الشريعة : هو أساس طريق الحقيقة ، وانهما متلازمان ملازمة الظل للشخص .) جـ ١ ص ٢٥٨

نظرة المؤلف النقدية للصوفية :

فى تقديرى أن الكتاب يعبر عن نظرة المؤلف النقدية للصوفية فى عصره ،، أو لمن يأتى منهم بعد عصره ، انه بعد أن يتحسر على وفاة مشايخه الذين اعتبرهم كالشموس والأقمار والنجوم ، فيهتدى بهم فى

(ظلمات الجهل ليلا ونهارا) يحذر المريدين والأشياخ فى عصره .

فيقول : (اياك يا أخى اذا عملت شيخا فى هذا الزمان أن تظن بنفسك أنك على قدم واحد مع هؤلاء الأشياخ الذين أدركناهم فى النصف الأول من القرن العاشر أو يخطر ذلك ببالك) جـ ١ ص ٨٩

ثم يقول وهو يقدم كتابه (ان هذه الأوراق التى رقمناها فى هذا الكتاب كالسيف القاطع لعنق كل مدع الطريق فى هذا الزمان لما فيها من الموازين والمحكمات التى تفلس المدعين للطريق) .

ومن أغراضه فى تأليف كتابه انه يجعله مقياسا للصوفى الحقيقى ، يقول (... فلا تظن بنفسك ذلك الا بعد مرورك على أخلاقهم التى ذكرناها عنهم فى هذا الكتاب ورؤيتك نفسك متخلقا بها .)

ثم يقول (واعلم يا أخى أن كل من تخلق بأخلاق هذا الكتاب كان معدودا من متصوفة القوم وكأنه صحب جميع الأشياخ الذين أخذوها عن سيدى ابراهيم) .

ومما يدل على أن الشيخ الشعرانى انما ألف كتابه فى اطار نظرة نقدية تستهدف اصلاح حال الصوفية فى زمانه ، وفيما يأتى بعد زمانه ، قوله عن كتابه :

(أعرض يا أخى ما ذكرناه لك فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم وحالك ، وذلك لأن الصادقين اختفوا من شدة فساد الزمان وما ظهر الا بعض المدعين .) جـ ١ ص ٩٧

ويروى عن الشخ المتبولى نقده لبعض الصوفية اذ يقول :

(كان رضى الله عنه يعيب على من يشتغل بالأسماء الالهية لعلة دنيوية ويقول : من فعل ذلك فهو كعبدة الأصنام) جـ ١ ص ١١٨

واذ يطوف الشيخ الشعرانى بكبار الصوفية ممن سبقوا مقتطفا من أزهار ورعهم وعبادتهم ، يذهب الى مدعى التصوف فى عصره ليقول عنهم (وما بسطت لك يا أخى هذا المحل الا مبالغة فى زجر هؤلاء المدعين عن الدعوى لارادة الطريق ، فضلا عن كونهم من المشايخ ، فضلا

عن كون أحدهم قطبا ، وقد أفتى بعض المتأخرين بأنه لا يجوز لنا الاقتداء بغالب هؤلاء المشايخ الذين ظهروا فى النصف الثانى من القرن العاشر ، ولا الوقوف عند أقوالهم لجهلهم بقواعد طريق القوم فان من قواعدها التضلع من الكتاب والسنة حتى يصير يقطع مشايخ الاسلام بالحجج فى مجلس المناظرة) جـ ١ ص ١٥٣

ويواصل المؤلف مهمته النقدية فيقول (وقد دخل على شخص وأنا أكتب فصار يتكلم فى الفناء والبقاء والهجر فقلت له : يا أخى هذا الذى تقوله انما يكون معرفته للانسان بعد السلوك على وفق الشريعة المطهرة بالأعمال الزكية والأخلاق المرضية اللائقة بالسالك ، فقل لى : ما شروط الوضوء ؟ وما شروط الصلاة ؟ وما شروط الصوم ؟ وما واجبات الحج ؟ فتلجلج وما درى ما يقول ، فقلت له : لم لا تجبنى عما سألتك ؟ فقال : لم أقرأ شيئا فى علم الفقه ، فقلت له : فاذن أنت من اخوان الشياطين ، ثم انقطع عنى من ذلك اليوم) ثم يقول : (... وقد كثر هذا الحال فى المنتسبين الى الفقر فى هذا الزمان ، وربما يقول أحدهم : الفقهاء محجوبون عن الله بعلمهم ، وذلك كفر فانه جعل الهدى يحجب عن الله ، والضلال يوصل الى حضرة الله ، نسأل الله العافية ...) جـ ١ ص ٢٦٠

وهو يقول : (ان العلوم الكشفية : لا تأتى قط الا موافقة للشريعة لأنها اخبار بالأمور على ما هى عليه فى نفسها ...) جـ ١ ص ١٠٥

ويقول (سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كيف ينسب القوم الى مخالفة السنة وهم مجمعون على أنه لا يجوز لأحد منهم الاقدام على فعل أو قول حتى يعلم مستنده من الكتاب والسنة) جـ ١ ص ١٠٨

ثم يقول :(وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

(الزموا طريق السلف الصالحين ، واحذروا من طريق المتأخرين ... تركوا المجاهدات لنفوسهم وصارت لهم مسالك ... كثيرة التعب قليلة

المنفعة جعلوها بجهلهم نهاية التحقق، وغاية التدقيق فهى فى نفس الأمر سراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ...) جـ ٢ ص ١٢

وهكذا تتناثر هذه النظرات النقدية فى ثنايا الكتاب ، وأنت خبير بأنها تتناول جوانب مختلفة للنقد ، منها ما يتعلق بالخلق ، ومنها مايتعلق بالتكسب ، ومنها ما يتعلق بالتقيد بالشريعة ومنها ما يتعلق بالتعلم ...

وهكذا يترجح لدينا أن المؤلف انما أراد من كتابه أن يكون ثورة اصلاحية بين صفوف الصوفية فى عصره تقوم على مبادىء الارتباط الوثيق بالشريعة ، والأخلاق المستنبطة منها .

مسالة الكرامات :

يأتى ذكر الكرامات فى الكتاب عرضا وتكاد تكون محصورة فى مقدمته ، وذلك فى مقام التعريف بالمشايخ الذين يأخذ المؤلف عنهم كتابه ...

والمؤلف اذ يروى حديث بعض مشايخه عما أفاض الله عليهم من العلوم بطريق خارق للعادة يذكر فى الوقت نفسه ما يقيدون به ذلك كله من قيود اسلامية فيروى ما قاله الشيخ ابراهيم المتبولى :

(.. وعزة ربى قد أعطانى الله ذلك وأنا ابن أربع سنين ، فلم ألتفت الى ذلك لأننا لم نخلق لذلك ، وانما خلقنا للعمل بالكتاب والسنة واقتفاء أثر الأئمة) جـ ١ ص ٩٩

ويروى أيضا عنه قوله ــ بعد أن يذكر طرفا من خوارق العادات التى أنعم الله بها على كبار الصوفية : (.. وعزة ربى هذا أمر قد أعطانيه الله عز وجل وأنا دون البلوغ فلم أقف معه ، وانما الشأن يا ولدى فى الاقبال على ربك بحيث لا يكون لك عنه أعراض فى ساعة من ليل أو نهار ، ووالله ان قول العبد : سبحان الله مرة واحدة أفضل من اطلاعه على ملكوت الدنيا والآخرة على التفصيل) جـ ١ ص ١١٥

ويقول :

(ومن أخلاقهم كراهتهم وقوع الخوارق على يديهم فى هذه الدار .

لأن محل ذلك انما هو الدار الآخرة حين يعطى أهل الجنة أن أحدهم يقول للشىء كن فيكون • فمن اختار وقوع الخوارق على يديه فقد اختار العرض الفانى على الجوهر الباقى) جـ ١ ص ٤٢٧

ويقول أيضا :

(ومن أخلاقهم عدم اظهار الكرامات الا لغرض شرعى ••)
جـ ٢ ص ٣٩٩

ويقول :

(وربما ظن بعض الناس أن صاحب الكشف من أرباب الأحوال أعلى مقاما من ذلك العارف الذى لا كشف له ، وليس كذلك ، لأن علو المقام انما هو بحفظ الأنفاس مع الله تعالى ، والاستقامة على الشريعة المطهرة وأما الكشف والطيران فى الهواء والمشى على الماء فليس فى ذلك أجر فانه لم يرد قط حديث « أن من كشف له عن كذا كتب له حسنة ••) جـ ١ ص ٤٤٦

ويقول :

(اذ الكاملون لا كشف لهم ، رحمة من الله بهم لاسيما اطلاعهم على زلات الناس •) جـ ١ ص ٤٤٦

ويقول :

(ومن أخلاقهم عدم التعشق الى معرفة الأمور المستقبلة ، فلا يطلبون شيئا من ذلك بخلاف أرباب الأحوال •) جـ ١ ص ٤٤٦

وأرباب الأحوال هؤلاء هم الذين يقول عنهم (انهم من أقسام المجاذيب فى عدم التكليف •) ويقول فى شأنهم : (والمتشرع لا يتبع هؤلاء فى مثل ذلك أبدا •) جـ ١ ص ٤٥٢

والمؤلف يوضح نظرة الصوفية الى حقيقة الفعل فى الكرامة ، اذ يبين أنهم يعلمون بحق — أن خوارق العادات لا تختلف عن غيرها من أفعال الله تعالى التى تجرى على سنن الله ، أو ما يسمى اليوم قوانين الكون والطبيعة (فلا فرق عندهم بين الكرامة وبين سائر الأفعال الواقعة فى الوجود •) جـ ١ ص ٤٢٧ وهم يقررون أنهم لا فعل لهم فى خرق العادة (وغاية أمرهم أنهم محل

لبروزها فقط »، والفعل فيها لله تعالى وحده .)

ويقول : (ان العلوم الكشفية لا تأتى قط الا موافقة للشريعة لأنها اخبار بالأمور على ما هى عليه فى نفسها كما هو الأمر فى الشريعة المطهرة .) ج ١ ص ١٠٥

وفى هذه القيود الكفاية كل الكفاية لكل من يتخوف من الاشتغال بأخبار الكرامات .

ان الامام الشعرانى فى هذه النصوص التى يرويها عن شيخه يضع المقاييس لصحة الأخذ بما يروى عن الكرامات .

الأول : أن لايكون الالتفات اليها ، وانما الى العمل ...

الثانى : أن يكون العمل أساسا بما جاء فى الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح من الأئمة .

الثالث : عرض الأمر كله على الكتاب والسنة ليؤخذ منه ما يتفق بهما ، ويرفض ما يختلف .

واذا تم الأخذ بهذه المقاييس فأى محظور يقوم على الكرامات فى اطار الجو الاسلامى ؟

يقول امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى رضى الله عنه عن الكرامات فى العقيدة النظامية :

(قد كثر خبط الناس فى اثباتها ونفيها ، وقد ألفت فى اثباتها والرد على منكريها كتابا .

وأنا الآن أذكر لبابه فى أسطر ان شاء الله تعالى فأقول :

خوارق العادات ليست من فعل العباد، وانما هى من فعل الرب تعالى وتقدس . فمن فطر السموات والأرض وسيطوى السماء ويبدل الأرض غير الأرض ويسير الجبال ويفجر البحار ، وينشر الموتى قادر على أن يأتى ببديعة :

وليس فى فرض الاتيان بها قدح فى النبوات ، فانا ذكرنا أن المعجزة لاتدل بعينها ، وانما من حيث تقع على وفق الدعوى فى النبوة ، فاذا لم تقع دعوى النبوة أوقع الله تعالى مايشاء ، مايعتاد ومالا يعتاد ، فليس فى تجويز

الكرامات قدح فى النبوات اذا وقعت الاحاطة بوجه دلالة المعجزة .

وماجاز فى قدرة الله ولم ينخرم به الاعجاز وقد نطق به القرآن وتواترت به الأخبار فلا يجحده الامرتاب .)

اهـ من العقيدة النظامية ص ٥٢

ان أى حظر يقوم بعد ذلك على الكرامات بدعوى أنها من باب الخرافات والأساطير انما يكون مرجعه الى قيم غير اسلامية ، يعتنقها المنكرون عن وعى بمصدرها ومدلولها ، أو ينساقون اليها ــ عن غير وعى ــ متأثرين بالسموم الالحادية التى تسربت الى بعض الأوساط من المثقفين وأشباههم .

ان هؤلاء ينكرون الكرامات لمجرد انها تقوم على « خرق العادة » « أو » خرق قوانين الطبيعة ان هؤلاء ــ اذا لم يتناقضوا مع أنفسهم ــ لابد انهم ينكرون «الوحى» لأنه «خرق للعادة» ولقوانين الطبيعة ، ولابد انهم ينكرون « القرآن » باعتباره كلاما لله سبحانه وتعالى فهو « خرق للعادة ولقوانين الطبيعة » ولابد انهم ينكرون ، ماجاء عن خلق آدم ، وعن خلق عيسى ، وينكرون البعث والجنة والنار ، والسمعيات المشابهة ، لأن فى ذلك كله تجاوزا للعادة ولقوانين الطبيعة .

ان النقاش مع هؤلاء يجب ان ينتقل من الجو الاسلامى الى جو الالحاد بصفة عامة .

ومثل هؤلاء كثر لغطهم منذ قام الاعداد لحرب أكتوبر على ادخال عنصر الايمان فى نفوس القادة ، والجنود ، ومنذ أعطى التفسير للنصر فى هذه الحرب على انه يرجع الى القوة الروحية الكامنة فى الايمان بالله وفى نداء الله « الله أكبر » .

ومنذ ذلك الوقت هاج المنكرون واستنفروا معهم السذج لكى يفرضوا تفسيرهم الالحادى على ساحة النصر، ثم ليفرضوا قيمهم على أفق المستقبل.

وهؤلاء يدعون العلم ويريدون أن يذيعوا بين الناس ــ زورا وبهتانا ــ ان الايمان بالله ، ورسله وكتبه واليوم الآخر ، والغيبات بصفة عامة يتعارض مع العلم .

وهم فى هذا يجهلون الدين والعلم معا ..

أما انهم يجهلون الدين ، فلان الدين ــ وأعنى الدين الاسلامى ــ

يقر القوانين الطبيعية على أنها من سنة الله سبحانه وتعالى ، ومن وضعه جل علاه ، وانه انما وضعها لمصلحة البشر ولكى تستقيم حياتهم على نسق ثابت معلوم ينأى بهم عن الاضطراب والقلق والتمزق .

واذا كانت قوانين الطبيعة موضوعة بارادة من الله فثباتها يرجع اليه سبحانه ، وهو الضامن الوحيد لها وهو الذى يخرقها ان أراد تذكيرا لعباده وردا لهم الى مصدر الأشياء فى الكون .

ومن ثم فانه سبحانه وتعالى وضعهم أمام أمثلة لخرق العادة لاتنكر ، من خلق آدم أولا ، وخلق عيسى ثانيا ومن الوحى القائم بين أظهرهم دائما « القرآن » وهو يضعهم أيضا أمام أمثلة تتجدد لهذا الخرق . لا ينكرها الا معاند متعصب .

وهذا الخرق لا يعنى غير هذا التذكير الذى أشرنا اليه ، وهو لا يعنى البتة أن يتخذ نسقا أو نمطا للحياة الدنيا ، ولقد رأينا كيف أن الصوفية يدركون ذلك، وكيف عبر عنهم الامام الشعرانى فيما رواه عن شيخه فى قوله : « فلم ألتفت الى ذلك لأننا لم نخلق لذلك » .

فكتاب الأخلاق المتبولية فى هذا الصدد يعتبر اسهاما اسلاميا أصيلا فى وضع مسألة الكرامات فى وضعها الاسلامى الصحيح ، يتجنب الانكار والتزيد فى وقت واحد ، وأن محقق الكتاب ليبين موقفه من هذه المسألة بما يتفق مع الرؤية الاسلامية الصوفية الصحيحة اذ يقول : (يعتبر المتصوفة أن ظهور الكرامات وخوارق العادات على يد أى منهم دلالة على انه لازال فى مبدأ أمره ، بل ان كثيرا من المتصوفة الذين قطعوا فى الولاية مراحل كبيرة قد لا تجرى هذه الخوارق على أيديهم ولا يلقون اليها بالا ...) .

أما أن منكرى الكرامات على النحو الذى ذكرناه ينكرون العلم فى الوقت نفسه ، فلأنهم مازالوا مع « رجعيات » العلم فى القرن السابع عشر، والثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر ..

أما العلم « الحديث » فله موقف آخر :

لقد قال نيوتن عن القوانين الكونية (هذا هو أسلوب الله فى العمل ، فالله يجرى مشيئته فى الكون بواسطة أسباب وعلل ..) .

ونحن جميعا نشاهد المغناطيس وهو يشد نحوه الحديد . وقد أقام العلماء نظريات كثيرة لشرح هذه الظاهرة . ولكن أحدهم كتب يعلق على هذه النظريات قائلا : (اننا لا نعرف لماذا يشد المغناطيس الحديد نحوه) ربما لأن الله أصدر الى المغناطيس أمرا بذلك .

وان العلم الحديث أصبح يسلم اليوم بحقائق ما كانت تخطر على البال من قبل الا من باب الخرافة أو المستحيل .

لقد أثبتت النظرية النسبية أن الأطوال تنكمش،وان الجسم يختفى، وان كتلة الجسم تزداد الى ما لانهاية وأن الحادثة الواحدة تحدث فى أوقات مختلفة بالنسبة لاختلاف المكان وان الزمن يختلف بطئا وسرعة بالنسبة .. لاختلاف الكتلة فى الكبر والصغر .

كذلك أثبت البحث العلمى الحديث (أن الذرة حرة فى أن تعمل هذا أو ذاك فى اطار علاقة هيزنبرج لعدم التحدد . وكل أحكامنا عنها تشير الى احتمالات لا الى يقينات).

ولقد دخل أخيرا فى مجال البحث العلمى ما يسمى «السيكوترونات» أو تفاعل الطاقات النفسية عن بعد، وهى كما يقول الدكتور رجداك (يمكن أن تقودنا الى حافة ثورة جديدة فى العلم) . والظواهر التى يدرسها هذا العلم وهى التخاطر والمعرفة عن طريق الاتصال الروحى والتحريك عن بعد أصبحت من الظواهر التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى عن طريق اعادتها وتكرارها فى أى وقت ، لدى أشخاص وهبوا قابلية ممتازة للمشاركة المباشرة فى الأحداث « السيكوترونية » .

ولقد كان العالم النفسانى يونج هو الذى اقتنع بأن الانسان فى مجموعه لا يمكن أن يفهم فهما كاملا اذا أهملنا دراسة قدراته فى التخاطر وغيره من الظواهر المماثلة . وهناك

علماء النفس الذين يدرسون الظواهر الروحيــة ، ومن هؤلاء هولوس ، وسرماديو وروهايم ، وفودور ممن أضافوا اسهامات متعددة لفهم التخاطر فهما جديدا ..

ولقد أثبت شارلز ٠ ١ ٠ موسى العالم فى الرياضيات والفلسفة والحاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا ويرأس تحرير « مجلة دراسات فى الوعى » بالولايات المتحدة ، أثبت الظاهرة المسماة بالتلباثية التى تعنى نقل الرغبات أو الصور أوالخواطر دون استخدام الحواس الخمس ، وأنها أصبحت حقيقة ثابتة ببراهين قوية لدى كثير من العلماء ..

ويقول : (لا يزال البرهان ثابتا ومتوافرا بكثرة ساحقة على أن وراء الأبعاد المعروفة للزمان والمكان عالما آخر له ظواهره وطاقاته الخاصة به) .

ثم يتحدث عن التجارب التى تقع للانسان خارج حدود الجسم فيقول (ان الخبرات التى تقع خارج حدود الجسم ـ وبدون تعاطى أى عقار من عقاقير الهلوسة ـ قد سجلت فى تقارير مستفيضة .. والدليل الذى لا نزاع فيه على وجود هذه التجارب هو صدور حركات سيكلوجية أمامشهود عيان وفىأثناء تواجد الشخص فى حالة خارج حدود الجسم ، وهذه الحركات تحدث على مسافات بعيدة منالجسم الذى يحدثها وتكون مصحوبة فى الوقت نفسه بوصف دقيق للموقع الذى انتقل اليه الشخص بغير جسم والذى لم يكن معروفا له من قبل) .

ثم يتحدث عن خاصية « الاستشفاف » التى تتمتع بها بعض الحيوانات (عندما تتلمس طريقها عائدة الى بيوت أصحابها من أماكن غير مألوفة تبعد عنها بمئات الكيلومترات) .

ثم يقرر قائلا (هناك أيضا شواهد متزايدة على أن وعينا الذى تمتد علاقته بالجسم الى الجزئيات فى أجسامنا يمكن أن يؤثر فىالجزئيات الموجودة خارج حدود أجسامنا

بمعنى أنه يمكننا أن نحرك الأشياء دون أن نلمسها ، وبدون أن نستخدم أدوات كهربائية أو مغناطيسية أو أية أدوات أخرى فى هذه العملية أى أننا قادرون على الحركة السيكلوجية أو تحريك الأشياء من بعيد) •

ويقول الدكتور - هيروشي موتاياما الذى يعمل مديرا لمعهد علم النفس الدينى فى طوكيو (ان قدرة بعض الأشخاص - أو بتعبير أدق - بعض الأجهزة العصبية لبعض الأفراد على اشعاع ما يطلق عليه حديثا قدرة كشفية خاصة قد أصبحت فى متناول الاختبار والقياس بواسطة بعض التجهيزات الكهربية الخاصة) •

ويقول ان الشخص الذى يتمتع بالقدرة الكشفية (يستطيع أن يتحكم بارادته فى أعضائه الداخلية وفى وظائف جهازه العصبى الذاتى) •

ويقول الدكتور ستانلى كريبنر فى بحثه الذى ألقاه فى المؤتمر الدولى العشرين ؟ الذى عقد فى طوكيو عام ١٩٧٢ •

(ان التجارب أثبتت انه يمكن احداث انتقال الشعور بين الأفراد عن بعد (التلباثى) فى الأحلام فى المعمل العلمى) وان الذكور أفضل من الاناث فى استقبال هذا الشعور • وأن المسافة فى هذا الانتقال لا تمثل عائقا ما • وان الأهداف التى تنقل عندما تحتوى على محتوى عاطفى أو دينى تكون أكثر فعالية من الأهداف الخالية من ذلك ••

وتقول الدكتورة ايفون دويليس التى شرعت فى اجراء بحوثها منذ عام ١٩٦٦ على الأشخاص الذين حرموا نعمة الابصار : (انه فى بعض الحالات الاستثنائية يستطيع أشخاص معينون أن يروا ألوانا موضوعية دون الاستعانة بعيونهم) وتؤكد أن هذه الظواهر موجودة وان طابعها الكامن أمر لا سبيل الى انكاره وانها تؤلف جزءا ممتدا من الوعى طمسته حياتنا المتحضرة المزعومة ، وان لها مجالا واسعا من التطبيق الممكن •

وأخيرا فما رأى المنكرين للكرامات - بالرغم من الحدود التى

حصرها فيها الامام الشعرانى ـ فى هذه البحوث والآراء التى تعبر عن أحدث ما وصل اليه العلم « المادى » الحديث ؟؟

اننا ان أحسنا الظن بهؤلاء المنكرين جاز أن نرى فى سذاجتهم وتخلفهم الفكرى شبها بتخلف أعضاء اللجنة العلمية البريطانية التى قدمت تقريرها الى البرلمان البريطانى فى عام ١٨٧٨م عن اختراع المصباح الكهربائى ، قالت فيه ان الاختراع الجديد (•• غير جدير بالتفات رجال العلم أو رجال الأعمال • ومن المستحيل ادخال النور الكهربائى فى البيوت • وأية محاولة للاقدام على هذه الفعلة هى محاولة غير مجدية تماما لأنها تتحدى قوانين الكون • على هذا يشهد ويجمع أكبر وأبرز العلماء) •

المراد بحضرة الله :

يقرر المؤلف المفهوم الاسلامى الصحيح لهذه المسألة فيقول (المراد بحضرة الله تعالى حيث أطلقت بين القوم هى شعور العبد أنه بين يدى ربه عز وجل ويصير تعالى يراه ، فما دام يتشعر ذلك فهو فى حضرة الله ، فاذا حجب عن هذا المشهد خرج من الحضرة ، سواء كان فى الصلاة أم خارجها) جـ ١ ص ١٨٠ •

ويقول : (فعلم أن دخول هذه الحضرة انما هو بالقلوب والأجسام تبع لها) ص ١٨١ •

ويقول: (ومن أخلاقهم شدة الحط والزجر والتوبيخ والهجر لمن يقول: ما ثم الا الله• فان اطلاق هذا اللفظ يبنى عليه هدم الشريعة كلها • وقد كان الشيخ أبوالقاسم الجنيد رضى الله عنه يقول : لو كنت سلطانا لضربت عنق كل من يقول : ما ثم الا الله ، أو ما ثم فاعل الا الله ••) جـ ١ ص ٤٦٣

مسألة رؤية الرسول يقظة :

حصول هذه الرؤية ومعناها :

يقول الشيخ الشعرانى : (وممن أدركته أنا من الأشياخ الذين اشتهر عنهم رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة سيدى محمد

المغربى شيخ الجلال السيوطى ، ولكنه كان يقول :

(المراد باليقظة انكشاف الحجاب عن القلب بطى المسافة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يصير جليسه وهو فى قبره الشريف) .

ـ لاحظ أن ذلك انما هو بكشف الحجاب عن القلب لا بالحضور الجسمانى ـ ثم يقول أيضا (... لا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى الى ذلك الولى ، لأن ذاته الشريفة منزهة عن كلفة المجىء والرواح فى البرزخ ..) .

ثم يقول عن الحضور المعنوى لرسول الله (فلا يوجد نور شريعته فى مكان الا وهو صلى الله عليه وسلم حاضر فيه ، هكذا يدركه أهل الكشف) ج ١ ص ١٢٠

ويضع الشيخ الشعرانى شروط هذه الرؤية وحدودها فيقول : (وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله : ما شروط الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة .. ؟ فقال : بين العبد وبين هذا المقام مائتا ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون ألف مقام ، فلابد لمن حق له مقام الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاوز المقامات كلها ، فهو أمر عزيز فى وجوده ، فى هذا الزمان انتهى ..) ج ١ ص ١٢٣

واذا كان الشيخ الشعرانى يضع هنا شرطا به يعز نوال هذه الرؤية ، مما يعتبر توجيها نقديا لمدعى الصوفية فى عصره أو من بعد عصره ، فهو بعد ذلك يضع المقياس الحاسم الذى يجعل من التخوف من قبول هذه الرؤية فى الجو الاسلامى نوعا من السطحية ، أو محض انكار لفضل الله ، انظر قوله :

(فان قيل : فهل للعلوم والآداب التى يأخذها الولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قررناه مرتبة الأحاديث الواصلة الينا على يد الرواة من المحدثين ؟ .

الجواب : ليس لها مرتبة الشريعة الظاهرة لعدم عصمة الولى فى كشفه، لكن للولى العمل بها فى نفسه بعد عرضها على قواعد الشريعة ، وليس له أن يأمر الناس بالعمل بها) • جـ١ ص ١١٦ •

هكذا يقرر الشيخ الشعرانى أن ما يتلقاه الولى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الرؤية ليس تشريعا للناس ، كما أنه ليس تشريعا للولى فى خاصة نفسه الا بعد ظهور موافقته لما جاء فى الشريعة الظاهرة ••

ثم يبين الشيخ الشعرانى جدوى مثل هذا التلقى فيقول (••فيه زيادة اليقين بصحة ما قال بعض العلماء انه ضعيف من الأحاديث مثلا أو النقول ••) •

ثم يضع مثل هذه الرؤية فى مكانها الصحيح اذ يقول :

(فهو فوق ما يراه النائم ودون شريعته الظاهرة) •

ثم يزيد الضوابط التى وضعها أحكاما فيقول :

(وقد أجمع القوم كلهم على أن الشريعة التى بين أيدينا أصح مما يأخذه الولى من طريق الالهام عن الله تعالى بلا واسطة ، فان ابليس قد يلبس على الولى ••) جـ ١ ص ١١٦

فأى محظور بعد ذلك فى تقبل هذه الرؤية فى اطار هذه الضوابط ، الا أن يكون لجاجا فى غير طائل ، أو محض انكار لفضل الله ، على عباده ؟ •

أما ن يكون انكارها لكونها أمرا خارقا للعادة فذلك ما أوضحنا الرأى فيه فى مسألة الكرامة •

حول أهمية الشيخ للمريد :

يقول الشيخ الشعرانى :

(وأما بيان الدهليز الذى يدخل منه الى مقام التخلق بأخلاق هذا الكتاب فهو السلوك على يد شيخ كامل فى علم الشريعة والحقيقة ••

ومحال أن يقدر الانسان على صعود السطح العالى بلا سلم الا أن تحصل له جذبة الهية) جـ ١ ص ١٢٧

ثم يقول (وهذا الذى ذكرناه من التخلص من صفات النفاق أمر لا يهتدى الانسان بغير شيخ الى الخروج منه ••) جـ ١ ص ١٢٩

وهذا الدى يذكره الشيخ الشعرانى فى أهمية الشيخ يرجع الى الدور التربوى التطبيقى الذى لا غنى عنه فى التربية اذ يقول (•• فهو كمن حفظ كتب الطب مع جهله بالداء والدواء ••) يعنى الاقتصار على الجانب النظرى واهمال الجانب العملى التطبيقى •• ولاشك أن الجانب الأخير لا يتلقى من الكتب ، وانما يؤخذ على يد معلم أو شيخ ••

كذلك يشير الشيخ الشعرانى الى دور الشيخ فى نقل المريد من مرحلة السلوك الظاهرى الى مرحلة الوصول الى حقيقة السلوك وباطنه ــ وذلك مما لا يتلقى من الكتب ــ اذ يقول: (لو أن مريدا عبد الله تعالى كما بين السماء والأرض بغير شيخ فعبادته كالهباء المنثور) •

لا لأن الشيخ واسطة بين العبد وربه كما يوهم بذلك من يقتطع النص ويقف به عند هذه الكلمة ، وانما للدور التربوى الذى يقوم به الشيخ فى نقل مريده من ظاهر السلوك الى حقيقته ، يقول الشيخ الشعرانى فى تعليقه (•• لأنه ــ أى المريد الذى لا شيخ له ــ لا يهتدى لمعرفة تطهيره من دسائس الأعمال الظاهرة فضلا عن الباطنة • بل ولا يعرف الطريق الموصلة لذلك حتى يطلب معرفة كيفية التطهير لأن طريق القوم غالبها غيب غير محسوس ولا يكاد يدركها الا من كشف الله تعالى حجابه ••) جـ ١ ص ١٢٩

ويضرب الشيخ الشعرانى المثال لذلك من الحديث النبوى الشريف اذ يقول : (كما ورد فى حديث العابد الذى عبد الله تعالى فى جزيرة خمسمائة عام وقال له الحق تعالى ـ ادخل الجنة برحمتى ، فقال : بل بعملى) ــ وفى هذا الحديث الذى

أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد: ان الله تعالى حاسب هذا العبد على ما لقى من نعم فى مقابل عمله حتى بين له أنه انما يدخل الجنة برحمته تعالى .

والشاهد فى ذلك ما يقوله الشيخ الشعرانى :

(فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أول مادخل فى الطريق أن العبد لا يدخل الجنة الا برحمة الله دون عمله ، وكان لزم الأدب مع الله تعالى) ج ١ ص ١٣١

ويبين الشيخ الشعرانى فى موضع آخر هذه الأهمية التربوية لدور الشيخ مع مريده ، اذ يأخذ بيده فى الترقى بين المقامات التى شم - أى الشيخ - روائحها ...

أما المريد الذى لا شيخ له فانه يحال بينه وبين الترقى لأنه (واقف مع نفسه ، لا يرى فوقه مقاما ، لعدم شمه وزكامه) ج ١ ص ١٣٢

ومن فوائد الشيخ عند الصوفية ما يحكيه الشيخ الشعرانى عن شيخه الخواص (... اختصار الطريق على المريد واراحته من شدة التعب من غير ترق ..) ج١ ص ١٣٩

ويمارس الشيخ الشعرانى مهمته النقدية فى هذا الموضع اذ يقول لمدعى التصوف (ولو أن هؤلاء كان لهم شيخ لبين لأحدهم عيوبه ونقائصه وكان يخاف من الله تعالى أن يدعى كمال مقام الاسلام) ج ١ ص ١٥٢ ولقد أوضح الشيخ الشعرانى أن الاستمساك بالشيخ لا يرجع الى اعتباره واسطة ولكن الى اعتباره من باب موالاة من والى الله ومعاداة من عاداه ، وهذا مأمور به شرعا ، وفى الحديث الصحيح (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .) ج ١ ص ٢٦٧

وهنا نقطة هامة تتضح بتفهم دور الشيخ ، يقول الشعرانى (وكان لسان حال كل شيخ أن يقول لمريديه يا أولادى انما أربيكم بشرع نبيكم وما أستنبط منه ، فأقول لكم : قال نبيكم صلى الله عليه وسلم كذا ، أو قد استنبط العلماء من شرع نبيكم كذا وليس لى من ذاتى شرع أتمشيخ عليكم به) ج ١ ص ٢٢٠

كما يتحدد مقام الشيخ ، بذكر قاعدة من الأخلاق المتبولية تنكر مظاهر التقديس للأشخاص يقول الشعرانى : (من أخلاقهم كراهتهم لتقبيل أحد يدهم .... وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : لا ينبغى لفقير أن يمكن أحدا من تقبيل يده أو التمسح بثيابه الا اذا صار فى مقام الحجر الأسود . فقيل : وما مقام الحجر الأسود ؟ فقال : مقام من حفظ عهود جميع من استلمه ، ويحمل خطايا بنى آدم عنهم ويفديهم بنفسه ، ولو أسود بذلك وجهه بين الناس) : ج ١ ص ٢٢٧ ومعنى هذا تعليق الأمر على مستحيل .

ومن هذا يتبين اسهام الشيخ الشعرانى فى ايضاح أن تمسك الصوفية ـ أو بعضهم ـ « بالشيخ » انما يرجع الى ضرورة تربوية عملية، يندر أن يجدها المريد فى علومه النظرية ، وهو بذلك يرفع عن هذا المبدأ الصوفى توهم أن يكون الشيخ واسطة بين العبد وربه ، ويضعه فى موضعه الصحيح باعتباره مبدأ تربويا لاغنى عنه فىأى منهج للتربية فىالقديم أو فى الحديث ، فى الصوفية ، أو فى غيرها من المجالات التى تتصدى للتربية المنهجية الصحيحة.ومع ذلك فان كتاب الأخلاق المتبولية يبين أن اتخاذ شيخ للطريق ليس من ضرورات التصوف باطلاق ، كما يتوهم البعض .

يقول رواية عن شيخه على الخواص :

(وممن بلغنا من المتقدمين أنه لم يكن له شيخ ـ غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أربعة لاخامس لهم فى الشهرة . وهو الشيخ عبد الرحيم القناوى ، والشيخ أبو السعود ابن أبى العشائر (توفى سنة أربع وأربعين وستمائة) والشيخ أبو مدين والشيخ ابراهيم المتبولى رضى الله عنهم .

وأما من لم يشتهر بذلك بين العلماء فكثير ...) .

وهكذا فالشيخ ابراهيم المتبولى صاحب هذه الأخلاق هو نفسه لم يكن له شيخ .

ثم يقول فى عبارة واضحة (... وان من رزقه الله تعالى سلامة الباطن من هـذه الأمراض المهلكة كالأئمـة المجتهدين وأضرابهم لا يحتـاج الى شيخ فى الطريق ، لأن هذا قد عمل بما علم على وفق السنة . وهذا هو غاية ما يطلب بالسلوك) . ص١٤٢

الحديث عن النفس :

وبعد : فان الأخلاق المتبولية التى يقدمها الشيخ الشعرانى فى كتـابه هذا ، ليست كلاما نظريا ، ولكنهـا تطبيقـات الشيخ فى حيـاته الواقعية كما ذكر ذلك عن نفسه .

وهنا قد يتساءل البعض عن مغزى حـديث الشيخ عن نفسه على هــذا النحو ؟

يقول الشيخ الشعرانى (كما أنى لم أذكر فيه شيئا من أخلاقى الا ما أذن فى افشائه بين الاخوان ليقتـدوا بى فيه ، فان كل من دعا الى خـير ولم يكن متخلقا به قبل الناس ربمـا قالوا بلسان الحال والمقال :

كيف تدعـونا الى التخـلق بشىء عجزت أنت عن التخلق به مع علمك وصلاحك وقدم هجرتك ؟

فيقل نفع الناس به عادة ، وان كان ذلك ليس بشرط فى الداعى وانمـا هو كمال فافهم .

وقد ذكرت فى التقرير مرارا أن سبب ذكرى للأخـلاق التى تخلقت بها وعدم كتمى لها ما سمعته من جماعة من الاخوان حين أمرتهم بالزهد فى الدنيـا والتورع فى المطعم والملبس والمنطق وغير ذلك ، فقالوا لى :

أرنا أحدا تخلق بذلك حتى نقتدى به ... فتـأثرت لذلك غاية التـأثر وشرعت بعون الله تعالى فى ذكر بعض ما من الله تعالى به على .

وقلت لهـم : انظروا فى هــذه الأخلاق فكل خلق رأيتمونى متخلقا به فاتبعونى فيـه ، وما لم أتخلق به فأنا واياكم فيه على السواء . فهذا هو سبب ذكرى للأخلاق التى كان الأولى بنـا كتمهـا عادة ، لولا حرصى على حصـول الخـير للاخـوان فاياك أن تظن بى سوءا أو تنازعنى فى قصدى فتقع فى الاثم . لوقوعك فى أعراض

الفقراء بغير علم ولا غرض صحيح)• ج ١ ص ٩٠

وفى هذا الكفاية فى الاجابة عن السؤال •

خاتمة :

ولقد توقع الشعرانى لكتابه أعداء كثيرين يقول :

(ان كل من صدق فى طلب الطريق فلابد من أن ينجذب على الأذى له جماعات كثيرة من الأشقياء من الانس والجن لينفروه عن طريق أهل الله تعالى •

وأما الكاذب فى طلبه فقد كفى ابليس المؤنة لاحباط عمله بالرياء والنفاق ، فلم يحوجه لأن يسوس أحدا بالأذى لأنه لم يدخل الطريق ولا شمها ••) •

ثم يقول : (وأسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يحفظ هذا الكتاب من كل حاسد وعدو ، يدس فيه

ما ليس من كلامى مما يخالف ظاهر الشريعة لينفر الناس عن النظر فيه •••) ج ١ ص ٩٦

ويقول الامام الشعرانى رواية عن أبى تراب النخشبى المتوفى عام ٢٤٥ هـ : (اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله •••) •

وليس هذا التكريم لأولياء الله راجعا الى امتياز عنصرى أو طبقى خاص بهم وانما هو ـ طبقا لتعليل الامام الشعرانى ـ (لأنه لو أقبل على حضرة الله لعرف أهلها • ومن هو المقدم فيها وكان يحترمهم ضرورة ، فانه ماعادى أحد أولياء الله وهو يعتقد ولايتهم أبدا ، وانما يعاديهم حين يحجب عن مقامهم وحينئذ يرميهم بالنفاق والرياء والزندقة • فافهم) ج ١ ص ١١٠

ولعلنا بعد هذا العرض الموجز لهذه الأخلاق ندرك خطر الكتاب منهجيا ، ونفاسته موضوعيا ، كما ندرك ثراءه فى توجيه حياتنا الاجتماعية المعاصرة الى الأخلاق الاسلامية الصافية فى أسلوب تربوى عملى • وفى توجيه الصوفية الى التصوف الاسلامى الصحيح •

وندرك أن تشويه الكتاب لا يخدم الا أغراض العاملين على توجيه مجتمعنا من قاعات مظلمة بالالحاد ، مسممة بالحقد .

ومن الطريف أن الشيخ الشعرانى رضى الله عنه لم يغفل أشباه هؤلاء ، عندما وضع القاعدة السلوكية للصوفية ، التى يقول فيها :

(ومن أخلاقهم كثرة الاستعاذة بالله تعالى من شر الحسد كلما أقبلت الخلائق عليهم بالاعتقاد وقبول الشفاعات ، خوفا من أن تعمل الحسدة لهم المكايد فيؤذوهم ويشغلوهم عن عبادة ربهم بذلك ولو لحظة . ومن تأمل من الفقراء الآن وجد نفسه كالبهلوان الذى يمشى على الحبل بقبقاب وجميع أهل مصر مثلا واقفون ينتظرون له زلفة من فوق الحبل) ج ٢ ص ٥٠٢

ويقول كأنه ينظر بنور بصيرته الى شيء مما يدور فى عصرنا :

(فاياك يا أخى أن يقوم بك الحسد فلا تنتفع بشيء من هذا الكتاب فيفوتك خير الدارين كما يقع فيه كثير من أصحاب الأنفس الردية) . ج ٣ ص ٣٠١

وبالله التوفيق ؟

د : يحيى هاشم حسن فرغل

الأزهر الشريف

يدعو الراغبين من الناشرين والأفراد

فى اقتناء « المصحف الشريف »

طبعة الأزهر

إلى التقدم بطلباتهم إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإســلامية بإدارة الأزهر ـــ القــاهرة ـــ لحجز الــكميات المطلوبة لهم بسعر التــكلفة وهى :

١٠٠ قرش للنسخة الواحدة المجلدة .

٨٠ قرشا للنسخة الواحدة غير المجلدة .

وهناك تخفيض خاص بالنسبة للمشترى بالجملة .

وتورد القيمة نقدا أو بشـيـك باسم الأمين العــام لمجمع البحوث الإســلامية .

إلى السادة الراغبين فى الاشتراك

يمكنهم الاتصال بهـــذه

الشركة أو المؤسسة	اسم المسئول	العنوان
الدار العامة للمطبوعات	السيد / عبد الرحمن الكيالى	شارع أبار ٢٩
الشركة العربية للتوزيع	السيد / عبد المنعم مصطفى	
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان	السيد / عبد الكريم ميكى	شارع الرشيد ـ ساحة الوثبة
وكالة التوزيع الأردنية	السيد / رجا العيسى	
وكالة المطبوعات	السيد / عبد الله حرمى	٢٧ شارع فهد السالم
مكتبة جدة	السيد / أحمد عمر يا يزيد	برحة نصيف
مؤسسة الجريسى للتوزيع والاعلان	السيد / عبد الرحمن الجريسى	شارع خالد بن الوليد
دار التوزيع	السيد / أبو بكر أرباب	
دار الفرجانى للطباعة والنشر والتوزيع	السيد / محمد بشير الفرجانى	٥٣ شارع عمرو بن العاص
مكتبة الخراز	السيد / الشعالى الخراز	شارع عمرو بن العاص
الشركة التونسية للصحافة	السيد / محمد العلانى	٣ نهج المغرب
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	Youssef A. Boudáoud	3, Boulevard Zirout
الشركة الشريفة للتوزيع والنشر	السيد / برادة محمد	١ ساحة باندونج
مؤسسة ١٤ أكتوبر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان	السيد / عبد الله أحمد العود	سكة الملك سليمان
محلات القائد التجارية	السيد / أحمد القائد محمد	باب مشرف
المكتبة الوطنية وفروعها	السيد / فاروق محمد عبيد	
دار العروبة للطباعة والصحافة والنشر	السيد / عبد الله حسين نعمة	
المؤسسة العمانية للصحافة والنشر	السيد / سليمان محمد الطائى	
مكتبة ومطبعة دبى	السيد / خليفه جمعه النابودة	
مكتبة القدس	السيد / محمد خضر عطا الله	
المكتبة الحديثة	السيد / عبد الله محمد خليفة	
مؤسسة محمد أحمد بن سلم	السيد / محمد أحمد بن سلم	
مكتبة سمنتر	السيد / حبيب على عدونة	

بمجلة الأزهر خارج جمهورية مصر العربية

المكاتب والوكالات الآتية

ص.ب	البلدة	المنطقة	تليفون	تلغرافيا
٢٣٦٦	دمشق	سوريا	١١٣٧٣٦	مطبوعات
٤٢٢٨	بيروت	لبنان	٢٤٧٩٠٠	عربتوزيع
	بغداد	العراق	٦٠٥٦١	دوثا
٣٧٥	عمان	الأردن	٣٠١٠٩١	جودستاق
١٠١٩	الكويت	الكويت	٣٢٢٩٦	مطبوعات
٩٥٠	جدة	السعودية	٢٢٥٧٨	توزيعات
١٤٠٥	الرياض	السعودية	٢٥٥٧٣	التوزيع
٣٥٨	الخرطوم	السودان	٨٠٥٨٣	دار جراند
١٣٢	طرابلس	ليبيا	٣٨٣٦٠	الفرجاني
٢٨٠	بنغازي	ليبيا	٣٣٦٩	الخراز
	تونس	تونس	٢٤٢٤٩٩	SOTUPRESS
	الجزائر	الجزائر	٦٣٩٢٦٧	SREDA-ALHBR
٦٨٣	الدار البيضاء	المغرب	٢٦٠٧٥١	سوشيرس
٤٢٢٧	عدن	اليمن الديمقراطية	٢٥٧٧٣	كريتر
٨٤	الحديدة	اليمن العربية	٢٤٨٥	القائد
١٤٠٥	المنامة	البحرين	٤٢٧٢ — ٥٤٣٩	المكتبة الوطنية
٦٣٣	قطر	الدوحة	٢٣٢٨	صحافة
٤٦٣	مسقط	عمان	٢٧٠٥ — ٢٤٦٣	الوطن
٦٢٦	دبي	دولة الإمارات	٢٤٠٠٥	الصحافة
١١٨٠	العين	أبو ظبي دولة الإمارات		
٣٨٧	أسمرة	ارتريا		
١٧٦٤	أديس أبابا	أثيوبيا	١١٠٦٦	بن سلم
٩٣٦	مقديشو	الصومال	٣٥٦٦	سمانترز
٧٨٨	جيبوتي	الصومال	٢٠٩١	

الشركة أو المؤسسة	المسئول	العنوان
شركة الخليج المحدودة	السيد زياد سعيد فهيم	102 Queens Way, London W.2
مكتبة ماجيرى		Nouvelles Messageries de la Presse Parisienne. III, Rue Résumur Paris (2e). France
مكتبة كيوسك		S.A. Le Kiosque. II, Mauberstrasse. Berne-Suisse.
شركة سارباخ W.E Saarab ach		5 Köln I, Postfash 1510, Fallerst2, Germany
موراده وشركاه Morawa & Co.		Buchkandling and Zeilungsburo, Wienl Willzeile II, Austria
وكالة هلينيك للتوزيع Hellenique de Distribution		67, Kallirois, Athem 410.
	« إبراهيم الجندى	Niktor Bendixgade 20, 4 T.V.
مركز نشر الحضارة العربية الأفريقية	« أدولف سيريكو	558 Casella Postal. Rome
Rashed Sales Co.	Mr. ALBERT RASHED	191 Atlantic Ave. Brooklyn New York.
	« على عبد الرحمن أمين الرافعى	M'D, East News. Wiclaudale Canada
Ali Baba Oriental Div. Frddy Import and Export. Co.	« جورج فرج سعد	12003 Lavrention BLVD (Comer Salsberry) Box 64 Snowdon Montroal
	« أحمد ربيع شديد	A.V. Churdul 129, GR 1004 R/O. DE Yanciro
Rassan Trading Co.	« مكرم عبد النور	74 Railway Rd Sundanbam N.S.W. 2044 Australia

البلدة	المنطقة	ص . ب	تليفون	برقيا	بيانات أخرى
لندن	إنجلترا		229.2273	Al Gulf	
باريس	فرنسا	136—02			
بال	سويسرا	Kiosque			
فرانكفورت	ألمانيا (غ)	161626	234631	Saarabach koln	
فينيسيا	النمسا				
أثينا	اليونان	315	94.24.330	Dlstrico	
كوبنهاجن	الدانمارك	2125	(451)13.30.45	Distriplad	
روما	إيطاليا	C.E.C.A.	461849		
نيو يورك	الولايات المتحدة				
تورنتو	كندا		6419		
مونتريال	كندا				
	البرازيل		3661		
سيدني طبورن	إستراليا	590			

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢٠٠٢-١٩٧٧س٤٣٥

ENGLISH SECTION

the year not less than one third of the bills presented for cashing (so that presentations of the bius to the bank for cashing should not be abused in such a manner as to affect the liquidity of the monetary balance at bank).

In the light of what we have explained, Islamic Banks are legal intermediate links between those who possess liquid funds and the buisness men who are in need of money. Large amounts of liquid funds are accunmulated in these banks. They are the deposits of the banks.

Those who have a surplus of liquid funds deposit it in the banks hoping a return. This return should not be an interest or usury. It should be derived from participation

القراض أو المشاركة

Allah says in Chapter "The Cow" : verses 278-280 what means : (You who believe ! Be careful of your duty to Allah, fear Him, and give up what remains of your demand for usury, if you are true believers.)

(But if you do it not, take notice of war from Allah and His Apostle, But if you turn back and repent, then you shall have your capital sums, neither shall you make the debtor suffer loss, nor shall you be made to suffer loss).

(And if the debtor is in straitness then let there be postponement until he is in ease ; and that you remit it as charity is better for you if you know.)

((يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين .

فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من اللهورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)

وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون .
(البقرة : ٢٧٨ — ٢٨٠)

This means that the balance of ininterest which may be due at the time when the prohibition was made known must be given up.

Besides, this is an ultimatum of war for the liberation of debtors unjustly dealt with and oppressed.

profit, if the investment fails to achieve any returns. His share is only part of the profits and if there are no profits he has no share.

The Islamic Substitute.

The preference of the Islamic substitute as refleced in the participation of risk, can be summed up as follows :

1 — The co-participation of the bank with borrowers in their productive activities will absoutely necessitate the mobilization of the banks technical experties in quest of the best field for investments or the search for the most rational methods, thus bringing about the cooperation of funds and production in the national economic development

2 — The fund-older who deposits his money in an Islamic bank will make use of his funds on the basis of participation in the risk, and will consequently gain the fair profit, commensurate with the part contributed by his funds to economic development. In this way the saver can be enouraged to continue saving which is the basic factor of captal accumulation.

3 — In clearing the Moslem funds of usurious interest (Riba) which is fixed in advance the Moslems will get rid of their Passivity when depositing their funds and waiting the payment of the fixed interest.

4 — *Purifying the transactions* of Islamic banks of all prohibitions

The non-Islamic Banks practise numerous banking activities of which some are not tainted by usury such as the commission they charge on the collection of cheques or letters of credit or current accounts. What they charge is in return for the services they render to their clients. There are two operations practised by these banks which are usurious : The first is giving loans at fixed interest, asd this could be replaced by the Islamic bank by giving loans on the basis of reciprocation of the clients risks through the "Al Kirad"

The second operations is dis counting the bills. The Islamic banks can deal with this kind of operations by clearing it of the suspicion of usury in the following manner: The Islamic Bank pays the counter-value of the bill to the beneficiary without discounting the interest due on its duration untill the expiry date on three conditions :

A — That the invoice or the document indicative of the commodity be enclosed with the bill as is applied in some countries.

B — That the beneficiary figuring on the bill have the current account with the bank.

C — That the balance on this account should average throughout

The Investment of the Islamic Bank's Funds.

In dealing with the investment of the Islamic Bank's Funds on the basis of participation is an alternative for interest we would like to say that such an arrangement was approved and organized by the rules of Shariah.

These rules ensure more benefits for Muslims, protect them and uphlod the interests of the Islamic nation and add to its resources.

Participation contract provides for many fundamental rules that govern the relationship between depositors (clients) and the Bank as well as between the bank and owners of investment projects.

These rules could be summed up as follows .

(a) Parties to the contract of participation where the investor could be the Bank itself in case of deposits, or the money owner in the case of loans, shall divide the profits according to the percentage they both agree upon, on condition that the share of each shall be in general terms such as "half" one third" or "a quarter'' for one party while the rest goes to the other.

(b) A pre-condition that guarantees a specific profit for any of the parties invalidates the foundations of participation because the actual returns might not be sufficient to cover that pre-determined profits. The rule is that any pre-condition specifying profit or other obligations contradictory to the rules of Islam shall invalidate participation and bear the signs of usury which the bank rejects as a non-Islamic economic system.

(c) The bank or the investing party is entitled to collect its share out of the profits only. It is against Shariah to take share of the in vested capital.

(d) The investing party is entrusted with the money. On the one hand he is deputizing for the money owner, and on the other hand he shall share in profits.

(e) The investing party deserves his share in profits in a Legal participation because of the work he carries out. He gets his share of the profits in compensation for the effort and work he exerts.

The money owner deserves his share of the profit because he participated with his money.

(f) Damage and losses shall be born by the money owner alone, and if a pre-condition is included to make them the joint responsibitity of both the owner and investor, the pre-condition is null and void. The important thing is that the investing party shall have no

The Quran draws a distinction between trading and usury. In trade the capitalist takes the risk of loss along with the hope of profit, but in lending money on usury the whole of the loss is suffered by the borrower while the capitalist can count upon his profit even in the case of loss in the actual concern.

Hence, trading or sale stands on quite a different footing from that of usury.

The prohibition is to receive any interest on coney lent, but if any one had actually received any interest beforc the prohibition, he was not required to pay it back, because such a procedure would have hopelessly upset business. Usury took away the blessing thereof. Usury also signifies the bloting out of a thing.

Usury is condemned, while charitable deeds are commended nad praised as being the real source of the prosperity of a natiin.

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم »

(البقرة : ٢٧٦)

Interest on Loans for Production or on Laans for Consumption

Interest either on loans for production or loans for consumption or waste are utterly and expressly prohibited by Islam. The Holy Prophet Mohammed (may Allah's blessings and prayers be upon Him) forbade the believers to derive any advantage from loans. (Riba), usury or interest is any increase through illegall means such as usury, bribery, profiteering fraudulent trading etc. All unlawful grasping of wealth at other people's expense is condemned. Economic selfishness and many hinds of sharp practices, individual national and international come within this scope. The principle is that any profit which we may seek should be through our own exertions and at our own expense, not through exploiting other people or at their expense.

Allah says in Chapter Al-Rum XXX/39 what means :

(That which you lay out for increase through the property of other people, will have no increase with Allah ; but that which you lay out for charity, seeking Allah's countenance (Allah's Good pleasure), it is these (persons) that shall get a recompense manifold).

This verse states that people who seek to increase their wealth by means of getting interest or money i.e. they seek an increase of their wealth at the expense of other men's property ; but that a Muslim should seek an increase of his wealth by giving it ? for the sake of Allah, to help his brother man.

« وما ءاتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

(الروم ٣٩/٠)

THE ISLAMIC BANK AND THE PROHIBITION OF USURY

By

Dr. M. Abdul Monem El-Gammal

The Islamic bank differs from other non Islamic banks in more than one respect.

These differences could be summed up in following :

1 — Application of the principle of participation (Mudarabah or Musharakah).

2 — The bank,s transation will be carried out in accordance with Islamic Jurisprudence (Shari'ah). Islamic alternatives will be introduced to replace existing banking transactions that do not confirm with the of Islam.

3 — Prevention if usurious dealings :

What is usury or interest in the eyes of Lslam ?

Usury (literally, an excess or addition) means an addition over and above the principle sum that is lent. It includes interest which is prohibited according to the Muslim Laws. Usury is an illegal transaction.

Islam refuses to allow the rich to grow richer by reducing the poor to still greater poverty which is the real aim of usury. Usury moreover, promotes habits of idleness; but its worst effect is on morals as it causes man to be obsessed by selfishness.

Allah says in chapter (the Cow) 11/275-276 what means :

(Those who devour usury (take usury and dispose of it) cannot arise on the Day of Resurrection except as one whom the devil has pristrated by his touch does rise. That is because they say, trading is only like usury, while Allah has allowed trading and forbidden usury. Those who after receiving guidance from their Cherisher desist, shall be pardoned for the past ; their case is for Allah to judge. But those who repeat the offence are the companions of the fire. They will abide there in forever).

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

(البقرة : ٢٧٥)

Allah says in chapter (the Cow) II, 276 what mans :

(Allah does not bless usury, and He causes charitable deeds to prosper. And Allah does not like any ungrateful sinner).

Message was revealed. The mission of the Messenger of Allah, as defined by the Quran is education and purification :

"He teaches them the Book and Wisdom and purifies them.

2 — From its very inception commencing with the first revelation "Read," Islam was an ally to knowledge.

3 — The encouragement to seek and pursue knowledge as propounded in the Quran and the Sunnah of the Prophet (peace be upon him) is above compassion. There is no inducement of this kind both in honour and dignity, in the highest literature of the world.

4 — The knowledge propounded by the Quran and Sunnah is knowledge of everything beneficial in the physical and metaphysical worlds and in the sphere of faith and morals.

5 — The scientific methods adopted by the modern civilization is taken from Islam as acknowledged by Rogrers Bacon; the true father of the modern method.

6 — There is no contradicition between religion and science because of the two different spheres they operate in. The sphere of religion is faith in God and the sphere of science is matter ans substance. It is our fervent hope that the Muslim Nations respond to the Call of of the Almighty and His messengers and acquire knowledge, the basis of their revival and their motto in performing their duties and fulfilling the objects of their mission.

from Islam is incompiete and deficient.

The experimental method only operates on matter and stops at the Natural Phenomena. This is an Islamic Method but it is not the complete method adopted by Islam. A Muslim does not stop at the Natural Phenomena as his goal and final object and does not limit his activies there. The aim and final object of the Muslim is what the Almighty has said, "To Allah Belongs the final End".

Whil Europe limits itself to the world of matter, Islam encourages humanity to another source if knowledge and enlightment; the heart or sipirt or insight. Islam draws the attention of mankind towards inspiration, revelation and intuitive enlightment. In this way Islam combines the modern science with what the poet al-Bosairy said.

"The eyes, ears and heart, all are responsible to know the Truth".

The eyes and the ears are the basis of experimental knowledge which onsists of observations, tests and calulations while the heart is the basis of spirtiual knowledge. God induces the Muslim to seek knowledge through observation and experiment and in the same way prevails upon him to draw inspiration from revelation. Islam encourages a Muslim to elevate himself by following True Guidance and the spiritual light of the heart. This he should do by imbuing himself with noble attributes and exercising them in his morals. God-conciousness, sincerity, love for mankind and assisting people in all virtuous deeds.

Since Islam, in its scientific aproach is wider, more accomative and by far more penetrative thain modern civilization, it is therefore obvious that it differs from it fundamentally and basically in its intentions and motives a nd objects and goals.

Modern civilization advocates the idea that knowledge has no relation with ethics and morals. In other words it shows that knowledge and morals have nothing to do with each other and so it has no relevance to virtue and evil.

Islam, on the other hand, brands the foundations of knowledge with virtue and morals its objective soaked in nobility. According to Islam knowledge brings you closer to the Almighty and imposes upon man to worship Him. Knowledge in Islam is an attribute of God and in an Islamic atmosphere it means the "Reading, chanting and remembering in God's Name''.

In conclusion we would like to summarize our discussion by brief points :

1 — In Islam, knowledge is part of the object for which the Divine

only, in fact our knowledge is indebted to Arab culture. Stil more than this we are indebted to the very existance of Arab knowledge and culture. For as far as the old world is concerned we are fully aware that it had no room for knowledge at all. The astronomy and mathematics that flourished in Greece were all foreign. They had gained these knowledges from others but never in their long history did these sciences become dissolved in their Greek culture wholly.

The Greeks had organized the religions, had generally spread their laws and had drawn their theories. But the manner and methods which they adopted for their research were all foreign. Their perseverence and tolerance, their ways of procuring positive information and concentrating on them, their detailed curriculums for education, their continuous observations and research experiments were absolutely foreign to the Greek temperament. In the old world during the times of the Greek Empire knowledge had got very close to no other city but Alexandria.

"But what we call knowledge today only appeared in Europe as a result of the new spirit and new ways which themselves resulted from observations, experiments, tests deductions and the development of mathematics in a way totally unknown to the Greeks. This spirit and these scientfic methods were all bestowed upon Europe by the Arabs."

Dr. M. Iqbal has the following to say:-

"Where did Rogers Bacon get his knowledge from ? He got it from the Islamic Universities of Spain The fifth chapter of his book" Lepas Majus" which is dedicated to optics is in reality a part of Ibn Haitham's book "Kitab el-Manazer'' (Book on Optics). The book of Bacon in general is a telling witness of his being influenced by Ibn Haitham.

What we have presented so far as realities of Arab Civilization, in methods and sciences, has become so popular and well-known among the judicious minded authorities, that there is no further need for any evidence in this respect.

The very inventor of the method of investigation, observation and tests has acknowledged the fact that Europe is indebted to Islam for the scientific method it has adopted. This is also acknowledged by all unbiased authorities. This, then, finalizes the conclusion and there is no room for any misgivings for anybody. With all this it must be pointed out that the Islamic method is by far much more complete, compact and accommodative. What Europe has taken

same method that they will continue making progress in the future both in quality and quantity. This method owes its origin, as is famously known to Francis Bacon.

Students of European history and European thinkers do not share this view. They attribute this methid to Rogers Bacon more than anyone else. Scientists and Research students are of the opinion that Rogers Bacon was more penetrating and precise in explaining and implementing the investigation on any method. Against the view of many of his countrymen, he eloquently and in unambiguous words explicitly acknowledges the fact that this method was pursued by the Arabs and by their culture to which he is indebted.

This reality which the Western writers have tried to obliterate and conceal is being openly brought to light by some judicious modern thinkers. In his book "The Construction of Humanity" Professor Brifolt, traces the roots of Western civilization. He writes :

"Rogers Bacon studied the Arabic Language and Arabic sciences at Oxford by his tutors from Andalous. Neither Bacon nor his followers have the right to place the crown of inventing the experimental method on themselves ; Rogers was none other than a messenger among the messengers of the Islamic method who conveyed it to Christian Europe. On the other hand Rogers himself was never tired of admitting that to get to the truth it is impertive upon his contemporaries to stuy the Arabic Language and sciences. The discussions and counter-discussions regarding who the original founders of this method are, reflects one of the great adultrations and concotions in the origin European Civilization."

The Arabic method of experiments flourished in Europe during the time of Bacon. It was on a very wide scale and students throughout Europe flocked to learn it. In this respect Brifolt has the following to say ;

"Knowledge brought by the Arab Civilization, remains to be the most important contribution to the modern world but its fruits were in maturing. The genuis created by the Arab Culture in Spain did not bloom to its full until a long time had elapsed after that civilization had disappeared in darkness."

It is not only knowledge that was responsible to bring back life to Europe. In fact there were many other influences of the Islamic Civilization that sent their batteries of illumination to European life. Brifolt has the following to say in this respect :-

"Our knowlege is not indebted to the knowledge brought by the Arabs, in their breath-taking discoveries and unique conceptions

SCIENTIFIC METHODS BETWEEN ISLAM AND MODERN CIVILIZATION

By

Dr. Abdul Haleem Mahmoud
The Grand Sheikh of Al-Azhar

There is no doubt that modern civilization has come into existence with intense rapidity by the adoption of two methods in the pursuit of knowledge. Both differ from each other and are opposite in nature. A cold war exists between these two methods. They are :

1. The Baconion Method based on experiments, tests and observaions of matter and substance.

2. The Rational Method or the De Cartias Method which is explained by the rationalists as the swift movement of the mind to the object desired.

Both these methods developed in an atmosphere of antagonism to the Aristotlian method.

Both these methods see the Aristothan method as that of picture and form and they have no relation whatsoever to reality and implementation. That is why they called it Pictorial Rationalism meaning the logic of the picture and form and not the essence.

The Baconian method is a scientific method and the Carte method is a philosophical and an exprimental one. Modern civilization is based on the latter method and it would therefore behove us to limit our discussion on this method. The latter method is based on investigation of particles and substances which can be subjected to experiment, failing which they can be placed under observation to allow decision to be taken ; a decision showing the general laws that operate in them. In other words, to come to some conclusions about the general laws that operate in the Natural Phenomena.

The field of investigation is nature and its substances for investigation is done on them. The instrument that is applied in these fields is sensory because its function is to investigate and observe the perceptible. The modern European culture and all that it stands for is based on the foundation of this method of investigation and observation. In chemistry, astronomy and all fields of matter and sub stance, this remains their basic and fundamental method. It is on the

tives. He gave it to the missionaries and asked them to go to Kodungalur (Cranganore), Darmaftan and Fandera. He asked them not to speak about his illness. Shortly after this, the King died.

"Two years after the death of the King, Sharaf bin Malik started for Malabar with his brother, nephew, and his brother, nephew, and his wife and children. Soon after their arrival in Kodungalur they presented the royal epistle to the Governor who granted them lands, gardens and fields as per the Kings order.

"Malik bin Dinar and his nephew Malik bin Habib settled in Kodungalur and built a mosque there. Afterwards Malik bin Habib moved to Kollam (Quilom), where he built a mosque. Leaving his family in Kollam, he travelled to Hubli Mawari. After building a mosque there, he visited Pakanoor, Mangalur and Kanjerkode. He erected mosques in all these places and returned to Hubli Mawari."

From this account it is clear that it were Arabs who first took the light of Islam to South India. They were the pioneers in this field and the first Muslims that settled there.

Historical research has brought to light the following facts : the first, the advent of Islam in India was not the result of a colonial movement nor was it a wave of military conquest ; secondly, the small groups of Muslims that entered India as conquerors, were not Arabs except, of course, the army that conquered Sind under the leadership of Muhammad Bin Qasim; thirdly, nowhere in India did Islam spread by force or coercion. The liberal and broad mindedness of the Hindu rulers of those, days, and the Indian character that bows its heads before piety, and purity, were equally the factors that helped in the growth of Islamic Call in India. If in some parts of India Muslims have been living continuously for 12 centuries or more, by and large, there is hardly any part in this vast country where they have not been living for at least seven centuries.

In his "Tuhfat Al Mujahidin", Sheikhh Zain Al Din bin Abdel Aziz relates how Islam found its way in Malabar (Kerala). He says that since time lomg past, Jewish and Christian communities had settled in Kodungalur (Cranganore), the ancient capital of Malabar (Kerala).

"The Jews settled here were probably those who Kaikhusur the King of Iran had banished from the land. They crossed to Persian Gulf, and settled in Cochin. Forester had a slightly different account of the Jewish settlement in Malabar. He says "In 369 A.D. a group of Jews migrated from the Island of Miorea in Spain. They were about seven or eight thousand persons. They reached the coast of Malabar and settled in Cochin. As for Christians, history records that St. Thomas preached Malabar, and that western Christians from Syria and Chaldea also came there.

"Years after this, a group of Muslims passed by Malabar on their way to Ceylon to visit the footprint of Adam, when the news of their arrival reached the King, he received them and made inquiries about the Prophet. An elderly man replied to his questions and gave him an account of the Prophet's life and teachings, and the miracle of the spliting of the moon.

"The King believed him and embraced Islam. He confided to the man that on their way back home, he would accompany them to Arabia to visit the Prophet. He asked his Arab friends not to speak about it to anyone in Malabar.

After their return from Ceylon the King embarked along with his visitors. He then sent for his members of his household and his ministers and told them that he would spend a week in contemplation. He appointed his ministers to rule the Kingdom during his absence and wrote down their duties in clear terms.

"The ship sailed with them. They spent the night and the following day in Fandarina. They then sailed till they reached Darmafatan where they spent three days. They again sailed and reached Shahar. Here they stayed for many days during which period, they arranged to send a mission to Malabar, to call people to Islam and build mosques there. At this time, the king fell seriously ill. He gathered around him the missionaries and urged them to go a head with their mission. The missionaries who were Sharaf bin Malik, brother of Malik bin Dinar and his nephew Malik bin Habib bin Malik replied to him and said :

"O King, we know not your country, we had decided to go because you are with us''. The King thought for moment. He then wrote a letter in Malayalam to his rela-

goods from Syria and Alexandria and export it to markets in their countries.

Arabs and Egyptians in those days acted as the media between India and Rome and Greece in commercial relations. The godown of Indian produce was Safar in Hedramaut. Traders from this place had direct business contact with South India. That is why we find coconut-tree and betel plant growing there. These trees were imported from Malabar (Kerala) and grown there. Roman traders living in Egypt began to pour into India. They made Malabar their business centre. Pleny says, [11]Ships From Egypt would reach India in two months and ten days".

After the migration of the Prophet to Medina, hundreds of Arab Tribes entered the fold of Islam, in a short period. Great men sent their deputies to prophet to announce their acceptance of the new faith. In the 9th and 10th years, after the Hijra, the people of Yemen and Hadrament embraced Islam in large numbers. These were all traders. Their trade at this time reached the peak of progress. They were exporting their goods to the Persian Gulf, Egypt, Sind, Konkaram, Malabar, Ceylon, Sabij (Java), China and other far off countries. In every country they visited they preached the new faith. Thus came the voice of Islam to India and Ceylon in the first century of Hijrah.

During the reign of Caliph Abdel Malik bin Marwan (A.H. 65-86) a group of Muslim traders came to Ceylon and settled there. There lived in Harmaz, a town in the Persian Gulf a persian sailor named Buzurg bin Shahroyar. In his book : "The Wonders of India which is an account of his viyage, he writes as follows :—

"When the people of Ceylon heard about the Arabian Prophet, they sent a distinguished man to Arabia to enquire about the new prophet and to bring them news about him. The man arrived in Arabia in the reign if Caliph Umar (634-644 A.D.). He met the Caliph and discussed with him the mission of the new Prophet. He started for Ceylon with complete information of the new faith. But he died in Makran and his Indian servant, who was with him, returned to Ceylon and told the people all that he had seen and heard.

"He conveyed to the people what information his master gathered about Islam, the Prophet of Islam and the Caliphs Abu Bakr and Umar. About Umar, he said he is a brave and pious man. He puts on patched clothes and sleeps in the mosque" (Wonders of India), p. 156).

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

SAFAR 1397	ENGLISH SECTION	FEBRUARY 1977

SPOTLIGHT ON THE "ADVENT OF ISLAM IN INDIA" AND THE FACTORS THAT HELPED IN ITS GROWTH

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Today Muslims are the second biggest religious group in India. The 70 million Muslims who are the third biggest Muslim community in the world have a prominent role in the field of spreading Islamic Culture and Arabic literature in the Sub-continent of India, as well as in consolidating the everlasting relations between India and the Arab and the Islamic world.

Any study of Islam in India has two different aspects ; the first aspect is the Muslim conquest of India, and the second one deals with the entry of Islam in India by peaceful movements. The last aspect of study is more extensive, more glorious and has left more lasting marks in the history of India. Islam does not owe its spread in the length and breadth of the country to the Kings, the Emperors, and the Conquerors ; but it owes its spread to the individual efforts of the many preachers and saints to spread the faith of Islam in this land. These individual efforts began before the first conquest of Sind at the hands of Muhammad Bin Qasim (A.D. 712-A.H. 91).

The following account of Islam in India will, it is hoped, throw some light on the spread of Islam in the sub-Continent of India, and the factors that helped in its spread.

The Arab had contact with the West coast of India many centuries before the advent of Alexander the Great. Indian produce was exported to coast ; of Arbian peninsula through the Persian Gulf from where Arab traders carried it to Todmar in Syria, and to Alexandria in Egypt, through Hijaz and Yemen. Western traders would buy the

مدير التحرير
والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث ـ السنة التاسعة والأربعون ـ ربيع الاول سنة ١٣٩٧ هـ ـ مارس سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٤ —

انتهينا فى ما كتبناه سابقا ـ عن موقف الاسلام من الفن ـ من الحديث عن الأدب شعرا ونثرا •

وانتهينا من تحديد موقف الاسلام من الأصنام تقام ، ومن التماثيل تنصب فى الميادين العامة أو فى غيرها •

وقلنا فى نهاية المقال الأخير ما يلى:

« بقى بعد ذلك أهم جانب من الوجهة العلمية البحته ـ نحب أن نتحدث عنه ، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام ، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية ، وفى جوازات السفر ، والصور الخاصة بالذكريات وصور الأبناء للآباء ، أو صور الآباء للأبناء » •

وانى أتحدث الآن عن هذا الموضوع وأنا أعلم أنه مثار نزاع

حاد ، يهدأ شيئا فشيئا على توالى الأيام ، ولكن هدوءه لا يرجع الى اقتناع المانعين بل الى طغيان الموجة وقصورهم عن مقاومتها •

ونحن لا ننظر - فى اعلان رأينا - الى وضع قائم ، أو الى طغيان العوج ، أو الى حاجات فى المجتمع تقتضى التحليل ، وانما نرجع فى رأينا الى الوثائق والى آراء أسلافنا وقد اختلفوا هم الآخرون اختلافا كثيرا محللين أو محرمين ، ونحن نبدأ بحديث صحيح رواه الامام « البخارى » فى صحيحه ، قال :

حدثنا قتيبة حدثنا « الليث » عن « بكير » عن « يسر بن سعيد » عن « زيد بن خالد »عن «أبى طلحة » صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال :

«ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الملائكة لاتدخل بيتا فيه صورة » قال يسر ثم اشتكى « زيد » فعدناه ، فاذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت « لعبيد الله الخولانى » ربيب « ميمونة » زوج النبى صلى الله عليه وسلم :

ألم يخبرنا « زيد » عن الصور يوم الأول ؟ فقال « عبيد الله » : ألم تسمعه حين قال : الا رقما فى ثوب ؟ وقال « ابن وهب : أخبرنا عمر وهو ابن الحارث » حدثه « بكير » ، حدثه « يسر » ، حدثه « زيد » حدثه « أبو طلحة » عن النبى صلى الله عليه وسلم :

وهذا الحديث الشريف هوالأساس الذى يقوم عليه رأينا ، ويقول الامام النووى :

« وذهب بعض السلف الى أن الممنوع ماكان له ظل ، وأماما لاظل له فلا بأس باتخاذه مطلقا ثم يعقب الامام النووى على ذلك بقوله :

« وهو مذهب باطل »

ولكن الامام « ابن حجر »صاحب فتح البارى يعقب على ذلك قائلا عن مذهب « بعض السلف » هذا :

« المذهب المذكور نقله » « ابن ابى شيبة » عن « القاسم بن محمد » بسند صحيح ولفظه :

عن « ابن عون » : قال دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت

فى بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء •

ففى اطلاق كونه مذهبا باطلانظر، اذ يحتمل أنه تمسك فى ذلك بعموم قوله « الا رقما فى ثوب » فانه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة تعليق الستر المذكور مركبا من كونه مصورا ، ومن كونه ساترا للجدار ، ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه عند مسلم فأخرج من طريق « سعيد بن يسار » عن زيد بن خالد « الجهنى » قال : دخلت على « عائشة » فذكر نحو حديث الباب ، لكن قال : فجذبه حتى هتكه وقال :

« ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ، قال فقطعنا منه وسادتين « الحديث » •

فهذا يدل على أنه كره ستر الجدار بالثوب المصور ، فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذى لا يستر به الجدار •

« والقاسم بن محمد » أحد فقهاء المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذى روى حديث النمرقة ، فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل الحجلة ما استجاز استعمالها اهـ •

ويقول الامام ابن حجر :

وقد أخرج « ابن أبى شيبة » من طريق « أيوب » عن « عكرمة » قال : كانوا يقولون فى التصاوير فى البسط والوسائد التى توطأ ذل لها •

ومن طريق « عاصم » عن «عكرمة» قال : كانوا يكرهون ما نصب على التماثيل نصبا ، ولا يرون بأسا بما وطئته الأقدام •

ومن طريق « ابن سيرين » « وسالم بن عبد الله » « وعكرمة بن خالد » ، « وسعيد بن جبير » فراقهم أنهم قالوا : لا بأس بالصورة اذا كانت توطأ •

ومن طريق عروة أنه كان يتكىء على المرافق فيها التماثيل : الطير ، والرجال •

ويخلص الامام « أبو بكر بن العربى » المذاهب فى التصوير فيقول:

« حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع،

وان كانت رقما فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقا على ظاهر قوله فى حديث الباب « الا رقما فى ثوب » .

الثانى : المنع مطلقا حتى الرقم .

الثالث : ان كانت الصورة باقية على الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز .

قال : وهذا هو الأصح .

الرابع : ان كان مما يمتهن جاز وان كان معلقا لم يجز .

ولقد حمل « أبو على الفارسى » لفظ المصورين فى الأحاديث التى تتحدث عن عذابهم على « المشبهة »

وقال : انهم المراد بقوله : « المصورون » أى الذين يعتقدون أن لله صورة كما يقول ، ويقول « أبو محمد الجوينى » !

« ان نسج الصورة فى الثوب لا يمتنع ، لأنه قد يلبس » .

وقال البعض : ان التصوير على الأرض ونحوها جائز .

وبعد . فان الآراء فى هذا النوع من الفن لم تجمع على الحل ولا على التحريم .

ونحن نميل الى الحل مستندين الى الحديث الشريف ومتناسقين مع كل الآراء التى ذهبت الى الحل واننا مطمئنون كل الاطمئنان الى ماذهبنا اليه على الرغم من أن كثيرين يخالفوننا فى الرأى ، وكل مجتهد مخلص مأجور .

ولقد كتبت مجلة المسلم نقلا عن كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ « محمد كرد على » ، ما يلى .

« أقر الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النقود التى كان يستخدمها العرب فى الجاهلية ، وكانت ترد من الممالك المجاورة وهى مصورة .

وضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكلها .

وضرب « معاوية » دنانير عليها تمثال متقلد سيفا .

واستعمل « زيد بن خالد » سترا فيه صور .

وكانت المنسوجات اليمنية فيها تصاوير •

وصنعت الصور فى دارى « مروان ابن الحكم » وسعيد بن العاص » •

وهكذا لم يحرم الاسلام صناعة نافعة فى كثير من العلوم والفنون اه •

لعله أصبح واضحا الآن موقف الاسلام من :

١ ـ الفن من زاوية الشعر •

٢ ـ الفن من زاوية النثر الأدبى

٣ ـ الفن من زاوية التصوير « الفوتوغرافى » والتصوير بالرسم •

٤ ـ الفن من زاوية الأصنام والتماثيل •

ولعله من المستحسن أن نذكر رأى « أفلاطون » فى موضوع الفن ونذكر رأى أفلاطون بالذات لأنه كان فنانا وأقصد بذلك أنه كان أديبا ممتازا فى أسلوبه الرائع الجميل •

وكان أديبا ممتازا فى هذه القصص التى كان ينشرها هنا وهناك ، ويعبر بها عن أدق مسائل الفلسفة فى صورة حوار أو فى صورة سردية •

لقد كان « أفلاطون » ـ فى عرف جميع الذين أرخوا له ـ أديبا من الطراز الأول •

وكان فيلسوفا ، وكثير من مؤرخيه وضعوه على رأس الفلسفة ويسمونه « أفلاطون » الخالد ويسمونه « أفلاطون » الالهى ، ويفضله كثيرون على « أرسطو » •

انه فنان يبدى رأيه فى الفن •

وهو فيلسوف يزن رأيه فى الفن بميزان دقيق •

ولكنه حين يبدى رأيه فى الفن لا يبديه كأديب فقط ، ولا كفيلسوف فحسب ، وانما يبديه كأديب وكفيلسوف ، ويبديه أيضا كمصلح اجتماعى له رأيه فى المجتمع المثالى ، وكيف يتحقق •

ومن أجل كل ذلك كان رأى « أفلاطون » له وزنه ، وبخاصة لأنه لايتحدث باعتباره ممثلا للدين ، أو عالما من علمائه ، يتحدث

« أفلاطون » عن الجمهورية المثالية ، ويتحدث عن الطبقات التى تتكون منها الجمهورية ، وعما ينبغى أن تكون عليه كل طبقة .

وعند حديثه عن الطبقة الفضية وهى طبقة الجند : تعرض بصورة خاصة ، وبصورة عامة الى الواجب فيما يتعلق بموضوع الفن ، وبدأ بالشعر ، وبدأ فى الحديث عن الشعر بما يجب أن يسمح به من الشعر ومما نحب أن يتنبه اليه القارىء فى تأمل رأيه فى الشاعر اليونانى «هومير» وفى الشاعر اليونانى « هزبود » وفى قصة الالياذة ، وفى قصة الأوديسا .

وذلك أن من أدبائنا من رفع شأن هؤلاء رفعة لا تكاد تضارعها رفعة أديب آخر ، وأشاد بالشاعرين وبالقصتين اشادة بالغة ، فى مقابلة ذلك نذكر رأى مواطنهما « أفلاطون » ، اذ يتحدث عن ثقافة الجندى .

وكان مما قال فى ذلك (١) .

يجب على الذين يتولون بناء المجتمع المنشود أن يميزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربى فيفصلوهم طائفة مستقلة ويتعهدوهم بالتربية ، عليهم أن يرتبوا لهم رياضة بدنية تنشئهم أصحاء أقوياء وعليهم أن يغذوا نفوسهم بالآداب والفنون فتكون التربية واحدة للجميع الى حوالى الثامنة عشرة وتكون سهلة لذيذة ؛ لأن الاكراه لايكون الرجال الأحرار .

وتكون فاضلة : تبدأ بالقصص الجدية البريئة الحاثة على الخير ، وتستبعد منها قصص «هوميروس » ، « وهزيود » ومن نحا نحوهم من الشعراء . فانها مرذولة من حيث المادة ، ومن حيث الصورة .

أما من حيث المادة فقد سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أخبار الخصومات وقبيح الأفعال ، وبما لا تفتأ تردده من أن الرجل

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية .

العادل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الأخرى ، مما يوهن العزيمة ويقعد عن الجهاد فى سبيل الوطن .

وأما من حيث الصورة فان الفن يقوم بالمحاكاة ، ويخلق المحاكاة ، والشعر بألفاظه وأوزانه يحاكى كل شيء القوى الطبيعية والحيوانات والبشرية ، والنزعات الرفيعة والشهوات الدنيئة ، فيبعث فى النفس مثل ما يصف من العواطف والأفعال والمحاكاة المتصلة تصير عادة ، فتلقين الحراس القصص القديمة يفسد طبيعتهم فنحن مع اعجابنا بمحاسن هذا الشعر ، ننعته بأنه معلم وهم ، ونعمد الى صاحبه فنضع اكليلا على رأسه ونشيعه الى حدود المدينة فننفيه منها ونحن نترنم بمديحه ولا نستبقى غير الشاعر عف اللسان سديد الرأى هادىء النسق ، يحاكى الخير ليس الا .

وينتقل أفلاطون « من الهوميرى » الى الفن بالاجمال ويتحامل عليه ويتعسف فى نقده فهو لا يرى الفن شيئا أول له قيمة فى ذاته ولكنه يضعه فى المرتبة الثالثة بعد المثال أو الوجود الحق ، وبعد صورته المحسوسة المتحققة فى الطبيعة ، فان الفن يحاكى الوجود الطبيعى ، وهذا الوجود يحاكى المثال ، فالفن صورة الصورة وشبح الشبح : يصنع النجار السرير محاكيا مثال السرير، ويصور المصور سرير النجار فهو ليس حاصلا على العلم الحق الذى موضوعه المثال أو الشيء بالذات ولا على الظن الصادق ، وانما هو جاهل مخادع يأخذ على نفسه محاكاة الأشياء الطبيعية فيبرزها مشوهة فى غير نسبها الحقيقى من حيث المقدار والشكل .ولكنه لا يخدع الا عن بعد ، ولا يخدع الا الجهلاء ، كذلك قال فى الشاعر ، فانه لو كان يعلم حقا ما يتظاهر بعلمه ، لكان يعمل بدل أن يقول ، لكان يقود الجيوش أو يشرع القوانين ، « وهو ميروس » لم يفعل شيئا من ذلك ، ولكان يؤثر أن يحيا حياة مجيدة ، « وهوميروس»

ارتضى لنفسه أن يكون قصاصا للحياة المجيدة وراوية .

فالفن بالاجمال أداة ايهام وتخييل، والشعر دجل كالتصوير ، اذا نزع عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحبا فقيرا ، يستطيب وصف العواطف ، وهى متقلبة متنوعة، ولا يجد له موضوعا فى العقل الثابت الهادىء ، فيهيج العواطف ، ويشل العقل ، مثله مثل طاغية يقلد السلطة للأشرار ويضطهد الأخيار ، فانه يوحى بالعطف على أفعال وانفعالات رديئة ويضعف اشرافنا على الجزء الشهوى من النفس ، فيحرك فينا البكاء تارة ، والضحك طورا، ويدفعنا ونحن نشهد التمثيل الى استحسان ماننكره فى الحياة الحقيقة والى التصفيق لما نغضب له فى الواقع .

« والتراجيديون » لا يرمون لغير احراز اعجاب الجمهور ، والجمهور لا يميل الى الأشخاص الحكماء المرزينين ، بل يطلب أشخاصا شهويين متقلبين تملأتقلباتهم وشهواتهم القصة ، فيلهو بها ويميل معها الى كل جانب .

-وأما « الكوميديا » فهى رديئة بالذات ، تضحك من اخواننا فى الانسانية ، وتنمى حاجة المزاح والسخرية .

واذن فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن ، وجميع الفنانين من شعراء ومغنين وممثلين ومصورين وغيرهم ، فيخلق بيئة كلها جمال سليم رزين ، وينشىء مواطنين كاملين يتوجهون الى الفضائل عفوا ، ويصون نفوسهم من كل خدش ، اذ ليست الغاية من الفن توفير اللذة ، بل التهذيب والتطهير .

هذا هو رأى « أفلاطون » وهو رأى يشبه فى كثير من جوانبه الرأى الاسلامى ، بيد أن الرأى الاسلامى يمتاز بالدقة والاتزان ، والبعد عن جو الأساطير .

دكتور عبد الحليم محمود

ميلاد عالم جديد

للأستاذ العلامة أبو الحسن الندوى

اذا تساءلنا ما هو اليوم – من أيام التاريخ – الذى يستحق من الانسانية أعظم تقدير واجلال ويستحق أن يذكر فلا ينسى ويستحق أن يعتبر اليوم الخالد والخط الفاصل فى أدوار التاريخ ، وبين عهد وعهد ، بل بين عالم وعالم ؟

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى تشترك فى اجلاله والاحتفال به وابداء السرور فيه الانسانية على اختلاف طبقاتها واختلاف أممها وشعوبها ، واختلاف نزعاتها وفلسفاتها لأنها سعدت فيه بعد شقاء طويل ونهضت فيه بعد عثرة دامت قرونا .

واذا تساءلنا ماهو اليوم الذى يعتبر ميلاد العالم الجديد وفاتحة العهد السعيد ، ورمز انتصار الفضيلة على الرذيلة ، وقوى الخير على قوى الشر ، والعدل والمساواة ، والرحمة والمواساة على الشقاوة والقساوة ، والهمجية والضراوة ، وانتصار الحياة المنظمة والشريعة الكاملة على شريعة الغابات وقانون العصابات وبالاختصار انتصار العلم والايمان على الجاهلية بأوسع معانيها انتصارا خالدا ..

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى ولدت فيه قوة جديدة نشيطة لمكافحة الشر وصد تيار الفساد لتكوين المجتمع الجديد القائم على الايمان والعمل الصالح والتقوى وخدمة الانسانية ، مؤلفة من أفضل رجال « أقل الناس تكلفا وأبرهم قلوبا وأعمقهم (١) علما » . يغامرون

---

(١) من كلام سيدنا عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الصحابة .

بحياتهم وامكانياتهم وما هم فيه من رفاهية وسعة عيش وهناء بال فى سبيل سعادة المجموع البشرى ، واخراجه من ظلمات العصر القديم الى نور العصر الجديد ، ومن عبادة الناس جميعا الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها،ويتحملون فى سبيله كل غائلة وخسارة وكل تطور وانقلاب ، لا يثنيهم عن ذلك عداء أو خلاف ، ولا يحملهم على عكس ذلك وداد أو صداقة « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (١) .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى ولدت فيه الأمة العربية ولادة جديدة بل ولدت فيه لأول مرة وظهرت على مسرح التاريخ أول مرة ، واستحقت أن تسمى « الأمة » أول مرة فقد عاشت قبل ذلك قبائل متشتتة ، وعصابات متناحرة ، وسيادات متحاربة ، وشعبا يعيش على حاشية الأمم وفى عزلة عن العالم ، لا شأن له فى مجارى الأمور أو مصير الأمم ، وسياسة الدول ومناهج الحياة وأخلاق المجتمعات ، واتجاه الانسانية وميولها ، ولا سهم له فى المكتبة العالمية ، غير قصائد قيلت فى حوادث محلية وأغراض تافهة تجلت فيها عبقريته اللغوية ، وحريته الفردية ، وقوته فى التعبير وسعة لغته ، يقولها فتنتشر فى باديته وحواضره ، وتبلغ أوج التقدير والاحترام، فتعلق فى الكعبة من غير أن يطلع عليها الأدباء والمثقفون فى خارج الجزيرة العربية أو تنقل الى لغات العالم المتمدن ، ويعرف هذا الشعب بصدق لهجته وقوة عارضته وجودة خياله وشغفه بالحرية والمساواة والبساطة والتقشف فى الحياة ، وشدة القتال فى الحروب وحسن الثبات ، والمحافظة على الأنساب ، أفضل أخلاق وسجايا ومواهب يعرف بها شعب من الشعوب البادية فاذا بهذا الشعب المنطوى على نفسه القابع

---

(٢) سورة المائدة الآية ٥٤ .

فى بطون جزيرته ، يصبح أمة تقرر مصير الأمم ، وتغير اتجاه العالم وتفرض على المجتمع الانسانى مدنيتها المقتبسة من الدين الجديد المتشبعة بروح التقوى والأمانة وتصبح لغتها المحصورة فى جزيرتها لغة العالم الجديد المقدسة يحرص على دراستها واتقانها والتفنن فى علومها وآدابها كبار الأذكياء فى العالم ، وتصبح معرفتها والتفقه فيها واجبا من واجبات الدين وشعارا من شعائر المتدينين ، لا يبلغ بغيرها رجل الى ذروة الشرف ، ولا يقلد منصبا من المناصب فى القضاء والفتوى والتعليم .

واذا تساءلنا ما هو اليوم الذى تجدد فيه الأمل فى الانسانية ومستقبلها ، وغلب التفاؤل على التشاؤم المؤسس على المآسى والمهازل ، التى قام بها الانسان فى كل بقعة من بقاع البسيطة وفى كل أمة من الأمم والمؤسس على سخافة الانسان فى العقل والعقيدة والعمل ، ومحاولته لتدمير المدينة وعبادة الانسانية حتى يئس الانسان نفسه من مستقبله ، وحرم نفسه حق البقاء وجدارة الحياة ، واستحق العقوبة العاجله وانقراض الجيل الانسانى ، ولكن بطلوع فجر هدا اليوم استحق أن يفسح فى أجله ، ويمد فى حياته ، ويعتمد عليه ، فى بناء المجتمع الجديد ، وفى احياء ما اندرس من الفضائل والمعانى السامية ، وفى اعادة كرامة الانسان الى الانسان ، وفى الأخذ على يد الظالم والانتصار للمظلوم ، وفى الحياة الجديدة التى تليق بشرفه وتتفق مع غاية خلقه ، ومع أهداف هذا الكون ، وكان هذا اليوم تمديدا لحياة الانسان على هذا الكوكب ، وفرصة جديدة له فى البقاء والازدهار ، يدين لهذه المنة كل من ولد بعد هذا اليوم . وكل من عاش فى العصر الذى يليه .

كان الجواب من غير نزاع ومن غير تردد ، هو اليوم الذى ولد فيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

انه هو اليوم الذى وجدت فيه الانسانية الايمان الذى فقدته وأفلست

فيه من مدة طويلة الايمان بفاطر هذا الكون ووحدانيته ، والايمان بمصيرها وبالبعث بعد الموت بعد ما يئست من مستقبلها وتهالكت على هذه الحياة وعبادة الشهوات ، والايمان بسلسلة الرسل وهداة السبل ، بعد ما تسلط عليها الدجالون المحترفون ، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والايمان بقيمة الانسان وكرامته بعد ما أنكرتها وثارت عليها وامتهنتها أمام الأحجار والأشجار ، والحيوانات والأنهار والملوك والأمراء والأغنياء والأقوياء ، فأصبحت تؤمن بأن الدنيا خلقت لها وانها خلقت لله ، وأن لافضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى الا بالتقوى كل بنى آدم من آدم وآدم من تراب ، وأصبحت تؤمن بالحقوق والواجبات ، فلكل حق وعليه واجب وليكن رفيقا فى المطالبة بحقه مقتصدا فى التمتع به ، قويا نشيطا فى أداء واجبه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » والنساء شقائق الرجال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، الى آخر ذلك من التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة ، التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وبفضلها وجد المجتمع الرشيد السعيد الفاضل الكامل الذى لايوجد له نظير فى التاريخ وعلى أساسها يقوم هذا المجتمع فى كل عصر ومصر وفى كل زمان ومكان .

ولم يكن هذا اليوم ظهورا لهذه المبادىء وتعريفا بهذه التعاليم المتزنة والتوجيهات الحكيمة ، فقد كان ذلك مرارا فى فترات مختلفة من الزمان – وان لم تكن فى هذا الطور الكامل – وكانت صيحات ترتفع حينا بعد حين ثم تغيب فى دياجير الظلام ويبتلعها المجتمع الفاسد ، لأنه ليس وراءها فرد يجازف لأجل ذلك بحياته وأسرته وكل ما يتمتع به من شرف ومركز ومتعة ، ولم يكن وراءها جماعة تراهن فى سبيل ذلك بكل ما تملكه من حاضر أو تؤمل فيه من مستقبل ، ولكن البعثة المحمدية كانت مقرونة ببعثة أمة جديدة ، أمة تعيش لهذه الدعوة المقدسة وتعيش على هذا الجهاد المقدس ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف

وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١) أمة تهب نفسها لهذه الدعوة وتربط حياتها بحياتها .

ويتزعم هذه الأمة الجديدة الخالدة - التى نيطت بها هذه الدعوة - العرب الذين آمنوا بصاحب هذه الرسالة الجديدة بصدق واخلاص ، ووضعوا أيديهم فى يده وحكموه فى نفوسهم وأموالهم وأملاكهم وأخضعوا له رغباتهم وارادتهم ، فكانوا أصحابه الأولين وجند الله المنصورين وحملة هذه الدعوة وأمناءها ورسلها وأصحاب النصيب الأوفر فى فقهها ووعيها ، والاستماتة فى سبيلها وتحمل الخسائر والنكبات لأجلها ، حتى ارتبط مستقبل هذه الدعوة بمستقبلهم ، وبقاؤها ببقائهم حتى استطاع الرسول وساغ له أن يقول فى ساحة بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد » (٢) .

ومكن الله لهؤلاء العرب فى الأرض وأعزهم بعد الذل وأغناهم بعد الفقر ، وقواهم بعد الضعف ، ووحدهم بعد الفرقة وأسبغ على لغتهم المحصورة فى جزيرتهم القدسية الدينية ، وكتب لها الانتشار فى العالم ، وغرس حبها فى القلوب حتى امحت أمامها كثير من اللغات ، وكانت لغة الشرق الأوسط الوحيدة ، ونطق بها بنو آدم من ضفاف دجلة الى الجبل الأطلس ، وأصبحت لغة الدين والعلم والتأليف فى العالم الاسلامى الجديد الفسيح ومنح العرب مركزا سيبقى معهم على رغم الحركات الشعوبية فى العالم الاسلامى ، والقوميات المتطرفة ما داموا متدينين بدين الاسلام مؤمنين بتعاليمه ، عاملين بفرائضه ، عارفين بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فضله ومنته ، مصدقين بأنه هو الذى نال به الانسان الكرامة ونال به العرب الشرف والزعامة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام غزوة بدر .

هذا هوالعالم الجديد الذى يعيش فيه الناس ويغتبطون به ويتمتعون فيه بالحرية والمساواة ، وكثير من الحقوق التى كانت مهضومة مهجورة فى العالم القديم ، وتتقدم فيه المدنية الىالأمام وهذا هو العالم الذى يعيش فيه العرب متمتعين بمركز جديد ، وبحياة جديدة وبلاد لا صلة لهم بها الا عن طريق الاسلام وطريق محمد عليه السلام ولا عهد لهم بها الا بعد البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية .

ولا نشعر فى غالب الأحيان أن مصدر هذا الانقلاب ومصدر هذه السعادة التى نتمتع بها جميعا هو هذا الحادث السعيد الذى حدث فى هذا اليوم ، ولادة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خاتم الرسل وامام الكل ومنير السبل .

ان ذلك اليوم ، هو اليوم الذى يحق أن تنشد فيه الانسانية فى اعتزاز واهتزاز وبلاغة وايجاز :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء (١)

أبو الحسن الندوى

---

(١) حديث أذاعته محطة دلهى الهند بمناسبة شهر ربيع الأول .

قال بعض الحكماء :

لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ، ولا المروءة فتشمت بك الأعداء . قال الشاعر :

من فارقَ الصبر والمروه … أمكن من نفسه عدوه

دراسات قرآنية :

نبي الهدى ومنقذ البشرية

للأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال تعالى :
« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »
سورة الأنبياء — الآية ١٠٧

في صبيحة اليوم الأغر — الثاني عشر من ربيع الأول — ومن مشرق السنا والجلال ، أشرق جبين المصطفى الهادى على الربا والبطاح ، ليطوى بنور هداه ظلمات الوثنية والجهالة ، ويكشف للناس آفاق العلم والعرفان ، ويرشدهم الى مناهج الخير ومسالك السعادة فى الدنيا والآخرة ، ورحم الله العباس ابن عبد المطلب اذ يقول :

وأنت لما ولدت أشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو
ر وسبل الرشاد نخترق

وكان ميلاده الشريف بعد حادثة الفيل بخمسين يوما ، تلك الحادثة التى جعلها الله ارهاصا لنبوته ، وتكريما لقبلته ، حيث أرسل على غزاتها « طيرا أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول » •

طيب منبته صلى الله عليه وسلم

كان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب ، عظيم النسب ، جليل الأرومة ، طاهر الأصول ، اذ تبرأ نسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد آخر مثل آياته الغر الميامين ، فى عوالى الهمم ومحاسن الشيم ، روى الامام على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن

ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شىء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما » .

وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر بقرب مولد رسول من بنى اسماعيل ، موطنه وادى فاران بمكة ، وقد ذكرت علاماته التى يتميز بها ، وفى جملتها أن بين كتفيه خاتم النبوة ، وكان اليهود يتوقعون ظهوره فى الفترة التى ولد فيها ، فقد كانوا يعرفون حساب النجوم ، وقد ظهر لهم من حسابهم أنه يولد فى ليلة معينة :

روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه قال : (كان بمر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام ، وكان يقول : يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ، فكان لا يولد مولود الا ويسأل عنه ، فلما كانت صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فناداه فأشرف عليه ، فقال عيصا : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين ، ثم قال : فما سميته ؟ قال محمد ، قال : والله لقد كنت أشتهى أن يكون ذلك المولود فيكم يا أهل هذا البيت بثلاث خصال ، أنه طلع نجمه البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كان بمكة يهودى يتجر

فيها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش . هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لا نعلمه ، قال : ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس ، فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه ، فقالوا اخرجى لنا ابنك ، فأخرجته ، وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشيا عليه،فلما أفاق قالوا : مالك ويلك ؟ قال : ذهبت النبوة من بنى اسرائيل) أخرجه الحاكم .

وهذه العلامة التى تحدث عنها اليهودى هى خاتم النبوة الذى بين كتفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده أن هذا الخاتم كان كزر الحجلة ، وأنه كان ينم مسكا ، أى تخرج منه رائحة مسك بقدرة الله تعالى .

العالم قبل مولده الشريف

كان الناس قبل مولده صلى الله عليه وسلم يتخبطون فى الظلام ، ويعيشون فى الأوهام ، ويقضمون الضريع والزقوم ، ويحيون حياة الدواب والسوائم ، وكانت الأوثان تقدس فى المعابد والبيوت وتقدم لها القرابين ، وتراق فى مذابحها النسائك ، وانك لتعجب أن يصنع الناس آلهتهم بأيديهم ، ثم يخروا لها ساجدين ، فكيف استساغوا أن يعبدوا ما صنعته أيديهم ، والآلة يخلق غيره ولا يخلقه سواه .

انك لتعجب أن يتضرعوا اليها حين شح الأمطار ، راجين منها أن تجعل المزن تروى وديانهم ، حتى ينبت الكلأ وترعى الماشية ويشربوا من عذب مياهها .

وانك لتدهش أن يستنصروها فى الحروب ، ويستشفوا بها اذا سقمهم السقام ، ويسترزقوا بدعائها ان ضاق بهم الرزق- مع انها عودتهم ألا تجيب لهم مطلبا ، ولا تحقق لهم أملا وصدق الله تعالى اذ يقول : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» ويقول :«قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » .

لقد كان عابدوها يقيمون بأنفسهم الحجة على ضعفها ، فانهم كانوا يتركونها ويدعون القادر العليم اذا اشتدت عليهم المحن ، لشعورهم بعجزها عن تلبية دعائهم ، لكنهم كانوا يعودون الى تقديسها بعدأن يكشف الله ضرهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى فى سورة النحل : « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » ويقول فى سورة الاسراء « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً» وكانت الخمر أم الكبائر شرابهم المفضل ، يدفنون فى سكرتها همومهم ، ويبررون بها عبثهم ونزقهم ، وينثرون فى نشوتها هذرهم ومجونهم ، وما فطنوا الى أنهم حين يعاقرونها يفتكون بعقولهم ويحطمون ارادتهم ، ويقضون على كبودهم وأعصابهم ، وينفقون أموالهم فى ضررهم •

وكانت الدعارة فاشية بينهم ، وبخاصة امائهم ، وكانوا يقيمون لهم خياما خارج دورهم يغشاهن فيها آثموهم ، وما كانوا يرون عيبا فى أن يجعلوا أعراضهن مرتزقا لهم •

ولما أرادت قريش جمع المال لبناء الكعبة ، طلب رؤساؤهم أن لا يكون مال حصل عليه من يقدمه من اثم بغى — راجع حديث عائشة فى كتاب النكاح من البخارى ، فقد تحدثت فيه عن أنكحة الجاهلية ومآثمهم فيها •

وكانت المظالم منتشرة ، فالقوى يستعبد الضعيف ويسخره ، ويتخذ منه دابة ذلولا ، فلا يرعى فيه انسانية ، ولا تسترحمه به شفقة •

وكانت الحرب سجالا بين القبائل فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان يسيطر على العالم أمتان — الفرس والرومان — يتنازعان فيه على السيطرة والسلطان ، ويتنافسان فى الظلم والطغيان •

وكانت السجايا الكريمة كاسدة البضاعة ، والأخلاق الذميمة رائجة بين الناس — الى غير ذلك من المفاسد

فكان من الحكم البالغة أن يبعث الله خاتم النبيين ليقضى على تلك المفاسد وينشر الهدى بين الناس ، حتى يذروا ما هم عليه من الانحلال والانحراف فى العقيدة والسلوك .

نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم

ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم يتيما ، فقد مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، ثم فقد أمه وسنه خمس سنين وذلك حين عادت به من زيارة أخوال أبيه من بنى عدى بن النجار فلحقتها منيتها بالأبواء وهى فى طريقها الى مكة ، روى الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ، ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع ، له خمس سنين عند رأسها ،فنظرت الى وجهه وقالت أبيات شعر ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا) الخ .

وقد نشأ صلى الله عليه وسلم فى كفالة جده عبد المطلب زعيم قريش منذ ولد ، ثم لم يلبث أن توفى وكانت سنه حين مات جده ثمانى سنين ، فكفله عمه أبو طالب الذى آلت اليه زعامة قريش .

ومع هذا اليتم المتتابع فقد نشأ صلى الله عليه وسلم بعيد الهمة عزوفا عن صغائر الأمور ، سامى النفس رصين التصرف رفيع الخلق ، بعيدا عن صغار الأطفال وسذاجة تصرفهم ، ولاعجب فى ذلك فقد نشأ فى مدرسة الرحمن الرحيم ، تصنعه العناية الالهية ليكون خاتم المرسلين ، وقد كانت آثار هذه العناية بادية عليه فى أمره كله ، ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : (قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش يا أبا طالب : أقحط الوادى وأجدب العيال ، فهلم فاستسق ، فخرج أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ الغلام بأصبعه وما فى السماء قزعة (١) فأقبل السحاب من هاهنا

(١) أى قطعة من السحاب ، وهى واحدة القزع .

وها هنا ، وأغدق وأغدودق ، وانفجر له الوادى ، وأخصب النادى والبادى) وفى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة الأرامل (١)

ثم سافر الى الشام مع أبى طالب مرتين : احداهما فى الثانية عشرة من عمره ، والثانية فى الثامنة عشرة وقد حدثت له ارهاصات وكرامات عجيبة فى الرحلتين ، كتظليله وحده بالغمام لا يشركه فيه غيره من الركب ، وتسليم الجمادات عليه ، وغير ذلك ، ولما رآه بحيرا الراهب احتضنه وقال: هذا هو النبى الذى بشرت به التوراة، وأوصى عمه أن يحافظ عليه من اليهود .

وقد تجلى من صفاته فى نشأته الصدق والأمانة ورجاحة العقل ، حتى عرف بذلك بين الناس ، فأصبحوا يلقبونه بالأمين ، فعهدت اليه خديجة بتجارة لها فى رحلة الى الشام ، فسافر ومعه غلامها ميسرة ، فرأى منه فى تلك الرحلة من كريم الشمائل وعظيم الخوارق مالم يشاهد مثله ، فلما عادا بالتجارة الرابحة أخبر ميسرة مولاته خديجة بما رآه من عجائبه ، فخطبته الى نفسها وتزوجته ، وأنجب منها أولاده عدا ابراهيم فمن مارية القبطية .

موقف قريش من بعثته

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربعين بعثه الله للناس بشيرا ونذيرا ، ومع أن قريشاً يعرفون تاريخه المجيد فانهم أعرضوا عما دعاهم اليه من توحيد الله وشريعته وأغروا به سفهاءهم ، حسدا له ، واستمساكا بما ألفوه من عبادة الأوثان تقليدا للآباء دون حجة ولا برهان ، وكانوا يقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الرشد والهدى

---

(١) الثمال بمعنى الملجأ ، والمراد بالأرامل المساكين من رجال ونساء ، وأكثر ما يطلق على النساء ، وعصمته للأرامل منعه لهم من الضياع .

ثلاثة عشر عاما ،فلم يؤمن به فيها سوى عدد قليل من الرجال والنساء ، ولعل موقفهم هذا من حكم الله تعالى ، فانهم لو سارعوا الى الايمان به لقال العرب : هؤلاء قوم أرادوا أن يملكوا العرب ، فدفعوا رجلا منهم فادعى النبوة ، ليكون ذلك وسيلة الى سيطرتهم على الناس،وحينئذ ينفرون من دعوته ولا يقبلون عليها .

فلذلك جعل الله موقف قومه منه سلبيا ، وادخر له قوما يفتدونه بالمهج والأرواح ـ وهم أهل المدينة ، فهيأ لقاءهم به فى مواسم الحج قبيل الهجرة فشرح الله صدورهم فآمنوا فى شغف ولهفة ، وبايعوا الرسول على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم ، ثم هاجر اليهم وتبعه مسلمو مكة ، وهناك وجدوا أنصار المدينة قد نشروا الاسلام فى ربوع المدينة بمعاونة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم مبعوثى الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ، وهناك آخى النبى بينهم وبين المهاجرين ، فصنعت هذه المؤاخاة العجب العجاب من نشر دين الله فى الجزيرة العربية ، وسقوط دولة الوثنية فى مكة ، ودخول أهلها فى الاسلام والحمد لله رب العالمين .

يمن اليتيم ورحمته للعالمين

من حكم الله السامية أنه اختار خاتم النبيين يتيماً، ليشعر بآلام اليتامى النفسية ، ويعظم احساسه بحاجتهم الى العطف والرعاية ، ويسمو اكباره لفضل الوالدين ، فلذلك كان معنيا بأمر هؤلاء وأولئك بعد أن شرفه الله بالرسالة ، وقد أيده الله بوحيه فى هذه العواطف الرحيمة فأمعن فى الحث على العنايه بهم ومن ذلك قوله فى شأن اليتامى « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » وقوله « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقوله « وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »ومن ذلك قوله فى شأن الوالدين « وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما

جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

وقد امتد حنانه الى كل فقير وضعيف وحيوان ، وبلغ من رحمته بالفقراء أن جعل أهل الحى الذى يبيتون فيه جياعا آثمين ، وبلغ من عطفه على العامل الضعيف أن أوصى بأن يعطى أجره قبل أن يجف عرقه .

وبلغ من عنايته بالحيوان أنه قال : « فى كل ذى كبد حراء صدقة » وقال « دخلت امرأة النار من أجل هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش (١) الأرض » .

وقد اشتمل الكتاب الذى أنزله الله عليه ـ القرآن العظيم ـ على تشريعات فيها من التكافل الاجتماعى ما يعتبر مفخرة لدين الاسلام .

ومن حكم الله تعالى أنه اختاره أميا ، ليكون العلم الذى حواه القرآن معجزته الكبرى ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وما أعظم ما اشتمل عليه هذا السجل الالهى من فنون العلم ، فهو فى القمة من الفصاحة والبلاغة ، وفى الذروة من الصدق فى أخبار الماضين الى جانب ما حواه بين دفتيه من أعدل قواعد التشريع وأعلى مناهج الأخلاق، وأسمى أساليب التربية والتأديب ، وكل ذلك أو بعضه لايستطيع أن يأتى به الجم الغفير ممن وصلوا الى أعلى الثقافات ، فكيف يستطيع أن يأتى به أمى نشأ فى أمة جاهلة غارقة فى الوثنية والتفاور والتناهب ، وغشيان المآثم والمعايب ، ان ذلك يدل بلا أدنى ريب على أنه من وحى الله وليس من صنع البشر ولا غيرهم من الجن ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» لقد نادى القرآن بتوحيد الخالق ، وأرشد العقول الى أنه «لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبين ضعف آلهتهم ، وصور ضعفها بما لا غاية وراءه ، حيث يقول « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم

---

(١) خشاش الأرض حشراتها .

الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » وهداهم الى المثل العليا من مكارم السلوك ونفرهم من المفاسد والمظالم بأوضح بيان ، وأجل ارشاد ، فأفاقت العقول من سكرتها ، وصحت من سباتها واتجهت نحو العقيدة المستقيمة ، وتلاشى الشرك أو كاد .

وقد أجبر منطقه السديد أصحاب عقيدة التثليث على محاولة توحيد ثالوثهم ، فزعموا أن الثلاثة اله واحد وما يغنيهم هذا فتيلا .

وحوى هذا الكتاب العظيم من قواعد التشريع ما يصلح لكل اقليم ولكل زمان ومكان الى أن تقوم الساعة ، وقد استطاع الفقهاء أن يستنبطوا من نصوصه بمعونة السنة النبوية ، موسوعات فى الفقه الاسلامى اشتملت على الكثير من فروع العبادات والمعاملات ، والزواج والطلاق ، والعفو والعقاب وغير ذلك ، ولو أن فقهاء جيلنا درسوا فقههم وفتاواهم وأقضيتهم ، لأخرجوا للناس قوانين تريح قلوبهم وتسعدهم وتحل مشكلاتهم ، وتخرس ألسنة الدعاة الى التجديد والانحراف عن الفقه الاسلامى ، فقد بلغت فتاوى كل امام مئات الألوف ، ولم يتركوا باباً الا طرقوه ، ولا مشكلة يمكن أن تطرأ على المجتمع الاسلامى الا حلوها .

ومن أمثلة موسوعاتهم كتاب الحاوى للفقيه الشافعى الامام الماوردى وهو كتاب مخطوط يقع فى نحو عشرين مجلدا ، وكذلك فعل الامام السيوطى وغيره من أئمة الفقه على اختلاف مذاهبهم .

ولقد فتح القرآن والسنة أبواب العلم على اختلاف فروعه ، فانتشر فى البلاد التى شع فيها نور الاسلام العلم والحضارة ، فعز أهلها بعد ذل وعلموا بعد جهل ، واجتمعوا بعد تفرق ، وآمنوا بعد خوف ، وكل ذلك بفضل رسالة هذا الرسول العظيم ، الذى تربى فى مدرسة الله وكلاءته ، فصلوات الله وسلامه عليك يا منقذ الانسانية من المهالك ويا من أرسلك ربك رحمة للعالمين .

مصطفى محمد الحديدى الطير

برنارد شو يكرم نبي الإسلام

للدكتور عبد الودود شلبي

(اننى اعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم له النجاح فى حكمه ولقاده الى الخير ، وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة) .

برناردشو

لا نعد « برناردشو » كاتبا وفيلسوفا انجليزيا عظيما فحسب ، بل هو فى طليعة المفكرين والفلاسفة فى العالم أجمع .

ومن أخص خصائص هذا الفيلسوف الكبير أنه جرىء الى أبعد حد وصريح الى أبعد حدود الصراحة .. فاذا أبدى رأيا فى يوم من الأيام ، فهو رأى يؤمن به كل الايمان ويعتقد بصحته وصوابه الى حد كبير .

وفى أثناء سياحته فى بمباى بالهند كتب رسالة أوضح فيها رأيه فى صلاحية الدين المحمدى لجميع الأمم، فى كل زمان ومكان ... وشاد بفضل هذا الرسول وعظمته وعبقريته قائلا :

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته العظيمة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان .

ثم استطرد يقول :

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا فى الغد القريب ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم .

ولقد صور « أكليروس » فى القرون الوسطى الاسلامى بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهــل ، أو بسبب التعصــب الذميم ، ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينــه ، وكانوا يعتبرونه خصــما للمســيح ، ولقــد درسته باعتباره رجلا عظيما ، فرأيته بعيدا عن مخاصمة المســيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الانسانيــة ، وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حــل مشــكلاته بطريقة تجلب الى العــالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال « كارلايل » ، « جوت » ، « جيبون » القيمة الذاتية لدين محمد . وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوربا من الاسلام . ولكن أوربا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبــدأت تعشق عقيدة محمــد . وفى القرون القادمة قــد تذهب أوربا الى أبعد من ذلك ، فتعترف بفائدة هــذه العقيدة فى حل مشاكلهــا . بهــذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى » .

وفى الوقت الحــاضر دخل كثير من أبناء قومى من أهل أوربا فى دين محمد ، حتى ليمكن يقال ان تحول أوربا الى الاسلام قد بدأ) ..

هكذا وصف أكبر كاتب انجليزى الاسلام ونبيه الكريم .

هكذا شهد له أكبر فلاسفة أوربا .

لقد سجل « برنارد شو » كلماته هذه بعد بحث وتفكير وروية ، بعــد أن عرف أن دين هذا النبى وضع لكل مشكلة اجتمــاعية واقتصــادية الحل المناسب لها الذى يصلح لكل زمان ومكان .

ولقد سجل هــذا الكاتب الــكبير كلماته بعد دراسة عميقة لقواعد هذا الدين وما فيه من آيات بينات ، ولولا أنه درس هذا الموضوع دراسة عميقة وافية لمــا قال :

« لقــد بدأت أوربا الآن تتعشــق الاسلام ... ولن يمضى القرن الحادى والعشرون حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين به فى حل مشاكلها ...

لقد نظر « برنارد شو » الى العرب قبل الدعــوة المحمدية فوجدهم فى فســاد وفوضى ووحشــية وهمجيــة

وحرب وقتال دائم ، يقتلون البنات وينظرون الى النساء نظرة احتقار وسخرية • ورآهم أشد الأمم تباهياً بالأنساب وتساميا بالآباء ، فكانت كل قبيلة تزعم أنها الفريدة فى مفاخرها، وقد غلوا فى هذا الاتجاه حتى جعلوا لابلهم وخيولهم أنسابا يرفعونها بها على سائر الخيول والابل •••• فما بالك بمن بعد عنهم من القبائل والشعوب واختلف معهم فى اللغة والتقاليد ، ثم نظر اليهم بعد دعوة هذا النبى الكريم ، فوجدهم خلقا جديدا ، لا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، ووجدهم فى تقدم ورقى وحضارة تمتد أطرافها فى الشرق والغرب ، ورأى كيف دانت لهم الممالك والأمصار فى سهولة ويسر •• وكيف رضيت به الشعوب على اختلاف أجناسها •• وكيف ازدهرت العلوم وانتعشت الفنون على أيديهم ورأى كيف أضحت المرأة انسانا محترما لها ما للرجال من احترام وحقوق •

لقد درس « برنارد شو » أمة محمد صلوات الله عليه فوجدها قائمة على الأصول الأدبية والمبادىء الأخلاقية، لا على الأمور المعيشية والمطالب المادية كما هو الحال فى المدنية الأوروبية ، فرأى بذلك أول أمة فى تاريخ العالم قامت على مبادىء سامية وأسس روحانية عالية •

لقد رآها أمة ديمقراطية بأوسع معانى الكلمة••رآها ديمقراطية لأنها لم تعترف بالفروق الطائفية والامتيازات الارستقراطية ، رآها أمة لا تفرق بين ذكر وأنثى وبين سيد ومولى الا بالخير والعمل الصالح المنتج •• رآها أمة تؤمن بتكافؤ الفرص، وتفتح الباب أمام العاملين من كل بيئة وجنس ولون لكى ينال قصب السبق كل من سمت همته وعلت كفايته •

لقد درس « برنارد شو » أمة هذا النبى فوجدها دستورية ؛ لأن الحكومة قيدت فيها بكتاب الهى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وهذه أعظم صفات الأمم الدستورية • وقد حقق هذا الكتاب كل أغراض الحكومة الدستورية فجعل الحكم شوريا ، وحذف الامتيازات الفردية، والطائفية، والجنسية ، ومحا الفوارق فى الحقوق

والواجبات بين مختلف الطبقات ، وأخضع الجميع لمبادىء واحدة لا فرق بين حاكم ومحكوم ، وأبيض وأسود ، وذكر وأنثى ..

هذه هى الأمة التى قامت على الدعوة المحمدية .

ألا يحق «لبرنارد شو» أن يصف هذا النبى الكريم بأنه منقذ الانسانية ؟

ألا يحق له بعد هذا كله أن يقول:

« اننى أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم بأجمعه لتم له النجاح فى حكمه ولقاده الى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة » .

★ ★ ★

درس « برنارد شو » الحياة الاسلامية وأدرك أنها قائمة على التكافل والتضامن والتعاون بين الأفراد والشعوب ، ورأى فى ذلك سر النجاح .

فالمرأة والرجل متكافلان فى الحياة الدنيا من نفس واحدة بعضهما من بعض يتمم كل واحد منهما الآخر وأساس الصلة بينهما المودة والرحمة والرجال أنصاف تتلمس أنصافها الأخرى فى مخادع النساء ومن تزوج فقد عصم نصف دينه وفى كل هذه المعانى يقول القرآن الكريم : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وفى موضع آخر: « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » .. « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ..

والغنى والفقير والعامل والممول متكافلون فى هذه الحياة يشد بعضهم أزر بعض ويتعاونون على البر والتقوى فللفقير حق معلوم فى مال الغنى . وفى ذلك تدعيم للمجتمع أولا والأسرة ثانيا والدولة ثالثا ، وأكبر الكبائر فى الاسلام أن يبيت الرجل شبعان وجاره جائع ، وأجر العامل حق مكفول ، ومن ظلمه أجره أو أخره عنه فقد أثم اثما عظيما ، وتعرض لعقاب الدنيا

وخزى الآخرة • وعلى الفقير والعامل أن يصدقا وينصحا ويؤديا عملهما كاملا فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه •

والحاكم والمحكوم متكافلان ، على الحاكم العدل والمساواة والرعاية ، وعلى المحكوم الطاعة والنصيحة والمعاونة •• « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل •• «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » •

هكذا كان التكافل وحسن التعامل قوام الحياة الاجتماعية التى جاء بها الاسلام الحنيف • فماذا فعلت المطامع والأهواء والنظم الأرضية المادية التى طلعت بها أوربا على الناس يوم أن انتهت اليها قيادة البشرية ؟

بدلت نعمة الله كفرا وأحلت التنافر والتخاصم محل هذا التكافل والتعاون وفشلت فى تحقيق العدالة والاخاء والسلام على وجه الأرض •

ألايحق بعد هذا كله أن يسجل « برنارد شو » كلمته الخالدة وبقوله : « وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة والطمأنينة التى هو فى أشد الحاجة اليها » •

وهذه الصيحة التى أطلقها«برنارد شو » عن الاسلام ونبيه ، تتفق الى حد كبير مع خطبة « المستر كاين تلر » التى ألقاها فى حفل كبير جامع حيث قال :

« يمتد الدين الاسلامى الآن من مراكش الى انقرة ، ومن زنجبار الى الصين ، ويخطو فى داخل أفريقيا خطوات كبيرة وتعتنقه أمم كثيرة ، وقد خطا بنفسه وثبتت قدمه فى الكونغو التى صارت بلادا اسلامية بأجمعها (وخاصة البلاد السودانية وهى أشدها بأسا) • أما فى الهند فان التمدين الغربى الذى كان يهدم أركان الوثنية فانه يمهد الطريق للدين الاسلامى لاغير ، فأهل الهند البالغ قدرهم ٢٥٥ مليون نسمة ،

منهـم ٥٠ مليونا الآن مسـلمون ، وسـكان أفريقيـا بأجمعهم أكثر من النصف منهم مسلمون .

وهذا يدل على أن الاسـلام فى تزايد وانتشار .

ثم استطرد يقول :

لقد أفاد الاسلام التمدن أكثر من النصرانية ، ونشر راية المساواة والأخوة . وهـذه الأدلة نذكرهـا نقـلا عن تقارير المـوظفين الانجليز وعمـا كتبه أغلب السياح عن النتائج الحسـنة التى نتجت من الـدين الاسلامى وظهرت آياتها منه ، فانه عنـدما تتدين به أمـة من الأمم السودانية تختفى من بينها فى الحال عبـادة الأوثان واتباع الشيطـان والاشراك بالعزيز الرحمن ، وتحرم أكل لحم الانسـان وقتـل الرجال ووأد الأطفال ، وتضرب عن الكهانة ويأخذ أهلها بأسباب الاصلاح وحب الطهـارة واجتناب الخبائث والرجس والسعى نحو احراز المعـالى وشرف النفس ويصبح عندهـم قرى الضيف من الواجبات الدينية ، وشرب الخمر من الأمور البغيضة ، ولعب الميسر والأزلام محرمـة والـرقص القبيح ومخالطة النساء اختـلاطا دون تمييز بغيضـا ، ويحسبون عفة المـرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل .

أما الغـلو فى الحـرية والتهتك وراء الشهـوات البهيمية فـلا تجيزه الشريعة الاسلامية ، والدين الاسلامى هو الدين الذى يعم النظام بين الورى ويقمع النفس عن الهوى ، ويحرم اراقة الـدماء والقسوة فى معامـلة الحيوان والأرقاء ، ويوصى بالانسانية ويحض على الخيرات والأخوة يقول بالاعتـدال فى تعدد الزوجات وكبح جماح الشهوات) ..

حكم قضائي بالفصل بين الزوجين إذا كان أحدهما شيوعيًا !

للدكتور عبد الودود شلبي

الشيوعية اذا ثبتت مسقطة للحضانة

عدد الدعوى ١٠١/٩٦٠ تلسلسل ٢٥٨ سجل ٨

تشكلت المحكمة الشرعية السنية في البصرة بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٦٠ م من قاضيها السيد « علاء الدين خروفه » المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت حكمها الآتي :

المدعية – (خ٠م)

المدعى عليه – (ع٠ع) وكيله المحامي « عبد الله الريحاني » .

الشخص الثالث الأولى – (ن٠ع)

الشخص الثالث الثانية – (أ٠أ)

ادعت المدعية أن المدعى عليه كان زوجها ، وقد طلقها ، وترك في حضانتها ابنته المسماة (ث) ، وتبلغ من العمر سنة وثلاثة أشهر بدون نفقة ، ولا منفق شرعي ، لذلك تطالب الحكم بنفقة كافية للطفلة المذكورة ، وتحميله مصاريف المحاكمة ، وفي نتيجة المحاكمة الوجهية العلنية ، اعترف وكيل المدعى عليه بأن المدعية كانت زوجة موكله ، وقد طلقها ، وأن الطفلة المذكورة ابنته منها ، إلا أنه دفع بأن موكله قد أقام عليها الدعوى باسقاط حضانتها ، في هذه المحكمة بعدد ١٨٠/٩٦٠ وذلك لأنها تعتنق المذهب الشيوعي الهدام ، ولا يحق لها حضانة الطفلة المذكورة ، حيث يخشى على الطفلة من التلقين بهذه المبادىء المخالفة للشرع الحنيف ، . أجابت المدعية بأنها غير شيوعية ، وأنها مسلمة تؤمن بالله وبرسوله ، أجاب وكيل المدعى عليه ، أن المذكورة حكم عليهابغرامة قدرها ثلاثون دينارا في محكمة جزاء البصرة ، بالدعوى

الجزائيــة ٨١/٦٠ بتهمــة ايوائهــا شخصا مطلوبا للعدالة ، وقــد صــدق تمييزا • كمــا أن لديه بينــة على أن المذكورة معتنقة المذهب الشيوعى، وقد استمعت المحكمة الى شــهادات رجال أمن منطقة البصرة ، وبعض الشهود الآخرين ، كما اطلعت على اضــبارة الدعــوى الجزائية ، وقررت ادخال أم المدعية ، وأم المدعى عليــه شخصين ثالثين فى الدعــــوى ، أجاب وكيل المدعى عليه أن أم المدعية تسكن مع المدعية نفسها ، وأنها كانت قد أخفت وتسترت على شخص هارب من وجه العدالة ، وقد أيد الشهود أن الشخص الثالث (أم المدعية) أفادت أمام أفراد الشرطة ، الــذين حضروا لالقــــاء القبض على المتهم الهــــارب ، الذى وجد نائما فى دارها ، ووجهه متجه نحو الحائط : أفادوا أنها قالت لهم (هذا ولدى) • وقد اعترفت هى بذلك وأقرت أنها قالت هذه العبارة ولــكنها قصدت منها أنه والدها ، لأنهــا أكبر منه سنا ، وطلبت تسليم البنت اليها ، وكرر الطرفان أقوالهما ، ولما لم يبق ما يقال ، أفهم ختام المحاكمة •

القرار ـ ثبت للمحكمة من جريان المرافعة الوجاهية العلنية ومن كتــاب مــديرية الأمن لمنطقــة البصرة المــرقم ٨٦٨٠ والمـؤرخ ١٨/١٢/١٩٦٠ أن المدعية • (خ•م) يســارية شيوعية تجتمع مع الشــيوعيين ، وترافقهم ، وقد تأيد ذلك بشهادات الشهود الذين استمعت اليهم المحــكمة ، وبينوا نشاط المدعية فى الدعوة لهذا المذهب والترويج اليــه ، والدفاع عنــــه ، بحــرارة فضـــلا عن الايمان به •• وبالرجوع الى كتب هذا المبدأ ونشراته وأقوال زعمائه نجد أنه قد ورد فى كتاب (سيرة لينين) تأليف «داودشب» باللغــة الانجليزية صفحة ١٩١ طبعة ١٩٤٨ فى فصل الحركات الحربيــة للشــيوعيين ما يلى : ونحن نقــول ـ والكلام الى « لينين » ـ مؤكدين أننا لا نعتقد بالله ، وأننــا نعلم حق العلم بأن الروحانيــين والملائكــين ، كانوا يتكلمون باسم الله كى يروجوا أغراضهم الخاصة (الاستثمارية) • وجاء فى مجلة « الشباب السوفياتى » فى عــــددها الصـــادر ١٨ تشرين أول ١٩٧٤ :

(نحن لا نستطيع أن نقف من الدين موقفا محايدا ، وانما يتعين علينا أن تنشر الدعوة ضد الدين ، ومن واجب الشباب تحرير عقولهم من خرافة الدين ، فالدين كما علمتنا المبادىء الشيوعية عمل هدام) ، وتقول صحيفة « البرافدا » لسان الحزب الشيوعى فى عددها الصادر يوم ٢٦ نيسان / ١٩٤٩ : (نحن نؤمن بثلاثة : « كارل ماركس » • و « لينين » • و «ستالين » • ولا نؤمن بثلاثة أشياء • الله • والدين • والملكية الخاصة) وقال «لينين» فى سنة ١٩٠٥ : (الدين هو أفيون الشعوب ، فالدين ورجل الدين يخدران أعصاب المظلومين والفقراء ، ويجعلانهم يرضخون للظلم) وقال فى سنة ١٩٠٢ فى الدين : (كلما تحررنا من نفوذ الدين ازددنا اقترابا من الواقع الاشتراكى ؛ ولهذا تحررت عقولنا من خرافة الدين) ، وقال فى سنة ١٩١٣ : (ليس صحيحا أن الله ينظم الأكوان ، وانما الصحيح أن الله فكرة خرافية ، اختلقها الانسان ؛ ليبرر عجزه ، ولهذا فان كل شخص يدافع عن فكرة الله هو شخص جاهل عاجز) • وقال « ستالين » سنة ١٩٢٨ : (يجب أن تقوم التربية فى المدارس على أساس انكار فكرة الله) ثم قال فى سنة ١٩٣٧ : (يجب أن يكون مفهوما أن الدين خرافة ، وأن فكرة الله خرافة وأن الالحاد مذهبنا) • وقال سنة ١٩٤٤ : (نحن ملحدون ، ونؤمن بأن الله خرافة ؛ نحن نؤمن أن الايمان بالدين يعرقل تقدمنا) ، وبناء عليه : « فان الشيوعية كفر بالله ، وشرك به سبحانه وعدم اعتراف بالدين والأخلاق ، ودعوة الى التحلل من القيم الروحية التى دعا اليها الاسلام ، فتكون الشيوعية متعارضة ، ومتنافية مع الدين الاسلامى ، وهى معه على طرفى نقيض • وهما ضدان لا يجتمعان ، وبالتالى تكون الشيوعية متنافية ومتعارضة مع شروط الحضانة التى نص عليها فقهاء الاسلام » •

وحيث ان الدعية (خ • م) شيوعية ، يضاف الى ذلك أنها سبق وأن حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ، بغرامة ، قدرها ثلاثون دينارا ، وعند عدم الدفع فحبسها بسيطا لمدة شهرين

بقرارها المرقم ٨١/٩٦٠ والمؤرخ ٢٠/٦/١٩٦٠ وفقا للمادة ١٣٧ من ق ع ب ، بدلالة المادة ١٣٥ والمادتين ٥٤ ، ٥٥ من ق ع ب ، وقد صدق هذا الحكم بقرار محكمة تمييز العراق المرقم ٤٩٣/ تمييزية /٦٠ والمؤرخ ٢٠/١١/١٩٦٠ فيكون الحكم قد اكتسب القطعية ، وتكون المدعية قد ارتكبت فعلا مخالفا للشرع ، والقانون ، وذلك بايوائها شخصا أجنبيا في بيتها ، لا يمت اليها بصلة قرابة ، فضلا عن أن يكون محرما لها ، ويكون فعلها هذا مؤيدا لشهادة الشهود ، وبناء على كل ما سبق ، قررت المحكمة رد دعوى المدعية (خ٠م) بشأن طلبها النفقة ٠ لابنتها (ث) ، البالغة من العمر سنة وعشرة أشهر ، من المدعى عليه (ع٠ع) ٠ والحكم عليها باسقاط حضانتها ، وتسليمها البنت المذكورة ، الى الشخص الثالث الثانية أم أب البنت المذكورة ، وتحميل المدعية كافة مصاريف المحاكمة ، وأجور المحاماة ٠ أما الشخص الثالث الأولى (ن٠ع) والتي هي أم المدعية فقد ثبت من اقرارها ، واعترافها أمام هذه المحكمة ، ومن شهادة الشهود أنها أفادت أمام الأفراد الذين حضروا لالقاء القبض على المتهم الهارب الذي وجد في بيتها وبيت ابنتها ، أفادت (هذا ولدي) وحيث ان هذه العبارة لا يمكن أن تفسر الا بأنها محاولة للتستر على رجل هارب ، مطلوب للعدالة ، ولا يمكن أن يقصد بها أثناء التفتيش على المتهم ، بأنها قالت هذه العبارة (هذا ولدي)؛ لأنه أصغر منها سنا كما حاولت أن تفسر عبارتها ، فهو شخص غريب عنها ، وعن ابنتها ، ليس محرما عليهن جميعا ، ووجوده معهن أمر لا يقره الشرع ، لا سيما وأن الشهود أجمعوا على أنه لم يكن في الدار سواه ، والمدعية وأمها وأختها ٠ ٠ وان عمل هذه المرأة لا يتفق أيضا مع شروط الحضانة التي نص عليها الفقهاء ؛ لذلك قررت المحكمة عدم تسليم الطفلة موضوعية الدعوى الى والدة المدعية ، (الشخص الثالث ن٠ع) ورد دعواها بذلك حكما وجاهيا قابلا للتمييز ، وأفهم علنا ٢٢/١٢/١٩٦٠ ٠ وقد ميزته المدعية فأصدر مجلس التمييز الشرعي السني قراره التالي: العدد-٤٢

اجتمع مجلس التمييز الشرعى بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٣٨٠ الموافق ٢٢ كانون الثانى سنة ١٩٦١ برئاسة السيد « حسن على » وعضوية السيد « سالم سليمان حافظ » والسيد « عطا حمدى الأعظمى » وأصدر باسم الشعب قراره الآتى :

أصدر قاضى المحكمة الشرعية فى البصرة حكما وجاهيا بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ بعدد اضبارة ٦٠/١٠١ يقضى برد دعوى المدعية (خ٠م) بشأن طلبها النفقة من مطلقها المدعى عليه (ع٠ع) لبنتها الصغيرة (ث) والحكم باسقاط حضانتها ، وتسليم البنت المذكورة الى جدتها لأب (أ ٠ أ) التى دخلت فى الدعوى شخصا ثالثا ، ورد دعوى الشخص الثالث الأولى (ن٠ع) جدة الصغيرة لأم ضم البنت اليها ، وذلك لثبوت كون المدعية ـ تعتنق المذهب الشيوعى – وتجتمع مع الشيوعيين وترافقهم ، وتروج لهذا المذهب ، وتدافع عنه ، وأنها سبق وأن حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ؛ لايوائها أجنبيا فى بيتها ، لا يمت اليها بصلة قرابة ، وتكون والدتها متسترة عليها ، فميزته المدعية المحكوم عليها ضمن المدة القانونية مطالبة نقضه ، لما ذكرته فى لائحتها ، ولدى التدقيق والمداولة وجد أن أم الأم أحق بالحضانة ، من أم الأب ، الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها ، وحيث ان المحكمة لم تحقق عن توافر هذه الشروط فى أم الأم من عدمها بصورة كافية ، فيكون حكمها بتسليم الطفلة (ث) البالغة من العمر سنة ونصف قبل التحقيق من ذلك غير صحيح ، فقرر بالأكثرية نقض الحكم ، واعادته الى محكمته لتحقيق هذه الجهة ومن ثم اصدار حكمها وفق الشرع ـ ٥ شعبان سنة ١٣٨٠ الموافق ١٩٦١/١/٢٢

وبعد المرافعة وجمع الطرفين أصدرت المحكمة الشرعية السنية القرار التالى :

تشكلت المحكمة الشرعية السنية فى البصرة بتاريخ ١٩٦١/٥/٣ من قاضيها السيد « علاء الدين خروفة »

المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت قرارها الآتي :

المدعية ــ (خ٠م) ٠

المدعى عليه ــ(ع٠ع) وكيله المحامي « عبد الله الريحاني » ٠

الشخص الثالث الأولى ــ (ن٠ع)٠

الشخص الثالث الثانية ــ (أ٠أ) ٠

كانت هذه المحكمة قد أصدرت قرارا بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ يقضي برد دعوى المدعية (خ٠م) بخصوص طلبها النفقة لطفلتها (ث) من مطلقها المدعى عليه وذلك لأنها شيوعية ، وقد حكم عليها من قبل محكمة جزاء البصرة ، لايوائها شخصا مطلوبا للعدالة ، وقد اكتسبت حكم المحكمة المذكورة درجته القطعية وذلك بعد أن ثبت لهذه المحكمة أن الشيوعية لا تتفق ومبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، وهي وشروط الحضانة على طرفي نقيض ، كما أسقطت المحكمة حق حضانة أم المدعية (الشخص الثالث الأولى) لأنها أرت أمام هذه المحكمة أنها أفادت أمام الهيئة التي حضرت لالقاء القبض على المتهم الهارب والذي وجد في دارها أفادت هذا (ولدي) وقد تأيد ذلك بشهادة ابنتها (المدعية) عليها وحكمت بتسليم الطفلة المذكورة الى الشخص الثالث الثانية (أ ٠ أ) وقد ميز هذا الحكم ، فورد منقوضا بقرار مجلس التمييز الشرعي فيما يخص الشخص الثالث وقد جاء في أسباب النقض (وجد أن أم الأم أحق بالحضانة من أم الأب الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها) وبناء عليه قررت المحكمة اتباع القرار التمييزي ، وبلغت الطرفين على الحضور ، وفي أثناء ذلك قدمت المدعية عريضة الى رئاسة محكمة استئناف البصرة تطلب نقل هذه الدعوى من هذه المحكمة وقد رفض طلبها وأجريت المرافعة النيابية وفق الأصول ، وفي الجلسة الختامية ورد طلب من محكمة تمييز العراق الموقرة يتضمن ارسال هذه الدعوى بناء على وقوع الطلب لنقلها ، وقد أرسلت الاضبارة ، ولم تحسمها المحكمة في تلك الجلسة ، رغبة منها في اتاحة الفرصة للمدعية وقد رفض طلبها كذلك ، بقرار محكمة التمييز

المرقم ٤٣٣ (نقل دعوى) ٩٦١ وبعد اعادة الاضبارة لاحظت المحكمة أن تزكية بعض الشهود لم تتم ، فأكملتها وأفهمت ختام المحكمة .

القرار - انه لم يخف على هذه المحكمة أن أم الأم أولى بالحضانة من أم الأب ، لذلك قررت المحكمة ادخال أم الأم من تلقاء نفسها ، وبدون أن يقع طلب من أحد الخصوم ، وذلك بعد أن رأت أن الأم المدعية قد توافر فيها ما أسقط حضانتها ، ولما رأت المحكمة أن الشخص الثالث الأولى (أم الأم) لم تتوافر فيها شروط الحضانة ، قررت ادخال أم الأب (الشخص الثالث الثانية) فى هذه الدعوى ؛ لأن الأخيرة تأتى بعد الأولى فى التسلسل الشرعى ، ومع ذلك ، وعملا بقرار مجلس التميز الشرعى السنى المرقم ٤٢والمؤرخ٢٢/١/١٩٦١ فقد دعى الطرفان ، فتبلغت المدعية ، ولم تحضر ، وعملا بأحكام المادة ٥٧ من قانون المرافعات المدنية والتجارية ، قررت المحكمة بالطلب اجراء المرافعة بحقها غيابيا وعلنا ، وتبلغت الشخص الثالث الأولى ولم تحضر ، وبالطلب أجريت المرافعة بحقها غيابيا ، وحضر وكيل المدعى عليه ووكيل الشخص الثالث الثانية وأجريت المرافعة الغيابية العلنية ، وحيث ان المحكمة قد استمعت الى تسعة شهود ، ذكر الأول أن أم الأم تحضر حفلات مع بنتيها يختلط فيها الرجال والنساء وذكر الثانى : أنها راضية عن ابنتها ، وعن اجتماع بعض الشيوعيين فى بيتها ، وبعلمها وذكر الثالث : (أنها تسكن مع بنتيها خ و ر ... والمشهور عندنا - أنهما شيوعيتان ، وأمهما كذلك ، وأنها تحضر الحفلات ... وتؤيد مسلك بناتها ، وهذا معروف للقاصى والدانى) وشهد الرابع : (أن المذكورة قالت عن المتهم الذى وجد فى بيتها : انه ولدى ، وحين أيقظته اتضح أنه هو المتهم الهارب ، ولم يكن ولدها) وشهد الخامس : (أنها كانت تجلس على باب الدار الذى وجد فيها المتهم) وشهد السادس : (أنه كان مع الهيئة التى دخلت دار المذكورة حيث وجد فى بيتها المتهم ، فادعت أنه ابنها ، وبعد أن ألقى القبض عليه تبين أنه المتهم الهارب) وشهد كذلك : (أنه

يعرف هذه المرأة ، وأنها قد جعلت دارها وكرا للشيوعيين) وشهد السابع: (أنها كانت تخرج مع بناتها اللائى هن شيوعيات ، الى الحفلات السياسية ، والمسيرات ، وانى أعرف أنها موافقة على سلوكهن) وشهد الثامن : (أنه كان يشاهد شخصا شيوعيا أدانته المحاكم ، يدخل دار (خ) (المدعية) ووالدتها موجودة ، هو وجماعة معه ويجتمعون فى هذه الدارساعة ونصف ساعة ، ثم يخرجون •• وانى أشهد أن هؤلاء كانوا يدخلون دار (خ) ويجتمعون بحضور والدتها (الشخص الثالث الأولى) ، وبغياب زوج (خ) وشهد التاسع:(أنه كان يشاهد بعض المدرسين يدخلون هذه الدار ، ويجتمعون فيها بحضور (ن • ع) وأعرف من هؤلاء (وذكر شخصا) وقد سجن وفصل ••• ومن الطبيعى أن هذه الوالدة راضية بسلوك بناتها)• وبعد أن عدل هؤلاء الشهود سرا وعلنا وأضيف الى شهادتهم اقرار المذكورة (ن•ع) أمام هذه المحكمة ، أنها قالت للهيئة الرسمية التى حضرت لالقاء القبض على المتهم الهارب الذى لجأ الى بيتها (هذا ولدى) ، فى حين أنه كان غريبا عنها ، وشهادة ابنتها المدعية ضدها • لقد جمعت المحكمة هذا القرار وتلك الشهادات،وعرضتها على شروط الفقهاء التى اشترطوا توافرها فى الحاضنة ، فوجد أن فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والامامية مجمعون على أن الفسق مسقط للحضانة وأن الحاضنة يجب أن تكون أمينة على الطفل ، بحيث يكون المحضون مأمون عليه فى حوزتها ، ورد ذلك فى : أولا : حاشية « ابن عابدين » ج ٢ ص ٦٨٨طبعة دارالكتب ثانياً : « البحر الرائق » شرح « كنز الدقائق » لابن نجيم ، ثالثا : ـ المدونة الكبرى لامام دار الهجرة « مالك بن أنس » ح ٥ ص ٣٩ ، رابعاً « العقود الدرية » تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين ج ١ ص ٥٢ خامساً : « الفتاوى الهندية » ج ١ ص ٥٦٢ سادساً : « تبيين الحقائق » شرح كنز الدقائق للعلامة « الزيلعى » ج ٣ ص ٤٦ ، سابعاً : الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ ثامناً : « العقد المنظم للحكام » للقاضى « محمد عبد الله »ج ١ ص ١٣٥ وقال : (وكل من

له الحضانة من أب أو ذات رحم أو عاصب وليس له كفالة ، ولا مرضعة يحرز ولا يؤمن فى نفسه فلا حضانة له وتنتقل لمن فيه تلك الأوصاف قرب أو بعد . يضيع أولاده ، ويدخل عليهم رجالا يشربون فينتزعون منه)، تاسعاً : أحكام الأحوال الشخصية » فى الفقه الاسلامى . تأليف الدكتور « محمد يوسف موسى » ص ٤٠٧ وقال : (فسوء السلوك الذى يخشى من أثره الخطر على الطفل يمنع من الحضانة ، كما يمنع منها العجز عن القيام بتعهد الطفل) ، عاشرا : « الشريعة الاسلامية » فى الأحوال الشخصية للدكتور « عبد الرحمن تاج » شيخ الأزهر السابق ص ٤٥٤ طبعة ثانية ، حادى عشر : شرح الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية تأليف «محمد زيد الابيانى» طبعة أولى ج ٢ ص ٦٦ ، ثانى عشر : الأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية تأليف « محيى الدين عبد الحميد » ص ٤٠٥ ، ثالث عشر : الأحكام الجعفرية فى الأحوال الشخصية تأليف « عبد الكريم الحلى » ص ٩٩ ، رابع عشر : كتاب الجواهرى فى باب الحضانة ، خامس عشر : الاختيار شرح المختار تأليف « عبد الله الموصلى » ج٢ ص ٢٥٢، سادس عشر: لسان الحكام المطبوع بهامش معين الحكام ١٢٤٨ ، سابع عشر : منهاج الصالحين تأليف « السيد محسن الحكيم » ج ٢ ص ٢١٢ ، ثامن عشر: الفقرة الثانية من المادة السادسة والخمسين من قانون الأحوال الشخصية العراقى رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ ، تاسع عشر : الفصل ٥٨ من مجلة الأحوال الشخصية فى تونس : عشرون ، المادة ١٣٧ من قانون الأحوال الشخصية فى سورية الصادر فى سنة ١٩٥٣ التى قالت (يشترط لأهلية الحضانة البلوغ والعقل والقدرة على صيانة الولد صحة وخلقا) وغير ذلك من الكتب الفقهية.

وبناء عليه وحيث تأيد بالبينة المعدلة سرا وعلنا أن هذه المرأة (ن.ع) قد توفى عنها زوجها وهى تعيش على نفقة بنتيها ، وتسكن معهما وحيث ورد فى صفحة ١٣٧ من العقد المنظم للحكام (لا حضانة للجدة اذا سكنت مع

ابنتها – ويعنى اذا كانت البنت ساقطة الحضانة – وهى الرواية المشهورة عن «مالك» وبها العمل واختياره المتأخرون من البغداديين وغيرهم) ولذلك فان تسليم الطفلة – موضوعة الدعوى – الى أم الأم يكون معناه تسليمها الى الأم نفسها ، فى حين أن الأخيرة ساقطة الحضانة ، وحيث ان عمل هذه المرأة – المدعية – وأمها يعتبر فسقا فى نظر الشريعة الاسلامية ؟ لأن امرأة تخفى فى بيتها رجلا أجنبيا عنها ، فضلا عن أن يكون متهما هاربا من وجه العدالة ، وتسمح له أن يلجأ اليها ، ويعيش معها ، وحين يراد القبض عليه تحاول التستر عليه ، فتوصد دونه باب دارها ، وحين يضيق الخناق عليها ، تفتح الباب ، ولكنها تمعن فى تضليل العدالة ، فتقول للهيئة الرسمية (هذا ولدى) •• ان امرأة هذا فعلها لهو الفسق بعينه ؟ لأنها شريكة لابنتها المدعية التى أدانتها محكمة الجزاء واكتسب الحكم درجته القطعية ولو أن هذه المرأة (أم الأم) قدمت للمحكمة المذكورة ومعها شهادة هؤلاء الشهود ، فضلا عن اقرارها واعترافها لأدينت هى أيضا ، واذا لم يكن هذا العمل فسقا يوجب اسقاط الحضانة فأى نوع من الأعمال يعتبر فسقا اذن ؟ لذلك واستنادا الى كل ما تقدم فقد حصلت للمحكمة قناعة تامة بأن أم الأم الشخص الثالث الأولى (ن•ع) لم تتوافر فيها شروط الحضانة ، فقرر اسقاط حضانتها ، ورد دعوى المدعية (خ•م) بخصوص طلبها النفقة لابنتها (ث) من المدعى عليه (ع•ع) واسقاط حضانتها والحكم عليها فى الدعوى المرقمة ١٨٠/٦٠ الموحدة بهذه الدعوى بتسليم الطفلة المذكورة الى أم الأب الشخص الثالث الثانية (أ • أ) لأنها تأتى بعد الأولى فى التسلسل الشرعى ، وتحميل المدعية كافة مصاريف المحاكمة وأجور المحاماة حكما غيابيا بحق المدعية ، والشخص الثالث الأولى قابلا للاعتراض والتمييز ووجاها بحق المدعى عليه والشخص الثالث الثانية قابلا للتمييز وأفهم علنا • ١٩٦١/٥/٣٠

وقد اعترضت عليه المعترضتان (خ• م•ون•ع) فأصدرت المحكمة القرار التالى :

العدد ٩٦٠/١٠١

تسلسل ٣٥٣ صحيفة ٩١

تشكلت المحكمة الشرعية السنية بالبصرة بتاريخ ١٩٦١/٥/٣١ من قاضيها السيد « علاء الدين خروفة » المأذون بالقضاء باسم الشعب وأصدرت قرارها الآتي :

المعترضتان :

١ - (خ٠م) وكيلهما المحامي عاكف الأمين

٢ - (ن٠ ع)

المعترض عليهما :

١ - (ع٠ ع) وكيلهما المحامي عبد الله الريحاني

(أ ٠ أ)

كانت هذه المحكمة قد أصدرت حكما غيابيا بتاريخ ١٩٦١/٥/٣ يقضي باسقاط حضانة (خ٠م) و (ن٠ع) واعترضت عليه المعترضتان ضمن المدة القانونية فقبل اعتراضهما شكلا ، وبوشر بالمرافعة وجاها وعلنا ، وكرر وكيل المعترضتين لائحة اعتراضه ، وطلب الحكم وفقه ثم أجاب عنها وكيل المعترض عليه الأول ، ووكيل المعترض عليها الثانية وكرر الطرفان أقوالهما وأفهم ختام المحاكمة .

القرار - لاعتراض المعترضتين وحضور وكيلهما وجريان المرافعة العلنية ، وحيث ان وكيل المعترضتين طلب اعادة استماع شهود خصمه وحيث أن المحكمة قد استمعت الى هؤلاء الشهود بعد أن بلغت المعترضتين بيوم المرافعة ، فلم تحضرا ، وأجريت المرافعة بحقهما غيابا وعلنا وفق المادتين ٥٦ ، ٥٧ من قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ٨٨ لسنة ١٩٥٧ وحيث أن وكيل المعترضتين ، لم يأت بدفع جديد يؤثر على قرار المحكمة السابق كما نصت عليه المادة ١٧٩ من القانون المذكور وحيث أن المحكمة حققت الجهات التي ذكرها الوكيل المذكور، لذلك قررت المحكمة رد اعتراض المعترضتين (خ٠م) و (ن ٠ ع) وتأييد الحكم الغيابي السابق المرقم ٩٦٠/١٠١ والمؤرخ ١٩٦١/٥/٣ وتحميل المعترضتين كافة مصاريف

المحاكمة وأجور المحاماة واللوائح حكما وجاهيا ، قابلا للتمييز ، وأفهم علنا ١٩٦١/٥/٣١ ٠ ثم ميزته المدعية للمرة الثانية ، فأصدر المجلس القرار الآتي :

مجلس التمييز الشرعي :

العدد ـ ٢٩٨

أصدر قاضي المحكمة الشرعية في البصرة حكما وجاها ، بتاريخ ١٩٦١/٥/٣١ وبعدد اضبارة ٩٦٠/١٠١ خلاصته، أن المحكمة كانت قد أصدرت اعلاما بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٢٢ يقضي برد دعوى المدعية (خ٠م) بشأن طلبها النفقة من مطلقها المدعى عليه (ع٠ع) لبنتها الصغيرة (ث) والحكم باسقاط حضانتها وتسليم البنت المذكورة لجدتها لأب (أ ٠ أ) التي أدخلت في الدعوى شخصا ثالثا ورد دعوى الشخص الثالث الأولى (ن ٠ ع) والجدة لأم ضم البنت اليها ، وذلك لثبوت كون المدعية شيوعية ، تجتمع مع الشيوعيين، وترافقهم وتروج لهذا المذهب ، وأنها سبق أن حكم عليها من قبل محكمة الجزاء لايوائها أجنبيا في بيتها لا يمت بصلة القرابة ، ولكون والدتها متسترة عليها ، فنقض تمييزا بالقرار المرقم ٤٢ والمؤرخ ١٩٦١/١/٢٢ لأن أم الأم أحق بالحضانة من أم الأب الا اذا وجد ما يسقط الحضانة عنها ، فكان على المحكمة التحقق من ذلك بصورة كافية ، واتباعا لذلك أعيدت المحاكمة وبنتيجتها وبعد استماعها البينة على عدم أهلية الجدة لأم للحضانة ، وأنها شيوعية ، وقناعة المحكمة بعدم أهليتها للحضانة ، قناعة تامة ، قررت رد دعوى المدعية (خ٠م) بخصوص طلبها النفقة لابنتها (ث) من المدعى عليه (ع٠ع) واسقاط حضانتها ، والحكم عليها في الدعوى المرقمة ٨٠ / ٦٠ الموحدة بهذه الدعوى بتسليم الطفلة المذكورة الى أم الأب الشخص الثالث (أ٠أ) لأنها تأتي بعد الأولى في التسلسل الشرعي ، بعد ثبوت عدم أهلية الجدة لأم للحضانة ، فلما بلغت به المدعية والشخص الثالث الأولى اعترضتا عليه ، فرد اعتراضهما ، لعدم وروده وأيد الحكم الغيابي المعترض عليه فميزته المعترضتان المحكوم

عليهما ضمن المدة القانونية ، طالبتين نقضه كما ذكرناه فى لائحتهما ، ولدى التدقيق والمداولة وجد أن الحكم صحيح ، فقرر بالاتفاق تصديقه .

١٩ محرم/١٣٨١ المرافق٢/٧/١٩٦١١

ثم طلبت المدعية من وزارة العدل اعادة النظر فى قرار مجلس التميز فأصدرت القرار التالى :

الجمهورية العراقية .

وزارة العدل .

ديوان التدوين القانونى .

الرقم – ع ن/٦٤٧ .

التاريخ ١٦/٨/١٩٦١

الى رئاسة مجلس التمييز الشرعى

كتابكم ذو الرقم ٤٤٤ والمؤرخ فى ٢٣/٧/١٩٦١ نعيد اليكم مع كتابنا هذا – الأوراق « التمييزية التى لها علاقة » بـ (خ٥م) المرسلة الينا بكتابكم المشار اليه أعلاه ونعلمكم بعدم وجود أسباب تستدعى اعادة النظر فى قرار مجلس التمييز الشرعى السنى ذى الرقم ٢٩٨ الصادر فى ٢/٧/١٩٦١

رشيد محمود

وزير العدل

وبهذا يكون هذا الحكم قد اكتسب القطعية . . .

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

دراسة شاملة للعالم الإسلامى

للأستاذ أحمد حسين

— ٣ —

والآن وبعد أن استعرضنا الذى كان عليه المجتمع الاسلامى منذ نصف قرن وكيف أصبح اليوم فباستطاعتنا أن ننتقل الى القسم الأخير من حديثنا وهو ما ينبغى أن يكون عليه العالم الاسلامى

رجال الدين وماذا يقولون :

فأما رجال الدين فى طول العالم الاسلامى وعرضه فهم يعرفون الطريق واضحا كفلق الصبح وهم يذكرون به صباح مساء من وجوب تطبيق الدين وأحكامه فى كل شأن من شئون الحياة ، فى الكل والتفاصيل ابتداء من التشريع والتعامل ، حتى كيفية الأكل ، واللبس ، وعلماء الدين والوعظ مشكورون مأجورون فيما يدعون اليه بل هو واجبهم الذى يجب عليهم أن يلتزموه وأن لا يتهاونوا عن أدائه لحظة واحدة ، وسوف ينتفع دائما بعلمهم ووعظهم ملايين وملايين وسوف يتحقق هذا الذى يدعون اليه ، كله أو بعضه فى قليل أو كثير من أجزاء المجتمع الاسلامى .

بعض المبادىء والقيم الثابتة للحضارة:

على أنى أريد أن أضغط على بعض المبادىء العامة التى عرفها الانسان منذ كان انسانا ، والتى قامت عليها الحضارات منذ عرف الأنسان الحضارة حيث انهارت الحضارات كلها وبدون استثناء عندما تخلت عن هذه المبادىء والقيم وهذا ما يجعلنا نحكم عن يقين أن الحضارة الغربية فى طريقها الى الزوال بعد أن خلت من هذه المبادىء والقيم .

الايمان بالغيب :

الايمان بالغيب بمعنى أننا خلقنا بمعرفة قوة تعلونا ، وحيث نحس نحن بعجزنا وقصورنا ، وضعفنا ، وجهلنا ، وقصر حياتنا فهذه القوة الخالقة هى القدرة كلها ، وهى العلم كله ، وهى الكمال كله ، وهى الخالدة الباقية ، حيث يفنى كل شىء كان أو سيكون الا هو سبحانه أما نحن البشر فمبعوثون بمعرفة هذه القوة بعد موتنا ، فمحاسبون على ما عملنا فى هذه الدنيا ان خيرا فخير وان شرا فشر ، هذا الايمان فى جوهره بعيدا عن أى تفصيل هو سر الحضارة ، بل الاجتماع البشرى مجرد الاجتماع •

فهذا الايمان ضرورى ليتعايش البشر فى سلام ، اذ يقوم فى داخل كل انسان الرقيب والموجه الذى يضبط تصرفات الانسان ويكف أذاه عن الآخرين •

ومن الناحية الأخرى فان هذا الرقيب والموجه الداخلى هو الذى يدفع الانسان للقيام بصالح الأعمال ، ومن هنا أمكن للبشر أن يتجمعوا ويتعايشوا وينشئوا ويعمروا ويكونوا الحضارة الانسانية وما عليك الا أن تدرس الحضارات البشرية التى عرفها الانسان منذ كان انسانا ، لتتأكد وتستيقن أنها قامت على هذا ـ الايمان وهذه العقيدة ، ولن أحدثك عن مصر القديمة ومدى ايمانها بالبعث والحساب لا ولن أحدثك عن الحضارة الاسلامية وكيف قامت على هذا الأساس فأى مسلم أيا كان شأنه يعلم ذلك ، ولكنى سأحدثك عما أصبح يغيب عن بال الكثيرين وهو أن هذه المدينة الغربية التى يعجبون بها كل هذا الاعجاب قد قامت وأزهرت وحققت كل هذا الذى حققته فى ظل الايمان بالغيب بكل فروعه ، فالاسبان والبرتغال فعلوا ما فعلوا تحت لواء الصليب ، وطاف ماجلان حول الكرة الأرضية ووصل كولمبس الى أمريكا فى غمرة من الحماسة الدينية ، وقسم البابا (وهو ليس الا قوة روحية) قسم الدنيا بين أسبانيا والبرتغال باسم الدين وعندما نهضت انجلترا وفرنسا وهولندا ليلحقوا بهم نهضوا فى ظل نهضة دينية ، وكل منجزات العلم الحديث قام بها أناس اما من صميم الكنيسة ، واما من رجال امتلأت قلوبهم ايمانا بالله •

وقد أتيح لى أن أزور انجلترا وهى فى أوج عظمتها (الثلاثينيات) فكانت تبهرنى بتدينها ووقارها ومعنوياتها وأتيح لى أن أزور الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية فوجدت فيها بعض مظاهر التدين الذى كان يسود حياتها ، حيث كان القانون يفرض أن تكون نسخه من الكتاب المقدس فى كل حجرة فى أى فندق من الفنادق ، وكيف أن بعض الأمور التى تمارس ببساطة فى باريس ولندن ، كاحتراف البغاء شىء لا وجود له فى طول أمريكا وعرضها وحيث تباع كتب الجنس وصورة ومجلاته فى باريس ولندن فقد كانت نيويورك مبرأة من كل ذلك .

فالمجتمع أى مجتمع لكى ينجح ، يجب أن يكون متمسكا بالقيم والأخلاق والمبادىء الخيرة التى تعارف عليها البشر منذ كانوا بشرا وهو ما لا سبيل اليه الا عن طريق الايمان بالله وأنا اليه راجعون فمحاسبون .

الادعاء بأن التربية والقوانين يمكن أن تكون بديلا :

ولقد تصور الماديون الذين يعتبرون الايمان بالغيب من ضروب السذاجة التى لم تعد تليق بالانسان المتحضر وان التربية كفيلة بغرس الأخلاق الحميدة ، والقوانين الزاجرة كفيلة بنزع الانحرافات الشريرة ونسوا أن الأخلاق الخيرة والتصرفات غير الشريرة هى ثمرة من ثمار الايمان بالغيب ، فالدين وحده والخوف من الحساب فى الحياة الآخرة هو الذى حدد هذه الحدود واذا كان زعمهم بأن التربية والقوانين الوضعية يصلان الى نفس النتيجة فذلك ان صح - فانما يصح لفترة مؤقتة ونتيجة لتأصل هذه القيم فى المجتمع بالفعل ، وبدأ الانحراف فى المجتمعات المادية بجعلهم المنفعة ، «براجعانيزم» هى أساس كل شىء ، فالدين واجب لأنه نافع ، والصدق خير لأنه نافع وارتكاب الشر مرذول لأنه غير نافع وهكذا وانطلقت المجتمعات المادية بعض الوقت بهذا المفهوم وسرعان ما بدأ أفراد هذه المجتمعات لا يكادون يصبحون فى منأى عن تطبيق القانون حتى يفعلوا ما يشاءون ، وأصبح الكذب والنصب والاحتيال والسرقة وحتى القتل نفسه لا شىء عليه متى

حقق نفعا وتحصن من تطبيق القانون، وهذا التطور فى المعسكر المادى الغربى ، حدث مثله فى المجتمع المادى الشرقى ، حيث قيل ان الأخلاق وآداب السلوك هى من مخلفات الماضى وهلوسات البورجوازية ، وان تأصل التربية الاشتراكية فى النفوس كفيل بحسن سير المجتمع ، وكما حدث فى المجتمع المادى الغربى حدث فى المجتمع الشرقى حيث سار فترة على هدى القيم الانسانية السالفة ثم لم يلبث أن أعلن افلاسه على ما قدمنا .

والذى يهمنا أن نسجله هو أن أغلى ما يمتلكه العالم الاسلامى اليوم هو ايمانه بالله والغيب ، وأنه فى كل ما يفعل يرجو ثواب الله ويتقى عقابه، فلا يتصور مسلم أن التقدم منتهى التقدم هو فى محاكاة الغرب المادى أو الشرقى فهما فى طريقهما الى التدهور ، وبقى أن يعلم المسلم أن ما يبهره من مظاهر الحضارة الأوربية سواء فى ذلك شرقها وغربهامن حيث هى نظافة وعمل فليس ذلك من مبتكرات هذه الحضارة ، وانما هى أصول ثابتة لأى مجتمع حضارى وقد سبق الاسلام بذلك كله فقامت العبادات الاسلامية كلها وبالتالى الحضارة الاسلامية كلها على النظافة والنظام والعمل وما ينبغى أن يعود المسلمون اليه فيتفوقوا على العالم المادى .

الأسرة والفضيلة :

ولست أريد أن أدخل فى تفاصيل كل ما أمر به الدين أو نهى عنه فقد قدمت أن هذه مهمة يقوم به سادتنا من رجال الدين والوعظ ، ولكنى أريد أن أركز على موضوع الأسرة ، ابتداء من طاعة الوالدين حتى صلة الأرحام ، ذلك أن الحضارة المادية سواء فى ذلك شرقها أو غربها تقوض دعائم الأسرة بشتى الصور والأشكال ، واذا كان الايمان بالله والغيب هو الركيزة الأولى لقيام الحضارات فان الأسرة القوية المتماسكة المتضامنة هى الركيزة الثانية .

وتنبثق الفضيلة والطهارة وآداب السلوك من العلاقات الأسرية وتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على ضوء

ما أمر به الدين أو نهى عنه ، وجرت عليه الانسانية منذ صاغت مجتمعا متحضرا ولا يتصورون أن اطلاق الغرائز والانهماك فى الجنس ، بدعوى الحرية والتحرر أنه سمة التقدم بل هو آية التدهور والتخلف ذلك أن البشرية لم تخرج الى دور الاستقرار العمرانى والحضارى ، الا بعد أن هديت لهذه المبادىء والأنظمة والقيود ، ومرة أخرى لا يتصور متصور أن اشباع الغرائز ، والتعلق بماديات الحياة والتحرر من كل القيود هى أفكار جديدة وليدة ما وصل اليه العقل البشرى من نضج ورقى ، وانما هى مبادىء قديمة قدم الحضارات الانسانية ومن يطالع أسباب انهيار الحضارة الرومانية منذ ألفين من السنين ، فسيرى نفسه وكأنه يطالع ما يجرى هذه الأيام فى غرب أوربا أو شرقها .

دورة الحضارة :

ومنذ كان الانسان انسانا فقد أدرك أن كل شىء يدور فى هذه الدنيا فالكائن الحى من التراب والى التراب يعود ، والصغير يكبر حتى اذا كبر يعود صغيرا وهكذا ، والحضارة كأى شىء آخر ، تنمو وتعظم ثم تندرس لتنمو فى مكان آخر على نفس الأسس والقواعد وقد تلقت الحضارة الأوربية الأمريكية عناصرها من الحضارة الاسلامية حيث تدهور المجتمع الاسلامى لانسلاخه من هذه العناصر، وتصور الأوربيون أن الأمور قد انتهت اليهم فى النهاية لتبقى الى أبد الآبدين ، وطلع «داروين» بنظرية النشوء والارتقاء وأن الجديد أصلح دائما من القديم لأنه ثمرة التطور والارتقاء ونادى ماركس بمثل ذلك فى الحياة الاجتماعية ووجد الأوربيون فهم فى كلا القولين ما أشبع غرورهم فهم وحدهم الناس ، وها نحن أولاء نرى شمس الحضارة تغيب عن انجلترا لتعود من جديد الى عماية الماضى .

فلا شىء فى الطبيعة يسير دوما للأمام وانما هو فلك دوار ، والحضارة كأى شىء فى هذه الدنيا تدور ، وقد طلعت الحضارة مما

سمى شرقا ـ (الصين ومصر وبابل وفينقيا) ثم سارت فتوسطت العالم القديم ـ » الاغريق والرومان « ثم عادت الى الشرق فى صورة الاسلام هذه المرة لتنتقل بعد ألف من السنين الى غرب أوربا وأمريكا، وهى فى طريقها الآن الى الشرق البعيد مرة أخرى (اليابان والصين) فعلى العرب ، على العالم الاسلامى كله أن يتهيأ من جديد للاضطلاع بدوره الحضارى وما عليه الا أن ينقل آلات الغرب فقط وأن يزداد تمسكا بقيمه الروحية والحضارية الانسانية ، وعلى رأسها كلها الايمان باللهوالغيب وكل ما ينبثق من ذلك من أعمال صالحة وأخلاق وفضيلة ...

احمد حسين

الدم كأداة للشم :

اذا حقن الانسان بمادة ذات رائحة فى احدى الشرايين فانه لا يلبث أن يشعر برائحتها أقوى مما لو شمها بأنفه وذلك لأن الدم يحمل هذه الرائحة الى أعصاب الشم بداخل الأنف .

وتستعمل هذه الطريقة عند اختيار المرضى الذين اختلت حاسة الشم بواسطة الأنف للتحقق مما اذا كان من الممكن علاج هذا الداء ، فاذا تمكنوا من ادراك رائحة هذه الأمصال بواسطة الدم فان ذلك يثبت أن أعصاب الشم بداخل الأنف لأزالت سليمة ولكن لا تصلها الرائحة بالطريق الطبيعى لانتفاخ أو تورم يحول دونها ، ويمكن اعادة حاسة الشم اليهم اذا أزيلت هذه العوائق من الطريق العادى .

(مترجمة عن مجلة (umschau) الألمانية)

طريق النجاة

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودى

هناك سؤال قد أصبح اليوم عقدة مقلقة لكل شخص منكم ولسكان الأرض جميعا ، وهو : ما للأمن والسلام قد طار عن حياتنا نحن البشر ؟ وما للنوازل والكوارث تنزل بنا بين كل يوم وآخر ، وما لحياتنا قد أصبحت علينا وبالا وتكدر علينا صفوها ؟ وما لكل أمة منا تتشابك وتتصادم مع أمة أخرى ؟ وما لكل بلد فى هذا العالم قد أصبح فى صراع عنيف مع بلد آخر ؟ وما للانسان قد تحول ذئبا مفترسا ضاريا للانسان ؟ وما للمئات الآلاف من أفراد البشرية يذهبون ضحايا الحروب ؟ وما للتجارات والصناعات التى تتجاوز قيمتها عشرات الملايين من الجنيهات تتبدد وتذهب هباء منثورا ؟ وما للمدن والقرى نراها تتحول قفارا مع مرور الأيام ؟ وما للأقوياء يأكلون الضعفاء ؟ وما للأغنياء ينهبون الفقراء ويمتصون دماءهم .. أما الحكومة ففيها الظلم ، وأما المحكمة ففيها الحيف وقلة العدالة ، وأما الثورة ففيها البطر والغطرسة ، وأما السلطة ففيها الاستكبار والرعونة ، وأما الصداقة ففيها قلة الوفاء ، وأما الأمانة ففيها الخيانة ، وأما الأخلاق فانها خالية من التجرد والاخلاص قد أصبح الانسان متهما فى نظر الانسان ، وقد ارتدت اللادينية أقنعة الديانة ، وقد توزع بنو آدم الى مالا يحصى من الطوائف ، وكأن كل طائفة منها أصبحت تعتبر من أعمال البر والثواب أن تضر بغيرها من الطوائف عن طريق الخداع والغش والظلم والعدوان والخيانة والغدر وعن أى طريق ممكن آخر فما منشأ كل هذه المفاسد والمساوىء وأين مأتاها ؟ أما مملكة الله ، ففيها - حيثما سرحنا نظرنا - الأمن

والسلام ، فالنجوم فيها الأمن والسلام والهواء فيه الأمن والسلام ، والماء فيه الأمن والسلام ، والأشجار والدواب فيها الأمن والسلام •••• ولكن ما للانسان من بين كل هذه المخلوقات قد أصبحت حياته محرومة من هذه النعمة نعمة الأمن والسلام؟

هذا سؤال عظيم قد استعصى على الناس علاجه ، ولكن بودى أن أجيب عنه عن كامل ثقة وطمأنينة •

« ان الانسان قد قلب حياته وجعلها متنافية مع الحقيقة والواقع ، فهو ـ لأجل هذا ، يعانى ما لا يوصف من المحن والمصاعب ، ولن يجد سبيلا الى الأمن والسلام حتى يجعل حياته متفقة منسجمة مع الحقيقة والواقع » •

ان أحدكم اذا زعم بأن باب القطار الجارى باب من أبواب داره ثم فتحه منه وادعا مطمئنا كما يخرج من أبواب داره الى فنائها ، فان سوء زعمه وفساد فهمه لن يحول باب القطار بابا من أبواب داره أبدا ولن يحول المكان الذى يسقط فيه باحة داره أبدا اذ أن الحقيقة لن تتغير قيد أنملة بزعمه الباطل وفهمه الخاطئ •• ولا بد ، اذا ما خرج من باب القطار الجارى بسرعة متناهية أن تظهر النتيجة الطبيعية المحتومة لهذا الاجراء شاء أو لم يشأ مهما أبى الاعتراف ، ببطلان زعمه حتى بعد تكسر رجليه وتشجج رأسه •

وهكذا تماما ••• اذا زعمتم فى أنفسكم أن هذا العالم لا اله له أو اذا زعمتم آلهة متعددة لأنفسكم أو آمنتم بأحد غير الله الها لأنفسكم ، فان الحقيقة لن تتغير أبدا بزعمكم أو ايمانكم بالباطل ، اذ لابد أن يبقى الله هو الاله الوحيد لهذا العالم ، ولابد أن تبقى كل مملكته هذه التى انما تعيشون فيها رعايا خاضعين لأمره ، فى قبضته هو • غير أن الأسلوب والمنهاج الذى تبنونه لحياتكم من جراء سوء زعمكم وفساد فهمكم هذا ، لابد أن تذوقوا وباله وتواجهوا عاقبته الوخيمة ، ولو أبيتم حتى بعد مكابدتكم المحن والكوارث ، أن تعترفوا ببطلان هذا المنهاج أو الأسلوب لحياتكم •

استحضروا مرة أخرى وجددوا فى أذهانكم ما ذكرت لكم آنفا تعرفوا أن الله ما أصبح الها لهذا العالم لأن أحدا غيره جعله الها لهذا العالم ، وهو فى غنى عن أن تؤمنوا بألوهيته أو تأبوا الايمان به ، فهو الاله الوحيد لهذا العالم آمنتم به أو لم تؤمنوا وألوهيته قائمة بذاتها ، وهو الذى خلقكم وخلق هذا العالم ، وما كل شىء من الأرض والشمس والقمر وسائر الموجودات فى هذا العالم الا خاضع لأمره ، وما كل قوة عاملة فى هذا العالم الا منقادة لسلطانه متبعة لمرضاته ، وما كل شىء تعتمدون عليه فى المحافظة على حياتكم الا فى قبضة قدرته ، بل ليس حتى وجودكم أنتم الا طوع لأمره سائر على مشيئته . وهذا واقع ليس لكم أن تغيروه بحال ، وهو واقع حتى ولو أبيتم الاعتراف به ، وهو واقع حتى ولو أغمضتم عنه أعينكم ، وهو واقع حتى ولو تبنيتم لانفسكم زعما منافيا له تماما ففى كل هذه الصور لا يتغير الواقع قيد شعرة بيد أن كل ما يحصل من الفرق ، فانما هو انكم اذا اعترفتم بهذا الواقع ورضيتم لأنفسكم نفس المكانة التى هى لكم فى هذا الواقع يستقيم أمر حياتكم ، وتلتم الأمن والسلام ، وظفرتم بالسكينة والطمأنينة ، وزال عن حياتكم كل زيغ واعوجاج . واذا رضيتم لأنفسكم بمكانة أخرى متمردين على هذا الواقع ، فلا بد أن تكون عاقبة أمركم عاقبة من زعم باب القطار الجارى بابا من أبواب داره وخطا خطوة الى خارجه ، فأنتم الذين تصابون بالحدث الأليم ، وأنتم الذين تتكسر أرجلكم ، وأنتم الذين تشج رءوسكم على حين أن الواقع لن يتغير أبدا ولن يزال كما هو الآن .

ولكم أن تسألونى الآن : ما هى مكانتنا الحقيقية وفقا لهذا الواقع ؟ فأقول متوخيا الاختصار :

اذا كنت تربى خادما بالانفاق عليه ، فما هى المكانة الحقيقية لهذا الخادم ؟ أهى غير أن يقوم لك بواجب الخدمة ويطيع أمرك ، ولا يعمل عملا الا وفقا لمرضاتك ، ولا يتعدى حدود

الخدمة ؟ أية وظيفة عسى أن تكون للخادم سوى الخدمة ؟ واذا كنت رئيسا فى مكتب وكان لك فى ذلك المكتب مرءوس فما هى مكانة ذلك المرءوس سوى أن يطيعك ولا يزعم لنفسه شركة فى الرئاسة ؟ واذا كنت صاحبا لعقار فماذا تكون مشيئتك فى ذلك العقار ؟ أتكون سوى أن تنفذ فيه ارادتك ولا يقع فيه شىء مهم أو غير مهم لا تريده ؟ واذا فرض ملك من المملوك نفسه على البلاد التى تعيش فيها وكان مستبدا بكل الوسائل والقوى فأية مكانة عسى أن تكون لكم مع وجود ملك كهذا ؟ أتكون سوى أن تقتنع بالمعيشة كرعية من رعاياه ؟ ولا تخرج من طاعة القانون الملكى ؟ واما اذا ادعيت لنفسك حق الملكية وأنت تعيش فى ظل هذا الملك أو اتبعت أمر أحد غيره معترفا له بالملكية ، فلا بد أن تعتبر من البغاة العصاة ولا يخفى عليك المعاملة التى يعامل بها العصاة البغاة • لكم أن تدركوا بهذه الأمثلة على أكمل وجه ما هى مكانتكم الحقيقية فى مملكة الله هذه ؟

ـ هو الذى خلقكم ، فمن الطبيعى أن لا تكون لكم وظيفة سوى أن تتبعوا مرضاة خالقكم •

ـ وهو الذى يربيكم وتنالون الراتب من خزانته ، فلا مكانة لكم سوى أن تكونوا خدمه •

ـ وهو رئيسكم ورئيس كل من فى هذا العالم ، فلا مكانة لكم فى هذه الرئاسة سوى أن تكونوا على كامل طاعة وانقياد •

وما هذه الأرض ولا كل هذه السماوات الا عقاره ، فلا ينفذ ولا ينبغى أن ينفذ فى هذا العقار الا ارادته ، ولا يحل لكم أن تنفذوا فيه ارادتكم ، ولا بد أن تذوقوا وبال أمركم اذا ما هممتم أن تنفذوا فيه ارادتكم •

وما سيادته فى هذه المملكة الا قائمة بقوتها الذاتية ، وما كل ما فى السماوات والأرض من المصالح أو الدوائر الا فى قبضة يده وما أنتم أنفسكم ، طوعا وكرها ، الا رعاياه على كل حال • وليس لكم ولا لأى انسان فى هذا العالم ، عظيما كان أو حقيرا ، مكانة سوى أن يكون من

رعاياه ، وقانونه هو القانون النافذ فى هــذه المملكــة ، وحكمه هو الحكم الجـارى فيهـا ، ولا يحل لأحد من الرعايا أن يطلق على نفسه صـفات لا يجوز اطلاقها الا على الله أو يدعى أنه دكتاتور مستقل بأمره ، ولا يحل لفرد أو مجلس نيابى أو تشريعى أو تأسيسى أن ينفذ فى هذه المملكة قانونه دون قانون الله ويقـول لرعايا الله : اتبعوا قانوننا هذا، ولا يحل لحكومة انسـانية أن تنفـذ فى هـذه المملكة أحكامها مستغنية عن أحكام الله وتقول لعباد الله : اتبعوا أحكامنا هذه ، ولا يحل لبشر أو لطائفة من البشر أن ترضى بأن تكـون رعايا لأحـد من الذين يدعون لأنفسهم السيادة كذبا وزورا بدل أن تكون رعايا لله الملك الحقيقى ، أو أن تعترف بقانون وضعه المشرعون الكـاذبون نابذة قانون الله الملك الحقيقى وراء ظهرها ، أو تتبع أحكام هـذه الحكومات معرضة عن أحكام الله الحاكم الحقيقى .

ان الله آخذ بناصيتكم وناصية كل فرد من أفراد الانســانية ، فله أن يجره اليه متى شاء ولا قبل لأحد فى مملكة السماوات والأرض بأن يفر منها ، وليس بامكانكم اذا هربتم منها أن تأووا الى مكان ، وانكم لو تفرقتم ذرا بعــد تواريكم فى التراب ولو تحولتم رمادا متناثرا فى الفضاء ولـو كنتم غذاء للأسـماك فى البحر بعد القاء أنفسكم فيه ، فان الله لابد أن يجمعكم من كل مكان ، لأن كل شىء من الهواء والأرض والمـاء والأسماك خاضـع لأمره لا قبل له بأن يعصيه بحـال .. لابـد أن تأتـوا جميعـا مأخـوذين من كل حـدب وصـوب باشارة منه ، ثم لابد أن يسألكم فردا فردا : كنتم رعاياى فمن أين جعلتم من حق أنفسكم أن تدعوا السـيادة والحاكمية Soverinty ومن أين جئتم بصـلاحيات لتنفيذ الأحكام فى مملكتى ؟ ومن أنتم حتى تنفذوا فى مملكتى قانـونكم ؟ وكيف رضـيتم لأنفسكم أن تعبدوا غيرى وكنتم من عبادى ؟ ولقد كنتم من خدمى ولكنكم أطعتم أحكام غيرى ، وقد كنتم تنالون الراتب من خزانتى ولكنكم اعتقدتم فى غيرى أولياء رازقين لكم وقد كنتم تعيشـــون فى مملكتى ولكنكـم

رضيتم لأنفسكم بقوانين غيرى واستسلمتم لقيادته ، فكيف جاز لكم هذا البغى والعصيان ؟ .

قولوا لى بالله ياإخوانى!من منكم يملك ما يدفع به هذه التهمة عن نفسه ؟ وأى محام يستطيع أن ينجيكم من بطش الله بحيله ومراوغاته القانونية ؟ وأى شفاعة ترجونها لتسلموا من عقوبة هذه الجريمة : جريمة البغى والعصيان ؟

وليست المسألة هنا مسألة الحق فحسب ولكن هنا مسألة أخرى أيضا ألا وهى : هل من الممكن أن يكون الانسان فى مملكة الله هذه أهلا للسيادة أو التشريع أو الحكم ؟ انكم لتعرفون عن أى جهاز من الأجهزة ، مهما كان حقيرا ، أنه اذا تولى تشغيله رجل جاهل به فانه لابد أن يخربه . وعلى سبيل المثال مروا رجلا لا يعرف فن قيادة السيارة أن يسير لكم السيارة ، فانكم لا تلبثون أن تعرفوا عاقبة هذا الحمق . فتأملوا : اذا كان هذا الحال لجهاز صغير من الحديد يستحيل تشغيله بدون معرفة صحيحة ، فكيف يكون من الممكن بالنسبة للانسان ، وفى كل ناحية فيه ما لا يحصى من العقد والمعضلات ، فكيف يكون من الممكن أن يقوم بتسيير جهاز الانسان المرتبك المتداخل أناس لا يعرفون أنفسهم تماما فضلا عن أن يعرفوا غيرهم ؟ وأمثال هؤلاء المتعالمين من الناس حين ينصبوا أنفسهم لمهمة التشريع ، وأمثال هؤلاء السفهاء حين يستعدون لتسيير دفة الحياة الانسانية فهل تكون عاقبة ذلك مختلفة عن عاقبة تسيير رجل جاهل السيارة أدنى اختلاف ؟ ومن هنا فان البقاع الأرضية التى يطيع سكانها القوانين الوضعية بدل أن يطيعوا قانون الله ، والتى ينفذ فيها بعض الناس أحكامهم مستغنين عن طاعة الله ، ويتبع الآخرون هذه الأحكام ، لا أمن فيها ولا سلام ولا استقرار ولا طمأنية ولاتجرى فيها أجهزة الحياة الانسانية بتوافق وانسجام : تقتل فيها النفوس وتسفك الدماء ويزدهر فيها الظلم والجور والعدوان والنهب والسلب . وقد أصبح فيها الانسان يمتص دم أخيه الانسان وتدهورت فيها الأخلاق وقد أفضى بها الأمر الى أن القوى التى كان وهبها الله للانسان ، عادت

تتصرف في ما يرجع على الانسان بالشقاء والدمار والهلاك بدل أن تتصرف فى ما يرجع عليه بالسعادة والأمن والرفاهية . فدار العقاب هذه التى قد أعدها الانسان لنفسه بنفسه فى هذه الدنيا ، ليس لها من سبب سوى أن الانسان عبثا حاول أن يتولى تسيير جهاز لا علم له بتركيب أجزائه ، ان هذا الجهاز لا يعرف أسراره الا الذى قد صنعه ، وهو يعرف طبيعته وهو الذى يعرف كيف يمكن أن يسير بتوافق وانسجام . أما الآن فان كف الانسان نفسه عن ارتكاب هذه الحماقة والتزم باتباع القانون الذى قد شرعه الذى صنع هذا الجهاز ، فعسى أن يصلح من جديد ماقد فسد حتى الآن ، والا فلا علاج لما هو فيه الآن من المصائب والمهالك ومهاوى الشقاء والخسران وأسباب الويل والثبور .

ابو الأعلى المودودى

خطب سعيد بن شريك بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ان الأسلام حائط منيع ، وباب وثيق .

فحائط الاسلام : الحق ، وبابه العدل . ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ؛ وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .



هجا أبو الهول الحميرى الفضل بن يحى ثم أتاه راغبا اليه ، فقال له الفضل : ويلك : بأى وجه تلقانى ؟ ! قال : بالوجه الذى ألقى به ربى وذنوبى اليه أكثر ، فضحك ووصله.

القائد الأعظم "محمد على جناح"

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبى

محمد على جناح والد باكستان هو أبوها الذى ولدها ، ومات وهى طفلة لم تسلخ من العمر غير عام واحد ولباكستان قبل محمد على جناح أعمام وأجداد، لسنا بصدد التعرض لذكرهم والحديث عنهم ، وان كان كل واحد منهم يستحق الذكر العاطر وطول الحديث .

ولد محمد على جناح فى الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦م وهو من أسرة ترجع الى أصل برهمى ، ولكنها تحولت الى الاسلام قبل أن يولد هذا الزعيم بثلاثة أجيال ولعل جد أبيه أو ربما جد جده هو أول من اعتنق الاسلام من أسرته فاعتنقه أبناؤه وحفدته من بعده (١) .

وليست كلمة جناح هى لقب الأسرة الأصلى ، ولا هى اللفظ الذى يسمى به فى غير اللغة العربية ، ولكن هذا الاسم يبدأ بجده والد أبيه فقط فقد كان نحيف الجسد معروفا كما يقول الانجليز gount ـ ويقابل هذه الكلمة فى اللغة الكوجراتية ، (كلمة «) جنه « jenneh فأطلق الناس عليه هذا الاسم ، وتسمى به أبناؤه وحفدته ، وفى اللغة العربية طوعت الكلمة الى جناح ـ كما طوعت كلمات كثيرة فى القديم والحديث .

وكان أبوه يسمى ، بونجا جنه ، وهو الابن الثانى لأبيه .

وكان محمد على الابن الثانى أيضا لأبيه .

(١) ومذهبهم الاسلامى هو المذهب الشيعى الاسماعيلى النزارى .

كانت أسرته تحترف تجارة الجلود ، وتصديرها ، وكان لهم شركة كبيرة ذات فروع فى بلدان الهند ، وكان أبوه مديرا لأحد فروعها فى كراتشى منذ سنة ١٨٦٢ وفيها ولد له هذا الابن الزعيم .

تلقى محمد على دراسته الأولى فى أحد مكاتب كراتشى ، ثم انتقل الى بومبى ليتعلم فى مدرسة ابتدائية وفيها أيضا تلقى تعليمه الثانوى فى مدرسة تتبع الجماعة الاسلامية ، ثم عاد الى كراتشى فدخل مدرسة السند العالية ـ وهى مدرسة تعادل مايسميه الانجليز high school or grammer school ومنها حصل على الشهادة التى تؤهلة لدخول الجامعات (١) ، وكانت نية أبيه أن يكتفى بتعليمه دون هذه المرحلة كى يعمل معه فى أعمال التجارة ، ولكن أحد الانجليز كان فى زيارته فلاحظ ما عليه التلميذ من نجابة وذكاء واقترح على الوالد أن يبعث به الى احدى جامعات أمريكا ، ولكن والده أرسله الى انجلترا ليدرس القانون فقضى هناك أربعة أعوام تعلم خلالها من الجامعة ومن غير الجامعة .

عرف عن محمد على منذ طفولته أنه كان شغوفا بالقراءة وكان وهو دون العاشرة يسهر الليل فى قراءته، فلما كان فى انجلترا كان يقضى معظم أوقاته فى مكتبة المتحف البريطانى بين المراجع القديمة والبحوث الحديثة ، والى جانب هذه الدراسة القائمة على الاطلاع والتنقيب اشترك فى جمعية تحمل اسم شاعر انجلترا العظيم شيكسبير كانت تقرأ رواياته وتدرسها وتمثلها ، وقد مارس هذه الدراسة ومثل بعض الشخصيات واستفاد من ذلك جودة الالقاء وحسن الخطابة حتى كان يتكلم فى البرلمان وبين الناس فينسى نفسه وهو يضغط على مخارج الحروف ويجود نبرات صوته فيؤثر على مستمعيه من الشعب ورجال القضاء والحكومة ، وكان خصومه يسمونه الممثل ، ولكن ذلك لم يكن يغيظه ولا يأنف منه لأنه يدل على معزته .

---

(١) حصل عليها من معهد البعثة الكنسية المسيحية سنة ١٨٩٤ م .

وأول مشاركة له في الأعمال الوطنية هو اشتراكه مع زملائه الطلبة في ترشيح - « دادا بهاى ناروجى » - نائبا لأحدى الدوائر البرلمانية بالهند وكان - « دادا » - هو المشرف على الطلبة الهنود المبعوثين فى الهند وقد أعجبهم تصرفه وسلوكه ، فطلبوا ترشيحه ، ولكن لورد « سلسبورى » احتقر الشيخ الهندى وقال انه من السود الملونين ، وكان دادا ذا بشرة بيضاء ناصعة البياض ، وهاجت هذه الكلمة سخط محمد على جناح النفسى اذ رأى أن سلسبورى فرض عليهم المهانة وفرض عليهم السواد حتى ولو كانوا بيضا ، وثارت فى هذه الأيام قضية أيرلاند وطلب أبناؤها الاستقلال الذاتى ، وكانت فى ذلك الوقت أمرا كبيرا فى نظر رجال السياسة البريطانية ، وحاربها المحافظون وكثيرون من الأحرار ، ولكن « جلادستون » من بين رجال السياسة البريطانية ناصر هذه القضية ، وكان من خصوم سلسبورى ، فزاد اعجاب جناح به ، وأحب خطبه وحججه ، واتخذ من موقفه فيما بعد - حججا له فى قيام باكستان ، لأن (الأير لندين) نجحوا أخيرا فى مسعاهم ، وجزيرة أيرلاند بقعة صغيرة واتسعت فى سياسة الانجليز الى حكومتين فأحرى بشبه القارة الهندية أن تسع حكومتين •

وعاد الى وطنه بعد أربعة أعوام قضاها فى انجلترا حصل فيها على شهادة جامعية ودرس القانون ، ولكنه الى جانب القانون - وهذه موهبته الخاصة - كان قد قرأ كثيرا من الأدب وتعشقه كما قرأ التاريخ وأطال التأمل فى مواقفه السياسية وهو اختط لنفسه خطة كان ينصح بها طلاب الهند بعد كبره وشهرته - وهى أنه لا يجمل بالطالب أن يزج بنفسه فى المشاكل الكبرى تعجلا للشهرة أو انقيادا للعاطفة ، ولكن عليه أن يستكمل دراسته باتقان وأن يكون نفسه علميا قبل أن يخوض المشاكل بدون درس واع وفهم عميق •

اشتغل جناح بعد عودته الى بلده بالمحاماة والشئون السياسية ، وأحرز فى كل منهما حظا يرفعه الى مكانة الزعامة ، وقضى على ذلك نحو عشرين عاما يهتم بشئون بلاده ، وأخصها

شئون المسلمين ، وناهز الأربعين أو تجاوزها وهو لما يتزوج هل كان ذلك لعدم العثور على الزوجة المناسبة أم أن الموضوع نفسه لم ينل من تفكيره مكانا ؟

قد يكون ذلك لأحد الأمرين أولهما معا • وفى سنة ١٩١٦ كانت جلسات العصبة الاسلامية وحزب المؤتمر فأخذ مكانا مرموقا فى الهند ، وكان محمد على جناح يدير هذه الجلسات ، ويوجه حوارها ويجيب على أسئلتها ، وكان السير «دتشا بتيت « من أكبر أغنياء الفرس يقيم فى بمبى وله بها وفى غيرها أعمال تجارية وكان يشارك فى تيارات الهند الفكرية والسياسية وكان يحضر هذه الجلسات ومعه ابنته الذكية الجميلة « (رتن بتيت) » فأعجبت بمحمد على جناح ذكاء وبلاغة ونبلا ، الى جانب سمعته ورجولته وكانت دون العشرين من عمرها فرغبت فى الزواج منه ، وشجعتها تربيتها الأوربية أن تفاتحه فى هذا الطلب ، فراجعها طويلا ، ولكنها كانت على صغر سنها — ذكية عميقة التفكير ذكرت له أنها تقدر غضبة أهلها عليها لأنها تدين بالديانة الزرادشتية، وعيشها معه سيحرمها عيشة والدها الرافهة الثرية ثم يحرمها بعد من ميراثها منه وتم الزواج ، وشكا والدها الى المحكمة ولكن المحكمة رأت أن الفتاة تجاوزت السادسة عشر فهى فى حل من أمرها وأرادوا احراج الرجل بالكلمات الجارحة ليتخلى عن هذا الزواج • • فقالوا : انك تطمع فى ثرائها وتخدعها لجمالها • ولكن الفتاة أعلنت أنها هى التى طلبت الزواج منه ، وأنها تتنازل عن كل ما لها عند أبيها ، ثم زادت فأعلنت أنها أصبحت مسلمة ، ولكن عيشة الزوجين السعيدين لم تطل أكثر من عشرة أعوام ، دهم الموت بعدها الزوجة الوفية المثقفة فماتت وهى دون الثلاثين (٣٠) سنة ١٩٢٩ وتركت طفلة فى الخامسة من عمرها أو دون ذلك بشهور •

المدرسة الوطنية فى الهند :

محمد على جناح فرع من فروع شجرة كبيرة ،أو عضو بارز من أعضاء أسرة عديدة الأعضاء ، كانت تعمل كلها لاستخلاص الهند من أيدى المستعمر الانجليزى أولا ولاستنقاذ

مسلمى الهند مما يعانونه من ضغط وارهاق سواء من المستعمرين أو الطوائف الدينية الأخرى .

وأبرز أعضاء هذه الأسرة قبله هو السيد أحمد بهادر خان الذى عاش بين عامى (١٨١٧ ، ١٨٩٨) فقد كان مصلحا كبيرا ، وكان يرى اصلاح الهند والهنود والنهوض بها يأتى عن طريق التربية السليمة والثقافة العميقة ،وهو يعتبر بداية المدرسة لأمر الزعماء الذين قبله كانوا ينشدون دائما مشادة الانجليز والاشتباك معهم، ويرون أن فى هذه المضايقات المستمرة مايزعزع كيانهم ويعجل بخروجهم. أما أحمد خان فكان يرى مهادنة الانجليز ، ويرى أن استعمارهم للهند ولغير الهند انما هو نتيجة تفوقهم العلمى والصناعى ، وتربيتهم السليمة ، ولو كانت الشعوب التى استعمروها تكافئهم فى علمهم ومقدرتهم العقلية ما استطاعوا أن يحتلوها ، لهذا كان ينشد بداية الكفاح من تربية الشعب أولا .

وقياما بهذا المنهج أنشأ جمعيات وأصدر صحفا ، ولما سافر الى انجلترا قابل الكاتب الانجليزى كارلايل ،وحدثه عن الاسلام وشرح له كثيرا من جوانبه الاصلاحية ويقال أن الفصل القيم الذى كتبه كارلايل الأبطال وعبادة الأبطال قد يكون راجعا الى المعلومات التى استقاها من السيد أحمد خان ، أو لتأثره بحديثه عن الاسلام .

وجاء بعد السيد أحمد خان ــ سيد أمير على ــ وهو حلقة وسط بين أحمد خان ومحمد على جناح ، وقد لاقى كل منهما، وكان أجرأ من أحمد خان وأكثر ايجابية ، فهو لا يرى أن الاصلاح يكون عن طريق التربية وحدها بل لابد من الجانب العملى ولابد من المشاركة فى التيارات السياسية ، وكان أمير على يرى أن اصلاح المسلمين فى الهند لا ينبع عن الاسلام نفسه ، وجهله ما شاهده من اصطدام الطوائف الدينية من هندوك ، وصينين ، وبوذيين ، ووردسينين ، وشيعة ، وسنيين . . الخ حمله كل ذلك الى

الدعوة الى التسامح من ناحية والى شرح مبادىء الاسلام من وجهة نظره هو من ناحية أخرى وقد أخرج فى ذلك كتبا تعتبر من أرقى وأعلى الأساليب فى اللغة الانجليزية. وأهمها كتابه « روح الاسلام » ، « وكتابه « تاريخ العرب » ولكلا الكتابين أثر كبير فى الفكر الانجليزى وتصوير الاسلام بصورة أدنى الى حقيقته ، وأخذ على أحمد خان أنه قال : ان القرآن أوحى الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمعنى لاباللفظ ، وأخذ على أمير على أنه قال : ان الاسلام لا يقر الا زوجة واحدة ولايبيح التعدد ، ويبدو أن كل ذلك راجع لعدم مقدرة الرجلين الكافية على فهم اسرار اللغة العربية، ولتأثر أمير على بحياة الانجليز، ولعله من هذا التأثر المفيد أنه طالب بتعليم البنات ونادى بترقية المرأة الهندية .

وجاء محمد على جناح حين كانت الهند قد قطعت شوطا ، ورأى أنه لا داعى لضياع الوقت ، وأنه من خير المسلمين وغير المسلمين أن يكون للمسلمين دولة على حدة .

محاربة الاسلام :

اشتعلت فى الهند سنة ١٨٥٧ ثورة عارمة قتل فيها كثير من جنودهم وخربت منشآتهم وقطعت السكك الحديدية وهكذا : ولم يكن كثير من زعماء الهند راضيا عنها ولكن الانجليز وهم يبحثون أسبابها ونتائجها ركزوا كل شىء على الاسلام .

قام على آثار هذه الثورة انشاء المؤتمر الوطنى والتمثيل النيابى فيه ورأى الانجليز ابعاد المسلمين منه نهائيا ، والمسلمون يومئذ قلة لا يستطيعون القيام وحدهم بثورات وكان من المسلمين من يتولى الوظائف الكبيرة فأبعدهم الانجليز عنها ، أما الوظائف الصغيرة فأكثروا فيها من البوذيين والبراهمة والهندوك وجعلوهم يضايقون المسلمين .

وفى سنة ١٩٠٦ أنشئت جمعية العصبة الاسلامية كصدى لتجاوب الشكوى وأنين المسلمين مما يتحيفهم من ظلم ، وكانت دعوة غاندى قد حامت حولها الشبهة أنها تتعصب

للبوذيين وأن موقفه من المسلمين لا يختلف عن مواقف الأوروبيين منهم، وكانت الهند مرآة لتجاوب الاصداء الاسلامية ، من حركة وهابية أو فرائضية أو مناداة بعموم الخلافة فزادت هذه المسلمين خلافا واضعافا ، وجرأت عليهم خصومهم من الأوروبيين ومن الطوائف الدينية الأخرى •

ازاء هذا الموقف الحائر وارتباك الناس بين مناد بوحدة الطوائف الهندية ومناد بانفصال المسلمين وحدهم تطلع الناس الى شخصية حازمة تجمع هذا الشتات فى الرأى ولعل الشاعر محمد اقبال كان أشد الناس وأسبقهم تأثرا بمحمد على جناح ليكون الربان الذى يقبض على سكان السفينة فى تلك الظروف •

حتمية الانفصال :

سئم المسلمون جميعا من الدعوة الى الوحدة، وأقنعتهم التجارب العديدة أنهم لابد أن تكون لهم دولة مستقلة

وكان محمد على جناح بعد أن رأى أعمال بهادرخان ، وسميه أحمدخان، وأمير على وغيرهم قد اتجه الى هذا الرأى ، وظلت السنون تقنع الناس باتباعه •

وكان تعصب البراهمة وقداستهم الحيوانات مما يثير المشاكل بينهم وبين المسلمين وقد كان من عاداتهم أن الرجل اذا مات أحرق واحرقت معه زوجه ، ولما ألغى ذلك بقرار سنة ١٨٢٩ تذمر البراهمة وقاموا بثورات وهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وأن الحيوانات العديدة بها أرواح آدميين، وكل ذلك لا يقره المسلمون فكيف يمكن أن تندمج الطائفتان •

وكان محمد على جناح لايعجبه طريقة غاندى ويرى أنها سلبية فالمغزل والشاة لا أثر لهما ازاء المصنع الانجليزى ، وبدلا من غزل ثوب بالمغزل يعد مصنع صغير ينمو مع الأيام •

لهذا دعا محمد على جناح الى استقلال باكستان ، ودعا الشباب المسلم الى التسلح بالعلم والأخلاق والفضائل الاسلامية أولا ، ومن هذه الوجهة

تلاقى المصلحين السابقين لكن حركته كانت أسرع وأجدى .

وأهم ماساعده على نجاحه والتفاف الناس حوله هو صراحته وصدقه

ثم اخلاصه كل الاخلاص لوطنه ولدعوته . ثم كانت آراؤه ومواقفه البرلمانية وأعماله فى المحاماة قد كونت له سمعة وثبتت شخصيته فى نفوس الشعب كله مسلمين وغير مسلمين .

وولدت باكستان سنة ١٩٤٧ ، ولكنها بحكم حدودها الجغرافية تعتبر وليدة منذ الأبد وكما قال أول قائد ورئيس لها . « ان قيامها وسيلة وليس غاية وان قيامها بداية عمل لانهاية عمل » .

وأغرق الرجل المخلص نفسه فى تنفيذ برامجه ومناهجه ، وكان قد ناهز السبعين أو جاوزها . وبعد قيام باكستان بعام واحد كان الرجل النحيل الشيخ فى (باوخستان) فأثقله مرضه فعادت به طائرة الى بلده بعيد الغروب وكانت روحه أيضا على وشك الغروب وفى الساعة العاشرة أو نحوها صعدت روح القائد العظيم الى بارئها وبقى جثمانه النحيل على فراشه .

وتوافد الشعب الباكستانى فى طوابير منظمة ، يملى عليها الخشوع والاجلال خفوت الصوت وترتيب الخطى لتلقى النظرة الأخيرة على جثمان زعيمها وبانيها ، ولكن هذا الخفوت كان يقطعه النشيج المتوالى والعبرات المنهلة ، والزفرات المكبوتة

ومات محمد على جناح وبقيت مبادئه وأخلاقه ونصائحه .

وها نحن الآن بعد مائة عام من ميلاده نحتفى به ـ نحتفى بجهاده وسيرته وأعماله ، وهكذا سجل العظماء يحوى من يحيون بعد الممات ومن تظل له أعماله تستفيد منها الأجيال وليست نهايتهم الا نهاية أجساد . ولا نهاية لمبادئهم وسيرتهم .

الدكتور عبد الجليل شلبى

الخوانك والتكايا والرباطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق معنى الخوانك والرباطات والتكايا والزوايا وأن الخوانك عرفت في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وأنه قد بطل استعمال هذا اللفظ منذ الفتح العثمانى واستعمل بدله لفظ التكايا وهى تؤدى نفس الوظيفة .

وكانت الخوانك مظهرا من مظاهر البر الدائم والصدقة الجارية يتولى منشؤوها بالأوقاف سنيها برعاية عدد من المنقطعين لعبادة الله تعالى رعاية كاملة شاملة كل حاجات معيشتهم من مأكل وملبس ومشرب حتى الصابون لغسيل ملابسهم . والمزين لقص شعورهم والأدوية لعلاجهم وغير ذلك مما سنراه في سياق البحث باذن الله .

ولا يزال اسم الخانكة باقيا لقرية بهذا الاسم فى محافظة القليوبية جنوبى أبى زعبل بحوالى كيلو متر وشمال شرقى سرياقوس بحوالى كيلو متر ونصف وهذا الاسم نسبة الى خانكاه سرياقوس التى أنشأها الناصر محمد ابن قلاوون وهى من أعظم الخوانك ولكنها ليست من موضوع هذا البحث فهو قاصر على الخوانك فى القاهرة .

وذكر المقريزى فى الخطط ٢٢ خانكاه سرياقوس المذكورة و١٨ رباطا بالقاهرة والفسطاط والقرافة و٢٥ زاوية وذكر على باشا مبارك ٢٠ تكية وما يقرب من مائتى زاوية . وبعض التكايا والزوايا التى ذكرها على مبارك من ضمن ماذكره المقريزى ونحن

نقصر البحث فى هذا المقال باذن الله على الخوانك والرباطات بحى الجمالية أما الزوايا فلن نذكر منها الا ماكان أصلا خانكاه أورباطا ، وقد نستطرد لتفسير بعض الأسماء التاريخية للجاورات المحيطة بها •

وقد ذكر المقريزى فى هذا الحى خمس خوانك ورباط وذكر على مبارك تكيتين قال عن احداهما آنها احدى المدارس التى ذكرها المقريزى•فنحن نقصر هذا المقال على الثمانية المذكورة•

١ ـ خانقاه سعيد السعداء :

هى أقدم الخوانك فى القاهرة أنشأها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) • وكانت تعرف بالخانكة الصلاحية وبدويرة الصوفية

واسم سعيد السعداء نسبة الى أن موقعها كان دار القنبر أو عنبر أو بيان الملقب بسعيد السعداء عتيق المستنصر بالله الفاطمى وأحد الأستاذين المحنكين بالقصر وقتل سنة ٥٤٤هـ •

وموقعها الآن بشارع الجمالية بالقرب من الثقافة بشارع التمبكشية (راجع الخريطة) •

واسم التمبكشية نسبة الى أنه كانت هناك تجارة للطباق الذى يدخن فى النرجيلة (الشيشة) والشبك والعامة يسمونه التمباك أو التونباك • ويؤيد هذا أنه بالقرب من مدرسة وجامع الجمالى أى جمال الدين يوسف الاستادار (قتل سنة ٨١٢ هـ) وكالة اسمها وكالة الدخان لمبيع الدخان • وهذه الوكالة من انشاء الأشرف برسباى سنة ٨٢٥هـ •

أما اسم الجمالية فهناك رأيان • أحدهما أنه نسبة لأمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى والذى حرفت العامة اسمه بشارع مرجوش والرأى الثانى أنه نسبة الى جمال الدين يوسف الأستادار المذكور •

وكانت دار سعيد السعداء مقابل دار الوزارة فلما استوزر رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنها وفتح اليها من دار الوزارة سردابا تحت الأرض يصلها بها •

وظل هذا السرداب موجودا حتى عهد المقريزى وقال آنه يقال ان به

حية عظيمة . وحدد موقعه وهذا الموقع الآن برأس حارة الميضة . أو بالقرب منها، جنوبى مدرسة الجمالية التى أصلها جامع ومدرسة قراسنقر.

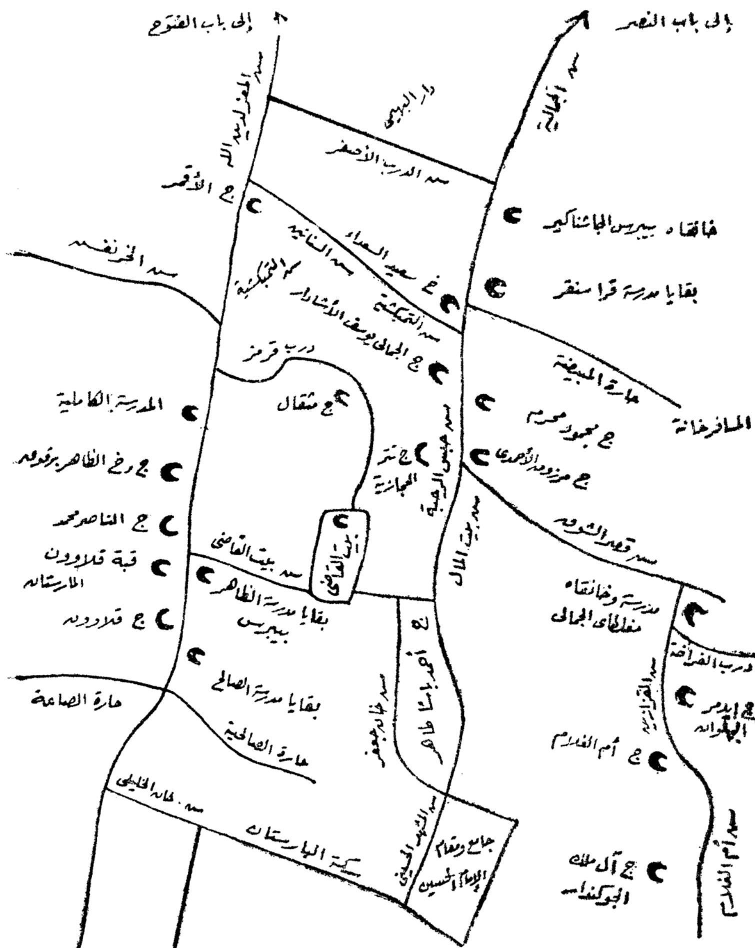
وبعد رزيك المذكور سكن دار سعيد السعداء الوزير شاور السعدى ثم ابنه الكامل، حتى استولى صلاح الدين على الحكم وقضى على الفاطميين جعلها خانكاه برسم (الفقراء الصوفية والواردين فى البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فان لم يوجدوا كانت للفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد) . وأوقف عليها أوقافا عديدة، وعين لها شيخا ورتب لكل من الصوفية كل يوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال . وثلث رطل لحم فى مرق . ويعمل لهم الحلوى كل شهر ، ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كل منهم سنويا أربعين درهما للكسوة وكان عدد الفقراء بها ٣٠٠ صوفى

وتولى مشيختها . كبار العلماء المعدودين . وكان شيخها يلقب بشيخ الشيوخ . وظل هذا اللقب قاصرا على شيخ هذه الخانكاه حتى أنشأ الناصر محمد بن قلاوون خانكاه سرياقوس المذكورة . فلقب شيخها بشيخ الشيوخ فأصبح هذا اللقب يطلق على كل شيخ لأى خانكاه .

وكان صوفية هذه الخانكاه يخرجون جميعا لصلاة الجمعة فى الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم عند باب النصر فى هيئة مهيبة . وكان الناس يقدمون من الفسطاط وأنحاء المدينة لرؤية هذا الموكب من الصوفية كى تحصل لهم البركة والخير - بمشاهدتهم . وكان يتقدم الموكب شيخ الخانكاه وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة فى سكون وخفر حتى الجامع الحاكمى فيدخلون ويصلون تحية المسجد وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرأون القرآن فى خشوع حتى يؤذن المؤذنون فتؤخذ الأجزاء منهم ويشتغلون فى الانصات للخطبة وبعد الصلاة يرفع قارىء منهم صوته بتلاوة ماتيسر من القرآن . ثم يقوم شيخ الخانكاه فيدعو للسلطان صلاح الدين ولواقف هذا المسجد وسائر المسلمين ثم يعودون الى الخانكاه .

رسم كروكى

يبين الخوانك وبعض الآثار التاريخية بحى الجمالية



وظل حال الخانكاه مزدهرا حتى حصل شغب فى نظارة أوقافها بسبب عجز الموارد عن النفقات فتولى نظارتها (أى نظارة أوقافها وهذا غير المشيخة) (يلبغا السالمى) سنة ٧٩٧هـ • فاستعرض صوفيتها الموجودين بها فقطع مرتبات من كان مشهورا بالمال وزاد المنقطعين من الفقراء • فقطع نحو الستين رجلا فقام أحدهم بالاعتراض على يلبغا واتهمه بالكفر • فعذر وضرب وحبس وتحامل السالمى فأمر صوفيتها بالصلاة فى الجامع الأقمر وهو على رأس حارة السفانين امتداد شارع التمبكشية وكان قد جدده وأبطل صلاتهم بالجامع الأنور فلزموا ذلك حتى انتهت أيام يلبغا فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمر وأيضا لم يعودوا للاجتماع بالجامع الحاكمى •

ولم تكن للخانكاه عند انشائها مئذنة • ولم تبن لها مئذنة الا بعد سنة ٧٨٠هـ •

ونقل على باشا مبارك عن السخاوى (فى الضوء اللامع من أعيان القرن التاسع) أن الأميرتغرى بردى أجرى تجديدات عديدة فى هذه الخانكاه أو الجامع (توفى سنة ٨٤٦هـ) كما نقل أيضا أنه مدفون بساحتها ١٤ رجلا من الصوفية الأتقياء ذاكرا تراجمهم ومؤلفاتهم وبعض كراماتهم (الخطط التوفيقية حـ ٤ ص ١٠٢) وكانوا يتبركون بالدفن هناك • وأخبرنى أحد الموجودين بها الآن أن عدد المدفونين ٤٣ صوفيا ولعلها مبالغة •

وكما شهدت هذه الخانكاه عزا ومجدا فقد أصابها من الدمار ماتأسى له النفس • فقد تهدمت مبانيها وتحولت الى أنقاض • وعلت قبور هؤلاء الصالحين أنقاض وأتربة يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار • وتبرع أخيرا الاتحاد الاشتراكى فاسكن فيما بقى من قاعاتها بعض العائلات الفقيرة فزادوها خرابا على خراب •

ولا يزال على بابها يافطة مكتوب عليها جامع سعيد السعداء وهذه للذكرى • فليس هناك جامع بالمعنى المعروف •

٢ ـ خانقاه المظفر ركن الدين بيبرس الجاشناكير :

بشارع الجمالية على يمين المتجه الى باب النصر بعد خانكاه سعيد السعداء بقليل (راجع الخريطة) • وكان موقعها من ضمن دار الوزارة الكبرى فى عهد الفاطميين •

وقال المقريزى عنها : انها أجل خانكاه بالقاهرة شأنها وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة • وقال ان منشئها السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشناكير أنشأ بجوارها رباطا وكانت مساحة الخانكاه والرباط والقبة نحو فدان وثلث • وكان بالخانكاه ٤٠٠ صوفى وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت • وقال عن بنيانها ان ما يدل على متانته واحكام صنعته انها لم يلزمها أى ترميم لغاية وقته (المقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ) •

وقد بدأ المظفر بيبرس الجاشناكير فى انشاء الخانكاه والرباط سنة ٧٠٦ قبل أن يتولى السلطنة • وأتمها أثناء سلطنته التى لم تطل (من ذى الحجة سنة ٧٠٨ الى رمضان سنة ٧٠٩) بعد السلطنة الثانية للناصر محمد بن قلاوون •

والجاشناكير كانت احدى الوظائف الكبرى فى دولة السلاطين المماليك • واللفظ مركب من كلمتين أعجميتين جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى • وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفا من أن يكون مسموما (صبح الأعشى للقلقشندى) •

ومما يذكر عن هذه الخانكاه أنه كان بالقبة التى بها قبر منشئها ثلاثة شبابيك على الشارع • ومن جملتها شباك كان يجلس فيه الخليفة العباسى ببغداد • ففى خلافة المستنصر بالله الفاطمى فى مصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ) أمكن للبساسيرى وزير القائم بأمر الله العباسى التسلط على الحكم وخطب بالجمعة أربعين أسبوعا للمستنصر الفاطمى فى بغداد • وأرسل البساسيرى للمستنصر هذا الشباك وعمامة القائم بأمر الله فجعل المستنصر هذا الشباك بدار الوزارة • فلما أنشأ بيبرس هذه الخانكاه جعله

فيها ، ثم بدا لأحد نظارها ازالة هذه الشبابيك الثلاثة وجعل موضعها حوانيت من أجل الريع •

وذكر ابن اياس فى حوادث سنة ٧٠٥ أن بيبرس صرف ١٧٠٠ دينار على نسخ ختمة مكتوبة بماء الذهب فى سبعة أجزاء فى ورق قطع البغدادى بقلم الشعر برسم هذه الخانكاه فكانت هذه الختمة من محاسن الزمان وأودعها بها •

ورتب بيبرس للمقيمين بالخانكاه والرباط الرواتب اليومية من الخبز واللحم والحلوى • وجعل فيها مطبخا لذلك • ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرس وعنده عدة من المحدثين • ورتب فى الشباك الكبير المذكور القراء يتناوبون قراءة القرآن فيه ليلا ونهارا • وأوقف الأوقاف العديدة لذلك • بدمشق والقاهرة والجيزة والصعيد والوجه البحرى وعقارات بالقاهرة •

ولما عاد الناصر محمد بن قلاوون للحكم فى سلطنته الثالثة هرب بيبرس الى الصعيد • ثم حاول السفر للخارج فقبض عليه عند غزة وحمل الى الناصر فوبخه وعنفه وأمر بحبسه فى مكان بالقلعة •

وتوفى بيبرس فى نفس الليلة ١٥ ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ فدفن بتربة الفارس أقطاى • ثم نقل الى تربة كان بناها لنفسه بسفح المقطم • ثم بعد مدة طويلة نقل مرة ثالثة الى قبته بهذه الخانكاه • وذكر المقريزى أنه أدرك شيخا من صوفيتها أخبر أنه حضر نقل بيبرس من تربته القرافة الى الخانكاه • وأنه تولى وضعه فى مدفنه بنفسه •

ومحا الناصر اسم ركن الدين بيبرس من الطراز الذى بظاهر الخانكاه فوق الشبابيك وعطلها نحو ١٧ سنة • ثم أعيد فتحها سنة ٧٢٦ وأعيدت لها أوقافها ورواتب صوفيتها •

وفى سنة ٧٧٦ فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد حصل شراقى لبعض أراضى أوقافها • فعطل مطبخها وبقى راتب الخبز مع مبلغ سبعة دراهم شهريا بدل اللحم والحلوى • زيدت فيما بعد الى عشرة دراهم • وفى سنة ٧٩٦ شرقت

الأراضى ثانية فأبطل الخبز أيضا واستبدل بفلوس •

وهـذه الخانكاه حاليـا فى حالة لا بأس بهـا أرضيتها من الرخام • وبدائر صحنها أماكن الخلوة للصوفية • وقد عددت بهـا عشرة أبواب • والخلوة عبارة عن غرفة صغيرة جدالاتزيد عن ٢ × ٢ متر• كما أن الخانكاه من ثلاثـة أدوار وتقل كثيرا فى مساحتها عما ذكره المقريزى • ولعل المساكن زحفت على الرباط الذى كان بجوارهـا •

وأصبحت الخانكاه مجرد جامع مثل باقى الخوانك •

٣ ـ الخانكاه الظاهـرية أو جامـع الظاهر برقوق •

موقعها بين القصرين بشارع المعز لدين الله • جنـوبى المدرسة الكاملية • وشمال جامع ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون • وذكرها على مبارك ضمن المدارس باسم المدرسة البرقوقية • وذكرها المقريزى بين الخوانك وقال انه تكلم عنها بين الجوامع • ولكنه لم يذكرهـا هناك •

هذه الخانكاه بدأ فى انشائها الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق سنة ٧٨٣ هـ وانتهى منها سنة ٧٨٦ • وبرقوق حكم من سنة ٧٨٤ ـ سنة ٨٠١ هـ • وعزل سنة ٧٩١ ولكنه تمكن من العودة للحكم سنة ٧٩٢ • ويعتبر أول السلاطين البرجية أو الشراكسة • وقيل أنه لقب بالظاهر لأنه بويع بالسلطنة بعد صلاة الظهر ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٧٨٨ عن هذه المدرسة: أن حجارتهـا كانت تقطع من الجبل وتسحبها الأبقار بعد وضعها على عجل وهى التى يسمونها الحجارة العجالى •

وفى هـذا الخبر ما يفسر البيتين الآتيين عن هذه المدرسة :

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة
فاقت على ارم بسـرعة العمـل

يكفى الخليلى أن جاءت لخدمته
صم الجبال بهـا تمشى على عجل

وهى من أجل الخوانك أو المدارس بنيانا وأجملها زخرفة . تصعد اليها من الشارع بعدة درجات . ثم تدخل فى طرقة ملتوية تؤدى الى الصحن . الذى به فسقية من رخام محملة على ثمانية عمد من رخام . وأرضية الصحن من رخام ذى ألوان متعددة وبأشكال هندسية مختلفة .

وعلى يمين الداخل الى الصحن ايوان القبلة به دكة المبلغ من رخام محملة على ثمانية عمد من رخام . ودكة القارىء من خشب مطعم بالعاج . والمنبر من عهد منشئه بكتابة عليه أنشأ هذا المنبر الظاهر برقوق أبو سعيد عز نصره . وسقف هذا الايوان محمول على أربعة عمدضخمةمن الحجرقطرالواحد منها متر تقريبا . والقبلة من رخام عليها قبيبة محملة علىأربعة عمد من رخام . والسقف به نقوش عربية فى غاية الابداع وتحته ازار به آيات قرآنية بالذهب واللازورد .

وفوق حائط القبلة أربعة شبابيك من الحديد المشغول والزجاج الملون مكتوب بها اسم منشئها وألقابه . بالترتيب من اليمين : عز مولانا ــ السلطان الملك ــ الظاهر برقوق . أما الرابع فمكان الكتابة مكسور . وفوق المنبر الطاقةالتقليدية المستديرة من الحديد المشغول والزجاج الملون . ويحيط بالصحن ثلاثة ايوانات أخرى صغيرة . وأبواب غرف لخلوة الصوفية يعلوها دوران بهما شبابيك مطلة على الصحن .

وفى الصحن فى مواجهة الداخل باب بداخله فناء مسقوف مشغول سقفه بنقوش عربية بالذهب واللازورد . وبه ضريح يقال أنه ضريح الظاهر برقوق . ويقال أيضا أنه ضريح ابنته فاطمة . ولكن على باشا مبارك ذكر أنه دفن بتربته بالصحراء .

وشرقى القاهرة الفاطمية بالقرافة المعروفة هناك بقرافة قايتباى خانكاه الناصر فرج بن الظاهر برقوق . لم يذكرها المقريزى ضمن الخوانك. كذلك لم يذكر خانكاه الأشرف برساى (٨٢٥ ــ ٨٤١ هـ)

ولا خانكاه الأشرف اينال (٨٥٧ ــ ٨٦٥ هـ) وهما بالقرافة المذكورة ٠

ذكرها المقريزى من ضمن الخوانك ٠ وأيضا المدارس ٠ وقال أنها بالقرب من درب راشد ويسلك اليها من رحبة باب العيد ٠ وموقعها الآن بشارع قصر الشوق المتفرع من شارع حبس الرحبة الذى هو امتداد بشارع الجمالية ٠ والخانكاه فى نهاية هذا الشارع وبه بابها ٠ أما باب الدورة فمن درب خلفها اسمه درب الفراخة (راجع الخريطة) ٠

قصر الشوق أو قصر الشوك :

واسم قصر الشوق من الأسماء القديمة ٠ وكان أصلا قبل انشاء القاهرة الفاطمية اسمه قصير الشوك (بصيغة التصغير) لمكان كانت تسكنه قبيلة بنى عذرة ٠ ثم أدخل القائد جوهر هذا المكان ضمن القصر الشرقى الفاطمى الكبير وعرف فيما بعد بقصر الشوك ٠ حيث أن الفاطميين بنوا فى حدائق القصر الكبير ــ الذى كانت مساحته حوالى السبعين فدانا (١) ــ عدة قصور عرفت بالقصور الزاهرة ٠ وكان قصر الشوك أحد هذه القصور ٠ وحرفت العامة هذا الاسم الى قصر الشوق لأنه ألطف فى التعبير والمعنى ٠ ولكن المراجع التاريخية تذكره باسم قصر الشوك ٠

وشارع قصر الشوق هو الذى ذكره المقريزى باسم درب راشد نسبة الى يمين الدولة راشد أحد غلمان العزيز بالله بن المعز لدين الله ٠ كما أن درب الفراخة ذكره المقريزى باسم درب نادر نسبة الى سيف الدولة نادر أحد غلمان العزيز أيضا ، وتوفى نادر سنة ٣٨٢ هـ ٠

وكان القصر الشرقى الكبير يحتوى على عدة قصور كما ذكرنا ٠ وكان له تسعة أبواب أحدها باب قصر الشوك ٠ سمى بهذا لمجاورته لهذا القصر ٠ وقد حدد المقريزى موقعه فى الكلام عن المدرسة البيدرية

---

(١) هكذا ذكر على مبارك فى الخطط . ولكن ما لدينا فى الأطوال حسبما سنذكره فى أبواب القصر لا يعطينا غير ٢/٣ هذه المساحة تقريبا .

(نسبة الى بيدر أيدمر البهلوان وهى الآن جامع أيدمر البهلوان) فقال هى برحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك بينه وبين المشهد الحسينى • ا هـ • فيفهم من هذا أن هذا الباب كان شرقا من هذا الجامع بقليل • وكانت رحبة الأيدمرى هذه من ضمن رحبة قصر الشوق التى ذكرها المقريزى وقال أنها كانت رحبة كبيرة قبلى القصر الشرقى الكبير ممتدة من باب قصر الشوك الى دار الحاج آل ملك والمدرسة الملكية • ا هـ • والمدرسة الملكية هى جامع آل ملك الجوكندار وكانت داره بجوارها •

أبواب القصر الشرقى :

وللاستطراد نذكر باقى أبواب القصر الشرقى التسعة • فقد كان هناك : (١) باب الديلم وهو المؤدى للمشهد الحسينى ثم (٢) باب قصر الشوك المذكور • ثم (٣) باب الزمرد سمى بهذا لمجاورته لقصر الزمرد أحد القصور الزاهرة • وموقعه الآن جامع تتر الحجازية وهى بنت الناصر محمد بن قلاوون ثم (٤) باب العيد وموقعه بالقرب من جامع الجمالى يوسف الاستادار • وسمى بهذا لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيدين فى المصلى الكبير خارج باب النصر • ثم (٥) باب الريح وكان بالقرب من خانكاه سعيد السعداء • ثم فى الجانب الغربى للقصر على شارع المعز لدين الله حاليا (٦) باب البحر مقابل المدرسة الكاملية وسمى كذلك لأن الخليفة كان يتوجه منه الى المقس حيث الآن ميدان رمسيس وكانت هناك المياه النهرية للقاهرة لأن النيل كان يجرى فى زمن الفاطميين خلف موقع جامع أولاد عنان الذى هدم أخيرا وأقيم مكانه مسجد اسمه جامع الفتح بشارع الجمهورية • وكان الخلفاء يذهبون هناك لتوديع الأسطول الخارج للغزو أو لاستقباله بعد الغزو • وكان طريقه من هناك الى فرع دمياط الى البحر الأبيض • وكان عدد قطع الأسطول فى أول عهدهم ٦٠٠ قطعة • ثم (٧) باب الذهب وهو أهم الأبواب ويفضى الى قاعة الذهب التى هى بمثابة ما تعرفه بقاعة العرش وكان موقع هذا الباب محراب مدرسة

الظاهر بيبرس البندقدارى جنوب شارع بيت القاضى • ثم فى الجانب القبلى (٨) باب الزهومة وموقعه بحارة الصالحية جنوبى مدرسة الصالح نجم الدين أيوب • وسمى بهذا الاسم لأنه كان يدخل منه ما يلزم لمطابخ القصر من لحوم وطيور وخضراوات وفواكه ووقود وغيرها • ثم (٩) باب تربة الزعفران حيث مقابر الفاطميين موقعها حاليا خان الخليلى •

حبس الرحبة :

وشارع حبس الرحبة المتفرع منه شارع قصر الشوق المقصود منه رحبة باب العيد • وكانت رحبة متسعة يفصلها عن رحبة قصر الشوك السابق ذكرها خزانة البنود • وهى احدى خزائن الفاطميين • والبنود هى الأعلام • وكانت بهذه الخزانة فضلا عن الأعلام والعصائب ثروات هائلة من السيوف والرماح والدرق والقضب من فضة وذهب وغيرها من آلات الحرب • وكان بها ٣٠٠٠ عامل • وأسهب المقريزى فى وصفها (الخطط ج ١ ص ٤٢٣) • واحترقت سنة ٤٦١ هـ • فعملت بعد ذلك سجنا • واستمرت كذلك فى أواخر عهد الفاطميين وعهد الأيوبيين • وفى عهد السلاطين المماليك أسكنوا فيها الأسرى من الفرنج المأسورين بالبلاد الشامية ففسدوا وأفسدوا وتجاهروا بالمحرمات بأنواعها فأخليت منهم وهدمت سنة ٧٤٤ على يد الأمير نائب السلطنة الحاج آل ملك الجوكندار •

وحبس الرحبة ذكره المقريزى فى اللف ولم يذكره فى النشر • أعنى عده من ضمن السجون • ولكنه لم يدخله فى التفصيل • فلعله اسم آخر لسجن خزانة البنود •

نعود الى ما قبل الاستطراد الى الكلام عن خانكاه مغلطاى الجمالى فنقول أنه أنشأها سنة ٧٣٠ الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانكاه للصوفية • وقال المقريزى ان شأنها كان كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجل مدارس

القاهرة ولها عـدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البـلاد الشـامية • وتلاشى أمرها لسـوء ولاة أمورها وتخريبهم أوقافهـا • وتعطل منهـا حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب الى اسم الفقهوقرب الخراب منها • اهـ•

وبعد ٤٥٠ عاما تقريبا من عهـد المقريزى ذكرها على مبارك ضـمن الزوايا باسم زاوية الجمالى وقال ان شعائرها معطلة لتخربها •

ويبدو أنهـا رممت أخيرا ترميما بسيطا فهى مقامة الشعائر ولكن دون أن يكون لهـا أى مهابة أو تبـدو عليها أى عراقة تاريخية •

ومغلطاى الجمالى المذكور أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقى فى خدمته حتى بعثه أمـيرا للركب الى الحجـاز • ثـم عينـه استدارا • ثم أضـاف اليه الوزارة فى سـنة ٧٢٤ ـ سـنة ٧٢٨ • ثم صرف منها وبقى استدارا • ثم سافر الى الحجاز وتوفى فى طريق العودة سنة ٧٣٢ فصُبِّر جثمانه وحمل الى القاهرة فدفن بهذه الخانكاه •

وقـال المقـريزى انه كان حسن الطباع محبا للخير • وكان يقبـل الهدايا • فجمع مالا كثيرا • ولكن لم يعرف عنه أنه صادر أحدا • أو اختلس مالا • وخلف أولادا غـير صالحين ولا مصلحين •

٥ ـ الخانكاه الشرابيشية :

ذكرها المقريزى وقال أنها بالدرب الأصفـر فى آخر المنحر الذى كان للخلفاء أنشأها الصدر الأجل نـور الدين على بن محمـد بن محاسـن الشرابيشى وكان من ذوى اليسـار وخلف ثروة كبيرة • ولم يذكر تاريخ وفاته ولا تاريخ أنشائها •

وقال على مبارك ان هذه الخانكاه قدزالت وفى محلها الآن الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب الأصفر وقال فى موضع آخر ان دار السحيمى آلت بالشراء الى

السيد محمد امام القصبى شيخ الجامع الأحمدى .

ودار السحيمى موجودة للآن تابعة لهيئة الآثار المصرية بوزارة الثقافة . يقصدها السواح والدارسون برسم دخول قدره عشرة قروش . وهى جديرة بالمشاهدة لما فى تنسيق غرفها الفسيحة بسقوفها المزخرفة وأرضياتها وفسقياتها الرخامية ونوافذها بزجاجها الملون ومشربياتها بالخرط والتعشيق محكمى الصنعة وآثاثاتها العربية المختلفة ما ينقل للمشاهد بوضوح ما كانت عليه الحالة المعيشية لذوى اليسار فى القرن الماضى . وما كان فى هندسة البيوت فى تلائم مع طقس البلاد وطبيعة الحجاب . فالنوافذ تطل على فناء فى الداخل ولا فتحات فى الخارج الا باب الدخول . فيشعر المرء فى الدار بسكينة وهدوء بعيدا عن كل جلبة أو ضوضاء . وبفنائها حديقتان للرجال والنساء وبها أشجار يزيد عمر بعضها عن القرنين من الزمان .

وجنوبى الدرب الأصفر كان المنحر الذى يذبح فيه الخلفاء الفاطميون الأضحية فى عيد الأضحى . وقد ذكرت فى مقال سابق من مقالات (صفحات من تاريخ القاهرة) انه بلغ عدد الذبائح فى أحد الأعياد فى ثلاثة أيام العيد ١٧٦٤ رأسا من نياق وجاموس وبقر وأغنام . وأن الخليفة كان ينحر بعضها بنفسه .

٦ ــ رباط البغدادية :

كان بالدرب الأصفر تجاه خانكاه بيبرس الجاشناكير . انشأته تذكار باى خاتون بنت الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ للشيخة الصالحة زينب المعروفة ببنت البغدادية . وكان وقفا على النساء . وقال المقريزى وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتى طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهن . لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات .

وقال على مبارك ان هـذا الرباط قد زال بالكلية •

٧ ـ تكية درب قرمز أو جامع مثقال:

ذكرها على باشا مبارك وقال انها هى المدرسة السابقية التى ذكرها المقريزى وأنها معروفة بجامع درب قرمز وقال انها (الآن) معطلة •

والمدرسة السابقية المذكورة بناها الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية • وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية ورتب فيها قراءات وخزانة كتب وكتابا يقرأ فيه أيتام المسلمين•وولى المذكور تقدمة المماليك سنة ٧٦٣ • ثم غضب عليه سنة ٧٦٨ فنفى الى أسوان • ثم أعيد لوظيفته فظل بها حتى مات سنة ٧٧٦ هـ • وكانت المدرسة بجوار داره • والموقع من ضمن القصر الشرقى الكبير •

وهذا الجامع الآن تصعد اليه بعدة درجات • وغير معطل•بل أعيد ترميمه أخيرا فعاد الى حالة جميلة بنقوش زاهية أنيقة حتى أصبح من التحف الاسلامية • وحصل هذا الترميم فى سنة ١٩٦٣ ــ ١٩٧٦ م• بالتعاون بين هيئة الآثار المصرية ومعهد الآثار الألمانى بالقاهرة •

ودرب قرمز يبدأ من شارع المعزلدين الله عند زاوية بين القصرين ويتجه الى الشرق حتى الجامع المذكور مع بعض الانحناءات • ثم بسير جنوبا حتى ميدان بيت القاضى فى سرداب مقبو تحت جزء من هذا الجامع •

٨ ـ تكية السنانية :

ذكرها على مبارك ضمن التكايا وقال انها بالجمالية بالقرب من خانكاه سعيد السعداء • ولم يترجمها•وقال (جـ ٢ ص ٢٣) فى الكلام على درب قرمز ان به التكية المعروفة بتكية درب قرمز بداخلها أشجار ومبانى جديدة وبجوارها ضريح الشيخ سنان ثم المدرسة السابقية التى تعرف بجامع درب قرمز • ا هـ •

وموقع هذه التكية الآن بدرب قرمز على يسار الداخل من بين

القصرين قبل الوصول الى المدرسة السابقية المذكورة .

وسنان باشا المنسوبة له هذه التكية هو سنان باشا بن على بن عبد الرحمن تولى الولاية على مصر مرتين ٩٧٥-٩٧٦ ، ٩٧٩ — ٩٨٠هـ . وأرسلته الدولة العثمانية للحرب فى اليمن وتونس وانتصر فيها . وتولى الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة فى تركيا) أربع مرات . وله آثار عديدة من مساجد وربط وتكايا بمصر والشام وتركيا . منها جامع سنان باشا ببولاق . وتوفى سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) .

محمد كمال السيد محمد

اهمية الحاكم فى المجتمع

قال الأفوه الاودى :

البيت لا يبتنى الا له عمد (١)
ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

---

(١) العمد : الأعمدة .

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٣ —

فى الجانب الأخلاقى والاجتماعى :

ومن أخصب المواقع افراخا للالحاد ، الحديث عن وضع المرأة فى الاسلام وفى هذا الاتجاه جاء بالأهرام فى ١٩٦٥/١١/٢١ تحقيق عن المرأة التركية تضمن حديثا للسيدة عزيزة جونفير حرم سفير تركيا فى القاهرة قالت فيه (ان الدين لله وكل واحد منا حر فى عقيدته وان كانت المرأة المسلمة لا تقبل كثيرا على الزواج من غير دينها مما يدل على أن المرأة مهما تحررت فهى أكثر محافظة من الرجل ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للأجيال القادمة ... الخ) • وأنه لشديد الوضوح ما يوحى به هذا الحديث من الربط بين الالحاد والتحرر •

وفى آخر ساعة ١٩٦٥/١١/٢٤ تحقيق عن السنغال تتحدث فيه الكاتب عما سماه سهولة العلاقة بين الجنسين فى أفريقيا « دعا فيه الى أن تكون نظرتنا الى هذه النظرة موضوعية ، هذه النظرة (التى تجعل الزائر فى نهاية الرحلة يتراجع عن نظرته الآثمة) ويرى المسألة سواء فى ناحيتها الايجابية أو السلبية (مجرد تقاليد موروثة ..) •

وأعتقد أن مثل هذه النظرة التى يدعو اليها المؤلف ـ لأغراض الحادية لا يمكن أن تتوافر مع مجهودات الدولة فى بناء شباب سليم •

أما السيدة أمينة السعيد فتنصح فى احدى المشكلات الواردة اليها ،

باللجوء الى الزواج العرفى تخلصا من حكم القانون بسقوط حق الحضانة من المرأة عندما تتزوج مرة ثانية (المصور ٣/١٢/١٩٦٥) وهذه النصيحة على ما تتضمنه من احتجاج خفى على موقف الشرع فى أحكام الحضانة ، فانها دعوة الى الهروب من القانون .

وفى اعلان عن فيلم تقول صباح الخير ٢/١٢/١٩٦٥ (هل أبقى التحول الاشتراكى فى بلادنا مكانا للرجعية ؟ لقد قضى عليها نهائيا الا من بعض التصرفات الاجتماعية التى تتمثل فى أب جاهل يفرض على ابنته المراهقة رقابة قاسية ، يحرمها من الحب ، بل يحرمها من الدراسة ويحبسها فى البيت عندما يراها تحب ابن الجيران ..) .

ان هذا لون من التيارات الالحادية الخطرة التى تعمل فى نفس الوقت على هدم أخلاق مجتمعنا .

ولا شك أن المنابر الصحفية التى يتسلقها بعض الكتاب للتوجيه فى حل المشاكل الشخصية هى من أكثر المواد الصحفية جاذبية وتأثيرا فى نفس الوقت .

ولنأخذ عينة من هذه التوجيهات ، ولتكن من مجلة لصيقة بالأسرة : مجلة حواء لنرى أية قيم ينبعث عنها هؤلاء فى توجيهاتهم ، وأية نتائج يدفعون اليها .

حواء ١٥ يناير ١٩٦٦ — بريد حواء .

المشكلة الأولى : لفتاة تشكو من قيود عائلتها المتدينة ، التى تمنعها من الخلوة بخطيبها ، ويتضمن الرد على صاحبة المشكلة تنديدا بالأذهان المتخلفة التى تظن أن الأخلاق يمكن أن تتربى بالسخرة أو العقوبة أو الاعتقال .. الخ .

المشكلة الثانية : لفتى متدين يشكو من أن بعض جاراته يحاولن لفت نظره بطرق شتى ، ويتضمن الرد تنديدا بما فى لا شعوره من خيالات مريضة ، دفعه اليها تقوقعه .. الخ .

المشكلة الثالثة : لفتاة تشرف على شئون اخوتها الذكور بدلا من والدتهم المتوفاة وتلاحظ عليهم بعض الانحرافات : فالأكبر على صلة

بنسوة كثيرات يستنزن نقوده والمتوسط يعرف العديدات من البنات ويخرج معهن يوميا،والأصغر يعرف واحدة والأخت منزعجة .

لذلك، ترجوالنصيحة ،والنصيحة المزجاة هى : أن الأخت تثقل على نفسها ، وأن الأخوة وان كان سلوكهم (ليس صوابا ١٠٠ فى المائة) الا أنه عادى تقريبا ، ومألوف ولا داعى للانزعاج من هذه الأمور ..

هكذا ...

هذا فى نفس الوقت الذى تضع فيه الدولة مشاكل توجيه الشباب على أعلى المستويات .

وقد خصصت مجلة الطليعة فبراير ١٩٦٦ عدة مقالات لبحث مشاكل الشباب ، ولم تعط أهمية للتربية الدينية وتضمن مقال الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل تنويها بالاختلاط وعدم الفصل بين تعليم البنات والبنين .

كما تضمن مقال الدكتور فؤاد زكريا : ان السلبية والفراغ الفكرى هو ما يدفع الشباب الى الانتماء لجماعات دينية متعصبة ، أو الى عصبيات رياضية مدمرة ، ونوه بالوضع الخطير الذى وصلت اليه مظاهر التعصب فى هذا المجال الأخير .

وتدعو مجلة صباح الخير فى أعداد متوالية الى تعميم نظام الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم ، (صباح الخير ٦ ، ١٣ ، ١٩٦٦/١/٢١

وتواصل صباح الخير دعوتها الى تعميم الاختلاط فى جميع المراحل ، وتسخر من المعارضين ، ومن أفكارهم ، مثل : ما اجتمع رجل وامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما » ــ لعن الله الفتنة ومن أيقظها ــ المايوه عيب ... الخ (صباح الخير فبراير ١٩٦٦) .

وبعنوان (الاختلاط ضرورة اجتماعية) كانت الدعوة الى ندوة عامة اشترك فيها بعض الكتاب

والمشتغلين بالتعليم (الأخبار ٢٤/٢/١٩٦٦) •

وان المرء ليتساءل كيف تتوقى الآثار المدمرة للأخلاق التى تنشرها المجلات فى الصور الداعرة التى يندى لها الجبين ، ومثالها ما جاء فى آخر ساعة ٣٠/٣/١٩٦٦ ؟

ونجد مصداق هذا التدمير فى مشكلة عاطفية لفتاة سقطت وهى بصدد اصطياد زوج ، حيث تذكر الفتاة فى خطابها لروزاليوسف ٧/٤/١٩٦٦ أن جانبا من المسئولية فى مأساتها يرجع الى ما تنشره الأفلام والمجلات والأغانى من اثارة وتحلل ، وحيث يوافق الكاتب على ذلك فى رده عليها •

ويبدو أن التخفف من قسوة الحكم على جريمة الزنا ، واللامبالاة الاجتماعية بهذا النوع من الآثام ، والميل الى اعتبار الآثام الخلقية داخلة فى اطار الحرية الشخصية : أمور تأخذ الآن طريقها فى صميم المجتمع ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، هذا ما يتبين من مختلف الردود التى نشرتها روزاليوسف ١٧/١/١٩٦٦ من مختلف المواطنين فى ردهم على مشكلة عاطفية لزوجة منحرفة •

وينصح أحد الكتاب ــ يوسف ادريس ، الجمهورية ٢١/٥ ــ فتاة تشكو من حبها المصحوب بالحرمان، بأن تخفف من حرمانها كوسيلة للتخلص من شدة عاطفتها ، ، يقول للفتاة (حتى تلك القبلة ــ التى أتمنى أن تكون مجرد قبلة ــ تخافها الفتاة الى الدرجة التي لا تسمح بها لفتاها الا بعد عام ونصف من العلاقة ، وربما لو كانت قد جربتها منذ الأيام الأولى لانتهت قصة الحب واستراحت ، ولكن هكذا نعلم شبابنا وفتياتنا أن يقاوموا الحياة وكأننا نأمرهم بالامتناع عن الطعام نفسه أو الماء من أجل السيرة الحسنة •••) •

لا أظن أن هذا يحتاج الى تعليق•

ثم •• ما هى الفكرة الأساسية التى تحرك المرأة فى اقبالها على الموديلات الحديثة ؟

من النادر أن نجد اعترافا بأنها الحصول على اعجاب الرجل والفوز به . وهذا الاعتراف النادر نجده بالأهرام ٢٢/ ٤ ، ٦/٥

لكن الغريب حقا أن يحاول الداعون الى الحشمة الارتكاز على هذه الفكرة نفسها ــ كما تفعل الأهرام فى بعض الأحيان ــ والأغرب من ذلك أن تشارك مجلة دينية فى نفس الاتجاه ، تقول مجلة المسلم فى عددها الأخير عن الجيب القصير (أن طولها لا محافظ ، ولا أنثوى ، فالأنوثة مع الاحتشام والحياء والرقة ...) .

وفى رأيى أن هذا طريق مسدود لا يمكن أن يقنع المرأة بالاحتشام ، فهى أعرف من الجميع بالطريق الى الفوز باعجاب الرجل ، واننا اذا أردنا أن نفوز باقناع واحدة منهن بالاحتشام فلن يفيد غير الوضوح والصراحة واستقامة الكلمة ، والاحتكام الى كلمة الله (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ... الخ) ، فاذا لم يفلح ذلك فلا فلاح من بعد .

واذا كانت هذه هى كلمة الله فان المرء ليتحسر عندما يجد أحد قراء هذه الكلمة يقول فى برنامج تليفزيونى (انه لا يطلب الى بناته التستر بالطرحة ، لأنه لا يحب (المداريين) . التليفزيون ١٩/٥ .

كذلك نأسف على ما جاء على لسانه فى موضوع آخر ــ موضوع الحج الى بيت الله أنه لا يقبل الرجوع اليه مرة أخرى (لأنه مش واخد على البهدلة) ..

وفى مجلة رسالة اليونسكو فى عددها العربى رقم ٦٩ مارس ١٩٦٧ نجد مقتطفات من كتاب حضارة العالم بقلم « دينيه ماهى » المدير العام لليونسكو ونجد فى هذه المقتطفات دعوة ملحة الى مكافحة مادتى الاثارة والفضائح فى وسائل الاعلام .

وفى هذا الصدد نذكر ما نقلته الأهرام بتاريخ ١/٣/١٩٦٧ عن صدور بعض القوانين فى الأرجنتين والتى تشدد على مراعاة الآداب العامة .

وليس أقل أهمية من ذلك فى صدد الكشف عن التيار الالحادى فى المجال الاجتماعى الأخلاقى ، أن نشير الى الأثر العميق الذى يتوقع أن تتركه زيارة جان بول سارتر للقاهرة فى مجال الصراع بين قوى الايمان وقوى الالحاد ، خاصة اذا لاحظنا الحفاوة العظمى التى لقيها فى الأوساط الثقافية والاعلامية المختلفة . ولا يقلل من خطورة هذا الأمر أن يقال : أن سارتر ضمير العصر ، أو داعية الحرية ، أو نصير الثورة أو صديق الاشتراكية ، فكل هذه المفاخر ، من شأنها أن تجعل أثر هذه الزيارة فى تقوية التيار الالحادى أعمق وأخطر .

ولابد أن نشير هنا الى ما يمكن أن تتركه زيارة سارتو وسيمون من آثار فى مجال العلاقة بين الرجل والمرأة اذا لاحظنا أن العلاقة بين الكاتبين لا تقوم على أساس الزواج ولا على أساس من الحب الملتزم بالاخلاص (الأهرام ٢٦/٢/١٩٦٧). واذا أضفنا الى ذلك مناداة الكاتب محمد عودة فى الجمهورية بتاريخ ١٩/١/١٩٦٧ بأن يضم الكتاب الذى تزمع وزارة الثقافة اصداره عن هذه الزيارة (فصلا عن هذه العلاقة الملهمة الفريدة التى جمعت بينهما .

وهى علاقة قد لا يفهمها البعض عندنا بمقاييسنا الشرقية ، وذلك كما لا يفهمها أيضا البعض فى أوربا المحافظة : ولكنها احدى العلاقات التاريخية التى تقوم على أعمق وأصدق ما تقوم عليه العلاقة بين الرجل والمرأة ، وقد أغنت الحياة الأدبية والعاطفية للعصر كله ، وهى علاقة لابد أن يفهمها ويستشعرها شبابنا وفتياتنا ، لأن الثورة الاشتراكية هى أيضا ثورة فى أهم علاقة انسانية وهى العلاقة بين الرجل والمرأة ...) .

هذه دعوة الى أن تكون العلاقة بين سيمون وسارتر مثلا أعلى للعلاقة بين الرجل والمرأة ومثل ذلك هدم للمجتمع والدين على السواء .

د : يحيى هاشم

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٩ —

فصل المقال فى زكاة الورق النقدى :

فى هذه المجلة الغراء (عدد رمضان سنة ١٣٩٦ ص ١٠٧٢) نقل الأستاذ الفاضل محمود محمد رسلان فتوى فى هذا الموضوع كتبها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ طه حبيب فى هذه المجلة حينما كانت تسمى نور الاسلام منذ خمس وأربعين سنة ، وخلاصة هذه الفتوى أن الورق النقدى (البنكنوت) يبعد أعتباره نقودا وضعية مصنوعة من الورق على غرار النقود المصنوعة من النحاس والنيكل وما شاكلهما من المعادن غير الذهب والفضة ، وهى النقود التى كانت تسمى فلوسا ، كما يبعد اعتبارها سندات بودائع كأن حاملها دفع الى البنك المبالغ المثبتة بها ليحفظها البنك لديه.

فالأقرب أنها سندات (أى ايصالات) ديون ، فالورقة ذات الجنيه أو خمسة الجنيهات أو مافوقها كانت عند اصدارها منذ ثمان وتسعين سنة شمسية سندا بدين حال يتعهد البنك لحامله بدفع جنيه ذهبى مصرى أو خمسة جنيهات أو ما فوقها عند الطلب ، والورقة ذات الخمسين قرشا أو الخمسة والعشرين قرشا سند بقروش فضية مصرية تدفع عند الطلب ، فاذا اشترى الانسان شيئا بهذه الأوراق لم تكن هذه الأوراق ثمنا لهذا الشيء ، وانما تكون حوالة على البنك ينتقل بها الدين الى البائع (مثال) ذلك أن يشترى انسان شيئا بجنيه ثم لا يدفع للبائع جنيها ذهبيا وانما يدفع له الورقة ذات الجنيه التى كانت تدل على أنه دائن

للبنك بجنيه ، فاذا أخذها البائع لم يكن آخذا للثمن ، وانما يكون محالا على البنك فيصير هو الدائن للبنك بالجنيه بدلا من المشترى ، وهكذا تكون جميع المعاملات بهذه الأوراق من قبيل الحوالة .

اذا علم هذا فالأوراق التى يضعها الانسان فى خزانته أو يودعها شخصا ليحفظها اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول ولم يقبضها ذهبا أو فضة — فان حكم زكاتها هو حكم زكاة الديون ، وقد اختلف الفقهاء فى زكاة الديون : (فالشافعية) قرروا أن الدين الذهبى أو الفضى اذا كان حالا — أى غير مؤجل — وكان على ملىء — أى غنى — وكان ذلك الملىء مقرا ، أى معترفا بالدين مستعدا لسداده عند الطلب — وجبت زكاته عند انتهاء الحول متى كان بالغا النصاب ، ولا يتوقف وجوب دفع الزكاة على قبض الدين من البنك ذهبا أو فضة ، لأن التمكن من القبض فى قوة القبض بالفعل . فهذا المذهب (أعنى مذهب الشافعى) صريح فى وجوب أداء زكاة هذه الأوراق من غير توقف على قبضها ذهبا أو فضة .

وأما المذاهب الثلاثة : الحنفى ، والمالكى ، والحنبلى فلو سلكنا فى تطبيقها المسلك الحرفى لكانت نتيجة ذلك أنه لا يجب أداء الزكاة فى هذه الأوراق مطلقا ، وذلك لأن الدين فى المذاهب الثلاثة لا يجب أداء الزكاة فيه الا اذا قبض من المدين ذهبا أو فضة ، وهذه الأوراق يستغنى حاملها عن الذهاب الى البنك وقبض بدلها لأنه يستطيع أن يقضى جميع حوائجه دون أن يخطو خطوة واحدة الى البنك لأنها أصبحت فى عرف الناس نقودا ، وبهذا يعلم أن التطبيق الحرفى لزكاة الديون فى هذه المذاهب الثلاثة تطبيق سيىء لا يرضى به الا البخلاء الذين يحبون التخلص من الواجبات ، ولهذا وجب على المخلصين من الحنفية والمالكية والحنابلة أن يوجبوا الزكاة فى هذه الأوراق وان لم يقبض بدلها كما قال الشافعية ، ولا يقول لهم قلدوا المذهب الشافعى ، وانما نقول لهم لاحظوا الفرق الجلى بين الديون التى

فى هذه الأوراق والديون العادية التى تقولون بعدم وجوب أداء زكاتها الا بعد قبض بدلها . ان هذه الديون أعنى الديون التى تدل عليها هذه الأوراق كما يتعامل بأعيان الذهب والفضة بخلاف الديون العادية فان أوراقها لا تنفع حاملها فلا يستطيع التعامل بها فيسعى لقبضها ممن عليه الدين وحينئذ يدفع زكاتها ، ولو قلنا ان أداء زكاة الأوراق النقدية يتوقف على قبض البدل لما وجب أداء زكاتها أصلا.

ولم يصرح فضيلة الشيخ طه حبيب بهذا الذى قلناه ولكنه (قال فى بيان المذهب الحنفى) ما نصه : « واذ قد علمت أن الامام الأعظم أوجب الزكاة على الدائن فى ديونه ، فلا بعد فى وجوب الزكاة فى قيمة الأوراق المالية (البنكنوت) على حاملها متى بلغت نصابا وحال عليها الحول ، وأنها تجب فيها على السنين الماضية قبل القبض لأنها سندات بدين قوى ميسور الحصول على القيمة فيه » اهـ . وهذه العبارة ليست صريحة فى وجوب أداء الزكاة قبل القبض فقد بين سابقا أن مذهب الامام أبى حنيفة هو وجوب الزكاة وجوبا خاليا عن وجوب الأداء ما لم يقبض الدائن أربعين درهما ، وهذا الوجوب عرضة للسقوط عند عدم القبض لما علمت من أن حامل هذه الأوراق يستطيع أن يقضى بها جميع حوائجه دون أن يتقدم بها الى البنك ليأخذ بدلها (وقال فى بيان المذهب المالكى) ما نصه:«ومذهب المالكية : أن الدين اذا لم يكن ثمن عرض وكان حالا فيزكيه عن كل سنة ولو قبل قبضه» اهـ . والذى يرجع الى كتب المالكية يعلم أنهم لم يوجبوا أداء الزكاة فى الديون قبل قبضها ذهبا أو فضة .

(وقال فى بيان المذهب الحنبلى) ما نصه: «وقال الحنابلة : ان من له دين على ملىء باذل من قرض أو دين عروض تجارة أو ثمن بيع وحال عليه الحول ، فكلما قبض شيئا أخرج زكاته عما مضى . وفى الدين على غير ملىء روايتان : الصحيح من المذهب أنه كالدين على الملىء فيزكيه اذا قبضه عما مضى » اهـ. ومقتضى

هـذا أن الأوراق لا يجب عنـد الحنابلة تزكية ما تدل عليه من الدين الا بعـد أن يقبض الدين ذهبـا أو فضة ، ومعلوم أن حملة هذه الأوراق يمكنهم بعـد مكثها حولا أو أكثر أن يقضوا بها جميع مصالحهم طول حياتهم دون قبض الذهب والفضـة، وهذه ثغرة ينفذ منها البخلاء كمـا تقدم . فالفتوى لم تحسـم النزاع كما رأيت ، وهذا أمر يؤسف له .

ولو رجعنا الى كتاب الفقـه على المذاهب الأربعة لوجدناه قـد تنحى عن التطبيق الحـرفى فى المـذهبين الحنفى والمالكى ، وعبارته فى بيـان المذهب الحنفى « الحنفيـة قالوا : الأوراق المـالية (البنكنوت) من قبيل الدين القـوى الا أنهـا يمكن صرفها فضة فورا فتجب فيها الزكاة فورا » اهـ وهذه عبارة جيـدة فقد احتوت على الاستدراك ، وهو «الا أنها ..» الخ ، فهذا الاسـتدراك صريح فى أن الحنفيـة لم يطبقـوا المذهب تطبيقا حرفيا بل جعلوا الدين الذى فى هـذه الأوراق أقوى من الدين القوى العادى لأنهـا يمكن صرفها فضة فورا فتكون كأعيـان الفضة ، وعبارته فى بيـان المذهب المالكى « المالكيـة قالوا : أوراق البنكنوت وان كانت سندات دين الا أنها يمكن صرفها فضة فورا وتقوم مقام الذهب فى التعامل فتجب فيها الزكاة بشروطهـا » اهـ ، وهـذه العبارة كسابقتها فهى تفيد أن المالكية الذين نظروا فى هـذه الأوراق لم يطبقـوا عليها حـكم زكاة الدين العادى بل جعلوها كالذهب فأوجبوا زكاتها من غير توقف على قبضـها فضة أو ذهبـا .

ومما يؤسف له أن كتاب الفقـه على المذاهب الأربعة لما حكى المذهب الحنبلى لم يتحرج عن تطبيق حـكم زكاة الدين تطبيقا حرفيا فقد قال : « الحنابلة قالوا لا تجب زكاة الورق النقدى الا اذا صرف ذهبا أو فضة ووجدت فيه شروط الزكاة » وبهـذا تبين أن كتاب الفقـه على المذاهب الأربعة قد أحسن صنعا فى بيـان المذاهب الثـلاثة الحنفى والمـالكى والشافعى ولو تباحث جامعه مـع بعض الفقهاء الحنابلة لأمكن القول

فى المذهب الحنبلى بما قالا به المالكية والحنفية فانهم ليسوا أقل ورعا وتقوى منهم ، وقد جاء فى كتاب الدين الخالص أن القول بعدم وجوب الزكاة فى هذه الأوراق قبل قبض قيمتها مردود بأنه مناف لما تقتضيه حكمة التشريع وفيه ضياع لحق الفقير وهدم لأجد أركان الاسلام وهو الزكاة التى شرعت طهرة للمال ولصاحبه ورأفة بالفقير وعطفا عليه وبه يكون التحاب والتآلف والتعاطف والتراحم .. وانا نجد الآن الأوراق المالية مكدسة فى البنوك والخزائن وتمكث على هذا السنين الطوال لا يصرف منها الا ما تدعو الحاجة الوقتية الى صرفه ، فلو قلنا بعدم الزكاة فيها لأنها ليست ذهبا ولا فضة لما وجبت الزكاة على أحد ، وهذا غير معقول، والمعقول أن مالك النصاب من الورق المالى وحال عليه حول كامل لزمه زكاته باعتبار زكاة الفضة لأن الذهب غير ميسور الآن . هذا ما ندين الله تعالى به وهو الحق الصريح بلا مرية. وقانا الله تعالى من رذيلة البخل : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ا هـ .

ومؤلف الدين الخالص هو فضيلة الشيخ الكبير محمود خطاب السبكى وقد طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠هـ — ١٩٥٠م .

وبعد ، فهذه كلمات متممات :

(الكلمة الأولى) حينما أصدرت الأوراق المصرية (فى ٢٥ يونية سنة ١٨٩٨ م) كانت كلمة «جنيه» فى عرف المصارف والجمهور معناها الجنيه الذهبى المصرى ، وكلمة «٥٠قرشا» و « ٢٥ قرشا » معناها القروش المصرية الفضية ، فيؤمئذ كان نصاب الأوراق ذات الجنيهات هو نصاب الذهب ، وهو مقدار من الجنيهات يبلغ وزن الذهب الخالص فيها ٢٠ دينارا أى ٨٩ جرام وسبع — بضم السين — ، ونصاب الأوراق ذات القروش هو نصاب الفضة ، وهو مقدار من الريالات أو كسورها يبلغ مقدار الفضة الخالصة فيها ٢٠٠ درهم أى ٦٢٤ جراما ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م صار الذهب يرتفع سعره شيئا فشيئا فضلا عن

اختفاء الجنيه الذهبى المصرى من السوق ، فصار من غير المعقول أن يدفع البنك جنيها ذهبيا فى مقابلة الورقة التى كتب عليها « جنيه » وصار معنى الجنيه فى عرف البنك والجمهور مائة قرش ، وكان القرش الفضى قد اختفى أيضا ، ولكن بقيت مضاعفاته وهى : القرشان ، وخمسة القروش ، وعشرة القروش، والعشرون قرشا ، فكان المعقول أن يكون نصاب جميع الأوراق المصرية هو نصاب الفضة لأنها هى التى يتعهد البنك بدفعها لحامل الأوراق ، ولهذا كان من العجيب أن يفتى بعض شيوخنا واخواننا أن نصاب هذه الأوراق هو نصاب الذهب الى الآن ، (ولعل عذرهم فى هذا) أن الأوراق النقدية فى الأسواق العالمية كانت تنسب الى الذهب ، وكان لها سعر رسمى ثابت وسعر عرفى يختلف كل يوم باختلاف العرض والطلب ، واختلاف علاقات الدول بعضها ببعض ، ثم ألغى السعر الرسمى الثابت ولم يبق الا السعر الذى يختلف فالجنيه مثلا يساوى فى زمننا هذا (٣٢٣ر٠) من الجرام من الذهب الخالص تقريبا (وهذا العذر غير مقبول) لأن كلمة جنيه يجب أن يراعى فيها عرف البنك الذى يصدرها ، ومعلوم أن البنك لا يدفع لحامل الورقة شيئا من الذهب أصلا وانما يدفع له نقودا فضية أو ما يساويها من النقود النيكلية أو النحاسية .

(وقد حدث فى عصرنا هذا ما لم يكن فى الحسبان) حيث ارتفع سعر الفضة فألغيت النقود الفضية وحل محلها نقود من النيكل وما خلط به مما ليس ذهبا ولا فضة فصارت كلمة الجنيه وكلمة القرش تطلقان على هذه النقود التى كانت تسمى عند الأقدمين فلوسا ، وكان هذا الحادث المفاجىء سببا لعودة البخلاء الى الظهور ، فقالوا ان الأوراق النقدية انما وجبت زكاتها لأنها سندات ديون ذهبية أو فضية ، وقد زالت هذه الصفة عنها فأصبحت سندات ديون فلسية ، وقد ذهب جمهور الفقهاء الى أنه لا زكاة فى الفلوس

وان راجت ، فاذا لم يكن فى الفلوس العينية زكاة فكيف تجب الزكاة فى ديونها ؟

(وهذا الذى قالوه) جمود لا يليق بالمتقين ، فعلماؤنا الأقدمون انما قال جمهورهم بعدم الزكاة فى الفلوس لأنها لاتشترى بها الا السلع الرخيصة حيث كان الذهب والفضة تشترى بهما الأشياء الثمينة النفيسة ، ومعلوم أن الذهب والفضة اليوم صارا سلعتين تشتريان بعد أن كانا ثمنين يشترى بهما ، وقد حلت الأوراق محل الذهب والفضة ، فالأوراق القليلة العدد الخفيفة الحمل يشترى بها الأراضى والقصور والأدوات الضخمة واكتنازها يؤدى الى تخلف اقتصاد الدولة وهى الصفة التى من أجلها شرعت الزكاة فى الذهب والفضة اللذين يحبسان حولا فأكثر فليست الديون التى فى هذه الأوراق كالفلوس المعدنية التى لايؤبه لها • على أن الفلوس المعدنية يجب الآن بعد زوال النقود الفضية والذهبية أن يقال بوجوب الزكاة فيها ، ولكل زمن حكمه •

(الكلمة الثانية) اذا علمنا أن نصاب هذه الأوراق كان نصاب الذهب ، وبعد غلاء الذهب صار نصابها نصاب الفضة ، فماذا بعد غلاء الفضة وبعد صيرورتها سندات ديون من النيكل والنحاس ونحوهما ؟

(الجواب على هذا) أن مصلحة الفقير التى من أجلها وجبت الزكاة تقتضى أن يكون نصاب الأوراق الآن هو أقل النصابين ، ومعلوم أن نصاب الذهب الآن يقرب من ٢٧٥ جنيها ؛ لأن جرام الذهب الخالص الآن يقرب من ٣٠٩ قروش) ، ونصاب الفضة يقرب من ٦٨ جنيها ؛ لأن جرام الفضة الخالصة يقرب من ١١ قرشا) •

(الكلمة الثالثة) أول من قال ان الأوراق النقدية سندات ديون هو الأستاذ أحمد بك الحسينى حينما كان يشرح كتاب الأم للامام الشافعى رضى الله عنه ، فانه لما وصل الى الجزء المتمم للعشرين من الشرح المذكور المسمى « مرشد الأنام لبر أم الامام » ووصل فيه

الى مبحث زكاة الدين بحث فى القوانين الوضعية المدنية والاقتصادية ، وكان خبيرا بها لأنه كان محاميا دارسا لهذه القوانين — أداه اجتهاده الى أن هذه الأوراق سندات ديون لحامليها وشرح ذلك سنة ١٣٢٩ هـ فى كتاب سماه « بهجة المشتاق فى بيان حكم زكاة أموال الأوراق » وقد ارتضى كثير من علماء عصره ومن يليهم حتى يومنا هذا بهذا الرأى مع أنه رأى اجتهادى ، ولو نظر اليه الناظر بعين الناقدالخبير لأمكنه أن ينقضهويستمسك بما هو متعارف بين الجماهير من أن هذه الأوراق نقودوضعية أوجعلية والجملة التى كتبتعليها وهي«أتعهد أن أدفع لحامله : كذا — لدى الطلب » لا يلزم منها أن تكون هذه الورقة سندا بدين ، فان من المحتمل جدا أن يكون هذا التعهد ضمانا ليثق الجمهور بهذه الأوراق لأنها لما وضعت للتعامل ولم تكن لها قيمة حقيقية كانت بحاجة الى ما يدفع خوف الناس من التعامل بها ، فالخائف يقال له ان البنك مستعد أن يدفع لك قيمتها فلماذا الخوف ؟

والرصيد الذى فى البنك انما هو لتأكيد هذه الثقة ، وتوقيع محافظ البنك نيابة عن الحاكم انما هو لزيادة الثقة لأن للبنك فروعا أو وكلاء فى البلاد الأجنبية فهى تثق بالبنك أكثر من ثقتها بالحكومة ، والتعريف الفرنسى لهذه الأوراق كالصريح فى ذلك ففى بهجة المشتاق ص ٦٨ « نص قاموس لاروس وهو أكبر وأشهر قاموس للغة الفرنسية الآن فى تعريف أوراق البنك حيث قال : ورقة البنك هى ورقة عملة قابلة لدفع قيمتها عينا لدى الاطلاع لحاملها وهى يتعامل بها كما يتعامل بالعملة المعدنية نفسها غير أنه ينبغى أن تكون مضمونة ليثق الناس بالتعامل بها » اهـ .

فهذا التعريف لكلمة «بنكنوت» أى « ورقة البنك » يفيد أن للورقة مظهرا ومخبرا ، أو صورة وحقيقة ، فمظرها أو صورتها سند بدين يتعهد البنك بدفعه لحاملها ، ومخبرها أو حقيقتها ورقة نقدية جعلية جعلها الحاكم نقودا يتعامل بها كالنقود المعدنية ، ولأنها لا قيمة لها فى ذاتها

احتاجت الى ضمان ليثق الناس بها فكان هذا الضمان هو تعهد البنك بدفع قيمتها ووجود رصيد من الذهب فى البنك ، وتحديد العدد الذى يصدر منها ومنع الزيادة عليه ، ومما يؤكد ذلك أن البنك لم يقترض من الحكومة شيئا ولم يشتر منها شيئا بثمن فى الذمة ، فكيف يكون مدينا ، ومما يؤكد ذلك أيضا أن بعض الدول تكتب على الورقة أن حامل هذه الورقة قد أودع البنك مبلغ كذا ، مع أن حامل الورقة لم يودع البنك شيئا فهى كلمة كتبت للثقة لا غير .

(وها هنا يصيح صائحون) فيقولون : يلزم من هذا ألا تكون فيها زكاة ، كما أن الفلوس لا زكاة فيها ، (واننا نهدىء من روعهم) فنقول : ان الأئمة الأربعة يعترفون بالقياس لا سيما الجلى منه ، وهذه الأوراق بعد جعلها نقودا وشيوع التعامل بها قد أشبهت الذهب والفضة فى أمرين :

(الأمر الأول) الثمنية للأشياء النفسية ، فالذهب والفضة حينما أوجب الشارع فيهما الزكاة كانا ثمنين لنفائس الأشياء ، وهذه الأوراق أثمان لجميع الأشياء النفيسة ، ولافرق الا أن الذهب والفضة ثمنان طبيعيان وهذه الأوراق أثمان وضعية وعرفية ، وهذا الفرق لا أثر له ما دامت حوائج الناس تقضى بهذه الأوراق بلا توقف .

(الأمر الثانى) أن اكتناز الذهب والفضة حين مشروعية الزكاة فيهما كان يؤدى الى جمود اقتصاد الدولة وتخلفه ، وفى هذا اضرار بالأمة لا سيما الفقراء منها ، فوجبت الزكاة فى الذهب والفضة اللذين يختزنان حولا كاملا ، تعويضا للفقراء عن بعض ما أصابهم من الضرر ، ولا شك أن الأوراق النقدية الآن تتصف بنفس هذه الصفة .

فاذا اشتركت هذه الأوراق مع الذهب والفضة فى علة وجوب الزكاة وجب القول بوجوب الزكاة فيها متى بلغت نصابا وحال عليها الحول ، ولو كان الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أحياء فى زماننا هذا لم يسعهم الا القول بوجوب الزكاة فى هذه الأوراق وان اختلفوا فى

الفلوس لأن الفلوس المفردة لم تكن تشترى بها سوى الأشياء الحقيرة ولم يكن اكتنازها من عادة الناس ، ولا يؤدى اكتناز بعض الناس لها الى تخلف اقتصاد الدولة .

على أن القول بعدم وجوب الزكاة فيها (أى الفلوس المعدنية) انما كان عند تعامل الناس بالنقود الذهبية والفضية ، واذ بطل الآن التعامل بهما وحلت الأوراق محلهما وهى من جنس الفلوس وجب القول بأن الزكاة الآن تجب فى الفلوس المفردة اذا بلغت نصابا ، ولكل زمان حكمه كما سبق .

هـذا ، وبقيت كلمات كثيرات فى المسألة لا يتسع لها المقام ، ونشكر للأستاذ رسلان أن أتاح لنا الفرصة لنفضى ببعض ما تجيش به صدورنا ، وبالله التوفيق .

على حسن البولاقى

العدل :

قال صلى الله عليه وسلم :

عدل ساعة فى حكومة خير من عبادة ستين سنة .

وقالوا : عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان .

قالت الحكماء : الناس تبع لامامهم فى الخير والشر .

صورتان لصنفين من الناس

للأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، ان أعطى رضى وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان فى الحراسة ، كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع » ، أخرجه البخارى:تعس: خاب وخسر . الخميصة : كساء أسود له اعلام . انتكس : عاوده المرض بعد البرىء منه . اذا شيك فلا انتقش : المنقاش : ما تستخرج به الشوكة ونحوها ، وهو دعاء عليه بأنه اذا أصابته شوكة لم يستطع اخراجها بمنقاش يتيسر له . عنان الفرس : لجامه . متنه : ظهره حراسة الجيش : مقدمته . ساقته مؤخرته . ان استأذن لم يؤذن له الخ يعنى أنه تغلق الأبواب دونه ، ولا تقبل شفاعته لازدرائه فى أعين المترفعين وهو عند الله عظيم .

لم يجد النبى صلى الله عليه وسلم فرصة الا انتهزها فى توجيه الناس الى الخير وهدايتهم الى الرشاد ، وتحذيرهم من الشر ، وتنبيههم الى طرق الوقاية منه ، فهذه رسالته وتلك أمانته ، وهو امام المرسلين فى حمل الرسالة وأداء الأمانة وفى هذا الحديث يعرض لبيان حال صنفين من الناس ويبين منزلتهما وموقفه منهما ، وفى طوايا ذلك البيان وعظ وتذكير ، ومدح وذم ، واستهجان واستحسان ، وسخط ورضا ودعوة الى الخير واستنهاض اليه وتحذير من الشر

وتنفير منه ، وقد عبر عن كلا الصنفين برجل منه ووجه اليه الكلام . والمراد بالعبارة كل من شابهه وسلك طريقه أما أحد الرجلين وهو الرجل الذى استحق ما وصف به واستحق دعاء النبى عليه فهو الرجل المادى الذى شغفه حب المال وشغلته المادة فى شتى أشكالها وصورها فيخطف بصره بريق الدينار والدرهم كما يخطفه وشى الثوب ونقشه فلايقعد عن طلب ولا يستحيى من سؤال ، وذلت نفسه وغاض حياؤه فلا يبالى ما يلقى من اغضاء وازدراء ، همه ان يصل الى ما يريد فان أعطى رضى وامتدح وان منع ذم وجرح ، ومن كان هذا منهجه فى حياته وخلقه فشأنه أن يكون ضنينا شحيحا لا خير فيه لقريب أو بعيد وهو فى جميع أحواله مذموم ، مذموم فى طريق جمع المال ، مذموم فى استخدامه والتصرف فيه ، ومن هنا كان مستحقا لدعاء النبى صلى الله عليه بالتعسة والخيبة وفقدان المواسى والمعين والولى والناصر وان نزلت به نازلة لم يجد من يواسيه بل يترك بما هو فيه لأنه لم يستصنع الناس بمعروف ولم يدنهم بجميل فيؤدوه اليه وهو بينهم كالنبت الطفيلى يتمنون لو يقتلع من جذوره ليستريحوا من تطفله ، وما أبلغ التعبير عن هذا الرجل فى الحديث بأنه عبد الدينار وعبد الدرهم وما أقربه الى حقيقته وجوهره ، وأدله على خسته ونذالته فكأنه يقول عن هذا الرجل وأمثاله انه معروض للاستعباد من كل من يعطيه ما يشتهيه ولعل هذه العبارة تلوح بمعنى آخر وهى ان هذا الصنف من الرجال قد انصرف عن عبادة الله الى عبادة المال واشتغل به عنه .

وفى مقابل هذا الصنف المبغوض يذكر الحديث صنفا آخر هو الصنف المرتضى المحبوب صنف الأحرار الأعزة الزهدة الذين عزفوا عن المال ولم تستعبدهم الصور والأشكال ولم يهتموا بجمال هندامهم وتصفيف شعورهم وتطرية وجوههم ولم يتعرضوا لطلب الحوائج عند السادة وذوى السلطان والجاه ليفيدوا من مالهم وجاههم ، وانهم لتقتحمهم العيون فلا يؤبه بهم

وان استأذنوا للدخــول على ذوى الشأن لم يؤذن لهم وان استشفعوهم لم يقبلوا شفاعتهم، ومالهم ولهذا كله يعنون ـ بتشديد النون ـ به أنفسهم ويشتغلون به عما وقفوا جهودهم عليه فقد وقفوا جهودهم على سبيل الله، وسبيل الله هى نصرة دينه وجهـاد عدوه ، ونصرة الحق والعـدل فهم دائما مستعدون لخوض المعـارك دفاعا عن هـذه الأهداف النبيلة ، أيديهم على أعنة خيولهم اذا استنفروا كانوا نسـورا واذا قاتلوا كانـوا أسودا ، فالغاية سامية ، والمقصـد عزيز لا يسـألون أين مكانهم من الجيش وما مراتبهم فيه ولا يتحرون مكان الأمن منه فحيثما أقيموا قاموا وحيثما أمروا أطاعوا ، همهـم أن يكون لهم نصيب فى القتـال أينما كانوا سواء كانوا فى الحراسـة أى مقدمة الجيش أم فى السـاقة أى مؤخرته .

ففى أى مكان يستطيع المسـلم بايمانه وخلوص نيته أن يؤدى واجبه ويبلغ غرضه ويرضى ربه ، والرجل من هذا الصنف خليق بدعاء الرسول له أن ينزله الله أسمى المنازل ويضعه فى أعلى الدرجات .

لقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم صورتين لصنفين من الناس ، أولاهما كالحة معتمة والأخرى مضيئة مشرقة ، والخطوط العريضة للأولى هى الحرص والجشـع والامتهان والابتـذال واسـتبدال الحرية الانسانية بعبودية ذليلة ممقوتة فى سبيل المـال والكسب المـادى ، والخطوط العريضة للصورة الثـانية حب الله والآخرة والطمع فى الثواب ونصرة الحـق والزهادة فى المـال ومظاهر الحياة والتوفر على هـذا القصد وانحصـار الهم فيـه وعدم المبـالاة بما يعـترض من المخـاطر والمصاعب وقد قصـد الرسول من رسم هاتين الصورتين الواضحتين أن يمتحن المسـلم عزيمتـه وايمـانه واخلاصـه ليضع نفسـه فى أى الصورتين فان جاهد نفسـه وهواه وانتصر على شيطانه فلا شـك أنه يضع نفسه فى الصورة التى ارتضاها الله وسوله وان خارت عزيمته وغلبه شيطانه اختار ما كرهه رسـول الله

وباء بالتعسة والخيبة وهى ما دعا به رسول الله ولا شك أن الامتحان بالاختيار عسير وهو فى حاجة الى مجاهدة وطول اصطبار ، وبقدر المشقة يكون الثواب وبكثرة الرعاية والتعهد يجود الغراس وتحلو الثمار .

وقد روى هذا الحديث بروايات وألفاظ مختلفة ليس بينها اختلاف فى المعنى ولا زيادة على ما تضمنته هذه الرواية .

وقد عنى بهذا الحديث علماء البلاغة لما فيه من الصور البيانية ومن هؤلاء الامام الشريف الرضى فى كتابه المجازات النبوية ومما قاله فيه هذا الكلام مجاز وذلك أنه عليه عليه الصلاة والسلام جعل الرجل القوى الطبع الشديد الجشع الذى يرضى باعطاء ما سأل ويسخط بمنع ما طلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض ، لأنه باعطاء هذه الأشياء يسترق ويملك ويمتهن ويستبذل . فجعله عليه الصلاة والسلام عبدا لها على المجاز وهو فى الحقيقة عبد لباذلها . ومن معروف كلامهم ، فلان عبد الطمع ، وخادم الأمل اذا كان ذليلا لمن وجه أمله اليه وضارعا لمن علق طمعه به .

أبو الوفا المراغى

التجربة والوقار :

فى الحديث ان أول من رأى الشيب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فقال : يارب ، ماهذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى :

الوقار ، فقال : يارب ، زدنى وقارا .

لقاء الغرباء ..!

للدكتور عبد الودود شلبي

حين جمعت متاعي راحلا عن هذا العالم ،
قال الجميع اننا نعرفه جيدا . لكن أحدا لم
يعرف شيئا عن هذا المسافر . من أين جاء ؟
ومع من تكلم ؟ وماذا قال ؟

العلامة اقبال

لا أدرى متى كان لقاؤنا الأول يا غريب ! كل ما أذكره لا يتجاوز حدود المكان الذى تم فيه هذا اللقاء ... لقد حدث ذلك فى ضاحية (الزيتون) وفى بيت الامام الراحل ... الشيخ محمد الأودن ، وفى هذه الحجرة المتواضعة على يمين الداخل الى البيت ..

لم تغب عنى هذه الصورة .. فلم أزل أذكر جمجمة « سمك القرش » المعلقة فى صدر الحجرة .. لقد أهداها اليه رجل يونانى ... فقد كان الشيخ انسانا يتسع قلبه لمحبة الناس من كل الدنيا ..

وما أظنك يا غريب نسيت هذه العبارة التى كتبها الشيخ تحت هذه الجمجمة .. ؟ اننى لا أتذكر ما كتب جيدا ... غير أنى حين استعيد صورة أسنانها الحادة تنفعل نفسى بأشياء غريبة ، وترتعد مفاصلى من الخوف فى شدة ..

رحم الله شيخنا الأودن ... لقد تأخر عنا كثيرا فى هذه الليلة ... كان معه رجال لم نعهدهم فى بيته من قبل .. ثم انصرفوا وقد بان فى وجوههم السرور والبشر .. وقد حضر الشيخ الامام بعد ذلك وقال كل شىء ... كانوا مجموعة من الناس مسهم الضر ! وضاقت بهم الحياة حتى أشرفوا على الموت .. فأرشدهم الى الشيخ رجل من أهل

الصلاح والخير ، وفى ساعة أو أقل تغير فى هؤلاء النـاس كل شىء .. لقـد أعاد اليهـم الايمـان والأمل والسـكينة ، وأشـاع فى القلوب الخائفة الأمن والطمأنينة ..

لقـد تذكرت الآن تاريخ هـذا اللقاء..حدث ذلك منذ ثمانية عشر عـاما بالضـبط .. ان الذكريات تعيش فى حجرة مغلقة داخل النفس.

ولهـذه الحجرة مفاتيح يصعب الاحتفـاظ بهـا فى كل وقت ، ثم تتداعى هذه المفاتيح وتتساقط بكلمة عابرة من غير قصد .. !

كنت تحدثنى عن مأساتك الدامية فى هذا الوقت . لم أكن أصـدق أن الجالس أمامى انسان حكم عليه بالموت .. فقد كان اباؤك وكبرياؤك يمنعانى من المضى فى الحـديث الى نهاية الشـوط .. وكم ناقشتك فى التنازل بعض الشىء .. فقد كنت أرى ما لا تراه من قسوة تجاوزت كل حد .. وأشعر بما تحمـل من تبعـات تنفتت من تحتهـا جبـال الجرانيت والصخر .. وقد ذكرتك آنذاك بـ « رجال » كانوا فى نظرك قمة فى المثالية والفكر .. ثم هانوا وسقطوا فى أعين الصـغير والكبير فى أرض مصر .. غير أن مثاليتك أذهلتنى .. وحديثك عن الحيـاة والسـعادة زلزل كيـانى .. اننى أحيـانا أتعلق مثلك بهذه القيم .. وأتظـاهر بالحفـاظ على كثير من المثل . غير أنى أضعف وأتهاوى حين يتعلق الأمر بصياح طفل ينتظر عودة أبيه الغائب .. أو دمعة فتاة كسيرة الجناح ضعيفة الجانب .. أما أنت فلا أدرى .. ؟ هل كان ذلك منك تفريطـا فى العاطفة ؟ أم افراطا فى التضحية ؟

* * *

لا شىء من هذا ولا ذاك .. فاذا كنت تضعف وتتهاوى أمام صـياح طفـل أو دمعـة فتاة .. فقد كنت ولا أزال أكثر ارهافا وحساسية فى نظرى الى مثل هذه الأشياء .. هل تتصور انسانا يجرى وراء أمه حتى لا تذبح دجاجة؟! فاذا كان هذا نظرى الى ما أحل الله فكيف بما هو من خصـائص الفطـرة ، وأخلاق أهل الصلاح والتقوى ؟ .. لقد وقف

« مولانا محمد على » يقول للقاضى الانجليزى فى محاكمة كراتشى الشهيرة :

اذا لم يصدق الناس مع ربهم فاستباحوا مخالفة أمره .. أتنتظر منهم بعد ذلك صدق ولائهم للوطن أو الملك ؟ ربهم الذى وهبهم .. الشرف .. العقيدة .. الاخلاص .. حتى الملك .. لا .. الله فوق كل شىء .. الله فوق الاخلاص .. الله فوق الملك .. الله فوق الوطن .. الله فوق بلادى ووالدى ، ووالدتى وطفلى ..

ان القضية هنا تتعلق بشىء أهم من لقمة العيش ، والتنازل هنا لا يكون ايثارا للعافية .. بل تهاونا فى الايمان والحق والفضيلة .. ان كلبا واحدا لم يمت جوعا . وشعبنا الطيب يحفظ من هذه الأمثال كثيرا .. غير أنى أذكرك بقصة ذهابى الى بيت الشيخ الامام فى هذا اليوم .. وسترى كيف تطورت هذه « القصة » الى « قضية » ؟ وكيف انتهى الصراع بين الباطل والحق فى النهاية .. ؟

* * *

لقد فقدت وظيفتى كما تعلم .. صدر قرار باغتيال الأرزاق من أعلى السلطة ! لم يكن لى دخل أعيش به فى هذه المحنة .. طرقت أبواب المدارس الخاصة .. فآثرت التشرد والجوع على العمل فى هذه المهنة.. هل تتصور ؟ رجل مثلى يعمل بخمسة جنيهات فى الشهر ؟ لقد كان الخادم يحصل على أضعافها فى هذه المدرسة .. وفى يوم أرسل الى « الشيخ » لمقابلته فى الكلية .. وجدته فى انتظارى بجامع الخازندارة .. ومن هناك ذهبنا سويا الى مكتب فخم فى وسط مدينة القاهرة ..

عرفنى بمدير الشركة ، وعرض عليه قصتى بصراحة .. فوافق المدير على الحاقى بوظيفة فى العلاقات العامة .

وغداة هذا اللقاء ذهبت الى مقر هذه الشركة .. سؤال عن الاسم..

وســؤال عن المؤهل •• وســؤال ثالث عن التجربة والخبرة •• وفى النهاية توقف المدير عن الحركة •• وتراجع بمقعده الى الوراء فى عظمة •• !

ــ يا أستاذ •• أنت رجل مثقف •• انك كبير على هــذا العمل الصغير أيها السيد ! •• شكرته على هذه النصيحة •• وأبديت ارتياحى لهذه الصراحة ، ولم أكد اتهيؤ للخروج حتى ــ تشبث بذراعى فجــأة •• وأعادنى الى المقعد بقوة ••

ــ ما هــذا ؟ قلت للسيد المدير فى دهشة !

ــ يا أستاذ هل صدقتنى ؟

ــ اللائــق • • • والواجب أن أصدقك • فأنت رئيس هذا العمل ، وأعرف الناس بمن يصلح أو لا يصلح له فى المستقبل ••

ــ لا ••• لا • أنت رجــل « خام » •• ان الحياة لم تعد بهذه البســاطة •• ولم يعــد للصــدق والشرف مكانة •• كنت مثلك أثق بالناس •• فلان سبقنى الى الترقية بسنوات •• وفلان أصبح من كبار الملاك •• وآخرون أصبحوا وزراء ورؤســاء مؤسسات •• أكذب •• أخــدع •• ان من لا يتذأب أكلته الذئاب •• ! ومضت فترة صــمت ثقيلة •• دقيقــة كانت أطــول من ســنوات فى ســجن •• ثم وقفت معتذرا وقلت :

ــ الآن فقط ••• يجب أن أذهب •• ؟ !

* * *

وفى مساء هذا اليوم ذهبت الى منزل الشيخ •• لقد قابلنى عاتبــا أو شبه غاضب •• ما هــذا الذى فعلته يا بنى ؟ لقد أخبره صــاحبنا بعكس ما حدث وسمع الشيخ منى كل شىء •• ضرب كفا بكف •• ثم اســتدار ممسكا بالتليفــون الى الخلف •• منعته من التحــدث •• وحملت التليفون بعيدا عن المجلس •• لقد كانت لى دالة عليه كما تعرف •• واستجاب ــ رحمه الله ــ لرجائى بعدم تصعيد الموقف ••

ان الأمر هنا لا يتعلق بوظيفة أو موظف •• أنكون أقل ايمــانا من

الطير ؟ ان نفسا لن تموت قبل استيفاء الأجل والرزق .. لقد فرغت من هذه القضية مع نفسى تماما .. وصدقنى حين أقول لك .. انى عدت ذات مرة الى البيت .. لم يكن ما فى جيبى يزيد عن قرش.. قرش واحد هو ما بقى معى الى منتصف الشهر .. كان أخى فى الجامعة وكنت المسئول عنه بعد وفاة والده .. تصور .. نفسان ينتظرهما على الغذاء قرش واحد .. ؟ لم تطرف عيناى خوفا .. ولم يخفق قلبى يأسا .. أبدا والله أبدا .. صليت الظهر .. وانتزعت من المكتبة كتابا أتسلى به الى وقت العصر وكانت المفاجأة التى لا تمحى أبد الدهر .

وجدت ثلاثة جنيهات فى الكتاب.. وجاء أخى بعد ذلك بمكافأة لى من احدى المجلات ..

وسجدت .. سجدت على الأرض ايمانا برب الأرض والسماوات ..!

* * *

نعود الى حديثنا فاستمع منى .. استمع منى أنا « الغريب » كما تسميني .. ان الغربة الحقيقية هى غربة النفس والقلب .. ان غربة الأهل والوطن قد تحتمل .. آه لو تعرف كم أحببت ولا كيف أحب ؟ ان قلبى لا يتسع للشحناء والبغض.. وأنا فى هذا التصرف « أنانى » اذا شئت ! لا تعجب ودعنى أفسر لك.. ان البغض يا صديقى مرض .. هل تشعر بشىء حين يبغضك أحد ؟ انك لن تشعر بشىء .. ولكن صاحب القلب الأسود يقتل نفسه من حيث لا يشعر .. ان هذا المرض .. مرض البغضاء والكراهية يقتل أهله .. فاذا كنت أوثر الحب على الكراهية فلأننى أحب نفسى أولا وقبل كل شىء .. سمها أنانية .. أو مثالية فالحب كلمة لا حدود لها فى اللغة .. المهم أن تفهم لماذا أحب الحب .. ولماذا أبغض الكراهية والحقد .. !

وسواء أكانت هذه الغربة فى (النفس) أم فى الشعور والقلب أم فى المعاملة والأسلوب فانى لا أفعل ذلك التزاما بفلسفة ..

انني مسلم يدين بدين الحب ٠٠ بالاسلام فطرة الله فى كل قلب فاذا رأيت من الناس مجافاة لهذا الاسلام حـزنت ٠٠ وكم تعرضت لمواقف صعبة بسبب هذا التصور ٠٠ أصدقاء كثيرون لم يعودوا أصدقاء ٠٠ أساتذة لى صاروا عنى غرباء ٠٠ قادة وزعماء لم يتجـاوزوا فى نظرى « دمية » فى متحف الشمع ٠ !

كنت أجـد فى جـانب الله كل راحة ٠٠ آه لو تعرف حلاوة الايمان حين يستعلى ٠٠ ودموع السـحر والناس نيام فى جوف الليل ٠٠ وقد صار النـاس ــ كما يقـول الامام على ــ على أربعة أصـناف : منهم من لا يمنعه عن الفســاد الا مهانة نفســه ، ومنهم المصلت بسيــفه ، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية، ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضـؤولة نفسه ، فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس أهــل الزهـادة ٠٠٠ وبقى رجـال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد ناد ، وداع مخلص ، وثكلان موجع ٠ وقد وعظوا حتى ملوا ٠٠ وقتـلوا حتى قلوا ٠٠

فاذا كان الناس على عهده كمـا يقول ــ رضى الله عنه ــ فكيف بهم على عهدنا كما ترى وكما تسمع ؟ ان الايمان يا صاحبى ليس سلعة فى دكاكين الطلب والعرض ، انه منحة من الله رب السموات والأرض ٠٠ وقد تحملت الكثير فى سبيل ذلك ٠٠ كان من الممكن أن أكون «(قارون)» لو شئت ٠٠

لست أعنى (قارون) موسى كما تعلم ٠٠ انما أقصـد الثراء الذى ينبهر به المفلسـون من الفضـائل والنبل ٠٠ ! وقد كان الثمن بسيطا لهذا (التقرون) ان شئت ٠٠ أن تقول للبصل مثلا أنت أيهـا البصل أحـلى وأجمـل من التفاح ٠٠ ! وللجاهل الجبان ، يا خير من عرفت البشرية فى الرأى والعلم والكفاح!

غـير أنى لم أفعل ٠٠ تجاوزت بالاباء والكرامة مرحلة انعدام الوزن ٠٠ أنهم يسـمونها سـذاجة ٠٠٠

والبعض يقول حماقة . .وآخرون يفسرون النزاهـة والعفة بآراء هى أبعد ماتكون عن الحق والعدالة..

اننى غريب حقا .. ألست تنادينى بهذا الاسم .. ؟ غير اننى أستأذنك فى العـودة الى « قصـة المـدير الشهم » ..

منذ ثمانية أشهر ذهبت الى مخبز لشراء بعض الخبز . فكانت المفاجأة التى لم تكن فى الحسبان والعقل ..

لقد وضـع الخبـاز ما اشتريته فى لفافة ، ولم أكد أصل الى البيت حتى رأيت عجبا ... وانتشى قلبى الحزين فرحا وطربا ..

« نحن الموقعين على هذا أدناه .. نشـهد بأن المدير فلان الفلانى قد اختلس من ميزانية الشركة مبلغـا وقـدره ــ كذا ألفا من الجنيهـات ـ وأنه لجأ الى وسائل رخيصة فى حركـة الترقيات والتعيينات ، وقد أدى عمله هذا الى الكثير من الخسائر والأخطاء .. الأمر الذى يستوجب احالته الى النيابة وعرض هذه الوقائع على الجهات المعنية فى الدولة .. ».

لقد كـان المديـر المعنى بهـذه الشـكوى هو الذى حدثتك عنـه وكانت اللفـافة التى أخذتهـا من الخباز صـورة من القضية المرفوعة عليه .. لقد سقطت عن الرجل كل الأقنعـة .. وظهـر على حقيقته فى النهاية .. وكان الثمن ياصـاحبى سبع سنوات فى ليمان طره .. !

بم تفسر ذلك ؟ سـتقول انهـا مصادفة .. أى مصـادفة تلك التى تقع بعد ثمـانى عشرة سـنة ؟ وفى مكان لا عهد لك به ولا صلة ؟ ومن انسـان لا يعرف من قصـتك هذه كلمة واحدة ؟

ان القدر ياصاحبى لايهزل .. ، ومن عنده مفـاتح الغيب لا تأخذه سـنة ولا نوم .. وسـواء أكانت المصادفة هى تفسيرك لكل ما حصل، أو كـان ذلك تدبيرا من الله منـذ الأزل .. فالدم يطالب الدم كمـا يقول المثل ، والمـال الحرام يطارد صـاحبه حينما حـل أو نزل ...

* * *

ألا ما أتفه الحياة حين تخلو من الرجال الذين يزرعون فى القـلوب شجرة المحبة ، وما أوحشها دنيا حين يصـطبغ كل شـىء فيهـا بالغدر والخديعة ..

لقـد ضربت فى مشـارق الأرض ومغاربها ...

عرضـت قلبـى عسى أن يشـتريه أحد ...

فتحت صدرى لمن يرغب ...

اننى أحترق بنار شوقى وحبى...

وأعجب أن أعيش فى عصر لا يعرف الاخلاص ...

أنا غريب فى الشرق والغـرب ...

أعيش وحدى ...

وأغنى وحدى .. ! !

دكتور عبد الودود شلبى

قال غيلان : لا تكن كعلماء زمن الهرج ـ أى الفتن ـ ان علموا انفوا ... وان علموا عنفوا ... وقد قيل : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه علم . فقد جهل .

وقال ابن عطاء الله : أى علم لعالم رضى عن نفسه ؟ وأى جهل لجاهل : لا يرضى عن نفسه ؟ .

حسان الهند غلام على آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

فى عددين سابقين كانت لنا جولتان مع شاعرنا غلام على آزاد حيث تحدثنا فيهما عن اصله ونشأته وشخصيته وأعماله ولقبه الشعرى « حسان الهند » وطرف من علاقاته مع العلماء والأدباء من عرب وهنود ، وعن أغراض شعره ومنهجه فى المديح النبوى ومكانته بين المادحين ملقين بعض الأضواء على سبقه وتفوقه كما حددنا طريقته فى الغزل وتلمسنا فى شعره مقاييس الجمال ورأيه فى الحب وها نحن نواصل ما انقطع من هذا الحديث .

— ٣ —

الغزل الصوفى :

لأهل التصوف رموز واصطلاحات لا يعرفها غير المتخصصين وأهل الطريق ولاشك فى أن من يقرأ غزل ابن العربى فى ترجمان الأشواق ، وابن الفارض فى ديوانه لا يستطيع أن يفهم المقصود منه دون الرجوع الى تفسيره وشرحه ومعرفة الرموز الصوفية التى استعملها كل منهما ، وقد جاءت فى شعر آزاد رموز صوفية كثيرة مما جعلنا لا نشك لحظة فى أنه قصد بكثير من غزله الى ماقصد محيى الدين ابن العربى ، وابن الفارض فى ديوانيهما وذلك للاعتبارات الآتية :

أولا : يحس القارىء عندما يصل الى خواتيم كثير من قصائده

الغزلية أن الشاعر بعيد عن الغزل بمعناه الواقعى وذلك مثل قوله :

اذا أخذ الله الخلائق فى غد
فمن لى سوى العشق المقدس شافع

وقوله :

أرتاح فى جنة الفردوس يوم غد
نار الصبابة عندى أوضح الحجج

ثانيا : يلمح فى غزله الى بعض أعلام العشق الالهى كرابعة العدوية مثل قوله :

نهج الغرام على أربابه سهل
طوته رابعة فى حالة العرج

ثالثا : نراه وهو عالم الدين الذى يذوب حبا فى المصطفى يفضل الغزل على المدح ولن يكون ذلك الغزل الا تصوفا ، يقول :

مدحتك اخلاصا ووجهك مقصدى
وان كنت مشغولا بحسن التغزل

ويقول :

تخير آزاد المشوق تغزلا
أقل قليل شعره فى المدائح

رابعا : فى غزله حقائق صوفية لا يمكن أن تؤول بغزل واقعى مثل قوله :

عش يا أخانا بالحقيقة شاغلا
ان لم يكن فاشغل بحسن مجاز

لا تنتهج الا طريق صبابة
ان كنت تطلب أتوم المعجاز

فن الصبابة ما أدق بيانه
متحير فيه الامام الرازى

طوبى لمن بارى وقاتل نفسه
فأبادها وهو الشجاع الغازى

ان كلمة الحقيقة وحسن المجاز نص فى الغزل الصوفى وأيضا اشارة الشاعر الى حيرة الامام الرازى فى فن الغزل لا يمكن أن يكون المقصود منه غير الغزل الصوفى اذ لا يمكن أن يتحير فقيه يستنبط الأحكام ويفسر الآيات فى فن الغزل الواقعى ولذا نجزم بأن المقصود من فن الصبابة فى قول آزاد الغزل الصوفى الرامز خاصة وأن الامام الرازى لم يكن يعنى بأمر الباطن كثيرا .

خامسا : ان صـورة آزاد أمام حبيبته وما فيها من مذلة وخضوع توحى بأن هذه المحبـوبة من عالم آخر فانظر اليه يقول :

ما موضعى الا محـل نعالهـا
أما البسـاط فموضـع العظماء

ويقول أيضا :

فهل أحظى بمجلسها المعـلى
وأجلس ثم فى صـف النعـال

وأيضا :

لكل محب فى حماهن موضـع
تعين فى صـف النعال مقاميـا

وأغلب الظن والحالة هـذه أن الشاعر يتخذ من المحبوبة والبساط والنعال رموزا يمكن أن نقول فيها: ان المقصود من المحبوبة فى هـذه الأبيـات النعلية الذات المحمـدية ومن البسـاط مقامات الواصـلين ومن النعال مقامات الدارجين على الطريق ولمـا كان شاعرنا سـالكا فى أول الطريق فقد خص نفسـه بمواضـع النعـال وانه ليرجو أن يجلس على البساط ويترقى الى مقام أعلى . وسوف نذكر طائفة من غزله هنا لنحاول تفسير رموزها ونرجو أن نقع على الحقيقـة أو نقترب . يقول فى الفراق :

بكت أهل الأباطح يوم سـاروا
وأسرع سائق الـكوم العتـاق

فـــلا والله ما نبـغى حيـــاة
وان طالت بنـا بعـد الرفـاق

فـؤادى يـوم سـارت عيسهم
عن مـنى متمرغ اثـر النيـاق

أسـير وأدمعى تسرى ورائـى
الى أسـماء سـاكنة العراق

ألا آزاد لا يخـشى أوامـــا
رسول الله يوم الحشـر سـاقى

لقد بكى أصحاب المقامات حزنا على تخلفهم حين رأوا اخوانهم على الطريق يواصـلون الـترقى الـى مقامات أرفع . والسائق فى البيت الأول هو المـلك المقرب والـكوم العتاق هى همم السالكين يحدو بها الملك وقد سـاروا من مـنى الى الزوراء مقـام القطب كما يقـول ابن العربى :

أحب بـلاد الله لى بعـد طيبـة
ومكة والأقصى مدينـة بغدان

ومالى لا أهوى السلام ولى بها
امام هدى دينى وعقدى وايمانى

وقد سكنتها من بنيات فارس
لطيفة ايماء مريضة أجفان

ويقول آزاد فى الشوق :

أحن شوقا الى بستان كاظمة
أظله عارض الأقياظ منسكبا

يا ليتنى أرتوى يوما بمنهله
وأجتنى من نخيل المنحنى رطبا

الله الله لا أنسى مطوقة
أورت فؤادى بالتغريد فالتهبا

وبستان كاظمة هو رياض المعارف الالهية والعارض المنسكب هو هبوطها والشاعر هنا يتشوق الى مقام تلك المعارف ، ويدعو لها بالدوام ويتمنى أن يرتوى من معينها ويتمتع بثمارها وهذا مقام عيسوى مريمى لقوله تعالى : « فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا • وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا » ، والمطوقة فى البيت الثالث هى الروح حيث طوقت بالميثاق فى قوله تعالى : «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » • فهى لا تزال تذكره بذلك العهد فيلتهب قلبه شوقا الى الوصال •

ويدعو شاعرنا الى قتل العذول فى قوله :

هلموا الى قتل العذول فانه
لمنهاج أرباب الصبابة قاطع

على خلاف ابن الفارض الذى يترفق به ويدعوه الى العشق كقوله:

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى
فاذا عشقت فعند ذلك عنف

فان لم يستطع اقناعه طلب منه أن يتركه لشأنه :

ان رمت اصلاحى فانى لم أرد
لفساد قلبى فى الهوى أصلاحا

ولست أظن أن آزاد يدعو الى قتل ذلك الانسان الذى يلوم المحبين وانما يرمز به الى النفس الشهوانية التى تحاول دائما أن تردى به وتقعده عن التهويم فى عالم الروح•

أما صورة الفراش يتهافت على النار فقد أثارت مشاعر آزاد فرددها فى مواضع كثيرة معجبا بها حينا متمنيا مكانة الفراش أحيانا أخرى ، واذا رجعنا الى الأدب العربى علمنا أن هذه الصورة عند الفراش انما تستعمل فى معنى الطيش وعدم الدراية واذا فلابد لآزاد أن يرمز بها الى شىء آخر . يقول :

يأيها المصباح نور مقلتى
أنا هائم فى الليلة الليلاء

واجعل فراشك فى ضيائك فانيا
ابقاؤ فى صورة الافناء

واذا كان الصوفيون يفسرون المصباح فى قوله تعالى : « المصباح فى زجاجة » بالروح فاننا يمكن أن نعرف ما الذى يمكن أن يتحد بالروح فيحقق وجوده وبقاءه وهو تلك اللطيفة الانسانية التى رمز اليها الشاعر بالفراش وعلى ذلك يمكن أن نقول ان الحبيب أو المصباح الذى يدور ، أو تدور اللطيفة الانسانية حوله هو الروح بمعناها الكامل والافناء من جانبها عبارة عن اماتة دواعى الضرورات الجسدية وهذا الموت هو الحياة على وجه التحقيق ، ولأن فى الانسان تلك اللطيفة فانه يبارك ذلك الفناء ويسعى اليه فاذا ما اتصل الجزء بالكل نزع الانسان خلائق الجسد وتحلى بالأخلاق الالهية كما يقول آزاد :

أخذ الفراش من السراج صياغه
نور البقاء من الفناء يلوح

شعر الخمر :

يقول فى خمرية الديوان الثانى :

معتقة اذا جليت ترينا
صباح العيد فى وقت المساء

ثوت فى دنها المحروس أبهى
من العذراء فى خدر الحياء

الى أن يقول :

عليكم بالشواء اذا شربتم
تقووا بالغذاء على الدواء

ذروا أعداءكم فى النار طرا
فان كبودهم خير الشواء

أيا أصحابنا هـذا هنيء
لـكم لا أكيد الشرف النـواء

ألا آزاد عبـد مســتحق
سـقاه الله صـهباء الـولاء

الخمـر عنـد الصـوفية طريق الكشف وقد وصفها آزاد بالقـدم شير بذلك الى أن طريق الكشف قد سلكتها النفس قديمـا قبل أن تتردى فى سـجنها الترابى المتمثل فى الجسـد فاذا ما عاد الانسـان ووصل الى أول هذه الطريق سقطت عنه قيود الزمان والمكان فلا صباح ولا مساء ، والخمر توجب السكر والسكر غيبـة بوارد قـوى فاذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب(١) والسكر هو المرتبـة الرابعـة من مراتب التجلى كما يقول ابن العربى فأولها الذوق ثم الشرب ثم الرى ثم السكر ، وشـاعرنا آزاد ينصـح الشـاربين أن يصيروا على حـال الشرب حتى يصـلوا الى المرحـلة التى يعدها كما يوصيهم أن يتركوا الأعـداء ــ الشـهوة واللـذة والانشغال ــ فى نار قلوبهم المتأججة بالشـوق والهيـام حتى تنضـج ليأكلوها مع الشرب ، واذا مافعلوا ذلك قطعوا كل صلة لهم عن حالة الصحو ولم يلتفتوا الى ما وراءهم من ظلمة الجسد .

أسلوب الشاعر :

ألفاظه سهلة واضحة الا فى بعض القوافى ، والى جوار السهولة نجده يختارها بعناية ويحاول فى كثير من الأحيـان أن يلقى بالألفـاظ ظلالا ويوحى من خلالها بمعان أكبر من مدلولها اللغوى كقوله :

لقـد أومى الى قتل الأسـارى
بأصـبعه المخضـب بالرقـون

وقـوله :

أيا صبا أنت فى القيعـان سائرة
وأنت ألطف خـلق الله تـكوينا

أتوصلين الى الدهنـاء أدخنـة
من الأوار الذى بالجزع يكوينا

وقوله فى الاسراء :

لقد تجاوز سبعا وهى ما انخرقت
كناظر العـين فاستيقظ ولا تنم

(١) الرسالة القشيرية ٣٨

غير أن مما يعيب ألفاظه أنه يستعمل مصطلحات العلوم كقوله :

سناه مبدأ آثار مكونة
والابتداء مدار الحكم فى الجمل

وقوله :

تاج القضايا الموجبات هو الهدى
رأس السوالب ماله من ثانى

الأعجميات :

من البديهى أن استعمال الأعجمى يعيب الأسلوب الا أن يريد شاعر أن يتظرف فيستعمله على سبيل الندرة كما فعل الأعشى وأبو نواس وغيرهما لكن آزاد استعمل الأعجمى تظرفا حينا ورغبة فى نقله الى العربية أحيانا أخرى مثل قوله :

أقبلت أعجمية سحرا
فقلت بالفارس آنزديك

فكلمة آ بمعنى تعالى وكلمة نزديك بمعنى قريب •

وقوله :

سقى الله الجواسا كيف ينمو
بغير الماء فى الصيف الصميم

فالجواسا شجيرة هندية تنمو وتخضر فى حرارة الشمس الشديدة وتجف وتيبس بالمطر • وغير ذلك كثير •

أبو قلمون :

هو نوع من البديع اخترعه الأمير خسرو الدهلوى أو هو التورية بين لغتين فأكثر ولم يفعل آزاد فيه سوى أن وضع له الاسم وحدد أنواعه وأورد له الأمثلة كقوله :

يسكن عرفك الأذكى هيامى
فمل لله يا غصن البشام

فكلمة مل فى العربية أمر من مال يميل وفى الهندية أمر أيضا بمعنى الق • وقوله :

لقد رمتنى بسهم اللحظ مقلته
حتى رأيت دمى من جرحه خرجا

فكلمة دم معروفة فى العربية وفى الفارسية بمعنى النفس ويصح ارادة المعنيين ، وقوله :

لقد أحببتها حبا عظيما
ووردى دائما بى بى أمامة

فكلمة بى للتفدية أى أفدى بنفسى أمامة وتكرارها للتأكيد هذا فى العربية أما فى الهندية فان كلمة بى بى لقب تعظيم للمرأة وتصح ارادة المعنيين على سبيل التورية ، وقوله :

ظلم المتيم أملح الغزلان
يعفو المهيمن عن حبيب جانى

فكلمة جانى فى العربية اسم فاعل من الجناية وبالفارسية مركبة من جان بمعنى الروح وياء النسب بمعنى حبيب روحى وتصح ارادة المعنيين على التورية بين اللغتين ، وقوله •

يا رب كيف نرى فى قومنا عارا
فاقطع وتين عدو ظالم مارى

فكلمة مارى فى العربية ماض بمعنى جادل وفى الهندية ماض بمعنى ضرب وفى الفارسية بمعنى لنا أى ملكنا وتصح ارادة أى معنى من المعانى فى اللغات الثلاث على سبيل التورية •

ومن مظاهر الأسلوب عند آزاد : الحكمة ، والمثل ، والتضمين وطرق التعليل ، والافحام ، والتأكيد بأنواعه والمبالغة والقصة الشعرية وسوف لا نعطى أمثلة حتى لا يطول بنا الحديث •

استخدام الصورة :

للصورة عند آزاد هدفان : أولهما فنى يجلو به المعنى ويخرجه فى اطار جميل مؤثر كقوله :

عينى تسيل ولم أملك صيانتها
كممتلى قدح فى كف مرتعش

وقوله عن احدى قصائده :

قصيدتى هذه حسناء جالسة
على الأريكة فى حلى وفى حلل

أما ثانى الهدفين فهو : اقناعى يحاول به التأثير حتى يصل الى التسليم من قبل المخاطب كقوله :

لا نقص بى ان ذبت فى نار الهوى
قدر الأهلة بالهزال جليل

أثر البيئة :

اذا كان كل أديب صورة لعصره ومرآة لمجتمعه فان آزاد فى شعره العربى كان مقلدا لشعراء العرب يتخيل خيالهم ويعيش بأفكارهم

ويتنقل معهم من احساس الى احساس وينزل بخياله الى الأماكن العربية ويتعشق العربيات ولاشك أنه بهذا كان يعبر عن بيئته التى تتجه بكل كيانها الى الأمة العربية وتدين بوجودها الى هذا الدين الذى نبع فى الجزيرة العربية ، ومع ذلك فقد انتشرت فى أشعاره آثار البيئة الهندية بمعتقداتها وعاداتها بتضاريسها ونباتها مثل قوله :

لقد التظى فى الهند قوم بالهوى
ورأوه من رب الورى احسانا

نار الهوى أضحت عليهم جنة
كسمندل فى أرض هندستانا (١)

فقد أشار الى التصوف الهندى والى نوع من الطيور الهندية لا يحترق بالنار ، وقوله فى الفراق :

لا أرتجى بعد التحرق راحة
ستفرق الأرياح شمل رمادى

وقوله :

لقد احترقت وما ترحم مشفق
حصلت هذا النفع من قبساتها

وغدا رمادى فى الفلاة مفرقا
بتوجه الأرواح من حضراتها

فصورة الاحراق ثم تذرية الرماد المتخلف فى الهواء تأثر بالعقيدة الهندية المعروفة منذ قديم ، وقد يحتفظ أهل الميت بجزء من الرماد ليوضع فى صدر البيت أو غرفة الجلوس بجوار صورة المتوفى ولهذا أيضا أثر فى شعر آزاد :

قال لى ليلا فراش مغرم
انى لهمت بشمعك المأنوس

فأوان يقتلنى ويحرق جثتى
أودع رمادى قبة الفانوس

وفى الهند ينزل المطر غزيرا فى فصل الصيف فيلطف الجو وينعش الصدور ، وقد تعارف أدباء الهندية

---

(١) السمندل : طائر كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ودابة أو دويبية كما يقول فرهنك عميد وفى كتاب «أردولغت» ذكر أنه يفرز مادة تطفىء النار فلذلك زعموا أنه لا يحترق .

على أن موسم المطر يثير العواطف ويهيج الأشجان فاذا ما ظهر السحاب فى السماء كبداية لهذا الموسم أسرع كل حب فالتقى ولاذ بالوصال مهما بعدت الشقة وطال السفر ولذا فان هذا الموسم يأتى نارا على المرأة التى نأى عنها حبيبها او انفصل ، وقد ترجم آزاد فى هذا المعنى شعرا هنديا منه :

زارت سعاد بلا وعد فقلت لها
يا مرحبا بك من ألقاك فى التعب

قالت لقد جاءنى غيم وكلفنى
أنى أجوب اليك الأرض بالهدب

فقلت كيف طويت الأرض ماشية
وقت الدجى وسكوب الدمع من سحب

قالت هدانى شعاع البرق مرحمة
فمثله سرت فى القيعان والكثب

فقلت سيرك فى جنح الدجى غلط
بلا شريك رفيق فى خطى الطلب

قالت خيالك طول الليل كان معى
فى حالة عن تجاه العين لم يغب

وأنشأ فى هذا المعنى أيضا قوله:

جاء السحاب وليس ودى حاضرا
من لى بارجاع الحبيب اليا

أسبلت دمعا فانيا من مقلتى
حتى بكى الغيم الرقيق عليا

وقوله :

سحقا لغادية بالغيث تحرقنى
من أين ماء فراح حل الحرقا

فعل السحائب ارسال الحيا كرما
فما لهذى الغوادى تمطر البرقا

واذا كان آزاد قد قال هذه الأبيات على لسان امرأة هندية أو أكثر فان هذا يعطى صورة أخرى عن المرأة فى الأدب الهندى حيث تكون هى الطالبة للرجل المتغزلة فيه العاملة على امالته .

ويشير الى طبيعة أرض الهند فى قوله :

همت برجس من الأوثان طائفة
ادارة الروث أقصى همة الجعل

والى طرف من حياة أهلها :

عجبت من شيمة المصباح فى الظلم
ينور الجو الا موضع القدم

الأوزان والأشكال الشعرية :

لم تخرج أوزانه عن الأوزان العربية الا ما ندر مثل استعمال

وزن الدوبيت فى القصيدة الكاملة والمقطوعة وأشهر بحور شعره الطويل والكامل والبسيط والخفيف والوافر أما الموسيقى الداخلية فقد كان للمديح النبوى فيها أوفى نصيب حيث يقول مثلا :

وبلغت خير الأرض أرض تهامة
فرحا برؤية لعلع وحراء

بالبيت طفت وجئت زمزم والصفا
وأتيت كل مواطن الآلاء

ثم ينتقل مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم :

قد جئت بابك خاشعا متضرعا
ما لى وراءك كاشف الضراء

أحسن الى ضيف ببابك واقف
شأن الكرام ضيافة الغرباء

اننا نحس بنفس الشاعر تكاد تطير من الفرح ونسمع أنفاسه تتصاعد فى سرعة حينا وفى هدوء حينا آخر عندما يرى أمله قد تحقق فيطوف ونطوف معه وترتوى من زمزم كما يرتوى ثم نحس باللهفة والشوق وهو على باب الحبيب تتصاعد نبضات قلبه لتتآلف مع دقات يده فى موسيقى حية موحية .

أما الأشكال الشعرية فقد استعمل منها: القصيدة ، والمقطوعة ، والموشح ثم انه أدخل من الفارسية أشكالا شعرية الى القريض العربى وذلك مثل الحاجب والمردف والمستزاد .

الحاجب : هو كلمة معينه يختارها الشاعر ويكررها بين قافيتين فى كل بيت من القصيدة كقول آزاد .

لقد ذقت فى الحب المرير حلاوة
لسانى عن التبيان والله قاصر

قسمت الأسى فى العاشقين لأنه
لدى من المنان والله وافر

اذا قلت الأحزان بين قلوبهم
فحزنى للنقصان والله جابر

فالحاجب فى هذه الأبيات هو لفظ الجلالة الله والقافية الأولى هى النون قبله والقافية الثانية هى الراء فى آخر كل بيت .

المردف :

الترديف عند العرب عبارة عن حرف لين قبل الروى لكن الترديف الذى يعنيه آزاد والذى نقله عن الفرس عبارة عن كلمة مستقلة تتكرر بعد الروى كقوله :

العشق لب والدهاء نواثر
لب النواة عن النواة بعيد

شأن الغرام أجل من شأن الحجا
قدر العقيق عن الحصـاة بعيد

ان جارت الحسناء فهو تفضـل
هذا الشكور عن الشـكاة بعيد

فكلمة بعيد هى الردف .

المستزاد :

يعرفه آزاد بأنـه كلام موزون يسـتزاد فيه بعـد كل مصراع من البيت جزءان أو جزء واحد بعـد المصراع الثانى كقوله :

ألبس ياذا الجـلال جيد الورقاء
... طوق الصـفراء

تملى كرما على أسير الغمـاء
... ذكر الزوراء

وقـوله :

ولت عـنى وأقبلت فى الرؤيا
هل يحصل من لقائهـا فى الحلم
... جبر النقصان

لا تطفىء غلتى سـوى باسـمة
فافت أسـنانها بمـاء شـبم
... حب الرمان

وقد دعا آزاد شعراء العربيـة أن يحذوا حذوه فى استعمال هذه الأشكال ، ولـكن لم يستجب له أحد فيما نعلم وفى رأينا أن هـذه الأشكال لن يكتب لهـا نصيب فى العربية لمـا فيها من قيود تتمثل فى القوافى المتعـددة . واذا كان العرب يحاولون أن يتخلصوا من قافيـة واحدة أو يطوروها فكيف يمكن أن يستسيغوا بيتـا له قافيتان هـذا بالاضافة الى أن هـذه القيود تحد من المعانى وتتحكم فى فكر الشاعر وتقعـد بخياله ، ويمـكن تلخيص رأينا فى هـذه الأشكال بأنها لزوم مالا يلزم .

الخيـال :

هو الـذى يتـولى التجارب الشعرية ويخرجها من حالة غامضة الى واقع غاية فى الوضوح أو كما يقول بعضهم هو المعبر بين المـادة والروح ، وبقدر ما يكون الخيال بعيدا عن سلطة العقل بقدر مايكون له من الروعة والجمال وقـد أدى به شاعرنا فى سذاجة حينا وفى روعة وابداع أحيانا يقول :

طيف الحبيب الى فى ليل سرى
نبأ بصـبح فى الطريق له انبرى

رد الصبـاح الى الحبيب خياله
وأغار فى عين المحب على الـكرى

وقد يغرب فى الخيـال مؤلفا من الصـورة الواحـدة صـورا تحتـاج الى تدبر وتأمل كقوله :

جن ليـــل حالك لا ينتهى
أين صـبح هاتك ستر الدجى

ليس ذا ليـل بل الدهـر اكتسى
كسوة سـوداء فى موت الضحى

شابت الصـقعاء حتى ربطت
عينهـا النجـلاء ظلمـاء العمى

صاد سهد جارح فى الليل اذ
طار من وكنيـه خفاش الـكرى

ومن الخيال المبدع قوله :

أتى تاجر سـوق الأبـيرق مرة
يبيع عقيقـا للنـواظر جاليـا

رآه غـنى فاشـتراه منافسـا
ونظمه فى وسـط عقد مباهيـا

وغنت على غصن البشـام حمامة
غنـا رقيقـا فى الطبـائع ساريا

فذاب عقيق العقد من نغماتهـا
الى أن غدا فوق الترائب جاريا

تحيرت الأبصار فى الحجر الذى
تبـدل مـاء بالـترنم قانيـا

فقال فـطين ليس ذلك جوهرا
سنيا بهيـا فى الجـواهر غاليـا

ولـكن فؤاد هـائم من متـيم
تذكر عهـدا بالأبيرق ماضـيا

فذاب على صـوت الحمام تحزنا
وأصبح فى نهج الصـبابة فانيـا

عدوان على شعر آزاد :

ولا يفوتنـا هنـا أن نسـجل أن الأمـير صـديق حسن القنوجى صاحب المئات من المؤلفات العربية قـد أغار على أشعار آزاد فسرق منها ما شاء له منتهزا غيـاب صاحبها عن الحياة من ناحيـة وعدم ذيوع أشعاره ـ لكونها لم تطبع ـ من ناحية أخرى ولست هنا متحاملا على السيد القنوجى ولكنى أحيل القارىء الى كتابه اتحاف النبلاء ففيه جملة صالحة من الأشـعار العربية حاول بهـا أن يبرهن على شاعريته فأخذ ما أخذ وسرق ما شاء له من شـعر آزاد ! ! وسوف أعطى مثالا واحدا يصدق على كل ما فعـل القنوجى أو فعل له يقول :

يا غـادة فتنتـنى أين مـرعاك
وحيثمـا أنت عـين الله ترعاك

انى عشـقت وما عشـقى بمبتدع
الانس والجن والأملاك تهـواك

فهو قول آزاد :

ياظبية فتنتنى أين مرعاك
وحيث أصبحت عين الله ترعاك

انى لهمت وما أمرى بمبتدع
الآس والبان والغزلان تهواك

فأنت ترى أن هذا لا يمكن أن يكون من توارد الخواطر ولوسلمنا بذلك جدلا فى هذين البيتين فهل يمكن أن يتفقا معا على هذه الصورة فى قصيدة كاملة لقد فات صديق حسن أن الحق سيعود يوما الى نصابه وكأنى بآزاد يعنيه بقوله :

حاز الجواهر من كنزى ويكتمها
هل يختفى سارق المصباح فى الظلم

* * *

مكانة آزاد :

اذا قارنا شعر آزاد بغيره من معاصريه ـ العصر التركى ـ وجدنا أنه قمة لا يكاد شاعر من معاصريه أن يسمو اليها فقد استطاع على الرغم من ظروفه وظروف العصر والبيئة أن يذلل البديع ويخضعه وأن يستقى معانيه من منهل العربية الصافى على اختلاف العصور الأدبية فأدى فى جزالة وقوة فى الوقت الذى استعبد البديع معاصريه فانحسروا وضاقت عليهم طرق التعبير وسدت فى وجوههم منافذ المعانى ، لقد كان شاعرنا آزاد فحلا ورائدا من طراز البارودى ولكن لم تسلط عليه الأضواء حيث وجد فى بيئة غير مستعدة لاستقباله فلم يكن له من الشهرة أى نصيب .

وأخيرا لا يسعنا الا أن نقول : ان غلام على آزاد البلكرامى وشعره ثروة أدبية ولغوية يجب القيام عليها والافادة منها فالى الهيئات والجامعات والجماعات العربية والأدبية وأصحاب القدرة من القائمين على شئون التراث أوجه هذه الدعوة أمانة واخلاصا

د. عبد المقصود شلقامى

خواطر تاريخية

مأساة النفس الزكية

للأستاذ الشيخ السيد حسن قرون

« محرج مظلوم » لخص (محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب) مأساته فى هاتين الكلمتين وان كانت تلك المأساة فى حاجة الى كتاب ، وقد وصفها فى ساحة المعركة وسيوف بنى أبيه تنوشه من كل جانب ، ولو سئل عنها وهو فى فسيح الأمل وبلهنية العيش ما عدا هاتين الكلمتين ، لكن المؤرخ لها يجد فيها وقائع كثيرة، وأحداثا مثيرة، وأقل ما توصف به : أنها قطعت وشائج رحم كان يجب ألا تقطع ، وحبائل ود ينبغى أن تصان ، ومكارم مروءة كان من الحتم أن تبقى، وفوق كل ذلك أخوة الدين والنسب ؛ فلم يكن من المتوقع أن يتعادى بنو (عبد المطلب) فيكون بين أبناء العباس ، وأبناء أبى طالب صراع ونزاع حول الخلافة تراق فيه الدماء، وتنتشر الأشلاء ، وأن تنقسم شيعة بنى هاشم الى فريقين متناحرين، ويكون الأخ لأخيه عدوا مبينا ؛ انه الملك ، والملك عقيم كما يقول (عبد الملك بن مروان) من أجله يستبيح الانسان قتل كل من ينازعه فيه — ولو كان أحد أبنائه — وما جرى بين النفس الزكية (محمد ابن عبد الله) وأبى جعفر المنصور يصدق عليه قول ابن مروان حين قتل ابن عمه (عمرو بن سعيد). لقد قالوا فى عداوة بنى هاشم وبنى أمية وأكثروا حتى قالوا على طريقة الكهان — قالوا : ان هاشما وعبد شمس ولدا توأمين ، فولد (هاشم) ورجله ملتصقة بجبهة (عبدشمس) فلم يقدر على نزعها الا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولديهما دماء فكانت الدماء التى جرت بين هاشم

وأمية بن عبد شمس • هذه أسطورة أراحت قائليها فجعلتهم لاينظرون الى الواقع ، وأن العداوة كانت فى سبيل الملك، وان غطوه بغطاء نظيف (الخلافة)

ومن أين لى بأسطورة مثل هـــذه فيما جرى بين العلويين والعباسيين؟ لن تجـــدها ، ولكنك تجد مكانهـــا حقيقة ثابتة ، وهو حب الملك والتفرد به ، ومن أجله كان ماكان مما يؤلم النفوس ، ويجرى العيـــون دما ــ وفى هذا العهد وقبله ارتفعت أصوات صادقة تعارض بالكلمة والسلاح مبدأ تحـــويل الخـــلافة الى ملك • أعلن عبد الرحمن بن أبى بكر أمام معاوية انكاره لبيعة يزيد قائلا : أتجعلهـــا كسروية ، يريد بذلك معارضته لوراثة الخلافة ، ونادى عبد الله بن الزبير بجعـــل الأمر شورى بين المسلمين ، وهـــو ما نادى به الخوارج ؛ لكن ينتهى الأمر عند جميعهم ــ ما عـــدا الخوارج ــ الى الرضـــا بالوراثة ؛ فهى حرام ان بعدت ، وحـــلال ان قربت ، وكان بنو هاشم فى مقـــدمة الثائرين على بنى أمية ، ينكرون غصبهم للخلافة الاسلامية ، ومن أجل ذلك تعرضوا لمواقف أحزنت معـــاصريهم ومن جاء بعدهم ، فلما انتقل الملك اليهم كان من العقـــل والأصلح أن يوفقوا بين مطامعهم ورغبات الرعية، ولهم من صنيع أبى بكر رضى الله عنه قدوة صالحة ، فقد حصر أبو بكر الخلافة فى قريش؛ لأنهم أقرب الناس رحما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تعـــرف العرب هـــذا الأمر الا لقريش، ومن هنا كان على الهاشميين من عباســـيين وعلويين أن يتشـــاوروا ، ويتخذوا مبدأ يسيرون عليـــه دون اختلاف ودون اراقة الدماء ، فيجعلوا الخلافة للأصلح منهم ، وما نقـــوله اليوم على طريق التمنى لا يرضى أبا جعفر المنصور ، فقـــد وصلت اليـــه الخلافة ببيعة أخيـــه (أبى العبـــاس السفاح) فكيف يتركها لمحمـــد بن عبد الله العلوى ؟ ومن أين جاءت تلك المأساة ؟

قال الرواة : لمـــا ضعف أمر بنى مروان بعد هشام وصـــارت الدولة الاسلامية كدار اشتعلت فيها النيران فى جميع أركانها لا تخمـــد ولا يقدر

على اخمادها ، ثورات من الأسرة الحاكمة يقتل بعضهم بعضا ، وثورات من الخوارج ، وثورات من العلويين وأبناء جعفر بن أبى طالب . اجتمع الهاشميون بمكة فى موسم الحج ، وانضم اليهم نفر من سادة قريش خوفا على الدين والدولة ، وأجمع رأيهم على اختيار محمد بن عبد الله الملقب (بالنفس الزكية) بعد القضاء على مروان بن محمد ، وبايع أبو جعفر محمدا ، كما بايعه الحاضرون؛ وواقعة مبايعته جاءت على لسان أكثر من واحد ممن شهد الاجتماع ، وبايع النفس الزكية ، من ذلك ما جرى بعد مقتله بالمدينة ، فلما قبض على (عثمان ابن محمد بن خالد بن الزبير) وأدخل على أبى جعفر المنصور . قال أبو جعفر: هيه يا عثمان : أنت الخارج على أمير المؤمنين والمعين عليه ؟ قال : بايعت أنا وأنت رجلا ، فوفيت ببيعتى ، وغدرت ببيعتك ، فأمر به فضربت عنقه . وفى رواية عن ابنه محمد قال : أدخل أبى على أبى جعفر، فقال له : أين المال الذى عندك ؟ قال : دفعته الى أمير المؤمنين - رحمه الله - قال أبو جعفر : ومن أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله . قال أبايعته ؟ قال : نعم ، كما بايعته ، قال : يابن اللخناء ؟ قال : ذاك من قامت عنه الاماء ، فأمر به فضربت عنقه ، والذى قامت عنه الاماء أبو جعفر المنصور؛ لأن أمه أمة بربرية اسمها (سلامة) فالرجل صاحب حق، بويع بالخلافة قبل أن تقوم للهاشميين دولة ، وكان من المبايعين صاحبه أبو جعفر كما قدمنا ، لذلك كان من هم أبى جعفر القضاء على محمد وأخيه ابراهيم ، ولم لم ينظر الى أبيهما (عبد الله بن حسن) ؟ لأنه كان ممن حضروا وبايع كما بايعوا .

يقول عبد الله بن أبى عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر : لما استخلف أبو جعفر لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد، فدعا بنى هاشم رجلا رجلا ، كلهم يخليه (١) فيسألهم عنه ، فيقولون : يا أمير المؤمنين ، قد علم أنك قد

(١) يخليه : يكلمه خاليا .

عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ولا يجب لك معصية ، وما أشبه هذه المقالة الا (حسن بن زيد) العلوى ، فانه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ، فانه للذى لا ينـام عنك ، فر رأيك ، قال ابن عبيدة : فأيقظ من لا ينام ؛ لذلك كان يقول بنو عبد الله بن حسن : اللهم اطلب حسن بن زيد بدمائنا ، وقد ساقنا هذا الخبر من حفيد عمار بن ياسر الى كلمة النفس الزكية: محرج، نعم انه محرج مطارد من أبى جعفر يود القبض عليه بشق النفس ليتخلص منه ، وتخلص له الخلافة ولأبنائه من بعده ، انه نادم على حضوره اجتماع الهاشميين بمكة ومتابعتهم فى بيعــة محمد بن عبد الله ؟ فى يده السلطة والقوة والمـال ، قد استراح من عمه (عبـد الله بن على) وأبى مسـلم الخراسانى ، وابن هبيرة فـلم يبق الا محمد ؟ ومحمد أعظم من هؤلاء جميعا فله شيعة فى كل مكان ولو ظهر لاتبعه جند وفرسان ، لقد أيقظ (حسن بن زيد) من لا ينام ، ولا تأخـذه رأفة فى ســبيل الملك ، كل شىء هيّن الا الملك أعلنها قبل أن يلى الخلافة، وأعلنها حين استوى خليفة مبايعا ، وها هو ذا يأخذ فى بناء بغــداد ، فتجيئه الأنباء بظهور محمد بن عبدالله ، أوقف البنـاء ، واسـتعد للصراع وسفك الدماء ، وهو مسئول عنهـا فلولا الحاجة فى طلب هــذا المحرج ما حدث ما حدث ، ولرضى محمـد بالواقع . ماذا يصنع محمد والشرط يبحثون عنه فى كل سبيل، وكل وجه ، طاردوه فى المدينة ، فنزل بئرا وجعل يعاون أصحاب الدلاء ، وهرب الى جبل جهينة فسابقوه اليه فأعجل ومعه زوجه فوقع ابنه الرضيع على الحجارة فقضى نحبه وهو يجرى ملتفتا اليه ؛ صار كأنه مجرم مطالب بجريمته ، والناس من حوله يطلبون اليــه أن يعلن الخروج على عدوه ، وقبـائل كثيرة ، ومدن مجيرة تريد منــه أن يكون فيها ، فأبى المقام الا فى المدينة وليكن ما يكون ، وخـرج أخـوه ابراهيم الى البصرة ، وجاءت الأسلحة منها ، ودفع دفعا الى الظهور ، وهذا ما أراده أبو جعفر وجـد فيه ، ولذا

قال : أنا أبو جعفر استخرجت الثعلب من جحره ، ولم يخرج هذا الثعلب الا بعد أن قبض على أبيه وأعمامه ومن لفّ لفهم ، وفى مقدمتهم : (محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) لأنه أخو عبد الله ابن حسن لأمه ، وأمهما فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه ، ولقد لقى محمد العثمانى من العذاب ما لم يخطر على بال حتى قال عبد الله بن حسن حين رأى عذابه وما أصابه : انا لله وانا اليه راجعون ؟ ! والله ان كنا لنأمن به فى سلطانهم ، ثم قد قتل بـ سلطاننا . قالوا : والسبب فى قتله أنه احتيج الى رأسه ؛ أمر أبو جعفر بضرب عنقه ، ثم بعث به الى خراسان ، وبعث معه الرجال يحلفون بالله انه محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليسكن ثائرة خراسان ، ومن العجيب أنه حين قتل محمد بن عبد الله العلوى وجه أبو جعفر برأسه الى خراسان مع ابن أبى الكرام (رجل من آل أبى طالب) فلما قدم به ارتاب أهل خراسان وقالوا : أليس قد قتل مرة وأتينا برأسه ؟ ثم عرفوا الحقيقة ؛ فكانوا يقولون : لم يطلع على كذبة غيرها من أبى جعفر ، فالثائر اسمه محمد ابن عبد الله ، والعثمانى اسمه محمد ابن عبد الله ، وكلاهما ينتميان الى فاطمة بنت رسول الله ، فمن هنا جاءت حيلة أبى جعفر وتعميته على أهل خراسان ، ولكن الكذب لا يدوم خفاؤه ، وصاحبه مدحور وان بدا عزيزا قاهرا ، أليس محمد بن عبد الله مضطرا الى اعلان خلافته ؟ أليست أسرته جميعها فى سجون أبى جعفر ؟ وماذا بقى له من الدنيا ؟ لقد أقدم حين لم يجد مفرا من الاقدام ، فقبض على والى المدينة وحرسه وأودعهم السجن ، وكون مجلس الاستشارة وشئون الحرب ، ووجه الى مكة رجلا من آل أبى جعفر بن أبى طالب ليأخذ مكة ويكون واليا عليها هو (الحسن ابن معاوية) وكان شجاعا فاستولى عليها ولم يصب واليها بسوء كما أمر الخليفة النفس الزكية ، أما المدينة فقد جعل عليها عثمان بن محمد الزبيرى ، وعلى قضائها عبد العزيز المخزومى وعلى شرطتها أبا القلمس

من آل عمربن الخطاب ، وعلىديوان العطاء عبد الله بن جعفر الزهرى ، واستعد لأبى جعفر وجنده والحرب أولها الكلام فتبودلت رسائل بينــه وبين أبى جعفر ، واذا تأملتها وجدت كلا منهمــا يرغب ويرهب ، ويعطى الأمان ويتهــدد ، ويذكر حقــه فى الخلافة بالانتساب الى رســول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا ذكرمحمد أنه ابن بنت رسول الله ، وابن على الوصى والامام وأنه تنقل فى الحرائر ولم يكن فى أصــوله اماء ، رده أبوجعفر بأن الله لم يجعل النســاء كالعمــومة والآباء ، وقــد بعث الله محمداعليه السلام وله عمومة أربعة فأنذرهم ودعاهم فأجاب اثنـــان أحدهما أبى العباس — وأبى اثنان أحدهما : أبوك — أبو طالب — فقطع الله ولايتهما منه ، وقــد علمت أن مكرمتنا فى الجاهلية ســقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته ، وقد طلب الخــلافة غير واحد من بنى عبــد المطلب فلم ينلها غير ولده ، فالسقاية سقايته ، والخــلافة فى ولده ، فلم يبق شرف ولا فضــل فى جاهلية ولا اســلام فى دنيا وآخرة الا والعبــاس وارثه ومورثه . واذا اســتند محمد الى حقهم فى الشيعة قائلا : انما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا كانجواب أبىجعفر: طلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم . وهذا الحوار عن طريق الرســائل عظيم الأثر فى الناحية التاريخية والأدبية ، ومن شــاء أن يطلع عليــه فى تاريخ الطبرى الجزء الســابع ، والكامل للمبرد الجزء الثانى ، يدرك منهعقلية الرجلين ، وتاريخ الأسرة الهاشمية ، وما من شك فى أن الاحتجاجبالنسب مفيد ومطلوب ، لأن كليهما يعتد على بنى أمية به ، وكذلك أمية تعتد به على سائر قريش ، ولكنمحمدا بن عبد الله العــلوى ترك أمرا هاما فى رسالته وهو مبايعة المنصــور له فى اجتماع مكة ، لأن النسب يجمعهما ، والعرب لا تفرق بين على والعبــاس فكلاهما قريب القرابة وثيق الصلة ، العباس عم الرســول وعلى ابن عمه، وليس أبنــاء على جميعا من نســل فاطمة الزهراء ، وقد مال بالشــيعة

أبو هاشم العلوى الى محمد بن على العباسى ولم ير فى ذلك ضيما له ولا حرجا لأسرته ؛ فالمهم سلطان الهاشميين عنده ، وسيان أبناء على أو جعفر أو العباس .

ومحمد بن عبد الله يمتاز بشىء يعطيه ما لم يعط غيره وهو المبايعة قبل قيام الدولة ، وقد رأى هذا غير مجد ، لأن القائمين بأمر الشيعة بايعوا أبا العباس السفاح ، فبطل أمره ، ووهنت بيعته ، ولم يخرج وانما أخرج ، وكان ما كان من القتال وسقوط الأبطال فى المدينة والبصرة والأهواز وما يليهما .

قلت : ان أبا جعفر كان حريصا على أن يلى أمور المسلمين ، فلما وجه عيسى بن موسى لقتال محمد — وكان ولى العهد — قال : لا أبالى أيهما قتل صاحبه ، وفطن عيسى لغرضه ، فقال له : شاور عمومتك . قال له : امض أيها الرجل ، فو الله ما يراد غيرى وغيرك وما هو الا أن تشخص أو أشخص ، ود أبو جعفر قتل عيسى ليخلو له وجه الخلافة لابنه (المهدى) ، وأخذ أبو جعفر يوصيه ويكثر ، فقال له : الى كم توصينى ؟

انى أنا الحسام الهندى
أكلت جفنى وفريت غمدى
فكل ماتطلب منى عندى

وسار بجيشه يريد المدينة وكانت عدته أربعين ألفا ، وعلى رأسه المحارب حميد بن قحطبة ، وكان المتفائلون فى النصر من أنصار خليفة المدينة كثيرين . أليست الحجاز فى يده ؟ أليست البصرة ، والأهواز ، وواسط فى يد أخيه ابراهيم ، وصاح الشاعر الزبيرى عبد الله بن مصعب يقول :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن
هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل أن ترتد ألفتنا
بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضى دولة أحكام قادتها
فيها كأحكام قوم عابدى وثن

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا
ان الخلافة فيكم يابنى حسن

لاعز ركن نزار عند نائبة
ان أسلموك ، ولا ركن لذى يمن

ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا
عودا ، وأنقـاهم ثوبا من الدرن
وأعظم النـاس عنـد الله منزلة
وأبعد الناس من عجز ومن أفن (١)

وما بلغ جيش عيسى ضـواحى المدينـة حتى بانت قوته وقوة أهـل المدينة ، وظهـر أن فرسان محمـد قليلون ، لذلك حفروا خندقا حول المدينـة ، وسرعان ما عقـد جسرا عيسى بن موسى ، ولم يشـأ أن يبدأ القتال الا بعد أن يعطى الأمان لمحمد ان أراد . ومن اللافت للنظـر أن بجيش عيسى نفرا من آل أبى طالب. قال الرواة : وقف عيسى على ذباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه فقال : خذ عشرة من أصحابك، وقـال : ليقم عشرة منـكم يا آل أبى طالب ، فقام معه عشرة ، منهم : القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن على . وقال : انطلقوا الى القوم فادعوهـم وأعطوهـم أمانا ، وبقى أمان الله ، فخرجوا حتى أتوا سوق الحطابين ، فدعوهـم ، فسبهم أهل المدينـة ورشـقوهم بالنبل ، وقالوا : هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه ، فقال: القاسم بن الحسن بن زيد: وأنا ابن رسـول الله ، وأكثر من ترون بنو رسول الله ، ونحن ندعوكم الى كتـاب الله وسـنته ، وحقن دمائكم والأمان لكم ، فرجع أهل المدينة الى السب ، والرشـق بالنبال .. فقـال القاسم لعيسى ما تنتظر؟ انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى حميد بن قحطبة فكان القتال . وعلى رغم قلة أصحاب محمد ، فقد ظهرت بطولات يحسب حسابهـا ، كان ابن خضـير من ولد مصـعب بن الزبير بطـلا ، وكان أبو القلمس من نسل عمر رضى الله عنـه بطلا ، وغيرهمـا مما يفصـله التـاريخ ، وحسبى أن أذكر تلك المبارزة . قالوا : خرج القاسـم بن وائل من الخندق رجل من أنصـار محمـد فبرز له (هزار مرد) قائد من قواد عيسى وهو خراسانى، فلما رآه القاسـم هابه فرجـع ، فبرز له أبو القلمس فضربه على عاتقه فقتله فقال : خذها وأنا ابن (الفاروق) فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلت خيرا من ألف فاروق ، وهذا يدل على ضعف الوازع الدينى فى جيش

(١) أفن : ضعف رأى .

العباسيين ، وظهرت بطولة محمد بن عبد الله فى ذلك اليوم فقتل سبعين فارسا بسيفه ، ودعا حميد بن قحطبة الى مبارزته وانتسب له ، فأطراه حميد وقال له أبارزك حين تنتهى هذه الأغمار واستأذن ابن خضير الزبيرى امامه ــ حين رأى الخلل فى أصحابه ، وأن السيف قد أفناهم ، وكانوا فى عدة أهل بدر ــ فدخل على رباح بن عثمان الرى وأخيه فذبحهما ، وكان رباح والى المدينة للمنصور فوضع فى السجن ، ثم رجع فأخبر محمدا ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل • واندفع محمد يقاتل فأحيط به من كل جانب ، فبرك لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول ويحكم ، أنا ابن نبيكم ، محرج مظلوم • فتعاوروا عليه فقتلوه ، واحتز رأسه حميد بن قحطبة ، فأتى به عيسى ••• وكم ترك مصرعه من مآسى ودموع ، وحزن لا يبرح • وبلغ خبر مصرعه أخاه ابراهيم فقال :

أبا المنازل ياعبر (١) الفوارس من
يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهم
أو آنس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ، ولم أسلم أخى لهم
حتى نعيش جميعا أو نموت معا

وانتصر ابراهيم على عيسى بن موسى غير أن القدر أراد له غير ما أراد • أتاه نشاب فى حلقه وهو منتصر فأرداه قتيلا فقال : « وكان أمر الله قدرا مقدورا » أردنا شيئا وأراد الله غيره •

وبكت المدينة ، وران على الساحة الاسلامية حزن خيم زمنا طويلا على مصرع المهدى ، والنفس الزكية محمد بن عبد الله الحسنى العلوى • قالت : كلثم بنت وهب قال : (عبد الوهاب بن يحيى الزبيرى) :

رحم الله شبابا
قاتلوا يوم الثنية (٢)

قاتلوا عنه بنيات
وأحساب نقية

فر عنه الناس طرا
غير خيل أسدية

(١) يصفه بالقوة فيهم ومنهم •
(٢) موضع مقتل محمد •

قالت فزاد الناس :

قتــل الرحمــن عيسى
قاتــل النفس الزكيــة

وكانت وفاته فى الرابع عشر من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع ، رحمه الله فقد أحرجه أبوجعفر وظلمه حتى جعل منه خارجا على الدولة ، وأزعج أسرته فصاروا مصــدر القلق لدولة بنى العبــاس فخرج يحيى أخــوه فى خراســان وادريس فى المغرب الأقصى وصارت له دولة اسمها دولة الأدارسة ، ولله فى خلقه شئون .

السيد حسن قرون

المراجع :

(١) تاريخ الرسل والملوك ؛ للطبرى .
(٢) الكامل ؛ للمبرد .
(٣) العقد الفريد ؛ لابن عبد ربه .
(٤) أبو جعفر المنصور ؛ للأستاذ على ادهم .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

*** تأمل حكيم شيبه فقال :**

مرحبا بزهرة الحنكة ، ويمن الهــدى ، ومقدمة العفــة ، ولباس التقوى .

الذوق الصوفى فى فهم القرآن الكريم

للأستاذ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

سمع صوفى قارئا يردد قوله تعالى: « ومن نعمره ننكسه فى الخلق » فقال معلقا : ومن نعمره بحبنا ننكسه فى خلقنا .

وهذا التعليق ينبهنا الى أذواق الصوفية التى تلوح لهم حين ترد على أسماعهم الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة ، أو أبيات الشعر المأثور أو الأدب المنثور وغير ذلك من الحكم والمواعظ ، بل ربما فهموا من الأقوال العابرة معنى يتفق مع ما يدور بخواطرهم ويشغل أذهانهم ويحكى وجدانهم ، ومن هذا القبيل ما يرويه « ابن عربى » فى كتابه محاضرة الأبرار قائلا : ماشيت بعضهم بقرطبة أمام دار السلطان ، فاذا جماعة من الأجناد خرجوا من الدار يقولون : جاءت الرسل من قلعة رباح ، فاهتز من كان معه وجدا وقال : يا أخى أما تسمع لهؤلاء الأجناد ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا ؟ قال : قالوا جاءت الرسل عليهم السلام يقولون : من أقلع عن معصية ربح ما عند الله .

هذا ما فهمه الصوفى يحكى به حاله ويشرح وجدانه عند كلمة عابرة سمعها من شخص عابر . فما باله اذا كان المسموع قرآنا نزل من عند المحبوب الأعلى الذى يجاهد الصوفيون أنفسهم للوصول الى معرفته والفوز بقربه؟ ومتى كانت العبارات المسموعة فيها اشارات صادقة ورموز ناطقة — على حد تعبير ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه حيث يقول : العبارات قوت لعائلة المستمعين ، وليس لك الا ما أنت آكل — فان القرآن الكريم أولى بالمحققين أن يجدوا فيه غذاءهم الروحى ، ومددهم النورى ، وحبلهم القوى الذى يصلهم بالمتكلم ويربطهم به ، وهذا المدد هو الذى يجعل القرآن حاضرا فى أرواحهم ، ماثلا فى أذهانهم يستشهدون به على وقائع الأحوال ويتمثلون به فيما يمر بهم

من أحداث وأخبار ـ وتصوير القرآن الكريم بالقوت مستمد من حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ان هـذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ، ويروى مأدبة بفتح الدال وضمها ، قال القرطبى ـ رحمه الله ـ من روى مأدبة بالضم أراد الصنيع الذى يصنعه الله عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه ، ومن رواها بالفتح ذهب الى الأدب .

وهذا الفهم الذى يفهمه الصوفية من القرآن هو ما يعنون به « المستنبطات » . وهى ـ كما يقول الطوسى ـ رحمه الله ـ فى كتابه اللمع : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله ـ عز وجل ـ ظاهرا وباطنا ، والمتابعة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظاهرا وباطنا ، والعمل بظواهرهم وبواطنهم فلما عملوا بما علموا ورثهم الله علم ما لم يعلموا ، وهـذا علم مواريث الأعمال التى يكشف الله تعالى بها لقلوب أصفيائه من المعانى المذخورة والأسرار المخزونة وغرائب العلوم وطرائف الحكم مالايدركه غيرهم .

واذن فالشرط الأساسى لهـذه الادراكات الخاصة هو العمل ، استنادا الى الأثر الشريف : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وهذا الأثر يلتقى مع مفهوم الآية الكريمة : « واتقوا الله ويعلمكم الله » وأسرار القرآن الكريم وأنواره لاينالها الا عالم عامل بعلمه مصداقا لقوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » وقوله تعالى : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

أحوال السامعين للقرآن الكريم :

والصوفى حين يسمع القرآن الكريم يسمعه على أطوار مختلفة . فمنهم من يسمع كأن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى يلقيه ، فيتمثل حينذاك حالة النبوة الكاملة التى أرسل بها الى البشر هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذن وسراجا منيرا .

ومنهم من يسمعه على أن جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذى يقرؤه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستحضرا عند ذلك مفهوم هذه

الآية : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » .

ومنهم من يسمعه على انه من الحق جل وعلا ، متمثلا فى ذلك قوله تعالى : «وتنزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة » ومستحضرا عظمة الخالق واشاراته الى خلقه بما هو نافع لهم فى عاجلهم واجلهم . وللصوفية مع ذلك عند سماع القرآن حال توارثوه من توجيه الله تعالى - للمؤمنين ، حيث يقول : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » وامامهم فى ذلك بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - الصديق أبو بكر - رضى الله عنه - الذى كان اذا قرأ القرآن لا يكاد يسمع صوته من البكاء . حتى قالت ابنته السيدة عائشة - رضى الله عنها - حين طلب النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرضه أن يصلى أبو بكر بالناس : ان أبا بكر رجل أسيف لا يكاد يسمع صوته من البكاء . وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على قدمهم من أمته .

ومحققو الصوفية يقرءون القرآن بفهمه ، فيتمثلون معانيه ويطبقونها على أحوالهم فتزعجهم آيات التخويف وتؤنسهم آيات الرجاء ، وقد يبدو هذا التأثر واضحا أحيانا وربما استتر مع تمكن الحال وقوة الاحتمال . فقد حكى أبو الحسن محمد بن أحمد عن أبيه - فيما يورده الطوسى فى كتابه - قال : خدمت سهل بن عبد الله ستين سنة ، فما رأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر والقرآن أو غير ذلك . فلما كان آخر عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية » فرأيته ارتعد وكاد يسقط ، فلما رجع الى حا صحوه سألته عن ذلك ، فقال : نعم قد ضعفنا ، وقرأ أحد تلاميذه سورة الفرقان ، فلما بلغ الى قوله تعالى : « الملك يومئذ الحق للرحمن » اضطرب وكاد يسقط ، فلما سئل عن ذلك قال : قد ضعفت ، وحين سئل عما يوجب قوة الحال أجاب : لا يرد عليه وارد الا وهو يتغلب عليه بقوة حاله ، فمن أجل ذلك لا تغيره الواردات وان كانت قوية .

ولذلك أصل فى العلم وهو قول أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ حين سمع رجلا يبكى عند قراءة القرآن فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب • يعنى اشتدت وثبتت •

اختلاف المدارك فى فهم القرآن عند سماعه وتلاوته :

وكلمات الله قوت لقلوب عباده ـ كما سبق الاشارة ـ وغذاء لأرواحهم فكل يأخذ من هذا القوت على حسب استعداده ، فمنهم من يقف عند ظاهر اللفظ ، ومنهم من يستبطن معناه ويدرك منه ما لا يدرك غيره من دقائق الاشارات ولطائف الأسرار •

وهذا الادراك جاء من زيادة الفهم المتحصل لهم من العمل المثمر والعبادة المخلصة ، فان ذلك يثمر عند أرباب القلوب ثمارا يانعة عبر عنها العارف بالله الشيخ نعمة الله بن محمود النخجوانى فى مقدمة تفسيره « الفواتح الآلهية والمفاتح الغيبية » بقوله : « من استشعر بحكم القرآن واعتبر من عبره فقد استهدى منها الى معارفه وحقائقه ورموزه واشاراته ومكاشفاته ومشاهداته التى ما نزل عموم من عند الله الا لأجلها » •

وقد وردت اشارات كثيرة للصوفية حول آيات القرآن الكريم ، بل ان منهم من وضع تفسيرات كاملة ضمنها ما تحصل له من فهم وذوق خاص به • قال ابن عربى رضى الله عنه فى مقدمة تفسيره « طالما تعهدت تلاوة القرآن وتدبرت معانيه بقوة الايمان، حتى استأنست بها فألفتها وذقت حلاوة كأسها وشربتها ، تنكشف لى تحت كل آية من المعانى ما يكل بوصفه لسانى،لا القدرة تفى بضبطها واحصائها ،ولا القوة تصبرعن نشرها وافشائها ،فتذكرت قول النبى الصادق ـ عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق ـ ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع • وفهمت أن الظهر هو التفسير والبطن هو التأويل والحد هو ما تتناهى اليه الفهوم من معنى الكلام والمطلع ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام ، وقد نقل عن الامام جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لا تبصرون» •

وليس من الممكن أن تحصر العقول في فهم واحد للقرآن الكريم، فالقرآن بحر زاخر بالأسرار وكل يستخرج منها على حسب استعداده ومقدرته وهبة الله له . وقد ورد في بعض الآثار أن القرآن يحشر يوم القيامة بكراً . وهذا هو الاعجاز الذي تحدى الله به البشر ، ولقد قال أحد الصوفية وهو سهل بن عبد الله رضي الله عنه : لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله وكلامه صنعته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وانما يفهمون على مقدار مايفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ الى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق لأنها محدثة مخلوقة، وشبيه بهذا القول قول العالم الجليل الشيخ عبد ربه سليمان في كتابه فيض الوهاب ج١ :«ولا يخفى عليك اجماع عقلاء الأمة من المحققين على أن في طي ظواهر الآيات القرآنية اشارات خفية تنكشف لأهل التحقيق من رواسخ العلماء ، ومعرفة ذلك بمحض الايمان وكمال العرفان » .

وليس مرد فهم الصوفية لآي القرآن الى الرأي والهوى ولكنه الفتح والوهب ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القول في القرآن بالرأي وورد في ذلك « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » ومعنى هذا الحديث فيما يرويه القرطبي عن ابن عطية « أن الرجل تسأله عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه » .

فأضاف الغزالي في الاحياء :« من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء في الحكم برد الخلق كافة الى درجته ، لأن الاخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم . قال علي -

رضى الله عنه ـ الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ، فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟» .

ولقد كان المحققون من الصوفية من أدق الناس فى فهم أسرار القرآن واشاراته التى يمنحها الله للعاملين المخلصين ، وقد فصلوا أحوال الناس عند سماع القرآن على الوجه الآتى :

ـ من الناس من سمع القرآن فغفلوا عن مراميه وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » .

ـ ومنهم من سمعوا فأجابوا وأنابوا ، وهؤلاء هم الموصوفون بقو تعالى:« واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » .

ـ ومنهم من سمعوا فتفكروا وعلموا فأثمر العلم خشية وورعا وهم الموصوفون بقوله تعالى:« انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ـ ومنهم من سمع فأقبل بهمته على الله وحبه الخالص وقلبه الحاضر وهم الموصوفون بقوله تعالى:« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » وهؤلاء هم الذين يستمعون الى القول فيتبعون أحسنه ، وليس معنى هذا ، المفاضلة بين الآيات لأن فيها حسنا وأحسن ، ولكن المفاضلة فيما ينكشف لهم من أعاجيب بعضها حسن وبعضها أحسن .

ما يقبل وما يرد من استنباطات الصوفية :

وللصوفية شروط فيما يستنبطونه من فهوم تتلخص فى عبارة الطوسى: « أن لا يقدموا ما أخر الله،وألا يؤخروا ما قدم الله وألا ينازعوا الربوبية أو يخرجوا عن العبودية وألا يكون فى استنباطهم تحريف للكلم عن مواضعه » .

وهذه الشروط مخرجة للشطحات التى لا تستقيم مع آداب الشريعة وأنوار الحقيقة . قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : ربما تنكشف الحقيقة لقلبى أربعين يوما فلا آذن لها أن تدخل الا بشاهدين من الكتاب والسنة .

وهذه دقة مابعدها دقة،فان أحدهما كان يكفى ولكنها الحيطة الواجبة والدلالة على أن الكتاب وسع كل شىء وقد فصلت السنة ما أجمل فيه،كما

فيعبارته دلالة أيضا علىعلمه الواسع وادراكه ما خفى على كثير غيره •

ويؤيد عبارة « الدارانى » قول سهل بن عبد الله رضى الله عنه : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل •

وعلى ذلك فاناستنباطاتهم لابد أن يجدوا لها ما يوافقها من الآثار لأنها لا تتعارض مع ما يشير اليه المفسرون فى تفسيراتهم المتداولة •

فالفهم الذى فهمه الصوفى من قوله تعالى:« ومن نعمره ننكسه فى الخلق » لا يتعارض مع التفسير التقليدى من أن التعمير كبر السن ، والتنكيس الضعف ، على نحو ما اشار اليه مثلا ابنكثير رضىالله عنه بقوله: « يخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط » •

فهل استنباط الصوفى من أن التعمير بالحب ينكس صاحبه فى الخلق يجافى هذا التفسير ؟ لا ، ولكنه فهم آخر أملته حالة وجدانية شاهدها الصوفى من قرائن الأحوال من أن المحب دائما مذهول عن نفسه، وكلما ازداد حبه ، ازدادتولهه ووجده وسروره ؛ مما يترتب فيتأذى منه الناس،وكثيرا ما يزدرونه ويحتقرونه ، والأثر الشريف يؤيد ذلك بقوله : « رب اشعث أغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره » وفيما يرويه معاذ ابن جبل رضى الله عنه : « ان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابو لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » • وعلى هذا الفهم فالتعمير ليس مرده فى اللغة الى العمر وهو الزمن بل الى العمارة والزينة •

ولكن هناك استنباطات يردها محققوا الصوفية لأنها لا تستقيم مع المنهج الذى اشار اليه الطوسى فى صدر هذه العبارات ومن هذا القبيل الأمثلة الآتية :

ـ سئل بعضهم عن قوله عز وجل « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه ما ساءنى الضر•

ـ وفسر بعضهم « يتيما » فى قوله تعالى «ألم يجدك يتيما فآوى»

بأن اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التى لا يوجد مثلها .

ـ ومن هـذا الضرب ما ورد فى ايقاظ الهمم من فهم بعضهم من قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون» فقد فهمها كما يأتى : من جعل الله حبه وهواه ، وأضـله الله عن غيره على علم به ، وختم على سمعه وقلبه بحبه فلا يسمع غيره ولا يحب سواه ، وجعل الله على بصره غشاوة فلا يبصر الا به ولا يرى الا نوره ، فما يهديه هذه الهداية أحد بعد الله . فهـذا الفهم فيه اقتطاع للآية الكريمة عن سياقها لأنها وردت فى حق الكافرين الذين اجترحوا السيئات الذين جعل الله سواء محياهم ومماتهم ، وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .

ـ ومن ذلك قول أحدهم فى معنى قوله تعالى:«قل انما أنا بشر مثلكم»: أنا بشر مثلكم عندكم . قال صاحب اللمع تعليقا على ذلك وأمثاله : هذا وأشباه ذلك خطأ وبهتان على الله تعالى وجهل .

أمثلة من الاشارات المستحسنة :

ولكن هناك اشارات تتجاوب معها الأرواح لأنها صادفت شوقا لهـا ، وترجمت عن معنى مخـزون وسـر مصـون ، فمن أمثلة ذلك ما قاله أبو العباس بن عطاء رضى الله عنـه حين سئل : الى ماذا سكنت قلوب العـارفين ؟ فأجاب الى أول حرف من كتاب الله وهو الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ، فان معناه أن بالله ظهرت الأشـياء وفيه فنيت وبتجليه حسنت وباستتاره قبحت وسمجت ، لأن فى اسـمه الله هيبته وكبرياؤه ، وفى اسمه الرحمن مودته ومحبته ، وفى اسمه الرحيم عونه ونصرته .

وللحـروف القرآنية أسرار عند الصوفية أشار الى بعضها المحققون منهم كابن عربى فى الفتوحات المكية ، والـدباغ فى الابريز . وقـد قال أبو سعيد الخراز رضى الله عنه فى أسرار الحروف :كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قـدر قربك وحضـورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ، اذا سمعت قوله : ألم ذلك ، فللألف علم يظهـر فى الفهم غير ما يظهـر فى اللام ، وعلى قـدر المحبـة

وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت فى الفهم •

وحضـور القلب مهم جدا فى معطيات القرآن بنص محكم آياته « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ذلك أن الله لا يعطى أسرار كتابه لمعرض عنه أو غافل فى أثناء تلاوته أو شاغل قلبه بسواه ، وقد سمع « الشبلى » رحمه الله هذه الآية ففهم منها فهما يتناسب مع حاله ، ذلك أن حب الله كان شغله الشاغل ، فقد فهم من قوله تعالى « لمن كان له قلب » أى لمن كان الله تعالى قلبه ، وأنشد على الأثر :

ليس منى اليك قلب معنى
كل عضو منى اليك قلوب

وقد كان الشبلى صوفيا عالما فانيا فى الله وله أذواقه الخاصة فى فهم آياته ، قرىء عنده « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فقال : أبصار الرءوس عن محارم الله •

ومما ورد فى اللمع : كان أبو العباس بن عطاء يرى أن المحب يسقط عنه التعذيب ووجود الألم بصفات البشرية استنادا الى فهمه من قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » •

ومن هذا الفهم الدقيق لاشارات القرآن ما حددوا به مراتب الذكر على حسب ورودها فى الكتاب العزيز ، فقد قال الله تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » ثم قال فى آية أخرى : « اذكروا الله ذكرا كثيرا » فهو أخصر من الأول ثم قال فى آية ثالثة : « فاذكرونى أذكركم » فصار الذاكرون متفاوتين فى ذكرهم كتفاوتهم فى المخاطبة لهم فى الذكر ، أو على حد تعبير أحدهم المذكور واحد والذكر مختلف ومحل قلوب الذاكرين متفاوت •

وقال ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه « القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد « الله » عن لفظ الجلالة أنه اسم الله الأعظم لأنه يدل على معنى حيثما أسقطت منه حرفا ، فان أسقطت الألف صار « لله » ولله ملك السموات والأرض ، وان ذهبت منه

اللام الأولى صار « له » وان ذهبت منه اللام الثانية صار « هو » وقال : الناس درجات فى معرفة الله ، فمن عرفه من جهة الايمان أطاعه ، ومن عرفه من جهة اليقين آثره ومن عرفه من جهة التوحيد عظمه ، ومن لم تفده المعرفة علما بالله وبصفاته ومزيدا فى حقيقة توحيده فهو محجوب والمحجوب مفقود .

وقال الصوفية عن الروح الوارد فى القرآن : الروح روحان ، روح به حياة الخلق ، وروح به ضياء القلب وهو الروح الذى قال الله عز وجل عنه:« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » .

وفى الحديث عن الرزق قال قوم سبب الرزق التكلف والعناية وهو قول القدرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى وهو ظاهر القرآن : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » أما الفهم الصوفى فى ذلك فان سبب الرزق هو الخلقة لقوله تعالى « خلقكم ثم رزقكم » فلم يخص مؤمنا دون كافر . قال أبو زيد ـ فيما يروى الطوسى ـ رحمهما الله: أثنيت على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيرا ، فقال العالم : من أين معاشه ؟ فقلت : لم أشك فى خالقه حتى أسأل عن رازقه . فخجل العالم وانقطع .

وفى الآية الكريمة « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » ، قال أبو يزيد ، السابق مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على باب الهيبة ، والمقتصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل مقتول بسيف الحرص مضطجع على باب العقوبة .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الافراط والمقتصد مشتمل بالكلاءة والاحتياط والسابق بالخيرات ساجد على البساط للملك الوهاب .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الافراط والمقتصد مشتمل بالكلاءة

والاحتياط والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط . الظالم لنفسه بتلويح الاشارة محجوب ، والمقتصد بتصريح الاشارة مكنوف. والسابق بالخيرات بتصحيح الاشارة محبوب .

وجاء فى اللمع : سمع أحد الصوفية قول الله تعالى : «كلا ان معى ربى سيهدين » فأنشد :

لقد وضح الطريق اليك قصدا
فما أحد أرادك يستدل
فان ورد الشتاء فأنت صيف
وان ورد المصيف فأنت ظل

ويعلق القشيرى فى رسالته على قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » قائلا : الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حسنت سرائرهم بالمشاهدات ، والذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا الى سرائرهم اللطائف ، والذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث المواصلات .

كما يقول عن قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة...» : المساجد بيوت الارادة ، فالعابد يصل بعبادته الى ثواب الله والقاصد يصل بارادته الى الله .

ومن أجمل الأذواق فى الفهم ما يقدمه لنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد ربه بن سليمان القليوبى فى كتابة فيض الوهاب فى قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » فهو يقول : طالما تمنى النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمن به الخلق أجمعون حتى لايفلت أحد الى النار ،وكان حريصا على ذلك كل الحرص ، فسلاه الحق عز وجل وأساه باخوانه الأنبياء والمرسلين .

ومعنى هذا أن الشيطان كعادته يحاول أن يقف دون تحقيق أمانى الأنبياء والمرسلين فى هداية الخلق بافسادهم وتزيين طرق الغواية لهم ، ولكن الله ينسخ ما يلقيه الشيطان فى نفوس بعض الناس فيهتدون

ويبصرون ، وبذلك يحكم الله آياته بحفظ عباده من غواية الشيطان وجعل القائه فتنة لمن سبقت عليهم الشقاوة وهم الذين كفروا •

وهذا الذوق أجمل ماقيل فى تفسير هذه الآية فان مختلف ما رأيناه فى التفاسير ومن بينها القرطبى وابن كثير والكشاف يدور حول قصة الغرانيق ، وهى لا تستقيم مع عصمة النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ الله اياه من وسوسة الشيطان ، وقد أثبت الله فى محكم كتابه عدم تمكن الشيطان من عباده المؤمنين فضلا عن صفيه ورسوله الأمين •

وقد حاول بعض المفسرين رضى الله عنهم تأويل هذه الآية تأويلا يتناسب مع حفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما أشار اليه القرطبى منقولا عن ابن العربى من أن فى بمعنى عند ، والمعنى ألقى الشيطان فى نفوس الكفار عند تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم • وقد قرظ القرطبى هذا الوجه وأثنى عليه •

ومن أذواق الشيخ عبد ربه أيضا وهومسبوق بأذواق الصوفية وبعض المفسرين الذين لا يقفون عند حدود اللفظ مايفهمه من قوله تعالى: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » فيقول : يخرج الصالح من الطالح ويخرج الطالح من الصالح مستشهدا بقوله تعالى لابراهيم عليه السلام : « انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » وقد يخرج من المؤمن كافرا كنوح وابنه ، ومن الكافر مؤمنا كآزر وابنه ابراهيم عليه السلام •

فواتح السور :

ومن استنباطات الصوفية التى فهموها من القرآن الكريم ماتحدثوا به فى فواتح السور من أمثال «ألم» و «ألر» وقد أختلف العلماء فى بيان مراميها حتى قال بعضهم فى «الر» مثلا هى حروف من الرحمن ، وبعضهم: هى أوائل حروف أسماء الله ، فالألف من الله ، واللام من اللطيف ، والراء من الرحمن •• وهناك أقوال كثيرة أخرى •

ولكن بعض الصوفية فهموا منها أنها تشير الى الانسان الكامل الحقيق بتوجيه الخطاب اليه فى قوله تعالى

« ذلك الكتاب لاريب فيه » وفىقوله تعالى : « تلك آيات الكتاب الحكيم »

ونعود فنقول ان هذا الفهم لا ينفى الفهوم الأخرى، وهناك فهمآخرفهمه الشيخ عبد ربه أيضا فى « كهيعص وحمعسق » نجده فى فيض الوهاب جـ٥ وخلاصته:ان الحروف الخمسة فى «كهيعص» لها تعلق بالأحـرف الخمسـة فى « حمعسق » اذ كـل حرف من هذه الحـروف ينبىء عن حالة خاصة نجدهافى آيات من القرآن يبدأ أولهـا بحـرف من حـروف «كهيعص» وينتهى بحرف من حروف «حمعسق» • وهذه الآيات يخبر الله فيها عن حال الدنيا والآخرة ، وحال الناس فى اليوم الآخر •

ومصيرهم فى الآخرة ، وتفسـير ذلك فيما يلى :

١ ـ فى تصوير الدنيا قال تعالى . « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبـات الأرض فأصـبح هشيما تذروه الرياح » فالحرف الأول (ك) والحرف الأخير (ح) •

٢ ـ وان الذى صنع ذلكوأجراه « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هوالرحمن الرحيم» فالحرف الأول (هـ) والأخير (م) •

٣ ـ وبعد انتهاء الدنيا لا تكون الا الآخرة « يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » فالحرف الأول (ى) والأخير (ع) •

٤ ـ هناك يتضـح لكل نفس ما عملت « علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس» فالحرف الأول (ع) والأخير (س) •

٥ ـ ثم أخبـر الله عن حسـرة الكافرين « ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » فالحرف الأول (ص) والأخير (ق) •

نقول : هـذا فهم توصـل اليه الشيخ عبد ربه ـ رحمه الله ـ من طول تدبره وكثرة قراءته للقـرآن الكريم وليس فيه ما يعارض نصـا صريحا واردا فى معنى هذه الحروف التى كثرت الأقـوال فى مراميها ، والقـرآن يفسر بعضه بعضـا ولا تعارض بين آياته لدى الذى أعطاه الله نورا وهدى ويقينا •

ومن الفهم الصوفى للقرآن ذلك الفهم الذى نجعله حسن الختام فى قوله تعالى فى صفة المؤمنين : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون » يقول ذلك الفهم : ان الاشراك هنا المقصود به الشرك الخفى الذى يعارض القلوب من رؤية الطاعات وطلب الأعواض ؛ لأنه هو الذى يستقيم مع وصف المؤمنين بالخشية والايمان وكثرة الوجل والايقان بلقاء الله والمسارعة فى الخيرات ، وهذه صفات خالصة لأصحاب القلوب النقية المبرأة من رجس الشرك وأهواء الكفر ، فالشرك المنفى اذن هو الشرك الخفى الذى يلابس قلوب الطائعين من رؤية ثمرات الأعمال . قال الحلاج رضى الله عنه : علامة العارف أن يكون قلبه فارغا من الدنيا والآخرة ، وسئلت رابعة رحمها الله عن الجنة فقالت : الجار ثم الدار .

هذه لمحات من فهم الصوفية لاشارات القرآن الكريم وارداته لم يهتدوا اليها الا بالفتح والالهام الذى جاء ميراثا لجهاد متواصل وعمل دائب صاحبه الاخلاص والحب واليقين والتدبر فى آيات اللطيف الخبير .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قال بعض الحكماء :

اربعة من علامات اللؤم :

افشاء السر ، واعتقاد الغدر ــ تبييته والتواؤه ــ ، وغيبة الأحرار ، واساءة الجوار .

أنكروا أحاديث
الحاق بعض الموتى بالشهداء

للأستاذ الشيخ محمد نجيب المطيعى

نعم لم يتركوا شيئا الا اعترضوا عليه ـ حتى الصلاة لم تسلم من سخفهم وهرفهم ـ ولندع جانبا ذلك الحدث المعيد بكلية دار العلوم الذى لغا فى حديث موسى وملك الموت فى جريدة الجمعة من صحيفة الأخبار اذ لو استشم رائحة العلم بأوليات الكلام لعلم أن الملائكة جواهر نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الشريفة مما أشبعنا موضوعه بحثا وأجبنا على كل ما يندهش له أمثاله من المقلين فى بضاعتهم المغترين بما أوتوا من ضحالة واقلال فى أعداد الأزهر من مقالات (البخارى المفترى عليه) فليرجع اليها من شاء الحق وأراده محضا .

نعم لندعه ولنلفت نظره ومن اغتر بشغبه الى ما أشرنا اليه من أعداد الأزهر الماضية ولنأت الى شبهات جديدة أثاروها على السنة بالنيل من حديث الامام البخارى : حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة التبوذكى الحافظ حدثنا عبد الواحد ابن زياد العبدى حدثنا عاصم الأحول حدثتنى حفصة بنت سيرين وهى أخت محمد بن سيرين مولاة أنس بن مالك قالت : قال لى أنس ابن مالك رضى الله عنه : يحيى بن سيرين بم مات ؟ قلت : من الطاعون قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطاعون شهادة لكل مسلم) ثم قال : حدثنا أبو عاصم عن مالك امام دار الهجرة عن سمى (بضم السين وفتح الميم وتشديد التحية) مولى أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومى عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد) فقد قالوا : كيف يتساوى الشهيد فى ساحة الجهاد فما الدور الذى قام به المبطون ؟ وقد أخرج الحديث الأول مسلم فى صحيحه أيضاوأخرج الحديث مالك والترمذى وهو رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشهداء خمسة المطعون، والمبطون ، والغريق، وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله) .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة مرفوعا (ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد قال : ان شهداء أمتى اذن لقليل ! قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات من البطن فهو شهيد ، قال ابن مقسم : أشهد على أبيك يعنى أبا صالح أنه قال : والغريق شهيد) .

وقد بنى هؤلاء المنكرون انكارهم على ما يأتى :

١ ـ أن الشهيد هو من زج بنفسه فى ساحة الوغى .

٢ ـ وأن اسمه يستمد معانيه من صفة الشهادة التى انتهت بصاحبها لى الموت قتيلا فى معركة .

٣ ـ لماذا يستأثر بالشهادة المبطون والمطعون ويترك مريض السرطان والكوليرا والسل والسكتة ، واذاقصد بالمبطون كل هؤلاء فمن هو الميت العادى ؟ !

٤ ـ حدد الله تعالى الشهداء فى قوله: (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون الخ الآية) فاذا كان هؤلاء المرضى موتهم شهادة فلماذا لم يذكرهم الله .

٥ ـ اذا كان ميت الفراش ببطنه أو بالطاعون يتساوى مع من القى بنفسه فى ساحة الموت اختيارا ودفاعا عن الحق فهل تعتبر هذه التسوية عدالة من الله ؟

ونحن بدورنا نمسك أذن قائل هذه الاعتراضات بالابهام والسبابة قائلين له فى دعابة صافية تنضح بها عواطفنا عندما يجهل صغارنا فيحطمو أمتعة البيت .

كلا يابنى ان الشهيد لاينحصر فى دائرة ضيقة هى القتل وحده وان كان هذا الشهيد هو الشهيد عندنا وعند الله ، وله شروط أهمها أن يقتل والطعنات فى صدره لافى ظهره ،فاذا قتل والطعنات فى ظهره فانه لايكون شهيدا عندنا ، وقد يكون شهيدا عند الله تعالى اذ قد يعلم الله تعالى من أمره أنه كان متحرفا لقتال،أوينوى التحيز الى فئة يكثر جمعها ويعظم سوادها وحينئذ يكون شهيدا عند الله ، أمانحن فبالمقاييس الشرعية الصحيحة ، والأمارات الحسية الظاهرة لانحكم على المولى ظهره أو المدبر بالشهادة •

فمعرفة الشهيد يابنى لاتأتى الا من قبل من رفعه الى هذا المنصب المبارك ومادام رب العباد تبارك وتعالى هوالذى عرف الشهيد وأوضح نعته وحليته فى حومات الوغى،فانه كذلك قد ألحق بهؤلاء الشهداء على قلتهم شهداء لانستطيع نحن لمجرد كونهم ماتو على النحو الذى وصف فى الحديث أن نعطيهم أحكام الشهداء وانما شهادتهم موكولة الى ربهم الذى يعلم السر وأخفى • فقد يشوب مرضهم شائبة من الجزع أو عدم الرضى أو النفاق وهؤلاء لانمحنهم نحن درجة الشهادة وانما الذى يمنحهم هو الله ، وانما يذكرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن من أصيب بهذه الأمراض فصبر واحتسب ثم مات كان فى درجة الشهداء •

ولنضرب لذلك مثلا من مناصب أهل الدنيا ياولدى ، فان فريقا من الناس يمنحهم رئيس الجمهورية درجة وزير ومع ذلك يجتمع مجلس الوزراء بدونهم وتقال الوزارة أو تستقيل فلا نحس بذكرهم ولا نعلم أين مكانهم لأنهم قد اصطلحوا على التفرقة بين الوزير الأصيل ومن فى درجة الوزير •

فاذا كان بعض الناس يكرمون بمنحهم درجة من يحتلون مقام هذه الدرجة ويتسنمون ذراها على الحقيقة فكيف برب الأرباب مع من خلقهم من تراب ، وهو يرزق من يشاء بغير حساب •

أما قولك بأنه لماذا لا يعتبر من تسرطن أو تكولر شهيدا ؟ قلنالك : ان الكوليرا ضرب من وباء الطاعون

وكذلك السرطان قد يكون صاحبه مبطونا .

أما الاعتراض بأنه اذا كان هؤلاء يعدون من الشهداء عند الله فمن ذا الذى يكون غير شهيد فانا نقول : عامة الموتى يموتون حتف أنوفهم ، ومع ذلك فهناك رجاء أن يكون « أولئك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

أما الاعتراض بأن ذلك يتنافى مع العدالة الآلهيةفتلك ياولدى جرأةمنك على من يؤتى الفضل من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويفعل ما يريد .

وأعلم ياولدى أننا لم نعرف الشهيد الا ممن نزل عليه الوحى وأنه مماقاله من نزل عليه الوحى ماورد عن اثنين وعشرين صحابيا واليك بيان مارووه وهومممايفيد التواتربل دون هذا العدد يثبت التواتر،وقد اتفق جمهورالعلماء على أن التواتر يثبت بوروده عن عشرة فما فوق فما بالك اذا بلغ أكثر من ضعف هذا النصاب .

فعن عبادة بن الصامت قال : « دخلنا على عبد الله بن رواحة نعوده فأغمى عليه فقلنا : رحمك الله ان كنا لنحب أن تموت على غير هذا ، وان كنا لنرجو لك الشهادة .

فدخل النبى صلى الله عليه وسلم) ونحن نذكر هذا فقال : وفيم تعدون الشهادة ؟ فأرم القوم وتحرك عبدالله فقال : ألا تجيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أجابه هو ، فقال. نعد الشهادة فى القتل فقال : ان شهداء أمتى اذن لقليل ، ان فى القتل شهادة ، وفى الطاعون شهادة ، وفى البطن شهادة ، وفى الغرق شهادة ، وفى النفساء يقتلها ولدها جمعا شهادة » رواه أحمد والطبرانى واللفظ له قال المنذرى : ورواتهما ثقات .

وعن ربيع الأنصارى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد ابن أخى جبر الأنصارى ، فجعل أهله يبكون عليه فقال لهم جبر : لاتؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصواتكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعهن يبكين ما دام حيا فاذا وجب فليسكتن فقال بعضهم : ماكنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل فى سبيل

الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : أو ما القتل الا فى سبيل الله ؟ ان شهداء أمتى اذن لقليل ، ان الطعن شهادة والبطن شهادة والطاعون شهادة والنفساء بجمع شهادة ، والحرق شهادة ، الغرق شهادة وذات الجنب شهادة (رواه الطبرانى ورواته محتج بهم فى الصحيح .

وعن راشد بن حبيش رضى الله الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على عبادة بن الصامت يعوده فى مرضه فقال صلى الله عليه وسلم : أتعلمون من الشهيد من أمتى ؟ فأرم القوم فقال عبادة : ساندونى فأسندوه فقال يا رسول الله الصابر المحتسب فقال صلى الله عليه وسلم : ان شهداء أمتى اذن لقليل : القتل فى سبيل الله عز وجل شهادة ، والطاعون شهادة والغرق شهادة ، والبطن شهادة ، والنفساء يجرها ولدها بسرره الى الجنة ، قال : وزاد أبو العوام : سادن بيت المقدس ، والحرق ، والسل » رواه أحمد باسناد حسن وراشد بن حبيش صحابى معروف ، والسل هو داء يحدث فى الرئة يئول الى ذات الجنب .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (خمس من قبض فى شىء منهن فهو شهيد ، المقتول فى سبيل الله شهيد والغريق فى سبيل الله شهيد ، والمبطون فى سبيل الله شهيد ، والمطعون فى سبيل الله شهيد ، والنفساء فى سبيل الله شهيد » رواه النسائى .

وعن جابر بن عتيك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت رضى الله عنه فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع فصاحت النسوة وبكين ، وجعل ابن عتيك يسكتهن فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : دعهن فاذا وجب فلا تبكين باكية . قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : اذا مات قالت

ابنته والله انى لأرجو أن تكون شهيدا،فانك كنت قد قضيت جهازك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله قد أوقع أجره قدر نيته ، وما تعدون الشهادة ؟ قالوا : القتل فى سبيل الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله : المبطون شهيد، والغريق شهيد ، وصاحب الجنب شهيد ، والمطعون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حيان فى صحيحه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فقال : كان عذابا يبعثه الله على من كان قبلكم، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، ما من عبد يكون فى بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد) رواه البخارى وعن أبى عسيب رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى جبرائيل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون الى الشام فالطاعون شهادة لأمتى ورجز على الكافر » رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورواة أحمد ثقات مشهورون .

وعن أبى منيب الأحدب رضى الله عنه قال : (خطب معاذ بالشام فذكر الطاعون فقال : انها رحمة بكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم اللهم اجعل على آل معاذ نصيبهم من هذه الرحمة ، ثم نزل عن مقامه ذلك ، فدخل على عبد الرحمن بن معاذ فقال عبد الرحمن: الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال معاذ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) رواه أحمد باسناد جيد .

وليس هذا من تمنى البلاء بقدر ما هو اذكاء لفضيلة الصبر فى النفس وتوطينها على الرضى بالقضاء بصورة تحوله من رجز الى رحمة ، فتقر النفس ويهدأ الخاطر ، ويسكن

الجأش ، ويشيع فى الوجدان السكينة والايمان •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستهاجرون الى الشام فتفتح لكم ، ويكون فيكم داء كالدمل أو كالخزة يأخذ بمراق الرجل يستشهد الله به أنفسهم ويزكى به أعمالهم ، اللهم ان كنت تعلم أن معاذا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطه هو ، وأهل بيته الحظ الأوفر منه ، فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد فطعن فى أصبعه السبابة فكان يقول: ما يسرنى أن لى بها حمر النعم » رواه أحمد عن اسماعيل بن عبيد الله عن معاذ ولم يدركه ، ولا يضر عدم ادراكه له فى حشد الأحاديث المتواترة •

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فناء أمتى بالطعن والطاعون فقيل : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن ، وفى كل شهادة » رواه أحمد بأسانيد أحدها صحيح وأبو يعلى والبزار والطبرانى •

وعن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه رضى الله عنه قال : « ذكر الطاعون عند أبى موسى فقال : سألنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : وخز أعدائكم الجن وهو لكم شهادة » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم الى ربنا فى الذين يتوفون فى الطاعون فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا • ويقول المتوفون على فرشهم : اخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ، فيقول ربنا تبارك وتعالى : انظروا الى جراحهم ، فان أشبهت جراح المقتولين فانهم منهم ومعهم ، فاذا جراحهم قد أشبهت جراحهم» رواه النسائى•

وعن عتبة بن عبد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « يأتى الشهداء والمتوفون بالطاعون فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء فيقول : انظروا فان كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً كريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك » رواه الطبرانى فى الكبير لا بأس به فيه اسماعيل بن غياش وهو ثقة فى الشاميين وهذا منها ، ويشهد لهحديث العرباض بن سارية قبله .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فى الطاعون الفار منه كالفار من الزحف، و من صبر فيه كان له أجر شهيد » رواه أحمد والبزار والطبرانى واسناد أحمد حسن

وعن أبى اسحق السبيعى رضى الله عنه قال : قال سليمان بن صرد لخالد بن عرفطة أو خالد بن سليمان رضى الله عنه أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قتله بطنه لم يعذب فى قبره فقال أحدهما لصاحبه : نعم » رواه الترمذى وقال: حسن غريب وابن حبان فى صحيحه وقال : خالد بن عرفطة من غير شك .

وهناك يا ولدى من يقتل فى ساحة غير ساحة الوغى كأن يذود عن عرضه أن يثلم أو عن ماله أن ينهب أو عن دمه أن يهدر فعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح .

وأخرجه البخارى عن عبد الله ابن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل دون ماله فهو شهيد » رواه البخارى والترمذى . وفى رواية للترمذى : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو

شهيد » وفى رواية للنسائى : « من قتل دون ماله مظلوما فهو شهيد »

وعن سويد بن مقرن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل دون مظلمته فهو شهيد » رواه النسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى؟ فقال : فلا تعطه مالك . قال: أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : قاتله قال : أرأيت ان قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد . قال: أرأيت ان قتلته ؟ قال : هو فى النار» رواه مسلم والنسائى ولفظه قال :

« جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت ان عدى على مالى ؟ قال : فأيشد بالله قال : فان أبوأعلى ؟ قال : فأنشد بالله قال : فان أبوا على ؟ قال : فأنشد بالله قال : فان أبوا على ؟ قال : فقال : فان قتلت ففى الجنة ، وان قتلت ففى النار» .

هذه أحاديث هى بعض ما ورد فى هذا المعنى ولم يسعفنى الوقت لاستقصى ما أخرجه صاحب مجمع الزوائد ولا ما فى مشكاة المصابيح ولا فى مصنف عبد الرازق ففيها جميعا مزيد من هذه الأخبار التى لا ينكرها الا من عمى بصرا وبصيرة نسأله تعالى العفو والعافية والى اللقاء فى أحاديث أخرى ينكرها الجاهلون .

محمد نجيب المطيعى

قال بعض العلماء : الحسد اول ذنب عصى الله به فى السماء ـ أى حسد ابليس لآدم ـ ، واول ذنب عصى به فى الأرض ـ أى حسد ابن آدم آخاه حتى قتله ـ

من روائع العلامة إقبال :

برلمان إبليس ..!

ان الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه اجتمعوا فى مجلس الشورى ، وتباحثوا فى سير العالم وأخطار الغد وفتنه ، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسى ومهمتهم الشيطانية فتذاكروا فى فتن وأخطار قد احدقت بهم وهددت نظامهم ، وجللوا خطبها وتناذروا شرها ، فذكر أحدهم الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا فقال الثانى : لا يهولنك أمرها فانها ليست الا غطاء للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى اذ رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته ، وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها ، فالهينا بلعبة الجمهورية ، وليس الشأن فى الأمير والملك ، ان الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص ترتكز فيه الملوكية وفرد يستبد بالسلطان ، وانما الملوكية أن يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفا الى متاع غيره ، سواء فى ذلك الشعب والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهورى وجهه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيز خان ؟

فقال الآخر : لابأس اذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا اليهودى الذى يدعى كارل ماركس ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكنه يحمل عند أتباعه كتابا مقدسا هل عندك نبأ أنه أقام العالم وأقعده وأثاد العبيد على السادة حتى تزعزعت مبانى الامارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس ياصاحب الفخامة ، ان سحرة أوربا وان كانو مريديك المخلصين ولكنى لم أعد أثق بفراستهم ، ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة

من مزدك (الزعيم الفارسى) الاشتراكى قد كاد يأتى على العالم بقواعده فاستنسر البغاث ، وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراحانا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية وها هى قد استفحلت وتفاقم شرها ، وها هى الأرض ترجف بهول فتنة الغد ، ياسيدى ان العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن ..

فتكلم رئيس المجلس « ابليس » وقال : انى أملك زمام العالم وأتصرف به كيف أشاء ، وسيرى العالم عجبا اذا حرشت بين الأمم الأوربية فتهارشت تهارش الكلاب، وافترس بعضها بعضا كما يفعل الذئاب ، واذا همست فى آذان القادة السياسيين وأساقف الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية فكونوا على ثقة أن الخرق الذى أحدثته الفطرة بين الانسان والانسان لا يرفؤه المنطق المزدكى (الفلسفة الاشتراكية) لا يخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء والصعاليك السفهاء .

ان كنت خائفا فانى أخاف أمة لاتزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المصاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لايخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا،وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم ، أنا خبير أن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ويضىء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر ستقض مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة (محمد صلى الله عليه وسلم) انى أحذركم وأنذركم من دين محمد (صلى الله عليه وسلم) حامى الذمار،

حارس الذمم والأعراض، دين الكرامة والشرف، دين الأمانة والعفاف، دين المروءة والبطولة، دين الكفاح والجهاد، يلغى كل نـوع من أنـواع الرق، يمحـو كل أثر من آثار اسـتعباد الانسان، لا يفرق بين مالك ومملوك، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك، يزكى المـال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مسـتخلفين فى أموالهـم (١) أمناء الله وكلاء على المـال، وأى ثورة أعظم وأى انقلاب أشـد خطرا مما أحـدثه هـذا الدين فى عالم الفكر والعمل يـوم صرخ أن الأرض لله لا للملوك والسلاطين.

فابذلوا جهـدكم أن يظل هـذا الدين متـواريا عن أعين النـاس، وليهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه، فخير لنـا أن يبقى مشـتغلا بمسـائل علم الكلام والالهيات وتأويل كتـاب الله والآيات، اضربوا على آذان المسـلم فانه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطـل سـحرنا بأذانه وتكبـيره واجتهـدوا أن يطول ليـله ويبطىء سحره، اشغلوه يا اخوانى عن الجد والعمـل حتى يخسر الرهـان فى العالم. خير لنا أن يبقى المسلم عبدا لغيره، ويهجر هـذا العالم ويتنازل عنه لغـيره زهـدا فيه، واسـتخفافا لخطره يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الأمة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتحرسه ...!!!

---

(١) « انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » الحديد الآية : ٧

من تاريخ اللغة العربية .. في مواجهة التحديات !

للدكتور الشيخ محمد أحمد العزب

— ١ —

حين تواجه اللغة العربية زحفا هاجما من جديد، يدعوا الى (الاقتصار على الجملة الاسمية) و (قبول المفردات العامية فى اللغة المكتوبة) و (الاكتفاء فى جمع المذكر السالم بصيغة الياء والنون) و (توحيدصيغة الأسماء الخمسة فيقال «أبو» فى الرفع والنصب والجر) و (جمع الكلمات والتراكيب العامية) الى آخر هذه القائمة الجديدة القديمة فى آن (١) ، حين تواجه اللغة العربية هذا الزحف الهاجم الجديد ، فى محاولة كاسرة لبتر الصلة بين العربى وتراثه الفكرى والأدبى والعقائدى ، فان وعينا بمنابع هذه الحركة الهاجمة وبتاريخها على أرض هذه المنطقة يبدو صميميا الى مدى هائل بالفعل لأن الوعى بجذور حركة ما يضىء منادح الرؤية حولها ، ويجعل من فهمها الصوابى مقدمة صوابية لمواجهتها وتعرية أساليبها الفاجعة ، مهما كان فى وعينا بتاريخ هذه الحركة من جرح آنى لمشاعرنا القومية والعقائدية .. ان تراثنا يمكن القومية والعقائدية .. ان تراثنا يمكن (اذا نجحت هذه المحاولات) أن يستحيل الى تاريخ غير ناطق ولا مفهوم، فلنفتح أحداقنا جيدا ، ولنقرأ تاريخ الحركة العدوانية بمزيد من الاستبصار والتأمل وتعقيل الأحاسيس، لأن فورة الغضب فى هذا الصدد ، أو بيانات الاستنكار والتربص الفكرى الساذج ، يمكن أن ترضى انتفاخ غرور مرحلى ، ولكنها ستستحيل فى

---

(١) مؤتمر بيروت للتعداد الاحصائى المنعقد فى الفترة من ١٤ الى ١٦ يوانيه ١٩٧٣

التاريخ الى دليل نقيض وليس الى دليل صديق !!

أن الذين يهاجمون (ولنكن صرحاء) يتسلحون بمنطق العقل والمعاصرة ، انهم لا يحيلون فى كل قضاياهم على أسلافهم كما تفعل نحن، ولكنهم يخاطبون عصرهم بلغة هذا العصر ، بفلسفة هذا العصر ، بهموم جيله الرافض والفاقد لمحتوى عقائدى يملأ وجدانه بالألق ، وحياته بالجدوى ، وآفاق مستقبلة بأحلام الحلول .. ان أسلافنا الذين نحيل عليهم يملكون أروع صيغ المنطق الحضارى المدعوم بأروع صيغ المنطق العقائدى ، هذه مسلمة لا يستطيع غير مكابر أن يجادل فيها أو يتصدى لانكارها ، ولكن أجيالنا الطالعة فى اطار محدودية الثقافة والامتداد اللغوى والفهم لطبيعة الأشياء ، ربما يميلون الى منطق المعاصرة أكثر مما يميلون الى منطق الاحالة على التاريخ، وهنا يبرز دورنا نحن ، أن عبئنا الفادح يبدأ من هنا ، من محاولة استقطاب كل مفاهيم تاريخنا الفكرى والأدبى والعقائدى ، ثم صياغته (بمنطق العصر) وصولا الى تحديد أكثر ايجابية ، والى ترشيد أعمق فعالية ، فى مواجهة هذه التحديات..

ثم للوصول الى مناطق الفعل فى هذه العقول الشابة التى تستجيب بحكم تكويناتها الفكرية والثقافية للغة العصر وانماطه الفكرية والفنية !!

ان بحثى الجاهد عن (التاريخ المعاصر) لحركة التحدى ربما يبدأ من مطالع القرن العشرين ، ولقد كان فى استطاعتى أن أقف عند تاريخ التحدى وتاريخ مواجهة التحدى معا ، لولا أننى أريد أن استنفر جهودا جديدة ، وبشكل موضوعى يتناول الظاهرة بمزيد من التحليل والتأمل والمواجهة ، فان هذا المنطق وحده هو القادر بالتدليل العلمى القاطع على أننا نعيش عصرنا الهائل ، مسلحين بوعينا الذاتى وبوعى كل العصور .. اذن فسأركز على تاريخ التحدى ، لتعلم أجيالنا الطالعة الى أى مدى حاولت جهود منظمة أن تقتلعنا من اطارنا اللغوى، ربما ليسهل عليها بعد أن تقتلعنا من اطارنا الوجودى ، وهذا هو جوهر المأساة !!

— ٢ —

حين كتب (ولهلم سبيتا) سنة (١٨٨٠) كتابه (قواعد العربية العامية فى مصر) باللغة الألمانية ، متنبئا فى هذا الكتاب بموت الفصحى وصيرورتها الى العامية (كما ماتت اللاتينية من قبل) لم تكن هذه أول رجة تعرضت لها اللغة العربية ، فقد خاضت عبر عصورها عديدا من المعارك اللافحة وانتصرت فى النهاية على كل الجبهات .

— ٣ —

وحين لم تلق دعوة (سبيتا) صدى متجاوبا . انبرت مجلة (المقتطف) سنة (١٨٨١) تدعو الى كتابة العلوم بالعامية ، زاعمة أن الفصحى لغة النخبة وليست لسان الجميع ، فاذا أرادت الأمة أن تعطى المقولات العلمية لجماهيرها وليست لنخبة من هذه الجماهير فحسب . فينبغى أن لا تتردد فى رفض العربية الفصحى ، وينبغى أن لا تتردد كذلك تحت أى من العوامل فى احتضان العامية لغة تعبير وتفسير وتطوير !!

— ٤ —

ولقد آزرت هذه الحركة عناصر مد أستعمارى هدفت الى تطويق اللسان العربى وعزله تماما عن مجالات الفعل ، كان أبشعها فى المشرق سنة (١٨٨٩) جعل التعليم فى المدارس العصرية باللغة الانجليزية .. وكان أحطها فى المغرب (ربما على مدى التاريخ) محاولة الاستعمار الفرنسى سرقة اللسان العربى وفرنسة الشارع والمكتب والمدرسة وصفحات الكتب !!

— ٥ —

ويمضى المخطط الى غايته ، فيدعو المهندس الانجليزى للرى فى مصر (ويلكوكس) الى احلال العامية محل الفصحى ، ولا يطرح دعوته فى هذا الصدد على نحو عفوى قد يظن هنا لأول وهلة ، ولكنه يؤسس هذه الدعوة على عناصر من الفكر الاجتماعى الذى يمكن أن يشد اليه قطاعات من العامة والمثقفين على السواء ، فهو يتساءل : (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الى الآن ؟) ويجيب بأن العربية الفصحى هى السبب الكامن

من وراء هذا التخلف .. لأنها لغة ترف ذهنى وليست لغة ابداع علمى. ولأنها لغـة عزلت الجماهير الهائلة عن محاولات الفعل والخلق ، ويزعم أن الحل الذى لا بديل عنـه ، هـو طرح هذه اللغة ، والابحار مع العامية الى نهايات المطاف !!

ـ ٦ ـ

وفى سنة (١٩٠١) ينشر القـاضى الانجليزى (ولمور) كتابه (العربية المحكية فى مصر) تنويعا على هـذا اللحن الأسـاسى : (ضرب العربية الفصحى والترويج للعامية) !!

ـ ٧ ـ

وفى سنة (١٩٢٥) يعـود (وليم ويلكوكس) الى الميدان من جديد ، عديد من السنوات ، لقد عاد ليترجم الانجيـل الى العـامية (١٩٢٥) .. ولينشر رسالة بالانجليزية يزعم فيها أن سـورية ومصر وشـمال أفريقية ومالطة تتكلم البونيـة لا العربيـة وليؤلف بالعـامية كتابه : (الأكل والايمان) الذى تظر منه ثلاث طبعات الى سنة (١٩٢٩) (١) .

ـ ٨ ـ

وينحسر المد الخارجى ليتيح للمد الداخلى (على مسـتوى نوعى) أن يحتل مواقعه ، وأن يوجه طاقاته فى محاولة الاقتلاع .. ففى الربع الثانى من القرن العشرين يحمـل الكـاتب المصرى (سلامة موسى) لواء هـذه الدعوة ، ويضيف الى مقولات الغابرين مقولات محدثة ، على جانب هائل من الخطـورة والتحدى .. ان خطورة هـذه المقولات تأتى من جهة كونهـا مقولات رجل يكتب بالعربية ، ويعرف كيف يركـز على منـاطق الاثـارة والتشـويه .. وهـو يلخص بنفسـه مقولاته فى هذه السطور :

١ ـ يجب أن نكبر من شـأن لغتنا العربية ، وان نوليهـا أعظم اهتمامنا لأنهـا وسـيلة التفكـير ، ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة .

٢ ـ كان فن البلاغة العربية ـ ولا يزال الى الآن ـ فن التعبير عن العاطفة والانفعال ، ونحن لا نفكر حين ننفعل أو نستسلم للعاطفة ـ التفكير الحسن ،

---

(١) أنظر : عائشة عبـد الرحمن ـ لغتنا والحياة ـ ص ١٠١ ـ ١١١ .

ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفكير العلمى والفلسفى •

٣ ـ المجتمع الحسن هو الذى يقوم على العقل وحل المشكلات بالمنطق ، فنحن فى حاجة الى بلاغة جديدة تؤدى الى دقة الفهم العلمى لايجاد مجتمع علمى ، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية ، وبين الكلمة الموضوعية••

٤ ـ اللغة هى تراث قديم ، تحمل كلماتها معانى الحياة البدائية (الحياة من الحيا والروح من الريح) أو تحمل معانى السحر (علا نجمه ، وأفل نجمه) بل هى حافلة بأحافير ورواسب يجب أن نتوقى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد •

٥ ـ كان المجتمع العربى القديم يستند الى العقائد والتقاليد ، وكان مجتمعا حربيا يحتاج الى لغة العواطف والانفعالات التى تحرك الارادة ، ولذلك أصبحت بلاغته كذلك ، وهى لهذا السبب صغيرة القيمة فى خدمة مجتمعنا الذى نحاول أن نجعله يسير على مبادىء المنطق والعقل والعلم •

٦ ـ داء الأدب واللغة عندنا هو الكلاسكية ، أى التليدية ، وهى تؤدى عندنا الى محاولة استرداد الأمس بالتعبير والتفكير •

٧ ـ المبالغة فى هذه الكلاسكية تؤدى الى تحجر اللغة ، كأنها لغة الكهنة فى المعابد ، فتقطع الصلة بينها وبين المجتمع •

٨ ـ فى لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدى الى ارتكاب الجرائم (الدم ، والعرض ، فى الصعيد) أو الى كراهية بعضنا بعضا (كافر، نجس) والكلمات الجنسية التى تؤدى الى خيالات الحشاشين ، وعلينا أن نقى عقولنا من هذه الكلمات •

٩ ـ للكلمة ايحاء اجتماعى للخير أو الشر ، فيجب أن نستغل اللغة للتوجيه الحسن للأمة والفرد ، والبلاغة القديمة ـ بلاغة العاطفة والانفعال ـ مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعى الحسن ، ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة •

١٠ ـ لن نستطيع الانتفاع بذكائنا الا اذا كانت اللغة ذكية أيضا ، أى

تؤدى المعانى الدقيقة فى العلوم والفلسفات • ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص المعانى حتى تمنع الالتباس، ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات (مثل بلدة للمدينة ، وبلد للقطر) •

١١ - الكلمات الحسنة فى اللغة الحسنة تبنى الأخلاق ، حتى ليصح أن نعد الكلمة شعارا تنضوى اليه كما لو كان راية فى جهاد ، وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وأمثالها ما نبنى به المجتمع الحسن •

١٢ - علينا أن نزيد فى لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصرى ، فنؤلف الكلمات التى تخدم الرقى وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة •

١٣ - البلاغة الجديدة هى بلاغة المنطق الذى يرشدنا الى توقى الخطأ، والتفكير السديد هو التفكير العلمى الموضوعى الذى يقوم على التجربة، واللغة الحسنة هى التى تؤدى المعنى فى دقة هندسية ووضوح اقليدى •

١٤ - نشأت فى عصرنا الحديث لغتان جديدتان ، احداهما لغة العلوم، فيجب أن نأخذ كلماتها جميعها بلا ترجمة ، ولغة كوكبية أخرى ينطق بها كل متمدن فى الدنيا ، مثل التليفون ، والتلغراف ، وسينما توغراف ، والراديوفون ، فيجب ألا نقاطعها ، لأنها لغة كوكبية جديدة لا تملكها أمة دون أخرى •

١٥ - كل انسان متمدن يجب أن يتعلم ثلاث لغات : لغته الأصلية التى تعلمها من أمه ، ولغة العلوم التى تكتب بها الجيولوجية والبيوجنية والفسيولوجية والكيمياء الخ ••• ولغة هذا الكوكب كما ترى فى كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب •

١٦ - يجب أن نستبصر بحركة الأستاذ « أوجدين » فى الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات التى لا تتحمل الشكوك فى معانيها ، وأن نيسر تعليم اللغة العربية للعربى وللأجنبى •

١٧ - لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة

أو المشتبة ، وهى تحتاج من الوقت لتعليمها نحو ثمانية أو عشرة امثال الوقت الذى تحتاجه اللغة الانجليزية. فيجب أن نتجه نحو تيسيرها بالاقلال من القواعد والشذوذات بل ومن الكلمات .

١٨ ـ اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الأمة الى الأمام مئات السنين ، ويكسبها عقلية المتمدنين ، ويجعل دراسة العلوم سهلة ، وهو خطوة نحو الاتحاد البشرى (١) .

هذه هى آراء (سلامة موسى) كما لخصها هو فى كتابه الهاجم : (البلاغة العصرية واللغة العربية).. وهى آراء لا تزيد قامتها على مجرد الغضب الشعرى الذى لا يؤسس مقولاته على منطق التفكير العلمى بما هو تأمل ومقدمات ونتائج .. ان (سلامة موسى) هنا يثير جعجعة لا طحنا ، أمشاج من الملاحظات الهامشية التى لا تتصل اتصالا مباشرا بصميم اللغة ، ولا تدخل فى جدل العلاقات العضوية بين شكل المصطلح العربى ومحتواه من حيث هو بناء وظيفى حمل فكر عصور تمددت فى كل عصور التاريخ ، ورفدت الحركة الحية للحضارة الانسانية بمزيد من المشاعل الكاشفة .. ولكن خطورة آراء (سلامة موسى) تأتى من جهتين : أولا لأنه مفكر عربى قد يظن أن معاناته مع الحرف العربى والجملة العربية والتفكير بالكلمة العربية هو ما أوحى اليه هذا الغضب الهادم على لغد فقدت اقتدارها على معاونة الكاتب فى عطائه الفكرى .. وثانيا لأن الكاتب يخلع على آرائه أردية التوق الى اصلاح اجتماعى من خلال اللغة ، ويوهم بأن ما يحركه فى هذا الغضب ليس القصور عن استيعاب سر اللغة وانما هو محاولة ربط هذه اللغة بأهم منجزات التطور الحضارى الذى يموج به العالم المعاصر .. ان خطورة آراء (سلامة موسى) تأتى من هاتين الوجهتين ، وهى خطورة قد

---

(١) سلامه موسى ـ البلاغة العصرية واللغة العربية ـ ص ١٨٥ وما بعدها ؛ ط ٤

يغيم مضمونها فى ذهن المتلقى المعاصر فيقع فى أسارها غاضبا أو مفتونا !!

- ٩ -

ويلفتنا العنصر الأخير فى هذه الدعوة (اتخاذ الخط اللاتينى) الى تيار آخر لا يقل ضخامة واستفحالا عن تيار الدعوة الى عامية اللغة ، وذلك هو تيار الدعوة الى نبذ الحرف العربى ، والكلمة العربية ، والجملة العربية ، والسياق العربى ، واستبدال كل أولئك بالحرف اللاتينى الذى لا يعانى (كما يقولون) من تشوش الحرف العربى ، وبالكلمة اللاتينية التى لا تعانى من تسيب الكلمة العربية ، وبالجملة اللاتينية التى لاتعانى من تعقيدات الجملة العربية ، وبالسياق اللاتينى الذى لا يعانى من همجية السياق العربى !!

ولقد يكون من المفيد أن نلقى كذلك نظرة هادئة على تاريخية الدعوة الى هذا الاتجاه الآخر ، فان ذلك قمين بتحديد نوعية القضية ، وتحديد نوعية مسارها الصاعد أو المتعرج فى ذهنية رعيل من المفكرين والكتاب ، الذين لا نستطيع - مهما كانت مسافات الخلف بيننا وبينهم - أن ننفيهم وجوديا من تاريخ حركة الفكر العربى الحديث ايجابا وسلبا .. كما أننا نرفض من خلال منطق المنهج العلمى أن نغلق أبوابنا فى وجه أى من الأشياء ما لم نؤسس حركتنا فى هذا الصدد على منطق المقولة والسبب ، أو النتائج والمقدمات .

فى وهج الدعوة الى العامية بديلا عن الفصحى ، طلع (أمين شميل) بدعوته الى الهجرة الكاملة ، ليس من فصحى العربية الى عامية العربية وانما من الشكل العربى الى الشكل اللاتينى ، وقد بنى تصوراته فى هذا المجال على عديد من الأسباب :

منها : أن اللغة أداة تعبير ، فاذا عجزت هذه الأداة عن النهوض الحضارى بوظائفها الطبيعية فليس هناك ضير من طرحها جانبا ، واحتواء أداة غيرها أرقى وأقدر .. واللغة العربية وصلت من مراحل التطور الى العجز الكامل عن مواكبة

هذا التطور ، ولذلك فلابد للمشتغلين بها من العبور عليها الى لغة أجنبية أكثر قربا من التطور الحضارى .

ومنها : أن اللغة العربية ماضية فى طريقها الى الموت كما ماتت من قبلها لغات كانت لها نفس الخصائص والمكونات، كاليونانية ، والسريانية، والكلدانية ، والقبطية .

ومنها : أن محاولة البحث فى هذا الصدد للغة ماتت أو هى تموت ، ضرب من اللاجدوى التى تشغلنا عن أشياء صميمية ينبغى أن نوفر كل جهودنا للعمل فى مجالها الحقيقى .

ومنها : اللذة العقلية التى نحصلها من درس لغتنا لا تملأ بطن جائع واحد ، فلنتابع ركضنا على طريق الأهم ، ولنعرف جيدا أن تراثنا الذى نحرص عليه موجود (وعلى مستوى صوابى أروع) فى اللغات الأوربية الأرقى ، فلا خوف من ضياع شىء اذا كان هناك ما يخاف عليه بالفعل .

ومنها : أن الكساد المادى والمعنوى جميعا منوط بأولئك الذين يجهدون أنفسهم فى دراسة اللغة العربية ، وأن الانفتاح والامتلاء جميعا منوطان بأولئك الذين يعملون فى مجال اللغات الأوربية الحية ، ودعونا من طغولة اللهث وراء (الوطنية) فان الوطنية الحقة قائمة فى المعانى لا فى الألفاظ ، أعنى فى صيانة حقوق الأفراد ، وأحكام العدل والتسوية ، والالتفات الى الأمة ولغتها ، وعدم اعطاء خبز بنيها لغيرهم) (١) .

— ١٠ —

ويأتى — بعد حين — (عبدالعزيز فهمى) لينوع على نفس هذا اللحن الأساسى ، فيدعو الى العدول الكامل عن الحرف العربى الى الحرف اللاتينى توخيا للسهولة المنشودة ، والاحكام الملائم لحركة الفكر الحديث ، والاستغناء عن عبثية الضبط بالشكل الى صوابية الضبط بالحروف .

---

(١) التنكيت والتبكيت — العدد الخامس — ١٨٨١ .

ويشترك فى هـذه الدعوة (على مستويات متفاوتة) لفيف من الكتاب والأدباء والمفكرين ، من أمثـال : قاسم أمين ، وأحمد أمين ، ولطفى السيد ، وبهى الدين بركات .

ولكن (سـلامة موسى) يلتقط هـذا الخيط ، ويشن حملة ضارية على الحرف العربى ، ويؤكد أن من أفـدح عناصر الجـذب الوراثى فى تاريخ المنطقة هو رفضنا لارتفاق لغة حضارية ، حية واستمساكنا بأحافير لغة الصحراء والناقة والحجاب والدم والجنون ، الى آخر هـذه القائمة التى تصرخ بها كتابات سلامة موسى بلا ملال !!

وواضـح هنا أن هـذه الدعوة مؤسسة أكثر من سابقتها على منطق أكثر احـكاما وتركيزا ، الا أن أصحابها قـد نسـوا بالفعل حقيقة أكثر صميمية ، هى أن هذه اللغـة العربيـة التى يدعون الى الهجـرة الكاملة من اطـارها لا يمـكن أن تكون هى المسئولة عن تخلف العالم العربى ، فهى نفس اللغة التى وقفت معطياتها الشـكلية والمضمونية على قمة المد الحضارى أجيالا بلا توقف ، واذن فامكانية الفعـل الحضـارى مكنوزة فى أعماق هذه اللغة ، فقط هى فى انتظـار الفارس القادر على تفجير هـذه الامكانيات ، والعصر المؤهل لتلقى هـذا العطاء ، والبيئة المعاونة على تمديد حركة الفعـل فى شكل ظاهر وليس فى شكل مجرد انتفـاض !!

وليتنا نقـرأ جيدا تاريخ هـذه الحركات الهاجمة،ليس لمجرداستيعابه فذلك أخف أنواعه ثقـلا ، ولكن لتوجيه ردود فعلنا فى هذا المجال ، أن الفكر اللغوى من وجهة منهجية (فى هذه الدعوات) ربما لا يقـدر على النهوض ، ولكن ربطه بمعـاناة الانسان العـربى ، وبكم التخلف الحضـارى الذى نحيـاه ويكيفه ، وبالتوق الخالب الى مواكبة التطور التقنى فى هذا العالم اللاغط ، كل أولئك يعطى هذه الدعوات امكانية النفوذ الى عناصر من الجيل الآتى هى مفتـونة بحيوية المنطق الرابط بين اللغـة والانسان ، وحضـارة

الفكر العامل على تضوييء المسافة التى كادت أن تحترق بين همـوم التعبير اللغـوى وهمـوم انسـان المرحلة !!

- ١١ -

ثم يأتى من ينادى بتسكين أواخر الكلمـات ، هروبا من صـعوبات الضبط ، وانفلاتا من قوانين الحركة فى اللغة ، وهى دعوة بائرة من أول الطريق ، لأنها انزلاق باللغـة الى مجاهيل الخلط بين الفاعلية التى تكون للفاعل والمفعولية التى تكون للمتلقى ، فاذا جاز أن يقال أن السياق قديعطى تحديدا فى هذا المجال ، فان الأكثر جـوازا أن يقال آن السياق قـد لا يعطى تحديدا ما ٠٠٠ ربمـا يعطى السياق تحديدا فى حالة ما اذا كان الفاعـل مذكرا والمفعـول به مؤنثا لدلالة الفعل على طبيعة الفاعل ٠٠ ولكن هذا السياق نفسه عاجز تماما عن أى لون من التحـديد فى حالة ما اذا كان الفـاعل والمفعول به من جنس واحـد ٠٠ لدلالة الفعـل على طبيعتين متسـاويتين فى وقت معا ٠٠ فان قيل ان المقدم يبقى فاعلا والمؤخر يبقى مفعولا ٠ فاننا يقون : ان التضحية بواحدة من خصـائص اللغة وهى التقديم والتأخير فى مقابل لاشىء أمر غير مقبول بالضرورة !!

- ١٢ -

ثم يأتى أخـيرا مؤتمـر بيروت (١٩٧٣) الذى أشرنا اليه فى مطلع هذه السـطور ، ليجدد الدعوة ، ويعيدها جذعه ، كأنما لتتواصـل حلقـات الزحف فلا يفلت جيل من الأجيال من محاولة خطفه من لغته وضرب كل ملكاته الابداعيـة فى محاضن تكوينهـا البدئى ، وصرف طموحه الفكرى عن ملاحقة التطور العالمى فى مجالات الثقـافة والعلوم الى نوع من الجدل الدائرى الذى لاتفضى مقدمته الى نتيجة ، ولاتترتب منه نتيجـة على مقـدمة ٠ وهكذا يسقط جيل بكامله فى آبار الفراغ !!

- ١٣ -

هـذه خلاصـة موجزة لأشرس التحديات التى واجهتها اللغة العربية منـذ أواخر القرن التاسـع عشر

وأوائل القرن العشرين حتى الآن — وهى تحديات قاسية من غير شك ، لأن تأسيسها على هذا النحو المنهجى المخادع يمكن أن يشد اليه كثيرا من اهتمامات أجيالنا الطالعة، ان منطق المواجهة الذى ندعو اليه يرفض أن يملأ حنجرته بالزعيق ، لأن الأجيال الطالعة تتحمس طرائقها بمزيد من الوعى الذى يتحشق الكلمة الهادئة ، والفكرة الناضجة ، والحوار المسلح بمنطق العصر وهمومه الهائلة، لا يكفى أن نسود بياض الصفحات بوابل من الشتائم القارصة ، وانما ينبغى أن تتوجه أساسا الى الفكر النقيض بمحاولة استيعاب أصوله وخصائصه وغاياته ، وتعرية ما فى هذه الأصول من مغالطات فكرية ومنهجية ، وفضح ما فى هذه الخصائص من تناقض وتشويه ، وادانة ما فى هذه الغايات من طوايا وعدوانية وهدم !!

ان قدرتنا على ادارة حوار نابغ ومنهجى هو تدليل أكاديمى غير مدفوع على اقتدار لغتنا العربية وتأبيها المستمر على كل محاولات الانتقاص ، ان علمية الحوار تعنى عملية اللغة وحضارية المنطق تعنى حضارية اللغة ، وتعصير الفكر الجدلى حول أى من القضايا يعنى اقتدار هذه اللغة على الهجرة الحية الفاعلة فى ذاكرة كل العصور !! .

— ١٤ —

أعلم أن رعيلا مخلصا وجادا من الغيورين على اللغة العربية قد تصدى لبعض هذه الدعوات ، ولكن ذلك أصبح الآن غير كاف بشكل يقينى ، لأن الذين يضربون العربية يطورون كل يوم من أسلحتهم ، ويختارون لذلك شكولا من الابداع لا تنحصر فى مجرد الحوار الفكرى الناهض على المقولة والسبب والنتيجة ، وانما يصطنعون ألوانا من الفكر والفن ، ويضمنون هذه الألوان ما شاءوا بشكل مباشر مرة ، وبشكل رامز وايمائى مرات ومرات ..

من هنا تنبع ضرورة الاستنفار الجديد ، ليس على مستوى آحاد

من رجال الفكر اللغوى وحدهم وانما على مستوى رعيل متكامل من رجال الفكر واللغة والأدب والفن والفلسفة والحضارة والاجتماع والنفس والدين ، وليت يكون ذلك كله من خلال منهج علمى يستقطب الظاهرة ويحللها ويرد على مفرداتها ، ويقيم من مقولاته الدافعة شيئا يشبه النظرية المتكاملة التى تربط فى جدلية مطلقة بين اللغة والأمة والتراث بأضلاعه المثلثة (الماضى والحاضر والمستقبل) ، والتى تجعل من حركة الحلول فى اللغة بسماتها الخاصة وقوانينها الذاتية حلولا فى التاريخ والحضارة ، والتى تصوب الفهم المغلوط فى كثير من قضايا الفهم اللغوى من حيث الربط الجدلى بين التخلف الآنى وتخلف التفكير اللغوى ، ثم من حيث الاصرار المهاتر على أن أجرومية اللغة العربية باهظة التعقيد فى غير طائل وبلا مبررات !!

ان الجهود التى ينبغى أن تبذل فى هذا الصدد ، تأصيلا للعلاقة الحميمة بين اللغة والوضعية الحضارية للأمة ، وتمكينا لفهم أن الحلول فى اللغة حلول فى التاريخ والحضارة ..

وتأكيدا لحيوية العربية وبعدها الموضوعى عن حركة الألتيات والتعقيد .. ان الجهود التى ينبغى أن تبذل فى هذا الصدد مدعوة بلا ملال الى التزام روح المنهج العلمى ، والى تعقيل كل الأحاسيس فى عالم يرفض أن يواجه قضاياه بمزيد من الزعيق والضجيج ، وهى مدعوة الى الأطلال الحضارى على كل مقدماتها ونتائجها واضعة فى حساباتها دائما انها تخاطب عصرا له منطقه ، وأجيالا لها همومها ومقولاتها وطرائق تفكيرها جميعا .. أن ذلك وحده يكون كافيا بشكل يقينى ربما لخلق حركة فصل شاملة ، تضع اللغة على مستوى صميمى مع حركة وجودها على الأرض ، حفاظا عليها ، وتأصيلا لها ، ومقاتلة تحت كل راياتها المنتصرة .. وهذا هو مناط الحركة فى كل أندفاع بالفكر والجسد فيما نعنى بكلمة الأندفاع !!!

د. محمد احمد العزب

حول الثقافة الإسلامية

في المجتمع الإسلامي المعاصر

للأستاذ طه محمد كسبه

مقدمة :

لا تتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان الاسلام هو ذلك الفكر الذى خرج على العالم فأوجد دولة اسلامية قوية البنيان ، وابتدع حضارة ما يزال الحديث عنها يجوب الآفاق وخلق انسانا جديدا قد تكون من الروح والجسد هو الانسان المسلم •

ولعل من الأشياء التى تحسب للاسلام أن أساس حضارته ليس ناشئا عن تمجيد العقل كما فعل الاغريق ، ولاهو تمجيدالقوة،وبسط النفوذ والسلطان كما كان الشأن عند الرومان ، كما أنها ليست فى الاهتمام بالقدرات الجسدية والحربية والنفوذ السياسى كما كان الحال عند الهنود والصينيين ، كما أن أساس حضارته ليس ناتجا عن الافتتان بالعلوم المادية والاستفادة مما فى الكون من ماديات العصر ــ لدرجة التقديس ــ كما هو منهج الحضارة الحديثة المتوارثة عن اليونان والرومان •

انما أساس هذه الحضارة الاسلامية ، أساس فكرى ، على نسق يشمل جميع شعب الحياة الانسانية فى الفكر والعمل، فى العلم والعقل ، فى الروح والمادة ، فى الشخصية الانسانية والاجتماعية •

ولهذا فان الحضارة الاسلامية ــ كانت ولم تزل ــ حضارة مستقلة ، كاملة ذات دستور شامل محدد يختلف اختلافا جذريا عن مكونات الحضارة الغربية ، مثلما اختلف مع الحضارات القديمة الفارسية والهندية والرومانية •

واذا كان أساس الحضارة الاسلامية ــ كما قلنا ــ أساسا فكريا ، فان الاسلام لا يعادى العلم الذى هو طريق الحضارة، ولايعادى القوة السياسية والعسكرية لأنها أداة ومظهر من مظاهر الحضارة ، الا أن الاسلام بهذا الشمول ــ الذى يمثل بعدا أساسيا من أبعاده ــ يضع المنهج الملائم والسليم ، والمقومات الأساسية لقيام حضارة اسلامية قائمة على الفكر الذى هو جماع كل مظاهر الحضارات حتى يكون أساسها قويا متينا وشامخا ولذلك فاننا نرى أن حضارة الاسلام حضارة باقية متجددة ، لا يصيبها الشلل أو تعتريها الشيخوخة .

ولأن الفكر أساس حضارة الاسلام ، لذا فانا نجد أن الثقافة الاسلامية احدى مستلزمات تكوين هذا الفكر ، بمعنى أن هذا الفكر الاسلامى هو الوعاء الذى يحتوى هذه الثقافة ، ويضمها اليه ، ذلك أن الفكر الاسلامى يتخذ من الثقافة الاسلامية ومكوناتها أدوات تعبير وأشكالا يستخدمها للوصول الى تكوين الانسان المسلم .

لكن .. ماذا تعنى الثقافة؟ وماهى مصادر الثقافة الاسلامية ومقوماتها؟ ثم ما هى الخصائص المميزة للثقافة الاسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى ؟

فى مفهوم كلمة الثقافة :

والثقافة تعنى الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعلم ، والثقيف هو الفطين الحاذق وتثقف ثقافة صار حاذقا ، ثقف الكلام بمعنى فهمه بسرعة ، وثقف الصبى أى هذبه وعلمه والثقاف هى المرأة الفطنة ، والثقافة هى الحذق والفطنة ، وهذا ما تعنيه الثقافة كمصطلح لغوى فى قواميس اللغة .

والثقافة فى المصطلح الحديث ومفهومها الحضارى فى عصرنا الحاضر تعنى حالة من التفاعل بين عوامل كثيرة أهمها القانون والسياسة والصناعة والتجارة «والتكنولوجيا» وشتى فنون التعبير والاتصال والأخلاق .

وتعنى كلمة الثقافة عند المفكرين المحدثين الحصيلة الطبيعية للقراءات الواعيــة والدراسة المستمرة لأفكار الآخـرين ومشا عـرهم ونظرياتهم وتجاربهم ، أى أنها أعمق من مجرد التعليم والتقديم ، حيث انها تمنح الانسان حياة متعــددة الألوان بدلا من حياة واحدة وأعمارا مع العمر .

والثقـافة بمفهومها الحضـارى وتأثيرها الاجتمـاعى هى التى تمنح الأمة طابعها المميز فى فهمها لطبيعـة الحياة والتزامات الانسان وتجـديد مركزه فى المجتمع ومعرفة علاقاتــه بأقرانه فى وطنه ، وبالناس خـارج وطنــه وكيفية تفاعله مع القـوى والعناصر الانسانية الكونية .

وعليه فالثقافة بهذا المعنى وهــذا التأثيرهى مجموعة من القيم الخلقية والتقاليد الاجتماعية التى يتلقاهـا الفرد فى مجتمعة منذ ميلاده الى حين وفاته ، وهى المحيط الذى يعكس حضارة معينة تضم ثمرات الفكر من علم وفن وقانون وأخلاق .

وكـذا ، فان «الثقــافة ليست معلومات محفوظـة ولاتطبيقـات منقولة،بل هى فى مفهومها الصحيح شىء يجاوز المهارة أو البراعة فى أى ناحية من نواحى العلوم النظرية أو العملية والثقافة مرادفة لحضورالقلب ويقظة الروح ، وهما لا يكونان الا مع الضمير الحى والعقل الناضـج والقلب السليم ، ومتى اسـتيقظ الوعى والضمير فى الانسان أصبح النظر والعمــل عنــده متـلازمين لايفترقان ، وأصبحت حياته مصداقا لأفكاره ، فبعد عن الآلية والأنانية وقصد الى الغايات بأفضل الوسائل واتجه الى الجوهر والمخبـر دون وقوف عنـد المظاهر والاغـراض والأساس المتين الذى تقوم عليـه الثقافة الواعية ثقافة القلب والعقل والحس ــ هو الاعتقادبالقيم الروحية والمبادىء الأخلاقية ، فلسنا نتصور أن ــانسانا ــ واعيا لاتصدر أفكاره وأعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة تقوم على الايمان ، أى على الرابطة الأخلاقية التى تدفع الناس الى أن يفكروا ويعملوا متساندين مترفعين على بواعث الأنانية والاثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة (١) .

(١) من محاضرة الدكتور عثمان أمين بعنوان (الثقافة والحضارة) .

والثقافة الاسلامية هى تلك التى تستمد مقوماتها وأصولها الرئيسية من :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ التراث النبوى المستمد من سيرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، قولا وفعلا وتقريرا ، أمرا ونهيا ، ترشيدا وتوجيها .

٣ ـ التراث الاسلامى الذى خلفه المسلمون على اختلاف بيئاتهم ومشاربهم على مر العصور منذ العهد النبوى الى يومنا هذا .

أى أن الثقافة الاسلامية قرآنية المصدر ، سنية التوجيه ، تاريخية النسب ، اسلامية الملامح والقسمات .

وفى هذا يقول د . عبد الكريم غثمان : أن الثقافة الاسلامية (تجمع بين الغايات .. والوسائل وبين العلم والايمان ، وكونها تستمد كيانها من مبادىء الدين لا يعنى تخليها عن العقل والعلم ، فاعتماد الثقافة الاسلامية عليها واحتفاؤها بهما أمر لا يحتاج الى بيان ، فالدين ليس بديلا عن العلم والحضارة، ولا عدوا لهما ، وانما هو اطار محدد ومنهج لهما فى اطاره الذى يحكم شئون الحياة) (١) .

خصائص هذه الثقافة :

وخصائص هذه الثقافة الاسلامية التى تتميز بها عن مثيلاتها من الثقافات الغربية والشرقية تتلخص فى :

(١) أنها ثقافة انسانية عالمية ، تنظر الى الناس بمقياس واحد ، لا تفسده قومية أو عنصرية ، وحيث لا امتياز لجنس على جنس ، ولا لون على آخر ، ذلك أن الرابطة التى تربط بين الناس فى مفهوم الثقافة الاسلامية هى العقيدة والسلوك الراشد والعمل الصالح على عكس الثقافة الغربية التى يسيطر عليها طغيان العنصرية والعصبية القومية وفكرة الجنس المتميز على كل الأجناس .

---

(١) د. عبد الكريم عثمان من كتابه (الثقافة الاسلامية) .

ففى القرآن الكريم نقرأ :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) .

وفى السنة النبوية الشريفة نقرأ :

«سلمان منا آل البيت — لوجاء الأعاجم بعمل ، وجئتم بغير عمل كانوا أولى بمحمد منكم ، لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) .

وغاية الثقافة الاسلامية غاية انسانية تبحث فى الانسان وعنه ، لانها تريد أن تضع الأصول والأسس وتقنن للبشرية وتضع لها ثقافة وفكرا انسانيا فى المقام الأول .

(ب) انها ثقافة متدينة بمعنى ان الدين قوامها وأساسها ، ذلك ان هذه الثقافة تنتسب الى دين شامل هو منهج كامل للحياة البشرية بكل مقوماتها وبكل تجاربها ، هذا الدين — الذى تنتسب اليه وتنبع منه — نظام يشمل التصور الاعتقادى الذى يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الانسان فى هذه الحياة ويفسر العلاقة التى تربط الانسان بالكون والطبيعة من حوله ، هذه الثقافة الاسلامية الربانية التلقى ، النبوية التوجيه ، التاريخية النسب ، الاسلامية الملامح والقسمات ، ثقافة تصدر عن ذلك التصور الاعتقادى الذى يشمل الانظمة الواقعيةفىهذه الحياة من اخلاق واجتماع وسياسة واقتصاد وخلافه .

وفى هذا نقرأ قول القرآن الكريم :
(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (٢) .

وفى السنة النبوية الشريفة نقرأ كذلك :

الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق) (٣) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ . (٢) سورة النساء آية ٥٩ .
(٣) رواه الشيخان .

ونقرأ أيضا :

(ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكةوالكتاب والنبيين) (١) •

(جـ) انها ثقافة ايجابية وبناءة، تدفع الى الأمام والى التقدم والرقى فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما اشتملا عليه من مبادىء وقيم وتوجيهات قد وفرت لهذه الثقافة معينا لا ينضب من المقومات والأسس التى أصبحت مادة خصبة أضيفت الى تراث العرب والمسلمين على مر العصور لتشكل فى النهاية ثقافة العرب الاسلامية ، ويقول الباحث الاسلامى الاستاذ أحمد محمد جمال «ومن مزايا هذهالثقافة الاسلامية انها متجاوبة متفاعلة تمنح الفرد الحرية الكاملة لتحقيق مقامه كخليفة فى الأرض يواجه الكون والحياة باحساس رضى ونظرةودود ويد عاملة منتجة وفكر متأمل بحاث » • ، ونستشهد بقول د• عبد الكريم عثمان حين قال : ان هذه الايجابية ناتجة عن مبادىء الاسلام التى لا تتمثل فى مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة ، وانما هى فى صميمها قوة بناءة وحركة دافعة الى النمو والتطور والانطلاق الى تحقيق الذات فى هذه الحركةفى اسلوب نظيف •

نلمح هذا حين نتأملهذه الكلمات والآيات البينات :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٢) •

ونقرأ أيضا متأملين :

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • قال انى أعلم ما لا تعلمون • وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٥ .

صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (١) .

ونقرأ قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

«واعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

* * *

ان من الأمور والاشياء التى تحسب لهذه الثقافة الاسلامية انها اثرت بشكل مباشر وايجابى فى خلق وتكوين شخصية تؤمن بافكار ومبادىء وتمارس عادات وعبادات ذا نوع من السلوك معينة ـ تتمثل فى الايمان بالله وبالرسول وبالكتاب والملائكة واليوم الآخر ، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتمارس من خلال هذه العادات والعبادات والسلوك ما لايمكن بحال من الأحوال نعتها أو وصفها الا بانها اسلامية بحيث شكلت فى النهاية الشخصية الاسلامية ، أو بمعنى ادق شكلت شخصية المسلم التى تميز عن أى شخصية أخرى ، وهذا كله تحت تأثير الثقافة الاسلامية التى هى نظرية سلوك . ذلك ان الاسلام يؤلف حضارة وثقافة دينية متكاملة تمد تلك المجتمعات التى ينتشر فيها بعناصر تماسكها ووحدتها ، وهذا لم يمنع هذه الثقافة الاسلامية من ان تتخذ دائما أشكالا وصورا وأنماطا مختلفة باختلاف المجتمعات التى تعيش فيها بمعنى أنها لم تكن ثقافة جامدة تحاول أن تصب المجتمعات والشعوب الاسلامية فى قالب واحد ومن ثم تنتج عن هذا كله صور مختلفة شاركت كلها فى تكوين الثقافة الاسلامية .

والثقافة بهذا المفهوم تشكل فى كيان الاسلام أحد مظاهره ، أو أحد أبعاده ذلك اننا نقول ان الاسلام دين ودولة .. وثقافة ، أى أنه عقيدة وشريعة ، وكيان سياسى وحضارة بحيث تكون هذه العناصر الثلاثة

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ ـ ٣٢ .

التى لا يمكن الفصل بينها أو تجزئتها ــ الاسلام • رسالة الله الخاتمة الى عباده على الأرض فى كل زمان ومكان •

* * *

ان هذه الثقافة الاسلامية فى عصرنا هذا ، فى حاجة دائمة الى البعث والى التجديد ، وبث الروح فيها حتى تستقيم ، ذلك أن هذه الثقافة قد أصابها بطش الغزو الفكرى والثقافى الذى نزل على المسلمين وعلى أرضهم وديارهم ودينهم سعيا نحو محو الشخصية الاسلامية، وتدمير المجتمع الاسلامى نفسه ، وتفريغه من مضمونه الروحى والاسلامى •

هذا الغزو الفكرى والثقافى من الضرورى ، بل ومن الحتمى أن يواجه بحسم وحتى لا تترك المجال متسعا ورحبا لعبث العابثين من المفتونين بثقافات الغرب المادية والمعجبين بحضارة الغرب والشرق من دعاة الفكر المادى المشبوه •

أدعو لهذا وفى ذهنى أن نضع نصب أعيننا مجموعة من الأفكار أطرحها حتى تستقيم حياتنا فى مجتمع أسميناه مجتمع العلم والايمان ، ذلك انه من الواجب أن نعمل على احياء التراث العربى والاسلامى وازالة التراب الذى يعلوه ، واذكاء الوعى لدى جماهير المسلمين وتقوية شخصيتهم الاسلامية وتنميتها ، وحثهم على التمسك والاعتزاز بهذه الشخصية التى تحفظهم من الضياع والتفتت، واعادة النظر فى أشكال التعبير الثقافى والاعلامى فى المجتمع المسلم وتشكيلها على أساس جديد بحيث يراعى فى ذلك ابراز الملامح الاسلامية الأصيلة ، فضلا عن التصدى ــ وهذا أمر أولى ــ لهذا الغزو الفكرى والثقافى ومواجهته والقضاء على مظاهره والحيلولة دون خطر انتشار محاولات التغريب التى تجرى على أرضنا لديننا وتاريخنا وشخصيتنا الاسلامية •

والله ولى التوفيق •

طه محمد كسبه

باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

كتابة القرآن الكريم :
بالحروف اللاتينية

السؤال ؟

ما قول سادتنا العلماء فى كتابة القرآن بالحروف اللاتينية المعروفة؟.

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فلا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة » خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية . فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربى ـ كما يفهم من الاستفتاء ـ لوقع الاخلال والتحريف فى لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف . وأجمع علماء الاسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن الكريم يؤدى الى تحريف فى لفظه أو تغيير معناه ، ممنوع منعا باتا ، ومحرم تحريما قاطعا .

وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم الى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا يتبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة » لا تجوز . والله أعلم .

* * *

القنوت بعد الركوع :
السؤال ؟

ما الحكم فى صلاة مالكى يؤم الناس فى صلاة الصبح ، وقد اعتاد أن يقرأ القنوت بعد الرفع من الركوع

الأخير ، ومن المأمومين من يتابعه فى ذلك ، ومنهم من يخرساجدا ؟

الجواب :

صلاة هذا الامام صحيحة عند المالكية ، الا أن فيها مخالفة للأفضل، وهوأن القنوت قبل الركوع الأخير على المشهور .

وأما المأمومون ، فمن تابع الامام منهم فأمره واضح ، ومن خر ساجدا وتركه ، فانه يجب عليه أن يرجع الى الامام ليخفض بخفضه ، ويسجد بسجوده . فان لم يرجع ، واستمر ساجدا حتى أدركه الامام ، وأخذ فرضه معه ، صحت صلاته . وان رفع من السجود قبل أن يأخذ فرضه مع الامام عامدا أو جاهلا ، بطلت صلاته ، والله أعلم .

* * *

فى الميراث :

السؤال ؟

رجل توفى عن بنتين ، وابن ابن ، وأولاد أخ شقيق ، فهل يحرم أحد من هؤلاء من الميراث ، أو يرثون جميعا ؟ واذا ورثوا جميعا فما نصيب كل ؟

الجواب :

الميراث لابنتى المتوفى ، وابن ابنه وليس لأولاد الأخ الشقيق شىء ، فان أولاد الأخ الشقيق ان كانوا ذكورا فهم محجوبون بابن الابن ، وأن كن اناثا ، فهن من ذوات الأرحام .

أما البنتان فلهما الثلثان فرضا ، وأما ابن الأبن ، فله الثلث تعصيبا ، والله أعلم .

* * *

السؤال ؟

أمرأة توفيت عن زوج ، وعن أم، وعن أخت من أبيها ، وأخت وأخ من أمها ، وعن أولاد أخيها ذكورا من أبيها ، وعن أولاد عمها ذكورا أو اناثا ، فمن يرث ، ومن لا يرث ؟

الجواب :

الميراث للزوج والأم والأخت من الأب والأخ والأخت من والأم ، ولاشىء لأولادالأخ من الأب الذكور ، وأولاد العم الذكور والاناث لاستغراق الفروض التركة .

أما الزوج ففرضه النصف ، وأما الأم ، ففرضها السدس ، وأما الأخت

من الاب ، ففرضها النصف ، وأما الأخ والأخت من الام ، ففرضهما الثلث ، لكل منهما السدس .

فبعد أن كانت التركه تقسم إلى ستة أقسام ، قسمت الى تسعة ، وصار النصف ثلثا ، والسدس تسعا ، والثلث تسعين ــ بضم التاء وفتح العين ــ للزوج نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة ، وللأخت من الأب نصف عائل ، هو ثلاثة من تسعة أيضا ، وللأم سدس عائل ، هو واحد من تسعة ، وللأخ والأخت من الأم ، ثلث عائل ، هو اثنان من تسعة ، لكل منهما واحد ، والله أعلم .

* * *

السؤال ؟

امرأة توفيت عن أختها فقط ، فما نصيب الأخت اذا انفردت ، ولمن يكون الباقى ؟

الجواب :

هذه الأخت ترث التركة كلها : ترث نصفها فرضا ، ونصفها الآخر ردًّا ، والله أعلم .

* * *

الحلف بالمصحف :

السؤال ؟

رجل حلف على المصحف ألا يشرب «العرقسوس» مثلا ثم شرب فهل هذه يمين شرعية يلزمه أن يكفر عنها ؟

الجواب :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الحلف بالمصحف يمين شرعية اذا أراد الحالف كلام الله القديم ، أو أطلق .

ومذهب الحنفية أن الحلف بالمصحف ليس يمينا شرعية . وقال العينى من الحنفية :

« وعندى لو حلف بالمصحف ، أو وضع يده عليه ، وقال : وحق هذا فهو يمين ولا سيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ، ورغبت العوام فى الحلف بالمصحف» وأقره على ذلك صاحب النهر .

فعلى أن الحلف بالمصحف يمين ، يلزم الحانث أن يكفِّر ، وعلى أنه غير يمين لا يلزمه ذلك ، والله أعلم .

الرضـــاع :

السـؤال ؟

بنت رضعت ثلاث مصَّات ، فهل يحل لأبناء المرضعة التزوج بها ؟

الجواب :

اذا كان الرضاع فى مدته الشرعية ، فلا يحل لأبناء المرضعة التزوج بهذه البنت عند الحنفية والمـالكية ، لأن قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم عندهم .

ويحل لهم التزوج بها عند الشافعية والحنـابلة لأنه لا يحرم عنـدهم الا خمس رضعات متفرقات ، وليست مشبعات كما سبق ذكره فى هذا المقام .

محمود رسلان

قالت عائشة ــ رضى الله عنها :

« مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق اللسان وأداء الأمانة ، وصـلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف وحفظ الذمم للجـار ، وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء » .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

• يحتفل العالم الاسلامى بذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتقيم مشيخة الأزهر و الأوقاف والطرق الصوفية والوزارات والهيئات والمؤسسات والجيش والشرطة والجامعات والمدارس احتفالات بهذه المناسبة الكريمة ، كما تقام احتفالات بجميع مساجد الجمهورية ، يلقى فيها العلماء والمفكرون المحاضرات التى تتناول هذه الذكرى ومكانتها والدروس المستفادة منها •

• صدر كتابان عن الشيوعية فى الفترة الأخيرة : أحدهما لفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بعنوان (فتاوى عن الشيوعية) •• والآخر بعنوان (الشيوعية والشيوعيون) لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية •

والكتابان يكشفان وجه الشيوعية القبيح ، وكفرها الصريح ومعاداتها السافرة للأديان ، ومحارباتها لكل القيم والأخلاق •

• مثل مصر والأزهر فى المهرجان الرابع لمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم الذى أقيم فى السودان مؤخرا ، فضيلة الشيخ خلف السيد على ، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية • وفضيلة الشيخ زكريا الزوكة وكيل ادارة الدعوة ، كما حضره وفود من جميع دول العالم الاسلامى ، وقدمت فيه البحوث والدراسات حول القرآن الكريم ، ووزعت فيه الجوائز على حفظة القرآن الكريم فى حفل خاص أقيم لهذا الغرض •

• وضع الأزهر لائحة جديدة لتنظيم البعثات الى الخارج للوعظ والتدريس روعى فيها سد الثغرات التى كانت فى اللائحة القديمة •

• رفضت لجنة دروس قرآنية بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

المحاولات الجارية الآن لكتابة القرآن الكريم فى نصه العربى بالحروف اللاتينية .

وحول هذا قال فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الجمهورية الأسبق : (ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، على رسول عربى أمين ، نطق به عربى ، وأمر بكتابته بالعربية فقرىء بها ، وكتابته بحروف عربية فكتب بها ، وأجمع على ذلك المسلمون كافة فى أربعة عشر قرنا ، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يكتب بحروف غير عربية ، لاتينية كانت أو غير لاتينية .

ومحاولة ذلك ، اثم كبير ، وخطر جسيم ، وكيد لكتاب رب العالمين ، والله لا يهدى كيد الخائنين) .

• يدرس الآن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية مع السيد اللواء محمد حسن شديد رئيس قبائل الحويكات واللحيوات والصبحا الرغبة التى تقدم بها رؤساء القبائل البدوية الى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر لاقامة مراكز ثقافية ضخمة من مالها الخاص ، مساهمة منها فى نشر الدعوة الاسلامية ومكافحة النزعات الالحادية والدعوات التبشيرية الهدامة .

• اتخذ المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى فى اجتماعه مؤخرا عدة توصيات حول القرآن الكريم والتربية الدينية ، ومن أهمها :

١ ـ ضرورة أن تأخذ التربية الدينية مكانتها فى خطط وبرامج التعليم بكافة أنواعه ومستوياته ، مع اعتبار التربية الدينية مسئولية تشارك فيها كافة أجهزة الدولة وفى مقدمتها الأزهر ووزارة التربية والتعليم والأوقاف والثقافة .

٢ ـ تفضيل من يحفظ القرآن الكريم عند الاختيار للوظائف الدينية والاشرافية فى الأزهر والأوقاف والوزارات والهيئات ووظائف المأذونين .

٣ ـ تخصيص مكافآت تشجيعية مجزية تمنحها الدولة للطلبة الحافظين للقرآن الكريم ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة .

٤ ـ احتساب سنة اعتبارية فى أقدمية كل موظف يحفظ القرآن الكريم عند التعيين .

٥ ـ معاملة من يحفظ القرآن الكريم كله عند التجنيد معاملة ذوى المؤهلات العليا وذلك لتشجيع الشباب على حفظ القرآن الكريم •

• تبرع أستاذ سابق بجامعة الاسكندرية بقطعة أرض تبلغ قيمتها ستمائة ألف جنيه مصرى لانشاء مركز اسلامى بأسيوط، يضم مسجدا ومعهدا لتعليم الصبية الصناعات والحرف ومكتبا لتحفيظ القرآن الكريم •

السعودية

• أصدر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية مرسوما لتنظيم جباية الزكاة الشرعية الواجبة فى النقد وعروض التجارة •

ويقضى المرسوم بأخذ نصف القدر الواجب بواسطة الأجهزة المتخصصة فى المملكة وترك النصف الآخر للخاضعين للمرسوم لاخراجه بمعرفتهم للمستحقين ، واستثنى المرسوم الشركات المساهمة التى تقرر أن تجبى منها زكاة أموالها كاملة •

• وافق جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية على اعتماد مائة وخمسة وأربعين ألف ريال لبناء واستكمال أربعة مساجد كبرى فى كل من أندونسيا وغانا وسوريا والسودان •

• تبرع الأمير السعودى نواف بن عبد العزيز بمائة ألف جنيه للمساهمة فى انشاء فرع لجامعة الأزهر فى محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية •

الكويت

• أشهرت طالبة روسية بجامعة الكويت اسلامها ونطقت بالشهادتين ، ثم قالت وأشهد أن ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم دينا حقا من عند ربه تعالى •

وهكذا ، نرى الاسلام ينير القلوب فتهتدى به ، وتدخل ساحته عن رضا واقناع بعد طول دراسة وأعمال فكر واطلاع ، وبذلك تخرج من الظلمات الى النور باذن ربها •

السنغال

* أطلقت السنغال على معهد تعليم المكفوفين المنشأ حديثا بها اسم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله •

ومن الجدير بالذكر أن حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية قد

قــدم للاتحــاد الوطنى للمكفوفين بالسنغال دعمــا ماديا يقدر بحوالى ٤٠٠ ألف ريال .

غينيـا

* أرسى حجر الأســاس لأول مركز اسلامى فى غينيا بيساو ، وذلك فى حفل كبير أقيم لهذا الغرض رأسه الســيد الرئيس لــويز كــابرال ، وحضره وفــود تمثــل ٢٦ دولة اسلامية وعربية .

فرنسـا

* قررت فرنســا انشــاء معهد للفن والدراسات العربية والاسلامية بها ، وستخصص له أحد القصــور التاريخية ، ويضم معهدا للآثار .

انجلترا

* أصدر بريطانيان همــا دبريا شــهل ولوسسيان جوفلين كتابا عن الهندسة فى الفن الاســلامى بشمال أفريقيا .

ومن الجدير بالذكر أن المؤلفين تناولا فى كتابهما دخول الاسلام فى مصر وبلاد المغرب وربطا بين الفنون الهندسية وتطورها وبين التــاريخ السياسى والاجتمــاعى فى الشــمال الأفريقى تحت راية الاسلام .

المـانيا

* صــدر فى ألمــانيا الاتحادية أول مؤلف عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ضمن سلسلة المكتبــة العربيــة الكلاسيكية التى تصدرها باللغة الألمانية دارهورست أردمان للنشر .

وتقوم هذه الدار أيضا بنشركتاب الأغانى لأبى الفرج الأصــفهانى فى أجزاء باللغة الألمــانية .

أمريكا

* أرسل مكتب رابطة العــالم الاســلامى فى الأمم المتحدة دفعــة من المصــاحف الشريفة الى سجون تكساس عن طريق المركز الاسلامى فى مدينة هيوستون ، وذلك لتوزيعها على الأفراد المسلمين الذى يقضون فترات الأحكام عليهم داخل سجون تكساس .

ومن الجــدير بالذكر ، أن هــذه الخطوة تأتى فى اطار برنامج المكتب لمســاعدة المســجونين المسلمين فى أمريكا وتزويدهم بالمصاحف الشريفة والكتب الاسلامية .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

أسباب انتصارات الرسول القائد
عليه الصلاة والسلام

بقلم اللواء الركن
محمود شيت خطاب

يفاخر المشرعون بالنبى صلى الله عليه وسلم مشرعا فذا ، ويفاخر السياسيون به سياسيا محنكا ، ويفاخر به الحكام والقضاة حاكما عدلا وقاضيا عادلا ، ويفاخر به العسكريون قائدا عظيما .

ولعل الظروف العصيبة التى يجتازها العرب من المحيط الى الخليج ، والمسلمون من المحيط الى المحيط ، تحتم على العسكريين أن يذكروا النبى صلى الله عليه وسلم قائدا مجاهدا ، ويذكروا العرب والمسلمين بأعماله الباهرة فى ميدان القيادة والجهاد .

والمتتبع لحياة النبى صلى الله عليه وسلم ، منذ بعث رسولا الى أن التحق بالرفيق الأعلى ، يجد أن حياته المباركة فى مكة المكرمة كانت توحيدا من أجل الجهاد ، وحياته الكريمة فى المدينة المنورة كانت جهادا من أجل التوحيد .

لقد قاد النبى صلى الله عليه وسلم ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة المنورة ، فقد خرج الى غزوة (ودان) وهى أول غزوة قادها بنفسه فى صفر فى السنة الثانية الهجرية ، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته فى رجب فى السنة الثامنة الهجرية . وقد نشب القتال بين المسلمين بقيادته وبين المشركين واليهود بتسع غزوات : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف ، بينما فر المشركون فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ومع ذلك لم يخفق الرسول صلى الله عليه وسلم فى أى معركة خاضها المسلمون بقيادته ، وحتى غزوة (أحد) لم تكن اخفاقا للمسلمين من الناحية العسكرية ، اذ كانت نصرا سوقيا (استراتيجيا) واندحارا تعبويا (تكتيكيا) نتيجة لمخالفة الرماة أمر الرسول القائد عليه الصلاة والسلام كما هو معروف .

أسباب الانتصارات

ما هى اذن أسباب انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل معركة خاضها ؟ تتلخص الأسباب العسكرية فى ثلاث : قيادة ممتازة هى قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وجنود ممتازين هم المسلمون الأولون ،

قيادة ممتازة وحرب عادلة هي حرب المسلمين لأعدائهم •

ان مجمل صفات القائد الممتاز كما ينص عليها كتاب (نظامات الخدمة السفرية) وهو أوثق المصادر العسكرية الحديثة : « القابلية على اعطاء القرار السريع الصحيح — الشجاعة الشخصية — الارادة القوية الثابتة — تحمل المسئولية بلا تردد — معرفة مبادىء الحرب — نفسية لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار — سبق النظر — معرفة نفسيات المرؤسين وقابلياتهم — ثقة رجاله به وثقته برجاله — المحبة المتبادلة بينه وبين قواته — شخصية قوية نافذة — قابلية بدنية — ماض ناصع مجيد » •

هذه هي صفات القائد الممتاز وهي مستخلصة من دراسة شخصيات أبرز القادة في التاريخ ، لذلك فهي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة ، فليس من الممكن أن تتوفر في شخص واحد •

وسأحاول تطبيق هذه الصفات على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، استنادا الى تاريخه العسكري المجيد•

١ — قرار سريع صحيح :

لابد للقائد من اصدار القرارات السريعة ، لأن المواقف العسكرية تتبدل بسرعة خاطفة ، وصحيحة حتى تؤدي الى النصر ولا تؤدي الى الكوارث ولكن اصدار مثل هذه القرارات يستند الى عاملين : القابلية العقلية للقائد أولا ، والحصول على المعلومات التفصيلية الدقيقة عن العدو ثانيا •

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية النادرة التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وسلم ، تلك القابلية التي لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين ، فهو الذي بشر وأنذر ، وكافح وناقش عقليات كبيرة ، ووحد أمة ، وغرس عقيدة ، فهل يمكن أن يتم ذلك بنجاح باهر الا لعقلية جبارة نافذة ؟

أما الحصول على المعلومات عن العدو ، فيكون بدوريات الاستطلاع ، والقتال وبالعيون ، واستنطاق الأسرى ، والاستطلاع الشخصي ، وباستشارة ذوي الرأي •

لقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم في ارسال السرايا والغزوات

قبل غزوة بدر الكبرى ، هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة والطرق المؤدية الى مكة والتعرف بسكانها وعقد الأحلاف معهم .

وفي غزوة بدر أرسل دورية استطلاعية لمراقبة عودة قافلة أبى سفيان وأرسل دوريات استطلاعية أمام قواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل دوريتى استطلاع قبيل وصوله الى بدر ، وقام بالاستطلاع الشخصي ليتأكد من قوة قريش والمواضع التى وصلت اليها .

كما استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من استنطاق الأسرى الذين أسرتهم احدى الدوريات قبيل معركة بدر ، فعلم منهم بأسلوبه الرائع فى الاستنطاق ، الموضع الذى وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

٢ ـ شجاعة نادرة وارادة قوية :

شجاعته بارزة فى كل معاركه ، وفى كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

قراره قبول معركة بدر شجاعة نادرة ، وثباته أمام عشرة آلاف من الأحزاب فى غزوة الخندق شجاعة فذة ، وثباته مع عشرة رجال من أصحابه يوم حنين شجاعة تجل عن الوصف .

وقد نزل فى غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفى ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « انا كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ، وهو أقربنا الى العدو » .

وثبات النبى صلى الله عليه وسلم وحده ، تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحى عليه حتى التحاقه بالرفيق ، دليل على ارادته القوية الثابتة التى لا تتزعزع .

وذهب رجال قريش الى عمه أبى طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن أخى ! ان قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا ، فأبق على نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق ! » ، فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : « والله ياعم ! لو وضعوا

الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

ان حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها أمثلة رائعة للارادة القوية الثابتة

٣ ـ نفسية لا تتبدل :

لم تتبدل نفسية النبي صلى الله عليه وسلم في حالتي النصر والاخفاق ، فقد كان مسيطرا على أعصابه سيطرة أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة في أشد المواقف حرجا في أحلك الظروف •

لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ولأصحابه في (أحد) من كل جانب ، ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الأحزاب (خاصة) بعد غدر اليهود، ولم يكن ذلك سهلا يوم (حنين) عند انهزام المسلمين وبقائه مع عشرة من رجاله فقط أمام زحف المشركين•

٤ ـ سبق النظر :

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمتع بمزيد سبق النظر في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى •

أصر على قبول شروط هدنة (الحديبية) ، لأنه فكر وسبه النظر، فعرف بفكره الثاقب ، أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين ، فهى تؤمن لهم الاستقرار الذي يتيح لهم الفرصة لانتشار الاسلام ، وهذا ماحدث فعلا، اذ كان جيش المسلمين ألفا وأربعمائة رجل في غزوة (الحديبية) ، فأصبح عشرة آلاف رجل في غزوة فتح مكة بعد سنتين •

٥ ـ الرجل المناسب للعمل المناسب :

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسيات أصحابه وقابلياتهم ، لأنه نشأ بينهم كأي فرد عادي يشاركهم في السراء والضراء •

لقد كان يعرف أن بين أصحابه أبطالا مغاوير ، فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبي دجانة، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان ابن ثابت ، فتركه مع النساء يوم (أحد) والخندق ، واستفاد من شعره البليغ• وكان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي والمشورة ، ومن بينهم من يستطيع قيادة غيره ، ومن بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندي

بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع انجازه •

لم يعط أحدا أكثر مما يستحقه ويناسب قابلياته ، ولم يكلف أحدا أكثر مما يطيق ويقدر عليه •

٦ ـ الثقة المتبادلة :

كانت ثقة أصحابه به عظيمة جدا ، ويكفى أن نذكر موقف المسلمين فى صلح الحديبية ، اذ لولا ثقتهم العظيمة به لرفضوا هذا الصلح •

وكانت ثقته بأصحابه عظيمة جدا ، ويكفى للدلاله عليها أنه زج رجاله فى غزوة (بدر) بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قوته •

ولا يمكن أن يزج القائد رجاله فى معركة لا يعرف مصيرها على أعداء متفوقين تفوقا ساحقا الا اذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمة جدا •

٧ ـ المحبة المتبادلة :

ظهرت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصابه ، ومحبة أصحابه له فى كل غزواته ، بل فى كل موقف له فى السلم والحرب •

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه فى غزوة (أحد) حين أحدق به المشركون من كل جانب فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال بأجسادهم •

٨ ـ الشخصية القوية النافذة :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى لمفاوضة النبى صلى الله عليه وسلم فى (الحديبية) ، فعاد الى قريش يقول: « يا معشر قريش ! انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد : لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه ، وانهم لا يسلمونه لشىء ابدا » •

بهذا الوصف الرائع ، يصف مشرك شخصية النبى صلى الله عليه وسلم •

فما هى اسباب الشخصية القوية النافذة التى كان يتجلى بها النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام؟

لقد كان متواضعا حليما ، رؤوفا رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع أحد من أصحابه أن يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يستطيع أحد منهم أن يديم النظر الى وجهه المنير ، ولا يستطيع أحد منهم أن يرد له أمرا أو يتردد فى تنفيذه •

٩ ـ القابلية البدنية :

كانت للنبى صلى الله عليه وسلم قابلية بدنية فائقة ، وقد كان أصحابه يلجأون اليه كلما استعصت عليهم صخرة صلبة قاسية فى حفر (الخندق)، وقال لصاحبيه اللذين كانا معه يتعاقب الثلاثة على بعير فى طريقهم من المدينة الى (بدر) : « ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » •

وقد شارك أصحابه فى حراساتهم وفى استطلاعاتهم وفى مسيرتهم الطويلة الشاقة فى كل شهور السنة ، وأظهر فى كل ذلك تحملا وجلدا وصبرا عجز عنه أقوى الأقوياء •

١٠ ـ الماضى الناصع المجيد :

كانت العرب تعتد بالنسب العريق، والنبى صلى الله عليه وسلم فى قريش أشرف العرب ومن بنى هاشم أشرف قريش • كذلك كان أشرف العرب حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف •

أما سيرته الشخصية قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام ، فأترك سير وليم موير يتحدث عنها ، وهو ليس عربيا ولا مسلما ، حتى يتهم بالتحيز والانحياز •

قال موير : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا فيما ينسب الى محمد فى شبابه من سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق ، على صورة نادرة الوجود بين المكيين » •

١١ ـ مبادىء الحرب :

مبادىء الحرب ، هى الجوهر الذى ينشىء فى القائد (السجية) الصحيحة السليمة فى تصرفاته العسكرية ، وهى التى تكوِّن عناصر مسلك القائد فى الحرب بصورة طبيعية غير متكلفة •

كان يطبق مبدأ : اختيار المقصد وادامته ، وقد ظهر ذلك فى أول معاهدة عقدها مع سكان المدينة بعد هجرته اليها ، وكما ظهر بعد ذلك فى كل غزواته •

وكان يطبق مبدأ : التعرض ، ويمكن اعتبار كل غزواته وسراياه تعرضية عدا غزوتى : أحد والخندق،

اذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم فى منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين .

ان التعرض ليس معناه التحرش، بل معناه الروح الهجرمية التى يتحلى بها القائد ، لأن الدفاع وحده لا يؤدى الى نصر حقيقى بل الى نصر موضعى فقط فى حالة نجاحه ، أما التعرض فيؤدى فى حالة نجاحه الى النصر ، فهو يتعرض حين يتأكد من أن التعرض هو أنجع وسائل الدفاع .

وكان يطبق مبدأ : المباغتة ، فباغت أعداءه بالزمان والمكان وبالأساليب القتالية الجديدة وبالأسلحة الجديدة .

وكان يطبق مبدأ : حشد القوة ، فقد عمل منذ نزل الوحى عليه جاهدا لنشر الدعوة ، ثم هاجر الى المدينة لجمع رجاله فيها ، ولم يبدأ الجهاد عمليا الا بعد حشد قواته هناك .

وكان يطبق مبدأ : الاقتصاد بالمجهود ، وهو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر .

وكان يطبق مبدأ ، الأمن ، وهو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا .

وكان يطبق مبدأ : التعاون ، وهو توحيد جهود الأسلحة والقطع المقاتلة والادارية لبلوغ الغرض فى الحرب .

لقد كانت غزواته نموذجا عاليا للتعاون بين المسلمين قبل القتال وفى أثنائه وبعده .

وكان يطبق مبدأ:ادامة المعنويات، فكانت معنويات المسلمين عالية دوما مما سهل لها احراز النصر .

وكان يطبق مبدأ: الأمور الادارية وقد قرن الاسلام الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال ، بل يلاحظ فى آيات الجهاد تقديم بذل الأموال على بذل الأرواح مما يدل على اهتمام الاسلام بالامور الادارية .

جنود ممتازون

١ ـ مزايا الجند المتميز :

تتلخص مزايا الجندى المتميز بما يلى :

عقيدة راسخة ، ومعنويات عالية، وضبط متين ، وتدريب جيد، وتنظيم سليم ، وتسليح جيد .

تلك هى مزايا الجندى المتميز فى كل زمان ومكان ، فهل كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم يتحلون بهذه المزايا العالية ، التى تجعلهم جيشا قويا رصينا ، وهل كانوا يختلفون فى شىء من ذلك عن العرب الذين ينتمون اليهم ؟

والحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هذه المزايا الرفيعة ، فقد بذل غاية الجهد ليغرس كل هذه المزايا فى نفوس المسلمين ، وبذلك كوّن منهم قوة لا تغلب ، وكانوا قبل حين كغيرهم فى القبائل الأخرى، تطغى عليهم الانانية الفردية ، ولا يعرفون معنى الضبط والنظام ، وليست لديهم عقيدة بالمعنى الصحيح .

ليس من السهل أبدا ، أن ينجح انسان فى تبديل نفسية رجاله فى حال الى حال الا بعون الله ، ونجاحه هذا هو معجزة واقعية أكبر وأعظم من معجزات الخيال .

٢ ـ تفصيل المزايا :

(أ) عقيدة راسخة :

آمن المسلمون برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم يقاتلون لحماية ماآمنوا به من العدوان حتى تكون كلمة الله هى العليا، وفى سبيل الدفاع عن عقيدتهم التى آمنوا بها كل الايمان ، تركوا أوطانهم وأموالهم وعرضوا أنفسهم للخطر ، وقاتلوا حتى أولادهم وأهليهم وعشيرتهم .

لقد بذلوا كل شىء رخيصا فى سبيل الدين الذى اعتنقوه .

التقى الآباء بالأبناء والأخوة بالأخوة والأهل بالأهل خالفت :
بينهم المبادىء ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة

ابن ربيعة مع قريش وكان ابنه حذيفة مع المسلمين .

وعندما استشار النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير أسرى (بدر) ، قال عمر : « أرى أن تمكننى من فلان ، قريب عمر ، فأضرب عنقه ، وتمكّن عليا من أخيه عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه ، وتمكن الحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هوادة للمشركين » .

ولما سحبوا جثة عتبة بن ربيعة الذى قتل يوم (بدر) لتدفن فى القليب ، نظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ابنه حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير لونه . فقال له : « يا حذيفة ! لعلك قد دخلك فى شأن أبيك شىء » ؟

قال حذيفة رضى الله عنه: «لا والله يارسول الله فما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك » .

وفى غزوة بنى المصطلق ، حاول عبد الله بن أبى رأس المنافقين أن يثير الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، فاصدر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بالحركة فورا حتى لا يستفحل أمر الفتنة . وعند وصول المسلمين الى المدينة ، تقدم عبد الله بن عبد الله بن أبى يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمره بقتل أبيه لأنه حاول اشعال نار الفتنة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عنه قائلا لولده المؤمن : « انا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » .

وفى غزوة بنى قريظة طلب يهود حضور أبى لبابة لاستشارته ، فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم له بالذهاب اليهم . وسأله يهود : «هل ينزلون على حكم محمد ؟ » ، قال لهم : « نعم » ، وأشار الى حلقه كأنه ينبههم الى أن مصيرهم الذبح .

لم يعرف أحد من المسلمين بأشارة أبى لبابة هذه الى حلقه حين استشاره

يهود ، لكنه أدرك لفوره بأنه خان الله ورسوله باشارته تلك ، فمضى هائما على وجهه حتى ربط نفسه الى سارية فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبقى على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

وقبيل غزوة الفتح جاء أبو سفيان ابن حرب الى المدينة، فقصد دار أم حبيبة ابنته وزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنها طوت الفراش عن والدها ، لأنها رغبت بالفراش عن مشرك نجس ولو كان هذا المشرك أباها الحبيب .

لقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله ، حتى تخلل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالعباءة، وكان يملك أربعين الف دينار قبل الاسلام.

فما الذى يدفع لمثل هذه الأعمال الرائعة غير العقيدة الراسخة والايمان العميق ؟

وهل يقاتل أصحاب مثل هذه العقيدة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا أهواء الجاهلية وعصبية الأنانية وحب الفخر والظهور ؟

ان عقيدة المسلمين بسمو أهدافهم جعلتهم يستميتون فى القتال دفاعا عن تلك الأهداف .

(ب) معنويات عالية :

لا قيمة لأى جيش مهما يكن ضخما فى عدده ، دقيقا فى تنظيمه ، متميزا فى تسليحه ، مالم تكن معنوياته عالية .

كان الجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية مجهزا بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا ، وكان تنظيمه دقيقا وعدده كبيرا ، ولكن معنوياته كانت منهارة، فأصبح عبئا ثقيلا على الألمان ، فكان الحلفاء يطلقون على المواضع التى يحتلها الايطاليون تعبير: (الفراغ العسكرى) لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال ، كلما حاق بهم الخطر الحقيقى أو الوهمى .... فكان وجودهم وعدم وجودهم سواء .

شجع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل معركة (بدر) وفى أثنائها ، وقوى معنوياتهم ، حتى لا يكترثوا بتفوق قريش عليهم فى

العدد ، فكانت معنويات المسلمين عالية فى تلك المعركة .

حتى معنويات الأحداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما جرى فى تسابق ابنى عفراء لقتل أبى جهل .

هل كان بامكان المسلمين الانتصار فى غزوة (بدر) والقيام بمطاردة المشركين بعد يوم فى غزوة (أحد)، والثبات فى غزوة الأحزاب ، والاقدام على غزوة (تبوك) ، لو لم تكن معنوياتهم عالية جدا ؟

وكما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على رفع معنويات أصحابه بشتى الطرق والمناسبات ، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق والمناسبات أيضا، وما كانت غزوة (الحديبية) و (عمرة القضاء) وغزوة (تبوك) الا معارك معنويات لا معارك ميدان .

ان عمرة القضاء فتحت قلوب أهل مكة ، لأنها حطمت معنوياتهم ، وغزوة الفتح فتحت أبوابها .

كما أن نتيجة غزوة (تبوك) اندحار معنوى للروم ، وبذلك اطمأن العرب الى أن بامكانهم مقاتلة الروم، وكانوا سابقا يظنون أن ذلك من المستحيلات .

لقد استهدف الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل غزواته تحطيم معنويات أعدائه، بل انه كان يستهدف تحطيم المعنويات أكثر مما كان يستهدف تحطيم القوى المادية لأنه كان يطمع دائما فى عودة أعدائه الى الصراط المستقيم والهداية ، فيحرص على بقائهم أحياء طمعا فى هدايتهم: «اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون» .

ان أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت معارك معنويات تؤثر فى النفوس والقلوب ، لا معارك خسائر تؤثر فى الأرواح والممتلكات .

ويجب ألا ننسى هنا أثر اعتقاد المسلمين بالقضاء والقدر فى رفع معنوياتهم لاقتحام الأخطار بشجاعة خارقة ، لأن القدر سيكون حتما والشهيد فى الجنة ، وانما هى احدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة : (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) .

(ج) ضبط متين :

كان المسلمون يطيعون النبى صلى الله عليه وسلم اطاعة لا حدود لها، وينفذون أوامره حرفيا بدون تردد وبكل حرص واماتة مهما تكن ظروفهم صعبة وواجباتهم شاقة .

وليس هناك ما يسوغ ذكر أمثلة على قوة ضبط المسلمين ، لأن الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ولان الاطاعة فى الاسلام دين : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

(د) تدريب راق :

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتدريب أصحابه على الرمى وركوب الخيل ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (من ترك الرمى بعد ما علمه ، فانما هى نعمة كفرها) .

ولم يقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمى وركوب الخيل وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الفردى ... بل دربهم على تشكيلات مسير الاقتراب وأساليب القتال وواجبات الحراسات والخفراء وهو ما نسميه فى الوقت الحاضر : بالتدريب الاجمالى .

اتخذ التشكيلات التعبوية المناسبة فى مسير الاقتراب فى كل غزواته ، فأمن بذلك الحماية اللازمة لقواته وحرم العدو من مباغتتها .

وقاتل بأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر) ومعركة (أحد) وفى أكثر غزواته الأخرى ، ونظم المواضع الدفاعية وراء (الخندق) فى غزوة الأحزاب وأمن حراسة النقاط الخطيرة فى ذلك الخندق .

وقام بقتال المدن والأحراش فى قتاله ضد يهود ، كما قامت سرية أبى سلمة رضى الله عنه بالهجوم فجرا على بنى أسد ، والنجاح فى هذين القتالين يدل على تدريب راق .

كما قام بمسيرات طويلة شاقة فى مختلف الظروف والأحوال ليلا ونهارا ، مما يمكن اعتباره تدريبا عنيفا .

كل هذا التدريب الفردى والاجمالى والتدريب العنيف ، جعل

تدريب المسلمين راقيا ، وجعلهم قادرين على القتال بكفاية فى مختلف الظروف والأحوال .

(هـ) تنظيم سليم :

كان جيش المسلمين مؤلفا من المهاجرين والأنصار ومسلمى أكثر القبائل المعروفة حينذاك ، ومعنى ذلك : أن جيش المسلمين كان مؤلفا من كل القبائل العربية لا من قبيلة واحدة ، لهذا فان انتصاره لا يعد فخرا لقبيلة دون أخرى ، كما أن اخفاق أية قبيلة فى التغلب عليه لا يعد عارا عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، انما كان للاسلام ولمعتنقى هذا الدين من العرب وغيرهم .

اننى أعتقد أن هذا التنظيم الذى لا يخضع الا للعقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومة جيش المسلمين حرصها على مقاومة قبيلة خاصة ، وهذا سهل مهمة المسلمين فى القتال .

(و) تسليح جيد :

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج جيدا ، بعد أن كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوة الخندق .

يكفى أن نسمع وصف الكتيبة الخضراء التى كان على رأسها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقد كان أفرادها لا يُرى منهم الا الحدق من الحديد .

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على صناعة السلاح فقال : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صناعة المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والمعد له ، فارموا واركبوا ، وان ترموا أحب الىَّ من أن تركبوا » .

حرب عادلة

١ ـ معنى الحرب العادلة :

« هى حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الانسانية ، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب

احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن » •

هذا هو معنى الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر قوانين الحرب والحياد فى القانون الدولى •

الحرب العادلة اذاً ، حرب دفاعية لا عدوانية ، تستهدف تحقيق سلم دائم ، أغراضها انسانية ، تحترم حياة وأملاك الأبرياء ، وتعامل الأسرى والرهائن بالحسنى •

ان شروط الحرب فى الاسلام قبل أربعة عشر قرنا كانت أكثر عدلا مما تنص عليه مصادر القانون الدولى فى القرن العشرين ؛ فهى بالاضافة الى ذلك لا تثيرها العنصريات ولاحب الأمجاد ، وليست لأغراض مادية أو استعمارية ، وتدافع عن حرية الرأى والعقيدة •

٢ ـ تفصيل معنى الحرب العادلة :

(أ) حرب دفاعية :

ارتكبت قريش كل الظلم والعدوان ضد المسلمين عندما كانوا فى مكة ، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم وأهليهم والهجرة من مكة الى الحبشة أولا والى المدينة أخيرا تخلصا من هذا الظلم والعدوان •

هاجر أكثر المسلمين من مكة فرارا بعقيدتهم فقط ، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل ومال ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبيتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين فى الأرض من المسلمين الذين عذبتهم قريش ولقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب •

حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، لاقى التكذيب والاهانة واستمع بصبر عجيب الى دعايات قريش الكاذبة ضده ومكافحتها العنيفة للدين الجديد •

وقد نجا الرسول صلى الله عليه وسلم من مؤامرة قريش المحكمة التى دبرتها لاغتياله ، كما نجا من مطاردة قريش له فى هجرته من مكة الى المدينة متحملا المشاق والأهوال •

فأى ظلم وعدوان أكبر من هذا الظلم والعدوان الذى أصاب المسلمين ؟ ولكن الرسول صلى الله

عليه وسلم عندما فتح مكة قال لقريش : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » !!

لم يقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا الا مضطرا لقتاله ، وكل غزواته كانت لرد اعتداء خارجى أو داخلى لاحباط نية اعتداء ، ولم يجد من عدو ميلا للسلام الا بادر الى تشجيع هذا الميل ، والارتباط بهذا العدو بالمحالفات .

ان دراسة أسباب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بروح محايدة بعيدة عن الهوى ، تثبت أن المسلمين لم يعتدوا على أحد ، لأن الله لا يحب المعتدين .

كما أن تلك الدراسة تثبت أن المسلمين لم يريدوا بقتالهم اكراه الناس على الدخول فى الاسلام ، فقد بقى كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح وشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (حنين) ، وكان المسلمون يعرفون أن هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الأولى ، ومع ذلك لم يجبرهم أحد على تبديل دينهم : (لا اكراه فى الدين) ... (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ !

من هؤلاء صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وكلدة بن الجنيد .

ألم يكن بامكان المسلمين أن يجبروا هؤلاء على اعتناق الاسلام ، بعد أن استسلمت قريش وفتحت مكة أبوابها للمسلمين ؟ ؟

ان القول بأن هدف القتال فى الاسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند الى الواقع ، ولكن هدف القتال هو حماية حرية نشر الدعوة ، وحماية الدعوة واقرار السلام ، وشتان بين الهدفين .

ومع أن الحرب الاسلامية دفاعية لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، الا أن هذا الدفاع غير مستكن ، بل هو دفاع تعرضى كما يسمى فى المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبدءون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم المضاد لسحق قوات المعتدين .

(ب) حرب لتوطيد السلام :

أظهر مشركو المدينة ويهودها بعيد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ميلا الى السلم ، فشجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الميل السلمى وعقد معهم معاهدة أمنت لجميع سكان المدينة حرية الرأى والأمن .

وقد حالف الرسول صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أظهرت رغبتها فى السلام كما فعل مع بنى ضمرة فى غزوة (ودان) ومع بنى مدلج فى غزوة (العشيرة) ومع قريش فى غزوة (الحديبية) .

بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبذل كل جهده لتحقيق أهدافه السلمية ، حتى لو أدى ذلك الى تذمر قسم من أصحابه ، كما حدث فى غزوة (الحديبية) .

ان السلام يضمن الاستقرار ، وقد انتشر الاسلام فى فترة صلح (الحديبية) ـ وهى فترة سلام ـ انتشارا عظيما بين الناس لم ينتشره فى أيام الحرب ، بل ان انتشاره فى أيام السلام كان أضعافا مضاعفة لانتشاره فى أيام القتال .

ان الجنوح الى السلم دين : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) ، فلا عجب اذا رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل بل يشجع كل العروض السلمية التى تقدم بها أعداؤه فى كل مكان وزمان .

ان السلم فى الاسلام هى القاعدة الثابتة ، والحرب هى الاستثناء .

ولكن الاسلام يدعو للسلام لا للاستسلام : يسالم من يسالمه ويعادى من يعاديه ، فلا يعتدى على أحد ولا يظلم أحدا ، ولا يرتضى للمسلمين الظلم والعدوان .

(ج) حرب انسانية :

أولا : احترام الأبرياء :

لم يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لغير المقاتلين فى غزواته ، وحرص على صيانة واحترام أرواح وأموال الأبرياء .

لما استسلم بنو قريظة ، قتل المسلمون الرجال الذين قاتلوهم

(فعــلا) لأنهم خـانوا عهــودهم وعرضـــوا المســلمين للفنـاء . اما الأطفال والنساء من بنى قريظة فلم يصابوا بأذى ، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من يهود لم يصـــابوا بسوء أيضا .

والمرأة الوحيدة التى قُتلت من بنى قريظة ، هى التى قتلت مسلما بقـذفه بالرحى من فوق سـطحها ، فكان قتلهـا عقابا لهـا على جنايتهـا هذه ، كما هو واضح ومعروف .

ولـمـا خـرج المسلمون لغـزوة (مؤتة) أوصـاهم النبى صلى الله عليه وسلم بألايقتلوا النساء والأطفال والمكفوفين ولا يهـدموا المنـازل ولا يقطعوا الأشجار .

ان البرىء لايؤخذ بجريرة المذنب: (ولا تزر وازرة وزى أخرى) ، هذا هو مبدأ الاسلام الذى لا يحيد عنه.

ثانيا : الأسرى والرهائن :

أسر المسلمون سبعين أسيرا من قريش فى غزوة (بدر) ، فقسم ثمانية وستين أسيرا من هؤلاء على أصحابه قائلا : « استوصوا بالاسارى خيرا » .

ثم فادى أغنيـاء الأسرى بالمـال ، أما الفقراء فأطلق سراح قسم منهم دون مقـــابل ، وكلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هـؤلاء الأطفال .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيرا ، لأنهما أجرما بحق المســلمين وعذب المستضعفين منهم وشنعا على الاسلام ، فكـان قتلهمـا لجرائمهمـا لا لأنهما أسيرن .

ان هذين الأسيرين كانا (مجرمى حرب) كما يطلق عليهما فى التعابير العسكرية الحديثة وعقابهما كان جزاء لما جنت أيديهما من ذنوب وآثام .

كما فادى الرسول صلى الله عليه وسلم الأسـيرين الذين وقعا بأيدى سرية عبد الله بن جحش ، فأسـلم أحدهما وعاد الثـانى أدراجه الى مكة آمنا .

ذلك ما طبقــه المسلمون بحـق الأسرى ، وهو ما ينطبق على أحدث قــوانين معــاملة الأسرى فى العصر الحاضر .

أما الرهائن ، فلم يرو التاريخ أن المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن أمانة ، والقرآن الكريم يقول : (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

ثالثا : الجرحى والقتلى :

كان قسم من أسرى المشركين فى غزوة (بدر) الكبرى جرحى ، وقد اعتنى المسلمون بتمريضهم عنايتهم بجرحاهم سواء بسواء .

ولم يهمل المسلمون قتل المشركين فى (بدر) ولم يتركوهم فى العراء ، وقد دفنهم المسلمون كما دفنوا قتلى المسلمين .

أما المشركون فقد مثلوا بشهداء المسلمين فى (أحد) أفظع تمثيل .

٣ ــ حرب عقيدة :

(أ) لا أغراض شخصية :

لم تعلن الحرب فى الاسلام لأغراض شخصية ، لأن الاسلام فى حقيقته دعوة للمصلحة العامة وتقديم للصالح العام ، ولو أدى ذلك الى تناس مصالح الأشخاص .

ولم تعلن هذه الحرب لأطماع شخصية وحب السيطرة والأمجاد ، فقد بعثت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هادىء ، فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : « يا ابن أخى : انك منا حيث علمت من المكان والنسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم : فرقت به جماعتهم ؛ فاسمع منى أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها . ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا » . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكترث بكل هذا الاغراء .

واشتدت عداوة قريش ، وعظم على أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم فراق قومه وعداوتهم له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ياعماه ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته » .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يردد دائما قوله تعالى : (قل : انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) ، ولم يترفع أبدا عن الفقراء والضعفاء والمساكين والخدم ، وسيرته فى كل ذلك مضرب الأمثال .

ان حماية حرية نشر العقيدة هى التى أثارت الحرب فى الاسلام ، ولم يكن من أسباب اثارتها الأغراض الشخصية من بعيد أو قريب .

(ب) حرب لا عنصرية :

ليس الاسلام دينا لقبيلة دون قبيلة ، ولا لأمة دون أمة ، ولا للعرب دون العجم ، ولكنه للناس جميعا للعالمين !... (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) ، فالاسلام يعمل لفكرة جليلة ، فكرة وحدة الناس تحت لواء الاسلام .

انه دين يقاوم العصبية والتعصب ويكافح العناصر والأجناس ، لأنه يريد أن يجمع العالم كله على صعيد واحد : لتوحيد كلمتهم وتوحيد الله .

(انما المؤمنون أخوة) ، و « ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى» ، و « سلمان منا آل البيت » ، كلها معناها : ان الاسلام قومية ودين تنصر فيه كل قومية وكل دين ، هو دنيا ودين .. سيف وكتاب .. مذهب فى الحياة .

ان الحرب الاجماعية التى دعا اليها الألمان ترتكز على العنصرية الجرمانية ، وهناك التفريق العنصرى بين البيض والسود فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى جنوب افريقية وغيرها من البلاد ، كل هذا يجرى فى القرن العشرين عصر النور والمدنية والذرة والصواريخ عابرة القارات .

أما الاسلام قبل أربعة عشر قرنا ، فقد قاوم العنصريات والأجناس ودعا الى توحيد الأهداف ، فمن آمن بالاسلام كان دمه وعرضه وماله حراما على المسلمين : « المسلم أخو المسلم » .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش ، ولكنه قاتل قريشا حين اعتدت على المسلمين ! وكان عربيا ،

ولكنه قاتل قومه العــرب دفاعا عن الاسلام •

ولمــا تصدى الروم لعرقلة دعوته، قاتلهم • وبعــد أن التحق بالرفيق الأعلى ، قاتل خلفاؤه الفرس والروم وغيرهم من الأقوام والأجناس •

والذين كانوا أعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناســهم قبــل اسلامهم ، انصــهروا بعد اســلامهم بالمسلمين ، فأصــبح عليهــم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين •

ان الاســلام ساوى بين الناس فى الدنيا وفى الآخرة ••• أمام النــاس وأمام الله : (ان أكرمكم عند اللــه اتقاكم) •

(ج) حرب لا مادية :

لم يكن من أغــراض القتــال فى الاســلام الاستحواذ على المــادة والبحث عن الأســواق والخامات واسترقاق المرافق وفرض الاستعمار •

خرج المسلمون للتصــدى لقافلة أبى ســفيان بن حرب العائدة من الشام فى غزوة (بدر) الكبرى لأنهم أرادوا أن يحرموا قريشا من طريق مكة ــ الشــام التجارية فيؤثرون بذلك فى أوضاعها الاقتصادية حتى يخففــوا من غلواء عــدوانهم على المسلمين •

ولكن تلك القافلة أفلتت من أيدى المسلمين ، ومع ذلك اصطدمت قواتهم بالمشركين ، وكان بامكانهم العودة الى المدينة بأمن وســلام بكل يسر وسهولة •

ولو كانت النــاحية المــادية هى التى دعتهم للخروج الى (بدر) ، لعادوا أدراجم عندما علموا بوصول قافلة قريش سالمة الى مكة •

وبعــد غــزوة (حنين) ، انتظر الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى شهر قدوم وفد هوازن اليه ليعيد اليهم ماغنمه المسلمون من أموالهم ، ولكنهم لم يحضروا ، فاضــطر الى تقسيم الغنــائم ، وأعــاد الســبى الى وفــد هوازن الذى وصــل بعد تقســيم الغنائم على الناس •

ولكن ما هو نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنائم؟ انه الخمس، وهذا الخمس مردود عليهم ، لأنه يصرف فى مصالحهم العسكرية وغير العسكرية ، فهل أبقى الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئا من المال ؟

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ، وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل، وماسقوه شرب» •

وقالت : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

وقالت : « كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ، ان هو الا التمر والماء » •

وقالت : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندى شىء يأكله ذو كبد ، الا شطر شعير فى رف لى • وتوفى ودرعه مرهونه عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير »

ذلك ما أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه ولأهله من متاع الدنيا، ولو كانت له رغبة فى المادة ، لأبقى لنفسه مال زوجه خديجة ، وهو مال كثير !!

ان الأهداف الرفيعة تتعب الأجساد والنفوس فى الحصول عليها ، وقد أتعب الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وأهله وأصحابه فى سبيل أهداف الاسلام ، ليكون أسوة حسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان •

٤ ـ حرب مثالية :

ان تعريف الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر القانون الدولى ، بالرغم من أنه حبر على ورق بالنسبة لكل الحروب قديما وحديثا ، الا أنه قاصر عن الوفاء بحق تعريف القتال فى الاسلام •

ان أصح تعبير يمكن اطلاقه على تلك الحرب هو : الحرب المثالية •

مثالية : لأن أهدافها الدفاع عن حرية الرأى وتوطيد أركان السلام: تصون أرواح وأموال الأبرياء

والضعفاء ، وتعطف على الأسرى والرهائن، وتواس المرضى والجرحى، ولا تمثل بالقتلى بل تدفنهم كقتلاها، ولا تثيرها الأغراض الشخصية ولا العصبية ولا المنافع المادية ولا الاستغلال والاستعمار .

فاذا لم تكن هذه الحرب مثالية ، فأى حرب فى التاريخ كله يمكن أن يطلق عليها هذا التعبير ؟

لاعجب اذن اذا استطاعت هذه الحرب أن تسيطر على العقول بالمثل العليا قبل أن تسيطر على الحصون والقلاع بالسلاح والرجال .

ان هذه الحرب المثالية ، جعلت جراح المغلوبين تلتئم بسرعة ، فينضمون طائعين الى الغالبين، ليكون الغالبون والمغلوبون جميعا تحت راية واحدة ، هى راية الاسلام .

ولو كانت حربا ظالمة لما دام الظلم ، لأن الظلم لا يدوم ، وان دام دمر الغالب والمغلوب ، فهل يفقه الظالمون ذلك ، أم على قلوب أقفالها ؟!

ولكنها كانت حربا عادلة الى حدود المثالية ، فاستجاب العرب لأهدافها العالية ، ثم حملوا رسالة تلك الأهداف الى العالم ، واستجاب لها الفرس والروم وكثير من الأمم والقوميات الأخرى ، ثم حملوا بدورهم مشعل هدايتها شرقا وغربا، فاستنار الشرق بنور الاسلام على حين كان الغرب فى دياجير الجهل والظلام .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

الأزهر الشريف

يدعو الراغبين من الناشرين والأفراد

فى اقتناء « المصحف الشريف »

طبعة الأزهر

إلى التقدم بطلباتهم إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسـلامية بإدارة الأزهر — القاهرة — لحجز الكميات المطلوبة لهم بسعر التكلفة وهى :

١٠٠ قرش للنسخة الواحدة المجلدة .

٨٠ قرشا للنسخة الواحدة غير المجلدة .

وهناك تخفيض خاص بالنسبة للمشترى بالجملة .

وتورد القيمة نقدا أو بشيك باسم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢٠٠٢-١٩٧٧س١٠١٨

they should have with the people of the Book and with the belligerent powers and with their own allies. In others they were taught, trained and organised to carry out their obligations as vicegerents of the Lord of the Universe. Some gave instructions for their guidance, and warned them of their weakness and exhorted them to sacrifice their lives and properties in the way of Allah. Others taught the moral lessons they needed in defeat and victory, adversity and prosperity, war and peace. In short, these traned them to carry on the missionary work for the propagation of Islam as the successors of the Holy Prophet. Then some discourses invited to Islam the people of the Book, the hypocrites, the unbelievers and the blasphemers, or rebuked them for their hardheartedness or warned them of the doom in store for them or admonished them for neglecting lessons from the stories and events of the past, so as to leave no excuse for their sticking to the wrong ways of life.

This is the background of the surahs that were revealed during the ten years at Al-Madinah. It is obvious that their style had to be different from that of the Makki Surahs.

ENGLISH SECTION

which have always been universally accepted and which have always formed the basis of the enlightened Divine civilization.

Several changes took place during the Makki stage of the Movement. It spread wider and wider, day by day, and the opposition to it became stronger and stronger in the same proportion. By and by, it came into contact with the people of different creeds and different ways of life and this gave rise to new problem. The discourses, therefore, began to deal with various new topics as well. This explains the difference of their style from those of the earlie's ines.

This is the background of the Surahs which were revealed during the thirteen years of Makki life.

MADANI SURAHS

After facing opposition for thirteen years in Makkah, the Islamic Movement found a new centre in Al-Madinah where it became possible to collect all its followers from the various parts of Arabia and to unify and strengthen them. Accordingly, the Holy Prophet and the majority of the Muslims migrated to Al-Madinah.

Then the movement entered its third stage under totally changed conditions. Now that the Muslim Community had succeeded in founding a regular state, an armed encounter enused with the exponents of the old order of ignorance. Besides this, the Jews and the Christians came into conflict with it, even though they also professed to be the followers of Prophets. It had also to deal with different kinds of hypocrite Muslims who had somehow or other entered its fold. But inspite of all those obstacles, The movement succeeded in subduing the whole of Arabia after a hard struggle of ten years and was in a position to extend its universal message of reform to the outer world.

As, by and by, several changes took place in this stage also, and every changed condition had its own special problems, so Allah revealed to the Holy Prophet the kind of discourses required for any particular occasion. That is why some of these were couched in the fiery rhetoric of a warner and the others in the form of the royal edicts of the lawgiver. Some adopted the method of a teacher, trainer and reformer and taught the principles and the methods of organizing a community, of building up a state and of constructing a good civilisation for the conduct of different affairs of life. Others gave instructions for dealing with the hypocrites or the unbelievers, who had come under the protection of the Islamic State. Then in some of these discourses, the Muslims were taught the kind of relations

Islam. The world, therefore, could not help feeling the moral superiority of the Movement that was so thouroughly transforming the characters of its followers.

All through this long and bitter struggle, Allah continued to reveal, according to the requirements of the occasion, inspiring addresses which highly influenced the thoughts and conduct of the hearers. On the one hand, these adresses instructed the Muslims in their primary duties, infused into them the spirit of loyalty and devotion to bind them together as members of the Muslims Community and taught the ways of piety, high morality and purity of character and trained them to be true missionaries of Islam. On the other hand, these messages consoled, comforted and encouraped the Muslims with promises of succes in this world and of eternal bliss in the Hereafter. They urged them also to exert their utmost in the way of Allah with fortitudemendurance and courage. The Muslims were so imbued with the spirit of sacrifice for this noble cause that they were ready to bear every kind of affliction and fight against the bitterest oppsition. At the same time, these addresses administered warnings to those people who were opposing the movement and those who were indifferent to it. Examples were oited from the history of the neighbouring peoples as proof thereof. Their attention was also drawn to the ruins of the habitation by which they used to pass during their journeys : these were held cut as object lessons. They were asked to observe the phenomena of Nature they saw day and night on the earth and in the heavens as a proof of the Unity of God and of the inevitable Hereafter.

The early addresses exposed the plasphemy of the idolaters and their association of partners with Allah and their worship of the old trajitions so vividly as to convince all fair-minded persons of their error. They refuted their misconception that they were independant of God and not accountable to Him in the Hereafter with such clear reasoning as to leave no doubt in their hearts and minds. Every doubt was dispelled and every objection answered and every inticacy and complication, in which they were entangled and in which they were involving others, was unfolded and unravelled. In short these addresses proved clearly and conclusively that the old days were based on ignorance and were utterly void of. Side by side with this, the dis-believers were admonished for their immorality, their wrong ways of life and customs of ignorance and their opposition to the Truth and their persecution of the Believers. These early addresses also put forward those basic principles of culture and morality

They were so charming that they attracted the attention of the hearers, who began to repeat them because of their beauty and elegance. Though universal truths were enunciated in these messages, they were given a local colour and were supported by arguments; examples and illustrations from the environment with which its first addresses were quite famil ar. In order to impress the adressees effectively, these early addresses were confined to their own history, their traditions, their monuments, their beliefs, their morality and their evil ways.

This early stage of the Movement lasted for four years or so with the result that a few good people accepted its message and formed the nucleus of the future Muslim Community. But the large majority of the Quraish began to oppose it because, in their ignorance, they thoght that it his hard at their vested interests and lusts and the old traditions of their forefathers. The message of the Quran, however, went on spread ing beyond the boundaries of Makkah and reached other clans.

Then the Movement entered its second stage which continued for nine years of so and fierce struggle began with the old order. Not only the Quraish but also the majority of its upholders also rose up to kill the Movement employing all sotrs of weapons or at least to supress it They made false propaganda and levelled accusations and raised frivolous bojections , against it. They spread suspicions and doubts in other to alienate the common people from it They hindered strangers from listening to the Holy Prophet and inflicted all sorts of cruelties on those who accepted Islam. They boycotted the Muslims socially and econmically in order to intimidate and coerce them. Their persecution had been so unbearable that some of them had to leave their homes twice for Abyssinia, and at last all of them had to migrate to Al-Madinah But in spit of persecution and hindrances, the Movement went on spreading. There was hardly a family or a household left in Makkah from which one person or the other had not accepted Islam. Naturally this produced bitterness in the hearts of the oponents of Islam. The persecution became all the more bitter when they saw that their own brothers, nephews, sons, daughters, sisters, etc., had accepted Islam and became its faithful and strong supporters and were ready to defend it even with their lives.

The Movement also got impetus from the fact that it was drawing into its fold the best from among people who became the embodiments of virtue after accepting

concerned is to expound the reality, to remove misunderstandings and mis-conceptions about it, to impress the Truth upon the minds, to warn them of the consequences of wrong attitudes and to invite humanity to the right way. The same is true of the criticism of the creeds, of the moral systems, of the deeds of men and communities and of its discussions of the problems of Melaphics etc. That is why it states or discusses or cites a thing only to the extent relevant to its aims and objects and leaves out unnecessary and irrevelant details and turns over and over again to its Central Theme and to its invitation round which every other topic revolves. When the Quran is studied in this light, no doubt is left that the whole of it is a closely reasoned argument and there is continuity of subject throughout the Book.

BACKGROUND.

One cannot understand fully many of the topics discussed in the Quran unless one is acquainted with the background of their revelation. One should know the social, historical or other antecedents or conditions which help explain any particular topic. For, the Quran was not revealed as a complete book at one and the same time ; nor did Allah hand over a written dopy of it to Muhammed (Allah's peace be upon him) at the very beginning of his mission and command him to publish it and invite people to adopt a partidular way of life. Morever, it is not a literary work of the common conventional type that develops its central theme in a logical order ; nor does it conform to the style of such a work. The Quran adopts its own style to suit the guidance of the Islamic Movement that was started by Allah's Messenger under His direct command. Accordingly, Allah revealed the Quran piece-meal to meet the requirements of the Movement in its different stages.

MAKKI SURAHS

When the Holy prophet was commanded to start his mission at Makkah, Allah send down such instructions as the Messenger needed for his own training for the great work that was entrusted to him. The Quran imparted also the basic knowledge of the Reality and gave brief answer to the common mis-understandings that misled to adopt wrong ways of life and invited them to accept the basic principles of morality and adopt the right attitude that alone leads to the sucess and welfare of humanity.

These early messages consisted in short and concise sentences and were couched in a very fluent and effective language to suit the taste of the people to whom they were first addressed. Their excellent literary style was so appealing that it touched their very hearts.

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF THE 'QURAN'-II

By

Maulana Abul A'ala Maududi

Central Theme

Now that we have come to know the nature of the Quran, it has become easier to determine the subject it deals with, its central theme and its aim and object.

The subject it deals with is Man: it discusses those aspects of his life that lead either to his real success or failure.

The central theme that runs throughout the Quran is the expotion of the reality and the invitation to the Right Way based on it. It declares that Reality is the same that was revealed by Allah Himself to Adam at the time of his appointment as vice-gerent, and to all the Messengers after him, and the Right Way is the same that was taught by all the Messengers. It also points out that all theories contradictory to this reality, inented by people about God, the universe, Man and his relations with God and the rest of His creation, are all wrong and that all the ways of life based on them are erroneous and lead to ruinousconsequences.

The aim and object of the revelations is to invite Man to that Right way and to present clearly the guidance which he lost because of his neglegance or has perverted by his wickedness.

If the reader keeps these three basic things in mind, will find that in this Book there its no incongruity in the style, no gape in the continuity the subject and no lack of interconnection between its various topies. As a matter of fact, this Book is not irrelevant anywhere with regard to its Subject, its Central Theme and its aim. From its very beginning to its end, the different topics it deals with are so intimately connected with its Central Theme that they may be likened to the beautiful gems of the same necklace, despite their different colours and sizes. The Quran keeps the same object in view, wether it is relating the story of the creation of the earth or of the heavens or of Man or is reffering to the manifestation in the Universe or stating events from human history. As the aim of the Quran is to guide Man and not to teach nature study or History or Philosophy or any other sciene or art, it does not concern itself with these latter subjects. The only thing with which it is

confemably to their original from, God would establish her power on earth, entitle her to victory, and fulfil the Promise He had announced in His Holy Book :

"God hath promised such of you as beleive and do good works that He will give them the succession in the earth as He gave the successions to those before them, and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safety after their fear. They shall worship Me ; they shall not associate aught with Me. Those who disbelieve, hencefoth, they are miscreants". (XXIV, 55).

But if the Muslim Nation failed to adhere closely to the teachings of the Islamic Message, there would be no reason to justify her existence, neither would be there any meaning for her survival. Were she to be blotted out, there would be no regret for her disappearnace. The world not, then, lose, through her annihilation, any essential elemant for righteous life.

Nevertheless, the Muslim Nation had come into being so as to stay and to survive. He is liable to be disciplined by God from time to time, so as to return to Him. Such correction is done to individuals, in order that they might revert, in penitence and surrender, to their Lord ; as it is done to groups so as to take refuge in Him, through the application of His Message, and compliance with His Principles.

in Truth and Justice". (VI, 116). That is to say that God's Word is fulfilled in truth, respecting the articles of Faith, and fulfilled in justice, as regards, legislation.

Out of this can be perceived the logical argument in God's saying : "But nay, by thy Lord, they will not believe (in truth) until they make thee judge in all disputes between them, and find within themselves no dislike of that which thou decidest, and submit with full submission". (IV, 65).

The Islamic Message declared that mildness and mercy be an integral part of good conduct. "Belivers) are compassionate amongst each other". (XLVIII, 29).

Compliance with these definite principles, as they had been Divinely laid down, expounded in the Holy Book, and put into practice by the Prophet, until they had been made self-evident, without the slightest shade of ambiguity, had become incumbent duties, identified with (the basic rule of) enjoining what is right and forbidding what is worng.

As to the physical aspect of the Message, we find that it had admitted the means for safe-guarding its principles against all sorts of (interference and) aggression. (In this respect, God the Almighty says .) "Make ready for them all thou canst of (armed) force" ? (VIII, 60).

This rule intended for defence and the repulse of aggression, requires that the Nation have recourse to all possible means in the fields (of science), such engineering, chemistry, medicine, etc. ; besides industry that has to be fully developed, and laboratories for scientific research that have to be adequately equipped.

It is to be remarked that those in charge of conveying a Message should yield an effective power for the defence and maintenance of what they endeavour to propagate.

Thus, the Islamic Message had been precisely determined and defined by God, Glory be to Him.

It is a Message that imposes the incumbent duty of sustaining it by physical force.

It is a message that imposes the incumbent duty of sustaining it by physical force. It has to be upheld and maintained in its clear and pure form by those who enjoin what is right and forbid what is wrong.

These princples, (emanating from the Divine Message), as precisely and distinctly by the Holy Quran and the Prophetic Sunna, account for the rise of the Muslim Nation ; and are at the same time, considered as the reason that justifies her existence, persistence, and survival.

So long as the Muslim Nations puts these principles into effects,

It is solely their deep faith to which goes the credit of their victorious march (and miraculous advent), as it is also due to their strainous efforts to apply the teachings of the Message that had established the unty of the Muslim Nation.

"Verily, this your "ummat", (nation) is one nation, and I am your Lord, so worship Me'' XXI, 92). And verily this nation of yours is one nation, and I am your Lord, so keep your duty unto Me''. (XXIII, 52).

Thereby, the borders and obstacles, facing the Faithful had been annihilated. The first region to be unified was the Arabian peninsula. Then, there came into existence the (mighty) Islamic Nation, covering a tremendous area. The Message had established unity within the sphere of the articles of faith.

Yet the Message was not confined to man's testimony that there is no god but God. It rather tended to raise him up to a higher degree of sublimity His profession of God's Unity means, as well, that he testifies that God be the Witness of everything he adheres to or leaves aside, in his speech and silence, movement and quietness. He believes that God is the Testifier of his intents, and his worke. His Lord, be He Exalted, domintes the fram of his life. Thus, he follows what God had decreed, and complies with what is pleasing to Him.

This is the unity underlying bondage to God. Once the unity of bondage is practised by the believer or the nation, the means of access to God, be He Exatded would certainly be secured (as stated is the reported saying) : "If he asked me, I would bring to being what he asked for, and if he sought My Refuge. I would protect him."

The Islamic Message declared that beotherhood should be the guiding principle for the believers in their mutual relationships (conformably to God's Saying in the Quran): "The believers are naught else than brothers" "(XII, 10).

The atmosphere of fraternity and fellowship among the believers is the ideal they have to seek in their relationships, and the predominating principle in co-operation in all sorts of good works.

The Islamic Message established, as well, justice in law, the norms of which are not human but Divine since the code embodied in the Message does not emerge from human speculation which is liable to be either righ or worng. It is an Infallible Revelation coming from the Almighty.

God, be He Exalted, says : "Perfected is the Word of the Lord

foremost Aspect of this Divine Care is that the Almighty had made it, through its Divine Style, Miraculous Eloquence, and Unremitting Revelation, the source of guidance to the Muslim Nation.

One more Aspect is that God, Glory be to Him, had made secure its preservation. "We have, without doubt, sent down the Message, and We will assuredly guard it (from corruption)," (XV ; 9)

This Protection (God had afforded), has rendered the Holy Quran an ever-existing Reminder to the world at large up to the Day of Judgement. It is the Quran which has always disproved in reigorous logic and self-evident arguments, the pretensions of anyone who might arise to pose as a prophet after Muhammad.

With its Divine Style, and God's Guarantee to guarc it (against corruption and alteration), the Holy Quran shes the mere spculation about the need of novel Dlvine Message.

God, be He Exalted, said of His Blessed Messenger that he is "the Seal of the Prophets," (XXXLLL, 40). The fact that the Arabic word khatam, seal is read by vocalising the letter (t) by both "fatha" and "Kasra" (Khatam and Hatim) the two readings being reported by consecutive narrators to have been uttered by the Prophet this fact closes all the gaps in the face of those who attempt posing as prophets through fraud and imposture.

God had sent down the Holy Quran in a divine Style out of the Care had bestowed upon the Islamic Message. One of the Features of God's Providence, revealing the individuality of the Muslim Nation is the fact that the Prophet, before his death, had effectively applied the teachings of the Message.

Thus the Islamic Message, after having been, in its initial stages a theoretical Call, had come to be a practical one. It had been turned into a concrete fact, seen and feard. It had been tried, and the trial proved a success.

When the Message came to be applied, it could remove all the hinderances in its way. It had swept away, in its sacred advance, all sorts of falsehoods. The world of corruption submitted to the sway of righteousness.

An Orientalist, depicting the impression gained by those who read the history of the arly conquests of Muslims, won through the application of Islamic teachings, raised the question: Had Muslims either conceived the world to be of a small size, or had the earth been easily rolled up underneath their feet, Yet earth's regions had never been circumscribed, nor had they been rolled up underneath their feet .

revealed to the Messengers, whilst people of jihad strive with their swords for the preservation and maintenance of these Divine Revelations.

Imam Ahmad ibn Hanbal reported (in his monumental Musnad), through a genuine chain of narrators, on the authority of Jabir, that 'Umar ibn al-Khattab, (once) went to the Prophet, with an epistle he had taken from certain scripturеries, and read it to him. Thereupon, the Prophet was exasperated and said : "Are you swayed by suspicion and mistrust ? By Whom my soul is in His Hands, I have brought to you what is pure and unsullied. Do not ask the (the Scriptureries) about anything. They might tell the truth, and ye excuse them of lying, or that they might tell you a falsehood, and ye take it for granted. By Whom my soul is in His Hands, had Moses been living, he would not have done anything save following me."

The traditionist Abu Ya'la reported a lengthy narrative at the end of which 'Umar is reported to have said : "I set out to the Scriptureries from whom I copied and epistle on a piece of skin. On my return the Prophet asked me about what I was holding in my hands. I answered it was an epistle I had copied to add somehting to our knowledge.

"The Prophet became so incensed that his cheeks were redened. He called the Muslims for a congregational prayer. The Ansars asked whether the Prophet had been made angry, and clamoured for their weapons. They gathered round the Prophet's pulpit.

"Then, the Prophet addressed the Muslims, saying : Opeople : I have been given the substantial maxims, and the most conclusive apophthegms. Discourse had been summed upt to me, and made highly succinct. I have brought you a clear and pure Message; so do not be confused, and beware of being deceived by those who are subject to distraction.

"Umar said . Thereupon I rose up and said : I am content with God as my Lord, with Islam as my Faith, and with you as Messenger. Then the Prophet came down the pulpit".

The prophet endeavoured as much as he could to make the Muslim individuality pure and clear in accordance with the terms he had uttered.

This definite and evident individuality is the sole raison d'etre that explains and justifies the origin, continuity and survival of the Muslim Nation.

This Nation had been formed for the sake of what had been considered as the Seal of all Divine Messages. God., be He Exalted, had accorded this Message much more care than any other. The

JIHAD AND LEARNING : THE ISLAMIC MOTTO

By

Dr. Abdul Haleem Mahmoud

The Grand Sheikh of Al-Azhar

(excerpted from one of his speeches)

When the Egyptian army started to encounter the enemy, in Mansourah, (in 1249 A. D.), eminent Egyptian "Ulemas, set out to that town. They were headed by 'Izzul-Din ibn Andul Salam, and amongst whom Majdul-Din al-Qushairi, Muhyul-Din ibn Suraqah, Majdul-Din of Akhmim, Abul-Hassan al-Hafiz al-Mundhiri, and al-Kamal ibn al-Qadi Sadrul-Din.

These saintly scholars, noted for their fervent religious zeal, used to join the warriors to raise up their morale, offer guidance, praise God, and give glad tidings either about of the two glorious things, promised by God, namely victory or (martyrdom which entitles them to) Paradise. Yet, these eminent scholars had never hesitated, in crucial circumstances, to join hands with the mujahids in engaging the enemy.

Their mere walking in the streets, and visits to the camps, were intended to remind the warriors that they have to win either victory or Paradise, thus arousing their zeal, strengthening their faith, and emphasizing the forms of jihad that had characterized the early ages of Islam, during the Prophet's lifetime, and the reign of his rightly guided Caliphs, God be pleased with them.

When these eminent scholars felt satisfied with the adequacy of the measures and means, mustered for defence, they used to hold meetings at night worship and pray God to accord victory to Muslims. At the conclusion of these prayers, they preoccupied themselves with studying one of the standard works on Islam. It is because their motto had been : jihad and learning.

This Islamic motto : jihad and learning had been stated and explained in a reported tradition, corroborated by the entire intellectual atmosphere of Islam. Abu Nu'aim repoted on the authority of Ibn 'Abbas that the Prophet had said : "People well-nigh to the rank of prophethood are those who are noted for their learning, and those who are noted for their jihad''.

As to the learned, it is because they guide people to what had been

rulers calling them to accept Islam. He reorganised the community, and created a fraternization between immigrants and Madinans. The prophet journeyed several times with a view to win the neighbouring tribes and to conclude with them treaties of alliance and mutual help.

After seven years of the Hijra, the prophet entered Mecca as a conqueror. He, who was once a fugitive and persecuted, now came to prove his mission by deeds of mercy. The city which had treated him so cruelly, driven him and his faithful band for refuge amongst strangers, which had sworn his life and the lives of his devoted disciples, lay at his feet. But in the hour of triumph every evil suffered was forgotten, every injury inflicted was forgiven, and a general amnesty was extended to the pouplation of Mecca. The ninth year of the Hijra was noted for the deputations which flocked into Madina to render homage to the prophet. Deputations began to arrive from all sides to tender the allegiance and adherence of tribes. The conquest of Mecca decided the fate of idolatory in Arabia.

when the prophet went to Mecca, in the 10 th year of the Hijra for Haj, he met more than 140,000 Muslims there, who had come from different parts of Arabia to fulfill their religious obligations. He addressed them his celebrated Sermon, in which he gave a resum of his teachings. The Mission of Prophet Muhammad was now achieved He inspired a nation, steeped in barbarism, sunk in a degrading and sanguinary superstition, with the belief in One Sole God of Truth and Love. He united those disunited warring nation by the ties of brotherhood and charity. The humble preacher, who only the other day been hunted out of the city of his birth, and been stoned out of the place where he had betaken himself to preach God's words, had, within the short space of few years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradation to a conception of purity and justice.

The Prophet spent the last year of his life in Madina. He settled the organisation of the provinces and tribal communities which had adopted Islam and become the component parts of the Muslim State. The distinctive superiority of Prophet Muhammad lies in the fact that the whole work of his Mission was achieved in his lifetime. On Monday, 12th Rabie' Awwal, 11 A.H., (8th June, 632 A.D.) the spirit of the great prophet took flight to the 'Highest Companion'. His life and work are not wrapped in mystery. Nor has a fairy tale been woven round his personality. His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed.

When the Quraishites were throughly alarmed that Muhammad's preaching had taken a serious revolutionary movment. Their power and prestige were at stake. They were the custodians of the idols whom Muhammad denouced, they were the leaders of the worship which Muhammad opposed. Their very existence depended upon their maintaining the old institutions intact. The new preacher's tone was 'intensely democratic, in the sight of his Lord all human beings were equal. This levelling of old distinctions was contrary to all their traditions. So urgent measures were needed to stifle the movement before it gained further strength. They accordingly decided upon an organised system of persecution.

The fury of Quraish became unbounded. They ultimately decided the assassination of the Prophet. On the night agreed upon to carry out the assassination plot, the prophet miraculously left his house, and fled together with his companion, Abu Bark, from the city of their birth. They lay hide for several days in a cave of 'Mount Thour,' a hill to the South of Mecca. On the evening of the third day the fugitives left their cave and endeavoured to reach 'Yathrib' by unfrequented paths. But even here the way was full of danger. The heavy price set upon Muhammad's head had brought out many horse-men from Mecca seeking for the helpless wanderers. The fugitives continued their journey and after three days of journey reached the territories of Yathrib. The prophet and his companion reached the village called "Quba," situated only two miles to the south of 'Madina,' on Monday 12th Rabie Awwal (622-A.D). Here he was, joined by Ali, who had been severely maltreated by the idolators after their disappointment after Muhammad's escape. The prophet stayed for four days at 'Quba' and then entered, attended by a number of his disciples, the city of 'Madina' on Friday 16th Rabie Awwal.

Thus was accomplished the 'Hijra'. This event naturally marked the greatest development in the history of Islam. Though Umar instituted the Offical era of the Hijra, according to some traditions, the custom of referring to events as happening before or after Hijra originated with the prophet himself.

The name of the city of 'Madina' was 'Yathrib' until the advent of the Prophet. It was established by an Amalikite Chief known as Yathrib, then its name was changed and was called 'Madinath el-Nabi' or for short 'Madina'. After the Hijra, the prophet launched an extensive programme for the propagation of his Mission. He addressed letters to the foreign

Abdul Muthalib, on his death-bed the grandfather had confined to Abu Thalib the charge of his brother's child, and in the house of Abu Thalib, Muhammad passed his early life.

His early life was not free from the burden of labour. He had to go often into the desert to watch the flocks of his uncle. with all his affection for his people, in his ways and mode of thought he seemed far removed from them, isolated in the midst of a chaotic society with his eyes fixed on the moving panorama of a depraved age. The lawlessensss rife among the people of Mecca, the frequent quarrels among the tribes and the immorality of the people, naturally caused feelings of intense horror and upset in the mind of Muhammad. In the 25th year of his age, Muhammad travelled into Syria as the business agent of the noble Quraishite lady, Khadija.

The prudance and capability with which he discharged his duties made a favourable impression on Khadija. A marriage was soon after arranged between Muhammad and Khadija, a kins woman of his. In spite of the disparity of age between him and his wife, there existed the tender devotion on both sides. It is worthwhile to say that this marriage brought him that repose and exemption from daily labour which he needed in order to prepare his mind for his great work. But beyond that it gave him a loving heart, that was the first to believe in his mission, that was ever ready to console him in his despair, and to keep alive with him the flame of hope when no men believed in him.

Muhammad's soul was soaring aloft, trying to peer into the mysteries of creation, of life and death, of good and evil, to find order out of chaos. For years after his marriage, it had been his habit to go sometime with his family, for prayer and meditation to a cave or the 'Mount Hira', which is now called the 'Mount if Light. Solitude had indeed become a passion with him. Here in this cave he often remained whole nights plunger in the profoundest thought and meditation.

At the age of 40 the Prophet Muhammad received the first revelation. Thenceforth, his life was devoted to humanity. Khadija was the first to believe in the revelation and to accept his Mission. After Khadija, Ali was the next disciple. The Quraishtes opposed the Mission of the Prophet and the hostile Quraish stoped the Prophet even from offering his prayers at Ka'ba, and they persued him wherever he went. Amidst all these rials, Muhammad never wavered, he workud on steadily full of confidence in his Mission. Several times he was in imminent danger of his life at the hands of Quraish.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Rabie Awwal 1397	ENGLISH SECTION	MARCH 1977

THE SIGNIFICANCE OF THE MONTH OF 'RABIE' AWWAL'

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The Muslims all over the world receive and celebrate nowadays this Arabic month - of 'Rabie' Awwal' - with great enthusiasm. It witnessed the following important events in the history of Islam, and in the history of humanity as a whole:

1- witnessed the birth of Prophet Muhammad. He was born on Monday, 12th of Rabie' Awwal.

2- The 'Hijrah' of the prophet from Mecca to Madina after thirteen years of his Mission. The departure of the Prophet from Mecca to Madina commenced on the 4th of Rabie' Awwal and he reached the famous place called 'Quba' in the south of Yathrib (Madina) on Monday, 12th Rabie Awwal.

3- On Monday, 12th 'Rabie Awwal' (11 A.H.) the prophet breathed his last in this world after he had well accomplished his mission.

On the occasion of 'Rabie Awwal' it is good to review these important events that took place in this month.

The Prophet Muhammad (peace be upon him) was born on the 12th of Rabie Awwal, in the 'Year of the Elephant, which marked the destruction of the Abyssinian army (29th of August 570 A.D.). His birth was towards the end of the fortieth year of the reign of 'Kisra Anushiruan' of Persia, and the end of the year 818 of the era of the Seleucidea. It is reported that his birth was attended with several portents and miraculous signs. His father had died before he was born. He was bereft of his mother when only six years of age. Three or four years later he lost his grandfather

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع ـ السنة التاسعة والأربعون ـ ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هـ ـ أبريل سنة ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الاسلام من :

الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

— ٥ —

انتهينا فى المقالات السابقة ـ بتوفيق الله تعالى ـ من موقف الاسلام من الفن وفى هذا البحث نحدد ـ باذن الله ـ موقف الاسلام من العلم •

ونقول ابتداء اننا سوف لا نأخذ كلمة « العلم » بالمفهوم الحديث فحسب ، والمفهوم الحديث هو الذى تأخذ به أوربا ، وتأخذ به جامعاتنا المصرية وغيرها من الجامعات حينما تستعمل كلمة العلم •

وهذا المفهوم هو :

العلم : هو القواعد التى بنيت على الملاحظة والتجربة والاستقراء •

وهو بهذا المفهوم يختص بالجانب المادى ، ان دائرته الكون : السماء والأرض ، وما بين السماء والأرض •

أما ما وراء هذا الكون ، وأما ما قبل هـذا الكون ، وأما ما بعـد هـذا الكون فان العلم ـ بالمفهوم الحديث ـ لا يتعرض له ، وذلك لأنه لا يدخل تحت دائرة الملاحظـة والتجربة والاستقراء .

ولعـل القارىء يدرك من هذه الكلمات السابقة أن العلـم بهذا المفهـوم الأوربى لا يتـأتى له أن يحـكم على ما ليس فى دائرته ومن أجـل ذلك فان العالم ـ أى عالم ـ لا يستطيع انكار الألوهيـة ولا البعث ولا الغيبيات علىوجه العموم

والعـالم الذى ينـكر ـ بصفته كعالم ـ وجود الله ، أو ينكر البعث فانه يكون قد خرج عن صفته كعالم ولا يوصف فى أجواء العلمـاء الا بأنه مهـرج ، وأنه ليكفى أن ينكر بصفته كعالم ـ شيئا من الغيبيات أن يسحب العلمـاء ثقتهم فيـه ، وينبذونه من محيطهم .

وذلك لأنه ما دامت قـد حددت دائرة العلم بأنه ما بنى على الملاحظة والتجربة ، أى ماكان مجاله المـادة فانه اذا تعرض عالـم لما ليس من اختصاصه على أنه علم فانه يكون بذلك قد خرج على أوضاع العلماء فى مفهوم العلم ،وخرج على مبادئهم المقررة فى دائرة العلم : وهى المادة.

قلنا اننـا لا نأخذ مفهوم العلم بالمعنى الأوربى ، بل سنأخذ مفهوم العلم بالمعنى الاسـلامى ، ومفهوم العلم بالمعنى الاسلامى أوسع دائرة، انه المعـرفة بكل نافع من الأمور ، انه المعرفة بالكون وبما وراء الكون بالوجود المـادى وبالوجود الروحى انه المعرفة بالآفاق وبالأنفس ، وفى نطـاق ذلك يدخل العلم بالمـادة ، أو العلم بالمفهوم الحديث .

وهذا المفهوم الحديث للعلم هو اصطلاح حديث : فما كانت كلمـة العلم فيما مضى ـ فى أوربا وغيرها تعنى القوانين التى تسير عليها المادة فحسب ، وانما كانت الكلمة مطلقة، فلما كانت النهضة الأوربية الحديثة قسـمت أنواع المعـرفة ، بحسب ملكات الانسـان وشعوره ، وذلك لتسهل التفرقة بين مجالات المعرفة ، وليسهل الحكم فى كل مجال .

هناك المجال الذى يسرح فيه الحس ، ويجتلى معالمه وهو المادة ، وسمى العلماء المحدثون مجال الحس علما (وهناك مجال يلعب فيه الوجدان والذوق الدور الأول ، وسمى العلماء المحدثون هذا المجال فنا) •

وهناك مجال هو من شأن العقل البحت ، وهذا المجال ينقسم الى قسمين :

(أ) قسم الرياضة وهو يقين كله •

(ب) قسم الالهيات حينما تقوم على العقل وحده ، وقسم الأخلاقيات بمعناها الواسع حينما تنبع عن العقل وحده وهذا القسم هو الفلسفة •

أما ما كان مرده الى البصيرة والوحى وصلة الانسان — النبى أو الرسول — بالله تعالى فانه الدين وليس الدين قواعد خاصة بالمادة ، وان كان يتحدث عنها — عرضا — أحيانا •

وليس الدين من أجل أذواق تتصل بالفن ، وان له فى ذلك توجيهات أحيانا •

وليس مصدر الدين — كمنبع ومرجع — العقل وان كان ما أتى به يقره العقل كله • ومبادئه لا تتناقض مع العقل •

واذا كنا فى مقالنا هذا نأخذ العلم بالمفهوم العام — كل نافع من المعرفة — فاننا ننبه الى أن كل ما أسس على القرآن والسنة فهو فى نطاق المجال الدينى ، وأن مقالنا هذا انما كان لبيان موقف الاسلام من العلم بالمفهوم العام ، ولا يمنع ذلك من أن التفرقة ما زالت قائمة بين مختلف مفاهيم المعرفة •

ونعود من جديد ونتساءل :

— ما موقف الاسلام من العلم ؟

ان الله سبحانه قد رسم مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى :

« يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » •

انها العلم والخلق : العلم الى غاية هى الحكمة ، والخلق الى غاية هى التزكية •

وهـذه المهمة الكريمة تبـدو فى وضوح فى الكلمات الأولى للوحى الالهى. ان الوحى بدأ بقوله تعالى:

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسـان من علق ، اقـرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقـلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وأول كلمة فى الوحى هى «اقرأ» وتتكرر كلمة : اقرأ فى هذه الآيات الأولى من الوحى ، وتتـكرر مادة العلم ، ويذكر فيها القلم أداة من أدوات التعليم .

ثم كان أول قسم أقسم الله سبحانه وتعالى به فى القرآن الكريم انمـا هو القسم بالقلم وما يسطر بالقلم ، يقول تعالى :

« ن ، والقلم وما يسطرون » .

وتتوالى الآيات الكريمة حاثة على العلم ، آمرة به ، مبينة آدابه وشروط النبوغ فيه ، مشيدة بالعلماء ، مبينة مكانتهم .

أما هـذه المكانة التى وضع الله العلماء فيها فانها أسمى مكانة عند الله سبحانه وتعالى لعباده .

ان الله سبحانه يقول مبينا مكانة العلماء :

«شهـد الله أنه لااله الا هـو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط»

وفى هذه الآية الكريمة قرن الله سبحانه وتعالى العلماء به وبملائكته فى شهادة التوحيد ، أى وضعهم فى أسـمى مكانـة ايمـانية وذلك أن أسمى مكانة ايمانية انما هى شهادة التوحيد ، انها :

« أشهد أن لا اله الا الله »

أما الحث على العلم فى القرآن الكريم فان هذا الكتاب العزيز يبين أن الانسـان حتى فى الحالـة التى يمنحه الله فيهـا النبوة والرسـالة لايزال بحاجة الى المزيد من العلم .

ان الله سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم ـ يأمر الرسول صلى الله عليه وسـلم بأن يجعـل من شـعاراته الاستزادة فى العلم ، فيقول له :

« وقل ربى زدنى علما » .

والقرآن يتحدث عن قصة لسليمان عليه السلام مع طـائر من الطيور يقول الطـائر فيها لسليمان عليـه السلام « أحطت بما لم تحط به » .

ويذكر القرآن قصة موسى عليه السلام لما علم أن فى هذا العالم كائنا هو أعلم منه ، فصمم على أن يذهب اليه مهما يكلفه الأمر قائلا لفتاه : « لن أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » ، وسافر موسى عليه السلام سفرا شاقا مجهدا يقول عنه : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » .

وكان هذا السفر بحثا عن الأستاذ ، وطلبا للعلم ، والتقى موسى بالأستاذ ، وهنا تتبين بعض الآداب فى طلب العلم ، وبعض الشروط التى ينبغىأن تتوافر لطلب العلم . ونقتصر هنا على شىء قليل مما توحى به القصة .

ان موسى عليه السلام يقول فى رقة وفى أدب جم ، يجب أن يتوافر فى التلميذ بالنسبة لأستاذه :

« هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » ؟ .

انه بدأ بكلمة « هل » ولم يقل : أريد ، أو أنا عازم ، انه التواضع بالنسبة للأستاذ .

ثم قال : « أتبعك » ولم يقل : أرافقك ، أو أصاحبك ، أو أزاملك ، كلا ، وانما قال : « أتبعك » .

واقتضى شرف منزلة العلم أن يعجم الأستاذ عود موسى عليه السلام ليرى ما اذاكانت تتوافر فيه الشروط المطلوبة ، فقال فى صورة هى أقرب الى الاستشارة منها الى الرفض :

« انك لن تستطيع معى صبرا »

والصبر على العلم هو من شروط طلب العلم الأساسية ، حتى لقد عرف بعضهم العبقرية بأنها صبر طويل وما من شك فى أن الصبر على العلمهووسيلة الاكتشافوالاختراع والابداع والعبقرية .

وأجاب موسىعليه السلام مؤكدا عزمه على الصبر ، ومبينا أنه سيلتزم بمايجب أن يلتزم به التلميذ الصادق من آداب التلمذة، فقال: «ستجدنى ان شاء الله صابرا » ، ثم أضاف عليه السلام : « ولا أعصى لك أمرا » .

وهـذه القصة تبين شرف العلم بأمور ، منها : أن يسافر الانسـان من أجله . وأن يجرى الانسـان وراء تحصـيله حتى ولو كان من هؤلاء الذين منحهم اللـه مرتبـة النبوة .

ونبين شيئا من شروطه وآدابه ، ومنهـا : الصبر الطويل . ومنها : التأدب مع الأسـتاذ ولقـد تابع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم القرآن الكريم فى التوجيه نحوالعلم وأعلن رسـول الله صلى الله عليـه وسلمأنالطريق الى العلم هو الطريق الى الجنـة ، يقول صـلوات الله وسلامه عليه فى ذلك :

من سلك طريقا يبتغى فيه علما ، سهل الله له به طريقا الى الجنة ،وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ،وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضـل القمر على سائر الكواكب ،وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لـم يورثوا دينـارا ولادرهما ، وانما ورثوا العلم،فمن أخذه أخذ بحظ وافـر .

وقد يتساءل انسـان عن نوعية العلم الذى يدعو اليه الاسلام .

وذلك له مقال تال ان شاء الله .

دكتور عبد الحليم محمود

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم ركعا سـجدا ، يبتغون فضـلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

أهمية الدعوة

للواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الداعية الأول أشرف الأنبيـــاء والمرسلين ورضى الله عن أصحابه الدعاة الأولين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .

زار أحد الدعاة ، قبل اثنتى عشرة سنة (١٣٨٥ هـ) أقطار غربى القارة الافريقية ، فسأل أحد رجال الدين[١] الاسلامى فى قطر من تلك الأقطـار عن ولده الذى كان يلقاه حين يحل فى دار أبيه الشيخ ، فأجابه متنهدا : « لقد تمدن ! » .

وتعبير : فلان تمـدن ، فى تلك الأصقاع ، أصبح من التعابير الشائعة ، ومعناه : « تنصر فلان » ، وهــو يطلــق على المسلم الذى ارتــد عن دينه ، فأصبح نصرانيا ، فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، كما يطلق على غير المسلم الذى اعتنــق النصرانية أيضا .

وسـبب اقتـران : « التنصر » بالتمدن فى هذا التعبير ، هــو أن الارساليات التبشيرية فى افريقية ، التى تعتمد على المؤسسات الدينيـة المسيحية فى تمويلها ، وعلى الدول الاســتعمارية ، وعلى شـبكات المخابرات الأجنبية ، وشركات النفط الاحتــكارية ، والبيــوت المـالية الكبرى ، وعلى الصهيونية العنصرية

(١) رجل الدين : هو عالم الدين الذى يعمل باخلاص ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدعو الى الله ، فكل رجل دين هو عالم دين ، وليس كل عالم دين هو رجل دين ، فقد يكون هذا العالم لا يعمل بعلمه ولا يؤدى واجباته الدينية .

ودولة العدو الصهيونى (١) ، قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات ، فى المناطق المهمة الحيوية من افريقية، وحرمت غير المسيحيين من الانتماء اليها وتلقى العلم فيها ، فأصبح لزاما على غير المسيحيين من مسلمين وغيرهم ، أن يعتنقوا المسيحية أولا، وأن يثبتوا تمسكهم بها ثانيا ، من أجل قبولهم تلاميذ وطلابا فى تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشيرية ، حتى ينالوا شهاداتها العلمية بعد تخرجهم فيها ، تلك الشهادات التى تؤهلهم لتسلم المناصب الحكومية فى الدولة ، وترفعهم الى المكانة المرموقة فى المجتمع وتفتح أمامهم أبواب العيش الرغيد .

من هنا اقترن التنصير بالتمدن ، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات افريقية فى الوقت الحاضر مسيحيا ، وأمه ووالده واخوته وأخواته وأهله وعشيرته لا يزالون مسلمين ، وقد أقام فى كل قرية ومدينة كنيسة حتى ولو كانت القرية أو المدينة مسلمة ، وحارب المسلمين فى عقيدتهم وأرزاقهم تعصبا لدينه ، وفتح بلاده على مصراعيها للمبشرين .

وقد عقد مؤتمر اسلامى مسيحى فى ليبيا فى ٣٠ محرم الحرام سنة (١٣٩٦ هـ) ، مثل فيه الجانب الاسلامى اثنا عشر عالما ، ومثل فيه الجانب المسيحى اثنا عشر عالما من الكاثوليك على رأسهم كاردينال ممثلا للبابا ، فكان من ضمن ممثلى الكاثوليك اثنان من الأفارقة كانوا مسلمين وأصبحوا اليوم من كبار رجال الدين المسيحيين !

والغريب أن هذه الارساليات التبشيرية ترسلها حكومات قد تكافح الدين فى بلادها ، ولكنها ترسلهم الى افريقية وغيرها ، حتى يكونوا عملاء لها ، وقد ثبت مما لا يدعو للشك ، أن قسما من المبشرين عملاء للمخابرات، ودعاة للاستعمار الجديد الذى تفرضه بلادهم على الدول النامية ، كما ثبت أن الصهيونية العالمية ودولة العدو الصهيونى

(١) العدو الصهيونى : هو اسرائيل ، ولم أقل اسرائيل حتى لا يكون ذلك اعترافا ضمنيا بها ، بل أقول : دولة العدو الصهيونى .

تمول كثيرا من الارساليات التبشيرية في افريقيـة وغيرهـا ، مكافحـة للاسـلام والمسـلمين لأن انتشـار الاسلام يهدد مصالحها ويؤدي الى أن يشارك معتنقو الاسلام اخوانهم المسلمين في الوطن الاسلامي عداوتهم للصهيونية العالمية والعدو الصهيوني بشكل أو بآخر ، كما هو معلوم .

أما معتنقـو المسـيحية فيوالون الاستعمار والدول الاسـتعمارية ، وذلك الاسـتعمار وتلك الدول مرتبطان عضويا بالصهيونية العالمية وبدولة العدو الصهيوني .

لقد سافر وفد رسمي من العراق الى أقطار شرقي ووسط افريقيـة في أوائل عام ١٣٩٦ هـ ، فحـدثني أحد أعضائه : أن القائمين على نشر العربية والاسلام دينـا ، والمقاومين للدعايات الصهيونية ضـد الاسلام والمسلمين ، والمؤيدين للدول العربية ضد دولة العدو الصهيوني ، أكثرهم من خريجي الجـامعات الاسـلامية كالأزهر الشريف والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ثم تساءل هـذا العضو وهو وزير : هل تعرف شيئا عن الجامعة الاسـلامية في المدينـة المنورة ؟ .

وكنت قد نشرت قبل سـنوات بحثا عن : أهمية الدعوة الاسلامية فضحت فيه تقريرا سريا كتبه سفير أمريكي في دولة افريقية جـاء فيه : (ان عمامة في هذا البلد ، أخطر من قنبلة ذرية) .

ان الدعوة الاسـلامية لم تبـق خدمة للاسلام عقيدة وتشريعا ولغة بل أصبحت ضرورة سيـاسية دفاعا عن العرب والمسـلمين ، ومصـاولة لأعدائهم الكثيرين ، ونشرا للغة القرآن الكريم .

ـ ٢ ـ

ولكنني أحرص حرصا بالغا على فضح ما نشره قسـم من المبشرين والمستشرقين في تقاريرهم ومؤلفاتهم (ان الاسـلام بخـير في افريقية) بخاصة وفي الأماكن الأخرى بعامة ، وأنه ينتشر انتشارا كاسحا في تلك الأصقاع بدون دعاة وبغير تخطيط فعال للدعاة .

ومن المذهل حقا ، أن المسلمين صدقوا هذه الفرية ، وأخذوا يرددونها بحماسة وثقة ،ثم استناموا قريرى البال غير مكترثين بالنشاط التبشيرى بالرغم من طاقاته الضخمة ماديا ومعنويا •

وهدف هؤلاء المبشرين والمستشرقين من نشر هذه الفرية ، هو تخدير المسلمين من جهة ، واستثارة المؤسسات والدول المستفيدة من التبشير ، من جهة أخرى ليدفعوا المال الوفير دعما للمبشرين واسنادا للتبشير •

لقد اطلعت على تقرير كتبه أحد السفراء العرب ، وهو من الذين أثق بهم ثقة مطلقة وأرتضى دينهم وأمانتهم يقول السفير فى تقريره لوزارة خارجية حكومته : (انه لا اسلام فى افريقية بعد عشرين عاما ، اذا لم يحارب المبشرون بأساليبهم ، وتكون الدعوة للاسلام جدا لا هزل فيه ويكون الدعاة فى مستوى المسؤلية لهم (قضية) يؤمنون بها،ويدافعون عنها ، فهم عناصر (دعوة) لاعناصر (دعاية) وارتزاق) •

ان الفكر الاسلامى الأصيل غير واضح المعالم فى البلاد العربية والاسلامية نفسها ، فقد أصبح مشوها الى أبعد الحدود ، بفعل العصور المظلمة التى مربها المسلمون وبتأثير الاسرائيليات التى اقتحمت حرم الاسلام ، والخرافات التى شوهت مبادئه ،وترسبات الاستعمار الفكرى البغيض الذى هو أخطر أنواع الاستعمار على الاطلاق •

فما أحوج المسلمين اليوم الى دعاة من الطراز الرفيع • يفقهون الفكر الاسلامى الأصيل ويفهمون روح الاسلام الصحيح ، ويجلون عنه الصدأ والغبار ، ويعيدونه كما أنزله الله منهجا مثاليا للحياة الدنيا والآخرة !

ان حصون المسلمين تنهار فى الداخل ، فأكثر شبابنا غير متمسكين بتعاليم الاسلام ، وأكثرهم لا يكادون يعرفون عن الاسلام شيئا مذكورا • أما الفكر الاسلامى الأصيل ، فهم بعيدون عنه كل البعد، وقد قرأوا المؤلفات المريبة التى كتبها أعداء الاسلام من مستشرقين

ومستغربين (١) على حد سواء،والتى تزعم أن الفكر الاسلامى غير صالح لهذا الزمان ، أو أن الفكر الاسلامى عالة على أفكار الحضارات القديمة والحديثة والأمم الخالية ، والعصرية فصدقوا تلك المزاعم واعتبروا هذا الدس الرخيص أمـرا مسلما بـه وحقيقة ناصـعة ، ثم نام علمـــاء المسلمين عنهم ، فلم يؤدوا واجباتهم كما ينبغى الا من رحم الله ، وقليل ما هم !

وقد دأبت على حضـور مجالس شيوخنا الأجلاء ودروسهم ، لا أكاد أرى جمعا من الناس حولهم الا وانضم الى ذلك الجمع متلهفا لسماع شىء جديد ، ولكننى لم أسمع غير دروس فقهية تدور حول العبادات فقط ، أما الاسلام الحركى ، اسلام الجهاد، اسلام الفتـح ، اسلام التضـحية والفداء ، اسلام الحيـاة والمجد ، فلا أكاد أسمع عنه شيئا ذا بال !

ان الفكر الاسلامى الأصـيل ، يعانى من هجمات خارجية خطيرة ، يخطـط لهـا الاستعمار الجديد ، معتمـدا على المبشرين والمستشرقين والصهيونية العـالمية والمـاسونية والمبـادىء الهـدامة والمذاهب المستوردة ، وعلى دعاة الانحـلال الخلقى والالحاد والعلمانية وغير ذلك من أعداء الاسلام .

ولو أن غير الاسلام تعرض لهذا الضغط الفظيع والهجمات القاسية ، لسحق سحقا ولمـا بقى له أى أثر فى الوجود وأى تأثير فى التوجيـه الى الله .

ولكن الفضـل فى بقـائه صلبا شامخا ، لله ولهـذا القرآن الذى تكفل الله بحفظه ، فلله الحمد والمنة ولكتابه العزيز .

---

(١) المستغرب : العربى والمسلم الذى ينقل آثار المستشرقين الى العربية أو الى اللغات الأخرى الشائعة بين المسلمين ويلقنها طلابه وتلاميذه مبهورا بها مصدقا لها ، دون تمحيص .

ومن المؤسف حقا أن ينقل هؤلاء تلك الآراء وينسبونها الى أنفسهم ، ولو عزوها الى أصحابها لهان الأمر ، ولكنهم يسرقون ويدعوه ، فما أتفههم كتابا ومفكرين !

ولعل آثار المستشرقين التى تجزل المدح والثناء للفكر الاسلامى ، هى أكثر خطورة وضررا من آثارهم التى تكيل القدح والنقد ، لأن المدح والثناء يخدر الرأى العام الاسلامى ويلفته عن حاضره ومستقبله ، وشفاء أمراض مجتمع ما ، لا يمكن أن يتم بذكر أمجاد ماضيه فحسب ، بل بالعمل المثمر الجاد الدائب للحاضر والمستقبل .

لقد بهر الغرب المسلمين بتفوقه فى العلوم التطبيقية ، فأراد قسم من علماء المسلمين أن يقحموا آيات الذكر الحكيم فى المجال العلمى ، ليزعموا أن القرآن الكريم سبق علماء العصر فى نطاق العلوم التطبيقية وغير التطبيقية أيضا .

ان هذا التشبث يضطرنا الى شرح مشكلة الاسلام والعلم بشكل جديد، يناسب سمو الدين ومنطق العلم ، بحيث لا نبحث فى الآيات الكريمة : هل ذكر فيها شىء عن غزو الفضاء وتحليل الذرة مثلا ! وانما نتساءل : هل فى روح هذه الآيات وروح القرآن ما يعطل حركة العلم ؟ أم فى روحها وروحه ما يحث عليه ويشجعه ؟

ومن هذا المنطلق ، يجب أن نتساءل : هل يستطيع القرآن أن يخلق فى المجتمع الاسلامى المناخ المناسب للروح العلمى ، وأن يطلق فيه الأجهزة النفسية الضرورية للتقدم العلمى من ناحية وتبليغه من ناحية أخرى ؟

ولست أعرف كتابا مقدسا كرم العلم والعلماء كما كرمهما القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم : «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ! (١) .

كما أن المناخ العلمى الذى هيأه القرآن الكريم للمسلمين ، هو الذى جعلهم يقودون الحضارة العالمية قرونا طويلة ، بشهادة حتى أعداء الاسلام .

ان المواد الأولية لبناء أفكار حية ، متيسرة فى القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الاسلامى العظيم .

---

(١) الآية الكريمة فى سورة الزمر : (٣٦) .

وهـذه الأفكار كفيلـة باظهـار الشخصية الاسلامية على حقيقتها : قوية لا تضعف ، متماسكة لا تتفتت، أخلاقية لا تنفسخ ، عزيزة لا تهون، لها طابعها المميز الواضح الأصيل ، وهى كفيلة بأن تثبت أمام تيـارات الصراع الفكرى الجارف ، لأنهـا تعنى دون غيرهـا بالمـادة والروح والعقل والوجدان ، فهى لا تقتصر على المـادة وحدها ، أو على الروح وحـده ، أو على المـادة والعقـل وحدهما ، لأنها سيف وكتاب، مسجد وثكنة ، جامع وجامعة ، دنيا وآخرة، مادة وروح .

فلمصـلحة من تتخلى عن هـذه الشخصية المتميزة الباهرة ، لنتقمص شخصية غريبة عن ديننـا وتقاليدنا ووجـداننا ، شخصية شرقية مادية ملحدة ، أو شخصية غربيـة مادية مستغلة ؟

ــ ٣ ــ

ان العالم الاسلامى تخلص أو كاد أن يتخلص ــ من الاسـتعمار العسكرى ، والاستعمار السـياسى والاسـتعمار الاقتصادى ، ولكنه لا يزال يرزح تحت أثقال الاستعمار الفكرى ، ذلك الاستعمار المتمثـل فى الحضارة الغربية ، وهى حضارة مسيحية كما هو معروف .

لقد ضاعت معالم الشـخصية الاسلامية فى خضم هذه الشـخصية الغربيـة المسيحية ، لأن المسـلمين عاشوا فى فراغ فكرى ردحا طويلا، فتسربت اليهم حضـارة الغـرب المسيحية وحضارة الشرق الالحادية أيضا بشتى الوسائل لتملأ هـذا الفراغ .

ان الأفكار الاسلامية الحية ، هى التى تعيد للمجتمع الاسلامى مكانته المرموقة ، لأن ما يصيب أى مجتمع من نكبات يكون من جراء ضحالة أفكاره ، لا من جراء قلة أشيائه .

لا بد من وضع الأسس الاسلامية الرصينة فى المجتمع الاسلامى الضائع بين حضارة الغرب وحضارة الشرق، بحيث تكون هـذه الأسس منهجـا كاملا للحياة ، باستطاعته مصـاولة الصراع الفكرى الرهيب .

ولا بـد مـن تقنين الشريعـة الاسـلامية (١) الغراء ، بحيث تبز القـوانين الوضـعية الحديثة وتنقذ المسـلمين من فجور تلك القوانين الكافرة المستورة .

والسـبيل الى ذلك هو تعـاون السلطـات الحاكمـة مع العلمـاء ، العاملين المخلصين والالتزام بالشريعة الغراء نصا وروحا .

ان السلطات الحاكمة مطالبةاليوم بتدارك المجتمع الاسلامى فى التميع والانهيار ،فليس من المعقول أن تبيح الخمور والزنى الربا بلادو فى اسلامية دينها الاسلام !

ولقد سجل التاريخ صفحات باهرة للحكام الذين وحدوا من أجل الجهاد، وجاهدوا من أجل التوحيـد ، حين نسيت السلطات التى فكـرت فى مصالحها الذاتية وتنكرت لمصـالح شعوبها والاسلام ، وما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى .

والعلماء اليوم مطالبون أن يتخذوا من العلم (عبادة) ، كما فعل السلف الصالح من علمـاء المسلمين ، وألا يتخذوه (تجارة) كما فعل العلماء الذين نسوا الله فنسيهم .

وليس كل من درس علوم الدين يعتبر عالما . فالعالم فى نظرى لا بد من أن يكون متينا فى علمه ، عاملا بعلمه ، مخلصا فى عمله ، محافظا على كرامة العلماء ، معتبرا العلم (عبادة) من أجل العبادات .

أما الذى درس العلم للارتزاق ، فهو تاجر علم لا عالمـا عقديا .

ان التاريخ يذكر بمزيد من التقدير والاعجاب ، جهود الخليفة الأموى عمر بن عبد العـزيز رضى الله عنه فى نشر الاسلام وتطبيق تعاليمه بأمانة واخلاص .. فقد نقص خراج مصر فى عهده لدخول الأقباط فى دين الله أفواجا ، فاقتـرح والى مصر على الخليفة : ألا يعفى الذين يدخلون الاسلام من الجزية ، ولكن الخليفة

(١) تعمل لجنة خاصة باشراف مجمع البحوث الاسلامية فى مجال تقنين الشريعة الاسلامية وقد قطعت شوطا فى هذا التقنين ، وأسجل هذه المفخرة لهذا المجمع العظيم .

الورع أبى أن يجيب هــذا الوالى الى طلبه قائلا : « ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا » •

ولا تزال هذه الكلمة ترن فى سمع الزمن حتى اليوم وستبقى •

وعين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سـنة مئة الهجـرية اسماعيل ابن عبدالله واليا على شمالى افريقية، وبعث معه عشرة علماء ليفقهوا البربر فى أمور دينهم ، ولا يزال التاريخ يذكر هــذا العمــل الدينى بأعظم التقدير •

وقد أوفــد عمر بن عبد العزيز الدعاة الى (الســند) التى فتحها محمد بن القاسم ، فاستجاب كثير من زعماء السند لدعوة الخليفة التقى الورع، ودخلوا فى دين الله أفواجا•

وما يقال عن (السند) يقال عن بلاد ما وراء النهر (نهــر سيحون ونهر جيحون)، فقد استجاب كثير من أهلها للدعاة ودخلوا فى دين الله أفواجا •

وقد امتاز عهــده بحركة تحول واسعة النطاق الى الاسلام ، فنظم حركة ملؤها الحماسة فى نشر الدعوة، وقــدم للشــعوب لونا من ألوان التشجيع ، حتى انه كتب الى ملك الروم (ليــو) الثالث يدعوه الى الاسلام ، وألغى الضرائب التعسفية المفروضــة على المســلمين وغــير المسلمين •

ولم يقتصر تقــدير خدمات عمر ابن عبدالعزيز على المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور، بل جاوز تقديره الى المؤرخين المسيحيين ، فقد كان أحــدهم حين يذكر هــذا الخليفة الصــالح يتبع اسمه دائما بتعبير : رضى الله عنه •

لقــد أمضى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى الحكم أقل من ثلاث سنوات ، ولكنه شغل المؤرخين فى أيامه ومن بعده أيضــا ، لأنه كان مؤمنا حقا ، وكان ايمانه (ايجابيا) فنشر دعوة الله شرقا وغربا ، فرفع الله ذكره فى كل مكان وزمان •

وعاش فى عهده علماء كثيرون من التابعين، ولكن الذين تفرغوا للدعوة لا يزالون وحدهم يذكرون بالاجلال والاكبار ، ولا تزال آثارهم باقيــة حتى اليوم •

فما أحرى أن يكون عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مثالا يحتذى به أصحاب السلطان من العرب والمسلمين اليوم وغدا . وما أحرى أن يكون علماء عمر بن عبد العزيز الدعاة رضى الله عنهم مثالا يحتذى به علماء الدين العرب والمسلمين اليوم وغدا .

— ٤ —

ان الطريق أمام العاملين المخلصين للعودة الى الاسلام عقيدة وتشريعا فى الداخل ، ونشره بين الناس فى الخارج ، مفتوح على مصراعيه .

والعرب والمسلمون مطالبون بحق الله عليهم فى الدعوة الى دين الله ، فقد أنعم الله عليهم بخيرات هائلة ، حتى أصبح العرب بخاصة أغنى أمة فى الأرض . فمن حق الله عليهم أن يشكروه بالدعوة عملا لا بالكلمات ، وهذا الشكر العملى هو بالعودة الى الاسلام من جديد ، ونشره فى الخارج لاعلاء كلمة الله .

ان الانحراف عن الاسلام فى الداخل له نتيجة حتمية واحدة هى: انهيار الحكومات وتفشى الفتن والاضطرابات ، وتدفق الدماء البريئة وغير البريئة أنهارا ، وصدق الله العظيم : « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال » .

وسنة الله الخالدة ، كما نص على ذلك القرآن الكريم ، اذا هجرنا الاسلام وتنكرنا لتعاليمه ، أن يستبدل بنا غيرنا ، ثم لا يكونوا من أمثالنا .

انى أنذر وأحذر ، فهل من سميع مجيب ؟ ! .

ان حانات الخمور ونوادى الميسر وعلب الزنى وصالات الرقص والرقوق الخليعة متفشية فى البلاد العربية والاسلامية .

فاذا طولب الحكام بايقاف هذه المباذل التى تناقض ما أمر الله به ، قالوا : اننا بحاجة ماسة الى العملة الصعبة .

وجاءت تلك العملة بارادة البشر ، ولكن ارادة رب البشر بعثت دودة القطن فى بلد ، وانشبت القلاقل والفتن فى بلد آخر ، فذهبت العملة الصعبة الحرام ، وخسرت البلاد أضعاف أضعافها .

كما أن أكثـر الدول العربيــة والاسلاميةالتى لا تتقيد بشريعةالله، فقدت الأمن والاطمئنان ، وأصبح الحكم فيها غير مستقر ٠

ولم تدخل التعليم الدينى الالزامى فى مدارسها ومعاهـدها وكلياتها ، فحصـل فـراغ فكرى فى رءوس أبنائها ، فملأوه بالمبـادىء الوافدة والأفكار الهدامة ٠

وقلدنا الغرب والشرق فى مأكلنا وملبسناوسلوكنا ، فذابت شخصيتنا الاسلامية واندثرت معالمها ، فأصبح المسلمون يحملون هذه الصفة اسما وهم بالحقيقة فى حضارتهم نصارى أو ملحدون لأن الحضارة الغربيــة مسـيحية ، والحضـارة الشرقيــة ملحدة ٠

وتزعزع نظام الأسرة الاسلامية فأصبحت فتياتنــا لعبا ، وفتياننــا خنافس ، الا من أدركه الله برحمته

ولست أقصد بالحضارة الشرقية والغربية ، ما جاء فيهــا من علوم تطبيقية وعلوم نظرية ، فهذه يتحتم علينا تعلمها واتقانها ٠

ولكننى أقصد بالحضارة الشرقية والغربية ، القســم الخاص منهــا بالسـلوك والأخـلاق والعقيدة ، فلدينــا من تعاليم ديننا وتقاليـدنا العريقة ما يغنينا عن الحضـارات المستوردة فى هذا المجال ٠

ان العودة الى الاسلام بمــا فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء يعيد الينا مكانتنا بين الأمم ويصون حقوقنا ، ويجعل منا أمة لا تقهـر أبدا ٠ كما يعيد الى بلادنا الأمـن والاطمئنان والرخاء والسعادة والى المسلمين الشخصية الاسلاميةالمتميزة والى أفرادنا نسـاءا ورجالا الخلق الكريم والسـلوك الرفيـع ، والى الأسرة الاسـلامية التماسك والقوة والتعاطف والشرف ٠

أما الدعوة الى الاسلامفى الخارج فتجعل للمسلمين اخوانا يشاركونهم فى السراء والضراء وحين البأس ، ويجعل من المسلمين الجدد حلفـاء طبيعيين للمسلمين يتبنون أهـداف المسلمين المشروعة بأمانة واخلاص٠

ان الدعوة الى الاسـلام واجب دينىبنص القرآن والحديث،وواجب وطنى لأن الذى يصبح مسلما يدافع عن حقوق المسلمين بحماسة ويعتبر لغة القرآن لغة مقدسة ٠

والدعوة الى الاسلام واجب انسانى ، لأن الاسلام رفع من قيمة الانسان وكرمه ، ويهدى للتى هى أقوم ، ويقتلع الشر من جذوره ، وينشر الفضيلة والطهر والمحبة والسلام، ويقضى على عوامل الفساد، ويكرم بنى آدم فى الدنيا والآخرة .

فمن سيكون خليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الحكام المسلمين فى القرن العشرين ؟

ومن سيكون من علماء المسلمين خليفة دعاة عمر بن عبد العزيز فى القرن العشرين ؟

وصدق الله العظيم : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوهم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيهاخالدون)[1] .

— ٥ —

ولكى نضع الأمور فى نصابها ، لا بد من ذكر مقترحات لنشرالدعوة داخليا وخارجيا .

اولا : فى الداخل :

(ا) لاينبغى أن تقف الحكومات الاسلامية متفرجة ، وهى ترى آثار الاستعمار الفكرى تخرب عقول المواطنين وقلوبهم ، فلابد من وقوفها موقفا حازما ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن .

(ب) واذا وقفت الحكومات الاسلامية موقف المتفرج ، فلابد للآباء أن يصونوا أهليهم من الانحراف ، ورب العائلة الذى يتهاون فى واجباته التربوية خائن وجبان : خائن لأن أهله أمانة فى عنقه ، وجبان لأنه لا يستطيع توجيههم الى حيث أمر الله .

(ج) على الحكومات الاسلامية تطهيرأجهزة اعلامها المسموعةوالمرئية والمكتوبة فى كل ما يدعو الى التفسخ والانحلال ، فقد بلغ السيل الزبى، ولا أزيد .

(د) على الحكومات الاسلامية أن تدخل الدين فى التعليم ، وأن تطهر كتب التدريس من كل مايتناقض مع الدين الحنيف .

(هـ) على الحكومات الاسلامية أن تطبق الشريعة الغراء فى محاكمها وتنصر حدود الله على المنحرفين .

---

(١) الآية الكريمة من سورة يونس (٢٦) .

(و) من الضرورى تخصيص مبالغ جسيمة من ميزانية الحكومات الاسلامية للدعوة فى الداخل والخارج ، وأن تنشأ كليات للدعوة تخرج الدعاة العاملين المخلصين •

(ز) على الحكومات الاسلامية الاتفاق على تشكيل هيئة الدعوة العالمية لارسال الدعاة وتنسيق مهام الدعوة ووضع مناهجها وتنفيذها ، وتشكيل صندوق الدعوة لدعم الدعوة والدعاة ماديا •

ثانيا : فى الخارج :

(ا) من الضرورى اختيار الدعاة الذين يمكن أن يكونوا أسوة حسنة وقدوة لغيرهم ، وأن تكف الحكومات والمؤسسات الاسلامية عن اختيار المرتزقة ، الذين يهمهم جمع المال أكثر من نشر الاسلام، واعمار الجيوب أكثر من اعمار القلوب •

(ب) على المؤسسات الدينية المعنية بالدعوة ، أن تكون مؤسسات (دعوة) لا مؤسسات (دعاية) ، وأن تعمل فى مجال الدين ولا تعمل فى مجال السياسة ، وأن تخصص أموالها لمعالجة القلوب لا لاملاء الجيوب •

(ج) على المؤسسات الدينية التى لها نشاط خارجى فى الدعوة ، أن تحارب المبشرين بنفس سلاحهم ، بالعيادات والمستشفيات السيارة والمستشفيات الثابتة والمستوصفات وبالمدارس والمعاهد والجامعات ، وبالمعسكرات والمخيمات •

(د) على الحكومات الاسلامية أن تنسق جهودها فى مجال الدعوة، فتعقد مؤتمرا لوزارة الأوقاف لغرض تنسيق تلك الجهود ، وجعل هيئة الدعوة العالمية مسئولة عن الدعوة فى الخارج ، كما هو الحال فى مجلس الكنائس العالمى الذى يشرف على ارساليات المبشرين ، وكما هو الحال فى هيئة (الفاتيكان) فى روما •

ويجب أن يسند الدعاة سياسيا من الحكومات الاسلامية ، حتى لا يصبحوا معرضين لأخطار الطرد والاضطهاد والسجن والتعذيب•

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ويجعله خالصا لوجهه الكريم •

وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله •

محمود شيت خطاب

الكتاب الذى لا أنسى فضله

للعلامة أبو الحسن الندوى

أتحدث اليوم عن كتاب كانت منته – ولا تزال – عظيمة علىّ وانى دائم الترحم على صاحبه العظيم الذى أتحفنى عن طريق هذا الكتاب بمنحة هى أغلى الأشياء عندى بعد الايمان ، بل هو جزء من أجزاء الايمان ، وهو كتاب « سيرة رحمة للعالمين » لمؤلفه القاضى محمد سليمان المنصور فوزى رحمة الله عليه ، ولهذا الكتاب قصة عجيبة !

لقد كان أخى الأكبر (١) – وهو الذى تولى تربيتى وتثقيفى بعد وفاة أبى – وقد توفى وأنا فى التاسعة من عمرى – موفقا كل التوفيق فى اختيار الكتب التى كان يحب أن أطالعها فى صغرى ، فقد قدم الىّ فى أول ما قدم كتاب « سيرة خير البشر » لمؤلف هندى ، وكان حريصا على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر فى تكوين السيرة والعقيدة والخلق وغرس الايمان ، ولقد نشأت لذلك على حب كتب السيرة والحرص على اقتنائها ومطالعتها .

وقع بصرى مرة على اسم كتاب « رحمة للعالمين » وكنت كثير النظر فى الفهارس واعلانات الكتب ، وأرسلت طلبا لهذا الكتاب ، وكان قد طبع منه جزءان ، تقصر ميزانيتى الصغيرة – وأنا فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرى – عن شرائه ، ولكن الصغار – خصوصا فى العصر الذى أتحدث عنه –

(١) هو الدكتور السيد عبد العلى الحسينى مدير ندوة العلماء فى لكنؤ الهند – توفى فى ٢٨ ذى القعدة عام ١٣٨٠ هـ .

لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد ، انما ينساقون مع الغرائز والعواطف ..

وجاء ساعى البريد وهو يحمل هذا الكتاب فى ما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة ورأيت أننى لا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب وأدفع ثمنه واعتذرت أمى — بارك الله فى حياتها — مع حرصها على ارضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود ، لأنها لم تكن تملكها فى ذلك الحين .

ورأيت فلم أر لى مساعدا وشفيعا فى هذه المهمة الا الشفيع الذى طالما لجأ اليه الأطفال ، وعرفوا أن شفاعته لا ترد ، ذلك الشفيع الذى لجأ اليه سيدنا عمير بن أبى وقاص الصغير ، فقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم شفاعته وأجازه للقتال فى بدر ، ذلك شفيع الدموع والبكاء البزىء الذى لا يزال وجيها مسموعا عند الله وعند عباده الصالحين .

وكذلك كان ، فقد رق لذلك قلب أمى الحنون ، واجتهدت فى دفع قيمة الكتاب والحصول عليه ، وأخذت الكتاب ..

بدأت أقرأ الكتاب،وبدأ الكتاب يهز قلبى ، وليست بهزة عنيفة مزعجة ، انما هى هزة رقيقة رفيقة ، وبدأ قلبى يهتز له ويطرب ..

وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التى ألفت فى حياة الأبطال والفاتحين الكبار وبين هذه الكتب التى ألفت فى سيرة الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم — فالأولى هزة تغير على القلب وتزعجه ، والثانية هزة تنبعث من النفس وتريحها ..

وبدأت تتجاوب نفسى لهذا الكتاب وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد ، وشعرت فى أثناء قراءتى لهذا الكتاب بلذة غريبة ، انها لذة تختلف عن جميع اللذات التى عرفتها فى صغرى — ولم أزل مرهف الحس قوى الشعور — فلا هى لذة الطعام الشهى فى الجوع ، ولا هى لذة اللباس الجديد فى يوم العيد ، ولا هى لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية والاشتغال المرهق،

ولا هى لذة الانتصار والظفر فى المباراة ، ولا هى لذة زيارة صديق قديم أو زائر كريم ، انها لا تشبه لذة من اللذات انها لذة أعرف طعمها ولا أستطيع وصفها ، وأعترف أنى لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة وأعبر عنها بكلمة ، ان غاية ما أستطيع أن أقول انها لذة الروح وهل الأطفال لا يحملون الأرواح ؟ ولا يشعرون باللذة الروحية ؟ بلى والله ! بل ان الاطفال أشف روحا وأصح شعورا ، وان عجزوا عن التعبير ..

كنت أقرأ فى هذا الكتاب المعجب المطرب خبر من كان يسلم من قريش فتنهال عليه أنواع العذاب فكان يحتمل كل ذلك فى ثبات وصبر بل فى لذة وسرور ، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء ، وكثير ممن يعدون فى الحياة سعداء ، وهو أن تضرب على الحق وتضطهد فى عقيدة وتهان فى سبيل الدعوة ، وأن هذه اللذة لا تعدلها لذة القوة والظفر والحكم ، ورأيت نفسى تتمنى أن تسعد بهذه اللذة وبهذه الكرامة ولو مرة فى العمر ..

وقرأت قصة مصعب بن عمير وكان مثال الترف والأناقة فى اللباس والبذخ فى المعيشة وهو فتى قريش الناعم ، يخرج بمكة وعليه ثياب تقوم بمائة من الدراهم ، ويتبعه الغلمان ويصبح حديث الوادى ، ثم يضع يده فى يد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيخرج من كل هذا النعيم والترف ويتخشن فى اللباس ويتقشف فى المعيشة ، وقد يضطر الى أن يمسك رداءه بشوك السمر ويدمع هذا المنظر عين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، ويذكر ما كان عليه مصعب من رقة المعيشة ونعومة الحياة ، ويقتل فتى الفتيان فى أحد فلا يخلف الا كساء اذا غطى رأسه به انكشفت رجلاه ، واذا غطيت رجلاه انكشف رأسه ، فيقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غطوا رأسه وضعوا على رجليه الاذخر .

قرأت هذه القصة ، فسلكت قلبى وأسرت نفسى وعرفت أن وراء العيش الناعم واللباس الفاخر ، والطعام الأنيق والقصر الشامخ حاجة تقاصرت عنها همم الأثرياء والملوك ولذة جهلها أصحاب الشهوات والمعدات ، ورجعت الى نفسى فوجدتها تطمح الى هذه الحاجة وترغب فى هذه اللذة ، ووجدتها أكثر اجلالا لهذه الحقيقة منها لملابس الأغنياء والمظاهر الجوفاء .

وقرأت قصة الهجرة النبوية ، قصة لا أعرف أنى قرأت قصة أكثر تأثيرا وأجمل تصويرا من هذه القصة التى يحكيها المؤلف ، فى صدق وبساطة ، يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وقد تعلقت به القلوب وطمحت اليه الأبصار ، وتتقدم قبيلةقبيلة وتقول فى صدق واخلاص يا رسول الله ، هلم الينا الى العدد والعدة والمتعة ، فيقول ــ فداه أبى وأمى ــ خلوا سبيلها « أى الناقة » فانها مأمورة، ثم تبرك على باب مسجده اليوم وتأبى أن تقوم ويأبى الله الا أن يكون هذا الشرف الذى ليس فوقه شرف الا لأبى أيوب الأنصارى ، فيحتمل أبو أيوب رحله فيضعه فى بيته ، وأقرأ سرور أبى أيوب بهذه الكرامة التى ساقها الله اليه واخلاصه فى ضيافته أقرأ كل هذا وأجد قلبى قد تركنى ورافق ناقة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيدخل فى ركابه المدينة وأجد كأنى أشاهد كل ذلك بعينى ، وأجد أن كل ما قرأت أو سمعت من دخول الملوك والفاتحين والعظماء والأغنيا قد تضاءل واضمحل وأن كل ماعرفته من حب واخلاص من رجل لرجل قد ذاب وغاب واتسم هذا المنظر فى نفسى وفى ذاكرتى .

وقرأت قصة أحد ، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها وأغرب منها وأجمل منها فى الوفاء والاخلاص والبطولة ، والايمان واليقين والخلق الكريم ، وقد هز قول أنس بن النضر رضى الله عنه للذين جلسوا وألقوا بأيديهم وقالوا : قتل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : فماذا

تصنعون بالحياة بعده ، موتوا على ما مات رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقول القائل .... انى لأجد ريح الجنة من دون أحد ، والذى كانت أمنيتـه الأخـيرة أن يصل الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى آخر عهـده بالدنيا فحملوه اليـه وهو يجود بنفسه ولفظ نفسه الأخير بين قدمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكيف ترس أبو دجانة رضى الله عنه بنفسه دون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقع النبـل فى ظهره وهو منحن عليه ، الى غير ذلك من أحاديث الحب والتفانى ، وهـكذا أتابع قراءتى لهذا الكتاب ، وقـد يغلبنى البكاء فأبكى ، وقد تملكنى السرور والطرب فأطرب ..

ان الحسنة التى لا أنساها لهذا الكتاب وصاحبه المخلص ، أنه أثار فى قلبى كامن الحب الذى لا لذة فى الحياة بغيره ، و لاقيمة للحياة بغيره ، وقد صدق الشاعر الفارسى(١) حيث قال : « قاتل الله ذلك اليوم الذى مضى ولم أذق فيه لذة الحب ، ولا بارك الله فى الساعة التى مضت ولم تهب فيهـا نفحـة من نفحات الحب ، وسحقا للحياة اذا قضيتها كلها فى تحكيم للعقل والخضـوع للمنطق .

بل ان الحب هو محصول الحياة ولب اللباب ، وقد أجاد القائل الذى يقول (نظرت فى هـذا العالم فاذا هو بيدر (٢) واسع ونظرت فيه فاذا « الحب » هو الحب الوحيد وكل ما عداه فهو تبن وحشيش ، وهشيم وحصيد) .

هذا هو « الحب » الذى امتاز به من امتـاز من الأبطـال ونوابغ الرجال والعبقـريين بين أقرانهـم وأمثالهم ، وعاش به من عاش من الضـعفاء وأوساط النـاس وخلف آثارا عجز عن انتاجها أقوى الرجال وأغناهم ، وملـكه الرجال فقهروا الأمم وملكته الأمة فقهرت العالم .

هذا هو « الحب » الذى أفلست فيه هـذه الأمة فى العهد الأخـير

---

(١) هو شاعر الفارسية البارع الأمير خسرو .
(٢) البيدر الموضع الذى يجمع فيه الحصيد ويداس .

فملكت مالا طائلا وعلما واسعا وجاها عريضا ودولا كثيرة ، ولكنها أفلست فى « أكسير الحياة » فأصبحت جسدا ميتا تحمله الحياة على أكتافها ..

هذا هو « الحب » الذى كان أعظم الطبقات افلاسا فيه الطبقة العصرية المتعلمة فى هذه الأمة ، فكانت أجوفها روحا ، وأضعفها مقاومة ، وأخفها وزنا وأكدرها حياة وأضلها عملا ..

وشكرا لهذا الكتاب وصاحبه ، لأنه أثار فى نفسى كامن الحب وحركه ، وشكرا على أنه وجه هذا الحب المنبعث ، المتحرك الى من يستحقه بما فطر عليه من معانى الحسن والاحسان ، ومعجزات الجمال والكمال ، الذى لم يخلق الله فى هذا الكون ـ وهو الخلاق المبدع ـ أجمل منه سيرة وصورة ، وأقوم منه خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ..

ان مصيبة هذه الأمة البائسة أنها قطعت صلتها عن القلب وحرمت لذة الحب ، وقد صدق شاعر الاسلام محمد اقبال اذ قال :

(ان كارثة المسلمين فى هذا العصر أنهم يحملون القلوب ولا يعرفون المحبوب أنهم يملكون مادة الحب ، ولا يعرفون من يشغلونها به ويوجهونها اليه) .

سلام عليك يا سليمان ، لقد وجدت فى كتابك نعمتين لا أعدل بهما نعمة بعد نعمة الاسلام ، انما هما الحب الطاهر ، ونعمة هدفه الصحيح ويا لها من نعمة (١) .

ابو الحسن الندوى

---

(١) مقال نشرته مجلة « البعث الاسلامى » التى تصدرها ندوة العلماء فى لكنؤ الهند ـ وهى حلقة من سلسلة الكتب التى عشت فيها ، كتبها المؤلف لهذه المجلة .

طريق النجاة

للأستاذ العلامة أبو الأعلى المودودى

— ٣ —

انكم اذا أمعنتم النظر فى هذه القضية بحب واهتمام ، فلابد أن تجدوا لفساد حياتكم مبعثا آخر عدا الجهل .

ان مقدارا يسيرا من العقل كاف لتدركوا : أن ليس الانسان عبارة عن فرد أو أسرة أو أمة ، بل الناس كلهم من أى جنس كانوا أو الى أى أرض ينتمون أناس على كل حال ولهم جميعا حق الحياة ، ومن حقهم جميعا أن تتحقق لهم حاجاتهم ، ومن حقهم جميعا أن يتمتعوا بالأمن والعدالة والعز والكرامة . فان كانت « الرفاهية الانسانية » عبارة عن شىء فما هى بعبارة عن رفاهية فرد أو أسرة أو أمة مخصوصة ، وانما هى عبارة عن رفاهية أفراد الانسانية كلهم أجمعين ، والا فليس لكم أن تقولوا ، اذا كان فرد منهم فى الرفاهية وكان عشرات منهم فى البؤس : ان الانسان سعيد . كما أن السعادة اذا كانت عبارة عن شىء فما هى بعبارة عن سعادة فرد أو طبقة أو أمة مخصوصة ، وانما هى عبارة عن سعادة أفراد الانسانية كلهم أجمعين ، وليس لكم أن تقولوا ، اذا كان فرد منهم سعيدا ، وكان عشرات منهم أشقياء ، ان الانسان سعيد .

اذا صح هذا ، فتفكروا : كيف وبأى طريق يمكن أن تتوفر السعادة والرفاهية الانسانية ؟ ولا سبيل لحصولها فى نظرى الا اذا تولى وضع نظم الحياة الانسانية من كان أفراد الانسانية كلهم متساوين فى نظره كأسنان المشط ، ولا يقرر الحقوق لهم جميعا الا من كان فوق كل غرض شخصى ولم يكن مشغوفا

بأغراض فرد أو أسرة أو طبقة أو بلد أو أمة بصفة مخصوصة ، ولايطيع الجميع الا من كان لا يخطىء فى اصدار أحكامه لجهل ولا يستغل سلطات الحكم والسيادة استغلالا جائرا انجرافا وراء الأهواء ولاكان عدوا لهذا وصديقا لذلك أو مناصرا لهذا ومعارضا لذاك ، ومائلا الى هذا ومتذمرا من ذاك .. لا يمكن أن تقوم العدالة فى الأرض الا هكذا ، ولا يمكن أن ينال كل أفراد الانسانية وكل أممها وشعوبها وكل عناصرها وطبقاتها حقوقها الا هكذا ، ولا يمكن أن يزول الظلم والعدوان عن وجه الأرض الا بهذه الطريقة ..

اذا صح ما قلت ، فانى أسألكم: هل من الممكن أن يوجد فى الدنيا انسان نزيه كهذا ، ومحايد كهذا ونظيف كهذا ، وبرىء من كل مواطن الضعف الانسانى كهذا ؟ فلعل أحدا منكم لن يتجرأ على أن يجيب عن سؤالى هذا بالاثبات .. اذ ليس هذا الا من شأن الله جل وعلا ، وما لأحد غيره أن يشاركه فيه .

أما الانسان ، فمهما كان بالغا من العظمة والقوة لا يخلو عن أغراض شخصية ومصالح ذاتية ، ويربطه بأحد من الناس ما لا يربطه بأحد غيره ، وهو يحب أحدا من الناس ويبغض غيره . فهذا الضعف البشرى ، من المستحيل أن يكون أحد من أفراد الانسانية بريئا منه بحال ومن هنا فان البلاد التى‌تطبق فيها القوانين الوضعية دون قانون الله ، ويتبع أهلها أحكام البشردون أحكام الله ، ويوجد فيها الظلم والجور والعدوان بصورة من الصور ..

انظروا الى هؤلاء الملوك وأفراد البيوتات الملكية الذين خصوا أنفسهم بحقوق امتيازية قسرا ، وقد جعلوا لأنفسهم من العز والكرامة والمكانة الرفيعة وموارد الدخل والحقوق والسلطات مالا يشاركهم فيه أحد من غيرهم . فهم فوق القانون ولا يجوز أن تقام عليهم دعوى ، ولهم أن يفعلوا ما شاءوا وشاءت أهواؤهم ، اذ لا يحل لأحد أن يرفع أمرهم الى المحكمة ولا لأية محكمة أن تأمرهم

بالمثول لديها للدفاع عن أنفسهم . وأن الدنيا كلها تشهد أنهم يخطئون ولكن مما يقوله القائلون ويؤمن به المؤمنون : « ان الملك منزه من الخطأ وأن الدنيا كلها تشهد أنهم أناس كغيرهم خلقوا من لحم ودم كأى فرد من أفراد البشر الا أنهم يفرضون أنفسهم آلهة لغيرهم يجلسون فوقهم جميعا والناس يقومون أمامهم مكتوفى الأيدى خاضعين فزعين كأنهم هم الذين بأيديهم رزقهم وحياتهم ومماتهم ، انهم يمتصون دماء رعاياهم وينهبون أموالهم بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة ثم يبذرونها تبذيرا فى ما يتخذون لأنفسهم من القصور والمراكب وأدوات الترف والزينة والتفرج ، حتى أن كلابهم لتتناول من ألوان الطعام والشراب مالا يناله الرعايا الذين يدفعون اليهم الضرائب من مكاسبهم . فهل هذا عدل ؟ وهل هذا طريق يكون من سنة عادل ، حقوق جميع البشر ومصالحهم فى نظره متساوية ؟ وهل يرجى من هؤلاء أن يضعوا للانسانية وأفرادها قانونا يقوم على مبادىء الحق والعدالة ؟

انظروا الى هؤلاء البراهمة ومشايخ الطرق .. انظروا الى هؤلاء الأمراء الأغنياء والمترفين والمرابين. انظروا الى أصحاب المصانع الكبيرة وملاك الأراضى الواسعة الشاسعة .. كل هؤلاء يعتقدون أنفسهم أنهم فوق عامة أفراد الانسانية ، ومن هنا فان كل ما وضع فى الدنيا من القوانين والشرائع تحت نفوذهم وسلطانهم ، يعطيهم من الحقوق مالا يعطيه لعامة الناس كأنهم أطهار وغيرهم أنجاس ، وهم أشراف وغيرهم أراذل ، وهم أعلون وغيرهم أسفلون ، وهم لينهبوا ويسلبوا وغيرهم لينهبوا ويسلبوا ، ويضحى فى سبيل أهواء نفوسهم بكل شىء من نفوس عامة الناس وأموالهم وأعراضهم . فهل من الممكن القول بأن هذه الضوابط قد وضعها منصف ؟ أو لاترون فيها الأثرة والانحياز بصراحة ؟ أو من الممكن أن يتم وضع قوانين عادلة فى مجتمع يسيطر عليه أمثال هؤلاء؟

انظروا الى هـذه الأمم الحاكمة التي قد استعبدت أمما غيرها معتمدة على ما لديها من القوة فأى قانون من قوانينها وأى نظـام من نظمها لا تسرى الأثـرة فى عروقـه ؟ ان أفرادها يعتبرون أنفسهم أناسا من الدرجة العليـا ، بل يعتقدون أنهم هم الناس دون غيرهم . أما أفراد الأمم الضعيفة فمـا هم فى نظرهم أناس بمعنى الكلمة ، وان كانوا فمن الدرجة السفلى . لأجل هذا فانهم يعتقدون أنفسهم فوق غيرهم من كل جهة ، ويرون من حقهم أن يضحوا فى سبيل أغراضهم بمصالح غيرهم. وهذا اللون موجود فى كل ما تم وضعه فى الدنيا من القوانين وواقع تحت نفوذهم وتأثيرهم .

هـذه نبذة يسـيرة من الأمثلة ذكرتها لكم على سبيل الاشارة . ولا يسمح المقام بذكر التفاصيل ، وكل ما أريد بيانه لكم والقاءه فى روعكم هو أن الانسان حيثما نصب نفسه للقيام بعملية وضع القـانون فى الدنيا ، فان الجور والظلم قـد حصل فعلا ولم يكن من حصـوله بد ، فمن النـاس من قـد أعطوا أكثر من اللازم من حقوقهم المشروعة ومنهم من لم يحرموا من حقوقهم المشروعة فحسب بل لم يدخر جهد فى حطهم عن مستوى الانسـانية ويرجع السبب فى ذلـك الى ما فى الانسان من ضعف ، وهـو حين يتصدر للقضـاء فى أمر ما تتجاذبه مصالح ذاته أو أسرته أو سـلالته أو طبقته أو شعبه أو أمته ، ولا يجد فى قلبه من العطف والرعاية مايجد لنفسه وذويه أثنـاء تقرير الحقوق وتحديد المصالح .

فقولوا لى بالله، هل ثمة من علاج لهذا الظلم والعدوان غير أن نضرب عرض الحائط بكل ماوضع الانسان من القوانين والنظم للحياة الانسانية ونصبح لانؤمن الا بقانون الله الحى القيوم الذى لا يفرق بين انسـان وانسان ، وان كان ، فانما هو باعتبار أخلاقه وأعمـاله لا باعتبار جنسـه أو طبقته أو قوميته أو لونه .

كيف السبيل الى السلام ؟

سادتى وأخواتى : ان هذه القضية لها ناحية أخـرى لا أبيح لنفسى أن أصرف عنهـا النظر : مما لا يخفى عليكم أن هناك أمرا وحيـدا هو الذى بامكانه أن يضع حدا لجماح

الانسان وشراسته فى هذه الدنيا ألا وهو شعوره بما عليه من التبعة والمسئولية . فان أيقن شخص فى هذه الدنيا بأن له أن يفعل مايشاء وليس هناك من يسأله عما يفعل ولا هناك فوقه قوة تعاقبه على مايفعل فلا جرم ، لن يكون ثمة حد لجماحه وشراسته . وكما أن هذا صحيح فى مايتعلق بفرد ، فانه صحيح كذلك فى ما يتعلق بأسرة أو أمة أو سكان الأرض جميعا . وذلك أن أسرة ما حين تطمئن بأن ليس لأحد أن يسألها عما تفعل ، تتعدى حدودها المشروعة وتأبى أن تقف عند حد من الحدود وان طبقة كذلك حين تأمن على على نفسها كل مسئولية واستجواب، لا يرد عنها شىء من ظلم الآخرين والاعتداء على حقوقهم ، وأن أمة أو دولة حين تجد نفسها قد بلغت من القوة والعظمة حيث لاتخاف على نفسها مغبة اعتداءاتها تشرع فى افتراس من حولها من الأمم الضعيفة كما يفترس من الذئب الغنم فى الغابة . وهذا من أهم أسباب ما يوجد فى الدنيا اليوم من القلق والاضطراب . فما دام الانسان لايؤمن بأن هناك فوقه من لا بد أن يسأله عن أعماله وتصرفاته وأنه قوى قادر على معاقبته ، من المحال البتة أن ينغلق فى الدنيا باب الظلم ويسودها الأمن والسلام الصحيح .

وقولوا لى الآن: أى قوة غير قوة رب العالمين من الممكن أن تكون قوة رادعة كهذه؟ أما أبناء البشر أنفسهم فمن المحال أن يكون أحد منهم بالغا هذه الدرجة من القوة ، لأن كل انسان ــ فردا كان أم طائفة ــ تنزلونه هذه المنزلة ، من الممكن أن يتحول هو نفسه الى حر طليق لايعرف لأعماله ولتصرفاته حدا، ولا يؤمن منه أن يصير هو نفسه أكبر فرعون فى الأرض، ولا يستبعد منه أن يستخدم دواعى الأثرة والانحياز ليرفع أناسا ويضع آخرين . لقد ألف الغرب عصبة الأمم لمعالجة هذه المعضلة ولكنها ما لبثت الا قليلا حتى تحولت عصبة للأمم خاصة بالبيض . وبعد أن صارت أداة فى يد دول قوية أباحت لنفسها أن تعبث بحقوق الأمم الضعيفة ولا تنصفها من الأمم القوية كلما ظهر الخلاف بينهما . فهل من شك بعد هذه

التجارب فى استحالة بروز قوة من بين أبناء البشر أنفسهم يكبح خوف المسؤولية أمامها جماح الدنيا بأسرها أفرادا وأمما ودولا ؟ ان قوة كهذه لابد أن تكون خارجة عن الدائرة الانسانية وفوقها . وقوة رب العالمين هى التى تقدر أن تحقق هذا الأمر . فان كنا لانريد لأنفسنا شرا فلا مناص لنا البتة من أن نؤمن بالله ونسلم أنفسنا الى حكومته العادلة رعايا خاضعين منقادين لانعصى له أمرا ، ولا نعيش فى هذه الحياة الا مستيقنين بأنه سبحانه وتعالى يعلم كل ما ظهر أو خفى وكل ما جل أو دق من أمورنا ، وانه لابد أن يأتى علينا يوم نقوم فى محكمته ليحاسبنا عن كل أعمالنا وتصرفاتنا التى قمنا بها فى حياتنا الدنيا . وأى والله ... لا سبيل هناك غير هذا السبيل لنعود أناسا صالحين متمتعين بالأمن والسلام .

شبهة :

وقبل أن أنهى هذه الخطبة أرى لزاما على نفسى أن أزيل شبهة ربما تكون تخالج قلب كل شخص منكم وهى : أن مملكة الله لما كانت تبلغ من العظمة والهيمنة حيث ليس كل شىء من ذرة فى الأرض الى الشمس والقمر الا فى حوزتها ، وانه لما لم يكن الانسان فى مملكته مجرد عبد خاضع لأمره فكيف أمكن الانسان أن يخرج من طاعته ويعلن نفسه ملكا على رعاياه وينفذ فيهم قانونه ؟

وما لله لا يمسك بيده ولا يعاقبه ؟ ان هذا السؤال سوف أرد عليه بمثل بسيط :

هب أن ملكا يرسل أحدا من رعاياه نائبا من قبله على مديرية من مديريات مملكته ... ما المملكة الا مملكة الملك وما الرعايا الا رعايا الملك وما كل شىء من القطار والبرق والهاتف والجيش وسائر الأجهزة الا بيد الملك ، وأن سلطة الملك محيطة بتلك المديرية من كل جانب ، فما رئيس تلك المديرية « أى نائب الملك » بشىء يذكر بازاء الملك ، وللملك ، كلما شاء ، أن يرغمه على أن لا يحيد عن أمره ولا قيد شعرة . الا أن الملك يريد أن يمتحن عقل ذلك الرئيس ومروءته وكفاءته ، فيرخى

عنانه ويترك أمره على غاربه ويوسع له فى غيه ليظن أن لا قـوة هنـاك فوقه .

وهذا الرئيس ان كان عاقلا وفيا شاعرا بالواجب ، فانه لن يعتقـد نفسه الا أحـد رعايا الملك وخدمه على رغم ارتخاء العنان ، ولن يحكم فى مملكة الملك الا وفقـا لقـانون الملك ، ولن يمارس ما أعطاه الملك من السلطات والصلاحيات الا وفقا لارادة الملك . وبهذا السلوك القائم على مبـدأ الوفاء والولاء تتحقق أهليته ولابد أن يرفعه الملك درجات ويجعله من خدمه المقربين الى جنابه حين يجده أهـلا للمراتب العليـا هكذا .

ولـكن هب أن ذلـك الرئيس سفيه عديم العقـل والمروءة شرير النفس لا يقيم للـوفاء وزنا ، وان أفراد الرعايا الساكنين فى تلك المديرية جهال جبناء سفهاء ، فهو حين يرى حبله على غاربه وعنانه مرتخيـا من قبل الملك ، ونفخ فى أوداجه شيطان الغرور والخيانة ، وتداعب نفسـه فكرة الاستقلال والخروج من طاعة الملك فيعتقـد نفسـه مالكا لتلك المديرية ، ويتصرف فى أمورها على هواه مستغنيا عن الملك وقوانينه ، وأفراد الرعايا الجهـال يعترفون له بالسيادة والاستقلال لمجرد رؤيتهم أنه هو الذى يعطيهم الرواتب ، وأن بيـده الشرطة والمحـاكم ، وأن فى قبضته أغلال السـجون وأعـواد المشـانق وأن عنـده من السلطات ما يستطيع أن يجعلهم به سعداء أو أشقياء فى حياتهم .

أما الملك فهو غير غافل عن سلوك ذلك الرئيس الخائن وسلوك أولئك الرعايا الجهال جميعا ، وهو ان شاء أخذه وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، الا أنه يريد أن يمتحنـه ويمتحنهم جميعا ، فيسلك مسلك الأناة والحلم والامهال والانتظار فيرخى العنان فى وجوههم حتى يبـدو للعيـان كل ما يكنون فى نفوسـهم من مواطن الخيانة والغدر ، ويغلقوا على أنفسهم كل باب من أبواب الاعتذار . انه قوى عزيز لا يخاف أن يتقوى ذلك الرئيس ويستفحل شأنه حتى يبلغ

حيث يسلبه عرشه ، ولا يخاف كذلك أن يفلت هؤلاء الرُعايا الخائنون الخارجون من طاعته بزعمهم من متناول يده .

فلا حاجة به أن يقضى فى شأنه وشأنهم على عجل ، فيملى لهم ويوسع فى غيتهم الى سنة تلو سنة، حتى اذا أعلنوا كل ما تنطوى عليه نفوسهم من الخبث والشراسة على أكمل وجه وأوفره ، يفاجئهم ، بعذابه ، وحين يأتى عذابه لا يستطيعون رده بحيلة ولا يجدون سبيلا للتوبة والاعتذار .

سادتى واخوانى أنا وأنتم وكل هؤلاء الذين جعلهم الله رؤساء فى أرضه نواجه هذا الامتحان ، وكلنا ممتحنون فى عقلنا ومروءتنا وشعورنا بالواجب ووفائنا، فعلى كل واحد منا أن يقرر عند ذات نفسه: هل يحب أن يكون وفيا أم خائنا لملكه الحقيقى ؟ أما أنا فقد قررت عند نفسى أن أتبع سبيل الاطاعة والوفاء ، وأنا خارج من طاعة كل من قد خرج من طاعة الله . فمن شاء منكم فليسلك طريق الطاعة والوفاء ومن شاء فليسلك طريق المعصية والخيانة . ففى جانب متاعب ومنافع يستطيع القوم والبغاة ايصالها اياكم ، وفى الجانب الآخر متاعب ومنافع يقدر الله أن يصيبكم بها فلكم أن تختاروا احدى السبيلين . قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

ترجمه عن الأردية

خليل الحامدى

قال حكيم : لا توجد العظمة بين الرجال الا حيث يوجد الصبر .

دراسات قرآنية :

آية الله في سبأ - حضارة العرب
سد مأرب - سيل العرم

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال الله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له » .

الآيات : ١٥ – ١٩ من سورة سبأ .

البيـــان

سبأ أمة عربية عريقة المجد والحضارة ، يعيش فى أرضها الآن اخواننا اليمانيون – من سلالتهم – وهؤلاء ينتسبون الى جدهم سبأ الذى انحدرت من سلالته قبائلها وفصائلها .

جاء فى حديث شريف عن فَرْوةَ ابن مسيك قال : (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله أخبرنى عن سبأ ، أرجل هو أم امرأة ، فقال : هو رجل من العرب، ولد عشرةً : تيَامَنَ منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد ، وكندة ، ومدجج والأشعريون ، وأنمار – ومنهم بجيلة – وأما الذين تشاءموا فعاملة، وغسان ، ولخم ، وجذام) .

وفى شرح قصيدة عبد المجيد بن عبدون لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمى البسنى ، أن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك اليمن .

وكانت مأرب (بوزن مسجد) عاصمة لملكة سبأ . وكانت مساكنهم فى هذه المملكة آية عظيمة على وجود الخالق سبحانه ، وعلى ما تمتاز به مقدوراته جل وعلا من جمال بديع ، كما أن تدمير هذه المساكن العامرة الجميلة واغراق كثير من أهلها لعصيانهم ، آية على أنه عزيز ذو انتقام .

وقد شرح الله آيته فى مساكن سبأ بقوله « جنتان عن يمين وشمال » والمراد من الجنتين جماعتان عظيمتان من البساتين ، جماعة عن يمين مساكنهم ، وجماعة عن شماله — كما قاله قتادة — واطلاق الجنة على كل جماعة منهما ، لتقارب جناتها وتضامها كأنها جنة واحدة .

وقيل ان المعنى أن كل واحد من أهل سبأ كان له جنتان ، احداهما عن يمين مسكنه ، والأخرى عن يساره .

وعلى أى حال فان قراهم ومساكنهم كانت فى ريف رائع ، وخصب ممتع ، تحيط بها البساتين والجنان ، ويفوح من أزاهيرها العبير ، وتتدلى من أغصانها الثمار ، واستحقت لذلك أن يقول الله تعالى لهم فى شأنها « كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » (١) .

أى قال الله لسبأ على لسان نبيه الذى بعثه اليهم : كلوا من رزق مولاكم الذى رباكم بنعمه وأخرج لكم من أرضه هذه النعم مباحة لكم ، وما لأحد من خلقه يد فى انبات زرعها ولا انشاء شجرها ، « أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » وعليكم أن تقابلوا رزق ربكم بشكره على نعمته ، بالايمان الصادق ، والعمل الصالح ، والذكر المستقيم ، فهذه البلدة المحوطة بالبساتين والبقول والأرزاق ، بلدة طيبة الهواء ، عذبة الماء وافرة النعم ، حسنة المناخ ، قليلة الأسقام وربكم الذى رزقكم هذه النعم وطلب شكركم عليها ، رب عظيم الغفران لذنوب الشاكرين التى تفرط منهم ولكن القوم لم يصغوا لدعوة نبيهم اياهم الى شكر المنعم سبحانه « فأعرضوا » عنها وأصروا على اعراضهم .

« فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

قال المغيرة بن حكيم وأبو ميسرة: العرم جمع عرمة ، وهى كل ما بنى أو سنم ليمسك الماء ، ويقال لهذا

---

(١) من الاتفاقات النادرة أن لفظ (بلدة طيبة) بحساب الجمل واعتبار هاء التأنيث بأربعمائة كما ذهب اليه كثير من الأدباء وقع تاريخا لفتح القسطنطينية : قاله الألوسى .

البناء بلغة الحجاز المسناة ، وعن ابن عباس وغيره هو اسم للوادى الذى كان منه السيل ، وبنى السدفية : اهـ (١) .

روى أنه بنى فى عهد بلقيس ، وكانت مياه المطر تتجمع فى مكان بعيد عن أرضهم وتأخذ سبيلها اليهم فى ثلاثة أيام ، فتفيض عليهم وتغرق أرضهم ، فأمرت بلقيس ببناء سد بين جبلين ذى فتحات وأبواب فوقها قناطر ،وعدد هذه الفتحات اثنتا عشرة فتحة ، تصب كل فتحة منها فى نهر ، أى أن تلك البلاد كان بها اثنا عشر نهرا متفرعة عن مخارج هذا السد ، يقول المؤرخون : انه بنى بالصخر القار ، ولعلهم يريدون بكلمة القار مادة سوداء تشبه القار فى لونها ، ولكنها أشد ثباتا وقوة منه بحيث تحتمل ضغط الماء ولا تتحلل ، وقيل : ان الذى بناه هو حمير أبو القبائل اليمنية ، وقيل : بناه لقمان بن عاد ، ورصف أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان طوله فرسخا .

وكان هذا السد يسمى سد مأرب ، نسبة الى مدينة أثرية يقوم السد الى جوارها ، وقد صور هذا السد الطيار المصرى الأول (أنيس باشا) رحمة الله تعالى عليه ، وكان ذلك فى عهد الامام يحيى حميد الدين امام اليمن ، ونشرت الصحف وقتئذ صور بقاياه الى جوار مدينة مأرب ، وكان منظرها ينم عن عظمة مهندسيه وعراقتهم فى فن البناء ، والعبقرية فى الهندسة ، فى هذا الوقت الواغل فى القدم ، حيث كان الغربيون وقتئذ يشبهون العجماوات ، ويعيشون كالسوائم .

وقد دعتهم هذه المدنية الى اقامة حياتهم على أرفع طراز من الرفاهية والسعة والنعمة ، حتى كانت المرأة العادية تخرج وعلى رأسها المكتل فارغا ، وتعود به مليئا من الثمار التى تساقطت فيه من الأشجار أثناء سيرها ــ كما قاله بعض المؤرخين .

---

(١) وقيل العرم بمعنى الصعب الشديد ، واضافة سيل اليه من اضافة الموصوف الى صفته على رأى من أجازها .

ولما أعرض هؤلاء المترفون عن شكر نعم الله تعالى ، وأصروا على الاعراض بعد أن وعظهم نبيهم انتقم الله منهم ، فأرسل عليهم سيلا شديدا قويا حطم سد مأرب القوى العظيم وترتب على ذلك غرق بساتينهم وقراهم وموت كثير منهم ، وبدلهم بذلك ما قص الله تعالى حيث قال : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأثل وشىء من سدر قليل » .

والأُكُل الثمر ، والخمط الحامض أو المر ، والأثل ضرب من الطرفاء — على ما قاله أبو حنيفة اللغوى والسدر — كما قال الأزهرى — سدران : سدر لاينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول ، وله ثمرة عفصة لا تؤكل ، وهو الذى يسمى الضال ، وسدر ينبت على الماء ، وثمره النبق ، وورقه غسول يشبه شجر العناب : اهـ .

واختلف فى المراد منه هنا ، فقيل الثانى ، ووصف بالقليل لأنه لو كثر لكان نعمة لانقمة فان ثمره مما يطيب أكله ، وإنما أوتوه تذكيرا للنعم الزائلة ، لتكون حسرة عليهم ، وقيل المراد به المعنى الأول ، لأنه هو الأنسب بالمقام ، ولكن صاحب هذا الرأى لم يذكر حكمة لوصفه بالقلة ، والظاهر المعنى الأول .

وخلاصة معنى هذه الجملة : وأذهبنا جنتيهم بسيل العرم ، وأتينا بدلهما بجنتين ذواتى ثمر حامض أو مر ، وصاحبتى ضرب من الطرفاء وقليل من شجر النبق جزاء لهم على اعراضهم عن شكر ربهم ومبالغتهم فى الكفر .

« وهل نجازى الا الكفور » أى وما نجازى هذا الجزاء الشديد المستأصل الا المبالغ فى الكفران أو الكفر « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة » .

بعد أن حكى الله تعالى فى الآيات السابقة ما أنعم الله تعالى به على أمة سبأ فى مساكنهم ومواضع اقامتهم ، وأنهم كفروا بنعمة الله تعالى ، فعاقبهم باغراق بساتينهم الجميلة بسيل العرم ، وابدالهم بها أشجارا لا غذاء فيها ولا جمال الا القليل ، بعد أن حكى الله ذلك ،

جاءت هذه الآية الكريمة وما بعدها لبيـان ما أنعم به عليهم من النعم فى أسـفارهم ومتـاجرهم ، وأنهم لمـا كفروا بتلك النعم ولم يقدروها قدرها عوقبوا بالحرمان منها •

والمراد بالقـرى التى بارك الله تعالى فيها : قرى اقليم الشام ، فقد بارك فيها بكثرة أشجارها وثمارها والتوسعةعلى أهلها،وعن ابن عباس أنها قرى بيت المقدس ــ وهو قريب من المعنى الأول ــ وقيل غير ذلك ، والمعول عليه هو المعنى الأول ، حتى قال ابن عطية : ان اجماع المفسرين عليه ؛ والمراد بالقرى الظاهرة التى كانت بين مسـاكنهم وبين الأرض المباركة : القرى المتقاربة ــ كما قال قتادة ، ومعنى ظهورها أن من كان فى احداها تظهر له التى تليها لشدة تقاربها ، وقال المبرد : القرىالظاهرة المرتفعـة على الآكام والظراب (أى الروابى) وتعتبر أشرف القـرى وأعلاها شأنا ، وقال غيره : ظاهرة بمعنى معروفـة ، وتعرف القـرية لحسنها ورعاية أهلها لمن يمر بهـا ، ومعنى تقدير السير فيها ، أن نسبة بعضها الى بعض على مقـدار معين محسوب ، بحيث يعرف من وصـل الى قرية أنه سيصل الى التى تليها بعـد قـدر معين من الزمان أو من المقاييس المعروفة وقتئذ •

والمعنى : وجعلنا بين أهل سـبأ وبين قرى الشـام المباركة الكثيرة الخيرات ، قرى ظاهرة على الروابى والآكام ، أو متقاربة بحيث تظهركل قرية لأهل القرية التى تليها ، وجعلنا نسبة بعضها الى بعض على مقـدار معين زمنا ومقياسا ، بحيث يعلم كل مسافر بالتجربة متىيصلالىمقصده، ويعلم المقاييس التى يمر بها ، وكانت درجة القرب بينها الى درجـة أنهم يسيرون فيهـا ليالى وأياما آمنين ، فلا يختلف الأمن فيهـا باختـلاف الأوقات،فان من يفكر فى الاعتداء ، يخشى وصول النجدة للمعتدى عليه من مكان قريب •

والأمر فىقوله تعالى « سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » اما على حقيقته على لسان نبى لهم ، واما على سبيل المجاز ، بأن ينزل تمكينهم من السير المذكور وتهيئة أسبابه منزلة أمرهم

بذلك ، وعلى كل فالأمر للاباحة ، « فقالوا ربنا باعد بين أسـفارنا » الآية

النفس البشرية مولعـة بتغيير الواقع وان كان خيرا لها مما تريده، فهؤلاء لمـا طالت بهم مدة التنعيم . بطروا وملوا ما هم فيـه ، وآثروا الذى هو أدنى على الذى هو خير — كما فعله بنو اسرائيل ، حيث طلبوا العدس والبصـل بدلا من المن والسلوى ، وقـالوا لموسى عليـه السلام « لن نصبر على طعام واحد فادع لنـا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلهـا وقثائها وفولهـا وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » .

وهؤلاء السـبئيون فعلوا مثل ذلك ، حيث لم تعجبهـم بلادهـم المتقاربة ، فقالوا لو كانت متاجرنا أبعـد ، لكان ما نجلبه منها أشهى وأغلى ، فاجعل البلاد يا ربنا متباعدة تفصلها المفاوز والقفار ، وهم فى طى هذه الرغبة ، يضمرون أن يتفاخروا فى أسـفارهم بركـوب الرواحـل الفارهة ، والتزود بالأزواد الفاخرة، والتكبر على الفقـراء العاجزين عن ذلك ، فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة ، وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب.

وقولهم «ربنا باعد بين أسفارنا»: اما أن يكون باسان المقال ، واما أن يكون بلسان الحال .

فان كفـرهم بنعـم اللـه ينادى بتعجيل العقوبة لهم بالحرمان منهـا بتخريب العـامر ، وابعاد المقاصد ، فكأنهم طلبوا ذلك بألسنتهم .

والمعنى الاجمالى للآية : فقـال أهل سبأ بلسان المقال أو الحـال : ربنا باعد بين أماكن سـفرنا حتى نرتحل اليها ويطول ارتحالنا ، وقد ظلموا أنفسهم ببطرهم على نعمة الله، وتعريض أنفسهم للحرمان منهـا ، فجعلناهم بما أنزلناه بهم من العقاب أحاديث يذكرها الناس على سـبيل الاستغراب ، وذلك أننا مزقناهم كل تمـزيق وفرقنـاهم فى الأرض كل تفريق ، ان فيما ذكر من قصـتهم لآيات عظيمة لكل صبار عظيم الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى ، فانها عبرة لـكل معتبر ، وذكـرى لكل

مدكر ، وعلامة على طريق الحياة يهتدى بموعظتها الصابر الشكور .

ولقد حدث هذا التمزيق بارسال سيل العرم عليهم ، واغراق بلادهم ، فحملهم ذلك على الارتحال ، فارتحل أولا جفنة بن عامر الى الشام وأولاد قيلة - الأوس والخزرج - الى يثرب (وهى المدينة) وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأزد السراة الى السراة ، وأزد عمان الى عمان ، وأولاد مالك بن فهم الى العراق ، ونزل أولاد ربيعة بن حارثة ابن عامر بن عمرو تهامة ، وسموا خزاعة : الى غير ذلك من القبائل والفصائل ، وفيهم ضرب المثل : تفرقوا أيدى سبا ، وذهبوا أيدى سبا - وروى أيادى سبا - والمراد من الأيدى والأيادى الأولاد ، لأنهم أعضاد الرجل لتقويه بهم ، وفى المفصل : الأيدى الأنفس كناية أو مجازا - قال فى الكشف : وهو حسن .

وفى الكشاف : لحق غسان بالشام ، وأنمار بيثرب ، وجذام بتهامة ، والأزد بعمان ، وفى التحرير : أن قضاعة نزلت بمكة ، وأسد بالبحرين وخزاعة بتهامة .

وقد تقدم فى أول هذا المقال حديث تفرقهم فى جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لفروة بن مسيك ، وأرجو أن يكون فى حديثهم عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

قال على - كرم الله وجهه - : لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمن .

وقال أيضا : الصبر مطية ، لا تكبو وسيف لا ينبو .

الإسلام والغرب :

شعوب غير مسلمة أحياها الإسلام وشعوب مسلمة أبادها الشيوعيون

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

— ٥ —

الى الذين زين لهم النفاق أن يصفوا الشيوعية بصفات الاسلام وأن يخلعوا على حواريى ماركس صفات القديسين .

الى الذين وصفوا الماركسية بالرحمة وحب الانسان لأنه انسان .

الى الذين يجارون بملء حناجرهم أن الماركسية هى انصاف الانسان من ظلم الانسان وجو الأديان .

الى هؤلاء جميعا أقدم هذه السطور الوجيزة من تاريخ الشيوعيين وتاريخ الاسلام .

غير واحد من المستشرقين وغير المستشرقين الذين كتبوا عن الاسلام ذكروا سماحة المسلمين الفاتحين وحسن معاملاتهم للبلاد التى دخلوها واسترعى نظرهم جميعا ما كان لهذه المعاملة الكريمة من أثر فى اجتذاب الأهلين الى الاسلام وحبهم لمبادئه وحكامه على السواء . ولم يكن المسلمون لهذا يكرهون الكتابيين على اعتناق الاسلام ، ولكن الذين دخلوا الاسلام من الكتابيين ومن غير الكتابيين كانوا يتحولون الى دعاة له وهذا سر ما نجده من أن كثرة كاثرة من أعلام الفكر الاسلامى ليسوا من العرب ، بل من البلاد الأجنبية المفتوحة .

تنفس سكان سوريا الصعداء حين أزال العرب كابوس الحكم الرومانى ونير استعباده ، وكان ملاحوهم هم الذين غزوا قبرص والقسطنطينية وجزر البحر الأبيض . وعقد بعض السكان معاهدة مع عبد الملك بن مروان دفعوا بمقتضاها

له الجزية ، فلما شغلته الحروب الداخلية رد لهم ما دفعوا وقال : انه لا فراغ لديه اذ ذاك لحمايتهم ، ولا يستطيع أن يأخذ مالا لا يقابله عمل ، وقد حضر اليه هؤلاء يرجونه قبول الجزية والابقاء على معاهدتهم لأنهم يفضلون حكم العربى المسلم على حكم الرومانى المسيحى .

وكان قبط مصر عيونا لعمرو بن العاص قبل فتحه مصر ، وأعوانا له فى حرب الروم ، وقد منحهم الحاكم المسلم حرية العقيدة وأعطاهم أمانا على كنائسهم وصلبانهم ، وترك لهم اختيار النحلة التى يريدون ، وكان الرومان يجبرونهم على اعتناق المذهب الملكانى ، ويذيقونهم فى سبيل هذا الاكراه سوء العذاب ومن قبط مصر نشأ فقهاء اسلاميون ودعاة للاسلام ومحاربون للدفاع عنه .

والبربر سكان افريقية استعصوا طويلا على الرومان ، فلما أخضعهم قادة المسلمين كانوا هم الذين مدوا الفتح الاسلامى نحو الغرب ، وهم الذين فتحوا الأندلس باسم الاسلام.

وهكذا وهكذا فى كل بلد دخله الاسلام .

وكانت كنائس المسيحيين تجاور مساجد المسلمين .

وكانت مساجد المسلمين فى الأندلس جامعات تحيى النشاط العقلى والتفكير الحر ، وكانت أضواؤها الثقافية تكافح كلمات العصر الوسيط ولقد رثى جيبون — المؤرخ الرومانى الشهير — لحال أوروبا كلها يوم أن انتصر شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقى فى موقعة « بواتيه » قال : لو كانت نتيجة المعركة على العكس ماحدث، وانتصر المسلمون لانتشرت مساجدهم فى شمال أوروبا وفى انجلترا ، ولكانت مآذنها الشاهقة تحل محل الشرفات التى تعلو الكنائس والكاتدرائيات ، ولكانت أصوات الآذان الشجية الحنون تتردد أصداؤها بدلا من رنين الأجراس الرهيب ، ولتقدم ظهور الجامعات فى اكسفورد ، وكامبردج مئات من السنين ، ولتقلص لذلك ظل العصور الوسطى وانقرضت خرافاتها سريعا .

ولقد تقهقرت الحضارة الأوروبية ثمانية قرون يوم أن أعلن فرديناند وازابيلا مراسيم تقضى بالغاء شعائر الاسلام فى كل بلادهما وكان انتصار القشتاليين على المسلمين هو انتصار الجهل على العلم ، والخرافة على العقل . وأرغم المسلمون على التنصر وأذيقوا كثيرا من الاهانات والعذاب الأليم ، بل بثت العيون على من يؤدون شعائر اسلامية فى بيوتهم ، واعتبرت الصلاة خرقا لقوانين البلاد، وأغلقت مساجد المسلمين وهدم أكثرها وأبقى على بعضها لتكون متاحف أثرية لامتاع السياح والزائرين .

والأمر كذلك فى مساجد اليونان والمجر والصرب والبلقان .

وكل هذا يعتبر أمرا هينا اذا قورن بما فعله الروس الشيوعيون بالمسلمين وقد فعلوا مثله بالمسيحيين والبوذيين، هذا لأن الشيوعية صديق الانسانية وتحترم الأديان !! ؟

وحقائق التاريخ أكبر من أن يطمسها المنافقون .

لقد أباد ستالين المؤسس الثانى للشيوعية فى روسيا ، ومثبت دعائمها وكيانها العملى بعد أن وضع لينين لها كثيرا من القواعد والنظريات ، وماذا فعل ستالين .. ؟

أباد سبعة أجناس ، أو سبع امبراطوريات ، فميعها ومحاها من التاريخ ، ومحا أيضا أسماءها ومعالم حضارتها ، وكان بينها ثلاثة أو أربعة شعوب مسلمة . هؤلاء هم : قبائل الشيشين والانجش ، وكانوا متجاورين مترابطين ، والكولاكيين، والتتار .

كانت لأولئك امبراطوريات مستقلة فى شمال القوزاق، وتاريخهم يرجع الى فترة تسبق تاريخ روسيا بزمن طويل ، كانوا يحيون حياة ذات حضارة ، ولكنها حياة جبلية تقوم على الرعى والزراعة وتبادل التجارة ولهم منتجات صناعية ، ولم يكونوا لهذا منقطعين عن العوالم الحديثة الكبرى وكانوا على صلة خاصة بمسلمى آسيا وراء البحر الأسود وبحر قزوين وكانوا على عاداتهم القبلية وحياتهم البدوية أباة للضيم يعتزون باستقلالهم ، ولا يقبلون سيطرة دولة أخرى عليهم .

وكانت هذه الامبراطوريات السبع مع أجناس أخرى أقل أهمية تشغل مساحات ممتدة وتجعلها أراضيها تمثل حاجزا بين بعض الدول الكبرى وبعض ، ولعله لهذا الموقع كانت الدول تتحاشى غزوها وابتلاعها فعدوان دولة كبيرة عليها يثير جارتها من الناحية الأخرى، وأهمها الصين والألمان ، وهم أيضا لم يكونوا عزلا ولا مستكينين .

ولما ظهرت روسيا فى التاريخ اعتبرتهم من رعاياها ، وأنها تملك الأراضى التى يشغلونها ، وقامت بين الشيشيين والأنجوش ، وبين الامبراطورة كاترين العظمى حروب لم يقصروا فيها ولم تستطع هزيمتهم، كذلك حاربوا بعدها بعض القياصرة الكبار . وعندما قامت ثورة روسيا بعد الحرب العالمية الأولى أعلن هؤلاء سخطهم على النظام الشيوعى ، ولما تبوأ ستالين كرسى الحكم فى روسيا أظهروا كراهيته وكراهية أسلوبه فى الحكم .

وفى سنة ١٩٣١ اعتقلت السلطات الروسية منهم نحو ٣٥٫٠٠٠ خمسة وثلاثين ألفا ورمت بهم فى سجونها، كما اعتقلت من الكولاكيين ، وكان تبكير روسيا الى الاعتداء على هذه الدول الاسلامية قبل غيرها ، ــ كما هو واضح ــ لما بين الاسلام والشيوعية من عداء .

وظل هؤلاء يناضلون فى سبيل حريتهم .

وفى سنة ١٩٣٦ كانت سياسة هتلر قد تبدت واضحة للدول الأوربية الكبرى ، فبدأت تتخذ سياسة ودية مع مستعمراتها وأصدقائها من الدول الصغيرة ، وكان نقض هتلر لمعاهدة « لوكارنو » واحتلاله مناطق الالزاس واللورين داعيا لكل الدول الأخرى أن تجدد علاقاتها بجيرانها ولذا أعلنت روسيا اعترافها باستقلال الششن والانجش والكولاك .

وعندما قامت الحرب واحتل الجيش الألمانى أجزاء واسعة من الأراضى الروسية لم تصل موجة فتحه الى هذه البلاد ولكن كانت قريبة منها،

وفى سنة ١٩٤٤ سنحت الفرصة لاستالين بكل ما كان يرجو .

كانت ميزان الحرب قد رجحت فى جانب الحلفاء وبدت هزيمة الألمان فى الأفق القريب ، وجلا الجيش الجرمانى فعلا عن الأراضى الروسية، وكانت اليابان ما تزال صامدة تشغل أذهان الصينيين .

دبر استالين حينئذ خطته وهى خطة تكشف أخلاق الشيوعيين ومدى استهانتهم ببنى الانسان فى سبيل مصالحهم الشخصية .

قاد الجنرال « سيروف » طوابير طويلة عديدة من الجيش الأحمر نزلت فى هذه البلاد قراها ومدنها، وأعلن أنهم عائدون من الجبهة ليستريحوا فى مكان هادىء بعيد عن القتال ، وغصت بهم مساجد المسلمين والمستشفيات والمدارس ، ورحب بهم الأهلون وراح بعضهم يقدم لهم الحلوى والهدايا . وبعد أيام ــ وفى وقت واحد ــ قامت فرق موسيقية وجماعات من جنود الترفيه ــ بأعمال بهلوانية وألعاب فى الميدان العام فى كل قرية ومدينة، وهرع الناس ليروا هذه الألعاب ، وحينئذ خرجت الجنود المسلحة من مرابضها فأحاطوا بهذه الجموع ، وأعطيت كل أسرة ساعتين تتهيأ خلالهما للرحيل ، وفتحت عربات نقل كبيرة لتحملهم الى أقرب محطات للسكك الحديدية ، أجلوا عن بلادهم جميعا ، لم يترك منهم طفل ولا أنثى ولا شيخ هرم ولا امرأة عاجزة ، وفى المحطات استقبلتهم قطارات خاصة أعدت لهم ، كانت قطارات بضاعة أو على الأصح قطارات حيوانات ليس بها مقاعد ولا فرش ، ودع اليها هؤلاء القوم دعا وكدسوا كما تكدس الأمتعة على غير نظام ، وبعد أن تأكد القائد من خلو البلاد من أية نسمة انسانية أمر أن يتحرك القطار ، لم يعرف اذ ذاك الى أين كان اتجاهه ، ولكن عرف أن حمله الثقيل كان يخف يوما بعد يوم ، فكانت له مواقف فى غير المحطات يرمى فيها بجثث الموتى ، ويتركون فى العراء فاما جمدهم البرد أو نهشتهم الضوارى أو تخطفهم كواسر الطيور .

كانت رحلة القطارات فى شهر يناير والجليد معقود حولها وليس هناك ما يحمى الركاب من عنف المميت ، فضلا عن ذلك لم يكن لديهم ما يكفى من الطعام ، واستغرقت الرحلة ما يقرب من أسبوعين ، ولكن الى أين ؟

تبين بعد ذلك أنه لم يذهب بأفراد الأسرة الواحدة الى مكان واحد بل ألقى ببعض فى أواسط آسيا المترامية الجوانب ، وبعض الى القرغيز وبعض الى سيبريا ، وكانت كلها مناطق خربة لم تؤهل بسكان ، وقلما جرؤ واحد من هواة الصيد الى الذهاب اليها لشدة البرد ووحشة المكان وقسوة البيئة وخلوها مما تقوم عليه الحياة ، وحتى بعض السيارات التى وزعتهم على أماكنهم بعد انتهاء السكك الحديدية ولم تسترجع لم تكن ذات فائدة ، اذ لا يمكن استعمالها .

ما مقدار الذين ماتوا وما مقدار الذين بقو ؟ لا يعرف أحد .

وبعد ذهاب هؤلاء هدمت مساجدهم وغيرت أسماء بلادهم وأسماء شوارعهم ، بل شاء «عدل» ستالين و « رحمته » أن تمحى أسماؤهم من دائرة المعارف الروسية ، ومن قواميس البلاد ، أما زعماؤهم وذوو الأسماء المعروفة منهم فأعدموا رميا بالرصاص ، واتهموا جميعا بالتعاون مع النازيين ، ولما قالوا ان النازيين لم يصلوا بلادهم أجيبوا من قبل الحاكم العسكرى الروسى بأنه كان فى نيتهم أن يتعاونوا معهم !!

وهو منطق شيوعى ، يدل على الرحمة والانسانية !!

وكان من هؤلاء أفراد نزحوا الى موسكو والى عواصم روسية أخرى ، واندمجوا فى الشعب الروسى ، وكان منهم متطوعون فى الجيش ، وهؤلاء سحبوا بدقة ونفوا أو أعدموا .

وهكذا انمائت هذه الأجناس وأبيدت من الوجود ومن التاريخ .

ولم تتحدث عنهم صحيفة روسية واحدة ، ولم تشر اليهم أية اذاعة لذلك لا علم الروس بهم ولا علم بعضهم ببعض .

ولما كشف خروتشوف عن مخازى استالين بعد موته بأكثر من ثلاثة أعوام ؛ قال انه سيعيد هذه الشعوب الى الحياة ؛ ولكن أين هى هذه الشعوب .. ؟

ونفس المصير لاقت الأجناس الأخرى .

وحولت مساكن أولئك وهؤلاء الى مدن روسية ، وسميت أسماء جديدة .

وهذه صفحة من التاريخ الماركسى نضعها أمام الصفحة التى قدمنا من تاريخ الانسان .

وفى استطاعة الشيوعيين ومن يعبدون ماركس من دون الله أن يصفوا هذه الأعمال بالانسانية .

وفى استطاعتهم أن يقولوا ان ستالين كان من محبى الاسلام .

وفى استطاعتهم أن يشتموا شيوخ الاسلام من بقى منهم ومن غبر ،

وفى استطاعتهم أن ينكروا كل هذا الكلام .

ولكن من آمن بستالين كفر بكروتشو ، ومن آمن بكروتشو كفر باستالين ، ويكفى الايمان بالمادة ومتاع الحياة ! !

« يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

وانه لذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين .

د. عبد الجليل شلبى

قال خالد بن الوليد : ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان النصر مع الصبر .

وقال حكيم : الضعيف الصبور قوى بصبره ، والقوى الجزع ضعيف بجزعه .

كيف نؤمن بالقرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغي

عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » أخرجه الترمذى .

القرآن كتاب الله أنزله على نبيه محمد ليكون معجزة له ودلالة على صدقه فى نبوته ، وليكون الدستور العملى للبشرية عامة فى دينها ودنياها ، فللقرآن جانبان : جانب أنه معجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وجانب أنه دستور عملى اشتمل على كل ما يحتاج اليه البشر مما قدر الله أن يكون كافيا لهم فى تصحيح عقائدهم وتزكية أخلاقهم وتنظيم أعمالهم ومعاملاتهم ليعيشوا هانئين متعاونين سعداء لا تمزقهم الخلافات ولا المنازعات ، ولا تزيغ بهم الأهواء .

والمسلم مطلوب منه التصديق بهذين الجانبين ليكون مسلما صحيح الاسلام ، مطلوب منه أن يصدق أن القرآن منزل من عند الله. ليكون معجزة محمد الدالة على صدقه وأنه معجزة لكونه أعجز الفصحاء عن أن يأتوا بمثله ، ولا يلزم كل مسلم أن يعرف حقيقة اعجازه ، وانما يلزم ذلك من كان على علم بوجوه الاعجاز فى البيان وان لم يكن فى هذه المرتبة فيكفيه أن يسلم بما يسلم به أهل المعرفة والنظر ، وقد تواتر : أن أهل المعرفة والنظر من فصحاء العرب لعهد الرسالة أقروا بذلك وسلموا به ، ومطلوب منه أن يشهد بأنه أنزل بلفظه ونصه ، وأنه وصل الينا كما أنزل لم تنله يد التحريف والتبديل كما نال الكتب السابقة . ووصل بالطرق العلمية الصحيحة التى تؤكد القطع بوصوله كما أنزل ،

وهى طريقة التواتر المعترف بها من جميع العلماء المنصفين ، وأقوى دلالة من ذلك وأصح ، شهادة الله واخباره أنه قد تكفل بحفظه من التغيير والتبديل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . والقرآن من ناحية أنه كتاب هداية ودستور اصلاح بشرى وتنظيم للعلاقات الانسانية فى جميع الميادين وفى جميع الأزمان حوى من الأغراض والمقاصد والأحكام والقواعد ما هو كفيل بتحقيق حياة هانئة سعيدة لو استقاموا عليها ولم يتناولوها بالتأويل المفسد والتحريف المضل.

* * *

لقد تضمن القرآن كثيرا من الأغراض والمقاصد ، ففى القرآن بيان للعقائد الصحيحة المتعلقة بالايمان بالله وبما له من صفات الكمال والايمان بالملائكة والرسل وبكتبهم وباليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء وفى القرآن قصص عن الأنبياء والأمم وما كان بين هؤلاء وأولئك من معاناة وكفاح ، وفيه وعد ووعيد وزجر وتأديب ، وفيه الأحكام العملية التى تنظم صلة العباد بالله ، وترشد الى ما ارتضاه لنفسه فى طاعته والانقياد اليه من صلاة وزكاة وصيام وحج وما يتعلق بها مما لا بد لها منه ، وفيه أحكام تضبط سلوك الناس فى شئونهم الضرورية فى حياتهم الخاصة من مطعم وملبس ومسكن وتزاوج ، وفى حياتهم العامة من معاملات ومبايعات ومعاهدات ونحو ذلك مما لا بد منه فى توفير العمران وتيسير حياة الانسان ، وقد انتدب علماء المسلمين لتصنيف ذلك فى موضوعات خاصة أجملها بعضهم وفصلها آخرون تيسيرا للرجوع اليها ففيما يتصل بموضوع التعبد جعلوا لأحكامه عنوانا هو ، العبادات ، وفيما يتعلق بموضوع البيع والشراء والرهن والهبة ونحوها جعلوا له عنوانا هو المعاملات ، وفيما يتعلق بموضوع الزواج والطلاق جعلوا له عنوانا هو الأحوال الشخصية ، وفيما يتعلق بموضوع الحرب والسلم والصلح جعلوا له عنوانا هو السير والجهاد وجميع هذه الأحكام العملية قد تضمنها القرآن تصريحا أو اشارة أو ايماء

وقامت السنة الصحيحة القولية والعملية ببيانها وتوضيحها كما قال سبحانه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .

وقد تكفلت هذه الأحكام ببيان جانب الحلال وجانب الحرام من الأعمال ، وأشارت فى كثير من الأحيان الى علل ما أحل منها وما حرم لتطمئن النفوس الى القصد التشريعى منها وتنشط اليها،وأهملت ذلك فى بعضها اعتمادا على الادراك الانسانى لتلك المقاصد . ونلاحظ أن الجانب العقائدى فى القرآن الكريم وخاصة ما يتعلق بفكرة التوحيد والبعث قد حظى بأكبر قسط من بيان العلل والدلائل وضرب الأمثال ، ولعل ذلك لخفاء الفكرة فى أذهان الناس عنها واستبعادهم اياها لغلبة الحس عليهم وطول ما آلفوه فيما خالفها ، ثم لأن الاقتناع بها أساس لما ينبنى عليها من تكاليف الله : أوامره ونواهيه ، لأنهم اذا لم يؤمنوا بوجود الله ، واصطفاء بعض خلقه لتبليغ تلك الأحكام فلن يكون لتلك الأحكام مصدر ذو سلطان يخشونه ويرجونه ويرغبون فى ارضائه بالقيام بها ، ومما ذكر فى القرآن من الأحكام مقرونا بالعلة قوله سبحانه : « يآيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » وقوله سبحانه : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ومما جاء من الأحكام معللا فى السنة ما روى فى الموطأ عن سعد بن أبى وقاص قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى من وجع اشتد بى ، فقلت : يارسول الله: قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى ، أفأتصدق بثلثى مالى ؟ فقال رسول الله : لا ، فقلت : الشطر قال : لا ، ثم قال رسول الله : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

والقرآن كنص منزل من الله الى محمد بوساطة جبريل ، له قداسته وجلاله وتقديره حيث انه كلام الله رب العالمين ، من ليس له شبيه ولا نظير ، قد تعبدنا الله بتلاوته أى طلب منا أن نعبده بتلاوته ، ووعدنا المثوبة على تلك التلاوة كما قال رسول الله فيما روى الترمذى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وعن ابن مسعود رضى الله عنه : من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ويزيد الثواب ويتضاعف بالتدبر فى معانيه والبحث عن اشاراته ومراميه .

والقرآن ككتاب هداية وأحكام مطلوب من المسلمين أن يؤمنوا بأحكامه ويعتقدوا أنها من عند الله فيحلوا ما أحلته ويحرموا ما حرمته تصديقا وعملا ، فمن لم يؤمن بها بل جحدها واستهزأ بها ، فليس مؤمنا بنص هذا الحديث : ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ، ومثله من حرم حلاله لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » الا أنه لا يخرج المؤمن بالتفريط فيها والكسل عن تنفيذها من الايمان مادام مصدقا بها معتقدا صحتها وصحة مصدرها وهو القرآن .

وتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله اغتصاب لسلطة المشرع الأعظم واعتداء على حقه وافتراء عليه كما قال سبحانه : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » .

واعتساف بعض الأحكام ومحاولة تطبيقها على ما لا تتناوله ولا تدل عليه نوع من ذلك الاستحلال الذى يشير اليه الحديث ، واحاطة محرمات القرآن بهذه القداسة ، والتغليظ فى وعيد من اعتدى عليها أو استهان

بها من مصلحة الجماعة واقامة لهـا على الجادة فى سيرها لمـا فى ايجابها أومنعها من الفوائد فى سائر ما تناولته من شئون الطعـام أو المبايعة أو المعاشرة أو الاعتـداء على نفس أو عرض أو اعانة على ظلم ونحـو ذلك مما شـملته آيـات القـرآن الكريم ، واذا كان الله يبغض التغير فى أحكامه بتحليل الحرام أو تحريم الحلال ، فان بغضه لتحريم الحلال أشد لمـا فى ذلك من التضييق على المسلمين ، وقد جاء ذلك العمل قرينا للشرك فى بعض الأحاديث ان وجوب الايمـان بالقـرآن وجـوب للايمان بنصـه واعجازه ومقاصده وبخاصة أحكامه ، والايمـان بهـا يستدعى تصديقها والعمل بهـا عن اخبات ورضا والاخلال بأحد هذين العنصرين يفضى الى الـكفر أو العصيان ونعوذ بالله منهما .

ابو الوفا المراغى

من قواد الاسلام : قتيبة بن مسلم الباهلى :

فى سنة ٩٦ هـ سار قتيبة الى حدود الصين على رأس جيش كثيف . ولمـا قرب منها أرسـل الى ملكها وفـدا برئاسة (هبيرة بن المشمرج الكلابى) وبعد مراسلات ... قال ملك الصـين :

انصرفوا الى صاحبـكم فقـولوا له : ينصرف ، فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا أبعث من يهلككم ..

فقال له هبيرة : « كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله عندك وآخـرها فى منابت الزيتـون ... وترك بلاده وغزاك ؟ وأما الموت فلسنا نركهه ولا نخافه » .

فأجابه ملك الصين : « فما الذى يرضى صاحبك ؟ » قال هبيرة : « أنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية » .

فقال الملك : « فانا نخرجه من يمينه . نبعث اليه بتراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية يرضاها » .

ثم دعا بصـحاف من ذهب فيهـا تراب ، وبعث بحـرير وذهب ، وأربعـة غلمـان من أبنـاء ملوكهم ثم أجاز الوفد ، فساروا حتى قدموا على قتيبـة ، فقبـل الجزية ، وختم الغلمـان ، وردهم ، ووطىء التراب ثم عاد الى مرو . أ هـ الطبرى جـ ٨ ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

الصبر فى القرآن

لفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى

الصبر من أبرز الأخلاق القرآنية التى عنى بها الكتاب العزيز فى سوره المكية والمدنية . وهو أكثر خلق ــ بضم الخاء ــ تكرر ذكره فى القرآن .

يقول الامام الغزالى فى كتاب « الصبر والشكر » من « ربع المنجيات » من كتابه : « احياء علوم الدين » : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا (١) .

وينقل العلامة ابن القيم فى « مدارج السالكين » عن الامام أحمد قوله : الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا (٢) .

وكذلك ينقل أبو طالب المكى فى « قوت القلوب » عن بعض العلماء قوله : أى شىء أفضل من الصبر ، وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ؟ !

ولا نعلم شيئا ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر (٣) !

والناظر فى « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » يجد مادة «ص ب ر» بكل مشتقاتها قد وردت فى القرآن مائة مرة وبضع مرات .

ولا تنافى فى رأيى بين هذه التقديرات على اختلافها ، وبين الاحصاء الرقمى للمعجم المفهرس ، لأن الموضع الواحد قد ذكر فيه مادة « ص ب ر » أكثر من مرة فيحسبها

---

(١) احياء علوم الدين ج٤ ص ٦١ط . دار المعرفة بيروت

(٢) مدارج السالكين ج٢

(٣) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧ .

بعضهم موضعا واحدا ، وبعضهم موضعين أو أكثر . مثال ذلك فى قوله تعالى فى أواخر سورة «النحل» :

« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهوخير للصابرين. واصبر وما صبرك الا بالله » (١) فالمادة هنا ذكرت أربع مرات فى آتين،بحيث يمكن أن تحسب موضعا واحدا ، وأن تحسب موضعين باعتبارين . وفى قصة موسى مع العبد الصالح فى سورة الكهف، (٢) تردد ذكر الصبر عدة مرات ، ويمكن اعتبارها كلها موضعا واحدا .

وقوله تعالى : « والصابرين والصابرات » (٣) موضع واحد بلا شك .. وهكذا .

والصبر فى اللغة : الحبس والكف. ومنه : قتل فلان صبرا ، اذا أمسك وحبس .

ومنه قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم (٤) » أى حبس نفسك معهم .

ويقال الصبر : الجزع . كما فى قوله تعالى على لسان أهل النار : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » (٥) .

وهو فى القرآن يعنى : حبس النفس على ما تكره ، ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم » .

وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتى ، ولهذا تتسع دائرة الصبر فتشمل مجالات رحبة أكثر مما يقف عنده ــ عادة كثير من الناس اذا ذكرت كلمة « الصبر » .

ويقول الامام الغزالى :

« اعلم أن الصبر ضربان » :

أحدهما : ضرب بدنى ، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها ، وهو

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) الآيات ٦٧ وما بعدها .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٤) سورة الكهف الآية ٢٨
(٥) سورة ابراهيم الآية ٢١

اما بالفعل ، كتعاطى الأعمال الشاقة، اما من العبادات أو من غيرها .

واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد ، والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة .

قال الغزالى : وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع .

ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر ، وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى .

ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة.

وان كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذى غلب عليه الصبر .

فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم « الصبر » وتضاده حالة تسمى « الجزع والهلع » وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت ، وضرب الخدود ، وشق الجيوب وغيرها .

وان كان فى احتمال الغنى سمى « ضبط النفس » وتضاده حالة تسمى « البطر » .

وان كان فى حرب ومقاتلة سمى « شجاعة » ويضاده « الجبن » .

وان كان فى كظم الغيظ والغضب سمى « حلما » ويضاده «التذمر» .

وان كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة ، سمى «سعة الصدر» ويضاده « الضجر والتبرم وضيق الصدر » .

وان كان فى اخفاء كلام سمى « كتمان السر » وسمى صاحبه « كتوما » وان كان عند فضول العيش سمى « زهدا » ويضاده « الحرص » ..

وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى « قناعة » ويضاده « الشره »

فأكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر .

ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله وأعزها ، كما قال « الحج عرفة » .

وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك، وسمى الكل صبرا فقال تعالى : « والصابرين فى البأساء (أى

المصيبـة) والضراء (أى الفقـر) وحين البأس (أى المحاربة) أولئك الذين صـدقوا ، وأولئـك هـم المتقون » (١) •

فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ، ومن يـأخذ المعانى من الأسـامى يظـن أن هذه الأحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها ، من حيث رأى الأسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم ، وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعـانى أولا ، فيطلع على حقائقها ، ثم يلاحظ الأسـامى فانها وضعت دالة على المعانى •

فالمعانى هى الأصـول والألفاظ هى التوابع • ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد أن يزل » (٢) وهذا كلام نفيس ، وتحقيق جليل •

ومن هنـا نفهم كيف جعل القرآن الصبر وحده مناط الفلاح فى الآخرة ودخول الجنة واستحقاق التحية من الملائكة ، وذلك فى مثل قوله تعالى فى شأن الأبرار من عباده : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » (٣) وفى شأن عباد الرحمن « أولئك يجزون الغرفة » أى الجنة ، « بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » (٤) وفى شأن أولى الألباب من عباده الأخيار « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (٥) • فالصبر هنـا يحمل فى طياته جملة شعب الايمان وأخلاق الاسلام •

الصبر خصيصة انسانية :

ولما كان الانسـان هو المخلوق العاقل المكلف المبتلى ، كان الصبر خصيصة من خصائصه المميزة •

يقول الامـام الغزالى فى تحليل معنى الصبر وبيان حقيقته :

« الصبر خاصية الانس ، ولا يتصور ذلك فى البهائم ولا الملائكة ، أمـا البهائم فلنقصـانها ، وأما الملائكة فلكمالها •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧
(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦ ـ ٦٧
(٣) سورة الانسان الآية ١٢
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٥
(٥) سورة الرعد الآية ٢٤

وبيانه : أن البهائم سلطت عليها الشهوات ، وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها ، حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة « صبرا » .

وأما الملائكة عليهم السلام،فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ، ولم تسلط عليهم شهوة صادفة صادة عنها ، حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الانسان فانه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة ، لم يخلق فيه الاشهوة الغذاء الذى هومحتاج اليه ، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح (الشهوةالجنسية) على الترتيب . وليس له (يعنى فى طفولته) قوة الصبر البتة.اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند آخر ، قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما . وليس فى الصبى الاجند الهوى كما فى البهائم.

ثم يبين الامام الغزالى أن اللهتعالى بفضله وسعة جوده ، أكرم الانسان ورفع درجته عن البهائم ، فأمده ـ عند مقاربةالبلوغ ـ بقوتين:قوة تهديه الى معرفة الحقائق الكبيرة ، بها يعرف الله ورسوله ، ويعرف المصالح المتعلقة بالعواقب وبها يتميز عن البهيمة التى لا تهتدى الا الى مقتضى شهواتها فى الحال فقط فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة .

وقوة أخرى مكملة للأولى تؤيد الانسان وتشد أزره فى معركته مع الهوى وجند الشيطان ، بها يدفع فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة ، حتى يدفع عداوتها عن نفسه .

قال الغزالى :

« فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها (باعثا دينيا) ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها (باعث الهوى) وليفهم أن القتال

قائم بين باعث الدين وباعث الهوى، والحرب بينهما سجال ، ومعركة هذا القتال قلب العبده ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة . فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله ، والتحق بالصابرين . وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين (١) » هـ .

ضرورة الصبر

وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر ، الى ما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية ، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة ، بل هو ضرورة لازمة للانسان ليرقى ماديا ومعنويا، ويسعد فرديا واجتماعيا ، فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا الا بالصبر .

الصبر ضرورة انسانية :

فالصبر ضرورة دنيوية ، كما هو ضرورة دينية .

فلا نجاح فى الدنيا ، ولا فلاح فى الآخرة الا بالصبر .

فى الدنيا : لا تتحقق الآمال ، ولا تنجح المقاصد ، ولا يؤتى عمل أكله ، الا بالصبر ، فمن صبر ظفر، ومن عدم الصبر لم يظفر بشيء .

لولا صبر الزارع على بذره ما حصد ، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى .

ولولا صبر الطالب على درسه ماتخرج ، ولولا صبر المقاتل فى ساح الوغى ما انتصر . وهكذا كل الناجحين فى الدنيا انما حققوا آمالهم بالصبر ، استمرأوا المر، واستعذبوا العذاب واستهانوا بالصعاب ، ومشوا على الشوك ، وحفروا الصخور بالأظافر ، ولم يبالوا بالأحجار تقف فى طريقهم. والطعنات تغرس فى ظهورهم ، وبالشراك تنصب للايقاع بهم ، وبالكلاب تنبح من حولهم ، بل مضوا فى طريقهم غير وانين ولا متوقفين . مغضين الأعين على القذى ، ساحبين الذيول على

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٢ ـ ٦٣

الأذى ، متذرعين بالعزيمة ، مسلحين بالصبر ، وصدق الشاعر القائل :

وقــل من جــد فى أمر يحاوله
واستصحب الصبر الا فازبالظفر

قــد يعثرون ثم لا يلبثــون أن ينهضوا ، وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا قد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل • وقد يفشلون مرة ومرة فــلا يلقــون الســلاح ولا يستسلمون لليأس ، ولايفقدون نور الأمل • شعارهم قول الشاعر الحكيم :

لا تيأسن وان طالت مطالبــه
اذا استعنت بصبرأن ترىفرجا
أخلق بذىالصبرأن يحظىبحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجــا

لقد عرف عشاق المجد ، وخطاب للمعالى ، وطلاب السيادة ، أنالرفعة فى الدنيا كالفوز فى الآخرة ، لاتنال الا بركوب متن المشقات ، وتجرع غصــص الآلام والصــبر عن كثير مما يحب ، وعلى كثير مما يكره • وبدون هذا لايتم عمل ، ولايتحقق أمل ، ومن تخيل غير هــذا الطريق كان كالذى قال لابن سيرين : انى رأيتنى فى النوم أسبح فى غير ماء ، وأطير بغير جناح !! فقال له : أنت رجل كثير الأمانى والأحلام : تتمنى ما لا يقع ، وتحلم بما لا يتحقق !!

وفى شــعر الحكم نقرأ كثيرا فى هذا المعنى • يقول أحدهم :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويقول المتنبى ، وقد كان طموحا لمنصب الولاية :

لا يبلغ المجد الا ســيد فطن
لمــا يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر ، والاقدام قتال!

وفى قصيدة أخرى يقول مخاطبا نفســه :

ذرينى أنل ما لا ينــال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل!
تريدين ادراك المعــالى رخيصــة
ولابد دون الشهد من ابر النحل!!

واذا كانت هــذه طبيعــة الطريق الموصل الى العلا والمجد ، فلاسبيل

الى اجتيازها الا بالصبر ، ولا يقدر عليها الا الصابرون .

والصبر مفتاح ما يرجى
وكل صعب به يهون
فاصبر وان طالت الليالى
فربما أسلس الحرون
وربما نيل باصطبار
ما قيل : هيهات لا يكون

هذا اذا نظرنا الى النجاح فى الدنيا . فكيف اذا نظرنا الى الفلاح فى الآخرة ؟ ! ان الحاجة الى الصبر تبدو هنا أوكد ، والضرورة اليه أشد وألزم .

يقول أبوطالب المكى فى كتابه « قوت القلوب » :

« اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة ، وسبب النجاة من النار ، لأنه جاء فى الخبر : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات. فيحتاج المؤمن الى صبر على المكاره، ليدخل الجنة ، والى صبر عن الشهوات ، لينجو من النار (١) » .

وفى مقام آخر يقول : « واعلم أن كثرة معاصى العباد فى شيئين : قلة الصبر عما يحبون ، قلة الصبر على ما يكرهون (٢) » .

الصبر اذن ضرورة للناس عامة وللمؤمنين خاصة .

والقرآن يشير الى ضرورة الصبر وأهميته ، حين يحدثنا عن خلق الانسان وما حف به من ابتلاء ومكابدة ومعاناة .

يقول تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » (٣) .

ويقول : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » (٤) أى فى شدة ومشقة ، لما يعانيه منذ مولده من شدائد الحياة المزوجة اللذات بالآلام ، وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسئولية وأمانة التكليف ، التى

---

(١) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠٠
(٢) المرجع السابق
(٣) سورة الانسان الآية ٢
(٤) سورة البلد

تنوء بحملها السموات والأرض والجبال وما يعانيه من الناس من حدة اللسان ، وأذى اليد وحسد النفس •

ضرورة الصبر للمؤمنين :

واذا كان هذا شأن الانسان بصفة عامة ، فأهل الايمان ــ على وجه خاص ــ أشد تعرضا للأذى والمحن والابتلاء فى أموالهم وأنفسهم وكل عزيز لديهم فقد اقتضى نظام الكون أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ، كذلك جعل الله لآدم ابليس ، ولابراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولمحمد أبا جهل • وأمثاله « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين » (١) « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (٢) •

وكذلك يكون المؤمنون من أتباع الأنبياء ، هم أشد الناس بلاء بعد الأنبياء الأمثل فالأمثل •

ومن ظن أن طريق الايمان مفروشة بالأزهار والرياحين ، فقد جهل طبيعة الايمان • بالرسالات ، وطبيعة أعداء الرسالات •

ولعل هذا الحسبان أو الوهم داخل نفوس بعض المؤمنين فى العهد المكى بعد أن أصابهم من العذاب ما أصابهم ، فنزل قوله تعالى فى سورة العنكبوت « ألم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ! ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين » (٣) •

بل فى العهد المدنى نجد القرآن المدنى ينفى مثل هذا الحسبان الواهم فى مثل قوله تعالى فى سورة البقرة: « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين

---

(١) سورة الفرقان

(٢) سورة الأنعام

(٣) سورة العنكبوت الآيات من ١ ــ ٣

آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ! ألا ان نصر الله قريب » (١) .

الجنة اذن لا بد لها من ثمن ، وهى سلعة الله ، وهى سلعة غالية فلا مفر من الثمن . وقد دفعه أصحاب الدعوات من قبل ، فلا بد أن يدفعه اخوانهم من بعد . وهذا هو ثمن الجنة : الصبر على البأساء تصيب الأموال والضراء تصيب الأبدان ، والزلزلة تصيب النفوس. ولابد أن يبلغ هذا الزلزال النفسى من الشدة الى حد يقول عنده الرسول ـ أى رسول ـ والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ يستبطئونه فقد طال انتظارهم له ، وطالت فترة الأذى عليهم ، وطالت شماتة العدو بهم ، فمتى يجىء اذن نصر الله الموعود ؟ !

وفى أعقاب غزوة أحد ، التى مس المسلمين فيها من القرح ما مسهم ، وفقدوا سبعين شهيدا من أبطالهم ، ينزل القرآن فيقول : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (٢) .

وفى سورة التوبة : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ؟ » (٣) .

ومن هنا أمر القرآن المؤمنين أن يستعينوا بعدتى الصبر والصلاة على ما يواجههم من محن فى سبيل دعوتهم ، فقال تعالى فى سورة البقرة : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » (٤) ثم عزاهم فيمن فقدوا من أحبابهم ممن اتخذهم الله شهداء فقال : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون » (٥) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٢
(٣) سورة التوبة الآية ١٦
(٤) سورة البقرة آية ١٥٣ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٥٤

ثم بين ما ينتظرهم من ألوان البلاء مؤكدا ذلك بلام القسم ، ونون التوكيد ، اذ يقول : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون » (١) .

فالبلاء هنا بلاء عام ، يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات ، ومن لطف الله تعالى ورحمته هنا أنه جعل البلاء « بشىء من الخوف والجوع ونقص .. الخ » وتنكير « شىء » هنا ـ كما يدل عليه السياق ـ للتقليل والتحقير ، لأن ما هو أكثر وأكبر لا يطيقونه ، فمسهم بشىء قليل ضئيل من البلاء ، تخفيفا عنهم، ورحمة بهم ، وتقديرا لضعفهم .

ومثل هذا التأكيد على ضرورة البلاء للمؤمنين خاصة ماجاء فى قوله تعالى « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٢) . وهنا نجد الآية تقرن بين أهل الكتاب والمشركين فى ايذاء المؤمنين ، مع اختلافهما فى الدين والوجهة ، ولكن هذا الاختلاف يزول عندما يكون العدو هو أهل الايمان والتوحيد . كما رأينا اليهود يتفقون مع المشركين الوثنيين فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما نرى فى عصرنا كيف تتفق الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ، والصليبية الغربية والشرقية على أمة الاسلام ودعوة الاسلام ، ولهذا قال علماؤنا : الكفر كله ملة واحدة ، وقال الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض (٣) » .

الدكتور يوسف القرضاوى

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥ ، ١٥٦

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦

(٣) سورة الأنفال

لغتنا العربية
ماذا يراد بها ؟!

لفضيلة الأستاذ الدكتور على حسن العمارى

لا يجهل أحد من المعنيين بالدراسات الاسلامية والعربية أن هناك جهودا مضنية من أعداء الاسلام للقضاء عليه ، وأن من أهم الوسائل لتحقيق هذه الغاية القضاء على اللغة العربية التى هى لغة القرآن ، أو اضعافها ، أو التهوين من شأنها وبخاصة عند الناطقين بها .

وقد اتخذت هذه الوسيلة مظاهر مختلفة ، أو قل انها جاءت على حلقات متتابعة ، فقد عمد الاستعمار الى فرض لغته على بعض الشعوب ، والى منعه من التكلم بالعربية ، وفى بعضها الآخر رغّب بشتى الوسائل المادية والأدبية فى تعليم لغة المستعمر ، والتهوين ما أمكن من شأن اللغة العربية ، ولما تقلص ظل الاستعمار سلك الأعداء طرقا أخرى ، فدعوا أول ما دعوا الى سيادة اللغة العامية فى الكتابة والخطابة والاذاعة ، وكان لهذه الدعوة أنصار بعضهم سىء النية ، وبعضهم غفل عن الأهداف الخبيثة التى يخفيها الدعاة اليها ، ثم جاءت فتنة كتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية ولكنها ماتت فى مهدها .

ولما لم تفلح هاتان الدعوتان ، أو بعبارة أدق لم تؤتيا الثمار المرجوة منهما عمد هؤلاء الذين يعملون بدأب وجد على التخلص من العربية الى خديعة أخرى ، وان لم يتخلوا عن جهودهم فى الدعوة الى العامية والى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، أعنى التخلى نهائيا عن الحروف العربية ، واحلال الحروف اللاتينية محلها .

أما الخدعة الجديدة ، وأقول ــ بادىء ذى بدء ــ انى لا أتهم الذين خدعوا بها بسوء النية ، وانما أتهم الذين لقنوها لهؤلاء سواء عن طريق الدراسة فى الجامعات الأجنبية أو عن طريق ما يذيعون من أبحاث عن اللغة العربية •

أما هذه الخدعة فهى تثبيتهم فى أذهان بعضنا أن لنا لغتين منفصلتين: احداهما لغة تراث ، والأخرى لغة عصر ، ودعوتهم الى أنه ينبغى أن نجعل الأساس فيما نكتب ونخطب ونتكلم لغة العصر ، ولا ننسى مع ذلك أن نستعين بالمناسب من لغة التراث ، والنتيجة الحتمية لهذا أن نبتعد شيئا فشيئا عن لغتنا الأصيلة ، ونحل محلها ما يسمونه (لغة العصر) ، وهم لا يقصدون بها لغة التخاطب •

أقول قد خدع حتى بعض كبار كتابنا بهذه الدعوة حتى قال أحدهم: نحن لا نعيش عيشة العباسيين فكيف تتكلم لغتهم ، وقال أحد رجال التعليم : ان فصحى العصر هى لغة التأليف الجيد فى شتى مناحيه ، وأنها تختلف كثيرا عن فصحى التراث ، وأنه لكى يتخلص الدارس من المأساة التى هى الدرس البلاغى القديم ينبغى أن تعرض فصحى العصر بلاغتها فى التعبير كمنهج مدرسى ، وحينئذ لا يحس المتلقى (أن مقررات لغته القومية تحمله الى غابة حوشية من الألفاظ أو جزيرة مهجورة من التعابير والدلالات) • وحتى ليقول كاتب عن البلاغيين القدماء : انهم تاريخ عظيم أكثر منهم رؤية مستقبلية •

وكان نتيجة لهذه الخدعة ، أو مقدمة لها أن أوقعوا فى أذهان كثير منا أن دراسة اللغة العربية من أصعب الدراسات، ولقد سمعت أحد أعضاء مجمع اللغة العربية يقول ان الأدب الجاهلى كله غامض ، وقرأت لكاتب فى أحد المجلات الأسبوعية قوله : ان مناهج اللغة العربية فى مدراسنا صيغت من خلال رؤية جامدة للغة والتراث ، وعداء صريح للواقع الأدبى واللغوى الذى تزخر به البيئة من حولنا ، ومن خلال اختيارات كانت تعكس أذواقا بعد بها العهد ، وتغير من حولها الزمان •

ويتضح من كل ذلك أن بين أيدينا قضيتين : الأولى دعوى أن لنا لغتين احداهما لغة تراث ، والأخرى لغة عصر ، والثانية أن علينا أن ندرس لغة العصر ، ولا ننظر الى البلاغة القديمة الا على أنها تاريخ ، ولا الى مناهج اللغة العربية فى مدارسنا الا على أنها صيغت من خلال رؤية جامدة .

وأبادر فأقول : انه حسن وجميل أن تطرح هاتان القضيتان للبحث والدرس حتى يتبين المخدوعون مدى ما فى دعوتهم من أضرار بلغتنا وديننا وعروبتنا ، ولكن من غير الحسن أن يرمى علماؤنا الذين وضعوا مناهج اللغة العربية ــ وأكثرهم من كبار الأساتذة ــ بأنهم جامدون ، وبأنهم معادون لواقعنا الأدبى ، ولا أن يوصف الذين يرون أن لغتنا العربية لغة واحدة ، حفظها القرآن الكريم ، والتراث العربى من التمزق والضياع ، أن يوصف هؤلاء بأنهم (ينظرون نظرة تتصف بالجمود فى مواجهة الواقع الحى ، وبأنهم تحت شعار كثيف من دعاوى الغيرة والحرص والحفاظ اتخذوا موقفا متعصبا ، بالغ الجمود والتحجر ، من محاولة وضع لغتنا الجميلة فى اطارها وموضعها الصحيح من قضايا العصر) .

فهذا كلام تعودنا سماعه كثيرا ، ولعل الغرض الأول منه اثناء هؤلاء الذين يصمونهم بالتعصب عن مواقفهم الحازمة ازاء مايراد بالعربية أو بالاسلام من ضيم ، ومع الأسف فان بعضنا يحب أن يوصف بأنه مجدد ، أو بأنه ــ على الأقل ــ غير معاد للجديد ، فيقف مواقف لا تليق بالرجال .

وأحب أن يعلم الجميع أن الذين يصفونهم بالمتعصبين للقديم ، أو بالمحافظين لا يرفضون الجديد متى كان صالحا ، وانما يرفضون الضار المفسد ، وان الكثيرين منهم لايعنيهم أن يوصفوا بأنهم محافظون فذلك شرف لا يتخلون عنه ، وقد عاصرت معارك كثيرة بين المحافظين ومن يزعمون أنهم مجددون كان النصر فى نهايتها للمحافظين ، وتبين لكل ذى عينين أن الحق كان فى

جانبهم « وصدق الله العظيم » (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) .

ويكفى أن أشير هنا اشارة خفيفة ! (قضية من القضايا الكبرى التى كان النصر فيها للمحافظين تلك قضية المحاولات المختلفة لتغيير النحو العربى ، فقد رأينا (احياء النحو) و (تحرير النحو) و (النحو المنهجى) و (النحو الجديد) و (نحو عربية ميسرة) وبحمد الله تعالى لم تثبت طريقة من هذه الطرق للبحث والدرس ، وماتت جميعها ، ولفظتها دور العلم ، وعدنا الى نحو (سيبويه) نبسطه ونيسره ، ونلتزم قواعده .

ثم أعود الى ما بدأت به .

ان أساس الخطأ فيما يتعلق بالقضية الأولى أن منا من ينسون أو يتناسون أن اللغة العربية ليست كغيرها من اللغات الأخرى التى تنتقل بفعل الزمن من حال الى حال مغايرة ، وان ما نراه اليوم من وجود مستويات فى اطار اللغة الصحيحة ليس حديثا ، فقد كانت هذه اللغة فى عصورها المختلفة ذات مستويات تقترب أو تبتعد ، ولكن يجمعها كلها اطار واحد يتمثل فى المفردات والتراكيب والقوالب التى تصاغ فيها هذه التراكيب ، والصور البيانية التى ان اختلفت مظاهرها فلم تختلف أصولها .

ولن تخرج اللغة عن هذا الاطار أن مفردات كثيرة أو قليلة دخلتها من لغات أخرى ، ولا أن صورا للتعبير ابتدعت ما دامت كلها لم تخرج عن قوانينها التى نحرص عليها أشد الحرص .

ولقد دخل على العربية فى عهودها القديمة كلمات أجنبية هضمتها وصيرتها من مفرداتها ، كما اتخذ الفقهاء والنحاة وعلماء الكلام معانى جديدة لمفردات عربية ذات معان قديمة ، ولم يقل أحد انه أصبح للعرب لغتان ، بل يقول الجاحظ فيما أضافه علماء الكلام من مفردات ليس لها نظير فى العربية ، (وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية

ما لم يكن له فى لغة العرب اسم فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف ، وقدوة لكل تابع) (١) .

ويشير هذا الأديب الى أن لكل طبقة من الناس كلاما ، ويقول انه من الخطأ أن تكلم طبقة بألفاظ طبقة أخرى ، ويصف هذه الاختلافات ، فيقول : (وكلام الناس فى طبقات، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات ، فمن الكلام الجزل والسخيف ، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل ، وكله عربى ، وبكل ذلك تكلموا) (٢) .

والداء الذى يجب أن نقضى عليه هو محاولة احلال مايسمونه (فصحى العصر) محل مايسمونه لغة التراث، وما يذهب اليه بعضهم من وجوب التخلى عن بعض قواعد النحو ، والبدعة الأولى تتمثل فى قول بعض الباحثين ان فصحى التراث تنزع الى تقليد القديم ، ومحاكاة أسلوب القرآن الكريم ، والحديث الشريف ووصايا الخلفاء والبلغاء ، وان فصحى العصر تحررت من هذا كله ، وان الفصحى المعاصرة تنتظم خواص اللغة العربية الأساسية ، فهى تراعى قواعد الاعراب فى جملتها ، وتسير بصورة عامة على قوانين نظم الكلام العربى لما ألفناه فى عصور العربية الأصيلة ، ولكنها ضمت الى ثروتها اللفظية أعدادا هائلة من الكلمات والصيغ ، كما استخدمت أنماطا من نظم الكلام ، وتأليفه جاءت على ضرب غير معهود فى العربية بحسب المنصوص عليه فى كتب اللغة .

ويخلص الباحث الى وجوب أن تعلم فصحى العصر فى مدارسنا ومعاهدنا .

ومن عجب أن يقول الباحث (ان فصحى العصر تحررت من محاكاة أسلوب القرآن والحديث الشريف) فكيف يكون هذا تحررا ؟ والتحرر انما يكون من قيد ثقيل مكروه ،

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤

ولو قال ــ مثلا ــ حرمت ، أوتخلت أو ابعدت لكان قوله مقبولا ، ولكن كيف يسميها (فصحى) مع هذا التحرر أو هذا الحرمان ، بل كيف تكون (فصحى) وقد استحدثت أنماطا لا يقرها المعهود من كتب اللغة ؟ .

والقضية : هل الحديث عن لغة عربية أو عن لغة أخرى ؟ ان كان الأول فنبغى أن تراعى قواعد الاعراب جملة وتفصيلا ، وألا يخرج الكلام عما هو معهود من كتب اللغة، وان كان الثانى فما ينبغى أن نحفل بأى حديث عن لغة غير لغتنا .

وهذا يجرنا الى البدعة الثانية ، وهى القول بالتخلى عن بعض قواعد الاعراب . لقد قرأت فى احدى (المحاضر) التى لخصت ما دار فى جلسة لجنة ألفت للنهوض باللغة العربية هذه الكلمات : (وتساءل الحاضرون عما اذا كان من الضرورى أن نصمم على الفصحى ، وأشاروا الى ضرورة أن يثق الناس فى أنفسهم وهم يتكلمون ، وأن يشعروا أن خطأهم فى اللغة مقبول، وأن الاصرار على اللغة الصحيحة قد يعطل انطلاق التفكير ، والمهم وضوح التعبير وأداؤه ، والانصراف للبحث والتفكير ووضوح الفكر ، وهذا أهم من البحث وراء مطابقة العبارة لقواعد النحو) .

هذا لون من تفكير بعض من يوكل اليهم النهوض باللغة العربية، فليس المطلوب فى رأيهم أن ترتفع بالمتكلم ، وتلزمه بمراعاة قواعد الاعراب وبخاصة اذا كان خطيبا أو مذيعا ، ولكن المطلوب أن ندلله ونجعله فى حل من هذه القواعد ، لأنه عاجزعنها ، ولأنها تعوق تفكيره عن الانطلاق .

انه لأمر مؤسف حقا أن يقال مثل هذا الكلام ويسجل فى لجنة تبحث طرق النهوض بالعربية ، كأن الذى قاله جاء الى اللجنة ليأخذ قرارا يبيح له أن يتخلى عن قواعد العرب أو عن بعضها .

ولا نطيل فى رفض وتهجين هذا المذهب الأخير ، وانما نمضى لنبين لماذا نرفض أن يقال لغة عصرولغة

تراث ، وأن تكون لغة العصر هى التى تدرس فى دور العلم عندنا :

أولا : ان ذلك يوحى بأن لغة التراث لغة صعبة التحصيل ، ثقيلة على الأسماع ، متأبية على الأذهان،

وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة فلغتنا ليست مستغلقة ، وهى بغير شك ليست أصعب من الانجليزية ، وآدابها ليست بعيدة عن أذواقنا ، ومؤلفاتها لم تكتب باللغة العبرية أو الفارسية ، بل كتب كثير منها بأسلوب لا يستعصى على الأفهام ، واذا كان العرب قد عبروا فى أدبهم عن العواطف الانسانية ،والانفعالات البشرية وعن المثل العليا فى الفضائل ، والصغائر الدنيا فى الرذائل، واذاكانت حكمهم ووصاياهم لم تصدر الا عن عقول حصيفة . اذا كان كل ذلك فكيف نحرم أنفسنا وأجيالنا من هذا التراث ، وكيف نصف لغته بأنها عسيرة الهضم ؟ !

ثانيا : خطورة الدعوة الى لغة عصرية لها خصائصها ومميزاتها تكمن فى أنه سيجىء بعد مائة سنة أو أقل أو أكثر من يعتبرون هذه (العصرية) عندنا (لغة تراث) ، ويدعون الى لغة عصرهم ، وبذلك لايمضى زمن طويل حتى يبعد العرب والمسلمون عن لغتهم التى نزل بها القرآن ، ودون بها أعظم مفاخرهم .

ثالثا : نحن فى أشد الحاجة الى أن نظل نفهم القرآن والحديث ووصايا الخلفاء والبلغاء وماخلف المتقدمون من علم وأدب ، ولن يتأتى لنا ذلك الا بدراسة نحوهم وبلاغتهم ولغتهم .

رابعا : نحن لا نعيش وحدنا فى هذا العالم العربى ، ولا نضع مناهج قاصرة على مدارسنا ومعاهدنا ، وانما ننظر فى الحقيقة الى اخوان لنا فى مختلف الأقطار العربية ، واذاكان الأمر كذلك فكيف نجعل لغتنا العصرية فى مصر ، بل ربما كانت لغة القاهرة وحدها تلك التى يدعون اليها هى مجال الدراسة ؟ ان اللغة التى تجمعنا جميعا هى اللغة العربية الصحيحة الفصيحة .

وأحب أن أقول للذين يشككون فى مدى جدوى دراسة البلاغة

العربيـة ، والآداب القـديمة انهم لم ينظروا نظرة شاملة ، فهم فى البلاغة انما نظروا فى منهج واحد من مناهجها، ولو نظروا فى المنهـج الآخر الذى يمثله عبد القـاهر الجرجانى وابن الأثير لما دعوا الى وصف هـذه البلاغة بأنها (تاريخ أكثر منها رؤية مستقبلية) .

وأما الأدب فقـد فاتهم أن أول شرط وضـعه القـدماء حتى علماء البـلاغة المتـأخرون . أول شرط وضعوه لبلاغة الكلام هو الوضوح.

واذا كان فى الأدب العربى بعض القصائد التى تحتاج الى معاناة فى فهمه ففيـه آلاف القصـائد التى لا يحتاج من يدرسها الى كشف فى المعاجم الا قليلا .

ثم من قال ان علينـا أن نعفى المدرس أو الطالب من الدرس والنظر والبحث ؟ وهل العلم والأدب أغنية مبتذلة يتلذذ بها السامع وهو مستلق على فراشه ؟ !

ان الذى حقق النبوغ لمن نبـغ من العلماء أو الأدباء انما هو المعاناة التى تحمـلوها فى البحث والتنقيب والتحصيل .

ولمـاذا يجهـد الطالب جهده ، ويستعين بأسرته وأساتذته ليكون على مستوى رفيع فى دراسة الرياضة أو الكيمياء ، ولا يعطى اللغة العربية الا أيسر المجهود ؟

وهل من مهمة المشرعين ، وواضعى المناهج أن يجعلوا ضـعف الطالب والمثقف فى اللغـة العربيـة مذهبا يصدرون عنه أو مهمتهم الأولى أن تستقيم الألسنة على التعبير الصحيح ، وتعتاد الأقلام على التعبير الفصيح؟

د. على حسن العمارى

من سجل التيارات المعادية للإسلام

للدكتور يحيى هاشم

— ٤ —

فى الفنون :

فى القصة نشرت الأهرام ابتداء من عددها الصادر فى١١/٩/١٩٦٥ قصة لنجيب محفوظ بعنوان «ثرثرة على النيل» .

وبالحلقة الأولى تظهر شخصية المدعو (أنيس زكى) ــ والتسمية هنا غامضة فى دلالتها على عقيدته ــ وهوموظف مهمللادمانه المخدرات، لذلك ينتقده رئيسه ، ولكن هذا النقد يوجه اليه فىعنف وقسوة تدفع الى ذهنه صورا من القسوة فى التاريخ ويختار المؤلف هذه الصور من عصور المماليكوحدهم، ويدفع بطله الى تساؤل غريب هو: (ترى هل يوجد للمعز لدين الله ورثة يمكن أن يطالبوا ذات يوم بملكية القاهرة ؟) .

وأقف هنا لأقول : ان تعمد استدعاء صور القسوة الحاكمة من عصر اسلامى مع التجاهل الكامل لعصور الفراعنة مثلا ــ وهى أقرب فى تصويرها للظلم الى ذهنالمصرى المسلم ــ يلقى ظلا كئيبا ونقدا غير مباشر للحكم الاسلامى بصفة عامة.

كذلك أشير الى أن التساؤل الانكارى عن وريث للمعز ، يدفع الى الشعور أو الى اللاشعور بالتخوف من رجوع الحكم الاسلامى .

كذلك ظهرت فى هذه الحلقة شخصية (عم عبده) وهو خفير العوامة التى يسكنها أنيس زكى على النيل وقد رسمت هذه الشخصية فى صورة تؤذى المقدسات الدينية وتضع من قيمتها ، فهذا الخفير يقرر فى حواره أن قرة عينه

فى الصلاة ، كذلك يظهر من حواره أنه بنى بيده مصلى بجوار العوامة، والى جانب ذلك نرى أنهذا الرجل نفسه يقوم بقيادة فتيات الليل الى سكان العوامة وان الساكن يدعوه، ياخفير الملذات هذا الجمع بين هذين السلوكين فى شخصية واحدة وبأسلوب لا يوحى بالغرابة يشعر باحتقار قيمة عليا من قيم الدين الاسلامى وهى الصلاة .

وقد عاد احسان عبد القدوس الى نشر القصص الجنسية ، وفى قصته بروز اليوسف ١٧/٣/١٩٦٦ نجد تبريرا للخيانة الزوجية ، حيث تتم وفقا لتحليل منطقى : اذ للزوجة جانبها الاجتماعى العام ، وهذا تخصصه للزوج ، وجانبها الفردى الخاص ، وهذا تتصرف فيه كيف تشاء ، كما نجد العلاقة بين الزوجة والخليل تستمر الى الشيخوخة فى اطار من الوفاء والرقة والاخلاص والحرص على سلامة العلاقة الزوجية التى تسير فى خط مواز لا تتعرض فيه لأية أخطار .

فى المسرح :

١ ــ شاهدت مسرحية « الانسان الطيب» المترجمة عنبرتولد بريخت، والمعروضة بمسرح محمد فريد فى فبراير ١٩٦٧

ولا ينبغى أن نغفل عما تتضمنه هذه المسرحية ــ من تنديد وسخرية بالأديان ، السماوية ، والحكم عليها بالفشل فىحل مشاكل الانسانية..

ان الآلهة فى المسرحية (وهم ثلاثة هبطوا من السماء الىالأرضلدراسة عن الانسان) نجدهم فى الأوضاع الآتية :

لا أحد يتقبلهم من علية القوم وأعيانهم ــ ليس عندهم ما يعينون به الانسان الطيب غير ازجاء وصايا جافة آلية متحجرة ــ يثورون على تشويه الانسان للطبيعة وخلقه حياة صناعية ــ ليس لديهم سلطة لتنفيذ ما يريدون فى وصاياهم ــ أغبياء فى تصرفاتهم ــ يشعرون بعجزهم عن مواصلة البحث فى حياة الانسان ، فيهجرون هذا البحث ويعودون الى السماء .

ونجد هجوما عليهم من المجتمع الذى نزلوا اليه يبحثون :

فوصاياهم لا تنفع ــ وجزاء من ينفع الناس طبقا لوصاياهم أن يجتث قبل الأوان ــ وتعاليم السماء لاتفيد ضد الجوع ــ ولماذا لا يجىء الآلهة فى شكل لجنة لأجل كسب حق وجبة غذاء ، ولأجل أن ينجدوا فردا تعيس الحظ من البشر ــ « وحنفية » ملكوت السماوات (المطر ٠٠) سايبه ، لو أصلحها الآلهة لا نصلح حال المحرومين ــ وصفحات الكتاب المقدس لاتصلح أن تكون فراشا لنوم من لا ملجأ له ــ وكاهن الزواج الذى يمثل ارادة الآلهة ليس الاتاجر زواج ــ ونقل وصايا الآلهة هو الذى غطى الانسان فى الوحول ــ وأن يعالمهم شيئا هو « غلط » ولا مفر لهم من أن يعترفوا بضرورة التخلى عن وصاياهم ولو مرة فى الشهر ــ وهم يضربون عندما يتدخلون لحل بعض المشاكل ٠٠

ولقد هالنى أن توضع فكرة الأديان السماوية هذا الوضع :

وحاولت أن أجد فيما كتبه مخرج المسرحية الأستاذ سعد أردش تفسيرا لذلك ، فقرأت مقالة عن مسرح بريخت بمجلة المجلة عدد مارس سنة ١٩٦٧ ولم أجد فيه شيئا يلقى الضوء على هذه القضية ، ثم وجدت فى النشرة التى توزع على رواد المسرح هذه الكلمة للمخرج : « ان الآلهة هم آلهة المجتمع الرأسمالى ٠٠ » الخ والواقع أننى تحيرت فى فهم المقصود من هذه العبارة ، ووجدت أنه اذا كان المقصود أن هؤلاء الآلهة يمثلون ــ لا العقيدة الدينية السماوية ــ ولكن قيم الرأسمالية ، فى عبادتها للمال ٠٠ الخ فان ذلك لا يستقيم مع ما جاء فى المسرحية ، لأسباب منها :

١ ــ ان ذلك لايفسر لماذا اختار المؤلف أن يكونوا ثلاثة بالتحديد ؟

ان هذا العدد يجد تفسيره فى العقيدة السماوية الدينية ، اما كرمز للعقيدة المسيحية فى تثليثها ، واما كرمز للأديان السماوية الثلاثة ٠٠

٢ ــ ان الآلهة فى هذه المسرحية يطلبون فى وصاياهم ما تهتم به

الأديان أساسا كطاعة الوالدين وحب الجار •

٣ ــ ان الآلهة فى هذه المسرحية يغضبون لعدم الوفاء بحق العامل وهو ما لا يتصور أن يكون فى ظل القيم الرأسمالية •

٤ ــ ان أغنيــاء القوم وأعيانهم يتحاشونهم ••

٥ ــ انهم فى الوقت الذى يعلنون فيه افلاســهم ينتصر الاتجاه الذى يمثله فى المسرحية شخصية ابن العم ذى السلوك الرأسمالى ••

٦ ــ انهم يتضــايقون من التصنيع ••

٧ ــ انهم يقنعون بأن يعيش فى الأرض انسان واحد طيب ••

اننى شديد الاقتناع بأن هؤلاء الآلهة يمثلون فكرة الدين السماوى أيا كان هذا الدين ، واذا كان المؤلف يربط بينهم وبين قيــم المجتمــع الرأسمالى، فان هذا يعنى أن القضاء على المجتمع الرأســمالى ينبغى أن ينسحب اليهم أيضا، وليس صحيحا أن يقال: ان المؤلف قد يكون قاصدا بذلك المســيحية بالذات فانه وان كان من الراجــح انه راجــع الى المسيحية فى تصــوره للدين الا أن الاطلاق الذى اتســمت به فــكرة الألوهية فى المسرحية ، يجعل تأثيرها شاملا لأى دين سماوى هذا فضلا عن انه ليس من المؤكد حتى الآن، ان الهجوم من قبل المحدين على دين بعينه قد يفيد دينا آخر •

وفى نفس هذا الاتجاه ، بل وفى صورة أشــد وضوحا ولا تحتمل المــداراة ، مسرحيــة « الشــيطان والرحمن » لجان بول ســارتر التى أعيــد نشرها ضمن مجمــوعة من مسرحياته تهدف الى القول بعــدم وجود اله ••

فى التليفزيون :

منذ أكثر من سنتين نشر الأستاذ عباس صالح سلسلة مقالات بمجلة الكاتب أعاد فيهــا تصوير المرحلة الأولى من تاريخ الاسلام ــ عهــد النبوة والخلفاء الراشدين ــ طبقا للمنهج المــادى التاريخى ، وجعل

الصراع يدور فى هذه المرحلة ، خافتا تارة وصاخبا تارة أخرى بين ماسماه اليمين واليسار . وذكر أن أبا بكر رضى الله عنه كان يميل الى اليمين وان عمر كان يميل الى اليسار، وان عثمان كان يميل اليهما ، بينما كان على قمة اليسار .

وفى هذا الضوء ـ فيما أعتقد ـ ألف الأستاذ مصطفى كامل تمثيلية عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، والتى أرسلت على شاشة التليفزيون مرتين فى خلال الأسبوعين الأخيرين (مارس ١٩٦٧) ..

وفى هذه التمثيلية نجد أن أبا ذر هو أول اشتراكى فى الاسلام ، وان المسلمين يفاجأون بانتخاب أبى بكر للخلافة لا انتمائه الى الأغنياء ، ولكنهم يرضون عنه بعد ذلك لتمسكه بتنفيذ سنة الرسول ، وأنهم يفرحون لانتخاب عمر وأن طبقة الأغنياء تتكاتف وتتآمر على قتل عمر ، ويتم لها ما أرادت ليعتلى عثمان الخلافة، فيحزن المسلمون ويدور الصراع بين طبقة الأغنياء الشرهين الى المال ، وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف (الصحابى الجليل) .. وبين طبقة الفقراء وعلى رأسهم أبو ذر ..الخ المسرحية .

نجد فى هذه التمثيلية اعادة تقييم الصحابة لا على أساس من المقياس الاسلامى التقليدى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولكن على أساس فلسفة الصراع بين طبقة الأغنياء والفقراء .

ان كان فى هذا وفاء بمقتضيات الفكر الماركسى فمن المنكر أن فيه وفاء بمقاييس الاسلام . ان التمثيلية لم تقف عند حد تجريح جملة من الصحابة تجريحا عنيفا شديدا مثل أبى سفيان ومعاوية والقريبين منهما ، بل انها تناولت من الصحابة بهذا التجريح بعض من وردت لهم شهادة الرسول بأنهم أحد العشرة المبشرين بالجنة ، مثل عبد الرحمن بن عوف ، لمجرد أنه من الأغنياء فهل مما يفيد الأمة الاسلامية فى عصرها الحديث ـ وقد قاربت على نسيان خلافاتها التاريخية القديمة ـ أن تعود الحرب

جذعة ، ليقال متعصبون لأبى بكر ، ومتعصبون لعمر ، ومتعصبون لعلى وأمويون .. الخ . أم أن الخير كل الخير ، فى أن يتم سحب ذيل النسيان على هذه الخلافات ليعود المسلمون الى تنظيم حياتهم على أسس خالصة من كتاب الله وسنة رسوله ؟

ان اثارة هذه الخلافات واذكاء نارها من جديد ، بدعوى البحث عن جذور الاشتراكية فى حياة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، ليس مما يفيد قضية الاسلام أو قضية الاشتراكية العربية فى شىء ، ذلك لأن الاشتراكية العربية ان تكن تبدأ فى الاسلام فى أبى ذر،فان الأمر اذن بدعة وكل بدعة ضلالة .. الخ ،وان كانت جذورها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك : أى الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك هو السند الذى يحق للاشتراكيةالعربية أن تستند اليه ، وعندئذ لا يكون من الضرورى الاستناد الى أبى ذر ، وما يجره ذلك من الخوض فى سيرة الصحابة الذين من الخير لنا ــ قبل أن يكون من الخير لهم ــ أن نحتفظ لهم فى نفوسنا بعاطفةالتقدير والاحترام .

وهناك مسرحية « الرجل اللى ضحك على الأبالسة » ، وهى تعرض على شاشة التليفزيون صورة ساخرة لملكين يناقشان ميتا الحساب ، وفضلا عن أن تمثيل شخصية الملك لم يسلم به بعد ، فان الملكين فى هذه المسرحية يقوم بدورهما ممثلان فكاهيان يعيشان مواقف ساخرة ، ويتعرضان للخديعة من الميت الذكى الماكر ، ويضعان قداسة الحقائق الدينية فى موضع لا تحسد عليه ، ولا يغير من هذه الحقائق شيئا أن يكون عنوان المسرحية « الرجل اللى ضحك على الأبالسة » فواقعها « الرجل اللى ضحك على الملائكة » وهو الاسم الذى كان مقررا لها من قبل ..

وفى سهرة بالتليفزيون مساء ١١/١٦ أذيع فيلم يتعرض لشخصيتين من علماء الدين كانا محل سخرية لتمسكهما ببعض الأفكار التى يؤمنان بها ولا شك أن

هذه السخرية لا تقتصر على الرجلين فى ذاتيهما ، وانما تمتد الى عقيدتهما

فى الاذاعة :

وأثارت احدى المسلسلات الاذاعية (شىء من العذاب) موجة من الاستنكار والاشمئزاز ، لما تحويه من خلاعة وبذاءة ، (الأخبار ١٧/١، الجمهورية والأهرام ٢٠ / ١ الجمهورية ٢٤ ، ١٩٦٦/١/٢٨) .

فى السينما :

وانه من فضول القول التنبيه الى الاتجاهات الجنسية الهدامة السائدة فى الأفلام السينمائية المعروضة فى بلادنا ، محلية أو أجنبية ..

وعلى عجل أذكر ما أثير حول الفيلم الأمريكى (قبلنى يا غبى) حيث وصفته جريدة الجمهورية بأنه « فيلم مدمر » ، وتمكنت وزارة الثقافة من ايقاف عرضه بعد مضى أكثر من عشرة أيام على بدئه ، كذلك أذكر تعليق الأخبار ١٩٦٦/٥/١ على الفيلم العربى (مبكى العشاق) ووصفها له بأنه (يشكل خطرا شديدا على سلامة بناتنا ..) .

لكن الأمر الذى يفزع له المرء فى هذا المجال ، أن نجد فى هذه الاتجاهات الجنسية ، فيلما يعرض الشذوذ الجنسى فى حياة البطل . ذلك هو فيلم الخادم ــ ولقد جاء فى تعليق لأحد النقاد نشرته الجمهورية فى ١٩٦٦/٥/١٩ . عن العلاقة بين بطلى الفيلم : السيد والخادم (... هنا يذبل الورد فى البيت ، ويرتمى السيد على فراش خادمه باكيا ... وتتضح نزعاته الجنسية الشاذة فى وضعه الحركى على الفراش ، وصور نجوم كمال الأجسام المعلقة فوقه ، ... وتتضح العلاقة وتزداد بينهما عمقا وتعقدا وتبلغ ذروتها عندما يحقق (باريت) الخادم لـ (تونى) السيد رغباته الجنسية الشاذة التى تكتمل بها عبادته لجسده ...) .

وبعد تسعة عشر يوما ونصف من بدء عرضه جاء فى الأهرام ٥/٢٣ ما يفيد أن وزارة الثقافة قررت وقف عرض الفيلم ، ثم جاء أخيرا بالأهرام ٥/٣١ ، أن الوزارة لا مانع لديها من اعادة عرضه ..

هذا واذا كانت سلامة العقيدة تتأثر بسلامة سمعة الداعين اليها وبسلوكهم ومنزلتهم الاجتماعية فان الأمر يصبح مهما وخطيرا عندما تعد الشركة العامة للانتاج السينمائى فيلما عن حياة « سيد درويش » يصور فيه جانب من حياته بملابسه الأزهرية الكاملة فى مواقف جنسية فاضحة . كيف يمكن بعد ذلك أن رجل الأزهر بارتداء زيه الأصيل ؟ وكيف يواجه المجتمع بهذا الزى ؟ لقد شاركت أفلام من قبل فى حركة الانتقاص من مهابة هذا الزى ؟ ولكن الأمر كان يقتصر على مواقف هزلية ، لا تسفل الى مستوى البشاعة التى يقدمها هذا الفيلم .

ولنا بعد ذلك أن ننوه بالأصوات التى ترتفع فى بعض الأحيان منادية بوضع حد لهذه الاثارة ، ونشير فى هذا الصدد الى تحقيق بجريدة الجمهورية ١٩٦٧/٣/٢ ، يندد بالأفلام الجنسية ، وبوقاحة المسئولين عن الدعاية لها ، اذ يعرضون لوحات واضحة عنها فى أماكن تجمع الشباب كالجامعة ويشير التحقيق الى أن الضيق بالاثارة الجنسية فى الأفلام يوجد فى أشد البلاد تحررا من التقاليد : فى أمريكا وفى باريس وفى ايطاليا ..

الشعر :

ويجد الالحاد مرتعا خصبا فى بعض تجاوزات الشعراء ... حيث نجد فى بعض جرائدنا (الجمهورية ١٩٦٥/١٢/١٦) من يتهم القوة المهيمنة على الحياة والموت بالسكر والعربدة فى رثائه لزميل له قائلا (من نحن أمام الموت ؟ نحن كوب مملوء فى قبضة سكير ، يهتز فنسقط فى صمت) .

ونوع آخر من الهجوم الصريح على مقدسات دينية مقطوع بها ، يتمثل فى أولئك الذين يتكلمون عن القدر فى معرض شعرهم أو تعليقاتهم على الأحداث : من ذلك عبارات (قدر يلعب بمصائر الناس) (ضحكات القدر) الأخبار ١٩٦٦/١/٢٦ ، (القدر الغشوم) طبعة فبراير ١٩٦٦ . والأهم من هذا الهجوم أنه يقابل فى كثير من الأحيان بالابتسام الهادىء ..

الكاريكاتير :

وقدمت روزاليوسف ١٤/٢/١٩٦٦ تحقيقا عن تحضير الأرواح ، أرفقته بنكتة كاريكاتيرية عن الحياة الأخرى وشركات التأمين على الحياة ، تقول النكتة : (أصل اذا كان صحيح فيه حياة ثانية وان الجسم بيفنى وبتفضل الروح عايشة ، يبقى ضرورى نعيد النظر فى نظام التأمين على الحياة) ، وواضح أن روح التهكم على الحياة الأخرى بادية من النكتة .

كذلك تضمنت آخر ساعة ١٩/٢/١٩٦٦ صفحةبعنوان (فتاوى الفكاهة) تناولت فيها مسائل دينية، كالهدف من خلق العالم ، وطريقة حساب الملائكة والله للناس ...

ونشرت روزا ليوسف ٢٨/٢/١٩٦٦ على غلافها صورة ضخمة لعمامة ومن تحتها قرد قمىء يحاول أن يلبسها مكتوب عليه « الحلف الاسلامى » ومن تحت ذلك كله كتبت عبارة « شد العمة شد تحت العمة قرد » ، وفى عددها الصادر فى ٣/١٤ كتب الأستاذ أحمد حمروش مقررا أن من الخطأ الظن بأن المقصود بهذا الكاريكاتير التعريض بغير الحلف الاسلامى .

وقد ساهمت مجلة الاذاعة والتليفزيون (١٨/٩/١٩٦٥ فى التنديد باتجاه الاخوان المسلمين الى العنف والارهاب ، وعبرت عن ذلك برسوم كاريكاتيرية جاء فيها أحدهم فى موقف الصلاة وهو يقول (نويت أقتل أربعين واحدا الله أكبر) ، ومفتيهم يقول (من رأى منكم وطنيا فليقتله بقنبلة فان لم يستطع فبمسدس ، فان لم يستطع فبخنجر ، وهذا أضعف الايمان) على نسق الحديث المعروف .

وهذا لا يقتصر فى سخريته على الأشخاص ، وانما يمس القيم الدينية فى ذاتها ..

د. يحيى هاشم

الأمانة

للأستاذ محمد حسن محمد التهامي

بسم الله الرحمن الرحيم :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » ، والعارفون مدركون لله بحقائق الايمان بشواهد مكنون غيب السموات واللوح فى تجليات الكون والخلق وهيمنة الفطرة السوية التى خلق الله عليها الخلق وأودعها فى ضمائرهم وأرواحهم يشهدها المؤمنون شهودا وتشف معه الحجب فيوقنون بأن الأمر كله لله ومرده اليه ويعرفون أنهم خلفاء الله فى الأرض من بعد آدم عليه السلام وأنهم فى دار الرحيل هذه أسماء وتجليات ينفذ بها قضاء الله وقدره فهم الذين وصفهم الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى لا تخلو الأرض منهم أولئك خلفاء الله فى بلاده وعباده » .

***

وعمرت الأرض ببنى آدم وهم فى سعيهم سواء : منهم العارف برسالته فيؤديها من مقام العبودية لله عز وجل والمعرفة به على صراط من شهود الربوبية وتمام الرهبة والخشية ـ فمن كان بالله أعرف كان له أخوف ـ ان يخطىء يتب مما بدأ منه من همة غشيتها نوازعه فيطرح النوازع ويقمع المطامع ليفىء الى الله حتى يجعل التوفيق حليفه ، ومنهم الغافل الذى يدعى على الناس وعلى الله ما لم ينزل به من سلطان ولم تع بصيرته بواطن الأمور والتجليات فيضل ضلالا بعيدا .

وكما يقول أهل التصوف والمعرفة فان عبادة الله الحق هى العمل بالعلم على وجه اليقين ، بأن الله الفعال لما يريد وثقة بأنه هو الموفق والهادى الى صراطه المستقيم وذلك « لكيلا تأسو على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ان الله لا يحب كل مختال فخور » ويعلمنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » وقدر النفس هنا مدى علمها بما خلقت له حتى لا تفتح عينها على سراب لا يوصلها الا الى حتف بغير عمل ولا نتاج اللهم الا الأمانى والحذر من الاقدام والسعى فكان جهاد النفس أسمى عند الله من جهاد العدو فالانسان بالنفس لا بالجسم انسان ومن لم ينهها عن هواها فهو الى ضلال وخسران :

ومن أباح النفس ما تهواه
فانما معبوده هواه

فاذا ما علم الانسان برسالته علما موروثا فى دينه وايمانه أو مكتسبا من خبرته وجهاده أو منفوحا به عطاء من ربه وهداية لروحه وتبصرة منه سبحانه لخلصائه من عباده وأصفيائه من زهاده والذاكرين له دوما فى عليائه ، فانه يصبح ممن أقامهم الله لخدمته وملأ قلوبهم بهيبته « ممن يعملون لله قياما بأحكام الظواهر ويعملون بالله قياما باصلاح الضمائر » مهما اختلفت مظاهر قيامهم بأمانة الحق : انهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم من سلوك الطريق لأنهم على بينة من ربهم ، ولا هم يحزنون من فعل الدنيا الفانية فيما حولهم من ظروف أو مؤثرات ، فهم عند مقام سيدنا على : « يا دنيا غرى غيرى » لا تغرهم اذا ابتسمت ولا تفجعهم برمية رمح أو طعنة سنان أو سوط لسان :

لا يفرحون اذا نالت رماحهم
وليسوا بمجازيع اذا نيلوا

وما أحرانا بأن نعى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته عن ثقل الولاية وعبئها وتحذيره من تضييعها : « انها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا

من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها »و« اذا ضيعت الأمانة انتظروا الساعة » وفسر تضييعها « اذاوسد (أسند)الأمر الى غير أهله» مصداقا لقول الله عز وجل لخليله ابراهيم عليه السلام : « انى جاعلك للناس اماما، قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين » أى لايشمل عهده سبحانه الظالمين منهم ، اذ لا يصلح لها الا البررة الأتقياء لأنها أمانة من الله وقد نهانا عن التفريط فيها :

« يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

ولعل من سمات هذا العصر كثرة ما جاءنا فيه من تحديات من ثقافات ومدنيات . ولعل الله تعالى بما أودع فينا من قدرة على الفكر وطاقة للتذكر قد وهبنا أيضا القدرة على التحرك بفكرنا على هدى من الله وبصيرة من ارادته جل وعلا وعلى قبس من ماضينا وماضى الأمم ، نبراسها فى مسيرتها على مر الأجيال نحو المستقبل لا سيما أن كان ذاك الماضى ساطعا فى مجده دافقا فى أصالته تاريخا عاشته ضمائرنا وقلوبنا وذاكرتنا : من الشباب فى تطلعاته وآماله الى الكهولة فى حكمتها على القرار والخطوة التى تصنع التاريخ أو تضيف الى مجد هذه الأمة المزيد .

ان هذا التحدى للعصر — وان تميزت أحداثه بسرعة التلاحق والتوالى — يوجب علينا الحكمة والروية وأن نذكر كل ما وعته ضمائرنا وعقولنا ثم نحتسب عملنا لله تعالى ونتوكل عليه فى حساب مواقع خطواتنا فى مسيرة التاريخ ورسالته .

ان التحدى الفكرى الذى يواجهنا فى هذا المقام هو المدلول العقائدى والثقافى حول التوحيد والموحدين — وهذا التحدى أمانة العارفين بالله وولاة الأمور فى ميدان العقيدة اليوم — لقد نزلت كل الأديان السماوية بالتوحيد والتفريد والتجريد توحيد الله وحده وافراده بالألوهية وتجريده عن اشراك سواه معه فى الربوبية : « قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » ونزل القرآن الكريم

مهيمنا على الكتب السماوية السابقة ومصححا لما دخل عليها من اضافات شابت التوحيد بمفاهيم بشرية عاطفية توجب علينا ان نتوقف عندها حتى نصحح مسار الفكر المعاصر واعادته الى جادة التوحيد ، وبعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق فرقانا وتبيانا هاديا للناس بشيرا ونذيرا وبلاغا لرسالات الله وكرامة لأمته وشرفا لأنصاره وأتباعه وأنزل عليه الكتاب نورا وسراجا لاتغيب أنواره وعزا لاتهزم أنصاره وحقا لاتخذل أعوانه ومنهاجا لايضل نهجه ولا الأخذ به فهو دستور الأمة فى معدنه وأحكامه وهو التيسير لمسيرة الحياة فى عدل بلا اثارة وهو فجر العرفان بحضارة انسانية آدمية ومنتهاها وهو مشكاة أنوار المعارف النورانية الدنيوية منها والأزلية تنزيل من رب العالمين وصدق به المرسلون .

لقد أخذ الله العهد والميثاق على بنى آدم فى عالم الأرواح : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة اذا كنا عن هذا غافلين » عهد وميثاق بالاقرار بالربوبية أكده سبحانه وتعالى بأخذ الميثاق على أنبيائه ورسله الذين اجتباهم لهداية البشر الى التوحيد « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » : عهد وميثاق بنصرة رسوله خاتم النبيين فلن يقبل الله من عباده الا توحيده وتنزيهه عن الشرك به ، وهذا هو جوهر الرسالة المحمدية ورسالات الأنبياء المبعوثين قبله جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم : « خير ما قاله الأنبياء من قبلى لا اله الا الله وقولوا لا اله الا الله تفلحوا » فذاك هو الركن الجامع للأديان السماوية كلها وما أظهره العهد القديم والجديد وليس أبلغ فى هذا المقام من قول الحق سبحانه : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم

ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وهـذه الدعـوة الموجهـة الى اخواننا المؤمنين من أهـل الكتاب تدل على فـكر المؤمنين واتسـاع مداركهم حول رسـالتهم لاصـلاح البشرية جميعا فان آمنوا بوحدانية الله استوى لهم الطريق الى الجنـة كقول سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم للصحابة والأنصـار : « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » والمستيقن عند الصحابة أن اللسان لاينطق حقـا الا بما آمن به القلب وصدق فيه النية .

ولعل النجاشي « أصحمة » أنصع برهان على من هـداه الله من أهل الكتاب الى توحيده فحـين جـاءه كتاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسـول الله الى النجـاشي الأصحم ملك الحبشـة . سلم أنت فانى أحمد اليك الله ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمتـه ألقـاها الى مـريم البتول الطيبـة الحصينة فحملت بعيسى من روحـه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخـه وانى أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسـول الله وقد بعثت اليك ابن عمى جعفر ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءوك فأقرهم (أكرمهم) ودع التجبر فانى أدعوك وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسـلام على من اتبع الهدى » .

فلما وصـل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وكتب الجواب للنبى صلى الله عليه وسلم :

« بسـم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله . من النجـاشي الأصحم بن أبجر : سلام عليك يانبى الله ورحمة الله وبركاته ـ الله الذى لا اله الا هو هدانى الى الاسلام . أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد

على ما ذكرت وقد عرفنا مابعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصداقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وأرسلت اليك بابنى (أرها) ابن الأصحم بن أبجر فانى لا أملك الا نفسى وان شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله » .

كما كان المقوقس عظيم القبط ممن يحملون أمانة التوحيد فى مصر فى ذلك الوقت كظاهر كتابه وممن يؤمنون بمبعث النبى الذى قد أهل زمانه وحين ندب صلى الله عليه وسلم الناس عند منصرفه من الحديبية سنة ٧ هـ ــ ٦٢٨ م قائلا : « أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله ؟ وثب اليه حاطب بن أبى بلتعة وقال : « أنا يا رسول الله » فقال : « بارك الله فيك يا حاطب وأعطاه الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم كل القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وأعطى حاطب الكتاب الى المقوقس بالاسكندرية وقال له : « كان قبلك رجل (يعنى فرعون) زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه ، وهو الاسلام الكافى الله به فقد ماسواه ، ومابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به » .

ضم المقوقس الكتاب الى صدره وجعله فى حق ــ بضم الحاء ــ من عاج ودعا كاتبا يكتب بالعربية وأملاه رد الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك

أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » .

وكان مع الهدية صدقة وكانت الجاريتان اختين وذلك اختبارا لدعوى النبوة فالأنبياء تقبل الهدية ولا تقبل الصدقات وتتورع عن الجمع بين الأختين فقبل النبى صلى الله عليه وسلم الهدية ووزع الصدقة على الفقراء وأخذ السيدة مارية لنفسه وأهدى أختها « سيرين » لحسان بن ثابت .

ومما رواه ابن عبد الحكم أن المقوقس خلا بحاطب ليلة وسأله عن صفة النبى فلما ذكرها حاطب قال المقوقس له : « قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج فى العرب أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ولا أحب أن يعلم بمحاورتى اياك . وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من ذلك حرفا فارجع الى صاحبك .

كان النجاشى مؤمنا حمل الأمانة فى مكنون ضميره وأعلنها للنبى صلى الله عليه وسلم وكان المقوقس ممن يحملون أمانة التوحيد وينتظرون تجديد دعوتها على الأرض اذ بشرت التوراة والانجيل برسول من بعد عيسى عليه السلام اسمه أحمد عليه الصلاة السلام وكانت الارهاصات ونبوءات الكتب السماوية السابقة قد تواترت بقرب ظهور نبى ، وكانت أوصافه صلى الله عليه وسلم تملأ قلوب العابدين وتشغل بالهم فتتشوف أرواحهم الى ظهور أنوار النبى المنتظر : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى

أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

ولا أظنني أذهب بعيدا فى فكرى اذا تصورت عودة سيدنا المسيح عليه السلام الى الأرض ليعيش عصرنا هذا ينشر فكره الذى أتى به فى رسالته الأولى أو أن تعيش أفكاره على ألسنة خلفائه من علمائه ـ والعلماء ورثة الأنبياء ـ فماذا يمكن أن يكون تصورنا لفكره الالهى ؟ ـ رسولا ونبيا لكى نقتبس منه المادة والطريق الذى أجمع عليه كل الأنبياء والرسل ؟ ولا شك فى هذا المقام أنه التوحيد المطلق فخير ما قاله الأنبياء والرسل : « لا اله الا الله ـ مصداقا لقوله تعالى فى قصص ابراهيم أبى الأنبياء : « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وحمل الأمانة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده وتطلع المسلمون الى نشرها بعد معركة تبوك وانحسار ظل الروم الغزاة عن الجزيرة العربية واشتاقت قلوب المؤمنين الى انقاذ القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين من أيدى الروم وانقاذ البشرية من ضلالاتهم وكفرهم وزندقتهم التى غشيت كل الناس من أهل الكتاب وأفقدتهم الأمن البشرى . وفتح الله القدس على أيدى الفاروق عمر ورجاله ولم يجد مسيحيو الشرق فى ذلك الفتح الا الأمن والسلام والاقرار بما آمن به المقوقس من ظهور الرسول المنتظر من بعد عيسى عليه السلام والدين الذى يملأ الدنيا عدلا وقسطا بعد أن امتلأت جورا وظلما وكانت اتفاقية عهد ايليا (القدس) آية معبرة عن ذلك المعنى كله فى عهده فقد أقام العلاقة مع أهل الكتاب من اتباع المسيح عليه السلام سواء من دخل منهم تحت راية التوحيد ومن بقى على دينه عن طواعية وتآلف فى الفكر والهدف

نورده هنا فى هذا المقام لنتذكر قدر ايمان كل من الطرفين بواجبه وحدوده فى حمل أمانة المسيرة البشرية نحو تعايش سلمى .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم الله أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانها وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله وأنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية » .

وختم عمر الكتاب بتوقيعه ثم أشهد عليه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان .

وحرص عمر على ألا يصلى داخل كنيسة القيامة لكن صلى قريبا من الصخرة المقدسة ووضع عمر بهذا العهد قاعدة أساسية للتعايش السلمى مع أهل الكتاب وكيفية ممارسته .

ولقد كانت مصر — منذ الأزل — محل عناية الله تعالى فقدر هداية أهلها الى الطريق السوى والايمان الصحيح فاستقبلت أنبياء الله بالترحاب واحتضنت رسالات السماء تباعا الى أن ظهرت أنوار الرسالة المحمدية وأهلت عليها بهالة نورانية .

ورنت أبصار الصحابة رضوان الله عليهم منذ أن بشرهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بفتح الأمصار وتمت لهم فتوح اليمن وفارس والشام — الى فتح مصر

يحدوهم اليقين ويظللهم الايمان بما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث تكررت عن مصر وأهلها وفتحها على أيدى المسلمين يقين ثابت يكمن فى قلب كل مسلم بأن الفتح آت فى يوم قريب :

— ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة .

— ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما .

— اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر رضى الله عنه ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم فى رباط (جهاد) الى يوم القيامة .

وفتح الله مصر على يد عمرو بن العاص الذى سبقت له زيارتها قبل الفتح قادما من القدس برفقة أحد الرهبان ولمس أهميتها وأحاسيس أهلها وكان الصلح الذى عقده مع المقوقس بعد الفتح :

« لهم أرضهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم وألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» نسخة مماثلة للعهدة العمرية « ففى العهدين معا أمان للبيع والكنائس واتفاق على خروج من يريد من أهل البلاد مع الروم وأمان من اكراه أهل بيت المقدس على مساكنة اليهود فى العهدة العمرية يقابله أمان من اكراه أهل مصر على مساكنة النوبة .

وتفيأ أهل مصر سماحة الاسلام وعدالته وبادر عمرو بكتابة أمان لبطريرك الأقباط بنيامين خاصة وللقبط عامة : « ان الموضع الذى يكون فيه بنيامين البطريرك الذى للنصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدير حال بيعه وسياسة طائفته وعلى الذين بأرض مصر والذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخفر لهم ذمة » فلما سمع بنيامين هذا عاد الى الاسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ١٣ سنة منها عشرة سنين لهرقل الرومى الكافر وثلاث سنين قبل أن يفتح المسلمون

الاسكندرية لابسا اكليل الصبر وشدة الجهاد كما يقول ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين فى عصر الفاطميين ودعا عمرو البطريرك وتحدث اليه فخرج بنيامين ولسانه يلهج بالحمد والثناء ، وقال للقبط :

(عدت الى بلدى الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف واطمئنانا بعد البلاء . وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة (الروم) وبأسهم وليس أبلغ من التعبير عن فرح القبط بحسن معاملة العرب لهم من قول ساويرس : « انهم فرحوا كما تفرح الأسخال اذا حلت قيودها وأطلقت لترشف من لبان أمهاتها » وذلك أنهم ذاقوا الأمرين على يد الروم فعلى سبيل المثال سحب الروم القبط المسجونين داخل حصن نابليون أثناء حصاره وقطعوا أيديهم ونكلوا بهم تنكيلا جعل الأسقف حنا النقيوسى يقول عنهم : « اعداء المسيح الذين دنسوا برجس بدعهم وفتنوا الناس عن ايمانهم فتنة شديدة لم يأت بمثلها عبدة الأوثان ولا الهمج وعصوا المسيح وأذلوا أتباعه فلم يكن فى الناس من أتى بمثل سيئاتهم ولو كانوا من عبدة الأوثان » .

دخل المصريون فى دين الله أفواجا وأعلنوا كلمة التوحيد وصاهرهم العرب فامتزجت الأمشاج وتوثقت الوشائج وصار للمصريين ذمة ورحم وأصبحت مصر درة العالم الاسلامى ومنارة الحضارة الاسلامية وقلعة العروبة ودرعها صمدت لكل من أراد بها سوءا وردت التتار والصليبيين على أعقابهم وتحققت عن مصر أحاديثه صلى الله عليه وسلم : « ما ينطلق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » وحفظ القبط عهدهم مع المسلمين فحرم الصليبيون عليهم دخول بيت المقدس وما كان ذلك ليحدث الا لايمان القبط الباطن بالأمانة .

اننى أبادر من قلبى بمشاركتى فكر اخوانى واستفساراتهم عن بعض ما جاء فى برقية علماء العالم الاسلامى

الذى انعقد مؤتمرهم بالمدينة المنورة بشأن الدعوة واشترك فيه علماء أكثر من ٦٠ دولة تعاطفوا مع مصر وحزنوا لما أصابها فى أحداث يناير ثم ناشدوا مصر أن تبقى العقيدة الاسلامية مستقلة نقية لايشوبها شىء وأن يتولى تأليف كتبها علماء المسلمين وحدهم حفاظا عليها وحماية لها « وتمنوا أن تؤدى مصر الاسلامية دورها التاريخى » فاذا كان هذا فكر ومطلب لجمهرة العلماء ووقفنا نحن على مشارف تحد عصرى لمفهوم التعايش العقائدى بين الناس وأرادت مصر أن تتصدر مقام الريادة فى هذا الفكر الجديد فعلينا أن نتدبر مواقع خطواتنا لنقف على أرض صلبة من الايمان والعدل وصيانة الأمانة وكأننا فى عهد يشبه الى حد كبير عهد العهدة العمرية اذ أنه مدخل جديد فى التعايش بنمط تدعو اليه ضرورة من ضرورات العصر فالاطار الذى قد يحقق ذلك التطلع المتطور هو أن نعنى فى مرحلتنا هذه بألا نعكر صفاء ايمان كل مؤمن ولا نقاء عقيدته .

ولعل المقصود من التفكير فى تعليم شبابنا الأديان السماوية هو تثقيف الدارسين فى مراحل النضوج الفكرى وتمكينهم من معرفة تاريخ الأديان السماوية والرسالات وسير رسل الله جميعا عليهم الصلاة والسلام والتطور التاريخى لنزول الرسالات ومسايرتها للفكر البشرى وتطور حياة الجماعة على الأرض والفلسفة الكامنة فى كل دين ورجالات كل دين باعتبارهم أصحاب أمانة ورجالات تاريخ وهذا هو المدخل السوى لتثقيف أبنائنا وشبابنا . أما أن نتحدث عما يمكن وينبغى أن يتضمنه تعليم الدين الاسلامى الحنيف فاننا نشترك جميعا فى فكر واضح حول مشتملات هذا العلم بادئين بالقرآن الكريم وحفظ آياته والأحاديث النبوية الشريفة المختارة وشروحها كمادة أساسية لتثبيت معالم العقيدة فى القرآن والسنة ولعل التحدى الفكرى الحقيقى هو ما ينبغى اضافته على ذلك بما نختاره لشبابنا فى مجالات علمية واجتماعية أخرى مثل تعليم التاريخ الاسلامى والسيرة النبوية

من المغازى والفتوحات الاسلامية ـ المجتمع الاسلامى من أخلاقيات ومعاملات ـ جغرافيا العالم الاسلامى، الحضارة الاسلامية، علوم الاجتماع الاسلامى ونظام المجتمع فى الاسلام، والأسرة ، ودراسات مقارنة بين نظام المجتمع فى الاسلام وغيره ، من المجتمعات ، الطبائع البشرية ومقومات اصلاحها بالعقيدة والعمل، الأدب والقصص الاسلامى ـ تاريخ الشعوب والأمم من القرآن الكريم، مقومات الدولة الاسلامية فى الاقتصاد ونظام الحكم والبيعة ، الفكر المعاصر فى اقامة المجتمع الاسلامى الراقى وعلى هذه الوتيرة من آفاق الفكر العميق فى بناء فكر شبابنا المسلم وهم رجال المستقبل وقادته وهذا كله بجانب علم التوحيد وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالقدر الكافى واللازم لكل مرحلة فهما وحفظا حتى تكتمل حصيلة هذا العلم نضوجا يفتح آفاق الفكر ويغذى مشاربه بعلوم تضيف الى فكرنا علما تنبنى عليه حضارتنا المتطورة ومجتمعنا المستنير وعناصر ايماننا الموروثة والتى ينبغى أن يضيف اليها هذا العصر علما جديدا مكتسبا يفتح أفق الاجتهاد بما يفيد المجتمع فى حاضره وآجله وبما يسمح لشبابنا أن يتناقش بفكره المثقف الواعى بأمله وتطلعاته وأسلوب أنفاذه .

تلك بعض أمانة علمائنا نحو هذا الجيل والأجيال اللاحقة وهى غرس وتأصيل الأركان لمعالم الايمان الدينى فى نفوسهم فى المقام الأول ثم منهج آخر للتثقيف والتعريف بالرسالات الأخرى ولعلها ليست جديدة أو مستحدثة على تاريخنا ولكنها تطوير لما سبق لنا أن درسناه وتعلمناه ولكنه غاب عن مناهجنا حقبة من الزمن اختلطت فيها الأمور على الناس ـ منهاجا لايزال ينتظر رجاله الآخذين به . ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض .

والعارفون بالله يتحملون أمانة التبليغ كل حسب رسالته وطاقته اقتداء بأولى العزم من الرسل،

والعـارفون بهـذه الأمانة يجهرون بالدعوةاليها، وان أظلمتعقولالناس فى عصور الظلمة المـادية أو طمس البصيرة من الالحاد وهوخلوالسريرة من أنوار الربوبية .

اللهم اجعل فى قلبى نورا أدخل به الى رضـوانك وفى بصرى نورا أرى به سر الوجود فى تجلياتك وفى سمعى نورا أطلع به على مكنونسر أسمائك يا ألله ، اللهم زدنا من امداد نورك قدرا نلحق به بالصفوة من خلصائك اللهم ثبتنا علىالايمانيقينا بأنه لن يصيبنا الا ما كتبت لنا .

اللهم امنح علمـاءنا والعـارفين بأماناتهم القـوة والتوفيق فى الجهر بحقائق التوحيد : دعوة وفكرا يقود البشرية الى مرضـاتك فلا تزيغ عن صراطك السوى ، فان أفلحوا فتلك مشيئتك يا ألله أن يهتدوا ونعوذ بك يا ألله من ردة لاتنفع معها ندامـة واعملوا فكل ميسر لمـا خلق له .

« سـبحان ربك رب العـزة عما يصفون وسـلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

محمد حسن محمد التهامى

العبـد الحـر

وعبودية القلب وأسره هى التى يترتب عليها الثـواب العقاب فان المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك ، اذا كان قائما بما يقـدر عليه من الواجبـات ومن استعبد بحق ، اذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ولو أكـره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالايمـان لم يضره ذلك . وأما من استعبد قلبه فصار عبدا لغير الله ، فهذا يضره ذلك ، ولو كان فى الظاهر ملك الناس .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كمـا أن الغنى غنى النفس . قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وانمـا الغنى غنى النفس » رواه الشيخان .

ابن تيمية ــ العبـودية

خصائص اللغة العربية
فى التعبير العلمى

لفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد نجا

أتقدم بهذا البحث الموجز عن خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى اسهاما منى فى الذود عن هذه اللغة التى لم يفتأ خصومها لحظة عن رميها بالقصور والعجز على الرغم مما هو ثابت لديهم بالأدلة التى لا تحتاج الى برهنة عن أن العالم مدين بحضارته ونهوضه الى حضارة الاسلام التى قامت فى عصور ازدهاره فى بغداد والأندلس والتى وفت العربية بجميع متطلباتها فى هذه الحقبة بصورة لا تدع مجالا لريب مرتاب ، وما أجدرنا أن نتذكر قول شاعر النيل المرحوم الأستاذ محمد حافظ ابراهيم وقد أحس بهذا الألم فتحدث بلسانها قائلا :

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
فما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائة الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وان المقام يقتضى ايضاح ذلك ليعلم الناشئة قدر لغتهم فيقبلوا على درسها بايمان ويسهموا فى العمل على دعمها بالمصطلحات الجديدة بعزم أكبر، وانه ليجدر أن أوجه نظر السادة أعضاء المؤتمر(١) الى أن العنوان الذى وضع للمؤتمر لا يتناسب مع المهمة الملقاة على عاتقه فانه يبدو لمن وضحت أمامه الصورة المطلوبة أن القصد هو توحيد المصطلحات فى البلاد العربية بعد اخضاعها للنظام العربى ، ولهذا الاخضاع طرق كثيرة منها الاشتقاق والنحت والنقل

(١) أعضاء مؤتمر التعريب .

والتجوز والتعريب وهو ما يعرف عند العلماء حديثا بالاقتراض اللغوى فالتعريب أحد هذه الوسائل ولذلك يحسن أن نطلق عليه اسم مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية العربية أومؤتمر تنمية الثروة اللغوية العربية أو أى اسم يراه المؤتمر فيكون ذلك متفقا مع رسالته وهو تذليل الصعاب أمام الدارسين فى شتى الأقطار العربية حتى لا يشتط بهم النوى وتتمزق النزعات كما أنه بعد أن وضحت تلك الملاحظات أود أن أوضح المراد من هذا العنوان وهو خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى فالمقصود منه الافصاح عن العوامل التى يعتمد عليها فى نقل المصطلحات المستحدثة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية بحيث يرتبط به الدارسون ويلتزمه الباحثون فى جميع الأقطار العربية ليرتبط الجميع برباط علمى موحد، وهذا يتطلب أن يكون الاطلاع عليه دقيقا ومحددا وأن يكون الأسلوب موضحا للحقائق مبرزا للسمات بعيدا عن الغموض والابهام ومن هنا يبدو

أن المراد من الأسلوب العلمى : الأسلوب الذى يتخذ لتوضيح الحقائق، وابرازها فى صورة واضحة وهذا يقتضى الدقة والتحديد وهاتان السمتان قد اتبعهما رواد الحقيقة وسار على غرارها أبناء العربية فى هذا السبيل وأن اللغة العربية قد قامت بهذا الغرض ووفت بهذا المنهج فى عصورها المختلفة ، ويتأكد من ذلك كل من يتأمل هذه الدراسة وأننا اذا أردنا تبين ذلك فلنرجع الى عصور العربية المختلفة لنتأكد من ذلك ففى العصر الجاهلى تبدو العربية معبرة عن بيئتها من وصف للصحراء ولياليها ومن الحب الذى تملك قلوب بنيها وتعرض للأسفار وجوب للقفار واهتداء للسارى بنجومها مبرزين صفات دوابهم من الجمال والخيول وأن معلقة امرىء القيس وهى على مقربة من أذهانكم تؤكد هذا المنحى وتبرزه فى صورته الواضحة كما أنهم يتجهون أحيانا الى وصف الشراب والمنادمة كما هو

موجود فى صدر معلقة عمرو بن كلثوم .

ألا هبى بصحنك فاصبحينا
ولا تبقى خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها
اذا ما الماء خالطه ثخينا

كما وقت بمتطلبات هذه الأمة مما أخذته من الأمم الأخرى من اللباس والرياش والعطور وان تركنا بداوة الحجاز وسرحنا الطرف قليلا فى الحضارة العتيقة التى تحدث بها الركبان وسارت بذكرها الأزمنة وهى التى قامت ببلاد اليمن يبدو لنا وفاء تلك اللغة بهذه المتطلبات وقيامها بالتعبير عن هذا التقدم الحضارى فى هذه البقعة التى حدثنا بها القرآن الكريم فى سورة سبأ وهى قوله جل ثناؤه .. « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور» .

فلما أشرقت شمس الاسلام وكان له آثار بعيدة المدى فى حياة العرب وعاداتهم ومعتقداتهم ولغتهم فقد حرم عبادة الأصنام ودعاهم الى عبادة الله ووضع لهم نظما جديدة فى عبادتهم وحياتهم وأبدلهم بتحياتهم المتداولة مثل قولهم .. عم صباحا وعم مساء بالسلام الذى هو أمن واطمئنان كما أوضح لهم الطريق السوى للعبادة وقد وفت العربية بذلك وفاء تاما معتمدة على وسائل كثيرة :

١ ــ نقل الألفاظ من معانيها اللغوية المعروفة لفصحائها فى الجاهلية الى معان جديدة كالمسلم والمؤمن والكافر والصلاة والصوم والزكاة والحج فأصبحت المدلولات الجديدة أقرب الى الأذهان من المعانى اللغوية القديمة فالصلاة مثلا يفهم السامع منها أداء الركعات على الوجه المطلوب وهو الذى أوضحه هذا الدين من المعنى الأصلى المعروف فى اللغة وهو الدعاء .

٢ ـ استحداث ألفاظ وتراكيب اقتضتها مناسك الدعوة الجديدة كالمنافق الموضوع أصالة للجحر الذى يتخذه اليربوع للخروج منه عند حضور الصائد لاصطياده مستعملا فيمن يظهر غير ما يبطن واستحدثت كذلك تراكيب كقوله جل ثناؤه : « ولما سقط فى أيديهم » • كناية عن الندم والحسرة •

٣ ـ اماتة ألفاظ وتراكيب لاماتة مدلولاتها كألفاظ التحية السابقة وكأسماء الأنصبة فى الغنائم كالنشيطة الموضوعة لما يغنم الغزاة فى الطريق والفضول لما يبقى من الغنائم مما لا يقبل القسمة والمرباع لربع الغنيمة فاستعيض عن ذلك بما أنزله الله فى محكم كتابه فى سورة الأنفال من قوله: «واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين » الخ الآية ومن استعراض ذلك تبدو صورة وفاء هذه اللغة باحتياجات المجتمع الجديد فلم تقف جامدة بل لبست ثوبها الجديد فى صورة مشرقة تدل على ما للعربية من مرونة هيأت لها طريق التعبير عن كل مستحدث •

ولم يكن الأمر فى ظل دولة الخلفاء وبنى أمية بأشق من سالفه فان وفاة الرسول قد أحدثت خلفا بين صفوف المهاجرين والأنصار وقد حسم أبو بكر بكلمته الخالدة ألا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا عن اخوانكم ما حباهم الله من فضله فقد انصاع الجميع لمقالته وواجهوا الصعاب التى جدت بعد وفاة الرسول كحرب المرتدين وقد صحب هذه الأحداث تطور فى المصطلحات ففى مضمار السياسة والادارة استحدثت ألفاظ من صميم العربية وجلبت ألفاظ من خارجها فوجد : الخليفة ، وأمير المؤمنين ، والمشير ، ووجد لفظ الديوان الذى تعددت نظمه لاتساع الدولة خارج الجزيرة فوجد ديوان الحجاز والجند والأعطيات كما استحدثت ألفاظ فى ميدان الحروب فوجدت الكراديس الفصائل العظيمة من الفرسان ، والصائفة لمن يغزون صيفا والشاتية لمن يغزون شتاء كما استحدثت فى عهد معاوية

ألفاظ تدل على الأدوات الجديدة المستخدمة فى الحروب كالعرادة التى أطلقت على الآلة المستخدمة فى رمى الحصون بالحجارة .

ومما يجدر التنويه عليه أن مصطلحات العلوم قد بدأ ظهورها فى هذا العصر ، فوجدت أغلب ألفاظ التوحيدوالفقه كما وجدت مصطلحات النحو كالمبتدأ والفاعل .وقد أمكن للغة أن تساير الركب الحضارى الجديد بروح قوية وعزم أكيد باتباع أيسر الطريقتين وهما نقل الألفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة ، أوبتعريب الألفاظ مع اخضاعها فى النطق للنمط العربى .

ظل الأمر على هذا المنوال الى أن تمكن العباسيون من القضاء على دولة بنى أمية وتسلم زمام الأمرعلما بأن سياستهم كانت قائمة على اقصاء العرب وتقريب الأعاجم فأسندوا المناصب الرفيعة كالوزارة اليهم . وقد أدلوا بدلوهم فى المعترك بجد ونشاط لمؤازرة الحكم الجديد للوصول بالأمة الى أعلى الدرجات. وظلوا يعملون فى مضمارهم الى أن ولى الحكم الخليفة العالم (المأمون) الذى وضع نصب عينيه أن يصل بالأمة الى المستوى الرفيع عن طريق العلم والمعرفة فوجد أمامه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية ، فشجع العلماء والمترجمين على القيام بهذه المهمة وسخا عليهم ببدر المال استحثاثا لجهودهم فى نقل هذه العلوم من طب وفلسفة ورياضة وأخلاق الى العربية. وقد اعتمدوا فى مواجهة هذه المتطلبات على الطرق القويمة فى تنمية الثروة اللغوية فاستخدموا الاشتقاق والتجوز والنحت والابدال والقلب لتذليل المصطلحات التى واجهتهم ويبدو ذلك فيما نقل عنهم . وبعد أن كانت بحوثهم فى ميدان الطب مقصورة على الكى والحجامة تفتحت الآفاق أمامهم فعرفوا من الأمراض الصرع والصفراء والذبحة ، وفى الأدوية وجدت المسخنات والمرطبات والمبردات .

وفى ميدان الفلسفة وهى ناحية جديدة نقلت من اليونانية تعرف الحد والرسم والكون والظهور وفى الرياضة وجد المثلث والمربع والمستطيل . وفى السياسة استخدم السفاح والمنصور والمعتصم وقد كان للتعريب أثر كبير فى مضمار هذه النهضة ، ففى الأدوية أخذوا من اليونانية الصقمونيا والمصطكى ومن الفارسة أخذوا البابونج والزرنيخ .

وفى الفلسفة وجد الهيولى والمغنطيس والقانون وجميعها من اليونانية .

ولم يقف الأمر عند المصطلحات بل امتد أيضا الى التراكيب فأخذوا من اليونانية ما يلى :

١ ــ تركيب الألفاظ مع لا النافية وادخال أداة التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللا ضرورة .

٢ ــ صوغ الاسم من الحروف والضمائر كالكمية والماهية والكيفية .

٣ ــ نقل الألفاظ من الوصفية الى الاسمية كالمائية والخاصية .

فنرى أن اللغة قد زهت وازدهرت بازدهار العلوم ونقل المعارف الى العربية فكانت العربية مطواعة لتلقى تلك النهضة وتقبل هذه الأوضاع بروح قوية وعزم أكيد .

ولم يكن الوضع فى الأندلس بأقل منه فى بغداد بل ان النهضة كانت على أوسع نطاق وأدقه وان من يتتبع مؤلفات العلماء من ذلك الوطن ويقرؤها بأسلوبها العربى الفصيح ليتملكه الاعجاب والدهشة ولولا سقوط بغداد فى يد التتار والأندلس فى يد الفرنجة لظل للعرب وللغتهم زمام السبق ومكان الفوق الا أن ما حاق بهما تبعه ركود علمى ولغوى .

ظل الأمر على ذلك الى أن صحت الأمة العربية من غفوتها ونهضت من رقدتها فوجدت التطور العلمى وأرادت أن تدخله فى بلادها باللغة العربية ولكن الاستعمار وقد بسط أجنحته على تلك البلاد فأراد أن يشعر العرب بعجزهم عن اللحاق بهذا التطور كما أراد أن يثبت أن لغتهم عاجزة عن الوفاء بهذه

المصطلحات وعن التعبير عن هذه المتطلبات فرضخت الأمم المستعمرة بهذا الوضع وتقبلت الدراسة بلغة المستعمر الى أن أذن الله لها بفجر جديد تتنسم فيه نسيم الحرية وتعيد الى لغتها ما كانت تتمتع به فى عصور النهضات السابقة •

والآن وقد تخلصت الأمة العربية من براثن الاستعمار وأفاء الله عليها من فضل ونعمة يهيئان لها سبيل النهوض والرقى • وقد بدأ العلماء فى مواجهة هذه الصعاب راجين تذليلها ابقاء على العربية وحفاظا لها من أولئك المتربصين لها بغية القضاء عليها وعلى دين الله الذى حفظ لها هذا الرونق وأبقى لها ذلك الجمال الذى يتبينه الدارسون لها •

ولكن الله الذى أنزل كتابه على نبيه أكد ضرورة حفاظه عليه فقال فى محكم كتابه : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون» واننا وقد وضح لنا وفاء العربية فى عصورها السابقة بما طلب منها فلم تضن على بنيها بمصطلح ، ولم تقف جامدة أمام نهضة • واننا وقد أصبحنا أمام نهضة علمية جبارة وجب علينا أن نساير ركب هذه الحضارة بعزمات أقوى من السيوف وأمضى من البواتر • وان هذه اللغة التى وفت بمتطلباتها فيما مضى لجديرة أن تقف متربعة على عرش العلوم معلنة أنها أرحب صدرا وأوسع أفقا فى القيام بما يناط بها من مصطلحات وما يرد اليها من مستحدثات ، وانه ليجدر بنا أن نقف وقفة أمينة فى الحفاظ على لغتنا ليتلقاها أبناؤنا بصورة كريمة مشرقة ناهجين نهج سلفنا فيما اتبعوه ابان النهضات من سلوك الطرق السليمة لتنمية الثروة اللغوية وهى يسيرة ليست بالعسيرة • ونجعلها فيما يلى مع الاشارة الى ما جد فى اللغة مما يمكن استخدامه للتذليل والتيسير •

وأول هذه العوامل الاشتقاق وهو ضرب من التوليد والتنمية يساعد على أن يؤخذ من اللفظ الواحد عدة ألفاظ ويسعفنا فى هذا المقام الاستعانة باسم الآلة لمواجهة المستحدثات كما ننهج النهج الذى أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى

اجازة الاشتقاق من الأسماء الجامدة كمكهرب وممغنط وجماذ ، كما أجاز السابقون مذهبا ومفضضا •

كما تتجه الى الطريق الأمثل فى اجازة نقل الألفاظ من معانيها الوضعية الى معانيها الجديدة بدلا من اللجوء الى استعمال الألفاظ الأجنبية وفق استعمالها فى لغاتها • فمثلا قد أصبح لفظ القطار لا يقصد منه الا تلك الآلة البخارية بعد أن كانت مستعملة فى قافلة الابل وكذلك السيارة وغيرها • كما نلجأ الى اتخاذ النحت وسيلة لتحقيق هذا الغرض من اتباع توليد لفظ من لفظين أو أكثر للدلالة على ما نحت منه رغبة فى الاختصار كقولهم البسطة والطلبقة والدمعزة، فقياسا عليه قال المحدثون الفنقلة والغذلكة والحرذمة والدرعمى والكلغرى • ولاستخدام الوسائل الأخرى من القلب والابدال •

فان شق الأمر وصعب استخدام هذه الوسائل فليكن لنا أسوة بأسلافنا من اجازة استخدام المصطلح الأجنبى مع اخضاعه للنظام العربى كلما أمكن ذلك • وان الجأتنا الضرورة أبقينا على صورته الواردة وهو ما يعرف لدى العلماء باسم التعريب • وتعرف كل هذه العوامل المؤدية الى أثراء اللغة بالاقتراض اللغوى فان كان من صميمها عرف بالاقتراض اللغوى الداخلى، ويشمل كل عوامل التنمية اللغوية عدا التعريب، وان كان من خارجها عرف بالاقتراض اللغوى الخارجى أو الدخيل وهو ما يعرف بالتعريب •

وبذلك يتيسر للغة أن تفى بحاجة المجتمع العربى ولذلك نأمل عقد المؤتمرات اللغوية الدورية فى أرجاء الوطن العربى للاتفاق على المصطلحات التى تجد ليعرفها جميع الدارسين وتشيع بينهم ولا تصبح غريبة فى أى وطن عربى بحيث اذا التقوا فى أى وطن منها لم يكن منها مصطلح غريبا عنهم •

ومن هنا تتضح قدرة العربية على الوفاء بجميع المصطلحات الوافدة من جميع اللغات فى شتى العلوم والمخترعات •

كما نرجو أن يرتبط الدارسون على اختلاف أوطانهم برباط علمى وثيق لا يبعده مصطلح غريب وخاصة وقد رأينا ما فعله الاستعمار قديما من سيطرة لغاته من انجليزية وفرنسية وايطالية للقضاء على وحدة هذه الأمة .

واليوم وقد أدركنا تلك الحقائق ناصعة يجدر بنا أن يلتئم شملنا ويتضامن علماؤنا باذلين أقصى جهودهم فى الحفاظ على الأمجاد القديمة للغتهم والابقاء على الرباط المتين وهو العربية التى ربطت بين أبنائها وجعلتهم أمة واحدة كما قال جل ثناؤه : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » ولذلك يرجى منهم حديثا أن يثوبوا الى رشدهم ويعودوا الى صوابهم وقد تحقق ذلك والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبنا وهادينا .

د. ابراهيم محمد نجا

فوائد الذكر

ـ وهو أيسر العبادات وأفضلها ، وهو غراس الجنة ، ويؤمن العبد من نسيان ربه سبحانه ويعم الأوقات والأحوال وليس شىء من الطاعة مثله ، وهو نور للعبد فى دنياه وقبره ويوم حشره ، وبه تخرج أعمال العبد وأقواله ولها نور وهو رأس الولاية وبريقها ، ويزيل خلة القلب ويفرق غمومه وهمومه وينبه القلب من نومه ويثمر المعارف والأحوال الجليلة والذاكر قريب من مذكوره ، والله معه ، وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله .

ابن القيم ـ الوابل الصيب

نقض كلام المبتدعة فى :

١ - حديث : إنما الشؤم فى ثلاثة

٢ - حديث : شفاء عين على بن أبى طالب

لفضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى

وجه فريق الرفض وعدم التسليم بصحة جميع ما فى البخارى من المسند المتصل الى هذين الحديثين من النقد الذى نزل الى درجة النقض ثم هوى الى درك البذاء • وقد بنوا رفضهم للحديث الأول على ما نجمله فى الآتى :

١ — ان الشؤم من خصال المشركين لعدم ايمانهم بالله وقضائه وقدره •

٢ — ما ذنب الدار التى جعلها الله ستارا ووقاية ومأوى لصاحبها ، وما ذنب الفرس ، وما ذنب المرأة •

٣ — هذا التشاؤم يتعارض مع قوله تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) •

٤ — وعلى ما تقدم يكون المسلم الذى يتشاءم مساويا للمشركين •

ثم يخلص صاحب هذا الرفض لتقرأعين من يعمل لحسابهم بقصد أو بغير قصد الى أن هذا الحديث مفترى على النبى صلى الله عليه وسلم حتى يسرى الشك فى السنة الى المؤمنين ونحن ان شاء الله ذاكرون لك طرقه وألفاظه ورواته ليحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين •

قال الامام البخارى : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر أن أباه عبد الله بن عمر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الشؤم فى ثلاثة : فى الفرس والمرأة والدار » حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبى حازم بن دينار عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : «ان كان

الشؤم فى شىء ففى المرأة والفرس والمسكن » وأخرجهما أيضا البخارى فى كتاب النكاح كما أخرجهما فى كتاب الطب ، وأخرجها مسلم فى كتاب الطب وأخرجها ابن ماجه فى النكاح وأبو داود فى الطب والترمذى فى الأدب والنسائى فى الخيل ، ومالك فى الموطأ فى الاستئذان وأحمد فى المسند جـ ٣ : ٨ ، ٣٦ ، ١١٥ ، ١٢٦ .

وحديث مسلم من طريق أبى الطاهر وحرملة بن يحى التجيبى عن ابن عمر مرفوعا « لا عدوى ولا طيرة وانما الشؤم فى ثلاثة : المرأة والفرس والدار » ورواه أيضا من طريق جابر بن عبد الله مرفوعا : « ان كان فى شىء ففى الربع والخادم والفرس » وأخرجه أبو داود من طريق ابن عمرو سعد بن مالك وعمرو بن مسيك ومثل هذا الحديث كما أوردنا فى هذه المدونات التى ذكرناها لا يخرج متنه عما ذكر .

وهذا الحديث حكمه عندالمحدثين حكم المشهور أو المستفيض ، هذا من حيث الحكم الفنى عليه من الناحية الاسنادية . أما من جهة المتن فاليك ما قاله أئمة المسلمين فى معناه حتى يتضح لكل ذى عقل أن الحديث ليس فيه هذه الظلمة التى تغشى على قلوبهم وقد صدق من قال :

وكم من قائل قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

وسوف يكون ما نزجيه لأولى الألباب مما تقر به أعينهم وتنشرح له صدورهم ، ولا يعنينا بعد ذلك أمر الرافضين للسنة ، ولا مضيهم فى بدعنهم :

على بعث القوافى من أماكنها
وما على اذا لم يفهم البقر

فقوله صلى الله عليه وسلم فى الراوية التامة : « لا عدوى ولاطيرة وانما الشؤم فى ثلاثة الحديث يدل صدره على نفى تأثيرالعدوى والطيره وما يتشاءم به الناس انما هو فى هذه الأمور الثلاثة . والتشاؤم هو الشىء المكروه من قول أو فعل أو مرئى . وكانوا يتطيرون بالسوانح

والبوارح ، فينفرون الظباء والطيور ، فان أخذت ذات اليمين تبركوا بـه ومضـوا فى سفرهم وحوائجهم ، وان أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بهـا فكانت تصدهم فى كثير من الأوقات عن مصـالحهم ، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر ، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا طيرة) .

وفى حديث آخر (الطيرة شرك) أى اعتقـاد أنها تنفـع أو تضر اذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها ، فهو شرك ، لأنهم جعلوا لها أثرا فى الفعل والايجاد وقال النووى بعد هـذا : قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم فى الدار والمرأة والفرس » وفى راوية انما الشؤم فى ثلاثة المرأة والفرس والدار وفى راوية « ان كان الشؤم فى شىء ففى الفرس والمسكن والمرأة » وفى رواية « ان كان فى شىء ففى الربع والخادم والفرس » .

واختلف العلماء فى هذا الحديث فقال مالك وطائفة . هو على ظاهره ، وان الدار قـد يجعـل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك ، وكذا انما المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ، ومعناه قد يحصل الشؤم فى هذه الثلاثة كما صرح به فى رواية (ان يكن الشـؤم فى شىء) وقال الخطـابى وكثيرون : هو فى معنى الاستثناء من الطيرة ، أى منهى عنها الا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فـرس أو خادم فليفـارق الجميع بالبيـع ونحوه وطلاق المرأة . وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانهـا وأذاهم .

وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب .

وشؤم الفرس ألا يغزو عليها فى سبيل الله ، وقيل : حرانها وغـلاء ثمنها .

وشؤم الخادم سـوء خلقه وقلة تعهده لمـا فوض اليه .

وقيل : المراد بالشؤم هنا عـدم الموافقة ، واعترض بعض الملاحـدة بحديث (لا طيرة) على هذا ، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص

من حديث (لا طيرة الا فى هذه الثلاثة) قال القاضى : قال بعض العلماء : الجامع لهذه الفصول السابقة فى الأحاديث ثلاثة أقسام :

(أحدها) ما لم يقع الضرر به ، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة ، فهذا لا يلتفت اليه ، وأنكر الشرع الالتفات اليه وهو الطيرة .

(والثانى) ما يقع عند الضرر عموما لا يخصه ونادرا لا متكررا كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه .

(والثالث) ما يخص ولا يعم ، كالدار والفرس والمرأة ، فهذا يباح الفرار منه .

وقال العلامة القسطلانى فى ارشاد السارى : (الفرس اذا لم يغز عليه أو كان شموسا والمرأة اذا كانت غير ولود أو غير قانعة أو سليطة ، والدار ذات الجار السوء أو الضيقة أو البعيدة من المسجد لا تسمع الأذان ، وقد يكون الشؤم فى غير الثلاثة فالحصر فيها كما قاله ابن العربى بالنسبة الى العادة لا بالنسبة الى الخلقة . وقال الخطابى : اليمن والشؤم علامتان لما يصيب الانسان من الخير والشر ، ولا يكون شىء من ذلك الا بقضاء الله وهذه الأشياء الثلاثة ظروف جعلت مواقع لاقضية ليس لها بأنفسها وطبائعها فعل ولا تأثير فى شىء الا أنها لما كانت أعم الأشياء التى يقتنيها الانسان ، وكان فى غالب أحواله لايستغنى عن دار يسكنها وزوجة يعاشرها وفرس مرتبطة ولايخلو عن عارض مكروه فى زمانه أضيف اليمن والشؤم اليها اضافة مكان وهما صادران عن مشيئة الله عز وجل اهـ .

من هذا الذى سقناه عمن يحسن فهم الخطاب النبوى الكريم نلمس سوء القصد وفساد الاعتقاد عند من يتعمد انكار السنة بهذه الصورة الزرية ، ويتخبط فى نقضها بروح مجافية للمنهج العلمى الرصين ، الذى لا تعتريه مراهقة فكرية ولا رعونة جهلوية .

الحديث الثانى من الحديثين وهو ما أخرجه البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز عن أبيه أبى حازم عن سهل بن سعد أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه» قال: فبات الناس يدوكون(١) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يشتكى عينيه يارسول الله قال : فأرسلوا اليه فأتونى به ، فلما جاء بصق فى عينيه ودعاله فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ،فأعطاه الراية فقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »

ويكذب الشقى الخبر الذى أخرجه البخارى رضى الله عنه فى كتاب الجهاد وفى كتاب فضائل الصحابة وفى المغازى وأخرجه مسلم فى الجهاد وفى فضائل الصحابة وأخرجه الترمذى فى المناقب وأخرجه أحمد فى جـ ١ صـ ١٨٥ وجـ ٤ صـ ٥٢ وجـ ٥ صـ ٣٣٣ وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقد بنى هذا الشقى نقضه الحديث على أسس مردها على منهج الحادى لا يؤمن بالمعجزات ويزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس له معجزات سوى القرآن ولكى تكتمل المؤامرة على الاسلام وتتضح أبعادها يأتى أحد هؤلاء الرائين صواب عدم قبول السنة وينادى باعادة النظر فى الدين كله من فوق منبر من منابر الأوقاف ويصنف كتيبا يطفح بالالحاد يبسط فيه قضية اعجاز القرآن من وجهة نظر هؤلاء النافين عن النبى صلى الله على وسلم جميع المعجزات خلا القرآن فيأتى هذا بدوره فينفى الاعجاز البلاغى عن القرآن ويقول وبكل وقاحة متصدية لقواعد البلاغة ومذاق اللغة وبدهيات العقول ان عبارة العرب فى الجاهلية

(١) يدوكون بالواو : أى يخوضون .

أنفى للقتل) أبلغ من قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) .

فانظروا ياعباد الله كيف تتم لمعزوفة بكل أنغامها على يد هذا الجوق المنسجم النغم الضارب على وتيرة تختلف آلاتها ولا تشذ منها نغمة على نغمة فهذا يهدم السنة بدعوى عدم موافقتها لعقله وينفى المعجزات لعدم وجود معجزة سوى القرآن ، ويأتى آخر فينفى اعجاز القرآن وبهذا يتم لهم مرادهم من تقويض دعائم الدين وهدم ركائز الايمان .

ولا أدرى من أى جانبى الفحوى فى الحديث يؤتى لقد ركز هؤلاء على عبارة (فبصق فى عينيه) نعم أيها الرعناء بصق ودعا الله تعالى وبصاقه صلى الله عليه وسلم مبارك رغم أنوفكم ودعاؤه مستجاب رغم مكابرتكم .

واذا كنتم تريدون من القرآن هاديا اذا سلمتم بأنه كتاب هداية ففيه الدليل عليكم ، والحجة الناطقة على أنكم بعيدون عن مواطن الانصاف .

لقد قال الله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء مباركا) فهذا ماء المطر وصفه الله تعالى بأنه مبارك ، فهل ماء المطر أفضل من ريقه صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى فى بيته المحرم : (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا !) .

فهل تكون حجارة البيت وحيطانه مباركة والنبى صلى الله عليه وسلم ليس مباركا .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى عينه ودعا له وأعطاه الراية واندفع على الى ساحة الوغى مزودوا بهذه البصقة المباركة من فم يتلقى الوحى ويحكيه للناس ، من فم يشافه ملكا ذا قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ثم بدعاء صالح أن يتم الله نعمة الشفاء فيستجيب الله دعاء نبيه ويشفى عليا من رمده ، فلما تركزون على معنى واحد من معانى الخبر ولا تعيرون دعاء النبى صلى الله عليه وسلم التفاتا حتى تكتمل لكم عناصر السخرية ، ويتجرد الخبر من كل ما يصد عنه عدوانكم وبغيكم .

واذا رجعنا الى سيرته صلى الله عليه وسلم وجدناها حافلة بذخيرة

لاتنفد من أدعيته صلى الله عليه وسلم التى أكرمه الله تعالى باجابتها .

« وذلك لأن الله تعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه مما فوض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية عونا على ماكلفهم ، وآية على من أنكرهم فدخل بهذا الامتياز فى أقسام الاعجاز .

فمن أعلامه صلى الله عليه وسلم فى الاجابة أنه لما تلا (والنجم اذا هوى) قال عتبة بن أبى لهب : كفرت بالذى دنا فتدلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ــ يعنى الأسد ــ فخرج عتبة مع أصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا فى طريقهم زأر الأسد فجعلت فرائص عتبة ترعد فقال أصحابه من أى شىء ترعد فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال : ان محمدا دعا على وما ترد له دعوة ولا أحدا أصدق منه لهجة ، فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الأسد يستنشهى رءوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة .

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين السبعة من قريش الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل السهمى ، والأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وفكيهة بن عامر الفهرى والحارث بن الطلاطلة ، والأسود بن الحارث ، وابن عيطلة كانوا يكثرون الاستهزاء ويواصلون عليه الايذاء وكان لا يقرأ الا مستسرا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ثم لما هاجر أصحابه الى الحبشة رغب الى الله تعالى أن يكفيه أمر هؤلاء المستهزئين فنزل قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) قال الماوردى : وفى قوله فاصدع بما تؤمر تأويلان (أحدهما) امض لما تؤمر به من ابطال الشرك (والثانى) أظهر ما تؤمر به من الحق .

وفى قوله (وأعرض عن المشركين تأويلان (أحدهما) استهزىء بهم (والثانى) لاتهتم باستهزائهم ، انا كفيناك المستهزئين يعنى بما عجلناه من اهلاكهم .

فأما الوليد بن المغيرة فانه ارتدى بردائه شوك فذهب يجلس عليه فقطع أكحله فنزف فمات لوقته ، وأما العاصى بن وائل فوطىء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات من يومه ، وأما الأسود بن عبد يغوث فقد كان صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه بالعمى وثكل ولده ، فأتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت حدقته على وجهه ، وقتل ولده زمعة يوم بدر فأعمى الله بصره وأثكله ولده ، وأما فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد ، وأما الحارث بن الطلاطلة ، فانه خرج لبعض حوائجه فضربه السموم فى الطريق فاسودمنه ومات ، وأما الأسود بن الحارث فأكل حوتا مملوحا فأصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات ، وأما ابن عيطلة فاستسقى فمات .

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) فقطع الله عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وأجدبت الأرض وماتت المواشى واشتووا القد وأكلوا العلهز فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه فعطف ورغب الى الله تعالى فمطروا .

والأمثلة لاتحصى على اكرام الله تبارك وتعالى لنبيه واستجابته لدعائه وقد روى الماوردى عن مسلم الملائى عن أنس قال : أتى أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله لقد أتيناك ومالنا بعير يئط ولاصبى يصطبح ثم أنشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها
وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الصبى استكانة
من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى

ولا شىء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامى والعلهز الفسلى

وليس لنـا الا اليك فـرارنـا
وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اللهم اسقنا غيثا مغيثا سحا طبقا غير رايث ، تنبت به الزرع وتملأ به الضرع ، وتحى به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون فما استتم دعاءه حتى التفت السماء بأروقتها حتى شكا الناس من الغرق وطلب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقر به أعينهم .

محمد نجيب المطيعى

القرآن هو الدليـل

قال بعض المتكلمين افنيت عمرى فى الكلام أطلب الدليل وأنا لا زداد الا بعدا عن الدليل فرجعت الى القرآن أتدبره وأتفكر فيه واذا أنا بالدليل حقا معى وأنا لا أشعر به فقلت والله ما مثلى الا كما قال القائل :

ومن العجائب والعجائب جمـة
قرب الحبيب وما اليـه وصـول

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والمـاء فـوق ظهـورها محمول

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

— ٩ —

نظام الملكية

انتهينا من الكلام عن المسئولية المدنية ونبدأ فى هذا العدد الكلام عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية .

وقد وجدت الملكية منذ وجد الانسان على ظهر الأرض لقوله تعالى: « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ــ البقرة ٢٩ » والانسان يميل بمقتضى غريزته الى حيازة ما هو فى حاجة اليه ليستأثر به وليجده عند الحاجة اليه دون منازع لأن الشيوع مثار نزاع والحيازة الفردية حافز على العمل والتنمية والادخار للمستقبل والطمأنينة على استئثار المجد بنتيجة اجتهاده ولهذا لم يستطع أى نظام من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغاء كل صور الملكية الفردية حتى أن الأنظمة الشيوعية لم تستطع ذلك فنجد القانون المدنى للاتحاد السوفييتى الذى صدق عليه مجلس السوفييت الأعلى فى ١١ يونيو ١٩٦٤ والمعمول به ابتداء من أول أكتوبر ١٩٦٤ والنافذ فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتى ينص فى المادة ١٠٥ منه على أنه « يجوز أن تكون فى الملكية الشخصية للمواطنين الأموال المخصصة لتلبية حاجاتهم المادية والثقافية ويجوز لكل مواطن أن يمتلك ملكية شخصية ، دخل العمل والمدخرات وبيت السكن أو جزء منه والمزرعة الصغيرة وأدوات التدبير المنزلى والاستعمال اليومى المخصصة لاستهلاك المواطن وراحته » .

فلا يمكن تجاهل مبدأ الملكية الفردية فى أى مجتمع من المجتمعات ومن هنا كانت عناية التشريع الاسلامى بتنظيم حق الملكية تنظيما يحفظ حقوق الفرد وحقوق الجماعة على أساس متواز بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ولا يخفى على أحد أثر التنظيم القانونى للملكية على الانتاج فى أى مجتمع من المجتمعات وأثر ذلك على تقدم ورفاهية المجتمع وبالتالى سلوك أفراده وقد أثبتت التجارب العملية الى أى مدى نجح التنظيم الاسلامى للملكية فى خلق مجتمع فاضل لا تشيع فيه الجريمة ولا يسوده الحقد مهما بلغ فيه التفاوت بين الثروات •

ويتناول الكلام عن نظام الملكية فى الاسلام نطاق الملك ومداه وأنواعه وخصائصه والقيود التى ترد عليه وأسباب كسب الملكية وفقدها وحمايتها •

فبالنسبة لنطاق الملك فى الشريعة الاسلامية فالملاحظ أنه لا يصلح محلا للملك الا مالا متقوما •

والمال هو كل شىء أو منفعة أو حق تعارف الناس على أن له قيمة مالية • أما المال المتقوم فهو ما كان غير محظور امتلاكه أو الانتفاع به شرعا فالخمر والخنزير مال غير متقوم بالنسبة للمسلمين ولذلك لا يجوز لمسلم امتلاك شىء منهما أما بالنسبة لغير المسلم فلهما قيمة مالية معترف بها ولذلك يجوز لغير المسلم تملك الخمر والخنزير وان كانا يعتبران مالا غير متقوم فى الشريعة الاسلامية • كذلك لا يصلح أن يكون محلا للملك أى شىء يكون معدوم المنفعة كبعض الحشرات مثل النمل والذباب كما لا يصح أن يكون محلا للملك الأشياء التى تكون منفعتها محرمة شرعا كآلات الطرب والغناء عند من اعتبر الغناء محرما من الفقهاء وآلات ألعاب القمار التى يقتصر الانتفاع بها على هذا الغرض المحرم شرعا •

أما مدى ما يمتد اليه الملك فان الملك حينما يتعلق بأى عين من الأعيان سواء كانت عقارا أو منقولا فانه يمتد الى منافعها وثمراتها

وتتاجها وجميع ما يتولد منها فيما عدا العشب الذى ينبت فى الأرض من غير صنع مالكها والماء الذى ينبع منها وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار» فلا يملك شيء من ذلك الا باحرازه.

وقد اختلف الفقهاء فيما يحويه باطن الأرض المملوكة لأى فرد من معادن كالحديد والنحاس وغيرها أو من سوائل كالزئبق والبترول أو أحجار عادية أو أحجار كريمة كالماس والياقوت فذهب بعضهم الى أنها لا تتبع ملكية الأرض لأنه ليس لمثل ذلك تملك الأرض وتطلب عادة وانما تعتبر كل هذه المعادن والسوائل والأحجار ملكا للدولة (أشهر أقوال المالكية) وذهب آخرون (الحنفية والشافعية والحنابلة وبعض المالكية) الى أن هذه المعادن اذا وجدت فى أرض مملوكة كانت تابعة لها وملكا خالصا لمالك الأرض ونرى الأخذ بهذا الرأى الذى يتفق مع مقتضيات العصر وما تحتله المناجم والمحاجر وآبار البترول من أهمية كبرى فلم تعد الأرض تمتلك لمجرد الزراعة أو اقامة المبانى كما كان الأمر فى القرون الأولى من الاسلام .

وبالنسبة لأنواع الملك فهناك عدة تقسيمات : أولها : ملك العين وملك المنفعة . فملك العين هو ملك ذات الشيء ويسمى أيضا بملك الرقبة . وقد يكون مالك العين هو مالك المنفعة فى ذات الوقت فيسمى الملك هنا ملكا تاما يبيح لصاحبه حق التصرف المطلق فيما يملكه فيجوز له أن يبيعه أو يهبه أو يوصى به أو يؤجره أو يعيره أو يرهنه ، أما ملك المنافع أو الحقوق أو ملك الرقبة فقط فهو ملك ناقص لأنه لا يكون لصاحبه حق التصرف المطلق كما هو فى الملك التام .

ومن أهم صور الملك الناقص فى الشريعة الاسلامية « الوقف » والوقف معناه لغة الحبس ، وشرعا حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة . ويؤخذ من هذا التعريف أن الوقف يترتب عليه خروج العين الموقوفة فورا عن

ملك جميع الناس حتى الواقف نفسه ولا يصح التصرف فيها تصرفا يجعل للغير حقا ثابتا عليها فلا يجوز بيعها ولا رهنها ولا هبتها ولا الوصية بها ولا غير ذلك من التصرفات .

والوقف نوعان : أهلى ، وخيرى .

فالأهلى : ما كان أولا على شخص معين أو أشخاص معينين سواء أكان هو الواقف وذريته أم غيرهم من الأهل والأقارب أو غيرهم من الأجانب عن الواقف كطلبة العلم مثلا بشرط أن يكون مآل المال الموقوف فى جميع الأحوال الى جهة بر لا تنقطع . أما الوقف الخيرى فهو ما كان من أول الأمر موقوفا على جهة خيرية كالمساجد والمستشفيات والملاجىء .

ويصح وقف العقار والمنقول على السواء كما لا يشترط التشريع الاسلامى انتماء الواقف أو الموقوف عليهم للاسلام .

والتقسيم الثانى لأنواع الملك هو مالا يجوز تمليكه ولا تملكه وهو ما خصص للمنافع العامة ما دام مخصصا لذلك فلا يثبت لأحد فيه ملك خاص وانما يعد ملكا لمجموع الشعب يتعلق به حق الناس جميعا وذلك كدور العبادة والمستشفيات الحكومية والأنهار والطرق العامة والمبانى الحكومية ونحو ذلك وهو ما يعبر عنه بالملك العام أما غير ذلك من الأعيان فيقبل التمليك والتملك متى كان مالا متقوما كما سبق أن ذكرنا وهو ما يعبر عنه بالملك الخاص .

وينقسم الملك من ناحية صورته الى قسمين: ملكية متميزة أو مفرزة، وملكية شائعة . والملكية المتميزة هى ما كان محلها يختص به مالك واحد كملكية شخص لبيت بأكمله أو لطبقة معينة من طبقاته أو لقطعة أرض محددة ، أما الملكية الشائعة فهى نتيجة اشتراك مجموعة من الأشخاص فى ملكية شىء واحد دون افراز لنصيب كل منهم كملكية فرد واحد مثلا لسدس قطعة من الأرض فهذه النسبة التى يمتلكها تكون شائعة ومنتشرة فى جميع أجزاء هذه القطعة من الأرض ويكون كل جزء

من هـذه الأرض مهما صغر غير مختص بأحد من الشركاء بل تتعلق به ملكياتهم جميعا .

وبالنسبة لخصائص الملك والقيود التى ترد عليه فالأصل فى الملكية أنها حق مطلق جامع لكل فائدة يمكن استيفاؤها من الشيء المملوك ، وأن هـذا الحق المطلق مقصور على صاحبه فلمالك الشيء أن يستأثر بجميع مزاياه وأن يمنع غيره من أن يشاركه فى ذلك . وهـذا الحق المطلق المقصور على صاحبه حق دائم لا يقبل التوقيت . وقد اختلف الفقهاء فى دوام حق الملكية فيرى الحنفية والشافعية فى أشهر أقوالهم أن الملك يعتبر دائما لا ينتهى بمعنى أن الأشياء المملوكة لايمكن اعتبارها أموالا مباحة لا مالك لها اذا ما تخلى عنها أصحابها فلا يتملكها من يضع يده عليها،ولهم قول آخر: ان الأموال المملوكة تصبح مباحة متى تخلى عنها أصحابها فتسقط ملكية صاحبها ويتملكها من يستولى عليها بالاستيلاء ، والذى نراه هو الأخذ بأشهر أقوال الحنفية والشافعية ويؤيدهم فى ذلك المالكية وأكثر الفقهاء وهو ما يتفق مع مقتضيات العصر لأن فى الأخذ بالرأى القائل بدوام ملك العين وعدم انتهائه يحفظ للناس أموالهم ويقلل من التنازع والتناحر بينهم . أما بالنسبة لتوقيت حق الملكية فيجب التفرقة بين ملكية العين أو ملكية الرقبة وملكية المنفعة ، فملكية العين لا تقبل التوقيت ولا يجوز الاتفاق على توقيتها ، والا اعتبر مثل هذا الاتفاق باطلا ، أما ملكية المنفعة فانها تقبل التوقيت حسب الاتفاق فهى فى الاجارة مثلا مؤقتة دائما بمدتها وفى الوصية مؤقتة بحياة الموصى له أو بالمدة المحددة للانتفاع .

أما القيود التى ترد على حق الملكية ، فالأصل العام هو أن جميع ما جاءت به الشريعة الاسلامية من حقوق وأحكام مقيد بشرط عدم الضرر لحديثه صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والملكية حق من هذه الحقوق ولذلك تخضع لهذا الأصل كبقية الحقوق الأخرى

ولذلك لا يترك لهـا الحبل لتكون أداة للتسلط على الناس ومن هنـا جـاز تقييد حـرية المـالك فى طرد المستأجر وتقييد حريته فى تحـديد الأجرة فى هذا الزمان الذى سيطر فيه الجشع وحب المـال على الناس فأفقـدهم الكثير من مظاهر المودة والرحمـة التى يحـرص التشريع الاسلامى على الحفاظ عليها .

والقيود على الملكية نوعان:قيود تتعلق بحق التملك ذاته فتحدد مقدار ما يتملكه الفـرد من نوع معين من الأعيان،أو حظر تملك بعض الأفراد لبعض الأعيان مثال ذلك ، قوانين تحديد الملكية الزراعية بوضع حد أقصى لمـا يمكن أن يملكه كل فرد من أطيـان زراعية أو حظـر تملك الأجانب للأطيان الزراعية .

وهذا النوع من القيود لا تعرفه الشريعـة الاسـلامية على الاطلاق فلكل انسـان أن يملك من المـال ما يسـتطيع أن يتملكه دون حـد أقصى فى ذلك .

أما النوع الثانى من القيود فهو: قيود فى سـلطة المـالك على ملكه وطريقة انتفاعه به والشريعة الاسلامية تبيح من هذه القيود كل قيد يحقق الصالح العام لمجموع المواطنين مثل منع بيـع الأسـلحة بدون ترخيص والتسعير الجبرى للمواد الغـذائية متى كان هذا التسعير يحقق فائضا مناسبا للبائع ومنع الاحتكار والزام مـلاك الأراضى الزراعيـة بزراعة مسـاحات معينـة من أراضـيهم بمحاصيل معينة وتحديد ساعات العمل والشروط الخاصة بمزاولة العمـل أو المهنة أو التجارة وغيرها ، فكل هـذه القيود متى كان الدافع اليها العمل على تحقيق المصلحة العـامة ومنع الضرر عن الناس وتوفير الحماية والأمن والراحـة لهم كان فرضـها مبـاحا بـل ومطلوبا فى الشريعـة الاسلامية .

وقد عرفت الشريعة الاسـلامية نظـرية التعسف فى استعمال الحق هذه النظرية التى عرفتهـا القوانين الوضعية حديثا فـلا يمكن لمـالك الأرض أن يقيم عليها حائطا لا ينتفع به أو يكون انتفـاعه به انتفـاعا ضـئيلا ويكون فى اقامته اضرارا

كبيرا بجاره لأن استعمال الحقوق فى الشريعة الاسلامية مقيد بمراعاة المبادىء الآتية :

١ – الضرر يزال .

٢ – يتحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد .

٣ – يجب تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

٤ – دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٥ – الضرورات تبيح المحظورات .

ومالك الأرض وان كان مدى ملكه كل ما يعلو أرضه وكل ما هو تحتها الا أنه ليس له أن يمنع مرور الطائرات أو مد أسلاك الكهرباء وغيرها فوقها ولا منع اقامة الانفاق تحتها متى كان ذلك يبدأ من أقصى ارتفاع أو عمق تصل اليه منفعته بها .

وبالنسبة لأسباب كسب الملكية وفقدها وحمايتها فالملك يكتسب اما باختيار المالك واما بغير اختياره .

وأسباب كسب الملكية بغير اختيار المالك تنحصر فى الميراث فالوارث يتملك حصته فى تركة مورثه بمجرد الوفاة دون توقف على قبوله أو رفضه للتركة غاية ما فى الأمر أن الوارث لا يسأل عن ديون مورثه الا فى حدود ما آل اليه من ميراث .

أما أسباب كسب الملكية (أعيان ومنافع) باختيار المالك فهى العقد (مثل البيع والهبة والوصية والزواج والاجارة والاعارة) والوقف والشفعة ووضع اليد على الأموال المباحة (الأموال التى لا مالك لها وتبيح الدولة تملكها لأى فرد يحرزها مثل الصيد والاحتطاب والاستسقاء من الأماكن المباح فيها ذلك) والفىء والغنيمة .

والفىء هو ما تستولى عليه جيوش المسلمين من أعداء الاسلام من أموال بغير قتال، أما الغنائم فهى ما تستولى عليه جيوش المسلمين نتيجة المعارك الحربية . وحكم الغنيمة أن يأخذ بيت المال خمس الأموال المنقولة ويوزع الأربعة

أخمـاس على المقاتلين من المسلمين الذين حضروا المعارك «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسـه ـ الأنفال ٤١ » أما العقـارات فتؤول الى الدولة ويصرف ريعها فى مصالح المسلمين ولا يقسم أى جزء منها على المقاتلين • وأما حكم الفيء فالأصل فيه هـو أيلولته بأكمله الى الدولة ليصرف جميعه فى مصالح المسلمين الا أنـه يجـوز لرئيس الدولة الاسـلامية أن يطبق بشـأنه نفس حكم الغنيمة •

ولا يفرق التشريع الاسلامى بين العقـار والمنقول فى طرق اكتساب الملكيـة أو فقـدها • ومتى ملك انسـان شيئا ملكا تاما بسبب من الأسباب السـابقة فانه لا يجوز أن ينتزع منـه ما ملكه الا برضـائه الكامل الصحيح وذلك فيما عـدا الحالتين الآتيتين على سبيل الحصر• الحالة الأولى : أن يكون المـالك مدينا دينا واجب الأداء وامتنع عن أدائه فيباع من ملكه رغما عنه مايفى بهـذا الدين ويدخل ضمن هـذه الديون نفقات الأقارب وكذلك زكاة المال ، وهى لا تجب الا على كل حر مسلم ولا يشترط فى وجوبها العقل ولا البلوغ فهى تجب فى مال الصبى والمجنون • والحالة الثانية: هى حالة نزع الملكية للمنفعة العامة ويشترط فى هـذه الحالة أن تكون هنـاك منفعـة حقيقية للجمـاعة لا يمكن تحقيقها ولا الوصول اليها الا بنزع ملكية عين معينة بالذات كشق ترعة أو مصرف أو فتـح طـريق عام أو توسعة مسجد ويشترط فى هذه الحالة تعويض المـالك التعـويض الحقيقى لقيمة الملك « ولا تبخسوا النـاس أشياءهم ـ الأعراف ٨٥ » وأن يدفع هذا التعويض فورا فان رفض المـالك قيمة هذا التعويض أودع مبلغ التعـويض فى خـزانة الدولة تحت تصرفه لحين الفصل فى قيمة التعويض فـلا تنفرد الدولة بتقدير التعويض ولا بتحديد تاريخ أو طريقة سداده ولا يسمح التشريع الاسلامى بالمصادرة اطلاقا لأى مال يكون امتلاكه مشروعا وتمت ملكيته بسبب مشـروع مهمـا كان سبب استيلاء الدولة على هذا المـال ولو كان لتوسـعة المسـجد الحـرام

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ المؤمنون ٥١ » ولا يفقد انسان ملكه بتركه أى مدة مهما طال الزمن ولو وضع غيره يده عليه أى مدة مهما طالت فانه لا يكسب ملكيته فالتشريع الاسلامى لايعترف بالتقادم الطويل أو القصير كسبب من أسباب كسب الملكية أو فقدها سواء بالنسبة للعقار أو المنقول وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبطل حق امرىء مسلم وان قدم » ويكفل التشريع الاسلامى للملكية حماية لا يكفل مثلها أى تشريع وضعى فالى جانب وسائل حماية الملكية المعروفة من منع الاعتداء على الملك والزام المعتدى بالتعويض وعقاب السارق جنائيا فان التشريع الاسلامى ينفرد بقطع يد السارق جزاء على الاعتداء على الملكية بالسرقة وتطبيق هذا الحد من الحدود له أكبر الأثر فى صيانة أموال الناس بل وأرواحهم أيضا وسنتكلم عن ذلك تفصيلا عند الكلام عن الجرائم والعقوبات فى الأعداد القادمة .

ومن وسائل حماية الملك فى التشريع الاسلامى الزام المالك بعدم تبذير ماله وعدم انفاقه فى غير مصلحة فجعل الله للحاكم حق التدخل فى هذه الحالة بالحجر على السفيه المبذر لماله .

واذا فقد شىء من مالكه وعثر عليه آخر فانه يلزم بالتقاطه والمحافظة عليه ومحاولة التعرف على مالكه لتسليمه اليه فان لم يمكنه ذلك دفع بهذا الشىء الى أجهزة الأمن بالدولة وفى حالة اليأس من العثور على مالك هذا الشىء أو وارثه فان ملكيته تؤول الى الدولة .

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن نظام الملكية فى القانون الانجليزى .

حسن حسب الله

من عظماء الرجال :

شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام

للأستاذ محمد أحمد سالم

كان خطر التتار قد عاد يتهدد بلاد الاسلام بأشد مما كان فى أيام جنكيزخان ، فقد انحدر منهم جيش كبير بقيادة طاغيتهم الجديد هولاكو فعصفوا بالدولة الاسماعيلية فى فارس ، ثم زحفوا على بغداد فقتلوا الخليفة أشنع قتلة ، ثم مضوا يسفكون الدماء، وينتهكون الأعراض وينهبون الدور ، ويخربون الجوامع والمساجد ، وعمدوا الى ما فيها من خزائن الكتب العظيمة . فألقوها فى نهر دجلة حتى جعلوا منها جسرا مرت عليه خيولهم ، واستمروا على ذلك أربعين يوما . وأمر هولاكو بعد القتال بعد ذلك فبلغت عدتهم زهاء مليونى نفس .

سرت أنباء هذه الفاجعة التى حلت بعاصمة المسلمين الكبرى فاهتز لها العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه وامتحن الله بها قلوب ملوكه وأمرائه ليعلم من يثبت منهم على دينه ، فينتدب لجهاد أولئك البغاة المشركين .

ولم يكد الملك المظفر قطز يسمع بما حل ببغداد من نكبة التتار ، ويتحفز هولاكو للانقضاض على سائر الاسلام ، واقتراب الخطر من مصر حتى ثارت شجونه وأخذ يفكر فى تدبير المال اللازم لتقوية الجيش المصرى ، وتكثير عدده ، وتجهيزه بالعدد والأسلحة وآلات القتال ، وجمع الذخائر والأقوات، والأرزاق الكافية لاعاشته وتموينه ، اذ ليس ببيت المال ما يكفى للقيام بهذا الأمر العظيم . فخطر بباله أن يفرض ضريبة على الأمة ، وأملاكها لجمع المال اللازم : فعقد مجلسا حضره العلماء والقضاة والأمراء والوزراء والأعيان ، وفى مقدمتهم الشيخ عزالدين بن عبد السلام، فاستفتى الملك المظفر العلماء فى جواز فرض الأموال

على العامة لانفاقها على العساكر ، فتهيب العلماء فى الافتاء ، وخافوا ان هم أفتوا بالجواز أن يغضبوا العامة عليهم ؛ وان أفتوا بالمنع أن يبوءوا بغضب السلطان ، فظلوا يتدافعون الافتاء حتى صدع ابن عبد السلام بفتياه العظيمة ،فسكت سائر العلماء ، وانفض المجلس على ذلك .

وكانت الفتيا صريحة فى وجوب أخذ أموال الأمراء وأملاكهم حتى يساووا العامة فى ملابسهم ونفقاتهم، فحينئذ يجوز الأخذ من أموال العامة، أما قبل ذلك فلا يجوز.فحار الملك المظفر فى الأمر ، لأنه ان سهل عليه الأخذ من أموال العامة فليس من اليسير عليه أن يأخذ من أموال الأمراء دون أن يحدث ذلك شغبا فيهم قد يوقد فى البلاد فتنة يصعب اطفاء نارها ، فبعث الى الشيخ ابن عبد السلام ، وشرح له صعوبة الأخذ من أموال الأمراء ، وتلطف معه ليفتيه بجواز الأخذ من أموال العامة اذا صعب الأخذ من أموال الأمراء . فلم يرض ابن عبد السلام وقال له : «لا أرجع فى فتواى لرأى ملك أو سلطان » ، وذكره بالله وبالعهد الذى قطعه على نفسه أن يقوم بالعدل،وينظر لمصلحة المسلمين، وأغلظ له فى ذلك . حتى لم يشك الحاضرون أن السلطان سيقبض عليه ، فما كان من الملك المظفر الا أن اغرورقت عيناه بالدموع ، وقام الى الشيخ فقبله على رأسه . قائلا : « بارك الله لنا ولمصر فيك . ان الاسلام ليفتخر بعالم مثلك ، لا يخاف فى الحق لومة لائم » .

ولم ينم الملك المظفر ليلته ، فقد قضاها ساهرا يفكر فى طريقة يحمل بها الأمراء على تسليم ما عندهم من ذهب وفضة، وفى الصباح دعا وزيره يعقوب بن عبد الرفيع وتشاور معه طويلا . ثم اتفقا على أمر نوى التصميم عليه . ودعى الأمراء المماليك الى مجلس بالقلعة ، فلما حضروا جميعا دخل عليهم المظفر فقاموا له، وحياهم جميعا ، ثم بسط لهم القضية التى دعاهم من أجلها . وكان مما قاله لهم : « ان الأمراء اغتنوا من أموال الأمة ، وامتلأت خزائنهم بالذهب والفضة حتى ان فيهم لمن يجهز بناته بالجواهر

واللآلىء ، ويتخذ الاناء الذى يستنجى به فى الخلاء من فضة ، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر . كل ذلك والأمة صابرة عليهم ، راضية بهم . وها هو ذا العدو على الأبواب قد أقبل يريد القضاء عليها ، وعلى دينها وشرفها وعرضها ومالها ، وليس فى بيت المال ما يكفى لتجهيز الجيش اللازم لرد العدو فكان علينا أن نأخذ من أموال الأمة لبيت المال . اذ لا سبيل لنا غير ذلك ، ولكن الشرع الشريف أفتانا بأنه لا يجوز لنا ذلك حتى ننزل نحن — معشر الأمراء والحكام — عما احتجناه من أموال الأمة ، ونرد لبيت المال ما كنزنا من ذهب وفضة وجواهر وغيرها ، مما يفضل عن حاجتنا، فاذا أحصينا ذلك ولم يكف كان لنا حينئذ أن نأخذ من أموال العامة ، وانى ما دعوتكم الآن الا لتساعدونى على تنفيذ حكم الشرع فى وفيكم ، ثم فى الأمة حتى نبرأ الى الله من مظالمنا ، ونخرج للجهاد فى سبيله وقد رضى عنا ورضينا عنه ، فينصرنا على عدونا ، ويثبت أقدامنا يوم اللقاء » .

وبعد حوار وجدل صاح القوم جميعا « لا نطيع السلطان ، ولا ننزل له عن أموالنا وأملاكنا » ونظروا الى أبواب القاعة فوجدوها قد غلقت عليهم فاستقروا فى مجلسهم ، وعند ذلك نهض السلطان من مجلسه وقال لهم : « سأمهلكم ساعة تتراجعون فيها وحدكم لتتنزلوا عما عندكم من أموال الأمة راضين قبل أن تنزلوا عنه صاغرين » .

وكان الملك المظفر قطز قد دبر فرقة من رجاله الأشداء الأمناء لكبس بيوت الأمراء المماليك، وكسر خزائنهم ، وحمل ما فيها من الذهب والفضة والجواهر الى بيت المال ، وخصص كلا منهم لبيت من بيوتهم، وأمرهم أن ينتظروا اشارته بذلك . فلما مضت الساعة ولم يتفقوا على شىء أشار الى رجاله فانطلقوا ينفذون تدبيره .

وأحصى ما جاء من عند الأمراء فوجد أنه لا يكفى لتقوية الجيش وتموينه فعند ذلك أمر الملك المظفر باحصاء الأموال وأخذ زكاتها من أربابها ، وبأخذ كراء شهرين من الأملاك والعقارات المستأجرة ،

وبفرض دينـار على رأس كل قادر من سكان القطر المصرى ، فاجتمع من ذلك فى بيت المـال نحو ستمائة ألف دينار .

ولمـا انتهى الملك المظفر من ذلك عهد الى وزيره يعقوب بن عبدالرفيع أن يباشر تقوية الجيش المصرى بالأسلحة والعـدد وآلات القتال ، وتكثيرعدده بتجنيد الشباب الأقوياء من أهل مصر ، واستقدام العربان والبدو وتجنيدهم، وتفريق الأموال فيهم ، وأمره بانشاء المصانع الكبيرة لصنع الأسلحة والمجانيق وغيرهامن العدد الحربية فى جميع أرجاء البلاد، وبشراء الجياد العربيـة العتيقة ، والبغال القوية ، والابل الهجان .

وراح الشيـخ عـز الدين بن عبد السلام يعد الأمة اعدادا روحيا لقتـال التتار فأنشـأ ديوانا كبيرا للدعوة الى الجهاد فى سبيل اللـه يضم اليه من يختارهم من خطبـاء الجوامع . فيلقنهم ما ينبغى لهم أن يخطبوا الناس به على المنابر ليدعوهم الى الجهاد ، ويبينوا لهم فضائله ، ويفصلوا لهم ما أنزل التتار ببغداد وغيرها من الخـراب والدمار ، وما اقترفوه فيها من سـفك الدماء ، ونهب الأموال ، وانتهـاك الأعراض والحـرمات ، وتهـديم الجـوامع والمساجد ، وقتل الأطفال الرضع ، والشيوخ والعجائز ، وبقـر بطون الحوامل . ويبعث من ذلك الديوان الوعاظ يطوفون بالقرى ، ويدعون أهلها الى الجهـاد ، ويوقدون فى قلوبهم نار الحماسـة لله والوطن ، وكان الشيخ ابن عبد السلام لايجيز أحدا من هؤلاء الخطباء والوعاظ بالانطلاق لعمله حتى يحفظ سورتى الأنفال والتوبة من القرآن عن ظهر قلب، فكان من جراء ذلك أن صارت المنابر والجوامع والأندية ومجالس القرى تعج بآيات القتال من القرآن الكريم حتى كاد الرجال والنسـاء والأطفال يستظهرونها حفظا .

وهكذاكان لموقف شيخنا عزالدين ابن عبد السلام أثره العظيم فى كسب المعركة ، واحراز النصر . رحم الله الرجل ، وأسبغ عليه فيض رضوانه، ولله در أمير الشعراء شـوقى اذ يقول :

كانوا أجـل من الملوك جـلالة
وأعز سلطانا ، وأفخـم مظهرا

محمد احمد سالم

رسائل من العالم الإسلامي

إعداد وتقديم : الدكتور عبد الودود شلبي

● **أتاتورك مرة ثانية :**

للأستاذ عبد الستار الهواري ـ **القاهرة**

● **الحوار مع الأديان الأخرى :**

للدكتور M. M. AHSAN

THE ISLAMIC FOUNDATION 223 LONDON RD LEICESTER

● **المسلمون فى لبنان : « وحدة الأمة والقيادة »**

للأستاذ عز الدين بليق ـ بيروت

● **هل يمكن الوصول الى « توحيد الله » بالعقل ؟**

للأستاذ عبد الرافع مضنون حمص ـ **سوريا**

لا يزال الجدل قائما فى العالم الاسلامى حول الحركات التى وقعت فى ربوعه باسم التجديد والاصلاح وبخاصة تلك الحركات التى قادها رجال أفرغوا محتويات هذه الحركات من كل مضمون اسلامى أودينى .

وكان من أهم هذه الحركات التى شغلت بال المفكرين والباحثين حركة «مصطفى كمال» الذى أجهض دولة الخلافة ، وأقام نظاما تخلص به من كل المقومات الاسلامية التى جعلت من تركيا دولة عظمى تؤثر بسياستها فى مجريات الأحداث ، ويحسب لها ألف حساب فى الشرق والغرب .

ولقد كان من أعز الأمنيات لدى أعداء الاسلام أن تسقط هذه الدولة وتتقاسم أملاكها وألويتها تلك

الامبراطوريات التى نشأت فى الغرب متخذة من الدين شعارا تلهب به مشاعر المتعصبين ضد الاسلام أو على الاقل افراغ هذه الدولة من عنصر القوة الذى استطاعت به غزو أوربا واعلاء راية الاسلام فوق أبراجها وقلاعها .

وحانت هذه الفرصة للطامعين فى دولة الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بهزيمة المانيا وحليفتها تركيا وتوصل الغزاة الأجانب الى شبه اتفاق على تجريد تركيا من هذا السلاح بقيام نظام للحكم يحقق أهدافهم التى يسعون اليها، وخططوا طويلا لتحقيقها ...

ولم يكن مقالنا عن « أتاتورك » الا توضيحا لهذه الحقيقة التى بدأت تتكشف للعيان فى تركيا نفسها ، وتقديرا للشعب المسلم الشقيق الذى بدأ يتحرر من أغلال هذه المؤامرة ويعمل على محو آثارها ...

واذا كان ماكتبناه فى هذا الشأن قد أغضب المستشار الصحفى فى سفارة تركيا فان رسائل القراء من مختلف العالم الاسلامى تزيدنا يقينا بأن الحق لايعدم فى هذا العالم نصيرا ، وأن الشعب التركى أعز علينا من أى قائد أو زعيم مهما كان كبيرا ...

وفى واحدة من هذه الرسائل يقول الاستاذ عبد الستار الهوارى :

اذا رجعنا الى تاريخ الانقلاب التركى بقيادة مصطفى كمال نجد أن زعماء هذا الانقلاب قد اتبعوا ذات الطريقة التى اتبعها زعماء الانقلاب الروسى البلشفى ، بل ان الحركتين كأنما كانتا على موعد زمنى متقارب كما أن ترويج الدعوة لهذه الحركة أو تلك بالكتابة والنشر هى واحدة تقريبا .. والهدف هو اخضاع العقلية الآسيوية أولا ، ثم القضاء عليها ثانيا ، لتحل محلها العقلية الأوربية بأيديو لوجياتها المادية الالحادية .. ومن بين الكتب التى ظهرت آنذاك كتاب يعده زعماء الانقلاب التركى انجيلا يوحى اليهم بكل مايحتاجون اليه من مبادىء الرقى والنهوض، كما يعد الماركسيون

والبلاشفة كتاب (كارل ماركس) انجيل النظام الشيوعى .

والكتاب التركى الذى نعنيه اسمه (كتاب مصطفى كمال) وضعه مؤلف اسمه «قابيل آدم» ومن الواضح من الكتاب واسمه أن الآراء التى بث فيه والمبادىء التى دافع عنها هي هدم للدين الاسلامى الحنيف وكفر بكل ماجاء به من شرائع وسنن ، وقد أفلح مؤلف الكتاب فى أن يجعل مؤلفه هذا دستورا عاما للعقلية التجديدية فى أنحاء الشرق كله ، على أن تصفى من بعض ما فيها من نزعات التطرف والافراط .

بدأ هذا المؤلف كتابه هذا بتلخيص عام عن حصر الكلام فى العقلية التى قامت عليها الثورة التركية فقال : ان العقلية الأوروبية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ونحن انما نتبع ماتوحى الينا به هذه العقلية بحكم أننا موجودون فى هذه الحياة .. أما العقلية الآسيوية ، فالعقلية التى تلائم الحياة الآخرة ، فاذا انتقلنا الى الحياة الباقية فهناك نتبع ما توحى به هذه العقلية أى العقلية الأوروبية .

ان الأمم الحية فى العصر الحاضر تعيش فيما يلى حدودنا الغربية ، بينما يعيش فى الشرق مجموع من الأمم لم يعترف لها بحق الحياة فى عصر من عصور التاريخ .. ان الناس فى الشرق والغرب يتفقون فى كل الصفات العضوية ، فمن أين حدث ذلك الفرق البين الواقع بين الناس فى الغرب والشرق ؟

لم يكن لمذاهبنا القديمة سوى قاعدة منطقية واحدة ، ولم تتكون فيها سوى عقلية بعينها ، وتلك القاعدة وهذه العقلية لم ينصرفا طوال الأعصر عن شىء واحد ، هو أن يرجعوا بكل شىء استنتاجا واستقراء الى الكتب الدينية ، هذا بينما كانت العقلية الغربية تنظر فى الحياة بعين انسانية وتنظم الحياة على مقتضى ماترى هذه العين من حقائق الوجود ، وأنه لمن أشد الأشياء خطرا أن نبحث الحياة الغربية بعقلية شرقية .. لأن من الجائز أن يغوينا هذا النهج فنقبل جزءا من الحياة الغربية ، أو أجزاء نكيفها تكييفا خاصا أو نرفض قبول ناحية من نواحيها ، أو نكل تطبيق شىء منها الى المستقبل ، ثم نقول ان لدينا

من الحياة الغربية أجزاء وتنفا ، وما من شك فى أن هذا النهج كان سببا فى وقوع أكبر المصائب وأعظم النوائب والكوارث التى انتابت تركيا فى الماضى، ولقد عملنا بأقصى الجهد لكى نوفق بين الناحيتين ، فدلت التجاريب على أن التوفيق بينهما مستحيل ٠٠ فان أهل الغرب يعتقدون بأن الناس للناس (أى انسانيون) ٠ بل ان مطامعهم الأولية فى الحياة تنحصر فى أن يعيشوا فى هذه الدنيا على أكمل وجه تتطلبه الرجولة الكاملة، أما أهل الشرق فموقنون بأن الناس ملك لله ،ويحاولون دائما أن يحققوا وجود الحياة الأخرى فى هذه الحياة ٠٠ ولا شك أن هاتين النظرتين لايمكن التوفيق بينهما ، على أننا لم نعترف بهذه الحقائق فى الماضى ولم نواجهها بما تتطلب من الشجاعة الأدبية والاستقلال فى الرأى ، ومن أجل هذا كله نجد أنفسنا فى أشد الاحتياج لأن نصطبغ بصبغة العقلية الأوروبية الحديثة ، وما من سبب لذلك التنابذ الشديد الذى قام بين فريقى الأمة الا وجود هذه العقلية فى ناحية ، حيث تقوم فى ناحية أخرى العقلية الدينية العربية ٠٠ وهذا أخطر ما تتعرض له الجمهورية التركية من الأحداث ٠

ويمضى مؤلف الكتاب الكافر الملحد مشددا الحملة على الدين الاسلامى بأقسى وأعنف مما حمل عليه زنادقة الغرب الملاحدة ٠٠ بل ان الدين المسيحى كذلك لم ينج من حملته فنراه يقول :

ان المبادىء التى استمدت من مكة ومن رمال البادية هى التى أعاقت تركيا عن التقدم ستة قرون طوال ، لقد حكمت هذه المبادىء الشعب التركى عقليا ومدنيا واجتماعيا وعلميا وسياسيا واداريا ومدنيا ، وعلى الجملة احتكمت فى كل مظاهر حياته ، ولقد استنفدت المدارس كل موارد تركيا المالية ، ولكن ماذا كانت طبيعة الأشياء التى تدرس بين جدرانها ؟ لم يدرس بينها حرف واحد من اللغة التركية ، بل كانت العربية هى الأساس ، وأكب الناس على دراسة مقاطع من القرآن وتفسيرات فيه أربت على المئات والألوف من الصفحات التى كتبها واضعوها وحكموا فيها منازعهم وشهواتهم تحكيما ،وكذلك

دارسوا الحديث .. تلك الأحاديث التى وضعها وانتحلها رجال من مختلف الأمم ، وفى مختلف الأزمان .

بيد أن هذه الأساليب التعليمية لم يكن لها من صلة بالشعب التركى ولا بلغته ولا بثقافته ، بل لم يكن لها من صلة بالحياة ذاتها وليس من تاريخنا من شيء هوأدعى الى الخجل من أن تفرض السراى — الباب العالى — على الشعب التركى أسلوبا تعليميا عربيافى قوامه ومبناه ، ومن الغريب أننا خضعنا لهذا الأسلوب خضوع العبيد والاماء ستة قرون طوال .

لقد وضعت المذاهب علما قدسيا بنته على تفسيرات خاصة فسرت بها الأحاديث وآيات القرآن، أما رجالها فقد أعلنوا الحرب والنضال على كل من حاول أن يخرج عن هذه الدائرة وبهذا سد باب العلم وحظر على الناس ولوجه .

ان الحاجة تدعونا الى أن نلغى العقلية الآسيوية وأن نحل محلها العقلية الأوروبية ، اننا تواجهنا الآن مصاعب ومشكلات كتلك التى قامت فى وجه الثورة الفرنسية ، لهذا وجب علينا أن نستخدم الوسائل الثورية ، وليس فى الدنيا ثورة حبت أعداءها بنعمة الحرية ، انما الحرية الشخصية تكون بيقين حقا للجميع بعد أن تضع الثورة أوزارها وتثبت أصولها ، لهذا لا نستطيع أن نترك بذرة الحركات الرجعية تنمو حبتها فى العصر الحاضر ... والا فان الثورة لن تنجح .

ان الحضارة الأوروبية تقوم على ثلاث أسس عظمى (الأول) حقوق الانسان .. و (الثانى) الثقافية القومية ، و (الثالث) الاقتصادات والمالية القومية .. ولنبحث كلا من هذه الأسس على حدة :

أولا : حقوق الانسان.. تنحصر فى أن كل شخص تابع لرعوية الحكومة يولد ويعيش حرا ، وهذا هو المبدأ الجوهرى الذى تقوم عليه كل جماعة متحضرة ، وهذه الحرية تطبق على كل المعاهد التى يقوم عليها النظام الاجتماعى .

فرديا وعائليا وحكوميا .

(١) الحرية الفردية .. تقيد هذه الحرية بكل الأشياء التى لا يجب لشخص أن يستعملها ضد شخص غيره ، ولم يبق فى أوروبا أمة واحدة لم تقبل مبدأ الحرية الفردية محددا هذا التحديد ، ومن غير الحرية الفردية وحرية الغير وحرية النشر ، لا يمكن أن تمضى أمة متحضرة فى سبيل الارتقاء .

(٢) أما الوجه الثانى من أوجه الحرية الفردية فذو علاقة بالحياة العائلية .. أما العقلية الأوروبية فقد حلت هذه المشكلة أيضا ، فان الحياة العائلية فى أوروبا انما تقوم على مبدأ التساوى فى الحقوق ، لأن الحياة لم تعط الرجل حقا أكبر ولم تحرم المرأة حقا مهما كان نوعه ، فان الحياة مرح وسعادة ، اذن وجب أن تعطى المرأة حرية الرجل ، والرجل حرية المرأة .. وليس على غير هذا الأساس تقوم الحياة العائلية الحرة ، وهذه العقلية بالطبيعة ترفض الاعتراف بحق تعدد الزوجات ، وتسع بالضرورة مبدأ مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل فى الاجتماع ، المرأة والرجل أحرار فرديا .. وما الزواج الا اشتراك يحدث بتوحيد مصالحهما وحقوقهما بمحض الاختيار ، والطلاق عبارة عن فسخ هذه الشركة .. اذن وجب أن يكون للزوج والزوجة نفس هذه الحقوق المشتركة ، والزواج موجه بكليته الى خير الجماعة ، ويجب أن يقوم على هذه المبادىء .

(٣) حرية الحكومة .. بحكم وجود أكثر من فردين اثنين فى هذه الحياة فرض نظام الحكم ، ولهذا لزم أن تقوم الحكومة على صورة تضمن حق كل الناس ، ووجب أن يمثل فى نظاماتها كل شخص من أشخاص الرعية ، وهذه هى الديموقراطية ، ينبغى للحكومة أن تمثل شرائع الأفراد وأن تقوم حفيظة على مصالح الجماعة ، وأن مصالح الجماهير لا يجب أن تعبث بمصالح الأفراد ، ولا يجب أن تعبث مصالح الأفراد بمصالح الجماهير ، وعلى هذا لاترى حكومة أوروبية تستطيع أن تفكر فى أن تعتدى على مصالح الأفراد .

ثانيا : الثقافة القومية .. اننا نعيش اليوم فى عصر القومية ، ولم نصل بعد الى عصر « الانسانية » ان الحضارة الأوروبية تستهدى فى كل أعمالها وحركاتها بوحى القومية وحدها ، اذن يجب علينا أن نسير على نهجها ونعمل عملها ، لم تعترف أمة بحق أخرى بعد ، ولم تشنق أمة على غيرها ، ولم يهب شعب لنجدة آخر ، وما الحروب الطاحنة التى قامت فى أوروبا الا دليل حى على صحة ما نذهب اليه، ولقد حاول البعض أن يفسر موقف أوروبا العدائى ازاءنا بأنه راجع الى بواعث دينية ، وهذا ليس بصحيح فان الحضارة الأوروبية ليست بشعوبية مسيحية ، ولا هى بجمعية نصرانية ، فان مثل هذه الأساليب التفكيرية قد زالت وانمحت من الذهنية الأوروبية ، وليس أسخف من الحركات التى تقوم مناقضة لهذا المبدأ فى تاريخ الدنيا الحديثة ، وما جمعية الأمم الا مثال محزن يؤيد صحة مذهبنا ، فان العقلية الانسانية لم تقم بعد فى ضمائر الشعوب ، ولهذا يتعذر علنا أن نعمل مؤتمين بموحيات المنطق الانسانى ، ليس لدينا الا القومية والمنطق القومى وحدهما ، وهذا هو نتيجة التناحر على الحياة ، وما التناحر الا أساس الحياة فى كل مكان ، هذا مبدأ ثابت لا مبدل له.

ثالثا : الاقتصاد القومى .. ان الاعتراف بحقوق الانسان قد مهد السبيل للحضارة الحديثة ، فان الثقافة القومية قد خلقت فى الناس طابعا خاصا ، أما الاقتصاد القومى فقد حفظ ذلك الطابع وزوده بالقوة التى بها يستطيع أن يشغل فى نظام هذه الدنيا أعلى مكانة ، اذن فسنادة الحضارة الحديثة فى الواقع هو الاقتصاد القومى ، وكل الدنيا انما تعمل اليوم على هذا المبدأ ، وهذا نظام لم تتمتع به كل الأمم على السواء .. انه نظام يكاد يكون خاصا بأسرة الأمم الأوروبية .. وهو فى الواقع نتاج للعقلية الأوروبية .

ان هذا مبدأ من أقوى المبادىء التى قامت عليها الحضارة الحديثة وهو مبدأ على أية حال مخالف

تمام المخالفة للمبادىء التى قامت عليها حياة الشعوب القديمة .. أما اذا كانت الشيوعية قد قامت خلال الزمان الذى ظهر فيه المسيح مثلا لكفت حاجات الناس لعهده ، ولكنها كانت تحفظ على الجماعات طابعها الفطرى الأول على الدوام ، فان المسيحية اتبعت مبدأ الانتاج على قدر الكفاية والكفاف ، أما مبادىء الاقتصاد الحديث فمناقضة لهذا المبدأ تماما ، انها لا تقوم على قاعدة الانتاج على قدر الحاجة ، بل على مبدأ الاستهلاك بقدر الانتاج ، والفرق بين المبدأين شاسع بعيد ، انها تزيد الانتاج وفى الوقت ذاته تنوع فيه .

هذا هو نظام الحضارة الأوروبية وليس من حقنا أن نبحث فيما اذا كانت حضارة بحق أم أنها بربرية وحشية ، كلا .. يكفينا أن الحياة الانسانية تقوم على هذا الوجه فى العصر الحاضر ، والواجب على تركيا أن تندمج فى هذه الأسرة المتحضرة وأن تقيم حقوقها وثقافتها واقتصادها على أسس أوروبية .. ان الحياة منطق صرف ، وجهد متواصل ، ولكنها بينة الطرق ممهودة السبيل .

هذا هو الدستور الأتاتوركى الذى داس كل الأديان السماوية ومجد الشيوعية وفرض الالحاد والكفر والزندقة والفجور ، باعتبارها مبادىء عصرية تحضرية ، واعتبر المبادىء الروحية السامية مبادىء رجعية لا تتفق وطبيعة الانسان العصرى ، ومن أسف أنه على أثر صدور هذا الكتاب وجد له معجبون كثيرون مسلمون للأسف الشديد قد أرادوا أن يمهدوا للأخذ به لولا الوقفات التاريخية الخالدة للأزهر الشريف وشيوخه الأجلاء الذين كشفوا هذه الدعوات الزائفة وأخمدوا الفتنة فى مهدها .. والتاريخ خير شاهد على هذه المواقف ومنها موقف الأزهر من كتاب مثل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » والذى اعتنق كثيرا مما جاء فى (كتاب مصطفى كمال) .

حفظ الله الأزهر منارة هادية للضالين ، وحارسا أمينا للدين وشرعه القويم ، وساهرا على حماية

الاســلام والمسلمين من المفسدين الضالين المضللين .

عبد الستار الهوارى

* * *

واذا كان الحوار بين الأديان هو قضية العصر فى هذه المرحـلة من تاريخ البشرية فنحن المسلمين أولى الناس بتبنى هذه القضية ... فان ديننا دين يعترف لأصحاب الديانات جميعـا بحقهم فى حرية العقيدة ، وحقهم فى الحياة الكريمة ، وحقهم كمواطنين يعيشون بيننا كاخـوة ؛ وموقف الاسلام بالنسبة لهــذه القضــية أوضــح من أن يناقش ، ومبادؤه وتعاليمه فى ذلك أسمى من كل ما عرف .. أو سوف يعرف ..

ومن البديهى .. أن اليهــودية لا تعترف بالمسيح كنبى مرســل ، والمسيحية لا تعترف لمحمــد بهذه الحقيقة ، والاسلام يعترف بموسى والمسيح اعترافه بمحمــد ، ويعتبر انكار نبوة هذا الرسول أو النبى انكارا لنبوة محمد ورسالته نفسه . ومن ثم فان تعـاليم الاســلام هى الوحيدة التى تشمل الجميع بالاخاء والسماحة والمحبــة وتضمن للجميع الأمن والأمان فى كل ناحية من نواحى الحياة الخاصة والعــامة .

وحول هذا الحوار ، وما يمكن أن تؤدى اليه من تعاون عام لصالح الانسانية . كتب الينــا الدكتــور DR. M. M. AHSAN « محمد أحسن » من لندن قائلا :

* *

الأخ الدكتور رئيس تحرير مجلة الأزهر .. حفظه الله تعالى .

الســلام عليــكم ورحمــة الله وبركاته .

وبعــد ..

لوحظ فى الآونة الأخيرة من هذا القرن الميلادى ظاهرة محسوسة هى أن المنظمات المسيحية العــالمية ــ خاصــة المجلس العــالمى للكنائس والفاتيكان ــ ترغب فى الحوار مع المسلمين . وأن هذه الجهات فعلا عقدت عدة اجتماعات للحوار دعى اليها المسلمون والمسيحيون ، وممن دعى من المسلمين للاشتراك فى هذه الندوات كانت المؤسسة الاسلامية . ومثل المؤسسة فى هــذه المؤتمرات الأستاذ بروفيسور خورشيد أحمد الذى تبنى موقفا حاسما فى جميع هذه المواقع وصرح أنه لا يمــكن

أن تعود هذه المؤتمرات والندوات الحوارية بشىء من الفائدة ، حتى يتغير موقف العالم المسيحى تجاه المسلمين والعالم الاسلامى والى أن يحصل هذا التبدل الواقعى فينبغى على الجانب المسيحى – أن كان مخلصا فى الحوار – أن يتوقف عن تشويه صورة الاسلام فى شخصية رسول المسلمين . وأن يرجع الى منابع الاسلام الأصيلة اذا أراد معرفته ، وليطهر الجو الذى يوجد الريب والخوف ويؤكد الشبهات.

وأن يدين الأعمال التى تقوم بها المنظمات التبشيرية باسم المسيحية وباسم الخدمة الانسانية فى العالم الاسلامى ، والتى لها علاقات قوية مع مكاتب مخابرات القوى الكبرى .

* وفى يونيو عام ١٩٧٦ م عقد فى تشامبزى مؤتمر الحوار بين المسلمين والمسيحيين بالتعاون مع المؤسسة الاسلامية ، والذى كان رئيسه الأستاذ برفيسور خورشيد أحمد ودكتور ديودكر « واشترك فيه عدد من رجال الديانتين الاسلام والمسيحية » واشترك فيه عدد من رجال الديانتين حسب التفصيل الآتى :

١ – الاستاذ خورشيد أحمد ، المدير العام للمؤسسة الاسلامية بانجلترا .

٢ دكتور اسماعيل الفاروقى ، أستاذ العلوم الاسلامية بجامعة تمبل – فلادلفيا .

٣ – قسيس مائيكل فتزجرالد ، رئيس شعبةالعلوم العربية ، بجامعة روما .

٤ – بروفيسور يوسف هجر ، أستاذ فى جامعة دمشق .

٥ – بروفيسور اهرومى ، مدير المعهد الدينى بجاكرتا .

٦ – الأستاذمحمد عرفان ، مدير مجلة امبيكت اللندنية .

٧ – دكتور ديودكر ، محاضر فى العلوم الاسلامية ومدير مركز دراسات العلاقات المسيحيةوالمسلمة – بكليات سلى أوك – برمنجهام.

٨ – على محسن بروانى ، نائب رئيس الوزراء السابق ، فى زنجبار.

٩ – دكتور اشتياق قريشى ، رئيس جامعة كراتشى السابق .

١٠ ــ دكتور محمد رشيدى ، أستاذ العلوم الاسلامية ، بجامعة أندونيسيا .

١١ ــ بشب كنيث كيرج ، الأستاذ فى جامعة سسكس ــ انجلترا .

١٢ ــ بشب آرن ردوين ، بشب الكنائس المتحدة ــ بباكستان .

١٣ ــ دكتور صبحى صالح ، نائب مفتى لبنان .

١٤ ــ دكتور لامين سانح ، محاضر فى العلوم الدينية ــ بجامعة لاكوس .

واشترك فى هذا المؤتمر كمراقبين :

١٥ ــ اميليو كاسترو ، رئيس التحرير لمجلة التبشير المسيحى العالمى .

١٦ ــ دكتور جان تائلر ، مندوب المجلس العالمى للكنائس .

وقرىء فى المؤتمر خمس مقالات حسب التفصيل الآتى :

١ ــ بشب آرن ردوين ــ طبيعة التبشير المسيحى ومنهجه وأسلوبه .

٢ ــ دكتور اسماعيل الفاروقى ، طبيعة الدعوة الاسلامية ومنهجه وأسلوبه .

٣ ــ دكتور لامين سانح ــ التجارب المسيحية عن الدعوة الاسلامية .

٤ ــ على محسن بروانى ــ التجارب الاسلامية عن التبشير المسيحى .

٥ ــ دكتور محمد رشيدى ــ دور التبشير المسيحى فى العالم الاسلامى .

وتباحث المؤتمرون فى هذه المقالات وقرروا اشياء واعترفوا بالحقائق وقد نشرت نصوص هذه المقالات وملخص المحاورات فى مجلة التبشير المسيحى العالمى ، للمجلس العالمى للكنائس ، والجدير بالذكر ان هذا العدد الخاص لشهر اكتوبر ، أعده ورتبه الأستاذ خورشيد أحمد

ودكتــور ديودكر كمديرين نازلين « ضيفين » •

كما أصــدر المؤتمر بيانا متفقا عليه ، اعترف فيه الجانب المسيحى بالحقائق المرة عن المنظمات التبشيرية وأعمالها الشنيعة ، وأعلنوا عزمهم لمنعهم عن هذه الاجراءات الجارحة بكل ما فى وسعهم كما اعترف أعضاؤه المسيحيون بحق المسلمين بأن يعيشوا حيــاة دينيــة طبق مبادىء اسلامية حيثما كانوا ، وأشياء وأمورا أخرى يجدها القارىء فى بيان المؤتمر •



وحول الوضع الاسلامى فى لبنان وما يجب أن تكون عليــــه قيــادة المسلمين فى هذا القطر الشقيق كتب الأستاذ عز الدين بن بليق يقول فى رسالة له من بيروت :

الاسلام دين التوحيد ودين الوحدة ، ودين التعاون على الخير والعدالة والرحمة وكل مكارم الأخلاق دين الأمة الواحــدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) بل انه يطلب من المسلمين ان يكونوا دائما كالجسد الواحد ، وأن تكون لهم قيادة واحدة ، مهما كثر عدد هم أو قل ، ولو كانوا ثلاثة أشخاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم أحدكم » ويقول : « يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار » بل انه يقول بصريح العبارة : « من مات وليس فى عنقه بيعه (١) مات ميتة جاهلية » ، ويطلب من المسلمين أن يطيعوا القيادة متى كان القائد مطيعا لله ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالــق • وقــوله : « اســمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبــد حبشى كأن رأســه زبيبة » ويطلب الينا الطاعة الدائمة ما لم نؤمر بمعصية ، فاذا أمرنا بمعصية فلا سمع ولا طاعة ــ أى لو أمرنا بالاعتداء على الناس بالقتـــل والضرب أو القنص ، ــ والاعتــداء على أموالهم بالسرقة أو النهب ، والاعتداء على أعراضهم أو اتهامهم ظلمــا وعــدوانا بشىء غير صحيح •• الخ ــ اذا طلب منا ذلك فلا سمع ولا طاعة ، وأما طاعتهم بالمعروف

(١) لجماعة المسلمين الواحدة أو لحكومة وطنية •

فواجب لاشك فيه وصدق الله سبحانه (ولايعصينك فى معروف) وصدق رسوله : « انما الطاعة فى المعروف » .

وبما أن الأمة المسلمة أمة واحدة ، مأمورة من الله سبحانه وتعالى أن لاتتفرق شيعا وأحزابا لأن ذلك نذير السوء والضعف والفتنة ، وأن تظل كتلة متراصة فى السراء والضراء وفى السلم والحرب (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) كان واجبا على المسلمين — كل المسلمين — وعلى زعمائهم وعلمائهم ووجهائهم اقامة ذلك التجمع الواحد الموحد الذى يجب ايجاده لصالح الشعب ، كل الشعب ، ولايكون ذلك لمصلحة المسلمين دون المسيحيين لأن رسالة الاسلام رسالة انسانية لاتعرف العصبية ولا الطائفية ولا الحزبية ولا العشائرية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه أنفعهم لعياله » كما يقرر الله سبحانه وحدة الأصل الانسانى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ، ويضع لهم أسس العلاقات بينهم ويحدد أقدارهم (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

واذا عرفنا ان الاسلام يطالب بأن يكون للمسلمين جماعة واحدة وقيادة واحدة فمن هى هذه القيادة التى يجب علينا الانضواء تحت لوائها جنودا فاعلين مؤثرين ؟ وهنا يبرز السؤال : من هو قائد المسلمين وممثلهم وأميرهم ؟ .

هل يمثل المسلمين سماحة المفتى الشيخ حسن خالد ؟

أم سماحة الامام موسى الصدر ؟

أم سماحة شيخ العقل محمد أبو شقرا !

أم يمثلهم المجلس الشرعى الاسلامى الذى يرأسه سماحة المفتى؟

أم يمثلهم المجلس الاسلامى الأعلى الذى يرأسه الأستاذ شفيق الوزان ؟

أم يمثلهم المكتب التنفيذى لاتحاد الجمعيات والهيئات الاسلامية ؟

أم يمثلهم دولة رئيس مجلس الوزراء الحالى أم السابق أم الأسبق ؟

أم يمثلهم حزب من الأحزاب السياسية ؟

أم جماعة من الجماعات الدينية ؟.

من يدلنى على من يمثل المسلمين فى لبنان وله منى جزيل الشكر ومن الله الأجر الكبير .. ؟

ان الله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

فمن هم ولاة الأمر منا حتى نطيعهم ؟

من هم أئمة المسلمين لنقدم لهم النصيحة أو نأخذ منهم النصيحة لأن « الدين النصيحة » قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

دلونى على الراعى المسلم لأذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » .

دلونى على الأمير المسلم لأذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة » .

دلونى على الوالى المسلم لأقول له : ان رسول الله ينذر « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » .

دلونى على طالوت المسلمين لينضم تحت لوائه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق .

وعندما تدلونى على من يمثل المسلمين وتعرفونى به فسأتوجه بعد ذلك بالخطاب لنفسى وللمسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وبالاسلام دينا بحديث رسول الله : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وأحدثهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة

له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتـــة جاهليـــة » وفى رواية « ومن مــات وهو مفــارق للجماعة فانه يموت ميتة جاهلية » •

وأبصرهم بحديث رسول اللهصلى الله عليه وسلم الذى يرويه عبد الله ابن عمر : «عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشر ، اذ نادى منادى رسول الله صلىالله عليــه وسلم » الصــلاة جامعة » ، فاجتمعنا الى رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : « انه لم يكن نبى قبلى الا كان حقا عليه أن يدل أمتــه على خير مايعلمــه لهم وينـــذرهم شر ما يعلمه لهم ، وان أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولهـــا وســيصيب آخــرها بلاء وأمــور تنكرونهـــا ، وتجىء فتنـــة يرقق بعضها بعضا ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه • فمنأحب أنيزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهويؤمن بالله واليوم الآخر ، وليــأت الى الناس الذى يحبانيؤتى اليه ،ومن بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جــاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر »•

(رواه مسلم)

ومتى عرفت من يمثل المسلمين فى هذا البلد ســأتوجه له بالســؤال والفتوى : ما هى الوطنية ، وماهى القومية ، وماهى التقدمية ، وماهى الاشتراكية، وماهىالشيوعية،وماهى الديمقراطية ، وماهى العلمانية • ؟ ومن هى الجماعة المسلمة الواحدة الموحدة ، ومن هو طالوتها • • ؟ (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) •

وبما أن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم كما يقــول ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيجب على الأقل أن يسعى بذمتهم أعلاهم أو أميرهم أو ممثلهم الذى انتخبوه عن مشــورة ورضى لا عن قهر وغلبة •

يقول رسول الله ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ : « يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ فى النار » •

ويقول الله سبحانه وتعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا •• ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون •• ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) • (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون) • (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)• يامعشر المسلمين ••

(ان الدين عند الله الاسلام) (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) •

والاسلام لايعرف الطائفية••ولا التفرقة العنصرية ولا الحزبية ولا العشائرية ولا الفئوية ، ولكن يعرف الأخوة الانسانية والأخوة الايمانية والوحدة والتوحيد (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) •

والمسلم قد تحددت علاقته بأخيه المسلم على قاعدة « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ••• كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » •

والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا •• « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » •

وعلاقة المسلم بالمواطن علاقة حسن الجوار وعهد الأمان وعهد الذمة ، والقاعدة الشرعية (لهم مالنا وعليهم ما علينا) أى أن أموالهم ودماءهم وأعراضهم حرام علينا كحرمة المسلمين سواء بسواء •

ويحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ ماله بغير

طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة» وويل لمن كان رسول الله خصمه يوم القيامة .

وعلاقة المسلم بالكافر المستأمن (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) .

أما من أراد العدوان ونقض العهد فعند ذلك يتغير موقف المسلمين منه (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) سواء أتى هذا العدوان من الخارج أو من الداخل ، من المسلمين أو من غير المسلمين (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) ويكون قتالنا ردا للعدوان لا اعتداء على الأبرياء (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

ومن القواعد الأولية فى الشريعة الاسلامية أن المسئولية الجنائية شخصية فلا يسأل عن الجرم الا فاعله ، ولا يؤخذ امرؤ بجريرة غيره مهما كانت درجة القرابة أو الصداقة بينهما . وقد قرر القرآن الكريم هذا المبدأ العادل فى كثير من آياته من ذلك قوله تعالى : (ولا تكسب كل نفس الا عليها) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (وأن ليس للانسان الا ما سعى) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) (من يعمل سوءا يجز به) .

وجاءت أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — تؤكد هذا المبدأ حيث يقول : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » وحيث يقول لأبى رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » .

فمن قاتلنا قاتلناه ، ومن حمل علينا السلاح قاومناه بالسلاح ، أما من لم يحمل السلاح فى وجهنا وبقى على عهده لنا بقينا على عهدنا له (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) .

يا ممثل المسلمين ..

ان على من يتصدى لقيادة الأمة أن يأخذ بأيديها الى شاطىء الأمان، وان عليه أن يكون ربانا ماهرا وسيكون مسئولا عن غرق السفينة بين يدى الله عز وجل ، ورسول الله

ــ صـلى اللـه عليـه وسـلم ــ يقـول : « كلـكم راع وكلـكم مسئول عن رعيته ، الامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى بيتـه وهو مسئول عن رعيتـه ، والمـرأة راعيـة فى بيت زوجهـا ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

يا ممثل المسلمين ..

ان على من يتصدى للقيادة أن يحسن القيـادة وأن يتولى قيـادة السفينة الى شـاطىء الأمان ، وأن لا يسمح لأحد بخرقها حتى لا يغرق ويغرق ركابها .

ان على قائد السفينة أن يستقيم أو يستقيل ، وخـير له أن يستقيل اذا كـان لا يسـتطيع القيـادة ، أو لا يحسنها ، حتى لا يهلك نفسه ويهلك ركاب السفينة معه ، ورسول اللـه ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ يقـول لمن يتـولى القيـادة : انها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

والآن من يدلنى على من يمثـل المسلمين فى لبنان لأقول له أولهم : (استقيموا .. أو استقيلوا) .

عز الدين يليق

* *

ومن « حمص » فى سوريا كتب الينا الأستاذ عبـد الرافع مضنون معلقا على مقال نشر فى مجلة الأزهر حول عقيدة التوحيد وهـل يمكن الوصول اليهـا بالعقل وحده دون حاجة الى رسول أو نبى ؟

يقول الأخ الفاضل فى رسالته :

الأخ رئيس تحرير مجلة الأزهر :

خلال مطالعتى لعدد ذى القعدة سنة ١٣٩٦ ، وجدت بعض الأخطاء فى مقال الدكتور عبد الرحمن عميرة ــ الحياةوالكون بين الدين والعلم ــ وقـد رأيت لزاما على أن أنبه الى هذه الأخطاء التى تكررت كثيرا فى الآونة الأخيرة والتى تمس عقيدتنا

الاسلامية فى الصميم . وفيما يلى هذه الأخطاء :

١ ــ جاء فى الصفحة ١٤٥٢ ما يلى :

بل ان البشرية فى تاريخها الممتد فى القدم ، وجد فيها الواحد بعد الواحد الذى اهتدى الى التوحيد الخالص وسائر فطرة الله التى فطر الناس عليها .

ان هذا القول يعنى أن الانسان يهتدى الىالتوحيد بعقله وبمجهوده الخاص ، وهذا ما جاء به ابن‌الطفيل فى قصة حى بن يقظان . والحقيقة هى أن التوحيد متوارث بين الأجيال ، اذ أن آدم عليه الصلاة والسلام عرف التوحيد لا بعقله وانما بما أوحى اليه . ولو كان العقل كافيا للهداية الى التوحيد لما كان الواحد بعد الواحد فقط هو الذى اهتدى للتوحيد ، وانما القاعدة ــ حينئذ ــ أن يهتدى الجميع ويشذ الواحد بعد الواحد .

٢ ــ جاء فى الصفحة ١٤٥٣ ما يلى :

وهذا الذى قاله « اكزنوفس » قاله آحاد غيره قبل مبعث الرسالات والرسل . قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا الى القول بالتثنية ، وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم الى السلبية ، واهتدى اليه اخناتون فى مصر القديمة ، فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر ، ومع ذلك أخذت البشرية تتخبط وتتوه فى ركام من الضلالات ، حتى كانت الديانات السماوية فحددت للبشرية طريقها ...

ان هذا القول يتضمن انكار الرسالات والرسل قبل الرسالة التى تعارف الناس عليها فى‌الوقت‌الحاضر على أنها أولى الديانات السماوية وهى‌رسالة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام . فالواقع هو أن الرسالات والرسل سبقت البشر باعتبار أن أول مخلوق من البشر هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ، وفكرة التوحيد نزلت مع آدم عليه الصلاة والسلام وعلمها أبناءه وعرفهم

بخالقهم ولكن الانسان ــ على مر الأجيال ابتعد عن الحقيقة شيئا فشيئا الى أن ضل ضلالا بعيدا • وكلما ضل الناس أرسل الله لهم رسولا يهديهم الى الحق والى الصراط المستقيم وقد ذكر القرآن الكريم أسماء كثيرة من الرسل منذ ادريس عليه الصلاة والسلام الى خاتم الأنبياء والرسل ثم ان تعبد الديانات السماوية نفسه هو تعبد خاطىء، لأن كل الديانات على اختلافها واختلاف عقائدها وطقوسها حسبما نقلت الينا ــ هى أديان سماوية فى الأصل ، ثم حرفها الناس ــ من بعد ــ الى الوثنية وعبادة الأصنام والأشجار والكواكب والعوامل الطبيعية على اختلاف أنواعها ، فالصين والهند والفرس وكل الأمم القديمة ، لابد من وجود رسل أرسلهم الله اليهم لهدايتهم • فاذا اعتبرنا أن الرسالات السماوية لنا وحدنا نكون قد جعلنا أنفسنا شعب الله المختار الذى اختصه الله بالهداية •

وصحيح أن القرآن الكريم لم يذكر هؤلاء الرسل صراحة ، ولكنه نوه عنهم بقوله سبحانه وتعالى فى سورة النساء: (ورسلاقد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما • رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) •

كما قال سبحانه فى سورة « غافر » •

(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ، فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) ••

ان هذه الآيات تدل دلالة واضحة على وجود رسل غير الذين نعرفهم بأسمائهم وعرفنا قصصهم وهؤلاء الرسل هم الحجة على أممهم التى ضلت الطريق بعدهم ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) •

٣ ـ جاء فى الصفحة ١٤٥٤ ما يلى :

لقد عاشت البشرية ردحا من الزمن وهى تفتش عن الخالق لهذا الكون لتتوجه اليه بالعبادة وتخصه بالنسك ولكنها تاهت وضلت ، فتصورته مرة رعدا وبرقا ، وأخرى صنما وحجرا ، وثالثة شجرا وكوكبا ، فلما جاء الدين وضع حدا لهذه الاضطرابات وأرشد البشرية : الى الخالق المالك الموجد المبدع ـ ان هذا المقطع يتضمن عدة أخطاء وهى :

(أ) ان الدين طارىء حديث جاء فى الفترة الأخيرة من البشرية وهذا خطأ واضح كما نوهنا سابقا .

(ب) ان قبول فكرة تأخر الدين حتى الأزمنة الأخيرة يعنى وصف ذات الله سبحانه وتعالى بالظلم حيث أنه جل وعلا ترك البشرية فى السابق بدون هداية وسوف يعذبهم على أمور فوق مداركهم .

(ج) ان فكرة تفتيش البشر من الخالق هى فكرة جاء بها الفلاسفة وهى بعيدة كل البعد عن جوهر الدين .

وهذه الفكرة تنطوى على موافقة لنظرية النشوء والتطور التى جاء بها داروين والتى تفسر الدين على أنه من وضع البشر بعد أن تطورت مداركهم الى مستوى التوحيد وهى فكرة مرفوضة جملة وتفصيلا ..

د . عبد الودود شلبى

بيت العنكبوت

انما الدنيا بلاء
ليس فى الدنيا ثبوت
انما الدنيا كبيت
نسجته العنكبوت
كل من فيها لعمرى
عن قريب سيموت
انما يكفيك منها
أيها الراغب قوت

الخوانك والتكايا والرباطات في القاهرة الإسلامية

للأستاذ محمد كمال السيد

— ٣ —

ذكرنا فى المقال السابق الخوانك والتكايا والرباطات بحى الجمالية وما ذكرناه كان فى موضع القصر الشرقى الفاطمى الكبير أو فى مجاوراته .

فلما قضى صلاح الدين الأيوبى على دولة الفاطميين أسكن أهله وأمراء دولته فى قصورهم . ثم نقل الكامل بن العادل الأيوبى (وهو ابن أخى صلاح الدين حكم ٦١٥ — ٦٣٥ هـ) مقر الحكم الى القلعة . زحف العمران نحو مقر الحكم الجديد . وأهملت تلك القصور فاندرست . ثم تحولت الى مساكن وأحياء . وأنشئت فيها الجوامع والمدارس والخوانك المختلفة . مما ذكرنا بعضها فى المقال السابق .

والجزء الذى سنعالجه فى هذا المقال باذن الله . هو ما بين باب زويلة والقلعة . وقد ذكرنا فى مقال سابق (المقال ١٠ من سلسلة صفحات من تاريخ القاهرة) ما على جانبى امتداد الشارع الأعظم (المسمى حاليا شارع المعز لدين الله) خارج باب زويلة حتى الحلمية من جوامع وآثار مهمة . فنحصر فى هذا المقال ما هو شرقى امتداد الشارع الأعظم حتى القلعة .

واذا ألقينا نظرة على الرسم الكروكى المرفق بهذا المقال نجد شارعا رئيسيا على يسار الخارج من باب زويلة هو شارع الدرب الأحمر . وامتداده شارع التبانة حتى زاوية معروفة باسم زاوية عارف باشا فيتفرع الى فرعين متجهين أيضا جهة القلعة : الفرع الأول اسمه شارع باب الوزير وامتداده شارع

المحجر وسكة المحجر عند دار المحفوظات . والثانى شارع سوق السلاح وينتهى الى جامعى الرفاعى والسلطان حسن .

وقد وقّع الفرنسيون هذا الوضع لهذه الشوارع دون تغيير يذكر بخرائطهم للقاهرة ١٧٩٨ـ١٨٠١ م .

وهذا الشارع كان طريق السلاطين المماليك عندما يشقون القاهرة فى المناسبات المختلفة فيدخلون من باب النصر أو باب الفتوح . ويسيرون فى الشارع الأعظم حتى باب زويلة . ثم ينعطفون يسارا بشارع الدرب الأحمر حتى القلعة .

وكانت هذه المساحة التى نعالجها فى هذا المقال مقابر . ولم يكن معمورا منها بالسكن الا ما كان قريبا من امتداد الشارع الأعظم بالحارات التى سبق ذكرها فى مقالاتنا السابقة (١٠ و ١١ من صفحات من تاريخ القاهرة) .

فعمرت هذه الجهة بانتقال مركز الحكم الى القلعة . وسكنها الأمراء والأعيان . وأنشأوا بها الجوامع والخوانك المختلفة مما تزخر به هذه المنطقة . وسنذكر منها أهمها . مع ملاحظة أن بعض الجوامع أو المدارس التى ذكرها المقريزى كانت أيضا خوانك . ولم يذكرها ضمن الخوانك كما سيتضح من هذا المقال . وفى هذا ما يحقق ماسبق ذكره أن وظيفة الجوامع والمدارس والخوانك كانت متداخلة فى بعضها . فأغلبها يؤدى فى تصميمه وانشائه الغرض من الجمع بين العلم والعبادة . وسنجد أن جميع ما فى هذه المنطقة أنشىء بعد عهد الأيوبيين . ولذلك نجد من الفائدة للقارىء أن نتتبع أهم الآثار فيها . سواء كانت مدرسة أو جامعا أو خانكاه أو تكية دون التقيد بعنوان المقال .

١ ــ جامع قجماس الاسحاقى الشهير بجامع ابى حريبة :

بشارع الدرب الأحمر على يسار المتجه الى القلعة على رأس حارات معروفة باسم حيضان الموصلى وسعدالله وبير المش .

هذا الجامع أصله مدرسة أنشأها قجماس الاسحاقى . الذى كان أصلا

من مماليك الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧) هـ وتدرج فى الوظائف حتى وصل الى نيابة الشام وتوفى سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) .

وذكر على مبارك أن انشاء هذا الجامع سنة ٦٨٦ هـ . وهو خطأ فى النقل يتضح من ذكره بعد ذلك التاريخ الصحيح المذكور لوفاته ولعله قصد سنة ٨٨٦ هـ .

وقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور وفاته فى شوال سنة ٨٩٢ فى الشام . وقال عنه : وكان دينا خيرا فى غاية الاحتشام مع لين الجانب . وهو الذى أنشأ المدرسة التى عند الدرب الأحمر بقرب سوق الغنم . وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة غير ذلك . اهـ .

وسوق الغنم كانت عند جامع أصلم (أصلان) بالدرب المحروق . كما أنه كانت سوقا أخرى للغنم بالقرب من جامع ألماس بحى الحلمية بموقع جزء من شارع القلعة الحالى .

وعرف الجامع المذكور أخيراً بجامع (أبوحريبة) نسبة الى العارف بالله الشيخ أحمد الشنتناوى . نسبة الى شنتنا من أعمال المنوفية . وهذه النسبة لشيخه فى الطريق . ويقال ان أصله من قنا وينتهى نسبه الى الشيخ عبد الرحيم القنائى . وتوفى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) ودفن بالجامع المذكور .

وتجدد الجامع المذكور فى عهد عباس حلمى الثانى فى أوائل القرن الحالى تجديدا كاملا أعاد اليه زخارفه ونقوشه .

٢ ـ الخانكاه المهندارية :

بشارع الدرب الأحمر على يمين المتجه الى القلعة . وذكرها المقريزى ضمن الخوانك . كما ذكرها ضمن المدارس . وقال : انها على رأس حارة اليانسية تجاه مصلى الأموات أنشأها شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهندار سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) . وجعلها مدرسة وخانقاه . وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى الى جانبها القيسارية والربع الموجودين (الآن) . اهـ .

والمهندار أعجمية مركبة من كلمتين: مهمن بمعنى الضيف،ودار بمعنى ممسك ، وهى وظيفة من اختصاص متوليها استقبال الضيوف القادمين على الدولة وانزالهم فى فى المنزلة اللائقة بهم ومراعاة مايلزم لهم من واجبات الضيافة .

وذكر على مبارك هذه الخانكاه أو المدرسة ضمن الزوايا مما يدل على أنه قد تضاءل شأنها فى وقته . وقال : ان سليمان أغا القازدوغلى أنشأ بهاسنة١١٣٥هـ (١٧٢٣م)مئذنة ومنبرا . وقال : انها (الآن) عامرة مقامة الشعائر وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيدين . ولها مطهرة داخلية ومنارة ولها أوقاف تحت نظر الديوان .

وهذه الخانكاه أوالمدرسة صغيرة المساحة وأصبحت مجرد مسجد للصلاة . وتدخل من بابه الى طرقة تؤدى الى صحن مسقوف . وبه أربعة ايوانات صغيرة . وعلى يمين الداخل ايوان القبلة، وبه المنبر عليه تاريخ ١١٣٩ هـ . وبدائر الصحن خمس غرف صغيرة كانت لخلاوى الصوفية . وليست به دورة للمياه لأنها معطلة .

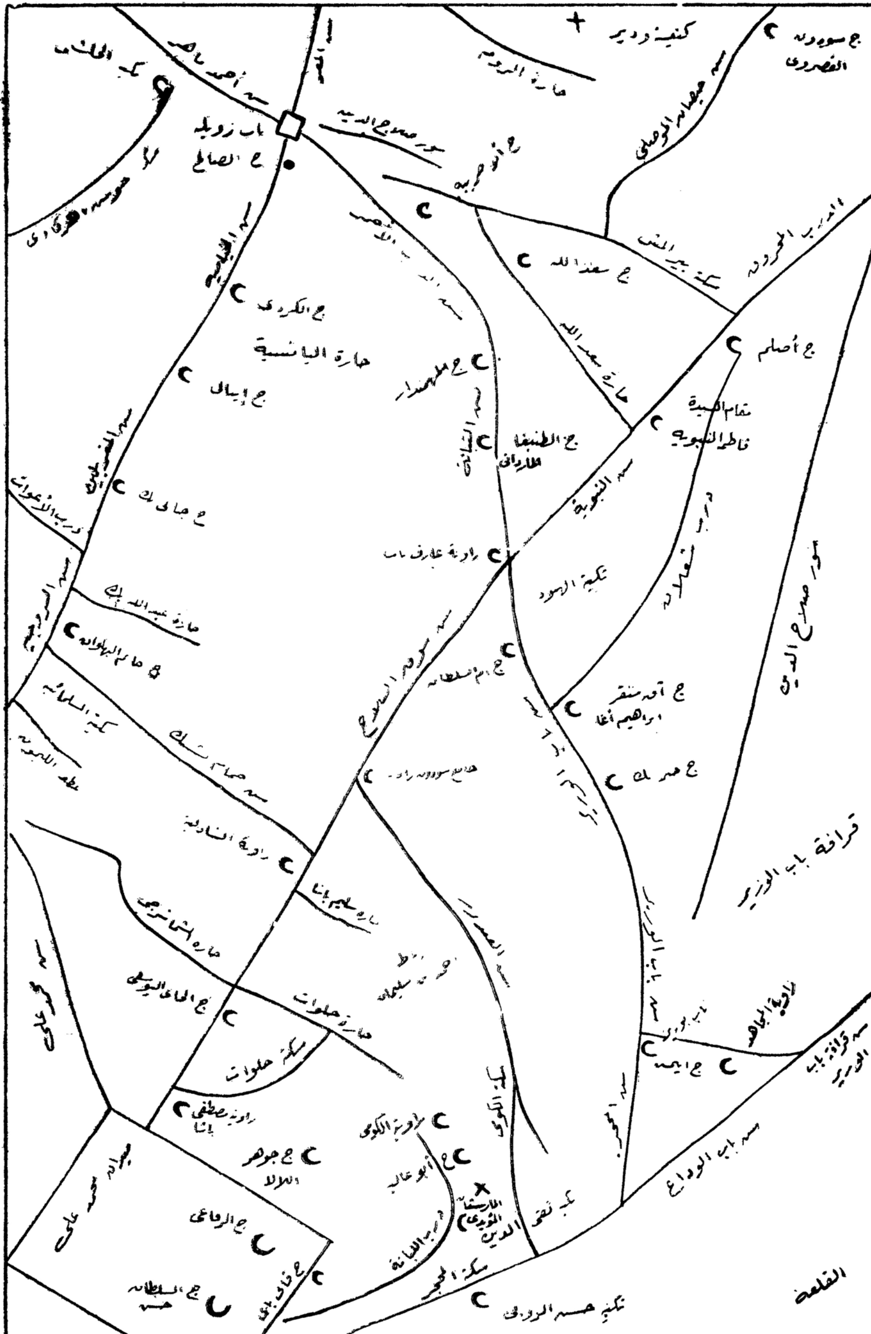
٣ ـ جامع الطنبغا الماردانى :

هذا الجامع من أعظم جوامع القاهرة . أنشأه ألطنبغا الماردانى من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون . ويعرف ألطنبغا الساقى . قدّمه الناصر وأمره وزوجه ابنته. ولما تولى المنصور أبو بكر سنة ٧٤٢ بعد أبيه الناصر . زادت مكانته عند المنصور . ولكنه كان ميالا للفتنة . فأوقع بين المنصور وبين الأمير قوصون . وكان الأخير أتابك العساكر . وهو أكبر الأمراء مقاما وبيده الحل والعقد لكل الأمور مما دعا قوصون الى القبض على السلطان ونفيه الى قوص . حيث أمر بقتله هناك . وتولى بعده أخوه الأشرف كجك وله من العمر سبع سنين (١) .

(١) حكم الناصر محمد بن قلاوون وحده ٤٤ سنة تقريبا . وحكم بعده ثمانية من أولاده ومدة حكمهم جميعا حوالى العشر سنوات .

رسم كروكى

عن الخوانك والتكايا وبعض الآثار التاريخية من باب زويلة إلى القلعة



وقيل : ان كجك معناها الصغير. فكأن والده ألهم بتسميته كذلك لأنه سيتولى الملك صغيرا .

ثم ساءت سيرة قوصون فتآمر الأمراء ضده حتى تمكنوا من القبض عليه ونفيه الى الاسكندرية حيث قتل هناك .

وكان ألطنبغا من المتآمرين فقد سهر ليلة المؤامرة عند قوصون وشاغله بالحديث والسمر حتى تمكن المتآمرون من عمل الانقلاب .

وعزل كجك وتولى بعده أخوه الناصر أحمد . وتزايدت عظمة ألطنبغا وعلت مكانته عنده . فحقد عليه بعض الأمراء . فأخرجوه من مصر الى نيابة حماة . ثم نقل الى نيابة حلب . فأقام بها يسيرا حتى توفى سنة ٧٤٤ هـ .

وقال المقريزى عنه : انه كان شابا طويلا رقيقا حسن الصورة لطيفا معشق الخطرة كريما صائب الحدس عاقلا . اهـ .

وقد ذكرنا فى مقال سابق أن لفظ ألطنبغا مركب من كلمتين : ألطن معناها الذهب وبُغا معناها فحل . فكأن الاسم معناه الفحل الذهبى .

وتدخل الى هذا الجامع الى طرقة تؤدى الى صحن سماوى . وعلى يسار الداخل ايوان القبلة يفصله عن الصحن حاجز من الخشب المخروط بصنعة جميلة وبهذا الايوان عدد من العمد الرخام . وقبة القبلة محمـلة على عمد من الجرانيت الأحمر .

والقبلة من رخام مشغول بالصدف . والمنبر من خشب مطعم بالصدف والشبابيك من حديد مشغول وزجاج ملون . ودكة المبلّغ من رخام محملة على اثنى عشر عمودا من الرخام .

وقد حصل تجديد هذا الجامع فى عهد عباس حلمى الثانى فى المدة من ١٣١٤ — ١٣٢١ هـ (١٨٩٦ — ١٩٠٣ م) بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية .

وهذا الجامع أنشأه ألطنبغا سنة ٧٤٤ هـ كما تدل عليه لوحة بجانب المنبر . وهذا التاريخ يدل

على انتهاء العمل فيه على الأغلب . فكأنه أنشأه فى أواخر حياته .

وتوجد حاليا مرمة وتجديدات بالجامع الهدف منها فصل الايوان المقابل لايوان القبلة عن الجامع للانتفاع به فى بعض الخدمات الاجتماعية والتعليمية .

٤ ــ زاوية عارف باشا :

هذه الزاوية عند مفارق شوارع التبانة وسوق السلاح وباب الوزير . وقد ذكرها على مبارك ضمن الزوايا وقال : انه جددها عارف باشا سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) لأنها بقرب داره . وعمل لها مطهرة ومراحيض وبجوارها محلات موقوفات عليها وشعائرها الاسلامية مقامة من ريعها .

وهى معطلة الآن . ويتعرض لملكيتها وملكية المحلات المذكورة بجوارها بعض الأشخاص . ونعتقد أنه لا محل لدعواهم فثابت من خطط على مبارك أنها زاوية للصلاة والعبادة كما أن خرائط المساحة لمدينة القاهرة أثبتت لها هذه الصفة.

وبعد ذلك تتبع الفرع الشرقى من امتداد شارع الدرب الأحمر والتبانة وهو شارع باب الوزير .

٥ ــ تكية الهنود :

بشارع باب الوزير على يسار المتجه الى القلعة .

وذكر على باشا مبارك تكية الهنود فى الخطط التوفيقية (جـ٢ص١٠٣) عند الكلام على شارع المحجر الذى حدده بأنه يبدأ من قبلى جامع أيتمش وآخر زاوية حسن الرومى. وقال: وهناك تكية أخرى (يعنى غير تكية حسن الرومى) تعرف بتكية الهنود تجاه ضريح الشيخ سليمان عن يمنة من سلك من المنشية الى القلعة وشعائرها مقامة وبها جملة دراويش من أهالى بخارى ويعلوها عدة مساكن وفى حدها البحرى مدفن تابع لها به عدة قبور .

ثم كرر هذا الكلام (جـ ٦ ص ٥٧) عند الكلام عن التكايا .

وهذا الوصف لاينطبق على موقع تكية الهنود الموضح بالرسم الكروكى المرفق . فاما أنه رحمه الله أخطأ فى

تحديد الموقع . واما أنه كانت هناك تكية أخرى بهذا الاسم زالت بتوسعة الشوارع هناك بجهة ميدان محمد على .

وتكية الهنود الموضحة بالرسم المرفق بشارع باب الوزير مقابل جامع أم السلطان . وقد تعطلت وظيفتها وأصبحت الآن دار حضانة للأطفال ووحدة تنظيم الأسرة لخدمة الأم والطفل .

٦ ـ جامع ام السلطان :

بشارع باب الوزير مقابل تكية الهنود . وذكره المقريزى ضمن المدارس . فقال انها خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل يعرف خطها (الآن) بالتبانة . وموضعها قديما كان مقبرة لأهل القاهرة . أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الأشرف بن حسين سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩م) وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية . وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهى من المدارس الجليلة . وفيها دفن ابنها الملك الأشرف بعد قتله . اهـ .

والأشرف شعبان المذكور هو ابن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون . وأبوه لم يل السلطنة . وحكم الأشرف من سنة ٧٦٢ ـ سنة ٧٧٨ هـ . وقتل ودفن بهذا الجامع .

وكانت أمه تزوجت بعد أبيه بالجاى اليوسفى صاحب الجامع بسوق السلاح . وسيأتى ذكره فى المقال التالى باذن الله .

وخوند بركة كانت أمة مولدة . فلما تولى ابنها الأشرف السلطنة عظم شأنها . وخرجت للحج سنة ٧٧٠ هجرية فى تجمل زائد وبذخ شديد . وعادت سنة ٧٧١هـ من الحج فخرج السلطان بعساكره وأمراء دولته لاستقبالها وكانت محسنة كثيرة الخيرات والصدقات . وتوفيت فى ٢٨ ذى القعدة سنة ٧٧٤ هـ ومن المصادفات ما قاله أحد الشعراء :

فى ثامن العشرين من ذى قعدة
كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره
ويكون فى عاشور موت اليوسفى

فكان كما قال اذ مات الجاى اليوسفى فى عاشوراء سنة ٧٧٥ هـ كما سيأتى فى ترجمته بأذن الله .

وقد أصبح الآن جامع أم السلطان مقرا لمدرسة أم السلطان الابتدائية ولمدرسة الارتقاء المشتركة .

ويقابل هذا الجامع بجوار تكية الهنود سبيل ومدفن ابراهيم خليفة جنديان ـ وبنيه وبين التكية حارة صغيرة . ومكان هذا المدفن أصبح مدرسة تعرف بمدرسة صلاح الدين تابعة للمعاهد الأزهرية .

٧ ـ جامع آق‌سنقر المعروف بجامع ابراهيم اغا ومشهور بالجامع الأزرق :

هذا الجامع له بابان أحدهما بشارع باب الوزير والثانى بدرب شغلان أنشأه آق سنقر السلارى الناصرى سنة ٧٢٧ هـ كما تدل عليه كتابة على بابه بدرب شغلان .

وآق سنقر هذا أصله من مماليك المنصور قلاوون . ثم آل الى الأمير سلار فنسب اليه . وبعد نكبة سلار آل للناصر محمد بن قلاوون فقربه وزوجه ابنته . وعينه نائبا لصفد . ثم نائبا لغزة . وبعد الناصر تولى أولاده : المنصورأبوبكر ثم الأشرف كجك ثم الناصر أحمد كما سبق ذكره . وكان لآق سنقر يد كبرى فى تعيين الناصر أحمد . فعينه نائبا للسلطنة . ولم تطل أيام الناصرأحمد فخلع وتعين بعده أخوه الصالح اسماعيل فظل آق سنقر أيضا نائبا للسلطان . ثم تغير عليه السلطان اسماعيل المذكور لاتهامه بالميل الى الناصر أحمد . فقبض عليه فى المحرم سنة ٧٤٤ هـ . وكان هذا آخر العهد به .

وآق سنقر هذا غير آق سنقرشاد العمائر المنسوبة اليه قنطرة سنقر التى كانت على الخليج المصرى بدرب الجماميز . وقد سبق أن ذكرنا أن آق معناها أبيض . وسنقر اسم طير من طيور الصيد كالصقر . فكأن معنى الاسم الصقر الأبيض .

وقال المقريزى عن هذا الجامع أنه قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والتبانة وكان موضعه فى القديم مقابر أهل القاهرة . وأنشأه الأمير آق سنقر الناصرى

وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقودا من حجارة • ورخمه • واهتم فى بنائه اهتماما زائدا حتى كان يقعد على عمارته بنفسه • وبشيل التراب مع الفعلة بيده• ويتأخر عن غذائه• وأنشأ بجواره مكتبا لأقراء الأيتام المسلمين القرآن • وحانوتا لسقى الناس والدواب• وأوقف عليه ضيعة من قرى حلب تغل فى السنة نحو سبعة آلاف دينار • وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء وبنى بجواره مكانا ليدفن فيه • ونقل ابنه فدفنه هناك • وقال : وهذا الجامع من أجل جوامع مصر •

وعرف هذا الجامع بجامع ابراهيم أغا • لأن ابراهيم أغا مستحفظان كان ناظرا عليه وبنى لنفسه به قبرا كتب عليه تاريخ انشائه سنة ١٠٢٣ هـ (١٦١٤ م) •

وبالجامع المذكور ضريحان آخران أحدهما لمنشئه آق سنقر • والآخر باسم علاء الدين • ولعله ابن آق سنقر الذى نقله اليه كما ذكر •

وعرف أيضا هذا الجامع بالجامع الأزرق لأن بعض جدرانه كسبت بالقيشانى الأزرق على ارتفاع أربعة أمتار تقريبا •

٨ – جامع خير بك :

هذا الجامع بشارع باب الوزير على يسار المتجه الى القلعة •ويقول عنه العامة الخير بكلى • والحى هناك اسمه الخير بكية •

أنشأه خير بك الملقب بأمير الأمراء سنة ٩٢٧ هـ • ويذكره بعض المؤرخين باسم خاير بك بن بلباى الجركسى •

وخير بك هذا هو الخائن الذى مكن للسلطان سليم العثمانى بخيانته من الانتصار على السلطان الغورى فى معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ والاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) • وكافأه سليم بتعيينه واليا على مصر ولقبه بأمير الأمراء• وكان وقت المعركة نائبا فى حلب فسهل لسليم الأمر وانخذل بقواته أثناء المعركة • واستمر فى ولايته على مصر حتى سنة ٩٢٨هـ • ودفن بجامعه المذكور •

وكان ظالما سفاكا للدماء عرف بالقسوة البالغة فى أحكامه . وبالخضوع الكامل للعثمانيين . ولعل من أسباب هذا الخضوع الخوف على نفسه وعلى ابنه الذى كان رهينة تحت يد السلطان العثمانى فى استانبول .

وكانت داره جنوبى الجامع . وهذا الجامع الآن متخرب ومعطل . وبه سكان يقولون ان الذى صرح لهم بالسكن النائب علوى حافظ نائب الدرب الأحمر ورئيس مجلس الحى بسبب أزمة المساكن .

٩ ـ جامع أيتمش البجاسى :

ذكره المقريزى ضمن المدارس باسم المدرسة الأيتمشية . وقال انها بداخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة أنشأها الأمير الكبير أيتمش البجاسى سنة ٧٨٥ هـ وجعل بها درس فقه للحنفية وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع . ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا . وهى مدرسة ظريفة . وقال أيتمش هذا هو ابن عبد الله كان أحد المماليك اليلبغاوية . ا هـ .

واكتفى على مبارك بنقل ما ذكره المقريزى وأضاف انه يقال أنه توفى بأرض الشام .

ونضيف نقلا عن ابن اياس فى بدائع الزهور أن المنصور على بن الأشرف شعبان سنة ٧٨٠ هـ عين أيتمش البجاسى أمير أخور بدلا من برقوق الذى عين أتابك للعساكر . (وهو الظاهر برقوق فيما بعد) .

وأمير أخور كانت احدى الوظائف الكبرى . ومتوليها من شأنه مباشرة الاسطبلات السلطانية بما فيها من خيل وبغال وجمال وغير ذلك من لوازمها من سروج وعدد وعلف وعليق .. الخ .

وفى سنة ٧٨٤هـ لما تولى برقوق السلطنة أول مرة بعد خلع الصالح أمير حاج الذى تولى بعد وفاة أخيه المنصور على سنة ٧٨٣هـ تعين أيتمش أتابك العساكر بدلا من

برقوق . وظل بهذه الوظيفـة حتى قامت فتنة يلبغا الناصرى فى الشام سنة ٧٩١هـ فأرسله برقوق على رأس حملة فانهزم وأسر فى دمشق . وهذه الفتنـة انهزم فيهـا برقوق وهرب واختفى وأعيد الصـالح أمير حاج الى السـلطنة . ثم عاد برقوق الى الحكم سنة ٧٩٢ هـ .

وهذا الجامع بشارع باب الوزير على ناصية حارة قصيرة اسمها حارة الطوربة (هكذا . والمقصود طبعا تربة . وهو خطأ على محافظة القاهرة تصحيحه) وتؤدى هذه الحارة الى باب الوزير . وهو باب مقبو خلفه مقابر باب الوزير وعلى يسار الخارج منه ضريح طراباى الشريفى . وعلى يمين شارع قرافة باب الوزير الذى يبدأ من باب الوزير زاوية محمـد المجاهد التى قال عنها على مبارك ان مقابلها خانقاه قوصون . وهو خطأ سنبينه فيما بعد باذن الله .

ويبدأ جنوبى جامع أيتمش شارع المحجر متجها نحو القلعة . وسيرد ذكره فى المقال التالى ان شاء الله .

(يتبع)

محمد كمال السيد محمد

آثار قـدرة الله

ان أعجب لشىء فلهؤلاء الذين يرون آثار قدرة الله فى كل شىء وفى أنفسهم ثم لا يؤمنون به ولا يفهمون عنه ، ان الفهم عن الله تعالى هى حقيقة الايمان به . وقد كنت أقـرأ هذه الكلمة فى الكتب فأراها غامضة حتى فتح الله على قلبى بابا من أبواب هذا الفهم فعرفت حقيقة أنه ليس الايمان بل هو أول المعرفة وبدء طريق الوصول .

حسن البنا ـ مذكرات الدعوة والداعية

صور من البلاغة
في تفسير الكشاف للزمخشري

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي

يقول جار الله أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (٤٦٧ — ٥٣٨ هـ) في مقدمة[1] تفسيره : « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » : « ثم أن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وان برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وان بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحفظ القصص والأخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين : تحقيق ، وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ، ورد ورد عليه

(١) مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري : ج ١ ص ك

فارسا فى علم الاعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وان خفى مكانها ، لا كزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع الى مضايقه ، ووقع فى مداحضه ومزالقه » .

فى هذه المقدمة يجعل الزمخشرى علم المعانى وعلم البيان مختصين بالقرآن الكريم ويجعل أقدر العلماء على التفسير من برع فى هذين العلمين ، « وتمهل فى ارتيادهما أزمنة » ، وكان « متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر » ، وهو بذلك يجعل الأساس فى التفسير علمى المعانى والبيان وان كان قد أشار الى ما ينبغى على المفسر مع امتلاكه زمام هذين العلمين أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، ومن هنا فان تفسيره الكشاف قد جاء حافلا بصور من البلاغة يجليها فى مقدرة بالغة ، ويظهر آياتها فى دقة متناهية ، ونحن نشير فى هذا المقال الى أمثلة من هذه الصور البلاغية التى حفل بها تفسيره الكشاف .

فقد قال فى تفسيره(١) قول الله تعالى فى سورة فاتحة الكتاب : « اياك نعبد واياك نستعين » : فان قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، قد يكون من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » ، وقوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه » وقد

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١١ — ١٢

التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءنى
وخبرته عن بنى الأسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ، لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل: اياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة ، لانعبد غيرك، ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به . فان قلت : لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته ، فان قلت : فلم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ، ليستوجبوا الاجابة اليها ، فان قلت لم أطلقت الاستعانة ؟ قلت : ليتناول كل مستعان فيه ، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله : « اهدنا » بيانا للمطلوب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا : « اهدنا الصراط المستقيم » وانما كان أحسن لتلائم الكلام ، وأخذ بعضه بحجزة بعض .

بهذا القول يعرض الزمخشرى ما فى الآية الكريمة من الالتفات بنقل أسلوب الكلام من الغيبة الى الخطاب ، ولكنه لا يقف عند هذه الصورة من الالتفات فى الآية بل يتجاوزها حين يشير الى بعض صور الالتفات فى آيات أخر وفى أبيات امرىء القيس الثلاثة ، وهو

وان لم يستوف صور الالتفات كلها الا أنه قد نبه الى نكتته العامة ، ثم دل على نكتته الخاصة بهذا الموضع من الآية الكريمة فى روعة بالغة تومىء الى بصره النافذ وذوقه الناضج كما يعرض من خلال تفسيره للآية ما يفيده التقديم فيها من التخصيص حين يقول: « لا نعبد غيرك ولا نستعينه » وهو يدل بذلك على ما يتضمنه التقديم من النفى عن الغير مع الاثبات للمذكور بمقتضى التخصيص المستفاد من التقديم ، واشارته الى ما فى الآية من التخصيص اشارة سريعة لم تتجاوز الدلالة عليه بنفى العبادة والاستعانة عن غيره سبحانه وتعالى.

وكذلك يعرض التلاؤم والتوافق بين ألفاظ هذه الآية وألفاظ ماقبلها وما بعدها من آيات السورة بحيث يصبح من المحال مع هذا التلاؤم أن تستبدل بكلمة من الآيات كلمة أخرى أو أن تحول كلمة من مكانها، وذلك بأن نسق السورة يؤدى الى هذه الوحدة الكاملة بتوافق ألفاظها وتلاؤمها بحيث لا يتأتى أن يحول لفظ منها عن مكانه كما لا يتأتى أن يغنى لفظ آخر عن لفظ من آيات السورة ، « لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزه بعض » وقال فى تفسيره(١) قول الله تعالى فى سورة البقرة : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون » : لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى ، ولأمر ما ، أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٦

الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ومن سور الانجيل سورة الأمثال ، والمثل فى أصل كلامهم : بمعنى المثل وهو النظير ، يقال : مثل ومثل ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل ، ولم يضربوا مثلا ،ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير ، فان قلت : مامعنى: « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » وما مثل المنافقين ، ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وكذلك قوله : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها ، ولله المثل الأعلى : أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة، « مثلهم فى التوراة » أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن .. ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام ، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ، ألا ترى الى قوله : « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ، ويتهدوا بها فى طرق العبث ، فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، فان قلت : كيف صح فى النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد ؟ قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره » .

فى هذا التفسير يبين الزمخشرى قيمة التمثيل وتأثيره فى تقريب المعنى وتوضيحه حتى يبدو المعنى المتخيل محققا والمتوهم متيقنا والغائب

كأنه مشاهد فضلا عما فيه من تبكيت الخصم وقمع الجامح ، ولهذا كثر التمثيل فى كلام الله سبحانه وتعالى، وفى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نبه الى أن المثل فى الآية مستعار للحال أو الصفة أو القصة على نحو ما استعير الأسد للمقدام، وهو بهذا يشير الى أن استعارة المثل للحال أو الصفة أو القصة استعارة تصريحية أصلية ، ويشير الى أن حالة المنافقين الذين قالوا كلمة الاسلام لم يجاوزوا بها أطراف ألسنتهم وبقيت قلوبهم مظلمة بالكفر شبهت بحالة من استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، فكما أن المنافقين لم ينتفعوا بكلمة الحق التى أظهروها كذلك لم ينتفع المستوقد بالنار التى أضاءت ما حوله لأن الله ذهب بنورهم فأصمهم وأبكمهم وأعماهم ، والمشبه والمشبه به كل منهما صورة مركبة من عدة أمور امتزج بعضها ببعض حتى حدث لها بالتركيب صورة جديدة غير التى كانت لكل منها على الانفراد والشبه منتزع من هذه الأمور العدة التى تداخلت ، فليس الشبه مأخوذا من المستوقد وحده حتى يضاف اليه اضاءة النار ما حوله وليس مأخوذا منه والضوء من حوله حتى يضاف اليه ذهاب الله بنوره وتركه فى عمى وضلالة وظلام ، فالتشبيه فى الآية من قبيل تشبيه التمثيل المركب الذى ينتزع فيه الشبه من عدة أمور متداخلة بعضها فى بعض وممتزجة امتزاجا يحدث لها صورة جديدة غير التى كانت لها على انفرادها ومثل ذلك قوله تعالى فى شأن اليهود الذين حفظوا التوراة ولم ينتفعوا بها : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقد أشار الى جواز أن تكون النار مستعارة للفتنة أو لعداوة الاسلام على حد الاستعارة التصريحية الأصلية يدل لاستعمالها فى هذا المعنى مجازا قول الله تعالى: « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » وقد قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار من الاطفاء ترشيحا.

وكذلك أجاز أن تكون النار مستعملة فى معناها الحقيقى ويكون الضالون العصاة قد أوقدوها ليستعينوا بضوئها على بعض المعاصى ويمضوا بها فى طرق العبث، فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، ويمضى فى بيان المناسبة بين حالى المنافقين والمستوقد فيقول : « فان قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت : فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة ، وتورطوا فى حيرة ، فان قلت : وأين الاضاءة فى حال المنافق؟ وهل هو أبدا الا حائر خابط فى ظلمات الكفر ؟ قلت : المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ، ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق ، والأوجه أن يراد الطبع لقوله : « صم بكم عمى » وفى الآية تفسير آخر : وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد ، والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم ، أما قوله تعالى « صم بكم عمى » فيقول فى تفسيره : « فان قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟ قلت : طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان ، ويجوز للأسخياء الا أن هذا فى الصفات وذاك فى الأسماء ، وقد جاءت الاستعارة فى الأسماء والصفات والأفعال جميعا ، تقول : رأيت ليوثا ، ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام ، وأضاء الحق ، فان قلت: هل يسمى ما فى الآية استعارة؟ قلت : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول

اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام » (١) .

وهكذا نرى فى تفسير الزمخشرى ذلك المعرض لصور من البلاغة يدل على مكانها من الآيات بذوق البليغ المتمكن وحس الأديب الذى يمضى فى تفسيره على بصيرة بمواطن البلاغة فى صورها التى تحفل بها آيات القرآن الكريم فى أعلى درجاتها البالغة حد الاعجاز .

ويمضى الى قوله تعالى : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شىء قدير » .

فيقول : « ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ، وايضاحا غب ايضاح ، وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع ، أنشد الجاحظ :

يوحون بالخطب الطوال وتارة
وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٢) وهو بهذا يشير الى ما ينبغى مراعاته مما يقتضيه المقام من الايجاز أو الاطناب ثم أخذ فى توضيح التمثيل فى هاتين الآيتين فقال : « فان قلت : قد شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد نارا ، واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق ؟ قلت : لقائل

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧ ـ ٥٨

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٩ ـ ٦٠

أن يقول : شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى : أو كمثل ذوى صيب ، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها مالقوا

فان قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات ؟ وهلا صرح به كما فى قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » وفى قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

قلت : كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » ، « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل » والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة ، لا يتكلف الواحد واحد شىء يقدر شبهه به ، وهو القول الفحل والمذهب الجزل، بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها، كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها ، كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة » الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة: وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب ، وكقوله : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر ، فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض

ومصيره شيئا واحدا فلا ، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدةالأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ، فان قلت : الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك : « كمثل ذوى صيب » هل تقدر مثله فى المركب منه ؟ قلت : لولا طلب الراجع فى قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره ، لأنى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام ، فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ، ألا ترى الى قوله : « انما مثل الحياة الدنيا » الآية كيف ولى الماء الكاف ، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، ومما هو بين فى هذا قول لبيد :

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار ، وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية، فان قلت : أى التمثيلين أبلغ ؟ قلت : الثانى ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر، وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون الى الأغلظ فان قلت : لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟ قلت : أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك ، وذلك قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله : « أو كصيب » معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين ، وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ،

فبأيتهما مثلتهما فأنت مصيب ، وان مثلتهما بهما جميعا فكذلك » (١) .

أرأيت كيف صار التفسير عند الزمخشرى معرضا حافلا بصور البلاغة ذات التأثير البالغ ، ثم أرأيت كيف يصور التشبيه فى المثلين على التعدد بمقابلة كل أمر بما يناسبه ثم يضرب عن ذلك صفحا ليختار تصوير التشبيه على التركيب بتداخل الأمور بعضها فى بعض وامتزاج بعضها ببعض تلك الأمور التى تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا أى أن صورها المفردة قد تلاشت حين تداخلت وامتزجت وتكون منها صورة أو كيفية جديدة غير تلك التى كانت لكل منها على انفراده ، والزمخشرى لا يكتفى بما فى الآيات التى يفسرها من تشبيه مركب أو متعدد ولكنه يأتى بالشواهد لكل نوع فى آيات أخرى وفى أبيات من الشعر .

وقال فى تفسيره قول الله تعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » : « النقض : الفسخ وفك التركيب ، فان قلت : من أين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ، ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة : « يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى أن الله عز وجل أعزك وأظهرك ان ترجع الى قومك » وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس ، واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش » (٢) .

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٦٠ — ٦٢

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٩٠

وهو يشير بهذا القول الى الاستعارة المكنية التى يحذف فيها المشبه به ويرمز اليه بذكر شىء من لوازمه ، واثبات لوازم المشبه به للمشبه فى الآية انما جوزه عند الزمخشرى اطلاق العرب الحبل يريدون به العهد على نحو ما جاء فى كلام ابن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة حين قال : يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا يريد عهودا فقد استعار الحبال للعهود ، من أجل ذلك جاز اثبات النقض للعهد ، وقد شبه عهد الله فى الآية بالحبل المتين ثم حذف المشبه به (الحبل المتين) ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو النقض ، وصح ايقاع النقض على المشبه المذكور (عهد الله) لأن العهد يسمى حبلا على سبيل الاستعارة أو بعبارة أخرى لأن الحبل يطلق ويراد به العهد على سبيل الاستعارة ومن هنا جاز ايقاع النقض عليه .

وهكذا يحفل تفسير الكشاف للزمخشرى بتجلية صور البلاغة فى الآيات الكريمة تجلية مؤيدة بمثل هذه الصور فى آيات أخرى وفى شواهد من شعر العرب على نحو ما رأينا من صورتى التعدد والتركيب فى مثلى المنافقين ، وهو بذلك يدل على مقدرة فائقة فى لمح صور البلاغة والوقوف على أسرارها البالغة حد الاعجاز فى دقة متناهية .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

د. محمد عبد الرحمن الكردى

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٣٢١ ــ ويقولون : هــذا شيء مهول ، يعنون أنه مخيف مرهب ، وهــذا التعبير فاسد ، لأنه ضــد ما يقصدون اليه .

والصواب أن يقال : هــذا شيء هائل اسم فاعل من هاله الأمر اذا أفزعه وأزعجه وها هو ذا شــوقى قد وقع فى هذا الخطأ حين قال :

تظــل مهولات البــوارج دونه
حوائر ما يدرين ماذا تخرب

وكلمة مهولات جمع مهولة اسم مفعول من هالهــا الأمــر هولا اذا أصيبت بالفزع والرعب وعلى هذا تكون البوارج خائفــة لا مخيفة ، وذلك ضد ما يقصد اليه الشاعر اذ أنه يريد أن يقول : ان البــوارج مخيفة مرعبة ، ولكنه لم يوفق فى التعبير حين قال مهولات ، والبوارج المهولات لا تستطيع أن تخرب وانما كل همها أن تفر وتسرع فى الهرب فكان عليه أن يقول : تظل هائلات البوارج من اضــافة الصــفة الى الموصوف أى البوارج الهائلات ، وهذه هى التى يمكنها أن تخرب .

٣٢٢ ــ ويقولون : علقت المرأة على وليدها حجابا يقيــه السوء ، ويعصمه من العين ، وهذا غير سليم لأن للحجاب معانى لا تمت بصــلة الى المعنى الذى يبتغونه .

١ ــ فهو الستر، تقول منه ضرب الحجاب على النساء ، قال تعالى فى الشمس : « فقال انى أحببت حب الخــير عن ذكــر ربى حتى توارت بالحجاب» وقال: « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» .

٢ ــ وهو الجــلدة التى تحجب بين الفؤاد والبطن ومنه تقول: هتك

الخوف حجاب قلبه وهـذا خوف يهتك حجب القلوب .

٣ ـ وهو المانع كما فى قولهم: ما لدعوة المظلوم حجاب ، ولهـذا الرجل الصالح دعوات تخرق الحجب حتى تبلغ العرش .

٤ ـ وهو الجبل، تقول لصديقك: أقعد فى ظـل هـذا الحجاب ، أى الجبل .

وأصل الحجاب جسم يحول بين جسدين وقـد استعمل فى المعـانى فقيل : العجز حجاب بين الانسـان ومراده والمعصية حجاب بين العبـد وربه ، ولتأدية المعنى الذى يريدونه ينبغى أن تستعمل العبارات الآتية :

(١) علقت المرأة على وليـدها تميمة وهى خرزة رقطـاء تنظم فى سير وتعلق فى العنق ، جمعها تمائم، تقـول : تممت فلانة مولودها اذا علقت عليه تميمة ، وفى الحـديث « من علق تميمة فلا أتم الله له » .

(٢) علقت الوالدة على ابنها عوذة، أو تعاذة ، أو تعويذا ، ومن هـذا سميت سورتان فى القرآن بالمعوذتين، لأنهمـا تعوذان قارئهما ، وتعصمانه من كل سوء .

(٣) رقت المرأة وليدها رقية بضم الراء فقالت باسم الله أرقيك والله يشفيك ، جمعها رقى كمدية ومدى، قال كثير لعبد الملك بن مروان :

وما زالت رقاك تسـل ضغني (١)
وتخرج من مكامنها ضبـابى (٢)

٣٢٣ ـ ويقـولون : تـكافل الأصدقاء ، ونحن نتكافل فى بنـاء مسجد ، يعنون المعـاونة ، وكـلا التعبيرين خطأ لأن هذين الفعلين لم يردا عن العرب ، وانما ورد قولها : كفله كفالة ، وكفله تكفيلا اذا عاله، وأنفق عليه ، وتقول : كفلت الصبى اذا علته وقمت بشئونه ، ومنه قوله تعالى : « أيهم يكفل مريم »وقوله : « وكفلها زكريا» واسم الفاعل كافل

---

(١) الضغن : الحقد

(٢) الضباب : جمع ضب وهو الغل الداخل شبه بالضب المعن فى جحره قال سابق البربرى :

ولاتك ذا وجهين يبدى بشاشة
وفى صـدره ضب من الغـل كامن

وكفيل، والجمع كفل كركع، وكفلاء كرحماء ويقال أكفله اياه اذا ضمنه، والمكافل المجاور والمحالف ،والمعاقد، والمعاهد والكفل بالكسر النصيب ومنه قوله تعالى «ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» •

ولتأدية المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : تعاون الأصدقاء على كذا واعتونوا قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » أى يقال أعان بعضهم بعضا على كذا ، كما فى قوله سبحانه: «وأعانه عليه قوم آخرون» أو عاون بعضهم بعضا معاونة وعوانا بالكسر، ومثل المعاونة المساعدة ، والاسعاد، ومن هذا قولك . أسعدت النائحة الثكلى اذا أعانتها على البكاء أو يقال: ظاهر بعضهم بعضا مظاهرة، أو تظاهروا ، أو استظهر بعضهم ببعض ، أو استعان بعضهم ببعض ، أو تعاضدوا ، أو تضافروا على الشىء •

وعن على رضى الله عنه قوله : « عجبت من تضافرهم على باطلهم وفشلكم عن حقكم » •

٣٢٤ ــ ويقولون : استسغنا طعامنا وشرابنا ، وهؤلاء لم يستسيغوهما ، وكثيرا ما ينطقون بكلام غير مستساغ ، وكل هذه التعبيرات يشوبها الفساد ، اذ لم يرد فى اللغة دخول السين والتاء على هذا الفعل ولا على ما يشتق منه ، ولم تستعمل العرب الا الفعل الثلاثى والمزيد بالتضعيف ،والمزيد بالهمزة•

فمن الثلاثى يقال : ساغ الشراب يسوغ من باب قال سوغا اذا سهل مدخله فى الحلق ، قال :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص (١) بالماء الفرات(٢)

والشراب سائغ أى سهل الابتلاع كما فى قوله جل شأنه « هذا عذب فرات سائغ شرابه » •

ومن المجاز قولك : لا يسوغ لك أن تتكلم بما يؤذى غيرك •

(١) أغص : أشرق وأجرض •
(٢) الفرات : الماء العذب جدا •

وكما يقال : سغت الشيء من باب قال فهو سائغ يقال سغته سيغا من باب باع فهو سيغ بفتح السين وكسر اليــاء مشــددة كما فى قول عويف القراف :

فســوف أجزيك بشــرب شربا
لا سـيغا ولا هنيــا عــذبا

مما عرضنا استبان لكل أديب أن الثلاثى يأتى لازما ومتعديا .

ومن المضعف يقال : ســوغه له تسويغا اذاجوزه له وأباحه، وسوغ له كذا أعطاه اياه .

ومن المزيد بالهمز تقول : أسغت له كذا أسيغه اساغة اذا جعلته سائغا فهو مســاغ بصيغة اسم المفعول ، ومنه قوله تعالى « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » أى يبتلعه .

٣٢٥ ــ ويزعمون خطأ أن الفعل الرباعى لابد أن يتفق فى معناه مع الثــلاثى ما داما مصوغين من مادة واحدة كما فى قولك : دبر النهــار وأدبر اذا ولى وذهب، وزهق العظم زهوقا اذا اكتنز مخه كأزهق والحق أن بعض الأفعــال يخــالف رباعيها الثلاثى حتى لقــد يــكون بينهما تناقض فى المعنى ، منها :

(١) قسط وأقسط ، تقول قسط يقسط قسطا وقسوطا اذا جار وظلم فهو قاسط ومنه قوله تعالى « وأما القاســطون فكانوا لجهنم خطبا » وأقسط اذا عدل فهو مقسط ومنه قــوله ســبحانه « ان اللــه يحب المقسطين » .

(٢) دلا وأدلى ، تقول : دلوت دلوى اذا نزعتها وأخرجتها من البئر وأدليتها اذا ألقيتها فى المــاء لتستقى ومن هــذا قوله تعــالى « وجاءت ســيارة فأرســلوا واردهم فأدلى دلوه » .

(٣) ترب وأترب ، تقول : ترب الرجل من باب فرح تربا اذا افتقر كأنه لصــق بالتراب ، وأترب اذا استغنى كأنه اجتمع له من المــال قدر التراب .

(٤) ضاف وأضاف تقول ضفت فلانا اذا نزلت عليه ضيفا ، وأضفته اذا أنزلته ضيفا عليك .

(٥) فرى وأفرى ، تقول : فريت الشىء اذا قطعته لاصلاحه ، وأفريته اذا قطعته على وجه الافساد ، يقال: لقد أفريت وما فريت ، أى أفسدت وما أصلحت .

(٦) خفر وأخفر ، تقول : خفرت فلانا اذا حميته وأجرته وكنت له خفيرا، وكذا خفرت بعهده اذا وفيت به ، وأخفرته اذا نقضت عهده وغدرت به .

(٧) هجم وأهجم ، تقول : هجم المرض على فلان أو هجمه اذا دخل عليه بغتة ، وأهجم الله المرض عنه اذا جعله يقلع ويفتر .

(٨) ونمى وأنمى ، تقول : نميت الحديث اذا بلغته على وجه الاصلاح والخير، وأنميته اذا أذعنته على وجه النميمة والافساد ، وكذا نميته بالتضعيف .

(٩) جار وأجار ، تقول : جار فلان فى حكمه اذا ظلم فهو جائر ، وأجاره اذا أنقذه وأعاذه فهو مجير ومن ذلك قوله جل شأنه « يغفر لكم ويجركم من عذاب أليم » .

(١٠) عان وأعان ، تقول : عانة من باب باع فهو عائن اذا أصابه بالعين ، والعيون والمعيان من كان شديد الاصابة بالعين ، وأعانه اذا قدم اليه المعونة .

(١١) وبسل وأبسل ، تقول : بسل بسالة فهو باسل أى شجاع ، وأبسله اذا أسلمه للهلكة ، وفى التنزيل «أن تبسل نفس بما كسبت» أى تهلك .

(١٢) خفى وأخفى، تقول: خفيت الشىء اذا أظهرته وأبنته ، وأخفيته اذا سترته وأضمرته ومن هذا قوله تعالى « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » .

(١٣) نذر وأنذر ، تقول نذر لله كذا اذا أوجبه على نفسه ومنه قوله تعالى « انى نذرت للرحمن صوما » وأنذره بكذا اذا أبلغه بما يخيفه ومنه قوله سبحانه « انا أنذرناكم عذابا قريبا » .

(١٤) حد وأحد ، تقول : حد السيف يحد بالكسر حدة اذا صار حادا ، وأحدت المرأة اذا امتنعت عن الزينة والخضاب حزنا على وفاة زوجها .

٣٢٦ ـ ويقولون لما يغطى الصدر (صديري أو سديرى) بكسرهما ، والعرب تسميه صدرة بالضم والصدار وزان كتاب ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر .

تقول : لبست المحد الصدار ، وأخضل الدمع صدارها ، وهو ثوب يغطى به الرأس والصدر والمحد هى المرأة التى تركت الزينة للعدة .

ومن المجاز قولك : هؤلاء صدرة القوم أى مقدموهم بصيغة اسم المفعول ، ومنه تقول صدر فلان فتصدر ، أى قدم فتقدم .

٣٢٧ ـ ويقولون للثوب الذى تجلى فيه العروس ليلة زفافها (فستان العرس) ، والصواب أن يقال له : معرض العروس وزان منبر ، وهو أفخر الملابس عندها أو من أفخرها .

٣٢٨ ـ ويقولون لما يغطى به السرير ، ولما تلبسه بعض النسوة (ملاية) بكسر الميم ، والفصيح أن يسمى ملاءة بالضم ، والجمع ملاء بحذف الهاء .

ومن معانى الملاءة البياض : تقول : على فلانة ملاءة الحسن ، قال ابن ميادة :

بذتهم ميالة تميد
ملاءة الحسن لها جديد

غازل فتى من العرب امرأة حضرية فلم تستجب له ، فقال لها ، والله مالك ملاءة الحسن ولا عموده ، ولا برنسه ، فما هذا الامتناع ؟ يعنى بملاءة الحسن بياضه ، وبعموده الطول ، وببرنسه الشعر ، وقال ذو الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود فى الثرى
وساق الثريا فى ملاءته الفجر

أى طلعت مع بياض الفجر . وقال :

وكان لوصل الغانيات ملاءة
تملأنها عصرا ودهرا من الدهر

٣٢٩ ـ ويقولون لثوب من الحرير يتلفع به (لاسه) والصواب أن يقال له لاذة بالذال بدلا من السين ، والجمع لاذ بدون هاء .

٣٣٠ ـ وينكرون أن يقال لضرب من الأكسية عباية بفتح

العين ، ويصرون على أن هذا اللفظ عامى ، وعلى أنه لا يقال الا عباءة بالهمزة ، والحق أن كلا منهما عربى صحيح .

٣٣١ ـ ويقولون للقلنسوة المدورة التى تغطى الرأس (طربوش أو طاقية) والصواب أن يقال لها كمة بالضم وزان قلة ، وجمعها كمم كقلل ، تقول : اعتم فلان على الكمة ولا تحسن العمة الا على الكمة .

٣٣٢ ـ ويقولون لثوب واسع دون الملحفة أو هو الملحفة (جلابية) ويجمعونه على (جلاليب) والفصيح أن يقال له جلباب وزان سرداب ، أو جلباب بكسرتين مع تشديد الباء الأولى وزان سنمار، جمعه جلابيب كما فى قوله سبحانه « يدنين عليهن من جلابيبهن » تقول : تجلببت المرأة اذا لبست الجلباب .

٣٣٣ ـ ويقولون : ان جنودنا أبطال مغاوير ، صمدوا فى معركتهم مع الأعداء صمودا مشرفا وأنزلوا بهم الهزائم حتى فروا مندحرين ، وفى هذه العبارة غلطتان :

احداهما : أن الصمود مصدر أنشأته العامة ، أما المصدر السليم فهو الصمد بفتح فسكون ، لأن فعله من باب نصر ، وله معنيان : أحدهما القصد ، تقول : صمدت الأمير صمدا اذا قصدته فهو مصمود ، وصمد بالتحريك ، ومن هذا قوله تعالى « الله الصمد [1] » لأنه يقصد فى كل الحوائج والآخر الضرب ، تقول : صمده بالعصا صمدا اذا ضربه بها .

والغلطة الأخرى قولهم مندحرين والصواب أن يقال مدحورين أى مطرودين من دحره يدحره من باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، كما فى قوله تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » وقوله « قال اخرج منها مذءوما مدحورا » .

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء

---

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا كولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ، وقبض بمعنى مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب .

ثبوتا مشرفا حتى أجلوهم مدحورين، أو حتى أجبروهم على الفرار فولوا مدبرين .

٣٣٤ ــ ويقولون : صادرت الحكومة مال هذا اللص ، اذ تبين لها أنه سرقه واستولى عليه عنوة وهذا خطأ ، لأن المصادرة لها معنيان لا صلة لكل منهما بالمعنى الذى يريدونه :

أحدهما : المطالبة كما فى قولك : صادرت فلانا على ألف دينار اذا طالبته به .

والآخر : الفراق بالكسر ، أو الفرقة بالضم كما فى قولك صادرت هذا الرجل من هذا الأمر على نجح، أى فارقته وأنا ناجح فيما فعلت .

وصودر فلان على مال يؤديه ، أى فورق على أن يؤدى هذا المال الذى ضمنه ، وتصادروا على ما شاءوا أى افترقوا على ما اتفقوا عليه ، ويلاحظ فى كل التعبيرات السابقة أن المصادر بصيغة اسم المفعول انما هو الانسان لا المال .

ولكى يؤدى المعنى المبتغى ينبغى أن يقال : استصفت الحكومة مال هذا اللص ، أى حجزته منه وأخذته كله .

ويقال : ماله صادر ولا وارد أى ماله شىء ، ولمن يبتدىء أمرا ثم لا يتمه : فلان يورد ولا يصدر ، فاذا أتمه قيل : أورد وأصدر .

٣٣٥ ــ ويقولون: صرح الرئيس لفلان بالسفر ، وأعطاه تصريحا بذلك، يعنون أنه أباحه له والفصيح أن يقال : أذن له فى السفر ومنحه اذنا بذلك .

أما التصريح فهو تبيين الأمر وكشفه ، تقول : صرح فلان بما فى نفسه تصريحا اذا بينه وأظهره ، ولقيته مصارحة أى مجاهرة ، وصرح النهار اذا انكشف سحابه وأضاءت شمسه ، وصرح الحق عن محضه أى عن خالصه ، وذلك اذا انكشف بعد خفائه ، وصرحت الخمر اذا ذهب زبدها ، ومن هذا قولهم : لبن صريح أى خلص وذهبت رغوته .

٣٣٦ ــ ويقولون : جرد الخازن ما فى المخــزن ، والصراف ما فى الخزانة جردا ، وهــذا خطأ ، لأن الجرد معناه الازالة ، تقول : جردت الشيء من باب نصر جردا اذا أزلت ما عليه ونزعته عنه ، ومن هذا يقال: رجل أجرد اذا لم يكن على جسده شعر ، وأهل الجنــة جــرد مرد ، وفرس أجرد ، وخيل جرد ، ولبن أجــرد اذا نزعت رغوته ، وهــذه جريدة أى سعفة أزيل عنها الخوص .

ويقال لجلاء آنية الصفر جراد ، لأنه يزيل ما عليهــا من الصــدأ والأقذار ، ولمن يلبس الخلق : ما عليه الا بردة جرد ، لأنها اذا خلقت انتفض ماعليها من زئير واملاست .

ومن معانى الجرد الفرج والذكر والبقية من المال كالجرادة ، وأغلب الظن أنهم صاغوا تعبيرهم مستأنسين بأن علماء اللغة أطلقوا كلمة الجرد على البقية من المــال ، وما أبعــد الفرق بين الاطلاقين ، فهم يريدون المصــدر ، واللغويون يقصــدون الاسم ، على أن المعــدود المحصى ليس مقصورا على الباقى ، وانمــا هو عام .

ولتــأدية المعنى الذى يبتغــونه ينبغى أن يقال : أحصى الخازن ما فى المخزن والصراف ما فى الخزانة ، أو عــده ، أو حفظه ، وفى التنزيل قوله تعالى « لقد أحصاهم وعدهم عدا » وقوله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

٣٣٧ ــ ويجمعون الحــر بكسر الحاء وتشديد الراء بمعنى فــرج المرأة على أحرار ، مدعين أنه كسر وأسرار وهذا خطأ ، والفصــيح أن يجمع تكسيرا على أحراح ، وسالما على حرون ، وذلك لأن أصله حرح وزان ملح ، حذفت الحاء التى هى لام الكلمة ، لأن العرب استثقلت وجود حاء قبلها ساكن ، ثم عوض عنها راء وأدغمت فى عين الكلمة .

وانمــا قيل ذلك لأنه يكسر على أحراح ، ويصغر على حريح ، وكل من جمع التكسير والتصــغير يرد الكلمة الى أصلها .

وقد يستعمل الحــر استعمال يد ودم من غير تعــويض كما فى قول الشاعر :

كل امرىء يحمى حــره
أســوده وأحمــره

٣٣٨ ــ ويكسرون الخصى وزان غنى وهو من سل خصياه على أخصياء ، مدعين أنه كذكى وأذكياء ونبى وأنبياء ، ولكن ذلك لم يسمع ، والصواب أن يقال فى تكسيره خصية وخصيان بكسرهما قال سيبويه : شبهوا خصيا وخصيانا بظليم وظلمان .

والخصية بالضم واحدة الخصى ، وقال أبو عمر : الخصيتان البيضتان والخصيان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان ، وقال الأموى : الخصية البيضة فاذا ثنيت قلت خصيان ولم تلحقه التاء ، ومثله الألية اذا ثنيتها قلت أليان بغير تاء وهما نادرتان تقول : خصيت الفحل أخصيه خصاء بالكسر والمد اذا سللت خصييه فهو خصى فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل ، وجمع الخصية خصى كمدية ومدى ، وتقول : خصيت الفرس اذا قطعت ذكره فهو مخصى وخصى .

٣٣٩ ــ ويقولون : دعم فلان رأى صديقه تدعيما ، يعنون أنه قواه ، وهذا التعبير غير سليم لأن الفعل الرباعى لم يرد سواء أكان مزيدا بالهمز أم مزيدا بالتضعيف ولم تستعمل العرب الا الثلاثى ، ولذا يجب أن يقال : دعم فلان رأى صديقه دعما من باب نفع اذا قواه .

ويقال : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم .

والدعمة ، والدعامة ، والدعام بكسرهن عماد البيت والخشب المنصوب للتعريش .

تقول : هذا بيت مدعوم ومعمود ، فالمدعوم هو الذى يميل ويريد أن يقع ، فيسند اليه ما يستمسك به ، والمعمود هو الذى يتحامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين .

ويقال: ادعم الحائط على الدعامة اذا اتكأ عليها ، ومن المجاز قولك : فلان دعامة قومه أى سيدهم وسندهم ، قال الأعشى :

كلا أبوينا كان فرعا دعامة

وأقام فلان دعائم الاسلام ، ودعمت زملائى دعما أى أعنتهم وقويتهم ، وأنا أدعم على والدى فى

أمورى أى أستند ، ولا دعم بى أى لا قوة ولا تماسك ، قال :

لا دعم بى لكن بليلى دعم
جارية فى وركيها شحم

٣٤٠ ـ ويجمعون النجى وزان غنى وهو من تساره ـ على أنجياء كأغنياء وأوفياء ، وهذا خطأ على الرغم من قياسيته ، لأنه لم يسمع.

والصواب أن يقال فى جمعه أنجيه ، كما فى قول سحيم بن وثيل اليربوعى :

انى اذا ما القوم كانوا أنجية
واضطربت أعناقهم كالأرشية

تقول : أنا نجى فلان أى مناجيه دون أصحابه ، وانتجيت فلانا اذا خصصته بمناجاتك ، وجعلته نجيك.

قال الأخفش : وقد يكون النجى جماعة كالصديق ، كما فى قوله جل شأنه « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا » وقول جرير :

يعلو النجى اذا النجى أضجهم
أمر تضيق به الصدور جليل

وهو فى الغالب مفرد كما فى قوله سبحانه « وقربناه نجيا » وقول بشر :

أجدك ما تزال نجى هم
تبيت الليل أنت له ضجيع

وتقول باتت فى صدره نجية قد أسهرته ، وهى ما تناجيه من الهم ، وبات الهم يناجيه وبات الهم له نجيا .

وقوله تعالى « واذ هم نجوى » جعلهم هم النجوى ، والنجوى فعلهم ، كما تقول :

هؤلاء قوم رضا والرضا فعلهم

ويقال : اجتمع القوم أنجية أى متناجين ، وشهدت منهم أندية فوجدتهم أنجية .

عباس ابو السعود

تصحيح

فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ من هذه المجلة وضع اسم الدكتور عبد الودود شلبى خطأ تحت مقالين هما : برنارد شو يكرم نبى الاسلام . وحكم قضائى بالفصل بين الزوجين اذا كان أحدهما شيوعيا .

فلزم التنويه

باب الفتوى

تقديم الشيخ محمود محمد رسلان

ترجمة خطبة الجمعة

السؤال

هل تجوز ترجمة خطبة الجمعة ؟ وهل يصح للخطيب أن يخطب بالعربية ثم يترجمها الى لغة أجنبية أخرى قبل الصلاة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فخطبة الجمعة يجب أن تكون باللغة العربية ، فى المشهور من مذهب الشافعى ويجب أن يسمعها أربعون من أهل الجمعة وان لم يعرفوا لغة الخطيب أو لم يفهموا معنى الخطبة فانه لا يشترط فهم معناها ، ويمكن الاقتصار على القائها بالعربية ولا يضر عدم سماع غير الأربعين ، ويمكن ترجمتها للمصلين بلغتهم وذلك بعد الصلاة ، لا قبلها محافظة على الموالاة بين الخطبة والصلاة ، فليتنبه لذلك .

والخلاصة : أنه يمكن الاقتصار على الخطبة بالعربية وان لم يسمعها جميع الحاضرين ، وان لم يفهموها ، فانه لا يشترط سماع الجميع ولا فهمهم للخطبة ، وأما بعد الصلاة فللامام أن يترجمها ، وكذلك لغيره منفردا أو متعددا ، وان عملت دروس بعد الصلاة تلقى فى نواحى المسجد وما اتصل به يبين فيها موضوع الخطبة أو غيره كان ذلك حسنا ومفيدا . والله أعلم . انتهى بتصرف من مجلة نور الاسلام ج٤ ع الثانى ١٣٥٠هـ ص٣١٢ ومابعدها للمرحوم الشيخ يوسف الدجوى .

حكم منكر ربوبية الله

السؤال

هل كل منكر ربوبيته تعالى من ذرية آدم عليه السلام ـ أوعابد لغيره أو مشرك به مأخوذ يوم القيامة باقراره على نفسه يوم أن قال له : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ؟ وهل هذه الشهادة خاصة ببنى اسرائيل الحاقا بالآيات السابقة أو عامة لكافة البشر لقوله تعالى :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون » •

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد :

لقد كان من مزيد نعمة الله تعالى على بنى آدم أن جعل لهم الأرض مستقرا ومتاعا الى حين ، ثم اليه مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون • ولكن لما كان ذلك لا يتم الا اذا كانوا عالمين بوجوه المنافع التى تصلح بها حياتهم فى الدنيا والآخرة قضت حكمته الالهية أن يتم نعمته عليهم بأن يهديهم الى ما ينفعهم فيفعلوه ، والى ما يضرهم فيجتنبوه ثم ان تلك الهداية الالهية نوعان :

١ ـ هداية تشريعية •

٢ ـ هداية فطرية •

فأما الهداية التشريعية ، فانها تكون بالوحى وارسال الرسل وانزال الكتب السماوية فيها تبيان كل شىء من مصالح الدين والدنيا ، وأما الهداية الفطرية فانها تكون بما أودعه الله تعالى فى فطرة بنى آدم ، وبما جبلهم عليه من العقول والمدارك حتى صاروا مستعدين بأصل جبلتهم للايمان به ، والاقرار بربوبيته وتوحيده والاعتراف بأنه هو الذى يرجى ثوابه ويرهب عقابه ثم انه سبحانه قد بدأ هذه السورة « سورة الأعراف » بذكر الهداية

التشريعية التى أنزلها على عبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ لينذر بها الناس كافة ويذكرهم بما ينفعهم ويأمرهم باتباع ما أنزل اليهم من ربهم وذلك قوله تعالى : « كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » الآيات ثم ذكر سبحانه بعد ذلك ما شاء أن يذكره مما يتصل بهذه الهداية المحمدية ثم قضى عليها بذكر الهداية التشريعية التى أوصاها الى بعض رسله الكرام فذكر من قصصهم مع أممهم ما فيه عبرة وعظة لقوم يتفكرون ثم ختم سبحانه ذلك القصص بقصص سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ـ مع بنى اسرائيل والمصريين مبينا ما كان من تلك الأمم جميعا من ايمان وكفر وطاعة ومعصية وما جازى به كل فريق منهم جزاءا وفاقا .

بعد أن أتم سبحانه الكلام فى الهداية التنزيلية التشريعية اتبعها بذكر الهداية الفطرية فى قوله عز وجل : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » الآيات . فبين أنه تعالى شأنه كما هدى بنى آدم كافة بما أوحاه اليهم على لسان رسله الصادقين كذلك هداهم عامة هداية فطرية بما ركب تكوينهم عليه من العقول والمدارك والمشاعر والوجدان حتى صاروا جميعا أمة واحدة فى أصل الخلقة مستعدين غاية الاستعداد بحسب تركيبهم الآدمى لمعرفة ربهم وانه وحده الههم الذى لا تصرف فيهم لغيره بخير ولا شر ، ولا بثواب ولا عقاب لهذا لم يكن لبنى آدم مناص من أن يشهدوا على أنفسهم بلسان مقالهم أو حالهم أن الله جل ذكره هو ربهم لا اله لهم غيره ، بيده نواصيهم واليه مآبهم وعليه حسابهم كل ذلك لئلا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة ، كما حكى الله سبحانه ذلك بقوله : « أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

بهذا يتضح لك غاية الاتضاح أن قول الله تعالى : «واذ أخذ ربك» الآيات بيان للهداية الفطرية التى فطر الله الناس عليها شاملة لبنى اسرائيل وغيرهم وأما الخاصة بهم

فانما هى الآيات من قوله تعالى : « ثم بعثنا من بعدهم موسى » الآية الثالثة بعد المائة الى آخر قوله تعالى : « واذ نتقنا الجبل فوقهم » الآية الحادية والسبعين بعد المائة .

ثم أعلم أن الثواب والعقاب جزاءان قضى الله تعالى بهما فضلا وعدلا على عباده بعد أن تتحقق الهدايتان : التشريعية والفطرية معا ، فكان من تمام رحمة الله تعالى وعظيم رأفته بعباده أنه لم يجعل الفطرة الآدمية والعقول الانسانية وحدها مناطا للجزاء والمؤاخذة ، بل حاط الفطرة وصان العقول بما يحفظها من الزغل والخطأ واتباع الشهوات ، وكان ذلك بالهداية التشريعية بالوحى وانزال الكتب السماوية وارسال الرسل مبشرين ومنذرين ، كما قال سبحانه : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » أى لم يكن من سنتنا وبالغ حكمتنا أن نعذب أحداً تعذيبا دنيويا مستأصلا ، ولاأخرويا الابعد أن نبين لهم سبل السعادة والشقاء، وحينئذ تكمل لبنى آدم الهدايتان: هداية الفطرة ، وهداية التشريع ، ولا يكون اذ ذاك لأحد عذر ولا حجة .

وكما قال تعالى أيضا مبينا للهدايتين المذكورتين : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» . فقوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » بيان للهداية الفطرية .

أى كانوا جميعا متساويين فى أصل فطرتهم وخلقتهم وما أودعناه فيهم من القوى والعقول .

وقوله سبحانه: «فبعث الله النبيين» الآية بيان للهداية التشريعية التنزيلية. وصفوة القول : أن مناط الثواب والعقاب ، والرضا والمؤاخذة الواردة فى دين الله تعالى ، انما هو الهدايتان المذكورتان معا كما جاء فى الآيات التى تلوناها عليك .

والله هو الهادى الى سواء السبيل.

انتهى بتصرف من نور الاسلام ج٦ ع الثانى ١٣٥٠هـ للأستاذ حسن منصور وكيل مدرستى القضاء الشرعى ، ودار العلوم سابقا .

محمود محمد رسلان

أخبار العالم الإسلامي

للأستاذ ابراهيم حامد النويهي

مصر

* اعتمد فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الدراسات الأولى للجنة العليا لتطوير مناهج الأزهر المشكلة برياسة فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وهى :

١ ـ انشاء ادارة عامة لتحفيظ القرآن الكريم ، وسيتولى فضيلة الامام الأكبر الاشراف المباشر عليها ، وامدادها بكل ما تحتاج اليه ، مع وضع نظام جديد فى التحفيظ له حوافز مجزية للطلاب وللمحفظين ، وتجرى لطلابها امتحانات عامة تؤهل لالتحاقهم بالتعليم الاعدادى الأزهرى ، بعد حفظ القرآن الكريم كله ، أو الالتحاق بمعاهد القراءات التى تؤهلهم للالتحاق بجامعة الأزهر ، بحيث يتدرج الطالب من كتاب القرية الى الجامعة ..

٢ ـ التوسع فى انشاء معاهد القراءات فى المرحلتين الاعدادية والثانوية والتخصص ، وانشاء كلية جديدة فى جامعة الأزهر باسم كليه علوم القرآن الكريم ، يلحق بها الخريجون من تخصصات معاهد القراءات التابعة للأزهر .

٣ ـ دعم دراسات تحفيظ القرآن الكريم لطلاب المرحلتين الاعدادية والثانوية وكليات جامعة الأزهر الشريف ، بحيث يتم الامتحان فى حفظ القرآن الكريم تحريريا فى كل عام .

٤ ـ الغاء دراسة المستوى الخاص واستبعادها من مناهج المعاهد الأزهرية لاتاحة الفرصة لتعميق العلوم العربية والاسلامية والحضارية ..

٥ ـ تقديم كتب التراث الاسلامى فى طبعات جديدة مبسطة ومحققة

لاشباع الفراغ الفكرى والأدبى فى نفوس الشباب ..

٦ ـ الاستعانة بوسائل الاعلام المصرى فى ابلاغ الدعوة الاسلامية بهذه الوسائل، لنشر المبادىء الدينية والخلقية على اتساع رقعة القرى والبلاد المصرية ..

* تجرى الآن اتصالات بين فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وبين الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التربية والتعليم بشأن المناهج الدينية الجديدة التى تعدها وزارة التربية والتعليم بأسلوب مبسط لتدريسها بالمدارس ، اعتبارا من العام القادم ..

وقد تقرر أن يقوم الأزهر بمراجعة هذه الكتب ، كما تقوم كليات الأزهر بدعم مدارس الوزارة وامداد هيئات تدريسها بالخريجين المؤهلين ..

وكان فضيلة الامام قد استقبل بمكتبه بادارة الأزهر فى شهر فبراير الماضى السيد وزير التربية والتعليم وصرح فضيلته بعد هذا اللقاء بأن لقاءاته مع الوزير ستستمر حتى يتحقق الهدف الذى رسمه الرئيس محمد أنور السادات لتعميق المفاهيم الدينية فى نفوس الجيل الجديد عن طريق التعليم الدينى والتربية الدينية، وتأهيله لحمل المسئولية فى دولة العلم والايمان ..

* افتتح فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مسجد القوات الجوية بالغردقة ، الذى أقامته بالجهود الذاتية ، وذلك يوم الجمعة ٣٠ من صفر ١٣٩٧ هـ ـ ١٨ من فبراير سنة ١٩٧٧ م .

وقد شهد الافتتاح القائد العام للقوات الجوية وعدد كبير من القادة والضباط والجنود ، وعدد من كبار علماء الأزهر ..

وألقى فضيلة الامام الأكبر بعد الصلاة محاضرة تناول فيها رسالة المسجد ودوره فى مسار الدعوة الاسلامية .

* ألقى فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر كلمة فى الحفل الذى أقيم بسفارة الهند بالقاهرة وحضره لفيف من سفراء الدول لتأبين المغفور له فخامة

الرئيس الراحـــل فخر الدين على أحمد ، قال فيها :

(كان فخر الدين على أحمد ثانى رئيس هندى مسـلم ، وكان أخا شقيقا وزعيما مؤمنا ، يفيض قلبـه بالوطنية ، وبالايمان الراسخ بمبادىء السلام والصداقة بين الهند وشعوب العالم جميعا) ..

وتحدث السيد سـفير الهنـد بالقاهرة أشوك سين تشـيب فأشاد بجهاد المغفور له الراحل وتسـامحه الدينى ودوره البارز فى خدمة الهند، فقال: (لقد مست قلوبنا وقوت من عزيمتنا فى هذه الخسارة الفادحة رسالة المواساة والعطف التى تفضل فخامة رئيس جمهورية مصر العربية فبعث بها الى رئيســة وزرائنا ، وقراره الكريم باعلان الحداد الرسمى فى أنحاء مصر أسـبوعا ، وايفاد زعيم بارز سـعادة الدكتور حافظ غانم نائب رئيس الوزراء للاشـتراك فى تشيع جنازة رئيس الهند الراحل ، مما يكشــف مرة أخرى عن رابطة الصــداقة الدائمة التى تربط بين بلدينا) ..

كما أشاد السيد السفير فى كلمته بالاحتفال الذى أقامه الأزهر الشريف للرئيس فخر الدين على أحمد حين زار مصر فى ديسمبر ١٩٧٥م ..

﴿أمام فضـيلة الامـام الأكبر الدكتور عبـد الحليم محمود شيخ الأزهر أشهرت الآنسة سوزان ماكس مكادى الأمريكية الجنسية اسلامها ، بعد دراسة عميقة للدين الاسلامى وفهم لمبـادئه السـامية وأحكامه الصـادقة .. واختارت أن يكون اسمها سوزان محمد .

وقد أهداها فضيلة الامام الأكبر بعد أن أشهرت اسلامها مصحفا شريفا ومجموعة من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية ..

تهنئة للأخت سـوزان محمد ، ودعاء لها بالتوفيق فى ظل الاسلام ، وهدى كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ..

﴿ طالب المجلس القومى للتعليم فى اجتماعه يوم ١٥/٢/١٩٧٧ برياسة الدكتور محمد عبـد القادر حاتم المشرف على المجالس القـومية المتخصصة بتحقيق عدد من المبادىء الهامة لتحقيق التربيـة الدينية فى مختلف مراحل التعليم وهى :

١ ــ أن تتحول المدارس الى مراكز

للاشـعاع الدينى فى أثناء شـهر رمضان ويتولى المدرسون والطلاب تنظيم نشاط هذه المراكز •

٢ ـ الاهتمام بمناقشة الاتجاهات الالحادية عبر منهج علمى وعقـلى يبدأ من أول درجات السلم التعليمى ويتطور مع نمو عقل الطالب •

٣ ـ التركيز على المعاهد الدينية للفتيات •• لضمان سـلامة الأجيال القادمة ••

٤ ـ اعداد مادة للأخلاقيات فى الشهادات العامة تضـم درجاتها الى المجموع الكلى ••

٥ ـ اعـداد منهج موحـد فى الشهادات العامة يكون مقصـورا على الأخلاقيـات التى تتفق عليهـا جميع الأديان ، ويمكن الاسـتشهاد فيهـا بالنصـوص الدينيـة لـكل دين ويمتحن فيهـا جميع الطلبة ، وتضم درجات الامتحان الى المجموع الكلى ••

٦ ـ ضرورة الاسراع فى اعـداد أساتذة متخصصين فى فلسفة الأديان لمواجهة الغزوات الفكرية الدخيلة••

* قرر أعضـاء مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر التبرع بمكافأة شهر للمساهمة فى اصلاح المواصلات التى امتدت اليها يد المخربين ،وذلك فى الاجتماع الذى عقد برياسةفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحـليم محمود شيخ الأزهر يوم ٧٧/٢/٢٣ لبحث أسباب تأخير عقد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة ، وموضوع فيلم محمد رسول الله الذى يعرض خارج البلاد باسم (الرسالة) •

* أصدر فضـيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهـر قرارا بنـدب الدكتـور عبد الجليل شلبىالأمين العامالمساعد لمجمع البحوث الاسلامية للعمل أمينا عاما للمجمع وذلك لخلو المنصـب باحالة فضيلة الشيخ خلف السيدعلى الى المعاش •

* أصدر السيد ممدوح سـالم رئيس مجلس الوزراء قرارا بتعيين الدكتور عبد المنعم النمر مديرا عاما لتفتيش العـلوم الدينية والعربيـة للمعـاهد الأزهرية بالأزهر بالفئـة الأولى ، كما أصـدر قرارا بتعيين فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان مديرا عاما للوعظ من الفئة الأولى•

السعودية

❋عقد بالمدينة المنورة فى أواخر شهر صفر المـاضى المؤتمر الاسلامى العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذين سيقومون بدعوة الناس الى الخير وتبصيرهم بالدين الحنيف .

وقد حضره وفود من مختلف دول العالم الاسلامى للاشتراك فى المناقشة وابداء الآراء فى خطـط الدعـوة الاسلامية لتؤتى ثمارها المرجوة منها.

وقد وجه المؤتمر برقية الى الرئيس محمد أنور السادات استنكر فيهـا أعمال الشغب والتخريب التى وقعت فى مصر ، هذا نصها :

(فخامة الرئيس محمـد أنـور السادات ... حفظه الله ..

ان المؤتمر الاسـلامى العـالمى المنعقد فى المدينة المنورة لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ، والذى اشترك فيه علماء أكثر من ٧٠ دولة ، يستنكر بشدة أعمال التخريب التى يقوم بها الشـيوعيون فى مصر العربيـة الاسلامية ، ويطلبون من فخامتكم حل الحزب الشيوعى « اليسـار » حتى لا يكون للشـيوعيين مكان مشروع فى بلد دينـه الاسـلام ، كما يناشد فخامتكم أن تبقى العقيدة الاسلامية مستقلة نقية لا يشـوبها شىء) .

قبرص

❋ طالب السيد رءوف دنكتاش زعيم القبارصـة الأتراك بالعنـاية بالتربية الدينية فى المدارس القبرصية، وقال فى تصريح نه : آن اخوانـنـا الأتراك الذين حضروا لمساعدتنا فى الشئون الدينية يؤدون عملهم بجد ونشاط .. وأعلن أنه تم فتح مدارس للأئمة والخطباء لتحفيـظ القرآن الكريم .. وقال : ان المتخرجين من هذه المدارس ستسند لهم النـاحية الدينية .

اسبانيا

❋ قدم وفد يضم خمسـة من سفراء الدول العربية برياسة السيد سـفير الجزائر فى مدريد مشروع انشاء مركز اسلامى الى الملك خوان كارلوس الأول .

وسوف تقدم الحكومة الأسبانية الأرض التى سيقام عليها المركز وسط مدريد ، وستقوم ٤٢ دولة اسلامية بتمويل بناء المركز ، ومن المقرر أن يشتمل المركز على مسجد كبير ومركز ثقافى ومكتبة وقاعات للمحاضرات.

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر

لا مناص من تطبيق الحدود الشرعية

للكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وبعد :

يعلم الذين يتابعون تفسيرى للقرآن الكريم الذى بدأته بعون من الله وتوفيقه منذ أكثر من أربع سنوات وينشر على التوالى فى مجلة « منبر الاسلام » أننى لا أخوض فى المباحث الفقهية تاركا اياها للمتخصصين فى هذا الفرع والذين يتوفرون على دراسته ، هذا منهج التزمته وأنا بصدد تفسير القرآن الكريم ، ولكننى أجىء اليوم على صفحات مجلة « الأزهر » ويكفى اسمها ، شهادة على أنها تمثل أعظم جامعة اسلامية وأقدم دار للعلم فى الدنيا كلها لأطرح على صفحات هذه المجلة العظيمة أن الساعة قد حانت لتنهض كلية الشريعة وكل مشتغل بالتشريع الاسلامى من علماء الاسلام بصياغة مبادىء الشريعة الاسلامية فى مواد مقننة فى الأمور الجنائية مما يسميه الله تعالى فى كتابه الكريم «الحدود».

تطبيق الاحكام الشرعية آت لا ريب فيه :

•• فأما أن أحكام الشريعة الغراء سوف تطبق فهذه مسألة لا شك فيها عندى فهى الأصل والأساس . وهى التى كانت مطبقة فى مصر الى ما قبل الاحتلال البريطانى وما كانت مجموعة القوانين المدنية التى صدرت فى ظل الاحتلال تستطيع أن تستقر الا لأنها لم تكن على خلاف الشريعة التى اعتادها الناس فى معاملاتهم المدنية ، خصوصا وقد أضيف اليها ما اعتاده الناس من أنظمة شرعية كحق الشفعة مثلا أو نظام الوقف ، أو ما كان يسمى «بالبيع الوفائى» وذلك كله فى الوقت الذى ظلت فيه « الأحوال الشخصية » محكومة مائة فى المائة بالشريعة الاسلامية ، أى أن التشريع كان ينقسم الى ثلاثة أقسام : أحوال شخصية ، ومعاملات مدنية ، ومجموعة جنائية ، ولنبين موقف هذه الأقسام الثلاثة فيما يلى :

قوانين الأحوال الشخصية :

وهذه كانت وهى الآن وسوف تظل الى أبد الآبدين ان شاء الله

مستندة الى الشريعة الاسلامية كما قدمنا ، لأن الأمر فيها يستند الى العقيدة التى هى أعظم مقومات الانسان ، ومن هنا رأى الانجليز بكل سلطانهم أن لا يتعرضوا لهذا القسم من التشريع ، ولقد ظلت المحاكم الشرعية تقوم بدورها فى مصر على سبيل الاستقلال ، الى أن ألغاها الحاكم المصرى وضم قضاتها الى المحاكم العادية ، ولكن الأحوال الشخصية ظلت كما كانت دائما تستمد كيانها من الشريعة الاسلامية .

المجموعة المدنية :

أما المجموعة المدنية التى تتصل بالمعاملات بين الناس ، فقد سكت عنها الناس وقبلوا أن يقال لهم : انها مستمدة من القانون الفرنسى وليس من الشريعة لسبب بسيط جدا وهو أن مجموع أحكامها لا يختلف فى جوهره عما اعتادوه وألفوه .

وما زلت أذكر بفخر واعتزاز كيف كان « الشيخ أبو الفتح » يدرس لنا الشريعة فى كلية الحقوق « قسم المعاملات » وكان يروعنى ويأخذ بلبى مدى التطابق بين ما ينص عليه القانون المدنى وبين أحكام الشريعة ، مع تفوق الأحكام فى الشريعة ، وهو ما تنبه له فقيه هذه الأمة عبد الرزاق السنهورى عندما عدل مع آخرين القانون فجعل الشريعة الاسلامية نصب عينيه وهو يعدل القانون ، وانتهى به الأمر أنه عندما دعى لبعض البلاد العربية ليضع لها قوانينها المدنية استند فى وضعها الى الفقه الاسلامى باعتباره هو الأشمل والأكمل .

الاقرار للشريعة الاسلامية :

والاعتراف بعظمة التشريع الاسلامى مسألة لم يستطع أكثر الناس عداوة للاسلام الا أن يعترفوا به ، وكان أقصى ما قالوه للغض من هذه العظمة : أن الشريعة الاسلامية تأثرت بالقانون الرومانى ، حيث كانت جزيرة العرب التى بعث فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه فيها القرآن هو المكان الوحيد فى الدنيا الذى لم يمتد اليه سلطان الرومان المادى والمعنوى وهو يتألف من بيئة صحراوية لها تقاليدها وعاداتها من دون العالمين ، واذا كان المسلمون قد فتحوا الدنيا

بعد ذلك شرقا وغربا وورثوا فيما ورثوا حضارة من سبقوهم ، فقد تأثروا بما حولهم بكل شيء ماعدا الشريعة التى كانت رسالتهم تتلخص فى حملها للعالمين ، واذا كان فقهاء الشريعة الاسلامية راحوا يقننون على امتداد أربعة عشر قرنا فقد كان اعتمادهم فى ذلك أولا وأخيرا على القرآن والسنة ، ويتصور أقوام أن الاجماع والقياس مصدران من مصادر التشريع الاسلامى ، وهو تصور خاطىء ، فلا اجماع ولا قياس فيما يخالف القرآن والسنة ومعنى هذا أن القرآن والسنة هما مصدر التشريع الاسلامى ، وكبار أئمة الفقة الاسلامى يحنون الرؤوس جميعا أمام السنة اذا ثبتت ، فباطل مازعموه من تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى ، وانما حملهم على هذا الزعم ورعة ما صادفوه من تفوق التشريع الاسلامى « فتمحكوا » بحكاية التأثر بالقوانين الرومانية ليغضوا من شأن عظمة التشريع الاسلامى والفقه الاسلامى المستند اليه .

ولما كان لا يصح سوى الصحيح مصداقا لقوله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » فقد انتهت المؤتمرات الدولية لاعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع للدنيا كلها .

لماذا قبل المصريون القانون المدنى :

ونعود الى ما كنا بسبيله من أن المجموعة المدنية التى صدرت فى أيام الاحتلال والتى استمدت أحكامها من القانون الفرنسى الذى استمد بدوره أحكامه من القانون الرومانى لم تصدم المصريين عند التعامل فهى لم تخرج عما ألفوه ، وكان الشيء الوحيد الذى انطوى عليه القانون المدنى مما يخالف أحكام الشريعة هو موضوع الربا ، وما كان القانون المدنى ليجرؤ على اباحته فقد انطوى قانون العقوبات على جريمة الربا الفاحش ولما كان المصريون فى ذلك الوقت نهبا للربا الفاحش الذى وصل الى حد ٣٠٪ فقد سكت المصريون عن قانون يجعل أقصى الفوائد المسموح بها هو من خمسة

الى سبعة فى المائة ، وظل الشعب فى معاملاته ينأى بنفسه عن التعامل بالربا .

المجموعة الجنائية :

نصل الآن الى القسم الثالث من التشريعات الوضعية التى عاصرت الاحتلال هنا وهنا فقط ، نجد تعطيلا صريحا لا لبس فيه ولا غموض للحدود الشرعية فاستبدلت عقوبة قطع اليد فى السرقة بالحبس والسجن ، كما تغير الموقف تماما بالنسبة لجريمة الزنا ، وفى جريمة القتل أسقط حق أولياء الدم فى أن يتقاضوا الفدية أو أن يعفوا ، ولما كان فى هذا الأمر تجاوز خطير فقد نشأت جرائم الأخذ بالثأر التى لا تزال مستمرة حتى الآن ، كما استشرت جرائم السرقة بصورة لم يشهدها المجتمع المصرى فى كل تاريخه من قبل .

على أن واضع القوانين الجنائية لم يستطع وما كان له أن يغفل الشريعة الاسلامية ، حتى وهو يريد أن يتجاوزها ، فنراه فى مقدمة قانون العقوبات ، يقول بالنص :

« لا عقوبة على كل عمل ارتكب بنية سليمة عملا بحق مقرر بمقتضى الشريعة الغراء » .

وقد حاولوا فيما بعد أن يقصروا هذا النص على حالة تأديب الزوج لزوجته والأب لأولاده ، ولكن ذلك كله وهم وعبث قيل فيما بعد ، ولكن النص صريح فى أن لاعقاب على أى عمل ارتكب بنية سليمة بمقتضى حق مقرر فى الشريعة كما تضمن القانون استشارة المفتى قبل الحكم باعدام انسان .

والمهم أنه حتى بالنسبة لقانون العقوبات الذى أغفل الحدود الشرعية لم يستطع وما كان له أن يصادر وجوب احترام الشريعة الاسلامية .

ولا كلام لى فى قوانين الأحوال الشخصية وما يتصل بها من أحكام المواريث والوصايا والقوامة والأوقاف وغيرها ، فهذه كانت وستبقى شرعية مائة فى المائة كما لا قول لى بالنسبة للمجموعة المدنية

فى المعاملات،فتفوق الفقه الاسلامى فى هـذه الناحية ، سيجعل اتخاذه أساسا فى المعـاملات مسألة أعوام معـدودة والمجتمع الاسـلامى فى طريقه الى اسقاط الربا فىمعاملاته .

وجـوب تطبيق الشريعة الاسـلامية فى الحدود :

وانمـا اخـترت مجـلة الأزهر بالذات لأسـتحث المسـلمين على وجـوب الاسراع باقامة الحـدود الشرعية كما نص عليها القرآنوعلى رأسها قطع يد السارق .

وأبادر لأكشف الزيف والنفـاق فى الادعاء بأنهـا عقـوبة قاسـية ولنسـتعمل تعبير المعترضين بالذات حيث يصـفون عقـوبة قـطع يد السارق بأنها « وحشية » ووجـه النفاق هنا : أن الانسانية لم تشهد فى كل تاريخهـا جـرائم وحشـية ترتكب بطريقة منظمة وشرعية كما يجرى فى أيامنا هذه ، ولن أتحدث عن الأمثلة فهى أكثر من أن تعـد ويصـبح كل حديث عن قـطع يد سارق زجرا لغيره أنه وحشى . هو من الناحية الاسلامية لون منألوان الكفر ، وهو من الناحية الانسانية العـامة نفاق وثرثرة وشقشقة فما أكثر الأيدى التى أصبحت تقطعمن الآلات فى المصانع ناهيك بالأيدى والأرجل التى تقطع تحت عجـلات القطارات والسيارات والأجسادالتى أصبحت تمزق تمـزيقا مخيفـا فى حـوادث الطائرات ، وكل هـذه أصبحت أمورا عادية فى حيـاتنا ، فالتحدث بفزع عندما يقـال تقطع يد سارق لايقاف السرقة هو فزع من لا ايمان له .

وأى اعتراض يمكن أن يسـاق ضد هذه العقوبة هو مجرد لغـو وشنشنة لا تثبت أمـام التحليـل البسيط .

فمن الاعتراضات التى تواجهك على الفور عنـدما تقول تقطع يد السارق ، القول بدون تفكير « اذن سنقطع يد أكثر الناس » .

تجربة من السعودية :

أما نحن فلن نلقى الـكلام على عواهنه فأكثر الناس لا يسرقون ، ولا يسرق الا أقل من القليلوعندما

تقطع يد واحدة فسيتحول هذا القليل الى نادر وما دون النادر .

وليس هناك ما هو أسخف من القول : ان ذروة العقوبات وهو الاعدام لم يمنع الناس أن يقتلوا والجواب على ذلك أنه لولا عقوبة الاعدام لقتل كل انسان لأوهى الأسباب .

بقى أن قطع يد السارق أشد زجرا من الاعدام نفسه فالموت هو نهاية كل حى: الأبرار والأشرار على السواء ، وليس كذلك قطع اليد فمن لا يسرق لا تقطع يده .

فمهما قيل عن شدة العقوبة فهذا هو المقصود بها وكل من يستهولها أو يستكثرها فما عليه الا أن يبتعد عن السرقة ، بل لا يفكر فيها ، وأمامنا تجربة حية لا أحسب أن البشرية شهدت لها مثيلا من قبل، ففى بلاد الحجاز ، حيث كان الناس يحجون الى بيت الله الحرام ، كان الحجاج يسرقون وينهبون ويقتلون قتلا ، فى غير تأثم أو تحرج وكان البدو يرون أن ذلك حقهم الطبيعى واضطرت مصر من ناحية والشام من الناحية الأخرى والعراق من ناحية ثالثة أن ترسل كل منها قوات مسلحة لحماية الحجاج والويل لمن يبتعد ولو بضعة أمتار عن القافلة التى تسير فى حماية الجيش فموتاً كان يموت بعد أن يسرق وينهب ، وجاء عبد العزيز آل سعود ووضع نهاية لكل ذلك ، واليوم يسافر الحجاج ويشرقون ويغربون وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم متصورين أن ذلك أمر طبيعى جدا ونسوا أن ثمن ذلك كان اقامة حدود الله ، فانقلبت الصورة من النقيض الى النقيض وحجاج بيت الله لا يشهدون اليوم قطع يد أحد ، حيث تم هذا مرتين أو ثلاث منذ أربعين سنة وانتهى كل شىء .

فعندما نتحدث عن قطع يد السارق فانما هما يدان أو ثلاثة تقطع ثم يتوقف كل شىء . وما أبخس هذا الثمن لتخليص مجتمع بأسره من السرقة .

بعض الضوابط :

فلندع اذن شقشقة المشقشقين ، وولولة المولولين ، فانما يفعل ذلك من لا يؤمنون بأن القرآن تنزيل من الله الذى يعلم دون غيره أين يوجد صلاح البشر فلنمض قدما فى اقامة الحدود وليشرع فقهاء الدين وعلماؤه ليضعوا الضوابط والقواعد لاقامة حدود الله وأسمح لنفسى بأن أحدد بعض الأمور التى يتعين على الدارسين أن يبحثوها استعدادا ليوم قريب سوف تنفذ فيه هذه الحدود ان شاء الله .

وأول ما يجب تحديده على ضوء القرآن والسنة وأقوال سائر فقهاء الدين من سائر المذاهب بما فى ذلك فقه الشيعة الذى يعتمد على القرآن والسنة ، واذا كان هذا هو ما درج عليه العمل فى الأمور المدنية فمن باب أولى عندما يتصل الأمر بالعقوبات التى تصل الى حد قطع اليد .

وأذكر أن أحد علماء مصر الأفاضل قد حاول منذ قرابة نصف قرن أن يفسر حد «قطع يد السارق» بأن المقصود به هو كف يد السارق عن السرقة وقد أهاج الدنيا وقتئذ ولكنه اجتهاد على كل حال (ربما يكون قد أراد به أن لا يظهر مصر الاسلامية بمظهر الدولة التى تعطل حدا من حدود الله) ومسألة قطع يد السارق مسألة ليست محلا للاجتهاد فهى عقوبة نص عليها القرآن الكريم وطبقت بالفعل ولدينا الأحاديث الثابتة الصحيحة فى غضبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حاول البعض أن يتشفع فى قطع يد سارق وقال كلمته المدوية على مر الزمن والتى تنطق بأنه رسول الله حقا وصدقا ، ومن هنا فقد حفظها المسلمون جميعا كجزء من تراثهم الغالى وحضارتهم التى تعلو على كل الحضارات :

« والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » .

فمسألة قطع يد السارق ليست محلا للاجتهاد فضلا عن الايقاف، والتعطيل .

دفع بعض الأقوال :

وهنـاك بعض الأقوال اليـوم يقولها بعض من لا نشك فى اخلاصه لدينه وشـديد حرصـه على رفعة الاسلام، ومن هنا فهو يسوق الرأى الذى يتصور أنه الأحجى والأجدى والقاعدة الشرعية بنص القرآن هى أن تـكون الدعـوة الـى اللـه « بالحكمة » والحكمة هذه مسألة تقـديرية تختـلف بحسب الزمان والمكان والظروف والملابسات .

وهذا الرأى الذى يقال هوتوفير الجو الاسلامى والتربية الاسـلامية أولا ثم قطع يد السارق بعد ذلك، وعندنا : أنه متى توصـلت أغلبية المجلس التشريعى الى أن الوقت حان لنشرع فى تنفيذ الحد المعطل ، فان ذلك يكون هو كل الجو والتربيـة الاسلامية المطلوبين ، اذ لا توجد لدينا وسيلة ولا يمكن أن توجـد وسيلة غـير هـذه فعـلى علمـاء المسلمين ــ شيوخهم وشبابهم ــ أن يصلوا الى هذه النتيجة .

سيدنا عمر وموضوع السرقة :

وثمة قول يتردد وأصبح يساق باعتباره من المسلمات وهو :أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عطل حد قطع يد السارق فى عام المجاعة، ومعاذ اللـه أن يعطل سـيدنا عمر ومن هو فوق سيدنا عمر حدا من حدود ، والا لمـا كان سيدنا عمر ! ؟

والذى حـدث فى منتهى علمى (وقد عشت طول عمرى أنقب فى هذه المسألة) أنه جىء لسيدنا عمر بخادم ادعى عليه من يعمل عندهم ، أنه سرق بعض ما أكـله ، وبعـد تحقيق القضية صرف سـيدنا عمر الموضوع كله وزجر السادة الذين جاءوا اليـه بالخادم الذى سرق ، وهـددهم اذا أجاعوا خـدمهم فى المستقبل ، فسوف يعاقبهم هم ، هذه الحادثة هى التى تروى عن سيدنا عمر تصرف فيها التصرف الـكامل المثالى الذى يبقى الى أبد الآبدين مشعلا من النور يضىء الطريق أمام البشر .

ونلاحـظ بداءة ذى بدء أنه لم يعطل حدا من حدود الله وما كان له أن يفعـل وحاشاه ، حقـا ان السـادة فى ذلك الزمان تصـوروا وكانوا يحبون أن تقطع يد من سرقهم

بزعمهم فلما أن حقق سيدنا عمر الواقعة تبين له أن لا سرقة هناك فالخادم يعمل عند من اتهموه وهم مسئولون عن اطعامه فلما لم يفعلوا امتدت يده الى ما يسد به غائلة الجوع ، أى أن الخادم كان فى حالة ضرورة والقاعدة الشرعية الثابتة بنص القرآن أن الضرورات تبيح المحظورات «فمن اضطر غيرباغ ولا عاد فلا اثم عليه» .

فسيدنا عمر رضوان الله عليه لم يعطل حدا من حدود الاسلام بل أعمله عندما طلب من السادة أن يطعموا أتباعهم والا عاجلهم هم بالعقوبة .

ولقد كنت (وغفر الله لى) ممن كان يردد هذا القول غير الصحيح من أن سيدنا عمر أوقف حد قطع يد السارق فى عام المجاعة ، ولعل فى اعترافى بهذا الذنب واستغفارى عنه يكون درسا للشباب أن لا يتسرعوا فى اصدار الأحكام .

من هو السارق :

والآن وقد فرغنا من مناقشة رأيين قال بهما بعض من نجله ونحترمه ، نعود لجوهر قضيتنا والذى يتلخص فى وجوب اعمال حدود الله ويكون المبحث الأول الذى يجب أن يبحثه أولو العلم والمتخصصون هو تعريف من هو السارق ، ففى تصورنا مثلا (ولا نلزم به أحدا ولا نقول عنه : انه عين الحقيقة) وانما هو مجرد تصور نطرحه ليكون تحت نظر الباحثين ، وهو : أن السارق والسارقة هما من أصبحت صفة السرقة اسم لهما وهذا لا ينطبق الا على من اعتاد السرقة ، وفى الصورة التى مرت بنا فى الحادثة التى وقعت أيام سيدنا عمر لم ير فى المتهم أنه سارق والا لما تردد لحظة فى قطع يده ، فهذا الحادث يفرض علينا فرضا أن نحدد : من هو « السارق » وأرى فى كل الأحوال أن لا نبدأ بقطع يد الا من اعتاد السرقة ، أى أصبح يوصف بـ (السارق) ، ومرة أخرى أذكر بأننى لا أفتى فلست من أهل الفتوى وانما هو رأى أسوقه ليكون تحت نظر الباحثين واستغفر الله عما أكون قد وقعت فيه من خطأ عن حسن قصد .

ما هو القدر المسروق :

ثمة موضوع آخر للبحث للوصول فيه الى التحديد :هو القدر المسروق .

فليس يكفى أن يقال : انه « كذا درهم » ثم يقال والدرهم يساوى اليوم « كذا » ؛ ان المسألة أدق وأخطر من أن تساق بهذه البساطة فأنا مثلا ـ وأتحدث عن تجربتى الشخصية ـ عشت وأهل بيتى عيشة رغدة جدا فى آخر الثلاثينات بخمسة قروش فى اليوم (لحم وخضار وخبز وفاكهة) وهو مالا يقل مقداره اليوم عن جنيهين أو ثلاثة ، فتحديد قدر يساوى هذا الذى كانت تقطع بسرقته الأيدى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة أساسية ، وهو أمر لا يستعصى على الباحثين ، والمهم أن الموضوع لا يجب أن يغيب عن التقدير .

ادرأوا الحدود بالشبهات :

بقى أننى عشت طول عمرى كمحام أستطيل فى مرافعتى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرأوا الحدود بالشبهات » وهو أمر علوى سماوى ؛ أن نسعى جاهدين بالتوقف، عن اقامة الحد لمجرد الشبهة ، فليس الأمر انتقاما ولا هو تشف انما هو زجر يراد به الاصلاح والقاضى مأمور أمرا أن يدرأ اقامة الحد لدى أى شبهة تقوم فى نفسه .

والخلاصة :

أختم هذا البحث بما ابتدأت به من أن تطبيق الحدود الشرعية آت لاريب فيه فعلى مجمع البحوث الاسلامية وعلى كل علماء المسلمين أن يستعدوا بالدرس والاستفادة من كل أقوال من سبق من الفقهاء وأن يضعوا ما يشاءون من الضوابط والتعريفات ، والمهم أن يد السارق يجب أن تقطع وأن تعرف الدنيا كلها أن حضارة مصر تقوم على تنفيذ الأمر الالهى وهو « قطع يد السارق » .

والله ولى التوفيق .

احمد حسين

الفهـــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة

محمد حمدى السعيد

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٩٢٩س١٩٧٧-١٢٠٠٢

Deputy Prime Minister to participate in the funeral of the late President of India. This demonstrates once again the bonds of ever lasting friendship that exist between our two countries." Ambassador Chib also recalled the special meeting organised at the Al Azhar University when President Fakhruddin Ali Ahmed visited Egypt in December 1975. He mentioned the speech made by the late President on that occasion in which he had highlighted the similarity of approach between India and Egypt in the matter of religious tolerance.

(Continued from page 14)

before, the Shiite sect does not recognize custom as a Law, whereas the Hanafi sect under certain dircumstances considers custom as a legal rule ; e.g., fruits can be measured on trees on the basis of custom although the weigh of the fruit may not be known. According to the Sunni Sect ; whenever a tradition exists as a result of custom, if such custom changes then the tradition also changes. For instance, at the time of the Prophet of Islam, wheat, barley and dates were measured in bulk but when this custom was changed the form of measuring changed accordingly as well.

THE SILENCE OF LAW.

Does custom become a Law when the law remains silent ? In the Civil procedure code of Iran (Article 3) it is stipulated that, during instances where the Law remains silent in a particular case, the judge may resot to custom and thus has accepted custom as common practice. But according to Islam, the lack of rule in certain cases does not necessarily allow custom to control.

ENGLISH SECTION

AL-AZHAR CONDOLES ON THE DEATH OF PRESIDENT FAKHRUDDIN ALY AHMED

The Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Abdul Haleem Mahmoud, sent cables of condolence to the Indian Prime Minister, Mrs. Indira Ghandi, and the New President, Mr. Jatti, on he death of the late President of India, Fakhruddin Ali Ahmed. A delegation consisting of the deputy Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Abdul Rahman Bisar, Dr. Abdul Jaleel Shalaby, the secretary general of the Islamic Research Academy, and Sheikh Abdul Hakeem Naana, the Director of the office of the Grand Sheikh, attended the condolence meeting held at the Indian Embassy, Cairo, to pay homage to the late President Fakhruddin Ali Ahmed.

The President of India H.E. Mr. Fakhruddin Ali Ahmed passed away at 0852 hours on Friday, February 11, 1977 after a heart attack.

The Government of India have declared a period of 13 days as official mourning.

The funeral of the Late President was held on Sunday the 13th February, 1977 afternoon.

A condolence meeting was held at the Indian Embassy residence at 12 P.M. on February 13, 1977, to pay homage to the late President of India His Excellency Mr. Fakhruddin Ali Ahmed. Speaking at the occasion His Eminence Dr. Mchammad Abeul Rahman Baisr, Deputy Grand Sheikh of Al Azhar said : "Mr. Fakhruddin Ali Ahmed, the second Muslim President of friendly India was a great patriot and a good Muslim who had deep faith in the principles of peace and firendship between India and all the nations of the world." Also present at the function were H. E. Ambassador Abbas Seiful Nasr, former Arab League Ambassador to New Delhi. Ambassador Seiful Nosr, said : "The loss is not only for India but for the entire world particularly the Arab world whose true and steadfast friend President Fakhruddin Ali Ahmed was. He gave unflinching and steadfast support to all Arab causes throughout his life."

Speaking at the occasion H.E. Ambassador Ashok Sen Chib said : "We are heartened and touched by the message of sympathy sent by the President of Egypt to our Prime Minister and by his action in declaring an official state of mourning throughout Egypt for one week and for sending an eminent leader H. E. Dr. Hafez Ghanem,

meaning understood by customary Law."

3. To interpret the intention of the contracting parties where the purpose is not clearly specified, and the law does not carry a stipulation about the purpose. Under such circumstances resort to custom becomes inevitable as provided for by articles 369, and 375-382 of the Civil Code of Iran.

Neither the Ottoman Civil Code (which is in fact the Law of a Moslem country based upon Hanafi sect and does not incompass all Moslem communities rules because there exist a great difference between how the Islamic Governments function and what Moslem do as well as the Moslem Law) nor other descriptive books annotating it have ever regarded custom as a source of Law. For example ; Eben Najim's book gives us a long narrative on custom with a great deal of examples how custom would operate in Islamic legal System. Exceptions are found in this book in cases pertaining to running water, the bulky nature of goods, and money interst, but in general, custom is not accepted as Law. There are several instances in this book where custom is regarded as Law, e.g. eating fruit that falls from trees, presenting gifts to judges before they are appointed and the giving of special gratuitues to judges, school teachers or priests. Use of food and drink for guests is also one of the cases mentioned in this book which is considered a custom.

Types of Customs

There are various types of cutom; some Islmic other have enumerated nine kinds of customs, but we will only consider two of them.

1. Oral and practical custom.

An oral custom is an act that means the normal exclamatory utterances of the people. A practical custom normally occurs in transactions ; e.g., the delivery of gas cylinder to consumer's place.

2. Common and particular custom.

A common custom is one that is practiced by all the people. A particular custom is one that is practiced by a special group of people. For example, inviting guests to a wedding party is a common custom, whereas payment of nursing money is a particular custom exercised in certain localities. Custom can be caled common or particular from the standpoint of time too.

CONFLICT BETWEEN CUSTOM AND LAW

In case of conflict between a custom and religious Law which one would prevail ? As stated

• Continued on page 16 •

The Ottoman Civil code accepts custom as the basis of Law but Ottoman Civil Law cannot be accepted as the basis of Islamic Law. The Hanafi sect recognizes custom and their values as previously stated Ebn Nejim has regarded custom as essential as does the Ottoman Civil code. Ebn Abideen has also analyzed the matter and has regarded common custom as valid but has hesitated in recognizing particular cusome as valid.

THE VALIDITY OF CUSTOMS IN SHIITE SECT.

What does the Shiite profess about the compulsory nature of customs ? According to one of the contemporary Islamic scholars of the shite sect, in Islam, customs carry no legal value and therefore cannot be consídred as a religious order. A custom can be a means to express ideas or decisions in a certain matter. For example if a porter customarily carries goods to your front door you cannot expect him to carry those goods into the house. You may only request him to do so contrary to custom.

CONCLUSION :

Custom in Islamic Law does not substitute the Law, however it might be used as a guidance for decision making. If no Law could be traced to cover a particuler case, the judge is not allowed to pass his judment solely upon a custom. i. e. custom may be taken into consideration in the decision making process, but never as a valid basic rule. A custom can be utilized under the following circumstances :

1. Construing the Law, for instance, with regard to determining the age of maturity a custom may help us in ascertaining whether or not a particular person has attained he age of maturity or not.

Furthermore, an operative mistake would affect the validity of a contract, however, to determine whether a particular item is a part of the object of a transaction or not custom should be resorted to, e.g. when the optician sells a pair of eyeglasses, custom will define whether the glass case is included as part of the object of sale. A landowner may, at the expense of his neighbor, utilize his property provided that such utilization is essential to satisfy his needs or required to guard himself against a loss. The Civil Code of Iran specifies that certain categories of litigation should be setled in accordance with custom.

2. Custom also plays a major role in determining the meaning of contract terms and legal documents. Article 224 of the Civil code says :

"The wording of a contract shall be interpreted according to the

to constitute a custom.

2. Acceptability : Only those acts are accepted by pablic which are considered to be normal. Eccentric personal or group behavior and tastes, therefore can not be regarded as the bases for custom. For instance, hippie style clothing has not yet become accpted because it is not compatible with the sensible behavior of the majority of people.

3. Imperative nature : any practice whose observance is regarded to be compulsory is an imperative custom ; e.g. in Iran a man makes offer to a woman for marriage. If an act is not regarded mandatory then it would not be a custom. Hence it is generally accepted that the following acts are not custom : wearing a wedding ring, and wearing mourning clothes.

Examples of custom in transactions

1. Once an order is placed with a tailor for a suit all material except the lining is provided by the tailor ; (e.g. needles, thread, sleeves, and buttons). If the tailor furnishes the lining he charges extra for it.

2. Tipping shop attendants and asistants in the bazar used to be a custom in the past.

3. Another example of a custom is when a shopkeeper supplies his customers with bags for goods bought by them, whereas the customer should produce carton for goods bought ; if they are large and bulky. While some stores furnish their customers with carton but it is not a repetitive act and therefore has not become a custom.

THE VALIDITY OF CUSTOM IN HANAFI SECT

Some writers on Islamic Law maintain that custom cannot be recognized as a basic source of Law as laid down in the Holy Quran, but it might be considered as a Pre-requisite element of Islamic legal system upon the following grounds :

1. A number of traditions have been established on the basis of custom e.g., measuring wheat and barley by containers since they are considered bulk goods.

2. Some customs of the Arabs were accepted by the Prophet, and incorporated into the written Law of Islam :

3. With the progress of Islam and the conquest of other lands, all customs and traditions which were not in agreement with the Holy Quran and the Tradition of the Prephed, were abolished. Only those customs and traditions were approved which contributed to public welfare and order.

CUSTOM AND ITS SIGNIFICANCE IN ISLAMIC LAW

by

Dr. Abul Hassan Muhammadi

Faculty of Law, Tahran University, Iran

(The views expressed in the article are those of the author, and do not necessarily represent the views of the Magazine)

The vital and indispensable role which custom plays, in many legal systems has attracted the keen attention of prominent scholars of jurispodence, thus enriching this practical source of Law.

Custom as a source of Law, has always played an important role in the formation and development of social relation. This has been true in British and American Law, in Roman Law to a great extent, and in French and Iranian Law to a lesser degree.

The purpose of this article is to discuss and analyse only a few aspects of the subject in Islamic Law.

Study and research of matters that are considered compulsory custom can be classified as follows.

Some of Islamic scholars have dealt with custom in their books extensively among them we can name : Ibn Najim and Ibn A'bideen of the Hanafi sect, and Soiuti of the Shafei sect.

The Ottoman Civil code which followed Hanafi rules recognized custom and its validity. Article 36 of al-Majalleh is based on the theory

Definition of Custom.

Custom is defined in numerous ways by various scholars. It is described, in principle, as a practice agreable to common sense which has been repeated over generations and whose observance is considered to be compulsory

Elements of Custom

The three major elements of custom as derived from the above definition are as follows : Repetition, Acceptability and Imperative nature.

1. Repetition : A practice can be assumed as custom if it is repeated over a long period of time. For instance, it is considered a custom to entertain guests with food and beverage because as an act of courtesy, this has been repeated over many generations. While, on the contrary, giving gift to them has not

faces ... and (wash) your feet" as is done at the time of performing ablution with naked feet. The second reading, that is .... means ...... "wash your faces and wipe your heads and (wipe) your feet" with wet hands. The second reading allows one to wipe one's feet with wet hands, provided that one had washed one's feet and put on thick socks after the performance of the previous ablution. This concession holds good for 24 hours at home and for 72 hours during a journey. It is obvious from the two instances that in the variant readings, there is absolutely no contradiction in essence. On the other hand, they make the meanings all the more comprehensive. And the same is true of all the other variant readings.

orally because of the general illiteracy and scarcity of paper. Little difficulty was, however, felt by the literate Arabs in deciphering this script. Therewere thousands of such persons who had learnt the whole of the Quran by heart from the Holy Prophet himself and his Companions. They followed and taught the same reading that they had learnt - from the Holy Prophet and his Companions.

Hadrat Uthman not only sent an authenticated copy of the Quran to the different centres of Islam, but also sent a Qari along with it in order to preserve that correct reading which was taught by the Holy Prophet himself.

—With the passage of time it was felt that there should be vowel points to preserve the correct reading of the Quran. Accordingly, at the instance of Zaid, the Governor of Basrah (45 to 53 A. H) dots were assigned for vowel points. Then during the rein of Abdul Malik (65-85 A.H.) Hajjaj bin Yusuf appointed scholars to assign new symbols for vowel points and dots to distinguish between the similar letters. The same practice continues to the present time.

From the above historical facts, it must have become clear that the reading of the Quran (with a few minor variation) is the same as practised and taught by the Holy Prophet. All the scholars and Qurra of the Quran have been unanimous in asserting that only that reading will be authentic which (a) conforms to the script of the copy circulated by Hadrat Uthman and (b) complies with the levicon of Arabic, its usages, idioms and grammar, and above all (c) is traceable by genuine and contiuous links to the Holy Prohet himself. That is why there are only a few variations in its reading and those are not contradictory in their meaning but enlarge their scope and make them more comprehensive. Thus there is absolutely no doubt that the Holy Propht himself practised those various reading in the instances which exist today and they make the meanings more comprehensive.

For example, let us take the two authentic readings of (a) verse 3 of Al-Fatihah and (b) verse 6 of Al-Ma'dah. One reading of 1 : 3, that is means the "master of the Day of the Judgement" and the other reading means, "the Sovreign of the Day of Judgement". It is obvious that these two reading make the meaning of the verse all the more clear. (c) One reading of V : 6 that is, means" ......wash your

such a possibility did not exist at that time, it was an act of most prudent foresight to make the Quran safe and secure against any possible alteration in the future by burning all other copies.

The Quran, which is now in use allover the world, is the exact copy of the Quran which was compiled by the order of Hadrat Abu Bakr and copies of which were officially sent by Hadrat Uthman to different places. Even today many very old copies are found in big libraies in diffent parts of the world and if anyone had any doubt as to whether the Quran has remained absolutely safe and secure against every kind of change and alteration, ne can compare any copy of the Quran with any of these copies and reassure himself. Moreover, if one gets a copy of the Quran from a bookseller, say, of Algeria in Africa in the West and compares it with a copy obtained from a bookseller, say, of Java in the East, one will find both the copies to be identical with each other and also with the copies of the Quran made during the time of Hadrat Uthman. If even then anyone has any doubt left in his mind, he is advised to take any copy of the Quran from anywhere in the world and ask anyone, out of the millions who know the Quran by heart, to recite it word for word from the beginning to the end. He will find that the recitation conforms word for word to the written text. This is a clear and irrefutable proof of the fact that Quran which is in use today is the same Quran which was presented to the world by Muhammad (Allah's peace be upon him). A sceptic might entertain doubt about its revelation from Allah, but none can have any doubt whatsoever regarding its authenticity and immunity and purity from any and every kind of addition or omission or alteration, for there is nothing so authentic in the whole human history as this fact about the Quran that it is the same Quran presented by the Holy Prophet to the world.

Now let us consider the case of the variant reading of the Quran for their existence has created the misunderstanding that it has not remained intact. The following facts will help us to understand their nature and extent :

1.—The Arabic script adopted by the amanuenses of the Holy Prophet during his lifetime had neither dots nor vowel points. The same was the case with the copy of the Quran compiled by Hadrat Zaid during the time of Hadrat Abu Bakr and also with its copies circulated by Hadrat Uthman.

2.—Though the correctness of the Quranic text was ensured in written form, the work of its propagation was done

clear proof of the fact that he must have followed some order. And we have already cited a Tradition to the effect that Hadrat Zaid attended the second of these two last recitals. Likewise those Companions, who had committed the whole of the Quran to memory, must have done it in some order and that, too, could not have been any other but one followed and taught by the Holy Prophet.

Imam Malik says, "The Quran was compiled in the way the Companions heard it from the Holy prophet." Moreover, at several places, the Quran speaks of itself as a Book. For example, in surah Muzzammil, an early Makki revelation, Allah says to the Holy Prophet, '.......... recite the Quran in order ....' LXIII : 4. This also shows that the Quran was meant to be a Book from the beginning of the revelation and a book must follow some order.

D fference of Dialects

Though Arabic was the common language of the whole of Arabia, there existed some variations in the dialects of different parts and tribes.

For obvious reasons the Quran was revealed in the dialect of the Quraish of Makkah. However, the Arabs living in different parts ot the country were, at first allowed, for the sake of facility, to recite it according to the dialect of their own clan or distrcit but this did not produce any difference in its meanings. But when Islam spread beyond the boundaries of Arabia and the Arabs came into contact with the non-Arab Muslims, the Arabic language gradually began to be influenced by its new environment. Then it was feared that the different dialects of the Quran might give rise to various kinds of mischief and might cause disputes among persons having different dialects. They might even begin to accuse one another of tampering with the Quran. Moreover, there was danger that the pure and beautiful Arabic of the Quran might be alltered or changed by those Arabs who came in contact with non-Arabs. Therefore, caliph Uthman, in consultation with other Companions of the Holy Prophet, decided that the authenticated copies of the Quran compiled by the order of Hadrat Abu Bakr, should alone be used in the whold of the Muslim world, and the use of all other copies in any other dialect or idiom should be prohibited. As a precautionary measure, he had all the other existing copies burnt to ward off any possibility of future confusion and misunderstanding. For instance, some of the Companions had noted down explanatory words and comments on the margins of their copies and it was feared that these might get mixed up with the original text of the Quran. Though

memory. Then it occurred to Hadrat Umar that necessary steps should be taken to preserve the Quran intact in its original form against any every kind of danger and that it was not wise to depend exclusively upon those who had learnt it by heart. He, therefore, urged that it was essential to put the whole of it in black and white in the form of an authenticated book. He tried to impress the necessity of this step on Hadrat Abu Bak, who at first showed hesitation to do what the Holy Prophet had not done. But after some discussion, he agreed to it. Accordingly, he entrusted this work to Hadrat Zaid bin Thabit who also showed hesitation at first like Hadrat Abu Bakr and for the same reason, but at last he was convinced and he undertook this historic work.

And he was best qualified for this work. He had frequently acted as an amanuensis to the Holy Prophet and was one those Companions who had learnt the Quran directly from him. Moreover he also was present on the occasion when the Holy Prophet recited the whole of the completed Quran to angel Gabriel. Arrangements were, therefore, made to collect and gather all the written pieces of the Quran left by the Holy Prophet, and those in the possession of his Companions. Then with the cooperation with those Companions who had committed the whole or any part of the Quran to memory word for word, all the written pieces were compared with each other for verification. Hadrat Zaid would not take down anything in his manuscript unless all the three sources tallied with one another. Thus was compiled one correct, authenticated and complete copy. This authenticated copy of the whole Quran was kept in the house of Hadrat Hafsah (Hadrat Umar's danghter, and one of the wives of the Holy Prophet) and it was procalimed that anyone, who desired might make a copy of it or compare with it the copy he already possessed.

As regards the sequence of the surahs, Zaid followed the same order that was followed by the Holy Prophet himself because he could not and would not have followed any other. He was so particular about following the Holy Prophet in every-thing he did, that, at first, he hesitated to undertake the work of the compilation just because this had not been done during the life-time of the Prophet.

It is therefore, wrong to suppose that the surahs were arranged in the existing order after the death of the Holy Prophet. The very fact, that the Holy Prophet recited the whole of the Quran twice before Gabriel during the last Ramadan of his life, is a

In this connection, another thing should also be kept in view. It does not suit the purpose of the Quran that all the surahs dealing with similar topics should be grouped together. In order to avoid one-sidedness at any stage of its study, it is essential that the Makki surahs should intervene between the Madani surahs and that the Madani surahs should follow the Makki surahs, and that the surahs revealed at the earliest stages of the Movment should come between those revelaed in the later stages so that the entire picture of the complete Islam should always remain before the reader. That is the wisdom of the present order.

It should also be noted the surahs of the Quran were not arranged in the present order by this successors but by the Holy Prophet himself under the guidance of Allah. Whenever a surah was revealed, he would send for one of his amanuenses and dictate it word for word and direct him to place it after such and such and before such such surah. Like-wise in teh case of a discoure or passage or verse that was not meant to be an independent surah by itself, he would direct him to the exact place where it was to be put in the surah of which it was to form a part. Then he used to recitie the Quran during the Salat (prescribed prayer) and on other occasions in the same order and direct his Companions to remember and recite it in the same order. Thus it is an established fact that the surahs of the Quran were arranged in the present order on the same day that the Quran was completed by the one to whom it was revealed under the guidance of the One who revealed it.

Compilation

Allah who revealed the Quran Himself made arrangements for its safety and security for ever.

No sooner was a passage of the Quran revealed than it was recorded on leaves of date-palm, bariks of trees, bones, etc., at the dictation of the Holy Prophet and all these pieces were put together in a bag. Besides this, some of his Companions themselves wrote these pieces for their own use. At the same time, the Muslims committed these passages to memory as they had to recite them during Salat which was obligatory from the very beginning of Islam.

Though many Companions had committed the whole of the Quran to memory during the life-time of the Holy Prophet, it had not been compiled in book form. But immediately after his death, an event occured that necessitated this work. A furious storm of apostasy broke out and many of the Companions, who went to war to suppress it, were killed. Among these martyrs were some of those who had committed the whole of the Quran to

AN INTRODUCTION TO THE STUDY OF QURAN - III

By

Moulana Abul Aala Maududi

ORDER

A little thinking in the light of the difference between the Makki and the Madani surahs will also answer the question why the surahs of the Quran were not arranged in the sequence in which they were revealed. This question is also important because it has been used by the enemies of Islam to create misunderstandings about the Quran and make ridiculous conjectures about the present arrangement of surahs. They are of the opinion that "Muhammad's (Allah's peace be upon him) followers published it, without any discernable order as to chronology or otherwise, merely, trying as would seem, to put the longest chapters first ......"

Such conjectures as this are based on ignorance of the wisdom underlying the order of the Quran. Though it was to be the book for all times, it had to be revealed piece-meal in twenty-three years according to the needs and requirements of the different stages through which the Islamic movement was passing. It is obvious that the sequence of the revelations that suited the gradual evolution of the movement could not in any way be suitable after the completion of the Quran. Then another order, suited to the changed conditions was needed. In the early stages of the movement the Quran addressed those people who were totally ignorant of Islam and, therefore, naturally it had first of all to teach them the basic articles of Faith. But after its completion the Quran was primarily concened with those who had accepted Islam and formed a community for carrying on the work entrusted to it by the Holy Prophet. Obviously, the order of the complete Book had to be different from its chronological order to suit the requirements of the Muslim Community for all times. Then the Quran had, first of all, to acquaint the Muslims thoroughly with their duties concerning the regulation of the their lives. It had also to prepare them for carrying its message to the outer world which was ignorant of Islam. It had also to warn them of the mischiefs and evils that appeared among the followers of the former prophets so that they should be on their guard against them. Hence Al-Baqarah and similar Madani surahs, and not Al-'Alaq and similar Makki surahs, had to be placed in the beginning of the Quran.

gathering and synthesising the knowledge and experience of many peoples. One of the most important Arab innovations was the compass. The properties of a magnetised needle were known to the Chinese, but it was the Arabs who first floated one in a glass basin filled with water.

From the aerliest days of Islam the Arabs had also been familiar with the quadrant, and the astrolabe, which were soon adopted by western sailors as well. The oldest astorlabe that has come down to us is perhaps that made by Ahmed ben Khalf in approximately 950. This device, later perfected in the English navy, was adopted in Europe under the name of arablest (al-Bilistri). Apart from the astrolabe already mentioned, with its sight-level, the dependence of western nautical science on that of the Arabs is shown by other Arab words found in a number of Mediterranean languages and brought this into English.

It was partly owing to the great naval victories that, less than a century after Prophet Muhammad's death, the Arabs controlled the seas from the Bay of Biscay to the Indian Border with China, and from the Arab Sea to the Cataracts of the Nile. The result was a huge, ever-increasing volume of mercantile and other traffic accompanied by an equally flourishing merchant maring. During the Abbasid period (749-1258) the ports of Baghdad, Basra, Siraf and Alexandria became great centres of sea borne trade.

In the West an Arab fleet, sacked the coast of France in the year 934—935 took Genoa and sailed along the coast of Calabria. Arab ships sailed to Spain and in 958 they followed the Atlantic coast to Europe. In 969 the Mediterranean fleet was reinforced by a large number of units built at Maqs, the port of Cairo.

In the east, Arab traders carried Islam to Indonesia and from Bsra they thrust out as far as China. The intercontinental traffic was on such a scale that the Arab Caliph al-Rashid (786—809) even planned improvements to the, canal across the Isthmus of Suez, thus anticipating de Lesseps' project.

naval victory was in 649, when Mu'awiya conquered Cyprus. At Alexandria, in 652, Abdullah repulsed a Byzantine fleet supperior in both men and ships (about five hundred vessels). The two admirals finally destroyed this fleet completely at Phoenix in 655 ; the Emperor Constans 11, who was at the head of the Christian fleet, only just managed to escape.

The Mediterranean, then, also known to the Arabs as the Sea of Syria, was Muslim. In 668 an Arab fleet of two hundred vessels conquered Sicily, which had already been sacked by the Arabs in 652.

A consequence of trade and conquest and a logical outcome of the pilgrimages of Mecca and of the qibla was the development of geography. Ptolemy's Geography had been translated into Arabic in the ninth century and the great Arab geographers, among whom was Khwarizmi, 'flourished at this period. In the next century the most distinguished were Istakhir, Ibn Hawqal, Maqdisi and Hamadani. The greatest of the eastern Muslim geographers, Ya'qut, lived from 1179 to 1229 ; his colossal work greatly influenced the knowledge of astronomy and geogrophy in Europe. There are many references to Islamic voyages in the works of the Muslim geographers, especially in those of the travellers, al-Sharaf, al-Idrisi (1100-1165) and Ibn Battuta (1304-1377). Thus we know that there was little travel on the Mediterranean and the Black Sea, but a great deal on the Caspian Sea.

Arab navigation during the Middle ages was restricted to coasting. Indian sailors probabiy brought most of the cargo to Aden, whence Arab ships carried it across the Red Sea (at different periods to Qolzum-Suez near the Ptolemaic Canal of the Two Seas that linked the Red Sea with the Nile and was reopened for use in the seventh century ; to Tor in the Sinai; to Aidhab ; to Kosseir — these being Egyptian customs ports, perhaps the only ones).

In 1377 Ibn Khaldun wrote : 'Ships are bodies (constructed with the help) of geometry fashioned after the form of a fish and the way a fish swims in the water with its fins and belly. The shape is intended to make it easier for the ship to brave the water. Instead of the animal motion that the fish has, the ship is moved by the winds'.

The most important voyages were made by the Islamised populations of Africa, Persia and India, while the true Arabs made only coastal voyages, from port to port in the Red Sea. However, Arab navigators contributed significantly to the development of marine science, astronomy and geography in Europs as well as in their own countries,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RABIE THANI 1397	ENGLISH SECTION	APRIL 1977

THE ROLE OF ARAB NAVIGATION IN THE SPREAD OF ISLAMIC CALL

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

If the word 'Arab' is taken to mean all Semitic tribes stemming from the Peninsula. the Phoenicians can be considered an Arab race of first-rate navigators. They migrated from central Arabia to the Mediterranean coast about the middle of the third millenium B.C. They were of Amorrean stock and once they bad settled on the centarl North African coast, they became renowned for their trading voyages and their colonies on the coasts of Italy, France and Spain.

If, however, we take 'Arabs' to mean only the Ismaelites, the first evidence of navigational skill leads to 'the mercantile power of south Areabian pre-Islamic kingdoms of Saba, Minea. Qataban, Hadra maut and Himyar.

These grew up at the geographic centre of the great civilizations of the period, Egypt, Babylon, the Sind, Greece, Rome and Byzantium. Continuing export and import made South Arabia one of the richest countries of the ancient world. Much of the merchandise was transported over the great caravan route that led from South Arabia through Mecca and Medina to the Mediterranean.

Arab navigation parallels the conquests and expansion of Islam. Following their ocoupation of Egypt, the Arabs reinforced their naval strength with the Byzantine fleet, which they had just conquered. The first Muslim fleet had been built in the shipyards of Alexandria by Abdullah ibn Sa'd ibn Abi Sarh, Governor of Egypt (A.D. 645). With his co-admiral Mu'aiya, Governor of Syria, he launched a series of attacks against the Byzantine fleet. The first great Arab